

(٧٤١)

مسألة اللفظ والمعنى

من مصنفات الأدب والبلاغة

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"وتجمع من الحساب مالا يدرك بالأرتيماطيقي، وبالأعداد الموضوعة للموسيقي (من الوافر):

أحاد أم سداس في أحاد ... لييلتنا المنوطة بالتنادي

وهذا كلام الحكل ورطانة الزط ... وما ظنك بممدوح قد تشمر للسماعً

من مادحه فصك سمعه بهذه الألفاظ الملفوظة والمعاني المنبوذة؟ فأي هزة تبقى هناك؟ وأي أريحية تثبت هنا؟ وقد خطأه في **اللفظ والمعنى** كثير من أهل اللغة وأصحاب المعاني، حتى احتيج في الاعتذار له، والنضح عنه، إلى كلام لا يستأهله هذا البيت، ولا يتسع له هذا الباب.

ومن ابتداءاته البشعة التي تنكرها بديهة السماع قوله (من الوافر):

ملث القطر أعطشها ربوعا ... (وإلا فاسقها السم النجيعا)

وقوله (من الكامل):

أثلت فإنا أيها الطلل ... (نبكي وترزم تحتنا الإبل)

وقوله (من الوافر):

بقائي شاء ليس هم ارتحالا ... (وحسن الصبر زموا لا الرحالا)

قال الصاحب: ومن افتتاحاته العجيبة قوله لسيف الدولة في التسلية عند المصيبة (من الطويل):

لا يحزن الله الأمير فإنني ... لآخذ من حالاته بنصيب

قال الصاحب: لا أدري لم لا يحزن سيف الدولة إذا أخذ المتنبي بنصيب من القلق!

ومنها

اتباع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء

والإفصاح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت، وقلة التناسب، وتنافر الأطراف، وتخالف الأبيات، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة، ويعود لهذه العادة السيئة،." (١)

"لأبي نواس:

ملك تَصَوّر في القلوب مثالُه ... فكأنه لم يخلُ مِنه مَكَان

كثير عزة:

أريد لأنْسى ذِكرَها فكأنما ... تَمَثل لي ليلى بكل مكان

قال المتنبي:

صدق المخَبِّرُ عنك دونَكَ وصْفُه ... من بالعراق يراك في طَرْسُوسَا

---

(١) أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه، الثعالبي، أبو منصور ص/٦٧

وقال أيضاً في موضع آخر:

هذا الذي أبصرتَ منه حاضراً ... مثلُ الذي أبصرتَ منه غائبا

هذا فصل الخطاب الذي قال عنه أبو سعيد.

أبو تمام:

تعود بَسْطَ الكفّ حتى لو أنه ... أراد انقباضاً لم تطعه أنامله

ابن الرومي:

تعودَّتِ المواهبَ والعطايا ... أناملُ فيضُ راحتِها انسجامُ

فليس لها عن الحمد انفراج ... وليس لها على المال انضمام

قال المتنبي:

عجبا له حفظ العنان بأنمل ... ما حفظها الأشياء من عاداتها

فأفسد **اللفظ والمعنى** جميعاً.

لأبي العكوك في طاهر بن الحسين:." (١)

"محمد بن أبي عيينه المهلبي:

إني لأختار الحِمَا ... م على مصاحبة اللئام

وأفرّ منهم ما حيي ... تُ ولا أفرّ من الحسام

نفسي الكريمة لا تق ... رّ على المذلة والملام

والموتُ أطيبُ في فَمي ... عند الهَوَانِ من المُدام

قال المتنبي:

وعندها لذّ طعم الموت شاربه ... إن المنية عند الذّل قِنْديد

قد أنصف المتنبي في إبدال المدام بالقنديد؛ ليُعَدّ بسبب هذه الفصاحة في شعراء الجاهلية، عند استعماله الألفاظ الغريبة، والقنديد نبيذ يعمل من القَنْد وذُكر في اشتقاق أسماء الخمر شرفُها.

أبو العتاهية:

أزفّ أبْكارَ أشعاري إليك فما ... عندي سوى الشكر لا خيلٌ ولا مال

فأقبل هديةَ من تصفو مودتُه ... إن لم تساعِدْه فيما رامه الحال

قال المتنبي:

---

(١) الإبانة عن سرقات المتنبي لفظا ومعنى، أبو سعد العميدي ص/٧٥

لا خيل عندك تُهديها ولا مال ... فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

هذه الأنواع من السرقات فاضحة لصاحبها؛ لأنه أخذ **اللفظ والمعنى** والرّوي، ثم ادعى هذه المعجزات لنفسه:." [١]

"(والنقع يأخذ حرانا وبقعتها ... والشمس تسفر أحيانا وتلتثم)

قال أبو الفتح: تسفر: تظهر، وتلتثم بالغبار، أي: تستتر.

قال الشيخ: الرواية الصحيحة: ويتركها، لا: وبقعتها، فإن في قوله يأخذ حرانا غنية عن قوله: وبقعتها، فهو تكرار بلا معنى، فإنه إذا أخذ حرانا، فقد أخذ بقعتها، ثم قوله: يأخذ بإزاء يتركها، وتسفر بإزاء تلتثم. وهذا هو التقسيم الصحيح والتطبيق المستقيم **واللفظ والمعنى** في التقابل والتعادل من بدائعه.

(سحب تمر بحصن الران ممسكة ... وما بها البخل لولا أنها نقم)

قال أبو الفتح: يعني جيش سيف الدولة، وحصن الران من عمله، فيقول: إمساكها ليس بخلا، وإنما هو إشفاق على دياره.

قال الشيخ: هذا أعجب من ذهاب هذه المعاني على مثله، وما قبلها وبعدها يشهد بها، ويدل عليها، فأنى صرف عنها ترى؟ الرجل يقول قبله:

والنقع يأخذ حرانا ... ." [٢]

"وتنسب أفعال السيوف نفوسها ... إليه وينسبن السيوف إلى الهند

ألا تراه حين تجنب السخرية كيف راق كلامه وجاد وصفه.

وقوله:

لا يحزن الله الأمير فإنني ... لآخذ من حالاته بنصيب

هذا البيت ظاهر **اللفظ والمعنى**. وإنما حملني على إيراده أني قرأت أوراقاً سميت (بمساوئ المتنبي) أنشأها الصاحب كافي الكفاة قد ارتكب فيها شيئاً من المزح عجباً ليس من

طريقة العلم، ولا مما أفاد غير خيلاء الوزارة، وبذخ الولاية. ولعمري إنه لو لم يرو عنه هذا الكتاب لكان أجمل بمثله. إذ كان لم يتعد فيه غير الهزء الفارغ، والكلام اللغو. حتى إنه ما يكاد ينتقص شيئاً من الأبيات التي نقمها على أبي

الطيب بما تفيد معرفة مخطئاً فيه أو مصيباً، إلا مواضع يسيرة كأنها عثار منه بالجد لا عمد. فغلط فيها ودل على إنه لم يفهم ما ورده، ولم يحط علماً بما كرهه.." [٣]

"الكتاب. وإنما أوردنا هذا البيت لأن الشرط إيراد كل غلق. وهذا البيت منه.

وقوله:

وغرَّ الدُمُستُقَ قولُ العداة ... أن علياً ثقيل وَصَب

---

(١) الإبانة عن سرقات المتنبي لفظا ومعنى، أبو سعد العميدي ص/١٦٥

(٢) قشر الفسر، الزَّوزَني، أبو سهل ٢/٣١٤

(٣) الفتح على أبي الفتح، ابن فورجة ص/٧١

هذا البيت ظاهر **المعنى واللفظ**، إلا أن القاضي أبا الحسن ذكر في كتاب الوساطة ما هو سهو عليه في هذا البيت. فأحببت الإبانة عنه. رواه: قول الوشاة ثم قال: عيب عليه هذا البيت. وقالوا جعل الأمراء يوشي بهم. وليس بسائغ أن يقال: وشى فلان بالسلطان إلى بعض رعيته. ولو قيل ذلك في أميرين لكان قد قصر بالموشى به ثم قال: قال المحتج عن أبي الطيب: اصل الوشاية استخراج الحديث بالمسألة، كما يوشي الرجل جرى فرسه بتحريكه وهمزة. وقد يجوز أن تحمل الكلمة على اصلها ويجعل هؤلاء وشاة لما أتوه بهذا الخبر. والكلام هو الأول عندي. والعذر ضعيف. لعمري أن كل ما أورده بدءاً وعوداً ضعيف وذلك إنه غلط في الرواية فأخذ في التَّمحل لغلطه. وقد قرأت هذا الديوان تصحيحاً ورواية بالعراق على
علماء عدة. ورواة ذات كثرة فما وجدت أحداً يروي عنه هذه الرواية. وهذا ابن جني ما ضمن كتابة الفسر غير قول العداة. ولو أنا حرفنا الروايات عن وجوهها ثم أخذنا." (١)

"بقلبه وذكائه. فقوله: ليس بنافع، يريد بنافع لهم لا للأمير. فهذا شرح المعنى.

وقوله:

يغير بها بين اللقان وواسط ... ويركزها بين الفرات وجلَّق

ويرجعها حمراً كأن صحيحها ... يبكي دماً من رحمة المتدقق

اللقان: مكان ببلد الروم. وواسط هي بالعراق واقع بها بني البريدي لاجتاحهم. وإنما يريد بذلك قدرته على السير، كما قال في هذه القصيدة:

وكاتب من أرض بعيد مَرامُها ... قريب على خيل حواليك سبق

جعله مما إذا هم ركب، وإذا سرى أبعد المسرى. وقد ذكر اللقان في شعره في مكان آخر وهو قوله:

فقد بردت فوق اللقان دماؤهم ... ونحن أناس تتبع البارد السخنا

وأما قوله: ويرجعها حمراً فهو معنى حسن وجيد ولم يتعرض لكشفه الشيخ أبو الفتح. وليس أيضاً بغامض، إلا أني ذكرته لنكتة فيه وهو إنه أخذ (هذا) **المعنى واللفظ** من بعد الرجاز انشد أبو حنيفة." (٢)

"كالموت ليس له ري ولا شبع

فرحم الله أبا الفتح قد قال في نفع غيرها. فأي نفع للناس في أن يهلكوا. وأي حجة له في غفلته عن هذا. أترى لشيء من سائر خلق الله نفع في أن يهلك فضلا عن الحيوان. وإنما الهاء في منافعها راجعة إلى الجدة المرثية. يريد أن منافع هذه لصلاحها وإيثارها على نفسها، وكثرة صيامها وعبادتها ما جرت العادة به أن تضر. وذاك أنها تؤثر الجوع والظمأ، في الري والشبع. فإذا جاعت وظمئت كانت كأنها تغذت ورويت. وإيثار الجوع والظمأ من فعل العباد. وقوله: في نفع غيرها موضعه الرفع لأنه خبر ثان لمنافعها. والخبر الأول ما ضرَّ. كأنه يقول: منافعها في نفع غيرها. ووجه آخر وهو أن تكون (في) بمعنى (مع). يريد ما ضرها مع نفع غيرها. كما تقول: أردت شتمك في إكرام زيد. أي مع إكرام زيد. فأي معنى أظهر من هذا،

---

(١) الفتح على أبي الفتح، ابن فورجة ص/٨٧

(٢) الفتح على أبي الفتح، ابن فورجة ص/١٨١

فيتكلف الشيخ أبو الفتح ما يزري به عفى الله عنه. وبعد فالمعنى من قول القائل:

أقسم جسمي في حسوم كثيرة ... وأحسوا قراح الماء والماء بارد

وقوله:

ديار اللواتي دارهن عزيزة ... بطول القنا يحفظن لا بالتمائم

هذا البيت ظاهر **المعنى واللفظ**. وإنما أتيت به لنكتة. قرأته على الشيخ أبي العلاء فقلت له: أنشد: بطول القنا. أم بطولاها. أعني." [1]

"فإنه يكون في غاية الحسن والرونق، وهذا لا خفاء به.

وأما النوع الرابع وهو الاطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والمنثور، فإن فيه للمؤلف فوائد جمة؛ وذلك أن يعلم منه أغراض الناس ونتائج أفكارهم، ويعرف مقاصد كل فريق منهم، والى أين ترامت به صنعته في ذلك، فإن هذه الأشياء مما تشحذ القريحة، وتذكي الفطنة. وإذا كان المؤلف عارفاً بها تصير المعاني، التي ذكرها أرباب هذه الصناعة، وتعبوا في استخراجها كالشيء الملقى بين يديه، يأخذ

منه ما أراد، ويترك ما أراد. وأيضاً فإنه إذا كان مطلعاً على المعاني المسبوق إليها، فقد ينقدح له من بينها معنى غريب، لم يسبق (إليه). ومن المعلوم أن خواطر المؤلفين وإن كانت متفاوتة في الجودة والرداءة، فإن بعضها قد يكون عالياً على بعض، أو منحطاً عنه بشيء يسير. وكثيراً ما تتساوى القرائح والأفكار، في الإتيان بالمعاني، حتى إن بعض المؤلفين قد يأتي بمعنى من المعاني مصوغاً بلفظه، ثم يأتي الآخر بعده، بذلك **المعنى واللفظ**، بعينهما، من غير علم منه بما جاء به المؤلف الأول، وهذا هو الذي تسميه أرباب هذه الصناعة (وقع الحافر على الحافر) كقول امرئ القيس:

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيُّهم ... يقولون لا تَهْلِكْ أسىً وتَجمَّلِ

وقول طرفة بن العبد البكري بعده:

وقوفاً بها صحبي علي مطيُّهم ... يقولون لا تَهْلِكْ أسىً وتَجلَّدِ

وسيأتي لذلك باب مفرد في كتابنا هذا.

وأما النوع الخامس، وهو معرفة الأحكام السلطانية من الإمامة والإمارة، وغير ذلك،." [2]

"هذا، فإذا رآها موجودة فيها أو بعضها، علم أنها حقيقة بأن تدخل في سبك التأليف. ثم يعود بعد ذلك ويعتبر مكانها من النظم، وكيف ممازجتها لجاراتها والتئامها مع أخواتها، فإذا وجدها شديدة المناسبة لها، حسنة الامتزاج معها، حكم على ذلك اللفظ بالجودة، وشهد له بالرونق والطلاوة، وإن كان الأمر بخلاف ذلك (حكم) عليه بالرداءة والقبح، على حسب ما استحق. والأصل في هذا كله حسن التأليف،

وجودة التركيب، فإن حسن التأليف يزيد المعنى نباهة ويميل النفوس إلى استماعه، والإصغاء إليه، فإنه إذا كان المعنى سيئاً،

---

(١) الفتح على أبي الفتح، ابن فورجة ص/٣١٥

(٢) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، ضياء الدين ص/١٧

وكان اللفظ جيداً مختاراً، ويكون التركيب مع ذلك رديئاً لم يوجد له يظهر عليه رونق. وإذا كان **المعنى واللفظ** وسطين، وكان تركيبها جيداً حسناً كان ذلك معلياً من قدرهما، ورافعاً من شأنهما. فمثال ذلك كالعقد المتوسط. ألا ترى إنه إذا أحسن تنضيده فجعلت كل قطعة مع يشاكلها، ويليق بها، كان رائقاً في المنظر وإن لم يكن مرتفعاً ثميناً. ومثال **المعنى واللفظ** الرائقين مع التركيب الرديء مثال عقد ثمين، أفسد نظمه، فجعلت كل قطعة منه مع ما ينافيها ولا يناسبها، فإنه يصير بذلك مختلاً في المنظر، وإن كان فائقاً ثميناً.

وحسن التأليف: هو أن توضع الألفاظ في مواضعها وتجعل في أماكنها. وسوء التأليف بخلاف ذلك. ألا ترى إنه إذا قدم في التأليف ما يجب تأخيره، وأخر ما يجب تقديمه تصير المعاني نافرة عن مواضعها، محولة عن وجوهها؟ ومثال ذلك كالصورة التي تحول بعض أعضائها إلى موضع بعض، فتحول الرأس إلى موضع اليد أو الرجل أو غير ذلك، فإنه إذا فعل هذا قبحت الصورة، وفسدت هيئتها الجميلة الحسنة. فاعرف ذلك، فإنه لم يقل: (لفظة متمكنة مرضية) وفي خلافها (قلقلة مستكرهة) إلا والغرض بالتمكن حسن الاتفاق بين الألفاظ بعضها مع بعض، وبالقلق سوء الملاءمة وأنها لم توافق صواحبها. وهل تشك أيها." (١)

"فهو (فصيح). فلما صح لنا هذان الأمران، ثبت لنا من مجموعها ما ادعيناه: من أن الفصاحة تخص اللفظ كما أريناك.

وأما البلاغة فلو كان أصلها في وضع اللغة (الظهور والبيان) كما هو أصل

الفصاحة، لصح لك ما ذكرته من الاعتراض. وإنما أصلها في وضع اللغة (من الوصول والانتهاء) لا غير، وعلى أصلك أيها المعترض فينبغي أن يكون كل ما هو على وزن (فعيل) مختصاً باللفظ نحو (شرف فهو شريف) و (ظرف فهو ظريف) و (كرم فهو كريم) وأمثال ذلك مما جرى هذا المجرى فالشرف إذا مختص باللفظ، وكذا الظرف والكرم، وهذا من أعجب الأشياء، فليتأمل.

وأيضاً، فقد بينا أن للبلاغة أو صافاً ثلاثة، لا يسمى الكلام بليغاً إلا بمجموعها. ومتى عري من واحد منها فليس ببليغ. فالأول منها يتعلق بالمعنى، وهو الإفادة. والثاني يتعلق **باللفظ والمعنى** كليهما، وهو أن يكون اللفظ غير زائد على المعنى. والثالث يتعلق باللفظ وهو الفصاحة، لأن الكلام لا يطلق عليه اسم البلاغة حتى يكون فصيحاً. فالفصاحة إذا شرط في البلاغة لا تتم إلا به. فلما كانت الحال كذلك وجب أن تعم البلاغة **اللفظ والمعنى** معاً.

وأما الفصاحة فليست كذلك؛ لأنها محض إبانة ووضوح فقط، وذلك يتعلق باللفظ بموجب الدليل الذي قدمنا ذكره. فتدير ما أشرنا إليه، وتصفح مطاويه، وفي ذلك كفاية.." (٢)

"النوع التاسع عشر من الباب الأول من الفن الثاني

في التكرير

---

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، ضياء الدين ص/٦٥

(٢) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، ضياء الدين ص/٨١

وهو قسمان: أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى، والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ فأما الذي يوجد في اللفظ والمعنى فكقولك لمن تستدعيه (أسرعْ أسرِع) ومنه قول أبي الطيب المتنبي:

ولم أرَ مثر جِيْراني ومِثلي ... لمثلي عند مثلهم مقام

وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ فكقولك (أطلعني ولا تعصني) فإن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية. وكل من هذين القسمين ينقسم إلى مفيد وغير ذلك. فالمفيد يأتي في الكلام تأكيداً له وتشييداً من أمره، وإنما يفعل ذلك للدلالة على معظم محل الشيء، الذي كررّت فيه كلامك، والإشعار بفخامته شأنه وعلو قدره، أو الدلالة على حقارته والإعلام بهوانه واتضاعه. وغير المفيد لا يأتي في الكلام

إلا عَبَثاً وخَطَلاً، من غير حاجة إليه.

فأما الأول وهو الذي يوجد في اللفظ والمعنى ويدل على معنى فهو ضربان: مفيد وغير مفيد.

فالضرب الأول وهو المفيد فرعان:

الأول إذا كان التكرير في اللفظ والمعنى يدل على المعنى واحد المقصود به غرضان مختلفان كقوله تعالى (وإذ يَعِدُكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم، وتَوَدُّون أن غير ذات الشوكة تكون لكم، ويُريد الله أن يُحِقَّ الحق بكلماته ويَقْطَعَ دابِرَ الكافرين، ليُحِقَّ الحقَّ ويُبْطِلَ الباطلَ ولو كره المجرمون) هذا تكرير في اللفظ (وهو قوله) (يحق الحق وليحقَّ الحق) وإنما جيء به هاهنا لاختلاف المراد، وذلك أن الأول تمييز بين الإرادتين، والثاني بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم، ونصرتهم عليها، وأنه ما نصرهم ولا خذل أولئك إلا لهذا الغرض.." (١)

"من هذا النحو قوله تعالى (كذبت قبلهم قومُ نوح وعادٌ وفرعون ذو الأوتاد، وثمودُ وقومُ لوطٍ وأصحاب الأيْكَة أولئك الأحزابُ، إنْ كُلٌ إلا كّذبَ الرُسلَ فحقَّ عقابي) وإنما كرر تكذيبهم هاهنا لأنه لم يأت به على أسلوب واحد، بل تنوع فيه بضروب من الصنعة فذكره أولاً في الجملة الخبرية على وجه الإبهام، ثم جاء به بالجملة الاستثنائية، فأوضحه بأن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم فقد كذبوا جميعهم. وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه، والتنوع في تكريره بالجملة الخبرية أولاً وبالاستثنائية ثانياً، وما في الاستثناء من الواضح علة جهة التأكيد والتخصيص من المبالغة المسجلة عليهم، باستحقاق أشد العذاب في أبلغه (من البيان ما لا خفاء فيه).

وهذا باب من تكرير اللفظ والمعنى غامض، وبه يعرف مواقع التكرير والفرق بينه وبين غيره، فافهمه.

الفرع الثاني من الضرب الأول

إذا كان التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد

والمراد به غرض واحد كقوله تعالى: (والله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء) إلى قوله: (. . .

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، ضياء الدين ص/٢٠٤

لمبلسين) فقوله (من قبله) بعد قوله (من قبل) فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد بعد وتطاول فاستحكم يأسهم، وتمادى إبلاسهم، فكان الاستبشار على قدر اهتمامهم.

ومثل من قوله تعالى (فكان عاقبتهما أنَّهما في النار خالدين فيها) وكذلك قوله تعالى (ولا تحْسَبنَّ الذين يفرَحون بما أتَوْا ويُحْمدوا بما لم يفعلوا، فلا تحسبنهم." (١)

"بمفازة من العذاب، ولهم عذاب أليم) ومن هذا الجنس قوله تعالى (وقال الذين آمن يا قوم اتبعوني أهدكم سبيلَ الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاعٌ وإن الآخرة هي دار القرار) فإنه إنما كرر نداء قومه هاهنا لزيادة التنبيه لهم، والإيقاظ من سنة الغفلة، ولأنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم كمن الضلال، وهو يعلم وجه صلاحهم، ونصيحتهم عليه واجبة، فهو يَتَحزَّن لهم، ويتلطف بهم، ويستدعي بذلك أن لا يتهموه، فإن سرورهم سرور وغمهم غمه وإن لم ينزلوا على نصيحته لهم. وهذا من التكرير الذي هو أبلغ من الإيجاز وأشد موقعاً من الاختصار، فاعرفه.

وعلى نحو منه جاء قوله تعالى في سورة القمر (فذوقوا عذابي ونذُري) وقوله (ولقد يسّرنا القرآن للذكر فَهَل من مُدّكِرِ) فإنه تكرر ذلك في السورة كثيراً، وفائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادّكارا واتعاظا، وأن يستأنفوا تنبيهاً واستيقاظاً، إذ سمعوا الحث على ذلك، والبعث إليه وأن تقرع لهم العصا مرات، لئلا يغلبهم السهو، وتستولي عليهم الغفلة. وهكذا حكم التكرير في قوله تعالى في سورة الرحمن – جل وعلا – (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وذلك عند ذكر كل نعمة عددها على عباده، وأمثال ذلك في القرآن

الكريم كثيرة فاعرفها.

الضرب الثاني من التكرير في **اللفظ والمعنى**

وهو غير المفيد

وهو الذي يكون وجوده وعدمه سواءً لأنه لا يأتي (إلا) بمعنى واحد فقط، فمن ذلك." (٢)

"فإذا أريدت الدلالة على أن المعني به واحد منهما وكان الذي يساق إليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده، فدل به على القصد إليه والعناية به. ألا ترى أنك لو قلت (إنما هو إله) ولم تؤكده بواحد لم يحسن، وخيل إنك تثبت الإلهية لا الوحدانية. وهذا باب من تكرير المعاني وعر المسلك دقيق المغزى وبه تحل مشكلات من التكرير فاعرفه.

ومن هذا النحو إذا كان التكرير في المعنى يدل على معنيين: أحدهما خاص والآخر عام كقوله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) الآية. فإن الأمر بالمعروف داخل تحت الدعاء إلى الخير، لأن الأمر بالمعروف خاص والخير عام. فكل أمر بالمعروف خير وليس كل حير أمراً بالمعروف؛ لأن الخير أنواع كثيرة، من جملتها الأمر بالمعروف، ففائدة التكرير هنا أنه ذكر الخاص بعد ذكر العام، للتنبيه على فضله كقوله تعالى (حافظوا على الصلوات

---

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، ضياء الدين ص/٢٠٦

(٢) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، ضياء الدين ص/٢٠٧

والصلاة الوسطى) الآية. وأمثال ذلك كثيرة، فاعرفها.

الفرع الثاني من الضرب الأول من القسم الثاني

إذا كان التكرير في المعنى يدل معنى واحد

وقد سبق مثاله، في أول هذا الباب، كقولك (أطعني ولا تعصني) لأن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية، والفائدة في ذلك تثبيت الطاعة في نفس المخاطب، والتقرير لها في قلبه. والكلام في هذا الموضع من التكرير كالكلام في الموضع الذي قبله من تكرير **اللفظ والمعنى**؛ إذ كان المراد به غرضاً واحداً.

الضرب الثاني من القسم الثاني

في تكرير المعنى دون اللفظ

وهو غير المفيد فمن ذلك قول ابن هانئ المغربي:

سارت به صِيغ القصائد شرَّداً ... فكأنما كانت صَباً وقبولا." (١)

"فكأنه قد قال (فكأنما كانت صباً وصباً) لأن الصباً هي القبول، وليس ذلك مثل التكرير في قوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) فيما يرجع إلى تكرير **اللفظ والمعنى**. ولا مثل التكرير في قوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف) فيما يرجع إلى تكرير المعنى دون اللفظ؛ لأن كل واحدة من هاتين الآيتين تشتمل على معنيين: خاص وعام، وقول ابن هانئ (صباً وقبولا) لا يعطى إلا معنى واحداً لا غير، وهذا لا يخفى على المعارف بصناعة التأليف.

ومن هذا النحو قول الصابي في كتاب: (وصل كتابك بعد تأخير وإبطاء، وانتظار له واستبطاء) فإن التأخير والإبطاء بمعنى واحد، وقد يكون لهذا وجه في التجويز، وهو التقرير في نفس المخاطب لبعد الأمد، وتطاول المدة في انقطاع كتابه عنه، وذلك مما لا بأس به في هذا الموضع، وأمثال ذلك كثيرة، فاعرفها.

النوع العشرون من الباب الأول من الفن الثاني

في تناسب المعاني

وهو ثلاثة أضرب:

الضرب الأول المطابقة وهي المقابلة

اعلم أن جماعة العلماء من أرباب هذه الصناعة قد أجمعوا على أن المطابقة في الكلام: هي الجمع بين الشيء وضده، كالسواد والبياض والليل والنهار، وخالفهم في ذلك أبو الفرج قدامة ابن جعفر الكاتب فقال: (المطابقة إيراد لفظتين

---

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، ضياء الدين ص/٢١٠

متساويتين في البناء والصيغة مختلفتين في المعنى). وهذا الذي ذكره قدامة هو (التجنيس) بعينه، غير أن الأسماء لا مشاحة منها إلا إذا كانت مشتقة، ولننظر نحن في مخالفة قدامة لجماعة العلماء في اسم المطابقة ليعلم الحق في أي الجهتين مقره، وذلك أنا ننظر إلى أصل المطابقة في وضع اللغة فإن كانت مناسبة لما أجمع عليه
العلماء تحققنا أن الحق معهم، وإن كانت مناسبة لما ذكره قدامة تحققنا أن الحق في يده فرأينا: أصل الطباق في اللغة من (طابق البعير في سيره) إذا وضع رجله موضع يده، وهذا يقوي." (١)

"فإن ذلك غير مناسب، لأنه إنما يكون يحسن الدل مع الغنج والشنب مع اللّمَس أو ما يجري مجراه من أوصاف الثغر والفم.

وأما القسم الثالث من النوع العشرين فهو أن يقابل الشيء بمثله، وهو ضربان: أحدهما التقابل في **اللفظ والمعنى**، والآخر التقابل في المعنى دون اللفظ، فالضرب الأول كقوله تعالى: (نسوا الله فنسيهم). وكقوله تعالى (ومكروا مكراً ومكرنا مكراً) وأمثال هذا كثيرة، والضرب الثاني فهو أن تقابل الجملة بمثلها: إن كانت مستقبلة (بمستقبلة) وأن كانت ماضية قوبلت بماضية، وربما قوبل الماضي بالمستقبل، والمستقبل بالماضي، وذلك إذا كان أحدهما في معنى الآخر: فمن ذلك قوله تعالى (قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فيما يوحي إلي ربي) فإن هذا تقابل من جهة المعنى، ولو كان التقابل من جهة اللفظ لقال (وإن اهتديت فإنما أهتدي لها). وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى هو أن النفس كل ما هو عليها فهو بها، أعني أن كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بسببها ومنها، لأنها الأمارة بالسوء، وكل ما حولها مما ينفيها فبهداية ربها وتوفيقه إياها. وهذا حكم عام لكل مكلف، وإنما أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يسنده إلى نفسه، لأن الرسول إذا دخل تحته مع علو محله وسداد طريقه كان غيره أولى به، ومن هذا الضرب أيضاً قوله تعالى (أو لم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) فإنه لم يراع التقابل في قوله (ليسكنوا فيه والنهار مبصراً) لأن القياس." (٢)

". . لولا الخوف والبخل عنده. . . . . .

وذلك أن هاتين الخلتين محمودتان في النساء مذمومتان في الرجال، فولاهما لقلت: أبو حفص، يعني الممدوح، هو المسلم علينا لا خيال الحبيب. والمعنى أن الممدوح بمنزلة الحبيب عنده لولا ما استثناه من الخوف والبخل.

وقوله:

يجل عن التشبيه، لا الكف لجة ... ولا هو ضرغام ولا الرأي مخذم

ولا جرحه يوسى ولا غوره يرى ... ولا حده ينبو ولا يتثلم

قال: سبحان الله! ما احسن ما عطف (لا) في هذا البيت، وما أغرب الصنعة فيه، وذلك أن قوله: (ولا الكف لجة) معناه:

---

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، ضياء الدين ص/٢١١

(٢) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، ضياء الدين ص/٢١٤

أن فيها ما في اللجة وزيادة عليها. وكذلك قال في (ضرغام) و (الرأي). وأما قوله (ولا جرحه يوسى) فليس معناه أنه يوسى وزيادة على الأسو، وكذلك قال: في (غوره) و (حده) فهو في البيت الأول مثبت في المعنى ما نفاه في اللفظ، ومتجاوز به في الوصف. وهو في البيت الثاني ناف في **اللفظ والمعنى** جميعا.

فيقال له: إنك سبحت الله متعجبا من حسن العطف والإغراب في الصنع بما ذكرته من الإثبات والنفي في معنى البيتين ولفظهما، وليس فيهما إغراب ولا عجب ولا إعجاب، ومع ذلك فلم تبين من أين وقع الاختلاف في المعنى مع الاتفاق في النفي!.." (١)

"وقوله:

ألقى الكرام الأولى بادوا مكارمهم ... على الخصيبي عند الفرض والسنن

فهن في الحجر منه كلما عرضت ... له اليتامى بدا بالمجد والمنن

قال: المكارم بيده وتحت تصرفه، يستعملها في أي وقت شاء، وكيف شاء.

فيقال له: هل يحسن به أن يستعملها وهي في الحجر منه، من جملة اليتامى مقدمة عليها مبدوءا بها قبلها أن هذه لعبارة سخيفة من غفل سخيف!!.

وقوله:

قد شرف الله أرضا أنت ساكنها ... وشرف الناس إذ سواك إنسانا

قال: ما أعجبني قوله: (سواك) لأنه لا يليق بشرف ألفاظه، ولو قال: (أنشاك) أو نحو ذلك لكان أليق بالحال.

فيقال له: (سواك) أشرف من (أنشاك) وأليق من جانب **اللفظ والمعنى:**." (٢)

"قال: ولو قال:

. . . . وإن مضى عالم بدا منه علم

لكان أحسن في حكم الشعر ولعل أبا الطيب كذلك قال، لأن تكرير العلم في البيت كثر.

وقوله في صفة الجيش: وإن بدا عالم منه يقلل من كثرة العلم ويدل على كثرة الجيش.

أقول: أن كثرة لفظ علم لكثرة الفائدة وحسن الصناعة، والعلمان وإن اتفقا في اللفظ، فقد اختلفا في المعنى، فكأنه يقول: إذا مضى جبل من الأرض، بدا لواء من الجيش، وإن مضى لواء من الجيش، بدا جبل من الأرض. فهذا احسن ما يكون من **المعنى واللفظ**. فلا يحسن أن يقال: وإن مضى عالم من الجيش لأنه لا يقابل النصف الأول في اللفظ فينحل تركيب البيت، وتسقط قوته. فالصواب إلقاء هذا التغيير، وإبقاء علم على ما فيه من التكثير!

---

(١) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ٢٧٢/١

(٢) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ٢٩٢/١

وقوله: (البسيط)

وأصبحت بقرى هنزيط جائلة ... ترعى الظبا في خصيب نبته اللمم." (١)

"وأقول: أن قوله:

. . . . نقشن به صدر البزاة حوافيا

تشبيه حسن واقع، صحيح اللفظ والمعنى، وأقول ألفاظ العامة أو خالفها، وإذا كان كذلك، فليس فيه عيب، ولا عليه دخل، على أن أبا الطيب (لم يكن جاهلا) إلى أن يستعمل من كلام العامة ما ليس له أصل في كلام الخاصة.

وقوله: قد اقتصر في هذا الوصف.

فيقال له: لا يلزم الشاعر الإغراق في كل موضع، فإذا غرق لا يلزمه التساوي في ذلك، على إنه يقال له: أن في هذا البيت، من الإغراق ما يساوي المكان الأول، بل يزيد عليه، لأن في قوله: (الرجز)

يترك في حجارة الأبارق

وصفها بقلعها، والأبارق: جمع أبرق، وهي الأرض التي فيها حجارة ورمل وطين، فإذا مشى قلع حجارتها، لأنها سهلة في المرطوبة، وإذا عدا كان وقعه واعتماده عليها أشد من ذلك فأثر فيها أكثر من القلع، وهي الخنادق، وتكون صغيرة وكبيرة. وأما الصفا فهو الحجر الأملس الصلب، فذكر أن الخيل التي معه إذا مشت عليه حوافيا أثرت فيه آثارا بينة كنقش صدور البزاة وذلك لصلابة الحوافر، فتعليله بقلة تأثيرها في الصفا بالخفة غير صحيح لما بينته.

وقوله: (الطويل)

لقيت المروري والشناخيب دونه ... وجبت هجيرا يترك الماء صاديا." (٢)

"وهو غير عاقل، فإنك وإياه بمنزلة الصيقل والسيف في صقله وإرهاف حده؛ فانه مع ذلك لا يتجنب عنقه؛ لأنه لا عقل له. وقوله: الطويل

ولا جرجه يؤسى ولا غوره يرى ... ولا حده ينبو ولا يتثلم

قال: هو في البيت الأول مثبت في المعنى لما نفاه في اللفظ، ومتجاوز له في اللفظ والوصف. وهو في البيت الثاني ناف في اللفظ والمعنى جميعا.

وأقول: هذا الذي ذكره ليس بشيء! وهو قول الواحدي، وقد ذكرته في شرحه.

وقوله: الطويل

ولا يشتهي يبقى وتفنى هباته ... ولا تسلم الأعداء منه ويسلم." (٣)

---

(١) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ١٨٣/٢

(٢) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ٢٣٩/٢

(٣) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ١٥٢/٣

"قال: عطف لا في قوله: ولا جرحه يؤسى على لا في البيت قبله في ظاهر اللفظ، لا في المعنى لأن قوله: لا الكف لجة يريد أن فيها ما في اللجة وزيادة عليها، وكذلك ما بعده في هذا البيت.

وقوله: ولا جرحه يؤسى ليس يريد إنه يؤسى ويزاد عليه، فهو في هذا ينفي ما في **اللفظ والمعنى**، وفيما قبل مثبت في المعنى ما نفاه لفظا. والمعنى: جرحه أوسع من أن يعالج.

وأقول: هذا الذي ذكره هو قول ابن جني وليس بشيء؛ وذلك إنه يمكن أن يتأول البيت الأول بما تؤول به البيت الثاني فيقال: كفه أكرم من أن تشبه باللجة، وهو

أشجع من أن يشبه بالضرغام كما قال: جرحه أوسع من أن يؤسى. على أن قوله أن معنى: لا الكف لجة أي فيها ما في اللجة وزيادة هو بمعنى أكرم من اللجة، لأن لفظة افعل تقتضي ذلك؛ فعلى هذا يكون الأول كالثاني نفيا في **اللفظ والمعنى**.

وقوله: الطويل

ولا يشتهي يبقى وتفنى هباته ... ولا يسلم الأعداء منه ويسلم

قال: يقول: لا يحب ان يبقى ولا عطاء له، وإنما يحب البقاء ليعطي، فإذا لم يكن له عطاء لم يحب البقاء، ولا يحب ان يسلم في نفسه مع سلامة الأعداء؛ أي إنه يحب أن يقتلهم وإن كان في ذلك هلاكه.." [1]

"له ولم يحملوه على وجهه! وهم في ذلك كقوله تعالى: (ذلك مبلغهم من العلم). والذي فيه من **اللفظ والمعنى** قد ذكرته أيضا قبل.

وقوله: المتقارب

إذا طلب التبل لم يشأه ... وإن كان دينا على ماطل

قال: إذا طلب وترة لم تفته، وان مطل بها من يطلب عنده تلك الترة؛ يعني: يدرك ثأره وان طال العهد.

وأقول: إن قوله: وإن طال العهد ليس بشيء! والماطل هو الغريم العسر الوفاء، وهو هاهنا كناية عن الشجاع، وذلك إنه لما جعل الترة دينا جعل الماطل بها شجاعا للمناسبة بين الاستعارة، وهما بخلاف الدين والغريم في الدين، فهذا معنى المطل لا ما ذكره وذلك كقوله: الكامل

محك إذا مطل الغريم بدينه ... جعل الحسام لما أراد كفيلا

وقوله: المتقارب

يشمر للج عن ساقه ... ويغمره الموج في الساحل." [2]

"وقوله: الكامل

وإذا تعثرت الجياد بسهله ... برزت غير معثر بجباله

قال: يقول: الشعراء الفصحاء إذا تعثروا بالكلام السهل، سبقتهم غير متعثر بحزنه؛ يعني: إذا لم يقدروا على السهل المستعمل،

---

(١) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ٥/٩٢

(٢) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ٥/١٨٧

كنت قادرا على الغريب المهمل.

وأقول: الغريب المهمل من الكلام لا يفضل السهل المستعمل، فليس في ذلك فضل له عليهم. وإنما فضل عمر بن الخطاب – رحمه الله – زهيرا على غيره من الشعراء لقوله: كان لا يتتبع حوشي الكلام.

وقد قال البحتري: الكامل

ميلوا إلى سهل الكلام فإنه ... من خاف مال إلى الطريق الأوعر

وكأن أبا الطيب يريد بذلك المنظوم، والمسارعة فيه، والمسابقة اليه؛ يقول: إذا الجياد، وهم البلغاء الفصحاء، جاروني فيه تعثروا بالسهل منه، أي الضعيف **اللفظ والمعنى**، سبقتهم لا أتوقف ولا أتعثر منه بالجزل **اللفظ والمعنى**. وقد كان معروفا في البداية بالسرعة والاجادة، فمن ذلك تشبيهه بطيخة الند، وقد قال له أبو العشائر: أي شيء تشبه هذه؟ فقال مجيبا له: الكامل

وبنية من خيزران. . . . .

وقال فيها: الطويل

وسوداء منظوم. . . . ." (١)

"فيقال له: فإن كان أخافها بمعنى أخاف أصحابها، واستعمال ذلك كثير كقوله تعالى: (وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة) وقوله: (وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية) وأشباه ذلك. فما المانع أن تعطف ووجوها على أبديا من حيث **اللفظ والمعنى**، ولا يحتاج إلى تقدير فعل غير الأول عاملا في المعطوف، وذلك ظاهر لا خفاء فيه؟

وقوله: الخفيف

أقسموا لا رأوك إلا بقلب ... طالما غرت العيون الرجالا

قال: قوله: إلا بقلب أي: إلا والقلب معهم؛ يريد: حلفوا ليحضرن عقولهم، وليعملن أفكارهم في ذلك.

قال: طالما غرت العيون الرجال، أي: كذبهم عنك كثيرا ما رأوه بعيونهم مما يوهمهم أنهم يقاومونك.

وأقول: إن هذا المثل في قوله:

. . . . طالما غرت العيون الرجالا

لم يرد به سيف الدولة وحده والروم كما ذكره من كثرة ما غرتهم أعينهم مما يوهمهم مقاومته، ولكن هذا مثل لكل أحد. يقول: هؤلاء الروم لحزمهم وجدهم وشدة بأسهم وأقدامهم، اقسموا لا رأوك إلا بقلوبهم دون أعينهم؛ فإن العيون قد تغر الرجال بأن تخطئ في إدراك المرئي بالزيادة والنقص في إدراك الصغير كبيرا؛ كالجسم الذي تراه في قعر الماء الصافي، وإدراك الكبير صغيرا كرؤية الكواكب والجبال على بعد.." (٢)

---

(١) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ١٩٤/٥

(٢) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ٢٧٠/٥

"وبين البدل والبدل منه، نحو قوله:

وكأنه لَهَقُ السراة كأنه ... ما حاجبيه معينُ بسواد

يريد: كأنه حاجبيه.

وأقل من ذلك زيادتها أول الكلام، نحو قول عبدة بن الطيب، أنشد ذلك له أبو زيد.

ما مع أنك يوم الوِرد ذو جرز ... ضخمُ الجُزارة بالسَّلمين وكّارُ

ما كنت أولَ ضبٍ صاب تلعَتَهُ ... غيثٌ فأمرعَ واستخلتْ له الدار

قال أبو زيد: (ما زائدة)، يريد: مع أنك يوم الورد ذو جرز، ما كنت أول ضب صاب تلعته غيث.

ومنها: إدخال الحرف على الحرف، على جهة التأكيد لا تفاقهما في **اللفظ والمعنى**، أو في المعنى لا في اللفظ، نحو قول بعض بني أسد:

فلا والله لا يُلْفي لما بي ... ولا لِلما بهم أبداً دواء

فزاد على لام الجر لاماً أخرى للتأكيد، ونحو قول الآخر، أنشده الفراء:." [1]

"خصوص المحذوف. والاقتصار عبارة عن حذف لا يكون كذلك. وقد يستعمل الاختصار مرادفا للإيجاز انتهى. وقد يراد بالاختصار الحذف بدليل وبالاقتصار الحذف بغير دليل كما سبق في لفظ الحذف. فعلى هذا يكون الاختصار أعم مما ذكره عبد العلي البرجندي لأنه يشتمل الحذف لقرينة لا تدل على خصوص المحذوف أيضا، بخلاف ما ذكره. وفي بعض الحواشي المعلقة على الضوء ما حاصله الاقتصار ترك بعض الشيء نسيا منسيا كأنه لم يكن كترك الفاعل في المجهول. وبعبارة أخرى الحذف عن اللفظ والنية جميعا. وبعبارة أخرى الحذف مع كون المحذوف غير مراد. وعلى هذا قيل لا يجوز الاقتصار على أحد مفعولي باب علمت إذ حذف أحد مفعوليه عن اللفظ لا عن المعنى جائز كما في قوله تعالى: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا أي لا تحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتا. والاختصار ترك بعض الشيء صورة لا حقيقة. ويعبر عنه أيضا بالحذف عن اللفظ دون النية، وبالحذف مع كون المحذوف مرادا.

وفي شرح هداية النحو «١» في الخطبة قيل الاختصار قلة **اللفظ والمعنى**. وقيل هو مختص بالألفاظ. وقيل هو الحذف لدليل. وقيل الحذف عن اللفظ دون النية. وقيل قلة الألفاظ وكثرة المعاني، والاقتصار عكسه في الكل، انتهى.

وفي الحاشية المنقولة عنه قوله في الكل أي في جميع الوجوه المذكورة في الاختصار. أما عكس الأول فلأن الاقتصار قلة اللفظ وكثرة المعنى. وأما الثاني فلأن الاقتصار غير مختص بالألفاظ. وأما الثالث فلأن الاقتصار الحذف بدون الدليل. وأما الرابع فلأن الاقتصار الحذف عن اللفظ والنية جميعا. وأما عكس الخامس فلأن الاقتصار كثرة الألفاظ وقلة المعاني، انتهى.

الاختصاص:

[في الانكليزية] exclusivity،P articularisation

[في الفرنسية] exclusivite،P articularisation

---

(١) ضرائر الشعر، ابن عُصْفُور ص/٦٩

في اللغة امتياز بعض الجملة بحكم. وعند بعض أهل البيان هو الحصر. وبعضهم فرق بينهما ويجيء في لفظ القصر. قال النحاة: من المواضع التي يضمر فيها الفعل قياسا باب الاختصاص. ويكون الاختصاص على طريقة النداء بأن يكون منقولا وذلك بأن يذكر المتكلم أولا ضمير المتكلم ويؤتي بعده بلفظ أي ويجري مجراه في النداء من ضمه والإتيان بعده بهاء التنبيه ووضعه بذي اللام، أو يذكر بعد ضمير المتكلم في مقام لفظ أي اسم مضاف دال على مفهوم ذلك الضمير، وذلك إما أن يكون لمجرد بيان المقصود بذلك الضمير، نحو أنا أفعل كذا أيها الرجل، أي أنا أفعل كذا مختصا من بين الرجال بفعله. فإن قولك أيها الرجل لتوكيد الاختصاص لأن الاختصاص قد وقع أولا بقولك أنا وليس بنداء، لأن المراد بصيغة أي هو ما دل على ضمير المتكلم السابق لا المخاطب، فهو أي قولك أيها الرجل في محل النصب لأنه حال في تقدير مختصا من بين الرجال، وحكمه في الإعراب والبناء حكم المنادى لأن كل ما انتقل من باب إلى باب فإعرابه على حسب ما كان عليه. أو يكون لبيان المفهوم من الضمير مع افتخار نحو أنا أكرم الضيف أيها الرجل، وكذا إنا معشر العرب نفعل كذا. فإن المعشر المضاف إلى العرب فيه قائم

---

(١) هداية النحو شرح هداية النحو، مجهول المؤلف، الهند، د. ت. أما هداية النحو فهو مختصر مضبوط في النحو موضوع على ترتيب الكافية مجهول المؤلف أيضا، كانپور ١٩٠٠ م. ونسبه البعض لأبي حيان الأندلسي النحوي. معجم المطبوعات العربية ٢٠٢٤، هامش رقم ١ نفس الصفحة.." (١)

"اعتبرناه من حيث أنه صادر عن الواضع احتجنا إلى العلم به لا إلى عمله، فاحتجنا إلى تحديده بحسب العلم كما قال الميداني، والحاصل منه العلم بالاشتقاق، فكأنه قيل: العلم بالاشتقاق هو أن تجد بين اللفظين تناسبا في أصل المعنى والتركيب فتعرف ارتداد أحدهما إلى الآخر وأخذه منه، وإن اعتبرناه من حيث أنه يحتاج أخذنا إلى عمله عرفناه باعتبار العمل، فنقول هو أن تأخذ الخ هذا حاصل ما حققه السيد الشريف في حاشية العضدي في المبادئ اللغوية.

اعلم أنه لا بد في المشتق اسما كان أو فعلا من أمور: أحدها أن يكون له أصل، فإن المشتق فرع مأخوذ من لفظ آخر، ولو كان أصلا في الوضع غير مأخوذ من غيره لم يكن مشتقا. وثانيها أن يناسب المشتق الأصل في الحروف إذ الأصالة والفرعية باعتبار الأخذ لا تتحققان بدون التناسب بينهما والمعتبر المناسبة في جميع الحروف الأصلية، فإن الاستسباق من السبق مثلا يناسب الاستعجال من العجل في حروفه الزائدة والمعنى، وليس بمشتق منه بل من السبق. وثالثها المناسبة في المعنى سواء لم يتفقا فيه أو اتفقا فيه، وذلك الاتفاق بأن يكون في المشتق معنى الأصل إما مع زيادة كالضرب فإنه للحدث المخصوص، والضارب فإنه لذات ما له ذلك الحدث، وإما بدون زيادة سواء كان هناك نقصان كما في اشتقاق الضرب من ضرب على مذهب الكوفيين أو لا، بل يتحدان في المعنى كالمقتل مصدر من القتل، والبعض يمنع نقصان أصل المعنى في المشتق وهذا هو المذهب الصحيح. وقال البعض لا بد في التناسب من التغاير من وجه فلا يجعل المقتل مصدرا مشتقا من القتل لعدم التغاير بين المعنيين. وتعريف الاشتقاق يمكن حمله على جميع هذه المذاهب.

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي ١/١١٥

التقسيم

الاشتقاق أي مطلقا إن جعل مشتركا معنويا أو ما يسمى به إن جعل مشتركا لفظيا ثلاثة أقسام، لأنه إن اعتبرت فيه الموافقة في الحروف الأصول مع الترتيب بينها يسمى بالاشتقاق الأصغر، وإن اعتبرت فيه الموافقة فيها بدون الترتيب يسمى بالاشتقاق الصغير، وإن اعتبرت فيه المناسبة في الحروف الأصول في النوعية أو المخرج للقطع بعدم الاشتقاق في مثل: الحبس مع المنع والقعود مع الجلوس يسمى بالأكبر. مثال الأصغر الضارب والضرب، ومثال الصغير كنى وناك، ومثال الأكبر ثلم وثلب، فالمعتبر في الأصغر الترتيب، وفي الصغير عدم الترتيب، وفي الأكبر عدم الموافقة في جميع الحروف الأصول، بل المناسبة فيها، فتكون الثلاثة أقساما متباينة. وأيضا المعتبر في الأصغر موافقة المشتق للأصل في معناه وفي الصغير والأكبر مناسبة فيه بأن يكون المعنيان متناسبين في الجملة، هكذا ذكر صاحب مختصر الأصول. والمشهور تسمية الأول بالصغير والثاني بالكبير والثالث بالأكبر: والاشتقاق عند الاطلاق يراد به الأصغر. وتعريف الاشتقاق المذكور سابقا كما يمكن أن يكون تعريفا لمطلق الاشتقاق كما هو الظاهر، لكون المناسبة أعم من الموافقة كذلك يمكن حمله على تعريف الاشتقاق الأصغر بأن يراد بالتناسب التوافق.

وفي تعريفات الجرجاني والاشتقاق نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيبا ومغايرتهما في الصيغة. الاشتقاق الصغير وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في الحروف والترتيب نحو ضرب من الضرب. والاشتقاق الكبير وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في **اللفظ والمعنى** دون الترتيب نحو جبذ من الجذب. والاشتقاق الأكبر وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في المخرج نحو نعق من النهق انتهى.." (١)

"الألف لا تكون للإلحاق أصلا ولا دليل على ما قال أيضا.

فائدة:

كل كلمة زائدة على ثلاثة أحرف، في آخرها مثلان مظهران فهي ملحقة، سواء كانا أصليين كما في الندد أو أحدهما زائدا كما في مهدد، لأن الكلمة إذن ثقيلة، وفك التضعيف ثقيل، فلولا قصد مماثلتهما لرباعي أو خماسي لأدغم الحرف طلبا للتخفيف. فلهذا قيل إن مهدد ملحق بجعفر دون معد. ولهذا قال سيبويه نحو سودد ملحق بجندب مع كون النون في جندب زائدا هكذا يستفاد مما ذكر الرضي في الشافية.

الإلغاء:

[في الانكليزية] Abolition

[في الفرنسية] Abolition

هو عند النحاة إبطال العمل في **اللفظ والمعنى** وسيأتي في لفظ التعليق. وعند الأصوليين وجود الحكم بدون الوصف في صورة وحاصله عدم تأثير الوصف، أي العلة.

وسيأتي في لفظ السير.

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي ٢٠٧/١

الألفة:

[في الانكليزية] Familiarity

[في الفرنسية] Familiarite

بالضم هي في اللغة خوگرفتگي كما في الصراح، وعند السالكين هي من مراتب المحبة وهي ميلان القلب إلى المألوف. ويقول في الصحيفة الثامنة عشرة من «الصحائف»: الألفة على خمس درجات: الأول: النظر في أفعال الصانع. يقول الشاعر: وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد. وذلك مثل أن يتكلم أحدهم عن الصفات الحسنة لأحد أصحابه أمام آخر، فتنشأ لديه حركة نحو محبة ذلك الآخر الموصوف.

ثانيا: كتمان الميل وتحمل المشقة. وهنا نجد الأليف يستر أحواله مع أن صفرة وجهه ودموع عينه تظهر ما يخفي.

ثالثا: التمني. وفي هذا المقام لا يبالي بروحه ولا بهلاكه ويقول: وإن يكون الوصال متعذرا ومستحيلا إلا أن الموت ما أحسن الموت في سبيله!.

رابعا: الإخبار والاستخبار. الأليف في هذه المرحلة يخبر عن حاله ويستخبر عن أحوال مألوفه، وبسبب حالة شبه الجنون يخاطب الصبا بسره حينا ويرجو الجواب من النسيم حينا آخر «١».

خامسا: التضرع، وهنا نجد الأليف يتقدم متضرعا باكيا.

الألم:

[في الانكليزية] Suffering

[في الفرنسية] Douleur

هو إدراك المنافر من حيث هو منافر، ويقابله اللذة، وسيجيء ذكره هناك مستوفى.

الإلمام:

[في الانكليزية] Plagiarism

[في الفرنسية] Plagiat

بالميم عند الشعراء قسم من السرقة، ويسمى سلخا أيضا.

الإلهام:

[في الانكليزية] revelation،Inspiration

[في الفرنسية] revelation،Inspiration

بالهاء لغة الإعلام مطلقا وشرعا إلقاء

---

(١) ودر صحائف در صحيفه هجدهم ميگويد الفت را پنج درجه است. اول نظر در افعال صانع شعر.

وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد وآن به منزله آن باشد كه كسي بعضي صفات صاحب حسني پيش كسي گويد وبدان سبب دوستى او در دل بجنبد. دوم كتمان ميلان است وتحمل مشقات اينجا اليف احوال خود را نهان دارد اگرچه

رخ زرد وچشم ترش ظاهر کند. سیوم تمنا است درین مقام نه از جان اندیشد ونه از هلاك گوید گرچه وصول متعذر ومستحيل اما در آرزوی مردن خوشتر. چهارم اخبار واستخبار اليف درين مقام خواهد اخبار کند واز احوال مألوف خود استخبار واز سر ديوانگی گاه راز با صبا گويد گاه جواب از نسيم جويد. پنجم تضرع است درين مقام اليف بتضرع وزاری پيش آيد.." (١)

"أحدهما مقام الآخر في صورة التعدد من غير تركيب فإن كلهم متفقون على صحته، بل إنما لاختلاف في حال التركيب. فقال البعض وهو ابن الحاجب وأتباعه إنه يصح، واستدل بأن امتناع القيام إن كان لمانع فالمانع إما المعنى وإما التركيب، والمعنى واحد، فلا يكون مانعا أصلا. والتركيب أيضا مفيد للمقصود ولا حجر فيه إذا صح فإذا لم يوجد المانع عن القيام صح القيام. وقيل يصح إذا كان من لغة واحدة وإلا لا، فلا يصح مكان الله أكبر خداى بزرگ– بمعنى الله كبير– لكونهما من لغتين بخلاف الله أعظم فإنه يصح. وقيل لا يجب في كل لفظ بل يصح في بعضها ولا يصح في البعض الآخر لعارض وإن كان من لغة واحدة، وهذا مذهب الإمام الرازي لأن صحة التركيب من العوارض، ولا شك أن بعض العوارض يكون مختصا بالمعروض، ولا يوجد في غيره فيجوز أن يكون تركيب أحد المترادفين مع شيء صحيحا ومفيدا للمقصود ومختصا به بخلاف المرادف الآخر، لجواز أن يكون غير مفيد لذلك المقصود لأجل الاختصاص، كما يقال صلى الله عليه ولا يقال دعا عليه فضم صلى مع عليه يفيد المقصود وهو دعاء الخير، بخلاف ضم دعا مع عليه. فلفظ دعا وإن كان متحد المعنى مع صلى لكن ضمه مع عليه لا يفيد المقصود بل عكس المقصود، وهو دعاء الشر. وملخص الدليل أن نفس **المعنى** **واللفظ** في المرادف لا يمنع صحة إقامة أحدهما مقام الآخر، لكن صحة الضم والتركيب بحسب متعارف أهل اللغة والاستعمال هي من عوارضها التي تصح في بعض الألفاظ دون الآخر، فهذه العوارض هي المانعة في بعض الألفاظ وفي بعض المقام «١» كما مر في لفظ صلى ودعا، هكذا في شرح السلم للمولوي مبين.

اعلم أن الترادف عند البلغاء نوعان:

أحدهما جيد وهو أن يؤتى بكلمتين لهما معنى واحد، ولكن ثمة فرق بينهما في الاستعمال، أو أن يكون للكلمة الثانية معنى ثان خاص أو أن توصف بصفة خاصة، مثل أرجو وآمل في اللغة العربية وهما مترادفتان وجيدتان أيضا لأن كلمة آمل وإن كانت بمعنى الرجاء، إلا أنها مخصوصة بكونها لا تستعمل إلا في مكان محمود. والنوع الثاني: معيب وهو الإتيان بلفظتين لهما معنى واحد دون أن يكون لأحدهما أي فرق عن الأخرى، ويسمى بعضهم هذا النوع: الحشو القبيح، كذا في جامع الصنائع.

ويعد عند بعضهم من باب الإطالة «٢»، كما في المطول في بحث الإطناب. واحترز بقوله لفائدة عن التطويل وهو أن يكون اللفظ زائدا على أصل المراد لا لفائدة، ولا يكون اللفظ الزائد متعينا نحو قول عدي بن الأبرش «٣» يذكر غدر الزباء «٤» التي كانت ملكة غدرت بجذيمة بن

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي ١/٢٥٦

(١) المقامات (م).

(٢) بدان كه ترادف نزد بلغاء دو نوع است يكى هنر وآن آنست كه دو لفظ بيك معنى بيارد وليكن ميان هر دو در استعمالات فرقى باشد ويا معني دوم خاص باشد ويا بصفتى مخصوص موصوف شده باشد چنانچه در ارجو وآمل ترادف است وهنر است چراكه امل دٍرچه بمعني رجا است ليكن مخصوص بر جاي محمود است دوم عيب وآن آنست كه هر دو لفظ بيك معنى بي فرقى آرد وبعضي اين را حشو قبيح نامند كذا في جامع الصنائع وبعض آن را از قسم تطويل مى شمارند.

(٣) هو عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة اللخمي، ابن أخت جذيمة الأبرش. من ملوك الحيرة بالعراق. تولى الحكم بعد مقتل خاله جذيمة وانتقم له من الزباء التي قتلته. وإليه ينسب ملوك الحيرة من بعده مثل النعمان بن المنذر. الاعلام ٥/ ٨٢، اليعقوبي ١/ ١٦٩ البغدادي ٣/ ٢٧١، طرفة الأصحاب ٣٣، الكامل لابن الاثير ١/ ١٢٢، العرب قبل الاسلام ٢٠١.

(٤) هي الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع. توفيت عام ٢٨٥ م. ملكة مشهورة في العصر الجاهلي صاحبة تدمر وملكة الشام والجزيرة وتعرف باسم زنوبيا. وهناك اختلاف بين المؤرخين في اسمها، وقيل إن الزباء هذه غير زنوبيا. وتاريخها مشهور. الاعلام ٣/ ٤١.." (١)

"الكليات المنحصرة في فرد واحد كمباحث الواجب والعقول والأفلاك قوانين لعدم الجزئيات لها في نفس الأمر، بل بالفرض.

هذا كله خلاصة ما في المحاكمات وشرح المطالع وشرح الشمسية وحواشيهما. وهاهنا أبحاث تركناها مخافة الإطناب، فمن أراد فليرجع إلى المحاكمات وحواشي شرح المطالع.

اعلم أن الأطباء يقسمون القاعدة بالنسبة إلى قاعدة أخرى فوقها أو تحتها إلى كلية وجزئية، ويعنون بالجزئي الإضافي لأن الكلية مأخوذة في تعريف القاعدة فلا يتصور كونها جزئية حقيقية، ويريدون بالقاعدة الكلية قاعدة تحتها قاعدة، وبالقاعدة الجزئية قاعدة فوقها قاعدة. مثلا قولهم علاج كل مرض بالضد قاعدة كلية يندرج تحتها قواعد جزئية، كقولهم علاج الغب الخالص بالتبريد، وعلى هذا فقس، كذا في الأقسرائي شرح المؤجز. ومنها ضلع من أضلاع المثلث. ومنها الوتر بالنسبة إلى كل قطعتي دائرة. ومنها الدائرة بالنسبة إلى كل قطعتي كرة وبالنسبة إلى المخروط والأسطوانة المستديرين. ومنها غير ذلك كقاعدة المخروط والأسطوانة المضلعين وسيأتي في لفظ المخروط، والأسطوانة. وهذه المعاني الأخيرة من مصطلحات المهندسين.

القافية:

[في الانكليزية] Rhyme

[في الفرنسية] Rime

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي ١/٤٠٨

بالفاء هي عند الشعراء الكلمة الأخيرة من البيت كلفظة حومل في قول الشاعر:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل هذا عند الأخفش، وعند غيره من آخر البيت إلى أقرب ساكن يليه مع الحركة السابقة عليه. وقيل بل مع المتحرك الذي قبله. فعلى الأول القافية في البيت المذكور من حركة الحاء إلى آخر البيت، وعلى الثاني من الحاء إلى آخر البيت، هكذا ذكر السيد السند في حواشي العضدي. قال المولوي عبد الحكيم القافية مشتقة من القفو وهو التبعية لأن القوافي يجيء بعضها إثر بعض. قال في المطول: القافية الكلمة الأخيرة من البيت والتقفية هي التوافق على الحرف الأخير. وفي بعض الرسائل حرف الروي إن كان متحركا فالقافية مطلقة وإلا فالقافية مقيدة، والمقيدة تجيء مردفة ومجردة ومؤسسة. والمطلقة على ستة أقسام: مطلقة مجردة ومطلقة مردفة ومطلقة مؤسسة ومطلقة بخروج ومطلقة بردف ومطلقة بتأسيس وخروج انتهى.

وفي رسالة منتخب تكميل الصناعة يذكر:

أن القافية عند شعراء العجم عبارة عن مجموع ما يتكرر من ألفاظ مختلفة بحسب **اللفظ والمعنى**، أو بحسب اللفظ فقط، أو تبعا للمعنى فقط. تلك الألفاظ الواقعة في أواخر مصاريع الأبيات أو ما هو بمنزلتها، وذلك بشرط أن تكون مجموعة من حروف وحركات معينة مثل: روي، وتأسيس وإشباع. وحينا يقال للكلمة كلها قافية، ويقول بعضهم فقط حرف الروي بطريق المجاز بناء على قول الجمهور. وإن ذكر القيود المختلفة فهو من أجل الاحتراز عن الرديف. وذكر قيد المصاريع والأبيات فمن أجل شمول تعريف المطالع والقطع وما يسمى في الفارسية الغزل وغير ذلك. وأما ذكر القيد أو شيء بمنزلته فمن أجل شمول تعريف القوافي التي يأتي الرديف بعدها.

وذلك لأن هذه القوافي وإن كانت تقع في أوائل المصاريع ولكن لها حكم الأخيرة.

لماذا؟ لأن الرديف حينما يأتي مكررا بالمعنى فهو بمنزلة المعدوم. وأما إطلاق القافية على القافية الأولى من الشعر ذي القافيتين أو ذي القوافي فهو بطريق المجاز. والقيد إنما ذكر

موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ج ٢ ١٢٩٨ التقسيم ..... ص: ١٢٩٨

اذا؟ لأن الرديف حينما يأتي مكررا بالمعنى فهو بمنزلة المعدوم. وأما إطلاق القافية على القافية الأولى من الشعر ذي القافيتين أو ذي القوافي فهو بطريق المجاز. والقيد إنما ذكر." (١)

"التنزيل طريقان أحدهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انخلع من الصورة البشرية إلى الصورة الملكية وأخذه من جبرئيل، ثانيهما أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه، والأول أصعب الحالين. وقال القطب الرازي إنزال الكلام ليس مستعملا في المعنى اللغوي الحقيقي وهو تحريك الشيء من العلو إلى السفل بل هو مجاز. فمن قال بقدمه فإنزاله أن يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى ويثبتها في اللوح المحفوظ، ومن قال بحدوثه وأنه هو الألفاظ

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي ١٢٩٧/٢

فإنزاله مجرد إثباته في اللوح المحفوظ. ويمكن أن يكون المراد بإنزاله إثباته في سماء الدنيا بعد الإثبات في اللوح المحفوظ والمراد بإنزال الكتب على الرسل أن يتلقفها الملك من الله تلقفا روحانيا أو يحفظها من اللوح المحفوظ وينزل بها فيلقيها عليهم.

وقال غيره فيه ثلاثة أقوال: الأول أن المنزل هو **اللفظ والمعنى** وأن جبرئيل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به، وذكر بعضهم أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ كل حرف منها بقدر جبل قاف، وأن تحت كل حرف منها معان لا يحيط بها إلا الله. الثاني أن جبرئيل عليه السلام إنما نزل بالمعاني خاصة وأنه صلى الله عليه وآله وسلم علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب لقوله تعالى نزل به الروح الأمين على قلبك «١»، الثالث أن جبرئيل ألقى عليه المعنى وأنه عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب، وأن أهل السماء يقرءونه بالعربية ثم أنه نزل به كذلك بعد ذلك. وقال الجويني كلام الله المنزل قسمان. قسم قال الله تعالى لجبرئيل قل للنبي الذي أنت مرسل إليه إن الله يقول افعل كذا وكذا وأمر بكذا وكذا، ففهم جبرئيل ما قاله ربه ثم نزل على ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال له ما قاله ربه، ولم تكن العبارة تلك العبارة كما يقول الملك لمن يثق به قل لفلان يقول لك الملك اجتهد في الخدمة واجمع الجند للقتال، فإن قال الرسول يقول لك الملك لا تتهاون في خدمتي واجمع الجند وحثهم على المقاتلة لا ينسب إلى كذب ولا تقصير في أداء الرسالة. وقسم آخر قال الله تعالى لجبرئيل اقرأه على النبي هذا الكتاب فنزل جبرئيل بكلمة الله من غير تغيير كما يكتب الملك كتابا ويسلمه إلى أمين ويقول اقرأه على فلان فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفا. قيل القرآن هو القسم الثاني والقسم الأول هو السنة. كما ورد أن جبرئيل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن. ومن هاهنا جاز رواية السنة بالمعنى لأن جبرئيل أداه بالمعنى ولم تجز القراءة بالمعنى لأن جبرئيل أداه باللفظ. والسر في ذلك أن المقصود منه التعبد بلفظه والإعجاز به وأن تحت كل حرف منه معان لا يحاط بها كثرة فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه، والتخفيف على الأمة حيث جعل المنزل إليهم على قسمين: قسم يروونه بلفظ الموحى به وقسم يروونه بالمعنى، ولو جعل كله مما يروى باللفظ لشق أو بالمعنى لم يؤمن من التبديل والتحريف. الثالثة للوحي كيفيات. الأولى أن يأتيه الملك في مثل صلصلة الجرس كما في الصحيح وفي مسند احمد (عن عبد الله بن عمر سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم: هل تحس بالوحي؟ فقال أسمع صلاصل ثم اسكت عند ذلك. فما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسي تقبض) «٢». قال الخطابي المراد أنه صوت متداول يسمعه ولا يتبينه أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد. وقيل هو صوت خفق

(١) الشعراء/ ١٩٣ - ١٩٤.

(٢) مسند احمد، ٢/ ٢٢٢.." [1]

"وقال الطيبي «١»: المراد بالمحكم ما اتضح معناه والمتشابه بخلافه لأن اللفظ الموضوع لمعنى إما أن يحتمل غير ذلك المعنى أولا، والثاني النص، والأول إما أن تكون دلالته على ذلك الغير أرجح أولا، والأول هو الظاهر، والثاني إما أن تكون مساوية أولا، والأول المجمل، والثاني المأول. فالقدر المشترك بين النص والظاهر هو المحكم وبين المجمل والمأول هو المتشابه.

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي ٢/١٣١٠

وعلم المتشابه مختص بالله، فالوقف على قوله تعالى إلا الله تام.

وقال بعضهم العقل مبتلى باعتقاد حقية المتشابه كابتلاء البدن بأداء العبادة كالحكيم إذا صنف كتابا أجمل فيه أحيانا ليكون موضع خضوع المتعلم للاستاذ.

وقال الإمام الرازي اللفظ إذا كان محتملا لمعنيين وكان بالنسبة إلى أحدهما راجحا وبالنسبة إلى الآخر مرجوحا، فإن حملناه على الراجح فهذا هو المتشابه، فنقول صرف اللفظ عن الراجح إلى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل، وهو إما لفظي أو عقلي، والأول لا يمكن اعتباره في المسائل الأصولية الاعتقادية القطعية لتوقفه على انتفاء الاحتمالات العشرة المعروفة، وانتفاؤها مظنون والموقوف على المظنون مظنون، والظني لا يكتفى [به في الأصول] «٢»، وإنما العقلي يفيد صرف اللفظ عن الظاهر لكون الظاهر محالا. وأما إثبات المعنى المراد «٣» فلا يمكن بالعقل لأن طريق ذلك ترجيح مجاز على مجاز وتأويل على تأويل، وذلك الترجيح لا يمكن إلا بالدليل اللفظي، والدليل اللفظي في الترجيح ضعيف لا يفيد إلا الظن، ولذا اختار الأئمة المحققون من السلف والخلف أن بعد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال لا يجوز الخوض في تعيين التأويل وقال الخطابي «٤» المتشابه على ضربين الأول ما إذا رد إلى المحكم واعتبر به عرف معناه والآخر ما لا سبيل إلى معرفة حقيقته وهو الذي يتبعه أهل الزيغ.

وقال الراغب الآيات ثلاثة أضرب: محكم على الإطلاق، ومتشابه على الاطلاق، ومحكم من وجه متشابه من وجه. فالمتشابه بالجملة ثلاثة أضرب: متشابه من جهة اللفظ فقط وهو ضربان: أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة إما من جهة الغرابة نحو يزفون أو الاشتراك كاليد والوجه، وثانيهما يرجع إلى الكلام المركب وذلك ثلاثة أضرب: ضرب لاختصار الكلام نحو وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم «٥» وضرب لبسطه نحو ليس كمثله شيء «٦» لأنه لو قيل ليس مثله شيء كان أظهر للسامع، وضرب لنظم الكلام نحو الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما «٧» إذ تقديره أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا، ومتشابه من جهة المعنى فقط وهو أوصاف الله تعالى وأوصاف القيامة، فإن تلك الصفات لا تتصور لنا إذ لا تحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه، ومتشابه من جهتهما أي من جهة **اللفظ والمعنى** وهو خمسة أضرب: الأول من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو اقتلوا

---

(١) من علماء الحديث توفي ٧٤٣ هـ. سبقت ترجمته.

(٢) [به في الأصول] (+ م)

(٣) المقصود (م، ع)

(٤) فقيه محدث توفي عام ٣٨٨ هـ. تقدمت ترجمته.

(٥) النساء/ ٣

(٦) الشورى/ ١١

(٧) الكهف/ ١." (١)

"والقي في روعه من عالم الملكوت، كذا ذكر القاضي في شرح المصابيح في باب مناقب عمر رضي الله عنه. وقال السيد الشريف في حاشية المشكاة المحدث الصادق الظن كأنه الملهم من الملأ الأعلى وحدث بالأمر وحقيقته. وقال في ترجمة المشكاة: المحدث بمعنى الملهم كأنه يحدث ويخبر بالشيء.

وقال في مجمع البحار: هو الرجل الذي ألقي في روعه كلام، ثم يخبر بذلك عن طريق الحدس والفراسة الإيمانية المخصوصة. والله سبحانه وتعالى يعطي هذه الخاصية لمن شاء من عباده.

وقيل: هو من يظن الشيء فيصدق ظنه كأنما ألهم بذلك

وقيل: من تكلمه الملائكة، انتهى كلامه «١». والمحدث عند النحاة ويسمى المحدث به أيضا هو المسند، والمحدث عنه عندهم هو المسند إليه كما في المصباح.

المحدث:

[في الانكليزية] informed Of prophetic traditions،Narrator

[في الفرنسية] instruit des traditions prophetiques،Narrateur

بكسر الدال المشددة على أنه اسم فاعل من التحديث هو عند المحدثين على ما ذكره العراقي من يكون كتب وقرأ وسمع ووعى ورحل إلى المدائن والقرى وحصل أصولا وعلق فروعا من كتب المسانيد والعلل والتواريخ التي تقرب من ألف تصنيف. وقيل من تحمل الحديث رواية واعتنى به دراية كذا في شرح النخبة.

محدد الجهات:

[في الانكليزية] Zodiac

[في الفرنسية] Zodiaque

هو الفلك الأعظم وقد يطلق عليه بلا إضافة.

المحدود:

[في الانكليزية] defined،Limited

[في الفرنسية] defini،Limite

قد علم معناه بما سبق في لفظ الحد إلا أن في المعنى الأخير المستعمل في باب القياس لا تسمى المقدمة ولا النسبة محدودة اصطلاحا.

ويطلق أيضا عند النحاة على قسم من الظرف المسمى بالموقت «٢» ويقابله المبهم، وعلى قسم من المفعول المطلق المسمى بالموقف «٣» أيضا.

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي ٢/١٤٣٩

المحذوف:

[في الانكليزية] omitted،Canceled

[في الفرنسية] raye،Supprime

هو اسم مفعول من الحذف، فمعناه يظهر من معنى الحذف لغة واصطلاحا. ويطلق أيضا عند الشعراء على معنى آخر غير ما سبق كما جاء في مجمع الصنائع: المحذوف هو كلمة إذا حذفت من العروض أو الضرب لا يختل معنى البيت، ولكن وزن البحر يتغير إلى بحر آخر.

ويظل سالما من حيث **المعنى واللفظ**، ومثاله البيت التالي وترجمته:

وجهك كالجلنار (زهر الرمان) وسكر شفتاك لك مائة صورة من هذا ولك مائة صورة من ذاك هذا البيت من وزن بحر الهزج الأخرب.

---

(١) ودر ترجمة مشكاة كفته محدث بمعني ملهم است كويا بوي تحديث كرده مى شود وخبر داده مى شود. ودر مجمع البحار كفته كسى كه انداخته شده است در دل وى سخنى پس خبر مى دهد بآن بحدس وفراست ايماني مخصوص مى كرداند حق تعالى بدان هر كرا كه مى خواهد از بندكان خود. وقيل آنكه چون ظن كند به چيزى صواب بودكويا حديث كرد شده است بوي. وقيل كلام مى كنند بوي ملائك انتهى كلامه.

(٢) الوقت (م)

(٣) الوقت (م)." [1]

"لا يقال هذا والمراد أحد مما يشار إليه، بل لا بد في إطلاقه من المقصد إلى خصوصية معينة فلو كان موضوعا للمعنى العام كرجل لجاز فيه ذلك ولكان استعماله في الخصوصيات مجازا.

والقول بأنه موضوع لمفهوم كلي لكن الواضع قد اشترط أن لا يستعمل إلا في الجزئيات بخلاف نحو رجل تمحل ظاهر. فإن قلت إذا كان هذا موضوعا للخصوصيات المتعددة كان مشتركا لفظا. قلت إنما يلزم ذلك لو كان موضوعا لها بأوضاع متعددة وليس كذلك بل موضوع لها وضعا واحدا. واعلم أن وضعه للخصوصيات من حيث إنها مندرجة تحت المفهوم الكلي، فزيد من حيث تعلق به إشارة مخصوصة معنى لهذا فله اعتبار في الوضع وفي الموضوع له أيضا، وكذا الحال في المضمرات فإن لفظ أنا موضوع لكل متكلم واحد ولفظ أنت لكل مخاطب مذكر واحد، ولفظ هو لكل مفرد مذكر غائب مخصوص، ولا يقدح في ذلك أن هذا يشار به أيضا إلى أمر كلي مذكور وأن ضمير الغائب قد يرجع إليه أيضا. أما الأول فلأن هذا يقتضي بحسب أصل الوضع مشارا إليه إشارة حسية فلا يكون إلا جزئيا حقيقيا، وإذا استعمل في غيره فقد نزل منزلته، والكلي المذكور من حيث إنه مذكور بهذا الذكر الجزئي جزئي لا يحتمل الشركة. وأما الثاني فلاقتضاء ضمير الغائب ذكرا جزئيا للمرجوع إليه إما لفظا أو معنى أو حكما، وقد عرفت أن الكلي من حيث هو مذكور ذكرا جزئيا جزئي ومنه

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي ١٤٨٦/٢

المشتقات كالأفعال فإنها بالنظر إلى النسب الداخلة في مفهومها من هذا القبيل، وكالأسماء المتصلة بها مثل اسم الفاعل واسم المفعول ونحوهما وكالمصغر والمنسوب، إلا أن في وضع المبهمات والمضمرات وبين وضع المشتقات فرقا من وجهين: الأول أن الخصوصيات التي وضعت بإزائها المشتقات جزئيات إضافية كل واحد منها كلي في نفسه حتى لو فرض أن الواضع تصور مفهوم الضارب وعين بإزائه كان الوضع والموضوع له عامين، والخصوصيات التي وضعت المبهمات والمضمرات بإزائها جزئيات حقيقية. والثاني أن تصور **اللفظ والمعنى** في المشتقات بوجه عام وأما في المبهمات والمضمرات فعموم التصور في المعنى، لكن الوضع في كليهما عام لأن المعتبر في ذلك هو المعنى إذ لا يترتب على اعتباره في اللفظ فائدة. ومنه الحروف فإن لفظة من مثلا موضوعة لكل ابتداء خاص بوضع واحد، هكذا ذكر السيد الشريف في حاشية شرح مختصر الأصول.

فائدة:

من المعلوم أن دلالة اللفظ على مفهوم دون مفهوم آخر مع استواء نسبته إليهما ممتنعة بل لا بد من اختصاص يقتضي لإمكانه مخصصا ينحصر بحكم التقسيم العقلي في ذات اللفظ وغيرها، وذلك الغير إما الله تعالى أو غيره، فذهب عباد بن سليمان الصيري «١» وأهل التكسير أي أصحاب علم الحروف وبعض المعتزلة إلى الأول وزعموا أن بين **اللفظ والمعنى** مناسبة ذاتية مخصوصة منها نشأت دلالته عليه، والحق خلافه، لأنا لو فرضنا وضع اللفظ الدال على الشيء لمناسبة ذاتية على زعمكم لنقيض ذلك الشيء أو لضده دل اللفظ على النقيض أو الضد دون هذا المدلول الذي هو الشيء، فقد تخلف عن اللفظ الدلالة عليه، أو لو فرضنا وضع اللفظ للشيء ولنقيضه أو له ولضده دل عليهما،

---

(١) عباد بن سليمان البصري المعتزلي، ابو سهل، معتزلي كبير من أصحاب هشام الفوطي، لكنه خالف المعتزلة باختراعه بدعا نسبها لنفسه له عدة مؤلفات.

طبقات المعتزلة ٧٧، الفهرست ٢١٥، سير أعلام النبلاء ١/ ٥٥١.." [1]

"محطات ثلاث:

١ - إبراز وإحياء مصطلحات العلوم العربية والاسلامية بألفاظها العربية.

٢ - نقل علوم الآخر الحادثة بالارتكان والارتكاز على المحطة الأولى، وما يؤديه ذلك من توحيد المصطلح وغرس المعنى عند العرب قاطبة.

٣ - شيوع وتثبيت لغة علمية عربية حادثة.

ولعل هذه المحطات الثلاث تتجاوز الأفراد والمجامع العلمية وتتطلب جهود أجيال، لكن لا بأس في الانطلاق بخطوة أولى، والله ولي التوفيق.

هذا وقد تم جمع التقديم على ركنين اثنين:

أولا: تمهيد نظري يتناول إشكالية المصطلح بين **اللفظ والمعنى**، المبنى والفكر أو «الاذهان».

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي ١٧٩٨/٢

ثانيا: دراسة وصفية لعملية التحقيق والتعريف بالمؤلف إلى جانب عرض الصعوبات وتمييز الأساليب الفنية المتبعة في عملية التحقيق.." (١)

"إشكالية المصطلح بين اللفظ والمعنى

تمهيد:

إن التصورات الذهنية ومحصلات الأفكار الكشفية الصادرة عن العقل والفهم، والوجدانيات المعنوية المنبعثة من النفس، لا يمكنها جميعا أن تتحقق عند صاحبها ومنه إلى غيره ببيان فراغي، كمثل القابض على الماء، بل لا بد لها من أن تتحقق وتتعين وتتشيأ إشارات ورموزا بنزولها وانسكابها في أنواع من الألفاظ وأنماط من الصيغ تشكل في جملتها بنيانا لغويا له خصائصه وطبعه وجبلته وسيرورة تكونه وتحوله في بعدي التاريخ والنسق الداخلي لبنيته، علما أن هذه البنية قد اكتسبت وحدتها وضبطها وتعقدها بضوء التجربة المعرفية التي خاضها الناطقون بهذه اللغة والمعبرون بتلك الألفاظ والأسماء.

ولعل العربية، لغة الضاد، من أشد اللغات جمعا لهذين البعدين: السيرورة التاريخية، ونسق البنية الخاص، إذ إن لغات العالم بمعظمها مهما غزرت تجربتها أو تحددت تتمتع كل منها ببنية لها ميزاتها بحسب معطيات منهج اللغويات العصري والدراسات الأنسية الحادثة. فالعربية أسوة بغيرها لها بنيتها وميزاتها، إلا أن للعربية خاصية بارزة على سواها تختص في أثر البعد التاريخي في تكون الأسماء والألفاظ واستمرار تأثيره على المفردات والأسماء باتصال من غير انقطاع وقطع. ولهذا كله كانت دراسة الحقل الدلالي لألفاظ العربية وأسمائها ترتدي أهمية وأهدافا معرفية عدة.

إن هذه المفردات والأسماء قد استعملت قوالب للفكر والفهم والاذتهان والعرفان على امتداد عشرات القرون في مسار الناطقين بالعربية التاريخي، لهذا فهي محصلة ونتاج جهود أجيال وحضارات عدة.." (٢)

"الموروث الثقافي العربي والاسلامي. وفي الوقت عينه تصور له تجربة انفعالية نفسية غنية في عمر الشعوب.

لقد جعلت مصطلحات الكشاف القارئ أمام ألفاظ وأسماء لم تقتصر على الوصف، إنما اصطنعت ألفاظا جديدة بألعاب في اللغة عن طريق التفعيلات تارة وعن طريق الخروج عن العادة طورا.

علاقة المعنى باللفظ

وثمة مسألة تتعلق في المصطلح وباتجاه خاص عند كل من أهل المعنى والمبنى، وقد أثيرت في التراث العربي والاسلامي، وكانت مجالا رحبا للنقاش العصري.

وهذه المسألة ترتبط فيما سبق ذكره عن كنه العلاقة بين المعنى واللفظ أو ما سمي قديما المفهوم والبيان، الأذهان واللسان، الماهية والاسم، وإذ باتجاه مدرسة آكسفورد يجعل تعريف المعنى في حدود الاستعمال اللغوي، أي إن معنى أية كلمة يرتبط دائما بالسياق الذي تستعمل فيه الكلمة. فإذا، المعنى يتجلى من خلال الاستعمال «١». وكان سبب موقفهم هذا أنه

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي المقدمة/١٤

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي المقدمة/١٥

تتمة طبيعية لفلسفة الوضعية المنطقية الرافضة لأي قبليات عقلية أو معان ذهنية متباينة من خارج التجربة العينية. وقد تابعت مدرسة آكسفورد هذا فرفضت أيضا إمكانية التحقق للمعنى. أي أنه لا يوجد منهج للتحقق من أن العشب أخضر وأن السماء صافية زرقاء اليوم، إذ لا يوجد من يتعلم كيفية الرؤية والشعور، بينما يوجد من تعلم معنى اسم العشب والأخضر، وارتباط ذلك في جملة إخبارية «٢».

وما خلصت هذه المدرسة إليه هو أن المعنى لا يتحد بالكلمة اتحاد الروح بالجسد أو المعنى روح في جسد كلمة، إنما يكشف المعنى عن ذاته في استعمال الكلمة. إذا، إذا قصد كل منا معرفة ما تعنيه الكلمة فعليه النظر وتدبر أمر وكيفية استعمالها، حيث ذهب فايزمن إلى أن معنى الكلمة يتغير تبعا لتغير استعمالها «٣».

---

(١)
CharlesWorth, M. J., Philosophy and Linguistic Analysis, Duquense Studies, ،Duquense University ،Philosophical series 9, Pittsburgh
.p . 071،١٩٥٩

(٢) Quoted by :Weitz ,M .,Oxford philosophy ,Philosophical Review , 3591,p . .691

(٣)
،Waismann, F., The Principles of Linguistic Philosophy, London, R. Macmilan
(١) "..pp . 751 - 651،١٩٦٨

"إن الأبحاث العلمية وتبحر الإنسان بالكشف عن ماضيه الثقافي تثبت أن اللغات مرت بالمقطع البسيط ثم المقطعين فالمقاطع، وعربيا الحرف المصوت فالثنائي فالثلاثي. مثال: (ع) تدل على صوت الزئير و (ا) الصوت المتكرر. ومثال الثنائي (عو) والثلاثي (عوى) «١». وفي ختام التجربة وقفت لغات وماتت لغات. ويماثل هذه العملية المغرقة في التاريخ، والموغلة في التجربة الأناسية اللغوية شاهد على كيفية نمو التصويت والنطق واستعمال المحسوس ثم المجرد، والأمر يحصل عند الطفل تباعا.

ولعل الدراسات التربوية والنفسية الحديثة والمعاصرة وافية في هذا المضمار، بحيث تقاس الإنسانية، في تطورها نحو التجريد، على الطفل في نموه.

أما القدماء فوقفوا عند قوله عز وجل القائل وعلم آدم الأسماء كلها البقرة/ ٣١. فعلق الجاحظ (١٦٠ – ٢٥٥ هـ) قائلا: «لا يجوز أن يعلمه الاسم ويدع المعنى ويعلمه الدلالة ولا يضع له المدلول عليه. والاسم بلا مسمى لغو كالظرف الخالي ... ولو أعطاه الأسماء بلا معان لكان كمن وهب شيئا جامدا لا حركة له، وشيئا لا حسن فيه ... ولا يكون اللفظ اسما إلا

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي المقدمة/٢٥

وهو مضمن بمعنى» «وقد يكون المعنى ولا اسم له، ولا يكون اسم إلا ويكون له معنى» «٢». وقيل أيضا: «إن استعمال العبارة على وجه يفيد ويصح لا يكون إلا بعد العلم بما وضعت له» «٣» فهي تابعة للمعنى أي للنشاط العقلي.

فاللغة وضع في أساسها، ومن هذا الوضع تخرج الأسماء العرفية، أي ما تعارف عليه القوم، بحيث يوضع الاسم لمعنى عام يخصص «٤».

وأعاد زكي الأرسوزي- القرن العشرين- هذا الاتجاه وتوسع فيه، ثم أضاف التجربة الوجدانية على التجربة الطبيعية وسماه الايحاء، كفرس، من (فر) وصوت (س) المعبر عن الحركة.

وذهب هذا المذهب في أوروبا (Whitney)، ومن أشهر مؤلفاته: (حياة اللغة ١٨٧٥) و (اللغة ودراستها ١٨٧٦). واهتمامه انصب على الدلالة وحقل المعنى (Semantique)، ومنشأ اللغة يطرح في أبعاده مسائل الازدواجية بين **اللفظ والمعنى**،

---

(١) العلائلي، عبد الله، تهذيب المقدمة اللغوية، بيروت، دار النعمان، ١٩٦٨،

(٢) الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، الخانجي، ١٩٦٥، ج ١، ص ٢٦٢.

(٣) عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد، القاهرة، وزارة الثقافة، ١٩٦١، ج ٨، ص ٣٦.

(٤) الغزالي، أبو حامد، المستصفى من علم الأصول، دار صادر، ج ١، ص ٣٢٦.." [1]

""""""""" صفحة رقم ١٠٤ """""""

نعم . قال : وهذا الاختلاف والتفاوت بالطبيعة أو بالاكتساب ؟ قال : بالطبيعة . قال : فكيف يجوز أن يكون هاهنا شيء يرتفع به هذا الاختلاف الطبيعي والتفاوت الأصلي ؟ قال متى : هذا قد مر في جملة كلامك آنفاً . قال أبو سعيد : فهل وصته بجواب قاطع وبيانٍ ناصع ؟ ودع هذا ؛ أسألك عن حرف واحد ، وهو دائر في كلام العرب ، ومعانيه متميزة عند أهل العقل ؛ فاستخرج أنت معانيه من ناحية منطق أرسطاطاليس الذي تدل به وتباهي بتفخيمه ، وهو الواو ما أحكامه ؟ وكيف مواقعه ؟ وهل هو على وجه أو وجوه ؟ فبهت متى وقال : هذا نحو ، والنحو لم أنظر فيه ، لأنه لا حاجة بالمنطقي إليه ، وبالنحوي حاجة شديدة إلى المنطق ، لأن المنطق يبحث عن المعنى والنحو يبحث عن اللفظ ، فإن مر المنطقي باللفظ فبالعرض ، وإن عثر النحوي بالمعنى فبالعرض والمعنى أشرف من اللفظ ، واللفظ أوضع من المعنى . فقال أبو سعيد : أخطأت ، لأن الكلام والنطق واللغة واللفظ والإفصاح والإعراب والإبانة والحديث والإخبار والاستخبار والعرض والتمني والنهي والحض والدعاء والنداء والطلب كلها من واد واحد بالمشاكلة والمماثلة ، ألا ترى أن رجلاً لو قال : نطق زيد بالحق ولكن ما تكلم بالحق ، وتكلم بالفحش ولكن ما قال الفحش ، وأعرب عن نفسه ولكن ما أفصح ، وأبان المراد ولكن ما أوضح ، أو فاه بحاجته ولكن ما لفظ ، أو أخبر ولكن ما أنبأ ، لكان في جميع هذا محرفاً ومناقضاً وواضعاً للكلام في غير حقه ، ومستعملاً اللفظ على غير شهادة من عقله وعقل غيره ؛ والنحو منطق ولكنه مسلوخ من

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي المقدمة/٣١

العربية والمنطق نحو ، ولكنه مفهوم باللغة ، وإنما الخلاف بين **اللفظ والمعنى** أن اللفظ طبيعي والمعنى عقلي ؛ ولهذا كان اللفظ بائداً على الزمان ، لأن الزمان يقفو أثر الطبيعة بأثر." (١)

"""""""" صفحة رقم ٣١٠ """""""

وما رأيت أحداً تناهى في وصف النثر بجميع ما فيه وعليه غير قدامة ابن جعفر في المنزلة الثالثة من كتابه ؛ قال لنا علي بن عيسى الوزير : عرض على قدامة كتابه سنة عشرين وثلثمائة ؛ واختبرته فوجدته قد بالغ وأحسن ، وتفرد في وصف فنون البلاغة في المنزلة الثالثة بما لم يشركه فيه أحد من طريق **اللفظ والمعنى** ، مما يدل على المختار المجتبى والمعيب المجتنب . ولقد شاكه فيه الخليل بن أحمد في وضع العروض ؛ ولكني وجدته هجين اللفظ ، ركيك البلاغة في وصف البلاغة ، حتى كأن ما يصفه ليس ما يعرفه ، وكأن ما يدل به غير ما يدل عليه . والعرب تقول : فلان يدل ولا يدل ، حكاه ابن الأعرابي ، وهذا لا يكون إلا من غزارة العلم ، وحسن التصور ، وتوارد المعنى ، ونقد الطبع ، وتصرف القريحة . قال : ولولا أن الأمر على ما ذكرت لكان ذلك الطريق الذي سلكه ، والفن الذي ملكه ، والكنز الذي هجم عليه ، والنمط الذي ظفر به ؛ قد برز في أحسن معرض ، وتحلى بألطف كلام ، وماس في أطول ذيل ، وسفر عن أحسن وجه ، وطلع من أقرب نفق ، وحلق في أبعد أفق . وابن المراغي يقول كثيراً – وهو شيخٌ من جلة العلماء ، وله سهمٌ وافٍ في زمرة البلغاء – : ما أحسن معونة الكلمات القصار ، المشتملة على الحكم الكبار ، لمن كانت بلاغته في صناعته بالقلم واللسان ، فإنها توافيه عند الحاجة ، وتستصحب أخواتها على سهولة ؛ وهكذا مصاريع أبيات الشعر ؛ فإنها تختلط بالنثر متقطعةً وموزونة ، ومنتثرةً ومنضودة . قال لي ابن عبيدٍ الكاتب : بلغني هذا الوصف عن هذا الشيخ ؛ فبلوته بالتتبع فوجدته على ما قال ؛ وما أشبه ما ذكره إلا بالصرة المعدة عند الإنسان ، لما يحتاج إليه في الوقت المهم والأمر الملم ؛ فهذا هذا .." (٢)

"والمعروف أن هذه الطرائق التي اتبعت آنذاك ماتزال صالحة في يومنا هذا لوضع المصطلحات للعلوم الحديثة. وعلى تراث الأقدمين شاد المحدثون صرح حضارتهم بما حصلوا من علوم الأوائل وهذه هي سنة الكون، فقد بنى الرومان على الإغريق، وبنت أوروبا على كليهما، وبنى الشرق على ثلاثتها، لذلك علينا أن نواجه الحقائق ونعمل على الأخذ والتبادل من ومع الغير حتى يعود لنا الشأن المرتجى لتبوء المكانة المرجوة ثقافياً وتقنياً، وللوصول إلى هذه الغاية السامية لابد من مزاولة الترجمة. فهناك الألوف من الألفاظ المهجورة تنام في بطون القواميس العربية، بعضها لها مكانة الصدر والمحراب، وفي مقابلها الألوف الأخرى من ألفاظ دخيلة محرومة من دخولها أو دمجها، رغم اضطرار المترجم لاستعمالها، وكذلك كانت الحال في الأمم المتقدمة التي تتكلم لغة حية، فلا نزال نصادف الكثير من الكلمات الدخيلة المندمجة منذ القديم مثل: "سيروب Sirop وأصلها "شراب"، و"ماراباط" Marabatt وأصلها مرابط في العربية التي هي مفرد مرابطين، وهو اسم لمن كان يسكن الأندلس العربية. وهناك الكثير من غيرها يحتويها المعجم الفرنسي جنباً إلى جنب مع الألفاظ الفرنسية المحضة. وقد استمرت الأمور زمناً طويلاً بالأخذ بهذه المصطلحات القديمة حتى جاءت المجامع العربية الحديثة فعالجتها بالترجمة وفقاً للنص

---

(١) الإمتاع والمؤانسة، ص/١٠٤

(٢) الإمتاع والمؤانسة، ص/٣١٠

واللفظ والمعنى والتطور العلمي والتقني المعاصر.

المصطلحات الحديثة:." [(١)]

"١٧- عند وجود ألفاظ مترادفة أو متقاربة في مدلولها، ينبغي تحديد الدلالة العلمية لكل واحد منها. وانتقاء اللفظ الذي يقابلها، كما يجب عند خيار المصطلح انتقاء الألفاظ ذات المعاني المتشابهة والقريبة والمتناسقة **باللفظ والمعنى** مع كامل معنى الجملة والنص(١).

١٨- أما عند تعريب الألفاظ الأجنبية يجب أن تراعى الأمور التالية:

أ - اعتبار المصطلح الذي تم الاجماع على اصطلاحه عربياً، يخضع لقواعد اللفظ واللغة ويجوز فيه الاشتقاق والنحت بصورة متوافقة مع الصيغة العربية.

ب- مراعاة تغيير شكله ليصبح موافقاً للصيغة والمفهوم ومستساغ النبرة واللفظ.

ج - أفضلية المصطلح الذي سهل نطقه عند تباين نطقه في اللغة الأجنبية.

د - اعتماد الأصل الصحيح للكلمات العربية التي دخلت في اللغات الأجنبية وحرفتها.

هـ - ضبط المصطلحات جميعها وبأنواعها المعربة والمترجمة بكتب وجداول خاصة مع شرح وقائع ومعالجة كل مصطلح كمعلومة صحيحة وموثقة للتراث ولعلماء اللغة اللاحقين.

قبل أن نأتي على ذكر طرائق وضع الترجمة لابد من ذكر القواعد التي يرتكز عليها المصطلح الحديث ألا وهي باختصار: الترجمة- المصطلح- التعريب.

١ - الترجمة: وهي شمولية وهي تمهد الطريق للتعريب.

٢ - المصطلح: فهو يشمل بآن واحد المبنى والمعنى وليس فقط المفردات الأجنبية التي تتطلب إيجاد حل للنص بكامله وليس لكلمات محددة.

٣ - التعريب: ويشمل كامل التعريب التعليمي في المجتمع العربي.

فالترجمة هي السبيل إلى التعريب، ولكن التعريب لا يتوفر إلا بتوافر المصطلح العلمي والأدبي والفني، فإذا تناول المصطلح كل ما يرد للتعريب، يكون إذاً هو الاساس في الترجمة التي يجب اعتبارها كمفسر للمصطلح الشامل، أما إذا تناول المصطلح بدوره المفردات الأعجمية الواجب تعريبها فقط، فهو فرع من أسس التعريب.

الأسس التي تتناول وضع المصطلح:

إنها أربعة: الاشتقاق- المجاز- النحت- والتعريب:

---

(١) شحادة، خوري- ص ١٥٨-١٦١.." [(٢)]

---

(١) الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية - دراسة -، ص/٩٢

(٢) الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية - دراسة -، ص/١٠٦

"فهذه الأسس أو الطرائق هي قواعد اتبعت قديماً ولاتزال حتى اليوم، لابد من عرضها باختصار:

- الاشتقاق:

هو أن تنتزع كلمة من كلمة أخرى على أن يتوفر التناسب بين هاتين الكلمتين في **اللفظ والمعنى**، فمن المصدر الذي هو (اسم المعنى) يؤخذ الفعل المجرد، ثم الأفعال المزيدة، ومن المجرد والمزيد تصاغ المشتقات الثمانية وهي (اسم الفاعل، جلس جالس)، واسم المفعول علم- معلوم)- (وصفة مشبهة- سعد- أسعد) (واسم التفضيل، فضل مفضال)، (وزن مبالغة مثل اجتمع، مجتمع)، (اسم مكان مثل رمى مرمى)، (واسم: زمان مثل فتح مفتاح)، (واسم آلة-.......).

وتتضمن المشتقات الحروف الأصلية عدداً، وترتيباً، وهذا هو الاشتقاق الصغير. وإذا وجد بقية الكلمة الأصلية والكلمة المشتقة تناسب **اللفظ والمعنى** دون ترتيب في الأحرف، فيكون الاشتقاق الكبير، أو القلب. مثل جذب وجبذ- وطفا وطاف- الاّ إذا انتزع لفظ من لفظ مع التناسب فيما بينهما في المعنى والمخرج، ولكن في اختلاف ببعض الأحرف، كان الاشتقاق الأكبر أو الإبدال، مثل عنوان وعلوان. وأيضاً في الاشتقاق مايزيد فيه على الحرفين الثنائيين، حرف ثالث في أوله أو صدره مثل: شرم وهرم وخرم- أو في حشوة مثل: رقم ورجم وردم- أو آخره مثل نب ونبس ونبت ونبر.

لا يتم الاشتقاق فقط من المصادر أي من أسماء المعاني كما قال البصريون، بل كان يتم من الأسماء الأعيان العربية لقد جاء على لسان العرب: أفلس من الفلس- وأذهب من الذهب. وأبحر من البحر. وحتى إنه كان يتم من أسماء المعاني المعربة، فقد قيل: هندس من الهندسة ودرهم من الدرهم وفهرس من الفهرسة.

وتمشياً مع هذه القواعد يشتق اليوم من أسماء المعاني في المصدر، مثل المبذر من البذر، والمتحف من الاتحاف- ومن أسماء الأعيان: بستنة من البستان، ونحالة من النحل، وأكسد من الأكسيد.." (١)

"ومن الاشتقاق فيما يتعلق بالأمراض: صداع- على وزن فعال- وعابرة على وزن فاعلة- ونحات على وزن فعال. ومفتاح على وزن مفعال، وقلابة على وزن فعالة- ومقود على وزن مفعل، ومدجنة على وزن مفعلة.

لذلك فإن باب الاشتقاق واسع جداً، فهو يساعد على تنمية اللغة، ويعتمد عليه في سد النقص في المفردات. وهكذا يمكن اشتقاق الكثير من الألفاظ من كل مصدر.

-المجاز:

إن المجاز لفظ يستخدم في غير ما وضع له، مع قرينة تمنع من ما يعنيه المعنى الأصلي. فيذكر: (أسد) إذا قصد به الرجل الشجاع، وقد استخدم السلف ألفاظاً عديدة.

على سبيل المجاز: مثل :الصلاة والزكاة والحج والتقوى، والنحو والإعراب والصرف، وأسماء الحركات وبحور الشعر، فقالوا: العلة والمعلول الأزل والابد، أما في هذا العصر فقد وضعت مصطلحات مجازية كثيرة لها في الاصل مدلول مختلف مثل: سيارة وشاحنة ودراجة وغواصة وباخرة ومدمرة. غير أن الكثير من هذه المصطلحات تستعاض بأفضل منها فتهمل ومنها

---

(١) الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية - دراسة -، ص/١٠٧

ما يبقى صالحاً موفياً الغرض فيندمج في كنه اللغة.

النحت:

وهنا يعني البرْي والنشر، أي بمثابة انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر على أن يكون هناك تناسباً في **اللفظ والمعنى** بين المنحوت والمنحوت عنه، وهو قريب من مفهوم الاشتقاق أو ضرباً من ضروبه.

وقديماً استعمل النحت بشكل محدود، فقيل: البسملة والحوقلة والحمدلة، أما حديثاً فقيل: برمائي لاسلكي، ويوغسلافي ووافرو آسيوي....... والمغالاة عند البعض مثل خلمهة (خل – ماهة) فيها تعقيد وإغراب إذ بدل استعمال كلمتين واضحتين يصبح الواضع في كلمة أعقد وأعسر منهما. لذلك يجب أخذ الحذر في النحت فلا يُلجأ إليه إلا عند الضرورة مثل كلمة "كهرطيسي" بدلاً من كهربائي مغناطيسي، وكهر حراري عوضاً عن كهربائي حراري ومثل هذه المصطلحات تستدعي الدقة والذوق السليم.

– التعريب–." (١)

"ولما كان قرار انشاء لجنة المعاجم في المجمع ينص على أن أهم واجباتها هو:

وضع معجم تاريخي لِلّغة العربية، فقد أخذت هذه اللجنة بذلك منذ البداية، غير أن اللغة العربية لاتقتصر علماجاء في المعجمات وحدها بل لها مظان أخرى يجب الأخذ عنها وفي مقدمة هذه كتب الأدب والعلم ومايجري على الألسنة العربية من حوار ومناقشة.

أما الأبرز في وضع المعاجم هو ذكر أسماء ومواصفات ثلاث معاجم لأهميتها من حيث الشرح وضبط التصاريف وذكر الأصول السامية. وحيثيات اللغة المقارنة فيها. إلا وهي :

الأول: المعجم الوسيط: إنه معجم مصور أخرجه المجمع تلبية لرغبة وزارة المعارف حينذاك وكان كثير الشبه بالمعجم الفرنسي المعروف باسم "لاروس الصغير" خرج هذا المعجم ١٦٠٠ صفحة من ثلاثة أعمدة، أوردت فيه الكلمات حسب نطقها وليس حسب تصريفها، وروعي فيها تقديم الأفعال على الأسماء كما روعي فيها ضبط التعاريف ويسر الشرح.

الثاني : المعجم الكبير: وكانت الفكرة تتجه نحو الإقتباس من معجم فيشر كأساس له، ولكن عاد المجمع إلى قرار وضع المعجم بشكل شامل يستوعب اللغة في جميع عصورها.

... وسماه "المعجم الكبير" وقد ظهر جزء منه في عام ١٩٥٦– وقد تميّز هذا المعجم عن سواه من أمثاله بحرصه على ذكر الأصول السامية، متوخيا ربط اللغات السامية بعضها ببعض ومما يساعد على فائدة الدراسة في قواعد اللغة المقارنة.

الثالث: "المعجم لفيشر" لم يرى النور لعدم اكتماله لأن ظروف الحرب العالمية الثانية باعدت بين صاحبه الألماني وبين مركز معالجته ونشره في مصر. ولعل أهم ماكان يميز هذا المعجم اهتمامه بغير الفصحى كمصدر لللغة ولأن صاحبه كان يرى أن

---

(١) الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية – دراسة –، ص/١٠٨

العبرة بحسن أداء **اللفظ والمعنى**.

الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية." (١)

"ومن فوق أكوار المهارى لبانهأحل لها أكل الذرى والغوارب

إذا ادرع الليل انجلى وكأنهبقية هندي حسام المضارب

بركب ترى كسر الكرى في جفونهموعهد الفيافي في وجوه شواحب

وقال الطائي وجعل السير طريقا إلى همة مروته:

وركب كأمثال الأسنة عرسواعلى مثلها والليل تسطو غياهبه

لأمر عليهم أن تتم صدورهوليس عليهم أن تتم عواقبه

وقال جحدر بن ربيعة العكلي:

وركب تعادوا بالنعاس كأنماتساقوا عقارا خالطت كل مفصل

سريت بهم حتى مضى الليل كلهولاحت هوادي الصبح للمتأمل

وقالوا وقد مالت طلاهم من الكرأنخ إنما نعمى علينا وأفضل

فطاوعتهم حتى أناخوا كلا ولامهارى لهوا منها ولما تعقل

ومالوا على أعطافها وتوسدواإلى الركب اليسرى سواعد أشمل

ولاثوا بأيديهم فضول أزمةتصور البرى أزرارها لم تحلل

غشاشا غرار العين ثم تنبهواسراعا إلى أكوار سدس وبزل

وقال أبو النجم العجلي:

وبلدة ما الإنس من أهالهاولا ضعيف القوم من رجالها

زوراء تبكي الجن من إمحالهاقطعت بالعيس على كلالها

نعت البيان والمحاورة

قال حسان بن ثابت:

لساني وسيفي صارمان كلاهماويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودي

وقال جرير فأخذ **اللفظ والمعنى**:

لساني وسيفي صارمان كلاهماوللسيف أشوى وقعة من لسانيا

وقال الأخطل:

أفحمت عنكم بني النجار قد علمتعليا معد وكانوا طالما هدروا

حتى استكانوا وهم مني على مضضوالقول ينفذ ما لا تنفذ الإبر

---

(١) الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية – دراسة –، ص/٢٨٥

وقال محمد بن هانئ:

حكم يجلي غيب كل ملمةكالشمس تكشف جنح كل ظلام

وقال آخر:

من كل معنى يكاد الميت يفهمهحسنا ويعبده القرطاس والقلم

وقال الصابي:

فقر لم يزل إليها فقيراكل مبدي فصاحة ومعيد

يغتدي البارع المفيد إليهالاحقا بالمقصر المستفيد

ببيان شاف ولفظ مصيبواختصار كاف ومعنى سديد

وقال أيضا:

ولي فقر تضحي الملوك فقيرةإليها لدى أحداثها حين تطرق

أرد بها رأس الجموح فينثنيوأجعلها سوط الحرون فيعنق

فإن حاولت لطفا فماء مرقرقوإن حاولت عنفا فنار تألق

وقال أبو فراس ابن حمدان:

وروضة من رياض الفكر دبجهاصوب القرائح لا صوب من المطر

كأنما نشرت يمناك بينهمابردا من الوشي أو بردا من الحبر

وقال آخر:

نطقت بحكمة جلى سناهاعن المعنى اللطيف دجى الظلام

تلذ كأنها راح وروحتمشى في العروق وفي العظام

وقول رسول الله صلى الله وعليه وسلم: " إن من البيان لسحرا " هو الغاية إيجازا وبلاغة.

وكتب الصاحب بن عباد: خط أحسن من عطفات الأصداغ، وبلاغة كالأمل آذن بالبلاغ. فقر كما جيدت الرياض، وفصول كما تغامزت المقل المراض. ألفاظ كما نورت الأشجار، ومعان كما تنفست الأسحار.

وقال الماهر:

وحديث كأنهأوبة من مسافر

فهو أحلى من الرقا ... د لدى طرف ساهر

وقال بشار:

وكأن رجع حديثهاقطع الرياض كسين زهرا

وكأن تحت لسانهاهاروت ينفث فيه سحرا

وقال السري الرفاء:

يتنازعون على الرحيق غرائبايحسبن زاهرة كؤوس رحيق

صدرت عن الأفكار وهي كأنهارقراق صادرة عن الراووق

وقال محمد بن أحمد الحزور:

لله لؤلؤ ألفاظ أساقطهالو كن للغيد لاستأنسن بالعطل

ومن عيون معان لو كحلت بهانجل العيون لأغناها عن الكحل

سحر من الفكر لو دارت سلافتهعلى الزمان تمشى مشية الثمل

وصف العباس بن الحسن العلوي رجلا بفصاحة فقال: ما شبهته يتكلم إلا بثعبان ينهال من رمال، أو ماء يتغلغل بين جبال.

وقال ثمامة: كان جعفر بن يحيى أنطق الناس، قد جمع التمهل والجزالة والحلاوة وإفهاما يغنيه عن الإعادة، ولو كان في الأرض ناطق يستغني بمنطقه عن الإشارة لاستغنى جعفر عن الإشارة كما استغنى عن الإعادة.

وقال: قلت لجعفر: ما البيان؟ فقال: أن يكون الكلام يحيط بمعناك، ويجلي عن مغزاك، وتخرجه من الشركة، ولا تستعين عليه بالفكرة، والذي لا بد منه أن يكون سليما من التكلف، بريئا من التعقيد، غنيا عن التأويل.

الجاحظ: هذا تأويل قول الأصمعي: البليغ من طبق المفصل، وأغناك عن المفسر.." (١)

"ثم يقول في موضع الحكمة ومظنة تهذيب **اللفظ والمعنى**، فيأتي بما لا معنى فيه ولا لفظ له: من المنسرح

إن محلا وإن مرتحلا ... وإن للسفر ما مضى مهلا

قال نقاد الشعر: الشعر أربعة أضرب: ضرب حسن لفظه ومعناه، فإذا نثر لم يفقد حسنه، وذلك نحو: من البسيط

في كفه خيزران ريحه عبق ... من كف أروع في عرنينه شمم

يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم إلا حين يبتسم

وضرب حسن لفظه وخلا معناه نحو: من الطويل

ولما قضينا من منى كل حاجة ... ومسح بالأركان من هو ماسح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطي الأباطح

وضرب جاد معناه وقصر لفظه نحو: من الطويل

خطاطيف حجن في حبال متينة ... تمد بها أيد إليك نوازع

وضرب قصر معناه ولفظه نحو: من المنسرح

إن محلا وإن مرتحلا ... وإن للسفر ما مضى مهلا

المعنى إن لنا محلا، وإن لنا مرتحلا، وإن لنا مهلا بعد السفر الذي مضى.

وما أحسن ما قال الوائلي: من الطويل

وحاطب ليل في القريض زجرته ... وقلت له قول النصيح المجامل

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١٤١/٢

إذا أنت لم تقدر على در لجه ... فدعه ولا تعرض لحصباء ساحل

وقد أخذ الأعشى قوله من قول النابغة: من الكامل

تجلو بقادمتي حمامة أيكة ... بردا أسف لثاته بالإثمد

وتبعه القتال الكلابي فقال: ولم يمنعه اشتهار هذين البيتين من الإغارة وسلك في سرقة الشعر مسلكه في الغارة على المال، فإنه كان من مشهوري اللصوص وفتاكهم وشعرائهم: من الكامل

تجلو بقادمتي حمامة أيكة ... برد أسف لثاته مثلوج

وفي إعرابه كلام وتأويل.

ومن المصالتة والمجاهرة في السرقة قول قيس بن الخطيم، وهو شاعر الأوس وفتاها وشجاعها: من الطويل

وما المال والأخلاق إلا معارة ... فما اسطعت من معروفها فتزود

وكيف يخفى مأخذه مع اشتهار قصيدة طرفة بن العبد، وهي معلقة على الكعبة، وهو يقول فيها: من الطويل

لعمرك ما الأيام إلا معارة ... فما اسطعت من معروفها فتزود

قال أبو نواس: قد قال شاعران بيتين ووضعا التشبيه فيهما في غير موضعه، فلو أخذ البيت الثاني من شعر أحدهما فجعل مع البيت الآخر، وأخذ بيت ذاك فجعل مع هذا، كان لفقا له ومشبها، فقيل له: أي ذلك تعني؟ قال: قول جرير للفرزدق: من الطويل

فإنك إذ تهجو تميما وترتشي ... تبابين قيس أو سحوق العمائم

كمهريق ماء بالفلاة وغره ... سراب أثارته رياح السمائم

وقول ابن هرمة: من المتقارب

وإني وتركي ندى الأكرمين ... وقدحي بكفي زندا شحاحا

كتاركة بيضها بالعراء ... وملحفة بيض أخرى جناحا

فلو قال جرير: فإنك إذ تهجو تميما، وبعده كتاركة بيضها بالعراء، لكان أشبه ببيته، ولو قال ابن هرمة مع بيته: وإني وتركي ندى الأكرمين، وبعده كمهريق ماء بالفلاة، لكان أشبه.

هكذا جاءت الرواية عن أبي نواس؛ وهو أيضا وهم فإن الشعر للفرزدق من قصيدته التي أولها: من الطويل

تحن بزوراء المدينة ناقتي

قالها لما قتل وكيع بن أبي سود قتيبة بن مسلم بخراسان. وجرير كان مولعا بمدح قيس، والفرزدق يهجوهم، وذلك محقق لما ذكرته أيضا.

قال سلمة بن عياش: دخلت على الفرزدق السجن وهو محبوس، وقد قال قصيدته التي فيها: من الكامل

إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتا دعائمه أعز وأطول

وقد أفحم وأجبل، فقلت له: ألا أرفدك؟ فقال: وهل ذاك عندك؟ فقلت: نعم، ثم قلت:

بيت زرارة محتب بفنائه ... ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

فاستجاد البيت وغاظه قولي، فقال لي: ممن أنت؟ قلت: من قريش؛ قال: فمن أيها أنت؟ قلت: من بني عامر بن لؤي فقال: لئام والله ضعة؛ جاورتهم بالمدينة فما أحمدتهم. فقلت: الألأم والله منهم وأرضع قومك، جاءك رسول مالك بن المنذر، وأنت سيدهم وشاعرهم، فأخذ بأذنك يقودك حتى حبسك، فما اعترضه ولا نصرك أحد. فقال: قاتلك الله ما أنكرك؛ وأخذ البيت فأدخله في قصيدته.

ولما قال ذو الرمة: من الطويل." (١)

"ربابة ربة البيت ... تصب الخل في الزيت

لها عشر دجاجات ... وديك حسن الصوت

فقال: لكل شيء وجه وموضع؛ فالقول الأول جد، وهذا قلته في ربابة جاريتي، وأنا لا آكل البيض من السوق، وربابة هذه لها عشر دجاجات وديك، فهي تجمع البيض لي وتحفظه عندها؛ فهذا قولي عندها أحسن من قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل عندك.

وهذا عذر غير واضح، وهو باستئناف ذنب أولى. وقد كان يسعه أن يقول ما تفهمه الأمة ولا يسقط هذا السقوط. وما الذي أحوجه إلى أن يدونه ويروى عنه؟ وأي حجة له في البيتين الأولين لولا الزلل والنقص المستوليان على البشر.

وأبو تمام، مع باهر فضله وبديع نظمه ونطقه بالشعر الذي لو سمي سحرا لكان أليق، يقول: من الوافر

خشنت عليه أخت بني خشين

ويظن ذلك من البديع الذي اخترعه وسلك مذهبه. ويقول يمدح رجلا ويصفه بالتنين: من الكامل

ولى ولم يظلم وهل ظلم امرؤ ... حث النجاء وخلفه التنين

وقال أيضا وهجن: من الكامل

كانوا رداء زمانهم فتصدعوا ... فكأنما لبس الزمان الصوفا

وأغار على زهير حيث يقول: من الوافر

لمن طلل برامة لا يريم

فقال: من الوافر

أرامة كنت مألف كل ريم

وقد قال، وبعد عن الفصاحة وهو إمامها: من الكامل

والمجد لا يرضى بأن ترضى بأن ... يرضى امرؤ يرجوك إلا بالرضا

وكذلك الرضي أبو الحسن الموسوي ممن شهد بفضله الأعداء، وترجم شعره أكابر العلماء، وقد كان علمه أكثر من شعره، وله تصنيف في علم القرآن برز فيه على القدماء، ثم لم يمنعه اقتداره على درر الكلام وجواهر المعاني من التعرض لما ليس له، والغارة الشعواء على متقدمي الشعراء. وقد كان غنيا ببنات صدره عن الاستلحاق، ومكفيا بمصون خاطره عن الاستطراق.

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٣٧٧/٢

وقد عثرت له على زلل يرتفع قدره عنه، وسهو لو تنبه له غيره. ولعل غليان الخاطر وازدحام البيان، شغله عن تفقد ما جرى به اللسان. وسأقتصر على البعض إذ كان القصد بكشف غلط مثله من صدور العلم إقامة عذر من لم يبلغ شأوه.

فمما سها في إعرابه وغفل عن تصحيحه قوله: من البسيط

ترجو وبعض رجاء الناس متعبة ... قد ضاع دمعك يا باك على الطلل

فرفع المنادى المشبه بالمضاف وحقه النصب.

ومثله قوله أيضا: من الطويل

ولم أنسه غاد وقد أحدقت به ... أدان تروي نعشه وأقارب

ومن ذلك قوله: من الطويل

وأين المطايا تذرع البيد والدجى ... إلى أقرب من نيل عز وأبعد

ولم تستعمل العرب أفعل التفضيل إلا جاءت بمن، كقولهم: أقرب من كذا، أو يأتي بالألف واللام فيخرج عن معنى التفضيل كقولهم الأقرب والأبعد.

ومنه قوله: من الطويل

ألا إن أصناف السيوف كثيرة ... وأقطعها هنديها ويمانها

وإنما هو سيف يمان إذا خفف الياء، فأما نقله إلى ما يجري الإعراب عليه في حالة الرفع فما تكلمت به العرب.

ومما أهمل قوافيه وأجرى منصوبه مجرى مرفوعه، ولم يرخص أحد في مثله، قوله: من الطويل

إذا سكر العسال من قطراتها ... سقيت حمياها أغر يماني

وقوله: من الكامل

كم من طويل العمر بعد وفاته ... بالذكر يصحب حاضرا أو بادي

على أن **المعنى واللفظ** لغيره وهو: من الكامل

كم من طويل العمر بعد مماته ... ويموت آخر وهو في الأحياء

وقول المتنبي:

ذكر الفتى عمره الثاني

والأصل قول الأول:

إن الثناء هو الخلود

ومما استعار فيه كلام المتقدمين ولم يراقب تصفح المتأملين قوله: من البسيط

هل تعلمون على نأي الديار بكم ... أن الضمير إليكم شيق ولع

وهو قول أبي زبيد الطائي بعينه: من البسيط

من مبلغ قومي النائين إن شحطوا ... أن الفؤاد إليهم شيق ولع

وقوله: من الطويل

مرمون من قبل اللقاء مهابة ... إذا رمقوا باب الطراف الممدد

من قول جرير: من الطويل

مرمون من ليث عليه مهابة ... تفادى الأسود الغلب منه تفاديا

وقوله: من الوافر

أروني من يقوم لكم مقامي ... أروني من يقول لكم مقالي." (١)

"شَهِدْتُ جَسيماتِ العُلاَ وَهْوَ غَائِبٌ ... وَلَوْ كانَ أيضاً شَاهِداً كان غَائبَا

فقال البحتري:

نَصَحْتُكُمُ لَوْ كان للنُّصْحِ سامِعٌ ... لَدَى شَاهِدٍ عَن مَوْضعِ الفهْمِ غائبِ

على أن محمد بن عبيد الله العتبي قد قال:

قَوْمٌ حُضُورٌ غائِبْو ٱلأذْهانِ ليسَ لها قُفُولُ

وقال أبو تمام:

فإِنْ أنا لَمْ يَحْمَدْكَ عَنِّي صاغِراً ... عَدُوُّكَ فاعْلَمْ أَنَّني غَيْرُ حامِدِ

فقال البحتري:

لَيُواصِلَنّكَ ذكْر شِعْرٍ سائرٍ ... يَرْويه فيكَ لحسِنِه الأعْدَاءُ

وكأن هذا المعنى من قولهم: من فضل فلان أن أعداءه مجمعون على فضله، وقولهم: خير المدح ما رواه العدو والصديق.

وقال أبو تمام:

ونَغْمَةُ مُعْتَفِي جدْوَاهُ أَحْلَى ... على أذُنيْهِ مِنْ نَغَمِ السَّماعِ

فقال البحتري:

نَشْوانُ يطرَبُ للسؤَالِ كأنما ... غَنَّاهُ مالكُ طيئٍ أوْ معبدُ

وأول من أتى بفرح المسؤول، وطلاقة وجهه، ثم أخذه الناس فولدوه فقالوا: السؤال أحلى عنده من الغناء، وراجيه أحب إليه من معطيه، زهير، قال:

تراه إذا ما جئتَه متهلّلاً ... كأنك تُعطيهِ الذي أنتَ سائلهُ

وقال أبو تمام:

ومُجَرَّبُونَ سَقَاهُمُ من بَأسِهِ ... فَإِذَا لَقُوا فكأَنَّهم أغْمَارُ

فأخذه البحتري فقال:

مَلِكٌ لهُ في كل يومِ كريهةٍ ... إقدامُ غِرٍّ واعتزامُ مُجَرِّبِ

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٣٨٣/٢

فأما الذي نقله البحتري نقلاً، فأخذ **اللفظ والمعنى**، فقول أبي تمام يصف شعره:

مُنزَّهَةٌ عن السَّرَقِ المورَّي ... مكرَّمةٌ عن المعْنَى المُعادِ

فقال البحتري يصف بلاغةً:

لا يَعْملُ الْمعنَى المكَرَّ ... رَ فِيهِ واللفظَ المرّدَّدْ

وقال أبو تمام:

البيدُ والعِيسُ والليلُ التَّمام معاً ... ثَلاثةٌ أَبداً يُقْرَنَّ فِي قَرَنِ

فقال البحتري:

اطلُبَا ثالثاً سِوَاىَ فإِنِّي ... رَابعُ العِيسِ والدُّجَى والبِيدِ

وأخذه أبو تمام من قول ذي الرمة:

وَلَيلٍ كجِلْبَابِ العَروسِ ادَّرَعْتُهُ ... بأربعةٍ والشخْصُ في العينِ واحدُ

أَحَمُّ عِلاَفِيٌّ، وأبيضُ صارِمٌ ... وأعْيسُ مَهْرِيٌّ، وأروعُ ماجدُ

وقال أبو تمام:

تَفِيضُ سماحةً والْمُزْنُ مُكْدٍ ... وتَقْطَعُ والحُسامُ العَضْبُ نَابِي

فقال البحتري:

يَتوَقَّدْنَ والكواكبُ مُطْفَا ... ةٌ ويَقْطَعْنَ والسُّيُوفُ نوابِي

وقال الطائي:

لا تَدْعُوَنْ نُوحَ بنَ عمرو دَعوةً ... للخطْبِ إلاَّ أَنْ يكونَ جَليلاً

فقال البحتري:

يا أبا جَعْفرٍ وما أنتَ بالمدْ ... عُوِّ إلاَّ لِكلِّ أمرٍ كُبارِ

وقال أبو تمام:

ولقد أَردتُمْ مجدَه وجهَدتُمُ ... فإذَا أَبانٌ قَدْ رسَا وَيلَمْلَمُ!

فقال البحتري ونقله لفظاً ومعنى:

وَلَنْ يَنْقُلَ الحُسَّادُ مَجْدَكَ بعدمَا ... تمكَّنَ رَضْوَى واطمأَنَّ مُتَالِعُ

وقال أبو تمام:

وتُشَرِّفُ العُلْيا وهَلْ مِنْ مَذْهَبٍ ... عَنْها وأنتَ عَلَى المعالِي قَيِّمُ

فقال البحتري:

متقلقلَ الأحْشاءِ في طلبِ العُلاَ ... حتَّى يكونَ عَلَى المعالِي قيمّا

وقال أبو تمام:

ويلبَسُ أَخلاقاً كِراماً كأَنَّها ... عَلَى العِرْضِ من فَرْطِ الحَصانَةِ أدْرُعُ

فقال البحتري، ولم يستوف، وكذلك هو في أكثر ما ذكرت يقع دوناً:

قومٌ إذا لبسُوا الدروعَ لموقفٍ ... لبِسَتْهُمُ الأخلاقُ فيه دُروعا

وقال أبو تمام:

وقد كانَ فَوْتُ الموتِ سَهلاً فردَّهُ ... إليهِ الحِفَاظُ المرُّ والخُلُقُ الوَعْرُ

فقال البحتري:

ولَوَ أنَّهُ اسْتَامَ الحياةَ لِنَفسِهِ ... وجَدَ الحياةَ رخيصَةَ الأسْبابِ

وهذا أيضاً من قول الآخر:

ولو أنهم فَرُّوا لكانُوا أعِزَّةً ... ولكنْ رَأَوْا صَبْراً على الموتِ أكرمَا

وقال أبو تمام:." (١)

"سمعت الحسن بن الحسن بن رجاء يحدث أبا سعيد الحسن بن الحسين الأزدي، أن أباه رأى أبا تمام يوماً يصلي صلاةً خفيفةً، فقال له: أتم يا أبا تمام. فلما انصرف من صلاته قال له: قصر المال، وطول الأمل، ونقصان الجدة، وزيادة الهمة، يمنع من إتمام الصلاة، لا سيما ونحن سفر، فكان أبي يقول: وددت أنه يعاني فروضه كما يعاني شعره، وأني مغرم ما يثقل غرمه؟.

وقد ادعى قوم عليه الكفر بل حققوه، وجعلوا ذلك سبباً للطعن على شعره، وتقبيح حسنه، وما ظننت أن كفراً ينقص من شعرٍ، ولا أن إيماناً يزيد فيه. وكيف يحقق هذا على مثله، حتى يسمع الناس لعنه له، من لم يشاهده ولم يسمع منه، ولا سمع قول من يوثق به فيه؟ وهذا خلاف ما أمر الله عز وجل، ورسوله عليه السلام به، ومخالف لما عليه جملة المسلمين. لأن الناس على ظاهرهم حتى يأتوا بما يوجب الكفر عليهم بفعلٍ أو قولٍ، فيرى ذلك أو يسمع منهم، أو يقوم به بينة عليهم.

واحتجوا برواية أحمد بن أبي طاهر، وقد حدثني بها عنه جماعة أنه قال: دخلت على أبي تمام وهو يعمل شعراً، وبين يديه شعر أبي نواس ومسلمٍ، فقلت: ما هذا؟ قال: اللات والعزى، وأنا أعبدهما من دون الله مذ ثلاثون سنةً.

وهذا إذا كان حقاً فهو قبيح الظاهر، ردئ **اللفظ والمعنى**، لأنه كلام ماجنٍ مشعوفٍ بالشعر. والمعنى أنهما قد شغلاني عن عبادة الله عز وجل، وإلا فمن المحال أن يكون عبد اثنين لعله عند نفسه أكبر منهما، أو مثلهما، أو قريب منهما. على أنه ما ينبغي لجادٍ ولا مازحٍ أن يلفظ بلسانه، ولا يعتقد بقلبه، ما يغضب الله عز وجل، ويتاب من مثله؛ فكيف يصح الكفر عند هؤلاء على رجلٍ، شعره كله يشهد بضد ما اتهموه به، حتى يلعنوه في المجالس؟ ولو كان على حال الديانة لأغروا من الشعراء بلعن من هو صحيح الكفر، واضح الأمر، ممن قتله الخلفاء – صلوات الله عليهم – بإقرارٍ وبينةٍ، وما نقصت بذلك رتب أشعارهم، ولا ذهبت جودتها، وإنما نقصوا هم في أنفسهم، وشقوا بكفرهم.

وكذلك ما ضر هؤلاء الأربعة، الذين أجمع العلماء على أنهم أشعر الناس: امرأ القيس والنابغة الذبياني وزهيراً والأعشى،

---

(١) أخبار أبي تمام، ص/٥

كفرهم في شعرهم، وإنما ضرهم في أنفسهم. ولا رأينا جريراً والفرزدق يتقدمان الأخطل عند من يقدمهما عليه بإيمانهما وكفره، وإنما تقدمهما بالشعر. وقد قدم الأخطل عليهما خلق من العلماء، وهؤلاء الثلاثة طبقة واحدة، وللناس في تقديمهم آراء.

حدثني القاسم بن إسماعيل قال، حدثنا أبو محمد التوجي عن خلف الأحمر قال: سئل حماد الراوية عن جريرٍ والفرزدق والأخطل أيهم أشعر؟ فقال: الأخطل، ما تقول في رجلٍ قد حبب إلى شعره النصرانية! وهذا أيضاً مزح من حماد، وفرط شعفٍ بشعر الأخطل. ولو تأول الناس عليه كما تأولوا على أبي تمام لكان ما قال قبيحاً، وما أحسب شعر أبي تمام، مع جودته وإجماع الناس عليه، ينقص بطعن طاعنٍ عليه في زماننا هذا، لأني رأيت جماعةً من العلماء المتقدمين، ممن قدمت عذرهم في قلة المعرفة بالشعر ونقده وتمييزه، وأريت أن هذا ليس من صناعتهم، وقد طعنوا على أبي تمامٍ في زمانهم وزمانه، ووضعوا عند أنفسهم منه، فكانوا عند الناس بمنزلة من يهذي، وهو يأخذ بما طعنوا عليه الرغائب من علماء الملوك، ورؤساء الكتاب، الذين هم أعلم الناس بالكلام منثوره ومنظومه، حتى كان هو يعطي الشعراء في زمانه ويشفع لهم؛ وكل محسنٍ فهو غلام له، وتابع أثره.

ومن الإفراط في عصبيتهم عليه، ما حدثني به أبو العباس عبد الله بن المعتز قال: حدثت إبراهيم بن المدبر – ورأيته يستجيد شعر أبي تمام ولا يوفيه حقه – بحديثٍ حدثنيه أبو عمرو بن أبي الحسن الطوسي، وجعلته مثلاً له، قال: وجه بي أبي إلى ابن الأعرابي لأقرأ عليه أشعاراً، وكنت معجباً بشعر أبي تمامٍ، فقرأت عليه من أشعار هذيل، ثم قرأت أرجوزة أبي تمام على أنها لبعض شعراء هذيل:

وعاذِلٍ عَذَلْتُهُ في عَذْلِهِ ... فَظَنَّ أَنَّي جَاهِلٌ مِن جَهْلِهِ

حتى أتممتها، فقال: اكتب لي هذه، فكتبتها له، ثم قلت: أحسنة هي؟ قال: ما سمعت بأحسن منها! قلت: إنها لأبي تمام فقال: خرق خرق!.." (١)

"وقلتَ والعامة تقول: من جعل نفسه شاةً دقَّ عنقه الذئب، ومن صيّر نفسه نُخالةً أكله الدجاج، ومن نام على قارعة الطريق دقّته الحوافر دقّا، والكِبرُ في استيفاء الحق من غير ظلم، كالتواضع في أداء الحق من غير ذُلّ، وكما أن المنع في موضع الإعطاء حِرمان، كذلك الإعطاء في موضع المنع خذلان؛ وكما أن الكلام في موضع الصمت فضلٌ وهدر، كذلك السكوت في موضع الكلام لكنةٌ وحَصر، وكما أن القلوب جُبِلت على حُبّ من أحسن إليها، كذلك النفوس طُبعت على بُغضٍ من أساء إليها؛ والجَبْلُ والطّبع وإن افترقا في اللفظ فإنهما يجتمعان في المعنى، وكما أن الحب نتيجة الإحسان، كذلك البغض نتيجة الإساءة، وكما أن المُنعم عليه لا يتهنّأ بنعمته الواصلة إليه إلا بالشُّكر لواهبها، كذلك المُساء إليه لا يجد بَرْدَ غُلَّته ولذّة حياته إلا بأن يشكو صاحب الإساءة، وإلا بأن يهجو المانع، ويذمّ المقصّر، ويثلُب الحارم ويُنادي على الخسيس الساقط، والنّذل الهابط، في كلّ سوق، وفي كل مجلس، وعند كل هزلٍ وجدّ، ومع كل شكل وضدّ؛ ميزانٌ عدْل، ووزنٌ بقسطٍ، ونصفة مقبولة، وعادةٌ جارية على وجه الدَّهر.

---

(١) أخبار أبي تمام، ص/٢٢

وقلتَ: ومَن وجع قلبه وجَعك، وألم علّته ألمك؛ وحُرم حرمانك، وخُيّب خيبتك، وجُرّع ما جُرّعته، وقُصد بما قصدت به، وعومِل بما شاع لك، قال وأطال، وكرّر وسيّر، وأعادَ وأبدى، وعرَّض وصرَّح، ومرَّض وصحّح، وقام وقعد، وقرّب وبعّد؛ وإنّ عيناً ترقد على الضّيم للعمى أحسن بها، وإن نفساً تقِرُّ على الخَسْف للموت أولى بها من حياتها.

وقلت: أما سمعت قول العاتب على ابن العميد في رسالته حين قال الحقّ له؟ قال: وليعلم المرءُ – وإن عزّ سلطانه، وعلا مكانه، وكثُرت حاشيته وغاشيته، وملَك الأعِنّة، وقاد الأزمَّة – أنه يُنْعَم له في الحمد على الحسن، والذم على القبيح، وأن المخوف يرتاب من ورائه كما يقرَّع المأمون في وجهه، فأعلاهما حالاً أكثرهما عند التقصير وبالا.

وهذا بابٌ يعرفه من الناس مَن ساسَ الناس؛ وهذا الكاتب يُعرف بالأشَلّ.

وقلتَ أيضاً: ولست أسألك أن لا تذكر من حديثهما إلا ما كان جالباً لمقتهما، وداعياً إلى الزِّراية عليهما، وباعثاً على سوء القول والاعتقاد فيهما، بل تُضيف إلى ذلك ما قد شاع لهما وشُهر عنهما، من فضائل لم يَتْلُثهما فيها أحد في زمانهما، ولا كثير ممن تقدّمهما؛ فإنّ الفائدة المطلوبة في أمرهما وشرْح حديثهما، تأديب النفس واجتلاب الأنس، وإصلاح الخلق، وتخليص ما حُسن مما قبُح، وتسليط النظر الصحيح، مع العدل المحمود فيما أشكل واشتبه بين الحسن المطلق والقبيح المطلق، وقلتَ: ومما ينبغي أن لا تُغفله ولا تَذهب عنه، وتطالب نفسك بالتيقُّظ فيه، والتَّجمع له: باب **اللفظ والمعنى** في الصدق والكذب، فإنّك إن حرّفت في هذا بعض التحريف، أو جزَّفت في ذاك بعض التجزيف، خرج معناك من أن يكون فخماً نبيلاً، ولفظُك من أن يكون حُلواً مقبولاً، لأنّ الأحوال كلها – في اصلاحها وفسادها – موضوعة دون اللفظ المُونق، والتأليف المُعجِب، وقُبل فاسد معناه لصالح لفظه! وقلتَ: وإنما نبّهتك على هذا شفقة عليك، وحرصاً على أن لا يكون لُمْنتٍ وعائبٍ طريق إليك، وأنت – بحمد الله – مُستوصٍ لا تُحوج إلى تنبيه بعنف، وإن أحوجت إلى إذكار بلُطف؛ وقد كان البيان عزيزاً في وقت البيان، والنُّصح غريباً في وقت النُّصح، والدّين مُسترَفاً في وقت الدين، إذ الحكمة مُعانقةٌ بالصّدر والنحر، مُقبَّلة بكل شفةٍ وثغر، مخطوبة من جميع الآفاق، يُقرع من أجلها كلُّ باب، ويَحرق على فائتها كلُّ ناب، والأدب متنافس فيه، محروص على الاستكثار منه، مع شُعَبه الكثيرة وطرائقه المختلفة؛ والدين في عرض ذلك مَذبوب عنه بالقول والعمل، مرجوع إليه بالرِّضا والتسليم، مقنوع به في الغضب والحِلم؛ فكيف اليوم وقد استحالت الحال عجماء، ومَلك الغنى والثّراء الرؤساء والعلماء، وقلّ الخائض فيما كسبَ زيادةً أو نفى نقيصة، وأورث عزّاً أو أعقب فوزاً.

وقلت:." (١)

"قال: وأعجبُ من ذلك قول جرير فيما رواه الصُّولي: إذا مدحتم فاختصروا، وإذا هجوتم فأطيلوا؛ فإن الناس لا يملُّون الشَّر.

ورأيته يوماً، وقد جَرَى وانقطع ظهره؛ فإنه قال: قولهم: " إنها لإبلٌ أم شاءٌ " ، معناه: بل شاءٌ.

فقال له الخَنْسكي: فما تصنع بقوله عزّ وجل: (أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ؟) أَ تُراه أراد به: بل اتّخذ مما يخلق بناتٍ، وهذا كفر؟ فما دارَ لسانُه بشيءٍ على حدّته وكثرة هَذَيانه.

---

(١) أخلاق الوزيرين، ص/٣

وحدثني العَبسي، وقد جَرى ذكر ابن عباد:

لقد أتانَا حديث ما نكذّبه ... عن الرّسول روَيناه بإسنادِ

أن تطلُب الخيرَ ممَّن وجهُه حَسَنٌ ... فكيف تطلبه عند ابن عبَّادِ

مشوَّه الخَلْق لا دينٌ ولا حسَبٌ ... كالقِرْد ما عندَه خيرٌ لُمرتَادِ

فقلت: لمن الشّعر؟ فإنه واقع جدّاً.

فقال: هو لأدريس بن أبي حَفصَة.

قلتُ له: كأنه ما عَنَى غير صاحبنا.

وقال له يوماً ابن ثابت: روَى البخاري في " التاريخ " أن سعداً مولى أبي بكرٍ روَى أن رجلاً شكا إلى النبي صلى الله عليه صفوان بن المعَطَّل، وقال: إنه هجاني.

فقال: دَعوه، إنه خبيث اللسان طيّب القلب.

فما تأويل: " خبيث اللسان وطيّب القلب " ؟ فقال: البُخاري حشَويٌّ فُشَرِيّ، ليس عليه مُعوّل، ولا لقوله مُتأوَّل.

وسئل يوماً عن قول الله عز وجل: (فَإنْ يَشَإِ اللهَ يَخْتِمْ عَلى قَلْبِك وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِل)، كيف نَظْمه وتمامُه في **المعنى واللّفظ؟** فصاح على السائل وقال: أَ تسأل عن النَّظم، وأنت لا تعرف الرّقم ولا العَقْم ولا الصَّدْم ولا الرَّدْم؟ وأوصل إليه الوّليديّ مسائل من جماعة من أهل نيسابور، كان فيها؟ ما معنى: (إنَّما يَفْتَرِي الكَذِبَ الذِين لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ الله وأُولاَئِكَ هُمُ الكاذِبُون)؟ قد علمنا أن من كذب فهو كاذب.

وكان فيها: ما معنى قوله تعالى: (لا تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اثْنَيْن)، وقد علمنا أن إلهين لا يكونان إلا اثنين؟ ولا قناعة لنا بقول من قال: هذا توكيد؛ فإن المطالبة فوق التوكيد؛ وأضعف المتكلّمين في القرآن من زعم أن شيئاً منه زائد، وأن كذا وكذا لغوٌ، وأن هذا على وجه التوكيد، ونحن وإن كنا نعلم أن التوكيد مذهب العرب، وكذلك الزيادة والحذْف والإضمار، فالحكمة المطلوبة غير ذلك.

وعرض عليّ الوليدي المسائل، وكان فيها: ما معنى قول الله عزّ وجلّ: (لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)؟ وما وجه قول القائل: " لا تجعَل " فيما لا يُجعل؟ أو جائز أن يقال للإنسان: لا تنظر برجلك، ولا تمش بعينك؟ فإنّ قيل: لا، لأن هذا لا يُخاف، قيل: وكذلك لا يجعل الله، أحداً مع القوم الظالمين، لأن هذا لا يُخاف.

وما معنى قوله: (مَا تَسْبقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُون)، وقوله: (ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يا مُوسَى)، وقوله: (وأَلَقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مَنّي)، وعن قوله عزّ وجل: (وَتِلْكَ الأَيامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ)؟ وما معنى قوله: (لَقَد كَان فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسَّائِلِين)؟ خَبّرنا عن الآيات، أكانت في أفعالهم أو في أبدانهم؟ وما معنى: (مَنْ يُرِدِ الله فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً أُولاَئِكَ الذِينَ لَمْ يَرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ)؟ وخبّرنا عن قوله: (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقهَا) وعن قوله: (فإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيّ) وما معنى: (وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلاّ مَنْ رَحِمَ رَبُّك، ولِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) أَ لِلاختلاف أم للرَّحمة؟ فإن قيل: للرحمة، قيل: فالمختلفون هم الذين خلقهم للرحمة، فما معنى: (وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلاَّ مَن رَحِمَ رَبُّك)؟

فقد أخرج من رحم من الاختلاف وللرحمة خلقهم، فإذا كان كلهم للرحمة خُلقوا فكلّهم غير مختلفين، لأنه نفى عنهم الاختلاف وهم الجميع، فأين المراد بالآية؟." (١)

" والعرب تسمي الحية الخفيف الجسم النَّضْنَاضَ (شَيْطَاناً) ويقال : منه قولُ الله عز و جل : (طَلْعُهاً كَأَنَّهُ رُءُوسَ الشَّيَاطِين) . باب معرفة في جواهر الأرض

(القِطْر) النُّحَاسُ ومنه قول الله عز و جل : (وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ القِطْر) (والآنُكُ) الأسْرُبُ) ومنه الحديث : (مَنِ اسْتَمَعَ إلى قَيْنَةٍ صُبُّ في أُذُنَيْهِ الآنُكُ يومَ القيامة) (والنَّضْرُ) الذهب وهو (العِقْيَان) أيضاً ٢٢٢ (واللُّجَيْن) الفضة (والصَّرفَان) الرصاص ومنه قول الزّباء :

(مَا لِلْجَمالِ مَشْيُهَا وَئِيداً ... أَجَنْدَلاً يَحْمِلْنَ أمْ حَدِيداً)

(أَمْ صَرَفَاناً بَارِداً شَدِيدَا ... أَمِ الرِّجَالَ جُثَّماً قُعُودَا) باب الأسماء المتقاربة في **اللفظ والمعنى**

(النَّضْخ) أكثر من (النَّضْح) ولا يقال في النضخ فَعَلْت

(والحَزْمُ) من الأرض : أَرْفَعُ من (الحَزْنِ)

(والقَبْضُ) بجميع الكف (والقَبْصُ) بأطراف الأصابع وقرأ الحسن : (فَقَبَصْتُ قَبْصَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُول) ." (٢)

"مثلما ظهر التوازن . وهو وجهٌ آخر للهدوء . من خلال حوار صوتي تمثّل في صوت الخاء وهو صوت مهموس وصوت الضاد وهو صوت مجهور، ظهر أيضاً في توزّع الزحافات التي تعرّض لها البيت، فهو الموزون على:

لم أزل بارد الجوانح مذ خضـ /٠/٠//٠/ ///٠/ ///٠/ فاعِلاتن متفعِلن فعِلاتن ز ... خضت دلوي في ماء ذاكَ القليبِ /٠//٠/٠/ /٠/٠//٠/ /٠//٠/٠ فاعلاتن مستَفْعلن فاعلاتن ز

حيث تعرّض الشطر الأول إلى زحاف" الخبن" في كلٍّ من " مستفعلن متفعلن، فاعلاتن (العروض) فعلاتن "، بينما لم يتعرّض الشطر الثاني إلى أيّ زحافٍ في محاولةٍ من الشاعر لخلق حالة التوازن النغمي في إيقاع البيت المعتمد أصولاً على موسيقاه المزدوجة.

ويقول أيضاً (١):

وعلا عارضيه ماء الندى الجا ز ... ري وماء الحجى وماء الشبابِ ز

يلفت انتباهنا بادئ ذي بدء " التدوير " بوصفه فرعاً من فروع الموسيقا الداخلية، يؤازره في بناء الإيقاع العام للبيت " الترديد " من خلال تعليق الماء بمتعلقاتٍ ثلاث " الندى، الحجى، الشباب "، وبموجب ذلك يأخذ مرموز الماء مع كلّ متعلق معنى إضافياً يغني الإيقاع من حيث اللفظ بتكرار مفردة " ماء "، ومن حيث المعنى، إذ نحن أمام ثلاث من خلال المتوفى " أحمد بن هارون القرشي "، فهو الكريم السخي وهو العاقل الحكيم، وأخيراً هو الشاب الشجاع. إذاً إيقاع البيت

---

(١) أخلاق الوزيرين، ص/٥٣

(٢) أدب الكاتب، ص/١٧٠

ينشأ بالاعتماد على ثنائية تعدّديّة قوامها **اللفظ والمعنى**، ما يدفع بأبي تمام إلى استخدام صيغة المثنى كلّما سنحت له الفرصة " عارضيه " دلالة على ولعه بهذا الصيغة، وإذا لم يتمكن من ذلك نزع إلى استخدام الترادف أو الطباق أو الجناس تحقيقاً لهذه الغاية التي ربّما بسببها نحصل على إيقاعٍ متميّز لا رتابة فيه ولا ضوضاء، وهذا ما تؤكده الموسيقا الخارجية للبيت السابق بالنظر إلى وزنه الموسيقي وقد نظم على البحر الخفيف؛ وهو بحرٌ غنائيٌّ إيقاعي في الغالب.

---

(١) . التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، م ٤ . ص ٥٢.." (١)

" ٪ (وقالوا أفق من سكرة اللهو والصبا ٪ فقد لاح صبح في دجاك عجيب) ٪ ٪ (فقلت لهم كفوا الملام وأقصروا ٪ فإن الكرى عند الصباح يطيب) ٪ | وهذا معنى مليح أظنه ما سبق إليه . وأول من تهاون بالشيب جرير في قوله : ٪ (يقول العاذلات علاك شيب ٪ أهذا الشيب يمنعني مراحي) ٪ | وتبعه الناس فمن أحسنهم قولا فيه ابن الرومي حيث يقول : ٪ (لاح شيبي فرحت أمرح فيه ٪ مرح الطرف في العذار المحلى) ٪ ٪ (وتولى الشباب فأزددت غيا ٪ في ميادين باطلي إذ تولى) ٪ ٪ (إن من ساءه الزمان بشئ ٪ لأحق امرئ بأن يتسلى) ٪ | وهذا من قول أحمد بن زياد الكاتب : ٪ (ولما رأيت الشيب حل بياضه ٪ بمفرق رأسي قلت للشيب مرحبا) ٪ ٪ (ولو خلت أني إن كففت تحيتي ٪ تنكب عني رمت أن يتنكبا) ٪ ٪ (ولكن إذا ما الكره حل تسامحت ٪ به النفس يوما كان للكره أذهبا) ٪ | وفي ألفاظ هذه الأبيات زيادة على معناها ، وأبيات ابن الرومي متوازنة **اللفظ والمعنى** مع إصابة تشبيهه في وقوله : ٪ (مرح الطرف في العذار المحلى ٪) ٪ | وقد بالغ في ذم الشيب أبو تمام فقال : ٪ (دقة في الحياة تدعي جمالا ٪ مثل ما سمى اللديغ سليما) ٪ ٪ (غرة مرة إلا إنما كنت ٪ أغرا أيام كنت بهيما) ٪ | وقال ابن المعتز : ٪ (لقد أبغضت نفسي في مشيبي ٪ فكيف تحبني الخود الكعاب) ٪ | وقلت : ٪ (فلا تعجبا أن يعبن المشيب ٪ فما عبن من ذاك إلا معيبا) ٪ ٪ (إذا كان شيبي بغيضا إلي ٪ فكيف يكون إليها حبيبا) ٪ ٪ (وقد كنت أرفل برد الشباب ٪ قشيبا وأرفل وشيا قشيبا) ٪

---

(٢) ".

"البحر : - (للذات ذات وللأسماء أسماء ** تدري حقيقته سعدى وأسماء) (فاخرج عن **اللفظ والمعنى** لأنهما ** رمز إلى الذات والأسما وإيماء) (هي الحقيقة في كل الأمور سرت ** سرا وقامت بها في الجهر أشياء) ٤ (تنزهت عن فهوم العارفين بها ** وإنما هم على الذكرى أدلاء) ٥ (لا تسأل الكون عنها فهو يجهلها ** وعنه سلها ففيها منه أنباء) ٦ (كن طالبا علمها منها تجده بها ** محققا وعلى التحقيق لألاء) ٧ (ما في الورى أحد إلا بقوتها ** له مدى عمره منع وإعطاء) ٨ (والناظرون بها والسامعون بها ** وإن يكن عندهم للأمر إخفاء) ٩ (وتسعد الناس أو تشقى بلا غرض ** فهي الدواء كما تختار والداء) ١٠ (شمس وعن علمها كل الورى ظهروا ** كأنما هم ظلالات وأفياء)

---

(١) إيقاع المهن في شعر أبي تمام، ص/٢٧

(٢) ديوان المعاني، ٢/١٥٧

(١) ".

"١(ورثنا رسول الله علما محققا ** لتنزيل قرآن لدينا بنا منا)(ألا أن أهل الجنة الغافلون أن ** على الصدق في الإيمان دانوا كما دنا)(وفي شغل عن ربهم أهل جنة **كما الله في القرآن أسمعه الأذنا)٤ (وهم يتقون الله مع جهلهم بهفَخُذْ لبَّ هَذا الأمرِ واتركْ قشورَهُ لقوم بِهِ هُمْ قانعونَ وَجَنْبَنَا ** إذا جانبوا التأويل والمذهب الأدنى سقط بيت ص)٥ (ولا تحتفل بالتابعين عقولهم ** ودعهم يقولوا ما يقولونه ظنا)٦ (كما أنكروا توحيدنا بجهالة ** وصاروا علوم الله ينفونها عنا)٧ (ونحن ملأنا الكون علما بربنا ** فلا منشد لا بأياتنا غنى)٨ (وقد جاء في القرآن عن مثلهم فلا ** نقيم لهم يوم القيامة أي وزنا)٩ (وحيّ على ما قلته لك يا فتى ** تجد علم أهل الله والمورد إلا هني)٠ (وحقق معاني ما ذكرت وقل به ** وإلا فسلم واترك **اللفظ والمعنى**)

(٢) ".

"٢(ولك الله حفيظاً ولنا ** حيثما كنت وما شئتَ افعلِ)(و جرِ حكمَ الحبّ فينا وبنا ** أنت مرضيٌّ وإنْ لم تعدل)(حبذا مجلِسُنا من مجلسِ ** جامعٌ كلَّ غريبٍ وعجيب)٤ (نغمُ العودِ وشعرُ الأخرس ** ومحبٌ مستهام وحبيب)٥ (يتعاطون حياةَ الأنفسِ ** في بديع **اللفظ والمعنى** الغريبْ)٦ (بابليّ السحر معسول الجنى ** أين هذا مشتيارِ العسلِ)٧ (وإذا مرَّ نسيمٌ بيننا ** قلتُ هذا ويحكم من غَزَلي)٨ (آهٍ ممَّن ساءَني في نُسْكِهِ ** ويراني حاملاً عبءَ الذُّنوبْ)٩ (قد عرفنا زيفه في سكبه ** فإذا كلُّ مزاياه عيوبْ)٠ (قال لي تبتُ وذا إفكه ** أنا لا والله لا أرضي أتوب)

(٣) ".

"٣(والطبع إن روضته ** ذللت بالطبع الصعابا)(لا تؤخذ الدنيا اجتدا ** تؤخذ الدنيا غلابا)(راجع ضميرك ما استطعت ولا تهادنه عتابا **)٤ (طوبى لمن لم يمض في ** غي تبينه فتابا)٥ (ألوزر مغفور وقد ** صدق المفرط إذ أنابا)٦ (يا منشئا هذي الرواية ** إن رأيك قد أصابا)٧ (**باللفظ والمعنى** لقد ** سالت مواردها عذابا)٨ (حقا أجدت وأنت أحرى من أجاد بأن تثابا **)٩ (وأفدت فالمحمول فيها طاب والموضوع طابا **) ٤٠ (يكفيك فضلا أن عمرت بها من الذكرى خرابا **)

---

(١) ديوان عبد الغني النابلسي، ص/٤٢

(٢) ديوان عبد الغني النابلسي، ص/١٦٧٤

(٣) ديوان عبد الغفار الأخرس، ص/٤٧٢

". (١)

"البحر : بسيط تام (يا نافخَ الصورِ بل يا نافخَ الصورِ ، ** من رقدةِ السكرِ لا من ظلمةِ الحفرِ) (قرنتَ حسنكَ بالإحسانِ فيهِ لنا ، ** فكانَ فيكَ مُرادُ السّمعِ والبَصَرِ) (ضمنتَ للصحبِ إقبالَ السرورِ كما ** ضَمّنتَ نايَكَ نأيَ الهمّ والكَدَرِ) ٤ (صوتٌ بَسيطٌ بِهِ أرواحُنا انبَسطَتْ ، ** إذ جئتَ في **اللفظِ والمعنى** على قدَرِ) ٥ (إذ ترنمَ ساوَى وزنَ نغمتهِ ، ** وإن عَلا جاءَ بالتّرخيمِ في الأثَرِ) ٦ (يكادُ تخرسُ صوتَ العودِ صرختُه ** حتى كأنّ لهُ وتراً على الوترِ)

". (٢)

"مصادر الشعر الجاهلي

مدخل

٢- والشبه كبير بين الشعرين العربي الجاهلي والهومري في الصفات العامة للتعبير الشعري، فهما يتسمان بالنضارة والغضارة والبساطة، وبالفتنة التي نعزوها إلى "طفولة العالم" عند اليونان، و"سذاجة البداوة" عند العرب. ومع ذلك فما أشبه الشعر الجاهلي العربي بالشعر الهومري الذي "تعالى عن خشونة الشكل، وتجنب الصراع الناشب بين **المعنى واللفظ**، وارتفع عن الحوشي المبتذل من أساليب القول، واستطاع أن يحتفظ بمستواه الرفيع حفظا متزنا، وبذلك تجنب هذه الخصائص التي يتصف بها الأدب في عصره البدائي. وهذه الميزات العامة هي التي يصفها ماثيو أرنولد -في محاضراته الممتازة عن ترجمة هومر- حيث يقول: إن لأسلوب هومر أربع مزايا كبرى: فهو منساب متدفق، سهل ميسور في فكرته، واضح في خياله، ونبيل سام"١.

٣- ولقد اختلف العلماء من دارسي الأدب في تدوين هذين الشعرين:

الجاهلي العربي والهومري الإغريقي. فذهب فريق منهم إلى أنهما لم يكتبا منذ أن نظما، بل بقيا محفوظين في صدور الرجال ترويهما الأجيال المتعاقبة وينشدهما الأفراد في المجالس والمحافل قرونا طوالا قاربت الثلاثة عند العرب وأربت على ذلك عند الإغريق. وذهب فريق آخر منهم إلى أن هذا الشعر قد كتب منذ أن قاله شعراء العرب في الجاهلية وهومر عند اليونان. أما تفصيل هذا الأمر عند العرب فقد بسطنا فيه القول في الفصول المتقدمة وسنعود إليه في مواطن متفرقة فيما سيلقانا من صفحات. وأما تفصيله عند اليونان فهو ما سنوضحه بعد قليل.

---

١ Jebb. Homer p. 12.

---

(١) ديوان خليل جبران، ص/١٧٠

(٢) ديوان صفي الدين الحلي، ص/٧٩٩

٢٩٠ ٧١٧." [1]

"مصادر الشعر الجاهلي

آراء العرب والمحدثين

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن "المقياس المركب" فيقول١: "يجب أن ننبه من الآن إلى أننا لم نوفق بعد لمقياس علمي نستطيع أن نطمئن إليه حقا، ولكننا مع ذلك لم نيأس من الوصول إلى مقياس أو مقاييس، إلا تفد اليقين، فقد تفيد الظن، وقد تنتهي أحيانا إلى الترجيح الذي يقرب إلى اليقين. نحن لا نعتمد على اللفظ وحده، ولا نعتمد على **اللفظ والمعنى** ليس غير، وإنما نعتمد على **اللفظ والمعنى** وعلى أشياء أخرى فنية وتاريخية". وهو لا يكتفي **باللفظ والمعنى** لأنهما وحدهما لا يمنعان "إمكان التقليد والتزييف". أما هذه الأشياء الأخرى التي ذكرها فهي "الخصائص الفنية. وهذه الخصائص الفنية يمكن أن تلتمس عند شاعر واحد، عند زهير مثلا، ويمكن أن تلتمس عند طائفة من الشعراء..." ثم يتحدث عن أن هذه الخصائص الفنية إذا اجتمعت لطائفة من الشعراء أصبحت هذه الطائفة "مدرسة شعرية" ثم يفصل القول في إحدى هذه المدارس وهي المدرسة التي تتألف من: أوس بن حجر وزهير والحطيئة وكعب بن زهير.

٣

وكان لكتاب "في الشعر الجاهلي" أثر كبير، ودوي شديد؛ فأشرع كثير من العلماء والأدباء أقلامهم وتناولوا الكتاب وما فيه بالنقد والنقض، وتفاوت نقدهم واختلفت طرائقهم: فاعتدل بعضهم والتزم حدود الموضوع، ومضوا ينقدون في أسلوب هادئ ولفظ عف، وغلا بعضهم فاشتد واشتط، وتجاوزوا الكتاب إلى صاحب الكتاب. ونشر أكثر ذلك في صحف ذلك العهد، ثم جمع بعضه في كتب هي: كتاب "نقد كتاب الشعر الجاهلي" للأستاذ محمد فريد وجدي، وكتاب "الشهاب الراصد" للأستاذ محمد لطفي جمعة، وكتاب "نقض كتاب في الشعر الجاهلي" للسيد محمد الخضر حسين، وكتاب

---

١ ص٢٩٦-٢٩٧.

٤٠٢ ٧١٧." [2]

"قيل لأبي عمرو بن العلاء: لم كانت العرب تطيل؟ قال: ليسمع منها. قيل: فلم توجز؟ قال: ليحفظ عنها؛ وقد قال الشاعر في هذا المعنى:

يرمون بالخطب الطوال، وتارة ... وحي الملاحظ خيفة الرقباء

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي، /

(٢) مصادر الشعر الجاهلي، /

وقال ابن قدامة: البلاغة ثلاثة مذاهب: المساواة وهي مطابقة **اللفظ والمعنى** لا زائدا ولا ناقصا، والإشارة وهي أن يكون اللفظ كاللمحة الدالة، والتذييل وهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، ليظهر لمن لم يفهمه ويتأكد عند من فهمه.

شاعر:

يكفي قليل كلامه وكثيره ... ثبت إذا طال النضال مصيب

وأمر يحيى بن خالد كاتبين أن يكتبا في معنى، فأوجز أحدهما وأطال الآخر، فقال للموجز، لما نظر في كتابه: لم أجد موضع مزيد، وقال للمطيل: لم أجد موضع نقصان. وقال جعفر ابن يحيى: إذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار هذرا، وإذا كان التطويل واجبا كان التقصير عجزا.

استقباح إعادة الحديث:

قيل: الحديث الرجيع، كالحدث والرجيع. وقيل: إذا أعيد الحديث ذهب ضوؤه ورونقه. قال ابن السماك لجارية له تصغي إلى كلامه: كيف تجدين كلامي؟ قال: ما أحسنه إلا أنك تكثر ترداده! قال: إنما أردده ليفهمه من لم يفهمه! قالت: إلى أن يفهمه من لم يفهمه مله من قد فهمه. وقيل لرجل كلاما لغبي: قد ثقل كلامك على الذكي، قبل حصوله في قلب الغبي.

ذم إطالة الحديث:

قيل: من أطال حديثه فقد عرض أصحابه للسآمة وطول الاستماع. وقال سقراط لرجل: أنساني أول كلامك بعد العهد بآخره، وفارق آخره فهمي لتفاوته. وخطب رجل خطبة نكاح، فأخذ يطيل فقام بعض الحاضرين فقال: إذا فرغ الخطيب فبارك الله لكم، فإني على شغل.

الموصوف بالفصاحة:

سمع أعرابي الحسن يتكلم فقال: هو فصيح إذا لفظ نصيح إذا وعظ. وقال:

ملقن ملهم فيما يحاوله ... جم خواطره جواب آفاق

وقيل: انتهت الفصاحة إلى أربع: علي وابن عباس وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم. قال الشعبي: ما رأيت أحدا يتكلم فيحسن إلا أحببت أن يسكت، إلا زياد فإنه لم يخرج قط من حسن إلا إلى ما هو أحسن منه. وقال يحيى بن زياد: فلان أخذ بزمام الكلام فقاده أحسن مقاد، وساقه أحسن مساق، فاسترجع به القلوب النافرة واستصرف له الأبصار الطامحة. وقيل: كلام كنظم الجمان وروض الجنان، فكأنه من كل قلب ينظم.

أبو تمام:

من السحر الحلال لمجتنبه ... ولم أر قبله سحرا حلالا!

الخنساء:

كأن كلام الناس جمع حوله ... فأطلق في إحسانه يتخير

فضيلة اللسان:

قال العباس رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: فيم الجمال؟ قال: في اللسان. وقيل: ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة

مهملة أو صورة ممثلة. وذكره بعضهم فقال: لله دره من عضو ما أصغره وأكثر ضره ونفعه! وقيل: مروءتان ظاهرتان: الفصاحة والرياش.

موصوف لسانه بالصرامة:

قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضي الله عنه: ما بقي من لسانك؟ فضرب به أرنبته وقال: والله لو وضعته على شعر لحلقه أو على صخر لفلقه! قال الله تعالى: سلقوكم بألسنة مداد. ووصف أعرابي رجلا فقال: لسانه أدق من ورقة وألين من سرقة.

الغساني:

له بين فكيه لسان كأنه ... حسام دقيق الشفرتين عتيق

آخر:

وللسيف أشوى وقعة من لسانيا

آخر:

وحسبت أنه لسانه من عضبه

وصف كلام بالسلاسة:

قيل: لو كان الكلام طعاما لكان هذا أداما. كلام يقطر عسله. هذا والله نثر نغم أحسن من نثر نعم. كلام كالويل في المحل. وتكلم المأمون بكلام حسن في مسألة ثم قال لبعض ندمائه: كيف كان الكلام في هذه المسألة؟ قال: كان والله كغيث وقع على أرض عطشة. فقال: جوابك هذا أحلى لدي من الأمن بعد الخوف! المتنبي:

إذا ما صافح الأسماع يوما ... تبسمت الضمائر والقلوب!

قال ابن المقفع: ما زالت ينابيع حكمه تترقرق في معابر الآذان حتى ملأت القلوب عقولا، اللفظ لحسن إحدى النفاثات في العقد. وقيل في وصف كلام: إنه يحط الجندل ويثقب الخردل، وإنه دون السحر وفوق الشعر.

لفظ ساعد المعنى في الجودة:

مدح أعرابي رجلا فقال: كأن ألفاظه قوالب لمعانيه. قال الشاعر:

تزين معانيه ألفاظه ... وألفاظه زائنات المعاني." (١)

"قال: عليه الدرانك: البسط: وأنشد:

دار لليلى خلق لبيس ... ليس بها من أهلها أنيس

إلا اليعافير وإلا العيس ... وبقرٌ ملمع كنوس

وقال آخر:

وحوقلٍ ذبذبه الوجيف ... ظل لأعلى رأسه رجيف

---

(١) محاضرات الأدباء، ٢٢/١

يقول والعيس لها حفيف ... أكل من ساق بكم عنيف

وحدثنا أبو العباس قال: قال رجل لابن عباس: أكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر والعصر؟ قال: لا. قال: أفكان يقرأ في نفسه؟ قال: لا. فقال: " حمسا " . قال أبو العباس: أي هذا بلاءٌ، ويقول هذا شر. والحمس لا يكون إلا عند البلاء.

وقال أبو العباس: نداء النفس على أربع لغات، يا نفس اصبري، ويا نفس اصبري، ويا نفس اصبري، ويا نفسا اصبري. من قال " يا نفسا " بين الفتح والكسر فإنه أراد يا نفساه، فحذف الهاء. ومن قال " يا نفس " فإنه لما رأى أنه قد حذف الهاء وبقى ألف حذف الألف وأشار إلى موضعها بالفتح. ومن قال " يا نفس " فإنه حذف الياء وأشار إليها بالكسر.

وقال أبو العباس في قوله عز وجل: " يوم ينادي المناد من مكانٍ قريبٍ " قال: يسمع كل واحدٍ، ويقال إنه يقوم على صخرة البيت المقدس فينادي. وقال في قوله عز وجل: " فأستعذ بالله " بعد " فإذا قرأت القرآن " قال: هو كقولك إذا قمت فأحسن، فأول ما يقوم يجب الإحسان.

إذا قلت: قام زيد وعمرو، فإن شئت كان عمرو بمعنى التقديم على زيد، وإن شئت كان بمعنى التأخير، وإن شئت كان قيامها معاً. فإذا قلت قاما معاً كانا فيه سواءً لا غير.

وقال أبو العباس: قلت لابن قادم: قام عبد الله وزيد معاً. وقام عبد الله وزيد جميعاً، ما بينهما من الفرق؟ فبقي يركض فيها إلى الليل، فلما أصبح قلت له: إنما ها هنا ابن يحيى أحمد. وفسر ذلك فقال: قام زيد وعمرو معاً، لا يكون القيام وقع لهما إلا في حالة، وإذا قلت قاما جميعاً فيكون في وقتين و في واحد؛ لأنك تقول مات زيد ومحمد جميعاً، فيكون الوقت متخلفاً، وإذا قلت: قام ذا مع ذا، لم يكن القيام إلا في وقت واحد.

من هو قائم جاريتك ومن هو يقوم جاريتك، جيد ولا يقطع منه ولا ينسق عليه، ويسمى، مجهولاً، وهو يشبه من هو قائمة جاريتك. قال: قد أخرج المعنى ولا يؤكد هو ولا " الضمير " في قائم. من هي قائمة جاريتك، قال قد أخرج المعنى كله.

قال: وقلت لابن قادم: " من " مسألتان. فقال: لا، ثلاث مسائل. فقلت: مسألتان. فقال: ثلاث. فقلت: بين لي حتى أسمع وأفهم. فجاء باللفظ ثم جاء بالمعنى، ثم جاء **باللفظ والمعنى** فقلت: هذه هم تلك بعد. وفسر فقال: من مسألتان: لفظ ومعنى من قام إخوتك وإخوانك بمعنى، فقابلها بما شئت والأول مجهول. وإذا قلت يقوم جاريتك ويقومان ويقوم، جئت به على **المعنى واللفظ**. فإذا جمع بينهما فقيل من هو قائمة جاريتك، جاء باللفظ وجاء بالمعنى، فليس يزيد على هذا، وهي تلك إلا أنه جاء بها **باللفظ والمعنى**. من هو أخوك هند، قال: لا يجوز. وقال الفراء: من هو أختك هند، قبيح، والأسماء لا تخرج على اللفظ بما تخرج الأفعال. من قال كلهن قائمات لم يقل كلهن أخوك.

وقال أبو العباس في قوله عز وجل : " قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم " قال: إذا كان الموت واحداً يقصد له فالذي بعده خبر وإذا كان ضروباً فالذي بعده نعت، وإذا كان واحداً لم يكن جزاء، وإذا كان ضروباً كان جزاء.

" يا ابن أم " قال: يريد أماه: ويقال جعله حرفاً واحداً. ومن تأول إسقاط الهاء أجود.

ويقال هذه الحلف مني صرى، وأصرى، " وصرى " " وأصرى " ، أربع لغات، مثل عزيمتي وحقيقة عزمي.

يا غلام أقبل، تسقط الياء منه، ويا ضاربي أقبل، لا تسقط الياء منه. وذلك فرق بين الأسم والفعل.

وإذا كان الفعل يدوم فالماضي والمستقبل واحد. صلى يصلي، وصام يصوم، واحد.

وأنشد:

شهد الحطيئة حين يلقى ربه ... أن الوليد أحق بالعذر

قال: هو بمعنى يشهد:." (١)

"يقول: هذه الرماح تقطع على الكماة والملوك دروعهم وجواشنهم، وتخرق إليهم الحصون والأسوار والخنادق حتى تصل إليهم، وتفتح بلادهم.

يغير بها بين اللّقان وواسطٍ ... ويركزها بين الفرات وجلّق،

اللقان: موضع ببلد الروم، وقيل: جبل. وواسط: مدينة بالعراق بناها الحجاج بن يوسف والفرات: معروف يجيء من بلاد الروم، ويمر على أطراف الشام، حتى ينتهي إلى العراق، ويلتقي مع دجلة أسفل بغداد فيصيران نهراً واحداً، ويمران على البصرة ثم إلى البحر. وجلق: موضع بدمشق.

يعني لا يزال أبداً يغير برماحه مرة في بلاد الروم، ومرة على البوادي التي في العراق، ويركزها بين الفرات وجلق، لأنها دار مملكته ومعدن ولايته.

ويرجعها حمراً كأنّ صحيحها ... يبكّي دماً من رحمة المتدقّق

المتدقق: المتكسر، يقال: اندق الرمح، إذا انكسر، ولا يستعمل الأندقاق إلا فيما كان فيه طول، مثل الرمح ونحوه، ويقال: سقط فلان فاندقت عنقه.

يقول: يرجع هو رماحه من الغارات وقد احمرت بالدم، وبعضها قد تكسر في بدن الأعداء، فكأن الصحيح منها يبكي دماً على ما تكسر منها، حزناً عليها، لأنه من جنسه، ودماً نصب على التمييز، ويجوز أن يكون مفعولاً به عن فعل مضمر، دل عليه. يبكي أي يبكي فيجري دماً.

فلا تبلغاه ما أقول فإنّه ... شجاعٌ متى يذكر له الطّعن يشتق

يقول: لا تبلغا يا صاحبي سيف الدولة ما أقول، فإنه شجاع، إذا سمع وصف الشجاعة اشتاق إليها.

وهذا بيت كثير نقله من النسيب إلى الشجاعة، وهو:

فلا تذكراه الحاجبية يشتق

وهذه السرقة قبيحة، لأنه أخذ **المعنى واللفظ** والوزن والقافية.

ضروبٌ بأطراف السّيوف بنانه ... لعوبٌ بأطراف الكلام المشقّق

روى بصير ولعوب والمشقق: الكلام الذي له خط في كل شق. ويقال: فلان يشقق في كلامه. إذا تصرف في معانيه. وقيل: هو المشق من المشة، أي يشق على غير الفصيح التكلم به. يصفه بالشجاعة والفصاحة.

---

(١) مجالس ثعلب، ص/٧٧

كسائله من يسأل الغيث قطرةً ... كعاذله من قال للفلك: ارفق

يقول: هو يجود بالطبع، فمن يسأله كمن يسأل الغيث قطرة.

وقيل: معناه كما أن القطرة لا تؤثر في الغيث، كذلك سائله لا يؤثر في جوده وماله، وكذلك من يعذله على كرمه، لكونه مطبوعاً عليه، كمن يعذل الفلك على دوره. وقال له: ارفق في الحركة.

وقيل: إن من يسأل الغيث قطرة، فقد تكلف ما قد استغنى عنه، وأتى غيثاً، إذ قطراته مبذولة، فكذلك سائل سيف الدولة يتكلف ما لا يحتاج إليه، لأنه يعطى قبل السؤال، فنائله مبذول كقطر الغيث.

لقد جدت حتّى جدت في كلّ ملّةٍ ... وحتى أتاك الحمد من كلّ منطق

أي: من كل ذي منطق.

يقول: عممت بجودك أهل الإسلام، وأهل الشرك، فحصل لك الشكر من كل ذي منطق.

جعل إجابته إلى الصلح، فضلاً منه على الروم.

رأى ملك الرّوم ارتياحك للنّدى ... فقام مقام المجتدي المتملّق

الارتياح: الاهتزاز للعطية، والمجتدي: طالب المعروف. والمتملق: المتلطف في الكلام.

يقول: علم ملك الروم جودك، فبعث إليك رسوله، واستوهب منك أسراء الروم، فقام لك مقام السائل المتلطف في سؤاله، لعلمه أنك لا تخيب سائلك.

وخلّى الرّماح السّمهريّة صاغراً ... لأدرب منه بالطّعان وأحذق

صاغراً نصب على الحال. والدربة في معنى العادة والتجربة. والحذق: إحكام الصنعة.

يقول: إن ملك الروم ترك الرماح على رغم منه، وذل لمن هو أعود للطعان وأحذق به. وأراد به سيف الدولة، يعني أنه ترك قتالك وعدل إلى استعطافك.

وكاتب من أرضٍ بعيدٍ مرامها ... قريبٍ على خيلٍ حواليك سبّق

يقول: كاتبك في الصلح من أرض بعيدة المرام، ولكنها مع بعدها قريبة عليك، وعلى خيلك السوابق التي هي حواليك.

وقد سار في مسراك منها رسوله ... فما سار إلاّ فوق هامٍ مفلّق

المسرى: اسم المكان السري، والهاء في منها للأرض.

يعني: أن رسول ملك الروم سار في الطريق التي سرت فيها إلى بلاد الروم، فلم يسر إلا فوق هام مشققة بسيوفك.

فلمّا دنى أخفى عيه مكانه ... شعاع الحديد البارق المتألّق

البارق المتألق: هو اللامع، وإنما أتبع أحدهما الآخر، لاختلاف اللفظين. والهاء في مكانه للرسول.." (١)

"فأدبرتُ لا ينجُو نَجَائي نقنقٌ ... يبادرُ فرخيه شمالاً وداجنا

من الحصِّ هزروفٌ بطيرُ عفاؤُه ... إذا استدرج الفيفاءَ مدَّ المغابنَا

---

(١) معجز أحمد، ص/٢٨٩

أزجٌّ زلوجٌ هزرفيٌّ زفازفٌ ... هزفٌّ يبذُّ النّاجياتِ الصّوافِنَا

فهذا من الجزل البغيض الجلف، الفاسد النَّسج، القبيح الرّصف، الذي ينبغي أن يتجنّب مثله.

وتمييز الألفاظ شديد. أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن فضل اليزيدي، عن إسحق الموصلي عن أيوب بن عباية: أن رجلاً أنشد ابن هرمة قوله:

بالله ربكَ إن دخلتَ فقلْ لها ... هذا ابن هرمةَ قائما بالبابِ

فقال: ما كذا قلتُ، أكنتُ أتصدَّق؟ قال: فقاعدا. قال: كنت أبول؟ قال: فماذا؟ قال: واقفا. ليتك علمت ما بين هذين من قدر **اللفظ والمعنى**.

ولولا كراهةُ الإطالة وتخوف الإملال لزدت من هذا النوع، ولكن يكفى من البحر جرعة. وقالوا: خير الكلام ما قلَّ وجلّ، ودلّ ولم يملّ. وبالله التوفيق.

الفصل الثاني

في التنبيه على خطأ المعاني وصوابها ليتبع من يريد العمل يرسمنا مواقع الصواب فيرتسمها، ويقف على مواقف الخطأ فيتجنّبها فنقول: إن الكلام ألفاظٌ تشتمل على معان تدلّ عليها ويعبر عنها، فيحتاج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى كحاجته إلى تحسين اللفظ، لأنَّ المدار بعد على إصابة المعنى، ولأنّ المعاني تحلّ من الكلام محلَّ الأبدان، والألفاظ تجري معها مجرى الكسوة، ومرتبة إحداهما على الأخرى معروفة.

ومن عرف ترتيب المعاني واستعمال الألفاظ على وجوهها بلغة من اللغات، ثم انتقل إلى لغة أخرى تهيّأ له فيها من صنعة الكلام مثل ما تهيأ له في الأولى، ألا ترى أن عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي، فحوَّلها إلى اللسان العربي، فلا بكمل لصناعة الكلام إلا من يكمل لإصابة المعنى وتصحيح اللفظ والمعرفة بوجوه الاستعمال.

والمعاني على ضربين: ضربٌ يبتدعه صاحب الصناعة من غير أن يكون له إمام يقتدى به فيه، أو رسوم قائمة في أمثلة مماثلة يعمل عليها. وهذا الضرب ربما يقع عليه عند الخطوب الحادثة، ويتنبه له عند الأمور النازلة الطارئة.

والآخر ما يحتذيه على مثال تقدم ورسم فرط.

وينبغي أن يطلب الإصابة في جميع ذلك ويتوخّى فيه الصورة المقبولة، والعبارة المستحسنة، ولا يتكل فيما ابتكره على فضيلة ابتكاره إياه، ولا يغرّه ابتداعه له، فيساهل نفسه في تهجين. صورته، فيذهب حسنه ويطمس نوره، ويكون فيه أقرب إلى الذم منه إلى الحمد.

والمعاني بعد ذلك على وجوه: منها ما هو مستقيم حسن نحو قولك: قد رأيت زيداً. ومنها ما هو مستقيمٌ قبيح نحو قولك: قد زيداً رأيت. وإنما قبح لأنك أفسدت النظام بالتقديم والتأخير. ومنها ما هو مستقيم النظم، وهو كذبٌ، مثل قولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر. ومنها ما هو محال، كقولك: آتيك أمس وأتيتك غداً. وكلّ محال فاسد، وليس كلّ فاسد محالا، ألا ترى أن قولك: قام زيد فاسد، وليس بمحال. والمحال ما لا يجوز كونه البتة، كقولك: الدنيا في بيضة. وأما قولك:

حملت الجبل وأشباهه فكذب، وليس بمحال، إن جاز أن يزيد الله في قدرتك فتحمله.

ويجوز أن يكون الكلام الواحد كذباً محالاً، وهو قولك: رأيت قائماً قاعداً، ومررت بيقظان نائم، فتصل كذباً بمحال، فصار الذي هو الكذب هو المحال بالجمع بينهما، وإن كان لكل واحد منهما معنىً على حياله، وذلك لّما عقد بعضها ببعض حتى صارا كلاماً واحداً.

ومنها الغلط، وهو أن تقول: ضربني زيدٌ، وأنت تريد ضربت زيداً، فغلطت، فإن تعمدت ذلك كان كذبا.

وللخطأ صورٌ مختلفة نبّهتُ على أشياء منها في هذا الفصل، وبيّنت وجوهها، وشرحت أبوابها لتقف عليها فتجتنبها، كما عرفتك مواقع الصواب فتعتمدها، وليكون فيما أوردت دلالة على أمثله مما تركت، ومن لا يعرف الخطأ كان جديراً بالوقوع فيه. فمن ذلك قول امرئ القيس:

ألم تسألِ الرَّبْع القديمَ بعسْعسَا ... كأني أنادي إذ أكلّمُ أخرسَا

هذا من الشبيه فاسد لأجل أنه لا يقال: كلّمت حجرا فلم يجب فكأنه كان حجراً، والذي جاء به امرؤ القيس مقلوب.

وتبعه أبو نواس فقال يصف داراً:

كأنها إذ خرستْ جارمٍ ... بين ذوي تفنيده مطرق

والجيد منه قول كثير في امرأة:." (١)

"ووجهُ الكلام: أن يقول: لسنا نحقن اللبن فنجعل الأقماع في الوطاب، لأنّ حولنا بيوت أفواههم مقبلةٌ علينا، يرجون خيرنا، فاضطرب نظمُ هذه الأبيات لعدوٍ لها عن وجه الاستعمال.

ومثله:

رأتْ أمّنا كيصا يلفّف وطبَه ... إلى الأنُس البادينَ فهو مزمّل

فقالت فلان قد أغاثَ عيالَه ... وأودَى عيالٌ آخرون فهزّلُوا

ألم يكُ ولدانٌ أعانوا ومجلسٌ ... قريب فيجرى إذ يكفّ ويجملُ

الكيص: الذي ينزل وحده. والوطب: وعاء اللبن. والأنس البادون: أهله لأنه يرده إليهم، فمنهم من يتذمم فيسقى لبنه ومنهم من يرده كيصا مثل فعل الذي ينزل وحده. مزمل: مبرد.

فهذه الأبيات سمجة الرّصف، لأنّ الفصيح إذا أراد أن يعبّر عن هذه المعاني، ولم يسامح نفسه عبّر عنها بخلاف ذلك.

وكان القوم لا ينتقد عليهم، فكانوا يسامحون أنفسهم في الإساءة.

فأما مثال الحسن الرّصف من الرسائل فكما كتب بعضهم: ولولا أنَّ أجود الكلام ما يدلّ قليله على كثيره، وتغنى جملته عن تفصيله، لو سّعتُ نطاق القول فيما انطوى عليه من خلوص المودّة، وصفاء المحبة، فجال مجال الطّرف في ميدانه، وتصرّف تصرّف الرّوض في افتنانه، لكن البلاغة بالإيجاز أبلغ من البيان بالإطناب.

ومن تمام حسنِ الرصف أن يخرج الكلام مخرجاً يكون له فيه طلاوةٌ وماءٌ، وربما كان الكلام مستقيم الألفاظ، صحيح المعاني،

---

(١) كتاب الصناعتين، ص/٢٤

ولا يكون له رونق ولا رواء، ولذلك قال الأصمعي لشعر لبيد: كأنه طيلسان طبراني، أي هو محكم الأصل ولا رونق له.

والكلام إذا خرج في غير تكلّف وكد وشدّة تفكر وتعمّل كان سلساً سهلاً، وكان له ماء ورواء ورقراق، وعليه فرند لا يكون على غيره مما عسر بروزه واستكره خروجه، وذلك مثل قول الحطيئة:

همُ القومُ الذين إذا ألّمت ... ومن الأيام مظلمة أضاءوا

وقوله:

لهم في بني الحاجل أيد كأنها ... تساقطُ ماءِ المزنِ في البلدِ القفرِ

وكقول أشجع:

قصرٌ عليه تحيةٌ وسلامُ ... نشرتْ عليه جمالَها الأيَّامُ

وإذا سيوفك صافحتْ هامَ العدَا ... طارتْ لهنَّ عن الفراخِ الهامُ

برقتْ سماؤك للعدوِّ فأمطرتْ ... هاماً لها ظلَّ السيوفُ غمام

رأى الإمام وعزمهُ وحسَامه ... جندٌ وراءَ المسلمينَ قيامُ

وكقول النمر:

خاطرْ بنفسك كيْ تصيبَ غنيمةً ... إنّ الجلوسَ مع العيالِ قبيحُ

فالمالُ فيه تجلَّةٌ ومهابةٌ ... والفقرُ فيه مذلة وقبُوح

وكقول الآخر:

نامت جدودهم وأسقط نجمُهم ... والنجمُ يسقط والجدودُ تنامُ

وكقول الآخر:

لعن الإله تعّلة بن مسافرٍ ... لعناً يشنُّ عليه من قدَّام

ففي هذه الأبيات مع جودتها رونق ليس في غيرها مما يجرى مجراها في صحة المعنى وصواب اللفظ.

ومن الكلام الصحيح **المعنى واللفظ**، القليل الحلاوة العديم الطلاوة قول الشاعر:

أرى رجالاً بأدنى الدّين قد قنعوا ... ولا أراهم رضوا في العيش بالدّونِ

فاستغنِ بالله عن دنيا الملوكِ كما اس ... ستغنى الملوك بدنيَاهم عن الدِّينِ

ومن الشعر المستحسن الرونق قول دعبل:

وإنَّ امرءاً أمستْ مساقطُ رحله ... بأسوانَ لم يتركْ له الحرصُ معلمَا

حللتُ محلاًّ يقصرُ البرق دونَهُ ... ويعجز عنه الطيفُ أن يتجشَّما

الباب الخامس

ذكر الإيجاز والإطناب

فصلان

الفصل الأول من الباب الخامس

في ذكر الإيجاز

قال أصحاب الإيجاز: الإيجاز قصور البلاغة على الحقيقة، وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضلٌ داخل في باب الهذر والخطل، وهما من أعظم أدواء الكلام، وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة.

وفي تفضيل الإيجاز يقول جعفر بن يحيى لكتّابه: إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا.

وقال بعضهم: الزيادة في الحدّ نقصان. وقال محمد الأمين: عليكم بالإيجاز فإنَّ له إفهاما، وللإطلالة استبهاما. وقال شبيب بن شبة: القليل الكافي خيرٌ من كثير غير شاف. وقال آخر: إذا طال الكلام عرضت له أسباب التكلّف، ولا خير في شيء يأتي به التكلّف. وقد قيل لبعضهم: ما البلاغة؟ فقال: الإيجاز. قيل: وما الإيجاز؟ قال: حذف الفضول، وتقريب البعيد.." (١)

"كم رأسِ رأسٍ بكى من غير مقلته ... دماً وتحسبُه بالقاع مبتسِما

وقول إبراهيم أبو الفرج البندنيجي في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

هي الجآذرُ إلاّ أنّها حُور ... كأنها صور لكنّها صور

نور الحِجال ولكن من معايبها ... إذا طلبت هواها أنها نورُ

غيداءُ لو بلّ طرفُ البابلّي بها ... لارتدَّ وهو بغير السِّحر مسحورُ

إن الرواحَ جلا روحَ العراق لنا ... أصلاً وقد فصلتْ من مكَّة العيرُ

تشكو العقوقَ وقد عقَّ العقيق لها ... وأرض عروة من بطحان فالنِّيرُ

يحتثُّها كلُّ زول دأبُه دأب ... من طول شوق وهجِّيراه تهجيرُ

مقوّرة الآلِ من خوض الفلاة إذا ... ما اعتمَّ بالآل في أرجائها القورُ

هذا البيت قريب من قول أبي تمام:

أحطت بالحزم حيزُوماً أخا همم ... كشَّافَ طخياء لا ضيقا ولا حرجا

وقال المخزومي في طاهر بن الحسين:

ولو رأى هرمٌ معشار نائله ... لقيل في هرم قد جنّ أو هرِما

الفصل الرابع

في المقابلة

المقابلة: إيراد الكلام، ثم مقابلته مثله في **المعنى واللفظ** على جهة الموافقة أو المخالفة. فأما ما كان منها في المعنى فهو مقابلة الفعل بالفعل، مثاله قول الله تعالى: " فتلكَ بيوتُهُمْ خاوية بما ظلمُوا " ، فحواء بيوتهم وخرابها بالعذاب مقابلة لظلمهم.

ونحو قوله تعالى: " ومكَرُوا مكراً ومكرنا مكراً " ، فالمكر من الله تعالى العذابُ، جعله الله عز وجل مقابلة لمكرهم بأنبيائه

---

(١) كتاب الصناعتين، ص/٥٣

وأهل طاعته.

وقوله سبحانه: " نسوا الله فنسيهمْ " .

وقوله تعالى: " إنَّ الله لا يغيّرُ ما بقومٍ حتّى يغيّروا ما بأنفسهم " .

ومن ذلك قول تأبط شرا:

أهزُّ به في ندوَة الحيّ عطفهَ ... كما هزَّ عطفى بالهجان الأوارِكُ

وقول الآخر:

ومنْ لو أراه صادياً لسقيتُه ... ومن لو رآني صادياً لسقاني

ومنْ لو أراه عانياً لفديتُه ... ومنْ لو رآني عانياً لفداني

فهذا مقابلة **باللفظ والمعنى**.

وأما ما كان منها بالألفاظ، فمثل قول عدي بن الرّقاع:

ولقد ثنيتُ يد الفتاةِ وسادةً ... لي جاعلاً إحدى يديّ وسادَها

وقال عمرو بن كلثوم:

ورثناهنَّ عن آباءِ صدقٍ ... ونورثُها إذا متنا بنينَا

ومن النثر قول بعضهم: فإنّ أهل الرأى والنّصح لا يساويهم ذو الأفن والغشّ، وليس من جمع إلى الكفاية الأمانة، كمن أضافَ إلى العجز الخيانة. فجعل بإزاء الرأي الأفن وبإزاء الأمانة الخيانة، فهذا على وجه المخالفة.

وقيل للرشيد: إن عبد الملك بن صالح يعدّ كلامه، فأنكر ذلك الرشيد، وقال: إذا دخل فقولوا له: ولد لأمير المؤمنين في هذه الليلة ابن ومات له ابن، ففعلوا. فقال: سرّك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك، ولا ساءك فيما سرك، وجعلها واحدة بواحدة، ثواب الشاكر، وأجرَ الصابر، فعرفوا أنّ بلاغته طبع.

وكتب جعفر بن محمد بن الأشعث إلى يحيى بن خالد يستعفيه من عمل: شكري لك على ما أريد الخروج منه شكر من نال الدخول فيه.

وكتب بعض الكتاب إلى رجل: فلو أن الأقدار إذ رمت بك في المراتب إلى أعلاها بلغت بك من أفعال السودد منتهاها لوازنت مساعيك مراقيك، وعادلت النعمة عليك النعمة فيك، ولكنك قابلت رفيع المراتب بوضيع الشّيم، فعاد علوّك بالاتفاق إلى حال دونك بالاستحقاق، وصار جناحك في الانهياص إلى مثل ما عليه قدرك في الانخفاض، ولا عجب أن القدر أذنب فيك فأناب، وغلط بك فعاد إلى الصواب، فأكثر هذه الألفاظ مقابلة وقال الجعدي:

فتىً كان فيه ما يسرُّ صديقَه ... على أنّ فيه ما يسوءُ الأعاديا

وقال آخر:

وإذا حديث ساءني لم أكتئبْ ... وإذا حديثٌ سرني لم أشِرِ

وهذا في غاية التقابل.

ومن مقابلة المعاني بعضها لبعض، وهو من النوع الذي تقدم في أول الفصل قول الآخر:

وذي أخوةٍ قطَّعت أقرانَ بينهم ... كما تركوني واحداً لا أخاً ليا

وقول الآخر:

أسرناهم وأنعمنا عليهم ... وأسقينا دماءهُم الترابا

فما صبروا لبأس عند حرب ... ولا أدّوا لحسن يد ثوابا

فجعل بإزاء الحرب أن لم يصبروا، وبإزاء النعمة أن لم يثيبوا، فقابل على وجه المخالفة. وقال آخر:." [1]

"فإنه نفر من قوله " لا تقل بشرى " أشد نفار، وقال: أعمى وتبتدئ بهذا في يوم مهرجان؟! قال الصاحب: ومن عنوان قصائده التي تحير الأفهام، وتفوت الاوهام، وتجمع من الحساب ما لا يدرك بالأرتيماطيقي، وبالأعداد الموضوعة للموسيقى:

أحاد أم سداس في أحاد ... لييلتنا المنوطة بالتنادي

وهذا كلام الحكل ورطانة الزط وما ظنك بممدوح قد تشمر للسماع من مادحه فصك سمعه بهذه الألفاظ الملفوظة والمعاني المنبوذة؟ فأي هزة تبقى هناك؟ وأي أريحية تثبت هنا؟.

وقد خطأه في **اللفظ والمعنى** كثير من أهل اللغة وأصحاب المعاني، حين احتيج في الاعتذار له، والنضح عنه، إلى كلام لا يستأهله هذا البيت، ولا يتسع له هذا الباب.

ومن ابتداءاته البشعة التي تنكرها بديهة السماع قوله:

ملث القطر أعطشها ربوعا ... وإلا فاسقها السم النجيعا

وقوله:

أصلث فإنا أيها الطلل ... نبكي وترزم تحتنا الإبل

وقوله:

بقائي شاء ليس هم ارتحالا ... وحسن الصبر زموا لا الرحالا

قال الصاحب: ومن افتتاحاته العجيبة قوله لسيف الدولة في التسلية عند المصيبة:

لا يحزن الله الأمير فإنني ... لآخذ من حالاته بنصيب

قال الصاحب: لا أدري لم لا يحزن سيف الدولة إذا أخذ المتنبي بنصيب من القلق!

ومنها

إتباع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء

والإفصاح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت، وقلة التناسب، وتنافر الأطراف، وتخالف الأبيات، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة، ويعود لهذه العادة السيئة، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط. فبينا هو يصوغ أفخر حلي، وينظم

---

(١) كتاب الصناعتين، ص/١٠٢

أحسن عقد، وينسج أنفس وشي، ويختال في حديقة ورد، إذا به وقد رمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة، أو تعويص اللفظ، أو تعقيد المعنى، إلى المبالغة في التكلف، والزيادة في التعمق، والخروج إلى الإفراط والإحالة والسفسفة، والركاكة والتبرد والتوحش، باستعمال الكلمات الشاذة، فمحا تلك المحاسن، وكدر صفاءها، وأعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها، واستهدف لسهام العائبين، وتحكك بألسنة الطاعنين: فمن متمثل بقول الشاعر:

أنت العروس لها جمال رائق ... لكنها في كل يوم تصرع

ومن مشبه إياه بمن يقدم مائدة تشتمل على غرائب المأكولات وبدائع الطيبات، ثم يتبعها بطعام وضر، وشراب عكر، أو من يتبخر بالند المعشب المثلث، المركب من العود الهندي والمسك الأصهب والعنبر الأشهب، ثم يرفقه بإرسال الريح الخبيثة، ويفسده بالرائحة الردية، أو بالواحد من عقلاء المجانين ينطق بنوادر الكلم، وطرائف الحكم، ثم يعتريه سكرة الجنون فيكون أصلح أحواله وأمثل أقواله أن يقول: اعذروني فإن العذرة متعذرة.

فمما نشر أبو الطيب من هذا النمط قوله:

أتراها لكثرة العشاق ... تحسب الدمع خلقة في المآقي؟

وهو ابتداء ما سمع بمثله، ومعنى تفرد بابتداعه، ثم شفعه بما لا يبالي العاقل أن يسقطه من شعره فقال:

كيف ترثي التي ترى كل جفن ... راءها غير جفنها غير راقي

وقوله:

ليالي بعد الظاعنين شكول ... طوال، وليل العاشقين طويل

يبن لي البدر الذي لا أريده ... ويخفين بدرا ما إليه وصول

وما عشت من بعد الأحبة سلوة ... ولكنني للنائبات حمول

وما شرقي بالماء إلا تذكرا ... لماء به أهل الخليط نزول

يحرمه لمع الأسنة فوقه ... فليس لظمآن إليه سبيل

من قصيدة اخترع أكثر معانيها، وتسهل في ألفاظها، فجاءت مصنوعة، ثم اعترضته تلك العادة المذمومة، فقال:

أغركم طول الجيوش وعرضها ... علي شروب للجيوش أكول

إذا لم تكن لليث إلا فريسة ... غذاه ولم ينفعك أنك فيل

ثم أتى بما هو أطم منه فقال، وذكر الصاحب أنه من أوابده التي لا يسمع طول الأبد بمثلها:

إذا كان بعض الناس سيفا لدولة ... ففي الناس بوقات لها وطبول

فإن تكن الدولات قسما فإنها ... لمن ورد الموت الزؤام تدول

قال الصاحب: قوله " الدولات " و " تدول " من الألفاظ التي لو رزق فضل السكوت عنها لكان سعيدا.." (١)

---

(١) يتيمة الدهر، ٤٦/١

"قالت سَلَّامة جارية سهيل بن عبد الرحمن المغنية، الحاذقة الظريفة، الجميلة الفاتنة، الشاعرة القارئة، المؤرخة المتحدثة، التي لم يجتمع في امرأة مثلها حسن وجهها، وحسن غنائها، وحسن شعرها، قالت: واشتراني أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك بعشرين ألف دينار "عشرة آلاف جنيه" وكان يقول: ما يقر عيني ما أوتيت من الخلافة حتى أشتري سلامة؛ ثم قال حين ملكني: ما شاء بعدُ من أمر الدنيا فليفتني! قالت: فلما عُرضتُ عليه أمرني أن أغنيه، وكنت كالمخبولة من حب عبد الرحمن القس، حبًّا أراه فالقًا كبدي، آتيًا على حشاشتي. فذهب عني والله كل ما أحفظه من أصوات الغناء، كما يمسح اللوح مما كُتب فيه، وأنسيت الخليفة وأنا بين يديه، ولم أر إلا عبد الرحمن ومجلسه مني يوم سألني أن أغنيه بشعره فيَّ، وقولي له يومئذ: حبًّا وكرامة وعزاة لوجهك الجميل. وتناولت العود وجسسته بقلبي قبل يدي، وضربتُ عليه كأني أضرب لعبد الرحمن، بيد أرى فيها عقلًا يحتال حيلة امرأة عاشقة. ثم اندفعت أغني بشعر حبيبي:

إن التي طرقتك بين ركائبتمشي بِمِزْهرها وأنت حرام

لتصيد قلبك، أو جزاء مودةإن الرفيق له عليك ذمام

باتت تعللنا وتحسب أننا في ذاك أيقاظ، ونحن نيام

وغنيته والله غناء والهة ذاهبة العقل كاسفة البال، ورددته كما رددته لعبد الرحمن، وأنا إذ ذاك بين يديه كالوردة أول ما تتفتح. وأنا أنظر إليه وأتبين لصوتي في مسمعيه صوتًا آخر. وقطعته ذلك التقطيع، ومددته ذلك التمديد، وصحت فيه صيحة قلبي وجوارحي كلها كما غنيت عبد الرحمن لكيما أؤدي إلى قلبه المعنى الذي في **اللفظ والمعنى** الذي في النفس جميعًا، ولكيما أسكره –وهو الزاهد العابد– سكر الخمر بشيء غير الخمر!." (١)

"ولسنا الآن يا بني في متحدث كندي القوم يتطارحون فيه أخبارهم، بل نحن في مجلس عالم تكلمت فيه رقبة هذا ورقبة هذا بما سمعت؛ فقم أنت فاذكر علم قلبك وقص علينا خبر طيش الحب والشباب الذي يشبه الكلام فيه أن يكون كلاما عن الصعود إلى القمر والقبض من هناك على البرق!

قال المسيب: فانتهض الفتى، ورأيت مجاهدًا يتنهد كأنما انصدعت كبده، فقلت: ما بالك؟ قال: إن شبابي قد مر علي الساعة فنسمت منه في بردة هذا الفتى، ثم فقدته فقدا ثانيا فهرمت هرما ثانيًا، وجاءني الحزن من إحساسي بأني شيخ، حزن من هم أن يدخل باب حبيب ثم رد!

وتحدث الفتى، فإذا هو يدير بين فكيه لسان شاعر عظيم، يتكلم كلامه بنفسين: إحداهما بشرية تصنع **المعنى واللفظ**، والأخرى علوية فيها النار والنور.

قال: إن لي قصة أيها الشيخ، لم يبق منها إلا الكلام الذي دفنت فيه معانيها؛ وقد تأتي القصة من أخبار القلب مفعمة بالآلام والأحزان، ولا يراد بآلامها وأحزانها إلا إيجاد أخلاق للقلب يعيش بها ويتبدل. والذي قدر عليه الحب لا يكون قد أحب غيره أكثر مما يكون قد تعلم كيف ينسى نفسه في غيره، وهذه كما هي أعلى درجات الحب؛ فهي أعلى مراتب الإحسان.

---

(١) وحي القلم، ص/١٠٨

ومتى صدق المرء في حبه كانت فكرته فكرتين: إحدهما فكرة، والأخرى عقيدة تجعل هذه الفكرة ثابتة لا تتغير؛ وهذه كما هي طبيعة الحب فهي طبيعة الدين.

ولا شيء في الدنيا غير الحب يستطيع أن ينقل إلى الدنيا نارا صغيرة وجنة صغيرة، بقدر ما يكفي عذاب نفس واحدة أو نعيمها، وهذه حالة فوق البشرية.

والفضائل عامتها تعمل في نقل الإنسان من حيوانيته، وقد لا تنقل إلا أقله ويبقى في الحيوانية أكثره: ولكن الحب الصادق يقتلع الإنسان من حيوانيته بمرة واحدة، بيد أنه لا يكون كذلك إلا إذا قتله بآلامه؛ فهو كأعلى النسك والعبادة.

----

١ ستأتي فلسفة المسجد في مقالات أخرى مما يجمع هذا الكتاب، وانظر مقالة "الله أكبر".." (١)

"أما شوقي الشاعر الضعيف العاجز لم يولد بمثل تلك الحاسة، فلو أنه شهد ألف ربيع لما أحس هذا الإحساس، ولا استطاع أن يجيء هذا القول المعجزة؛ وكل ذلك من هذا الناقد جهل في جهل في جهل، وأعاليل بأضاليل بأباطيل؛ فابن الرومي في هذا المعنى لص لا أكثر ولا أقل، فلم يحس شيئًا ولا ابتدع ولا اخترع.

قال الجاحظ: يقال في الخصب "أي الربيع": نفشت العنز لأختها؛ وخلفت أرضًا تظالم معزاها "أي تتظالم"؛ قال: لأنها تنفش شعرها وتنصب روقيها في أحد شقيها فتنطح أختها، وإنما ذاك من الأثر، "أي حين سمنت وأخصبت وأعجبتها نفسها".

----

١ أحسبه يعني العقاد.

* لا يحضرني كلام الكاتب بنصه، ولكن هذا بعض معناه، وكله تهويل.

فأنت ترى أن ابن الرومي لم يصنع شيئًا إلا أنه سرق **المعنى واللفظ** جميعًا، ثم جاء للقافية بهذه الزيادة السخيفة التي قاس فيها الحمام على الظباء والمعزى.. فاستكره الحمام على أن يختصم في زمن بعينه وهو يختصم في كل يوم؛ وإنما شرط الزيادة في السرقة الشعرية أن تضاف إلى المعنى فتجعله كالمنفرد بنفسه أو كالمخترع.

ولعمري لو كان للطبيعة مائة صورة في الخيال الشعري، ثم قدم شوقي للناس تسعًا وتسعين منها، لقال ذلك الناقد المتعنت: لا، إلا الصورة التي لم يقدمها..

وكان شعر شوقي في جزالته وسلاسته كأنما يحمل العصا لبعض الشعراء يردهم بها عن السفسفة والتخليط والاضطراب في اللفظ والتركيب؛ فكثر الاختلال في الناشئين من بعده، وجاءوا بالكلام المخلط الذي تبعث عليه رخاوة الطبع وضعف السليقة، فتراه مكشوفًا سهلًا ولكن سهولته أقبح في الذوق من جفوة الإعراب على كلامهم الوحشي المتروك.." (٢)

(١) وحي القلم، ص/١٢٢

(٢) وحي القلم، ص/٣٣٩

"فإذا نافرت المعاني ألفاظها واختلفت الألفاظ على معانيها قال: إن هذا في الفن.. هو الاستواء والاطراد والملاءمة وقوة الحبك؛ وإذا عوض وخانه **اللفظ والمعنى** جميعًا وأساء ليتكلف وتساقط ليتحذلق وجاءك بشعره وتفسير شعره والطريقة لفهم شعره قال: إنه أعلى من إدراك معاصريه، وإن عجرفة معانيه هذه آتية من أن شعره من وراء اللغة، من وراء الحالة النفسية، من وراء العصر، من وراء الغيب: كأن الموجود في الدنيا بين الناس هو ظل شخصه لا شخصه، والظل بطبيعته مطموس مبهم لا يبين إبانة الشخص. وإذا أهلك الشاعر الاستعارة وأمرض التشبيه وخنق المجاز بحبل –قال لك: إنه على الطريقة العصرية وإنما سدد وقارب وأصاب وأحكم، وإذا سمى المقالة قصيدة.. وخلط فيها خلطه وجاء في أسوأ معرض وأقبحه وخرج إلى ما لا يطاق من الركاكة والغثاثة– قال لك: هذه هي وحدة القصيدة، فهي كل واحد أفرغ إفراغ الجسم الحي: رأسه لا يكون إلا في موضع رأسه ورجلاه لا تكون إلا في موضع رجليه..

تلك طبقات من الضعف تظاهرت الحجج من أصحابها على أنها طبقات من القوة، غير أن مصداق الشهادة للأقوياء عظامهم المشبوحة، وعضلاتهم المفتولة، وقلوبهم الجريئة، أما الألسنة فهي شهود الزور في هذه القضية خاصة.

هناك ميزان للشاعر الصحيح وللآخر المتشاعر: فالأول تأخذ من طريقته ومجموع شعره أنه ما نظم إلا ليثبت أنه قد وضع شعرًا، والثاني تأخذ من شعره وطريقته أنه إنما نظم ليثبت أنه قرأ شعرًا... وهذا الثاني يشعرك بضعفه وتلفيقه أنه يخدم الشعر؛ ليكون شاعرًا، ولكن الأول يريك بقوته وعبقريته إلى الشعر نفسه يخدمه؛ ليكون هو شاعره.." (١)

"وقد ظهر بما قلناه أن هذا الشاعر لم يقل شيئاً من ذلك ولا ذهب إليه، ومع ذلك فلو قاله وذهب إليه ما كان عندي مخطئاً من أجل أنه لم يكن في شرط شرطه يحتاج إلى أن لا ينقض بعضه بعضاً، ولا في معنى سلكه في كلمة واحدة، ولو كان فيه لم يجر مجرى العيب، لأن الشاعر ليس يوصف بأن يكون صادقاً، بل إنما يراد منه، إذا أخذ في معنى من المعاني كائناً ما كان أن يجيده في وقته الحاضر، لا أن يطالب بأن لا ينسخ ما قاله في وقت آخر.

ومع ما قدمته، فإني لما كنت آخذاً في استنباط معنى لم يسبق إليه من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماء تدل عليها، احتجت أن أضع لما يظهر من ذلك أسماء اخترعتها، وقد فعلت ذلك، والأسماء لا منازعة فيها إذ كنت علامات، فإن قنع بما وضعته وإلا فليخترع لها كل من أبى ما وضعته منها ما أحب، فليس ينازع في ذلك.

وإذ قدمت ما احتجت إلى تقديمه فأقول: إنه لما كان الشعر على ما قلناه لفظاً موزوناً مقفى يدل على معنى، وكان هذا الحد مأخوذاً من جنس الشعر العام له وفصوله التي تحوزه عن غيره، كانت معاني هذا الجنس والفصول موجودة فيه، كما يوجد في كل محدود معاني حده، لأن الإنسان مثلاً يحد بأنه حي ناطق ميت، فمعنى الحياة التي هي جنس للإنسان موجود في الإنسان، وهو التحرك والحس، وكذلك معنى النطق – الذي هو فصله مما ليس بناطق – موجود فيه، وهو التخيل والذكر والفكر، ومعنى الموت – الذي في حد الإنسان – وهو قبول بطلان الحركة، فكذلك أيضاً معنى اللفظ الذي هو جنس للشعر موجود فيه، وهو حروف خارجة بالصوت متواطئاً عليها، وكذلك معنى الوزن، ومعنى التقفية، ومعنى ما يدل عليه اللفظ.

---

(١) وحي القلم، ص/٣٩٣

وإذ كان ذلك كما قلنا، فالشعر إنما هو ما اجتمع من هذه الأسباب التي يحيط بها حده.

ولما كان كل مجتمع، وكل مؤلف من أمور، وللأمور تألف من بعضها مع بعض، يزيد عددها فيه وينقص على حسب كثرة الأمور وقلتها، وجب أن يكون الشعر أيضاً لما كان مجتمعاً من أسباب أن تكون أقسام تأليف هذه الأسباب بعضها إلى بعض جارياً هذا المجرى، وأن يكون تعديد هذه التأليفات إذا استوعب وأضيف ذلك إلى عدة الأسباب المفردات من غير تأليف، فقد أتى على جميع الأسباب التي يجب الكلام فيها من أمر الشعر، فأقول: إنه لما كانت الأسباب المفردات التي يحيط بها على حد الشعر على ما قدمنا القول فيه أربعة، وهي اللفظ، والمعنى، والوزن، والتقفية، وجب – بحسب هذا العدد – أن يكون لها ستة اضرب من التأليف، إلا أني وجدت **اللفظ والمعنى** والوزن تأتلف، فيحدث من ائتلافها بعضها إلى بعض معان يتكلم فيها، ولم أجد للقافية مع واحد من سائر الأسباب الأخر ائتلافاً، إلا أني نظرت فيها فوجدتها، من جهة ما، أنها تدل على معنى لذلك المعنى الذي تدل عليه ائتلاف مع معنى سائر البيت، فأما مع غيره فلا، لأن القافية إنما هي لفظة مثل لفظ سائر البيت من الشعر، ولها دلالة على معنى، كما لذلك اللفظ أيضاً، والوزن شيء واقع على جميع لفظ الشعر الدال على المعنى، فإذا كان ذلك كذلك فقد انتظم تأليف الثلاثة الأمور الأخر ائتلاف القافية أيضاً، إذ كانت لا تعدو أنها لفظة كسائر لفظ الشعر المؤتلف مع غيره.

فأما من جهة ما هي قافية، فليس ذلك ذاتاً يجب لها أن يكون لها به ائتلاف مع شيء آخر، إذ كانت هذه اللفظة إنما قيل فيها: إنها قافية من أجل أنها مقطع البيت وآخره، وليس أنها مقطع ذاتي لها، وإنما هو شيء عرض لها بسبب أنه لم يوجد بعدها لفظ من البيت غيرها، وليس الترتيب، وأن لا يوجد للشيء تال يتلوه، ذاتاً قائمةً فيه، فهذا هو السبب في أن لم يكن للقافية من جهة ما هي قافية تأليف مع غيرها.

فأما من جهة ما تدل عليه، فإن ذلك تأليف معنى إلى ما يتألف معه، إلا أني نسبته في هذا الكتاب إلى القافية على سبيل التسمية، وإن أراد مريد أن ينسب ذلك إلى أنه تأليف معنى القافية إلى ما يتألف معه لم أضايقه، فصار ما حدث من أقسام ائتلاف بعض هذه الأسباب إلى بعض: أربعة، وهي: ائتلاف اللفظ مع المعنى، وائتلاف اللفظ مع الوزن، وائتلاف المعنى مع الوزن، وائتلاف المعنى مع القافية، وصارت أجناس الشعر ثمانية، وهي: الأربعة المفردات البسائط التي يدل عليها حده، والأربعة المؤلفات منها.." (١)

"وليس عندي أن هذا داخل في الأوصاف، لأن المعنى المستجاد إنما يكون مستجاداً إذا كان في ذاته جيداً، فإما أن يقال له: جيد، إذا قاله شاعر من غير أن يكون تقدمه من قال مثله، فهذا غير مستقيم، بل يقال لما جرى هذا المجرى: طريف وغريب، إذا كان فرداً قليلاً، فإذا كثر لم يسم بذلك.

وغريب وطريف، هما شيء آخر غير حسن أو جيد، لأنه قد يجوز أن يكون حسن جيد: غير طريف ولا غريب، وطريف غريب: غير حسن ولا جيد، فأما حسن جيد غير غريب ولا طريف، فمثل تشبيههم الدروع بحباب الماء الذي تسوقه الرياح، فإنه ليس يزيل جودة هذا التشبيه تعاور الشعراء إياه قديماً أو حديثاً، وأما غريب وطريف لم يسبق إليه، وهو قبيح

---

(١) نقد الشعر، ص/٣

بارد، فملء الدنيا، مثل أشعار قوم من المحدثين سبقوا إلى البرد فيها.

والذي عندي في هذا الباب أن الوصف فيه لاحق بالشاعر المبتدئ بالمعنى الذي لم يسبق إليه لا إلى الشعر، غذ كانت المعاني مما لا يجعل القبيح منها حسناً سبق السابق إلى استخراجها، كما لا يجعل الحسن قبيحاً الغفلة عن الابتداء بها، وأحسب أنه اختلط على كثير من الناس وصف الشعر بوصف الشاعر، فلم يكادوا يفرقون بينهما، وإذا تأملوا هذا الأمر نعماً، علموا أن الشاعر موصوف بالسبق إلى المعاني واستخراج ما لم يتقدمه أحد إلى استخراجه، لا الشعر.

نعت ائتلاف اللفظ مع المعنى:

ولنتبع ذكر المعاني، وهو القسم الرابع من أقسام الشعر المفردات: ذكر الأربعة المركبات، التي قدمنا القول فيها في أول الكتاب، ولنبدأ بأولها وهو: نعت ائتلاف اللفظ مع المعنى.

ومن أنواع ائتلاف اللفظ مع المعنى المساواة.

المساواة:

وهو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى، حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتاب رجلاً فقال: كانت ألفاظه قوالب لمعانيه، أي هي مساوية لها لا يفضل أحدهما على الآخر، وذلك مثل قول امرئ القيس:

فإن تكتمُوا الداءَ لا نخفهِ ... وإن تبعَثُوا الحربَ لا نقعدِ

وإن تقتلونَا تقتلكمُ ... وإن تقصدُوا لدمٍ نقصدِ

وأعددتُ للحربَ وثابةً ... جوادَ المحثةِ والمردودِ

ومثل قول زهير:

ومهمَا تكنْ عند امرئٍ من خليقةٍ ... وإن خالهَا تخفَى على الناسِ تعلمِ

ومثل قوله:

إذا أنتَ لم تقصرْ عن الجهلِ والخنَا ... أصبتَ حليماً أو أصابكَ جاهلُ

ومثل قوله:

سعَى بعدهمْ قومٌ لكي يدركوهمُ ... فلم يدركُوا ولم يليمُوا ولم يألُوا

ومثل قول طرفة:

لعمركَ إن الموتَ ما أخطأَ الفتَى ... لكالطولِ المرخَى وثنياهُ باليدِ

ستبدِي لك الأيامُ ما كنتَ جاهِلاً ... ويأتيكَ بالأخبارِ منْ لم تزودِ

ومثله قول خالد بن زهير ابن أخي أبي ذؤيب الهذلي:

فلا تجزعنْ من سنَّةٍ أنتَ سرتَها ... فأولُ راضٍ سنة من يسيرُها

ومثل قول ليلى الأخيلية:

فلا يبعدنكَ الله يا توبَ إنّما ... لقاءُ المنايَا دارِعاً مثل حاسرِ

ومن أنواع ائتلاف **اللفظ والمعنى** الإشارة:

الإشارة:

وهو أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معان كثيرة بإيماء إليها أو لمحة تدل علياه، كما قال بعضهم، وقد وصف البلاغة، فقال: هي لمحة دالة، وذلك مثل امرئ القيس:

فإنْ تَهلكْ شنوءةُ أو تبدلْ ... فسيري إن في غسانَ خَالا

بعزهمُ عززتِ وإن يذلُّوا ... فذلهمُ أنالكِ ما أنالا

فبنية هذا الشعر على أن ألفاظه، مع قصرها، قد أشير بها إلى معان طوال، فمن ذلك قوله: تهلك أو تبدل، ومنه قوله: إن في غسان خالا، ومنه ما تحته معان كثيرة وشرح طويل، وهو قوله: أنالك ما أنالا. ومثل قول طرفة:

موضوعها زول ومرفوعها ... كمر غيث لجب وسط ريح

فقوله زول: مشار به إلى معان كثيرة، وهو شبيه بما يقول الناس في إجمال نعت الشيء واختصاره: عجب، ومثل قول إسماعيل ابن يسار النساء:

هاج ذا القلب من تذكر جمل ... ما يهيج المتيم المحزونا

فقد أشار هذا الشاعر بوله: ما يهيج المتيم المحزونا، إلى معان كثيرة. ومثل قول امرئ القيس:

على هيكل يعطيك قبل سؤاله ... أفانين جري غير كز ولا وان." (١)

"فقد جمع بقوله: أفانين جري، على ما لو عد لكان كثيراً، وضم إلى ذلك أيضاً جميع أوصاف الجودة في هذا الفرس، وهو قوله: قبل سؤاله، أي يذهب في هذه الأفانين طوعاً ن غير حث، وفي قوله: قوله: غير كز ولا وان، ينفي عنه أن يكون معه الكزازة من قبل الجماح والمنازغة، والونى من قبل الاسترخاء والفترة.

ومثل قولا امرئ القيس أيضاً يصف ذئباً:

فظل كمثل الخشف يرفع رأسه ... وسائره مثل التراب المدفق

وجاء خفياً يسفن الأرض بطنه ... ترى الترب منه لازقاً كل ملزق

ففي هذا الشعر إجمال للمعاني كثير، وأوكد ما فيه من ذلك قوله:لازقاً كل ملزق. ومثل قول زهير:

فإني لو لقيتك واتجهنا ... لكان لكل منكرة كفاء

ومثل قول أوس بن حجر:

فإن يهو أقوام ردائي فإنني ... يقيني الإله ما وقى وأصادف

ومثل قول قتادة بن طارق المازني من الأزد:

اهاجك ربع قد تحمل حاضره وأوحش بعد الحي منه مناظرهيقول: ما تنظر إلى موضع منه إلا ذكرت فيه من الأنس بمن كان يحله منا قد أوحش في هذا الوقت بخلوه منه، وللعامرية:

---

(١) نقد الشعر، ص/٢٧

كيف الفخار وقد كانوا لنسوتكم ... يوم النسار، بنو ذبيان، أربابا

إذ جز ناصيتي حصن وأعتقني ... وذاك شيب مني اليوم ما شابا

ولامرئ القيس:

فظل لنا يوم لذيذ بنعمة ... فقل في مقيل تحسه متغيب

ولامرأة من عكل:

يا ابن الدعى إنما عكل فقف

لتعلمن اليوم إن لم تنصرف

أن الكريم واللئيم مختلف

ومن أنواع ائتلاف **اللفظ والمعنى** الإرداف:

الإرداف:

وهو أن يريد الشعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع به، فإذا دل على التابع أبان عن المنبوع، بمنزلة قول ابن أبي ربيعة:

بعية مهوى القرط إما لنوفل ... أبوها وإما عبد شمس وهاشم

وإنما أراد هذا الشاعر أ، يصف طول الجيد، فلم يذكره بلفظه الخاص به، بل أتى بمعنى تابع لطول الجيد، وهو بعد مهوى القرط.

ومثل قول امرئ القيس:

ويضحي فتيت المسك فوق فراشها ... تؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

وإنما أراد امرؤ القيس أن يذكر ترفه هذه المرأة وأن لها من يكفيها، فقال: نؤرم الضحى، وإن فتيت المسك يبقى إلى الضحى فوق فراشها، وكذلك سائر البيت، أي هي لا تنتطق لتخدم، ولكنها في بيتها متفضلة، ومعنى عن في هذا البيت معنى: من بعد. وكذلك قوله:

وقد أغتدي والطير في وكناتها ... بمنجرد قيد الأوابد هيكل

فإنما أراد أن يصف هذا الفرس بالسرعة وأنه جواد، فلم يتكلم باللفظ بعينه، ولكن بأردافه ولواحقه التابعة له، وذلك أن سرعة إحضار الفرس يبعها أن تكون الأوابد، وهي الوحوش، كالمقيدة له إذا نحا في طلبها.

والناس يستجيدون لامرئ القيس هذه اللفظة، فيقولون: هو اول من قيد الأوابد، وإنما غزا بها الدلالة على جودة الفرس وسرعة حضره، فلو قال ذلك بلفظه لم يكن الناس من الاستجادة لقوله مثلهم عند إتيانه بالردف له.

وفي هذا برهان على أن وضعنا الإرداف من أوصاف الشعر ونعوته واقع بالصواب.

ومنه قول ليلى الأخيلية:

ومخرق عنه القميص تخاله ... بين البيوت من الحياء سقيما

فإنما أرادت وصفه بالجود والكرم، فجاءت بالأرداف والتوابع لهما، أما ما يتبع الجود، فإن تخرق قميص هذا المنعوت فسر أن العفاة تجذبه فتخرق قميصه من مواصلة جذبهم إياه، وأما ما يتبع الكرم فالحياء الشديد الذي كأنه من إماتته نفس هذا الموصوف وإزالته عنه الأشر يخال سقيما.

ومنه أيضاً قول الحكم الخضري:

قد كان يعجب بعضهن براعتي ... حتى سمعن تنحنحي وسعالي

فأراد وصف الكبر والسن، فلم يأت باللفظ بعينه، ولكنه أتى بتوابعه وهي السعال والتنحنح.

أبيات المعاني:ومن هذا النوع ما يدخل في الأبيات التي يسمونها أبيات معان. وذلك إذا ذكر الردف وحده، وكان وجه اتباعه لما هو ردف له غير ظاهر، أو كانت بينه وبينه أرداف أخر، كأنها وسائط، وكثرت حتى لا يظهر الشيء المطلوب بسرعة، وهذا الباب إذا غمض، لم يكن داخلاً في جملة ما ينسب إلى جيد الشعر، إذ كان من عيوب الشعر الانغلاق في اللفظ وتعذر العلم بمعناه.." (١)

"التمثيل:

وهو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاماً يدل على معنى آخر، وذلك المعنى الآخر والكلام منبئان عما أراد أن يشير إليه.

مثال ذلك قول الرماح بن ميادة:

ألم تك في يمنى يديك جعلتني ... فلا تجعلني بعدها في شمالكا

ولو أنني أذنبت ما كنت هالكاً ... على خصلة من صالحات خصالكا

فعدل عن أن يقول في البيت الأول: إنه كان عنده مقدماً، فلا يؤخره، أو مقربا، فلا يبعده، أو مجتبى، فلا يجتنبه، إلى أن قال: إنه كان في يمنى يديه، فلا يجعله في اليسرى، ذهاباً نحو الامر الذي قصد الإشارة إليه بلفظ ومعنى يجريان مجرى المثل له، وقصد الإغراب في الدلالة والابداع في المقالة، وكذلك قول عمير بن الأيهم:

راح القطين من الثغراء أو بكروا ... وصدقوا من نهار الأمس ما ذكروا

قالوا لنا وعرفنا بعض بينهم ... قولاً فما وردوا عنه وما صدروا

فقد كان يستغنى عن قوله: فما وردوا عنه ولا صدروا، بأن يقو: فما تعدوه، أو فما تجاوزوه، ولكن لم يكن له من موقع الإيضاح وغرابة المثل ما لقوله: فما وردوا عنه ولاصدروا.

ومن هذا قول بعض بني كلاب:

دع الشر واحلل بالنحاة تعزلا ... إذا هو لم يصبغك في الشر صابغ

ولكن إذا ما الشر ثار دفينه ... عليك فأنضج دبغ ما أنت دابغ

فأكثر **اللفظ والمعنى** في هذين البيتين جار على سبيل التمثيل، وقد كان يجوز أن يقال مكان ما قيل فيه: دع الشر ما لم

---

(١) نقد الشعر، ص/٢٨

تنشب فيه، فإذا نشبت فيه فبالغ، ولكن لم يكن لذلك من الحظ في الكلام الشعري والتمثيل الظريف ما لقول الكلابي، ومن هذا قول الآخر:

تركت الركاب لأربابها ... وأكرهت نفسي على ابن الصعق

جعلت يدي وشاحاً له ... وبعض الفوارس لا يعتنق

وفي قوله: جعلت يدي وشاحاً له، إشارة بعيدة لغير لفظ الاعتناق وهي دالة عليه.

ومنه قول يزيد بن مالك الغامدي:

فإن ضجوا منا زأرنا فلم يكن ... شبيهاً بزأر الأسد ضبح الثعالب

فقد أشار إلى قوتهم وضعف أعدائهم إشارة مستغربة، لها من الموقع بالتمثيل ما لم يكن لو ذكر الشيء المشار إليع بلفظه، ومثل ذلك قول عبد الرحمن بن علي بن علقمة بن عبدة:

أوردتهم وصدور العيس مسنفة ... والصبح بالكوكب الدري منحور

فقد اشار إلى الفجر إشارة بعيدة ظريفة بغير لفظه.

وكذلك قول اللعين المنقري، يصف ناره:

رأى أم نيران عواناً تكفها ... بأعرافها هوج الرياح الطرائد

فقد أومأ بقوله: أم نيران: إلى قدمها، وبعوان: إلى كثرة عادته لإيقادها، إيماء غريباً ظريفاً، وإن كانت العرب تقول ذلك في النار كثيراً.

وقال بعض العرب:

فتى صدمته الكأس حتى كأنما ... به فالج من دائها فهو يرعش

والكأس لا تصدم، ولكنه أشار بهذا التمثيل إشارة حسنة إلى سكره.

وقال العباس بن مرداس:

كانوا أمام المؤمنين دريئة ... والبيض يومئذ عليهم أشمس

يريد أن البيض عليهم قد صارت شموساً.

المطابق والمجانس:

وقد يضع الناس من صفات الشعر: المطابق والمجانس، وهما داخلان في باب ائتلاف **اللفظ والمعنى**، ومعناهما أن تكون في الشعر معان متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة.

المطابق:

فأما المطابق فهو ما يشترك في لفظة واحدة بعينها، مثل قول زياد الأعجم:

ونبئتهم يستنصرون بكاهل ... وللؤم فيهم كاهل وسنام

وقال الأفوه الأودي:

وأقطع الهوجل مستأنساً ... بهوجل عيرانة عنتريس

فلفظة: الهوجل في هذا الشعر واحدة قد اشتركت في معنيين، لأن الأولى يراد بها الأرض، والثانية الناقة، وكذلك قول أبي دؤاد الإيادي:

عهدت لها منزلاً دائراً ... وآلا على الماء يحملن آلا

فالآل الأول في المعنى غير الثاني، لأن الأول أعمدة الخيام، والثاني من السراب.

المجانس:

وأما المجانس؛ فأن تكون المعاني اشتراكها في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق، مثل قول أوس بن حجر:

لكن بفرتاج فالخلصاء أنت بها ... فحنبل فعلى سراء مسرور

ومثل قول زهير:." (١)

"ومن عيوب المعاني: أن ينسب الشيء إلى ما ليس منه، كما قال خالد بن صفوان:

فإن صورةٌ راقتكَ فاخبُرْ فربَّما ... أمرَّ مذاقُ العودِ، والعودُ أخضرُ

فهذا الشاعر بقوله: ربما أمر مذاق العود والعود أخضر.

كأنه يومئ إلى أن سبيل العود الأخضر، في الأكثر، أن يكون عذباً، أو غير مر، وهذا ليس بواجب، لأنه ليس العود الأخضر بطعم من الطعوم أولى منه بالآخر.

ولنتبع ما تكلمنا به في عيوب المعاني بما في الأقسام الأربعة المؤتلفة. من ذلك: عيوب ائتلاف **اللفظ والمعنى**. فمنها:

الإخلال:

وهو أن يترك من اللفظ ما به يتم المعنى.

مثال ذلك قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

أعاذل عاجل ما أشتهي ... أحب من الأكثر الرائث

فإنما أراد أن يقول: عاجل ما أشتهي مع القلة أحب إلى من الأكثر المبطئ فترك مع القلة وبه يتم المعنى.

ومثل ذلك قول عروة بن الورد:

عجبتُ لهم إذ يقتلونَ نفوسهمْ ... ومقلتهمْ عند الوغَى كان أعذرَا

فإنما أراد أن يقول: عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم في السلم، ومقلتهم عند الوغى أعذر فترك في السلم.

ومن هذا الجنس قول الحارث بن حلزة:

والعيشُ خيرٌ في ظِلا ... لِ النوكِ ممنْ عاَش كدَّا

فأراد أن يقول: والعيش خير في ظلال النوك من العيش بكد في ظلال العقل فترك شيئاً كثيراً، وعلى أنه لو قال ذلك لكان في هذا الشعر خلل آخر، لأن الذي يظهر أنه أراده، هو أن يقول: إن العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق

---

(١) نقد الشعر، ص/٢٩

في ظلال العقل فأخل بشيء كثير.

ومن هذا الجنس نوع آخر، وهو كما قال بعضهم:

لا يرمضُون إذا حرتْ مغافرهمْ ... ولا ترى منهمْ في الطعنِ ميَّالا

ويفشلونَ إذا نادَى ربيئهمْ ... ألا اركبنَّ فقد آنستُ أبطالا

فأراد أن يقول: ولا يفشلون فحذف لا فعاد المعنى إلى الضد ومن عيوب هذا الجنس، عكس العيب المتقدم، وهو أن يزيد في اللفظ ما يفسد به المعنى، مثال ذلك قول بعضهم:

فما نطفةٌ من ماءِ نحضٍ عذيبةٌ ... تمنعُ من أيدِي الرقاةِ ترومُها

بأطيبَ مِنْ فيها لو أنكَ ذقتهُ ... إذا ليلةٌ أسجتْ وغارتْ نجومهَا

فقول هذا الشاعر: لو أنك ذقته زيادة توهم أنه لو لم يذقه لم يكن طيباً.

عيوب ائتلاف اللفظ والوزن: منها الحشو.

الحشو: وهو أ، يحشى البيت بلفظ لا يحتاج إليه لإقامة الوزن.

مثال ذلك ما قال أبو عدي القرشي:

نحنُ الرؤوسُ وما الرؤوسُ إذا سمتْ ... في المجدِ للأقوَام كالأذنابِ

فقوله: للأقوام، حشو لا منفعة فيه.

وقال مصقلة بن هبيرة:

ألكْنِي إلى أهلِ العراقِ رسالةً ... وخصَّ بها، حييتَ، بكرَ بنَ وائلِ

فقوله: حييت، حشو لا منفعة فيه. ومنها التثليم.

التثليم:

وهو أن يأتي الشاعر بأسماء يقصر عنها العروض، فيضطر إلى ثلمها النقص منها، مثال ذلك قول أمية بن أبي الصلت:

لا أرَى من يعينني في حياتِي ... غيرَ نفسِي إلا بنِي إسرالِ

وقال في هذه القصيدة:

أيُّما شاطنٍ عصَاه عكاهُ ... ثمَّ يلقَى في السجنِ والأكبَال

وقال علقمة بن عبدة:

كأنَّ إبريقهمْ ظبيٌ على شرفٍ ... مقدمٌ بسبا الكتان ملثومُ

أراد: بسبائب الكتان، فحذف للعروض.وقال لبيد بن ربيعة:

درسَ المنا بمتالعٍ فأبانٍ

أراد المنازل. ومنها التذنيب.

التذنيب:

وهو عكس العيب المتقدم، وذلك أن يأتي الشاعر بألفاظ تقصر عن العروض، فيضطر إلى الزياد فيها.

مثال ذلك ما قال الكميت:

لا كعبدِ المليكِ أو كيزيدِ ... أو سليمان بعدُ أو كهشامِ

فالملك والمليك اسمان لله عز وجل، وليس إذا سمي إنسان بالتعبد لأحدهما، وجب أن يكون مسمى بالآخر، كما أنه ليس من سمى: عبد الرحمن هو من سمى عبد الله. ومن هذا الجنس: التغيير.

التغيير:

وهو أ، يحيل الشاعر الاسم عن حاله وصورته إلى صور أخرى، إذا اضطرته العروض إلى ذلك.

كما قال بعضهم يذكر سليمان عليه السلام:

ونسج سليم كل قضاء ذائل

وكما قال آخر:

منْ نسجِ داودِ أبي سلامِ

ومنه التفصيل.

التفصيل:." (١)

"هذا البيتُ فيه عدةُ وُجوه: منها التلميعُ وهو الضاربين والمانعين، ومنها تجنيسُ اللفظ وهو البَيْضُ والبِيضُ، وتجنيس المعنى وهو البِيض يعني النساء، والأسيافُ جمع سَيْف في القلةِ، والأسياف البيضُ. فكأنه أراد أن يقولَ: والمانعين البِيضَ بالبيض فلم يَسْتَوِ له فقال: والمانعينَ البيض بالأسيافِ. ومنه:

المُجَنَّسُ المُطْمع

وهو أن يأتي الشاعرُ بكلمة ثم يبدأ في أختها على وفْقِ حُروفِها فيُطمِعَ في أنه يجيءُ بمثلِها فيُبدِل في آخرِها حرفاً بحرف، وهو حسَنٌ في التجنيس. قال الحطيئة:

مطاعينُ في الهَيْجا مطاعيمُ في الدُّجى ... بَنى لهُمُ آباؤهمْ وبنى الجدُّ

وقال مُزَرِّد:

تُراوِحُ سَلْمى دارَها كلُّ رَعْلَةٍ ... غَرابيبُ كالهندِ الحوافي الحَوافِدِ

وقال أبو كَدْراء العِجْلي:

نهضتُ الى حديدٍ مَشْرَفِيٍّ ... حديثِ الصّقلِ مأثورٍ حُسامِ

وقال الخَطيمُ المحرزيّ:

لَياليَ شهرٍ ما أُعرِّسُ ساعةً ... وأيامَ شهرٍ ما أعرّجُ دائِبِ

أطمَعَ أنه يُجنس أعرّس فقال أعرّج فأبدلَ الجيمَ من السّين. فاللفظ تجنيسٌ مُطمِع، والمعنى تطبيق، لأن التعريسَ في آخر الليلِ والتعريجَ في آخر النهار. وقال أبو بكر بن حَنظَلة العَنْزيّ:

---

(١) نقد الشعر، ص/٤١

مُفيدٌ مُفيتٌ ما تجيءُ دراهمي ... إذا جِئنَ إلا عابراتِ سبيلِ

هذا مُجنَّسٌ مطمِع مطابِقُ **المعنى واللفظ**، وذلك أنّ المفيد الجامع والمفيت المفرّق، ومنه:

التجنيس المُبذَل

وهو قريب من المُطْمِع. قال الزّبْرَقان بن بدر:

فُرْسانُ صِدْقٍ في الصباحِ إذا ... كَثُرَ الصِّياحُ وجُّ في النَّفْرِ

أبدلَ الياءَ من الباء. وقال علْقَمةُ بن عَبَدَة:

أطعْتَ المُشاةَ والوُشاةَ بصَرْمِها ... فقد وهنتْ أسبابُها للتّقَضُّبِ

أبدلَ الواوَ من الميم. وقال العُدَيْل:

أخا شُقّةٍ قد شفّهُ دَلَجُ السُّرَى ... يَبيتُ يرومُ الهَمَّ كلَّ مَرامِ

أبدلَ الفاء من القافِ. وقال خُفافُ بن نَدْبَة:

بالضّابِطِ الضابعِ تقريبُهُ ... إذْ وَنَتِ الخيلُ وذو الشاهِدِ

أبدلَ العينَ من الطاء. وقال جوّاسُ بنُ القَعْطَل:

شهدتُ لها وغابَ أبو بُرَيْدٍ ... مجالسَ لو رآها الشيخُ غارا

غابَ وغارَ أبدلَ الراءَ من الباء. وقال عمرو بن شَأس:

نحنُ الذينَ لحِلْمِنا فضْلُ ... قِدْماً وعندَ خطيبنا فَصْلُ

أبدل الصادَ من الضادِ. وقال عِمْران بن حِطّان:

إنْ تَقُدْهُ تقُدْ شَديداً سَديداً ... فهو يمشي كمِشْيَةِ المُخْتالِ

أبدلَ السّينَ من الشين. وقال كعبُ بن جُعَيْل:

فتسْمَحُ لي بالدمعِ حُزْناً لذكرِهِ ... وتسفحُ منه لا بكيئاً ولا نَزْرا

أبدلَ الفاءَ من الميم. وقال أبو حيّة النُّمَيْريّ:

وكأنّما جُعِلَتْ لهُنّ رَوادِفاً ... كُثُبٌ رواجفُ من سَماءِ جُرادِ

جُرادُ اسمُ رملةٍ. أبدلَ الجيمَ في رواجف منَ الدال في روادف.

وقال المُلَيْحُ الهذليّ:

أفي أربُعٍ فيهنّ للريحِ مَدْرَجٌ ... ومَغْدًى على معروفهِنّ ومَدْلَجُ

أبدلَ اللامَ في مَدْلجٍ من الرّاء في مَدْرَجٍ. وقال معْنُ بن أوسٍ:

وقد قُلتُ إذ قامَتْ وقالتْ فأعْرَضَتْ ... تجُرُّ قَشيباً من حَبيرٍ ومجْسَدا

أبدل اللامَ في قالت من الميم في قامَتْ.

والشعرُ في هذا الباب كثيرٌ وفيما نذكرُه من الأمثلةِ وفي غيره مَقْنَعٌ لمن أراد، إنْ شاءَ اللهُ تعالى. ومنه:

المجنس المختلف

أنشدَني اليَزيديّ:

بكرومٍ وبدورٍ وقَنا ... تتثنّى فوقَ كُثْبانِ النَّقا

قنا ونقا مجنَّس مختلف.

وقال الحارثُ بن خالد المخزومي:

وكَلِفْتُ منهنّ الغَدةَ بغادةٍ ... ممْكورةٍ جُدِلَتْ كجَدْلِ عِنانِ

وقال أبو دَهْبَل:

قد كانَ في آلِ موسى قبْلَهُ جسَدٌ ... عِجْلٌ إذا خارَ فيهم خَوْرَةً سَجَدوا

وقال حُمَيْد بنُ ثوْرٍ:

نضعُ الزيارةَ حيثُ لا يُزري بنا ... شَرَفُ المُلوكِ ولا يَخيبُ الزُوَّرُ." (١)

"فزادَ تشبيهاً هو من تَمامِ المعنى، فتساويا؛ هذا بقِدمَتِه، وهذا بزيادته، ومثلهُ كثير.

التاسع: المماثلةُ في الكلام حتى لا يفضل نِظامٌ على نظام. قال حسّان بن ثابت:

يُغْشَوْن حتى ما تهِرُّ كِلابُهم ... لا يسألونَ عن السّوادِ المُقبِلِ

أخذَهُ الحَكميّ فقال:

الى بيتِ حانٍ لا تهِرُّ كلابُه ... عليّ، ولا يُنْكِرْنَ طولَ ثوائي

لا فرق بين المعنيين ولا الكلامين فقد تماثلا.

العاشر: رُجحانُ لفظِ الآخذ على المأخوذ منهُ وتفضيلُ معناه على معنى أصدره عنه. قال النابغة:

سقَطَ النّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه ... فتناولَتْهُ واتّقَتْنا باليَدِ

أخذَه أبو حَيّة النُميريّ فقال:

فألْقَتْ قِناعاً دونَه الشمسُ واتّقَتْ ... بأحسَنِ موصولين: كفٍ ومِعصمِ

فلم يزِدْ النابغةُ على الإخبارِ باتقائها بيدِها لمّا سقطَ نصيفُها، فزادَ عليهِ أبو حيّة بقوله: دونَه الشمسُ، وخبّر عن الاتقاء بأحسن خبر، من حُسْنِ كفٍّ وحُسْنِ معصَمٍ، فرجَحَ كلامُه وعَلا نِظامُه.

وأما المذمومُ من السّرقةِ فعشرةُ وجوه أيضاً: الأول: نقلُ اللفظِ القصيرِ الى الطويل الكثير. قال الحَكَميّ:

لا تُسْدِينّ إليّ عارِفةً ... حتى أقومَ بشكرِ ما سَلَفا

أخذَه دِعْبل فقال:

تركتُكَ، لم أترُكْكَ كُفْراً لنعمةٍ ... وهل يُرتَجى نيْلُ الزّيادةِ بالكُفْر

ولكنني لما رأيتُكَ راغِباً ... وأفرطتَ في برّي عجَزْتُ عن الشُكر

---

(١) نضرة الاغريض في نصرة القريض، ص/١٤

الشعرُ جيدُ **المعنى واللفظ**، ولكنه أتى به في تطويل وتضمين، فنقل القصيرَ الى الطويل، وذلك مذمومٌ في السّرقَة.

الثاني: نقْلُ الرصين الجَزْل الى المُسْتَضْعفِ الرّذْل. قال الأول:

ولقد قتَلتُك بالهجاء فلم تَمُتْ ... إنّ الكِلابَ طويلةُ الأعمارِ

ما زالَ ينبَحني ليَشْرُفَ جاهِداً ... كالكلبِ ينبَحُ كامِلَ الأقمارِ

أخذَه ابنُ طاهر فقال:

وقد قتلناكَ بالهجاءِ ... ولكنّك كلبٌ معقَّفٌ ذَنبُه

فجمَع بين قُبحِ السّرقة، وضعْفِ العبارة، ولا وجهَ لذكر التعقيفِ في الذنَب، لأنه غيرُ دالٍ على طول العمر، وهذا ظاهرٌ ومثلُه كثير.

الثالث: نقْلُ ما حسُنَ معناهُ ومبناهُ الى ما قَبُح مبناهُ ومعناه. قال الكندي:

ألَمْ تَرَ أنّي كلما جِئْتُ طارِقاً ... وجدتُ بها طِيباً وإنْ لم تَطَيَّبِ

أخذه بشار فقال:

وإذا أدْنَيْتَ منها بَصَلاً ... غلبَ المِسكُ على ريحِ البَصَل

وهذا أنزلُ شعرٍ في الرذالةِ، كما أنّ بيتَ الكندي أرفعُ بيتٍ في الجَوْدَة والجزالة، وقد أخذ كُثيّرٌ المعنى، فطوّل وضمّن وقصّر، وزعمَ أنهاإذا تبخّرَتْ كانت كالروضة في طيبها. ولا يُعدَم هذا في أسهَكِ البشرِ جسماً وأوضَرهم حالاً، وشعرُهُ معروف.

الرابع: عكس ما يصيرُ بالعكس هجاءً بعدَما كان ثناءً. قال حسّان بن ثابت:

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهم ... شُمُّ الأنوفِ من الطّرازِ الأوّلِ

أخذَه ابنُ أبي فنن فعكسه فقال:

سودُ الوجوهِ لئيمةٌ أحسابُهم ... فُطْسُ الأنوفِ من الطراز الآخر

الخامس: نقْلُ ما حسُنَتْ أوزانُه وقوافيه الى ما قبُحَ وثَقُل على لسان راويه. قال الحكمي:

دعْ عنكَ لَوْمي فإنّ اللومَ إغراءُ ... وداوِني بالتي كانتْ هيَ الداءُ

أخذَه الطائي فقال:

قدْكَ اتئِبْ أربَيْتَ في الغُلَواءِ ... كمْ تعذِلونَ وأنتُم سُجَرائي

فالحكَمي زَجَر عذولَه زجْراً لطيفاً، أعلمَه أن اللّومَ إغراء، وشغل عجُزَ بيتِه بمعنى آخر، بكلامٍ رطْبٍ، ومعنىً عذْبٍ والطائي زجَرَ عذولَه بلفظٍ مُتعسّفٍ تصعُبُ راويتُهُ، وتُستكرَهُ قافيتُه.

السادس: حذفُ الشاعر من كلامِه ما هو من تَمامه. قال الكِنْدي:

نظَرَتْ إليكَ بعينِ جازِئَةٍ ... حوْراءَ حانيةٍ على طِفْلِ

أخذَهُ المُسيّبُ بن علَس فقال:

نظرَتْ إليكَ بعينِ جازِئَةٍ ... في ظِلِّ فاردةٍ من السِّدْرِ." (١)

"هذا هو المُمكن في التّوارد، واتفاق الخواطر. وحكى القيرواني قال: ثم أمرنا للوقت أن نعملَ فيه أيضاً على حرف الذال فعملنا على القاعدةِ الأولى، فكان ما عملتُه أنا:

هلْ لكَ في موزٍ إذا ... ذُقناهُ قُلنا حبّذا

فيه شَرابٌ وغِذا ... يُريكَ كالماء القَذا

لو ماتَ مَنْ تلذَّذا ... بهِ لَقيلَ ذا بِذا

وكان ما عملَهُ ابنُ رشيق:

للهِ موزٌ لذيذُ ... يُعيذُهُ المستَعيذُ

فواكِهٌ وشَرابٌ ... بهِ يُفيقُ الوقيذُ

يُرى قذى العينِ فيه ... كما يُريها النبيذُ

الشعرُ ضعيفٌ جداً، وما أَرَدْنا بإيراده إلا تمثيل المواردِ كيف تكون، وفي هذا التمثيل كفاية.

٣١ – وأما النقدُ فإنّه في الشعر يدلّ على فِطْنَة العالم وضياء حِسّه وتوقُّد ذَكائه. وللعُلماء في ذلك أقوالٌ حسنة وكلامٌ مفيد، وهو كثيرٌ غزير، وإنما نذكرُ منه اليسيرَ ونجعله دليلاً على الكثير.

قِيل: تنازعَ علقمةُ بن عَبَدة وامرؤ القيس في الشعر وأيُّهُما أشْعَر من الآخر، فقال علقمة: قد رضيتُ بزوجتكَ أمّ جُنْدَبٍ حَكَماً بيني وبينَك، فقالت أمّ جُندب: قولا شعراً وصِفا فيه فرَسَيْكُما على قافيةٍ واحدة ورَويّ واحد. فقال امرؤ القيس:

خليليّ مُرّا بي على أمّ جُندَبِ ... نُقَضّ لُباناتِ الفؤادِ المُعذَّبِ

وقال علقمة:

ذهبتَ من الهجرانِ في غيرِ مَذْهَبِ ... ولم يكُ حقاً طولُ هذا التّجَنُّبِ

وأنشداها القصيدتَين فقالت لامرئ القيس: علقمةُ أشعر منك، قال لها: وكيف ذاك؟ فقالت: لأنك قلت:

فللزّجْرِ أُلهوبٌ وللساقِ دِرّةٌ ... وللسّوْطِ منهُ وقْعُ أخرجَ مُهْذِبِ

الأخرج: الظليمُ وهو ذَكَرُ النعام، والأنثى خرجاء. والأخرج: الرماد، ومنه شَبّه، ومُهْذِب أي مسرع في عَدْوِه. قالت: فجَهَدتَ فرسَكَ بزجرِكَ ومَرَيْتَه فأتعبتُه بساقِك وسوطِك، وقال علقمة:

فأدركَهُنَّ ثانياً من عِنانِه ... يمُرُّ كمَرّ الرّائحِ المتَحلّبِ

فأدركَ فرسَهُ ثانياً من عنانهِ ولم يضربْهُ بسَوْطٍ ولم يُتعبْهُ. فغضِبَ عليها امرؤ القيس وطلّقها، فتزوجَها علقمة فسُمّي الفحل لميزتِهِ في باقي الشُعراء كميزةِ الفحل على باقي الإبل.

وأنشد الأصمعي قولَ امرئ القيس:

---

(١) نضرة الاغريض في نصرة القريض، ص/٣٦

رُبَّ رامٍ من بني ثُعَلٍ ... مُخْرِجٍ زَنديهِ من سُتَرِهْ

فقال: أما علِمَ أنّ الصائدَ أشدُ خَتْلاً من أن يُظهرَ شيئاً منه! ثمّ قال: فكفّيْه، إن كان لابدّ، أصلحُ. فترك الرُواة زَنْديهِ وورووا كفّيه على ما فيه. وقيل: كان النابغة الذبياني تُضرَب له قُبّةٌ حمراء من أدَم بسوقِ عُكاظ فتأتيه الشعراء فتعرِضُ عليه أشعارَها. فأوّلُ من أنشده الأعشى ميمون بن قيس، ثم أنشدَه حسّان بن ثابت الأنصاري قولَه:

لَنا الجَفَناتُ الغُرُّ يلمعنَ بالضُّحى ... وأسيافُنا يقْطُرنَ من نَجْدَةٍ دَما

ولَدْنا بني العَنقاءِ وابْنَيْ مُحرّقٍ ... فأكرِم بنا خالاً واكرِمْ بنا ابْنَما

فقال له النابغة: أنت شاعرٌ ولكنّك أقللْتَ جفانَك وأسيافَك وفخرت بمن ولدْتَ ولم تفخر بمَن ولدَك. هذا هو النقد الجليل الذي يدُلُّ عليه نقاء كلام النابغة. والمعنى أنّه قال له: أقللْتَ أسيافَك، وأسيافٌ جمْع لأدنى العدد، والكثير سُيوف، والجَفَنات لأدنى العدد، والكثيرُ جِفان. وقال: فخَرْتَ بمن ولَدتَ؛ لأنه ترك الفخرَ بآبائه وفخرَ بمن ولدَ نساؤه. وقيل في رواية غير موثوقٍ بها: إنه قال له: وقلت: لنا الجفناتُ الغُرّ، والغُرّة لُمْعَة بياضٍ في الجَفْنة، ولو قلت: لنا الجفناتُ البيضُ، كان أحسن لكثرة الدّسَم عليها، ولو قلت: يلمعنَ بالدُّجى، لكان أبلغَ، ولو قلت: وأسيافُنا يَجرينَ لكان أبلغَ من يقطرْنَ لأنّ الجريَ أعظم من القَطْر. وأقول إنّ هذه الزيادة عليها اعتراض. والصحيح ما قاله النابغة أولاً.

وذكر ابنُ عبّاد أبو القاسم رحمَهُ الله تعالى ورضيَ عنه أن أبا الفضل بن العميد كان يتجاوزُ نقدَ الأبيات الى نقد الحُروف والكلمات، ولا يرضى بتهذيب **المعنى واللّفظِ** حتى يُطالِبَ بتحبير القافية والوزن، وقال: أنشدتُ يوماً بحضرته كلمةَ أبي تمام التي أوّلها:." (١)

"غُلامٌ فوقَ ما أصِفُ ... كأنّ قوامَهُ أَلِفُ

إذا ما مالَ يرْعَبُني ... أخافُ عليهِ ينْقَصِفُ

ولّما قال أبو الطيّب:

دون التّعانُقِ ناحِلَيْن كشَكْلَتيْ ... نصْبٍ أدقَّهُما وضَمّ الشّاكلُ

عِيبَ ذلك عليه لأنه خالفَ مذهبَ الشعراءِ فيه وجعلَ نفسَهُ ومحبوبَهُ في النّحولِ سَواءً، والعادةُ أن يوصَفَ العاشِقُ بالنحولِ دونَ المعشوقِ، كقولِ ديك الجنّ:

كِلانا غُصُنٌ شَطْبُ ... فَذا بالٍ وذا رَطْبُ

إذا ما هبّتِ الريحُ ... ومالَ المِرْطُ والإتْبُ

أبانَتْ منهُ ما طابَ ... ومني ما بَرَى الحُبُّ

وأما تشبيهُ نفسِه وحبيبِهِ بشكلَتَيْ نصْبٍ ولابُدّ من خلَلٍ وافتراقٍ بينهما، وعادةُ الشُعراءِ في شِدّةِ الالتزامِ وتضايُقِ العِناق غيرُ ذلك، كما قال ابنُ الجهْم وابنُ المُعتزّ وغيرُهما، وقد استوفَيْنا الكلامَ والإنشادَ عليه في الرسالة العلويّة، وبلَغْنا فيه الغايةَ. ونصَبَ ناحلَيْن على الحالِ كأنّه قال: كمْ وقفةٍ وقفنا دونَ التعانُق ناحلَيْن.

---

(١) نضرة الاغريض في نصرة القريض، ص/٣٩

وينبغي للشّاعرِ أن يُحسنَ الاستعارةَ ويتجنّبَ فيها المآخذَ التي أُنكِرَتْ على سواه، فالسعيدُ مَنْ وُعِظَ بغيرِه، فمن ذلك قولُ أبي نُواس:

لمّا بَدا ثعلبُ الصّدودِ لَنا ... أرْسَلْتُ كلْبَ الوصالِ في طَلَبِهْ

وقال أبو العُذافِرُ العَمّي:

باضَ الهَوى في فؤادي ... وفرّخَ التّذْكارُ

وقال الآخر:

ضِرامُ الحبِّ عشّشَ في فؤادي ... وحضّنَ فوقه طيْرُ البعادِ

وأنْبَذَ للهوى في دنّ قلبي ... فعَربدتِ الهمومُ على فؤادي

هذه استعاراتٌ كمَن لبسَ ثيابَ حِدادٍ في عُرْسٍ. وقال أبو تمام:

لا تسْقِني ماءَ المَلامِ فإنّني ... صبٌّ قد استعذَبْتُ ماءَ بُكائي

ماءُ المَلامِ من الاستعاراتِ القبيحة. وقال أيضاً:

لم تُسْقَ بعدَ الهوى ماءً على ظمأٍ ... كماءِ كافيةٍ يَسقيكَهُ فهِمُ

وقال أيضاً:

فضَربْتَ الزّمانَ في أخْدَعَيْهِ ... ضرْبَةً غادَرَتْهُ عَوْداً رَكوبا

ولأبي الطيّب في هذا الباب أشعارٌ تُعَدّ من العجَبِ العُجاب، منها قوله:

مسَرّةٌ في قلوبِ الطِّيبِ مفْرِقُها ... وحسْرةٌ في قلوبِ البيضِ واليَلَبِ

جعلَ للطيبِ والبيضِ واليَلبِ قلوباً تُسَرُّ وتتحسّرُ. وقوله:

وقد ذُقْتُ حلواءَ البَنين على الصِّبا ... فلا تحْسَبَنّي قلتُ ما قلتُ عن جهْلِ

وقولُه:

فكأنّه حسِبَ الأسنّةَ حُلْوَةً ... أو ظنّها البَرْنيّ والآزاذا

وقولُه:

تستغرِقُ الكَفُّ فوْدَيْهِ ومنكبَهُ ... فتكتسي منهُ ريحَ الجوْرَبِ العرِقِ

وقولُه:

خَلوقيّةٌ في خَلوقِيّها ... سُوَيْداءُ من عِنَبِ الثّعلَبِ

وله من هذا أشعار كثيرة.

وقريبٌ من هذه الأشعار حكايةٌ أخبرَني بها عبدُ الرحمن الدَقّاق بقراءَتي عليهِ في سنة ثلاثَ عشرةَ وستمائة قال: أنبأني ابنُ خيرون عن الجوهري عن المَرزُبانيّ قال: أخبرَني الصّوليُّ قال: حدّثني يموتُ بنُ المُزَرَّع قال: كان لمحمّد بن الحسن الحِصْنيّ ولدٌ فقال له يوماً: إني قد قلتُ شعراً، فقال الحصنيّ: أنشِدْنيهِ يا بنيَ لئِلا يلعبَ بكَ شيطانُ الشِّعر، قال: فإنْ أجدتُ أتَهَبُ لي جاريةً أو غُلاماً؟ فقال: بل أجمعُهُما لك، فأنشدَه:

إنّ الديارَ بميّفا ... هيّجْنَ حُزناً قد عَفا

أبْكَيْنَني لشقاوَتي ... وجعلنَ رأسي كالقَفا

فقال الحِصنيّ: والله يا بني ما تستحقُّ بهذا جاريةً ولا غُلاماً، ولكنْ أمُّك مني طالِقٌ ثلاثاً إذا ولدَتْ مثلَك.

وينبغي للشاعر أن يتجنّبَ الإغارةَ وقد قدّمنا في أقسامِ السّرِقاتِ المذمومةِ ذِكْرَها وهي: ادعاءُ اللفظِ والمعنى من غير أن يُفكِّرَ الشّاعرُ أن يتعنّى، فما ذُمَّ شاعرٌ في السّرقاتِ بأقبحَ منها، ومثال ذلك قال والِبةُ بن الحُباب:

يا شقيقَ النّفْسِ من أسَدِ ... نِمْتَ عن ليلي ولمْ أكَدِ

أخذَهُ أبو نُواس فقال:." (١)

"٥٥٢ ... بخلاف نوم العبد ثم جماعه ... والأكل منه وحاجة الأبدان

٥٥٣ ... إذ تلك ملزومات كون العبد محـ ... ـتاجا وتلك لوازم النقصان،

٥٥٤ ... وكذا لوازم كونه جسدا، نعم ... ولوازم الإحداث والإمكان

٥٥٥ ... يتقدس الرحمن جل جلاله ... عنها وعن أعضاء ذي جثمان.

والله ربى لم يزل متكلما ... وكلامه المسموع بالآذان

٥٥٧ ... صدقا وعدلا أحكمت كلماته ... طلبا وإخبارا بلا نقصان،

٥٥٨ ... ورسوله قد عاذ بالكلمات من ... لدغ ومن عين ومن شيطان

٥٥٩ ... أيعاذ بالمخلوق حاشاه من الإشـ ... ـراك وهو معلم الإيمان

٥٦٠ ... بل عاذ بالكلمات وهي صفاته ... سبحانه ليست من الأكوان،

٥٦١ ... وكذلك القرآن عين كلامه المسـ ... ـموع منه حقيقة ببيان

٥٦٢ ... هو قول ربي كله لا بعضه ... لفظا ومعنى ما هما خلقان

٥٦٣ ... تنزيل رب العالمين وقوله ... – اللفظ والمعنى– بلا روغان،

٥٦٤ ... لكن أصوات العباد وفعلهم ... كمدادهم والرق مخلوقان

٥٦٥ ... فالصوت للقاري ولكن الكلا ... م كلام رب العرش ذي الإحسان

هذا إذا ما كان ثم وساطة ... كقراءة المخلوق للقرآن

٥٦٧ ... فإذا انتفت تلك الوساطة مثلما ... قد كلم المولود من عمران

٥٦٨ ... فهنالك المخلوق نفس السمع لا ... شئ من المسموع فافهم ذان.

هذي مقالة أحمد ومحمد، ... وخصومهم من بعد طائفتان:

---

(١) نضرة الاغريض في نصرة القريض، ص/٨٦

٥٧٠ ... إحداهما زعمت بأن كلامه ... خلق له ألفاظه ومعاني

٥٧١ ... والآخرون أبوا وقالوا شطره ... خلق وشطر قام بالرحمن

)).")[1]

"٥٩٢ ... وتكايست أخرى وقالت: إنه ... نقل من اللوح الرفيع الشان

٥٩٣ ... فاللوح مبدؤه، ورب اللوح قد ... أنشأه خلقا فيه ذا حدثان))

٥٩٤ ... هذي مقالات لهم فانظر ترى ... في كتبهم يا من له عينان

٥٩٥ ... لكن أهل الحق قالوا إنما ... جبريل بلغه عن الرحمن

٥٩٦ ... ألقاه مسموعا له من ربه ... للصادق المصدوق بالبرهان

فصل

في مجامع طرق أهل الأرض واختلافهم في القرآن

٥٩٧ ... وإذا أردت مجامع الطرق التي ... فيها افتراق الناس في القرآن

٥٩٨ ... فمدارها أصلان قام عليهما ... هذا الخلاف هما له ركنان:

٥٩٩ ... هل قوله بمشيئة أم لا؟ وهل ... في ذاته أم خارج؟ هذان

٦٠٠ ... أصلا اختلاف جميع أهل الأرض في الـ ... قرآن فاطلب مقتضى البرهان.

٦٠١ ... ثم الألى قالوا بغير مشيئة ... وإرادة منه فطائفتان:

٦٠٢ ... إحداهما جعلته معنى قائما ... بالنفس، أو قالوا بخمس معاني

٦٠٣ ... والله أحدث هذه الألفاظ كي ... تبديه معقولا إلى الأذهان،

٦٠٤ ... وكذاك قالوا إنها ليست هي الـ ... قرآن بل مخلوقة دلت على القرآن

٦٠٥ ... ولربما سمي بها القرآن تسـ ... ـمية المجاز وذاك وضع ثاني.

٦٠٦ ... وكذلك اختلفوا فقيل: حكاية ... عنه، وقيل: عبارة لبيان؛

٦٠٧ ... إذ كان ما يحكى كمحكي وهـ ... ـذا **اللفظ والمعنى** فمختلفان

٦٠٨ ... ولذا يقال حكى الحديث بعينه ... إذ كان أوله نظير الثاني

فلذاك قالوا لا نقول حكاية، ... ونقول ذاك عبارة الفرقان،

". [2]

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٥٤/٣٣٠

(٢) موسوعة الشعر الإسلامي، ٥٦/٣٣٠

"وإذا أردنا أن نحلل نونية القرني فإننا نرى أن الشاعر قد أخذ من الشعراء كما أخذ غيره (٣) ويمكن أن نقسم هذا الأخذ إلى :

أ ... المواردة وهي أن يتفق المتكلمان في **اللفظ والمعنى** ، أو في المعنى وحده ولا يعلم أخذ أحدهما من الآخر وهذا يحدث من اتفاق القرائح ، وتوارد الأفكار من غير أن يسرق أحد من الآخر ، ولو كان أحدهما متأخرا زمنا

فلو قلنا مثلا إن قول القرني : (ومدادنا والرق مخلوقان) لا يعلم أخذه من قول القحطاني وابن القيم لكان يصدق عليه هذا النوع .

ومنه قول القرني :

ونمر أخبار الصفات كما أتت **** من غير تأويل ولا جحدان

مع قول القحطاني (٤) :

أمر أحاديث الصفات كما أتت **** من غير تأويل ولا هذيان

---

(١) ... كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ص١٩٦ .

(٢) ... الوساطة بين المتنبي وخصومه ص١٨٨ .

(٣) ... انظر ما كتبه د . محمد الدرية في تاريخ النقد في الأندلس ص٤٨١ .

(٤) ... نونية القحطاني ص٤٨.

وإذا علم أخذه من السابق فإنه سيكون من القسم الثالث الذي سيأتي ومن المعاصرين عبد الرحمن حبنكة الميداني كتب قصيدة مبنية على حوار ثم فوجئ بقصيدة مثلها وزنا وقافية وحرف روي، وكذلك في أسلوبها وموضوعها موجودة في كتاب الأغاني فقال : لو اطلع على القصيدتين لقال : سارق انتحل القصيدة وهي ليست له (١) فمثل هذا قد يحدث على سبيل توارد القرائح الشعرية .

ب- الاشتراك العام وهى التوافق في الأغراض وفي الأفكار والمعاني المتداولة التي يشترك معظم الناس بإدراكها وقد ضرب الجرجاني أمثلة على هذا النوع (٢).

ومن هذا النوع أخذ الأمثال كقول القرني :

الرأي قبل شجاعة الشجعان فهو وان كان شطر بيت للمتنبي إلا أنه جرى مجرى المثل ولهذا وضعها الثعالبي في يتيمة الدهر (٣).

٣-أخذ السابق من اللاحق نفس الفكرة لكن صاغها بأسلوب آخر أو عبارة أخرى أو نحو ذلك .

ومن ذلك قول القرني :

أ ... كعصا كليم الله تلقف كلما." (١)

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١١/٤٦٦

"قال في الفصل الثامن في الفصاحة والبلاغة عند ذكر البلاغة، بعد أن قرر أن البلاغة للمعاني والفصاحة للألفاظ: البلاغة شاملة للألفاظ والمعاني، وهي أخص من الفصاحة، كالإنسان من الحيوان. فكل إنسان حيوان وليس كل حيوان إنساناً. وكذلك يقال: كل كلام بليغ فصيح، وليس كل كلام فصيح بليغا ويفرق بينها وبين الفصاحة من كل وجه آخر غير الخاص والعام، وهو أنها لا تكون إلا في **اللفظ والمعنى** بشرط التركيب، فإن اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة، ويطلق عليها اسم الفصاحة، إذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحسن. وأما البلاغة فلا يوجد فيها لخلوها من المعنى المفيد الذي ينتظم كلاماً.

أقول: قد ادعى أن هذا الفارق الثاني غير الأول، وهو هو بعينه ومينه. فإنه أراد أولا ، كل كلام فصيح يطلق عليه أنه بليغ ولا ينعكس. ومعنى هذا، إذا قلنا: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل فإن هذا الكلام بليغ باعتبار أن معناه بلغ في صوغ تركيبه إلى حد له توفية بتمام المراد. وفصيح باعتبار بيان مفرداته وحسنها وعذوبتها في السمع. وإذا فككنا هذا التركيب وأخذنا كل فرد من ألفاظه، كان كل فرد فصيحا، ولا يكون بليغا لعدم التركيب في المعنى. فكانت الفصاحة أعم من البلاغة لأنها وجدت في الإفراد والتركيب. وكانت البلاغة أخص لكونها لا تتناول إلا المركب فقط. فحيث وجدت البلاغة مع عذوبة الألفاظ وجدت الفصاحة ولا ينعكس. فصح أن البلاغة كالإنسانية في خصوصها، والفصاحة كالحيوانية في عمومها. وهذا المعنى موجود بعينه في الفارق الثاني الذي أبداه. فإنه قال: إن البلاغة لا تكون إلا في **اللفظ والمعنى** بشرط التركيب.. إلى آخره فتأمل كلامه يظهر لك ما قلته.

تحديد معنى البلاغة والفصاحة

والذي أقوله أنا: هو أن بين البلاغة والفصاحة، عموما من وجه وخصوصا من وجه. بيان ذلك: أما عموم البلاغة، فلأنها تتناول الكلام الفصيح أعني الحسن المبين، وغير الفصيح أعني الغريب الوحشي. وعموم الفصاحة، فلأنها تتناول الألفاظ المركبة فقط، وخصوص الفصاحة، فلأنها لا تتناول إلا الألفاظ العذبة المستعملة فقط. فثبت أن بين البلاغة والفصاحة عموما من وجه، وخصوصا من وجه. ومثل هذا لا يتنبه له ابن الأثير.

أقسام علم البيان

قال في هذا الفصل: وأما أقسام علم البيان من الفصاحة والبلاغة، فليست كذلك لأنها استنبطت بالنظر وقضية العقل من غير واضع اللغة، ولم يفتقر فيها إلى التوقيف، بل أخذت ألفاظ ومعان على هيئة مخصوصة وحكم لها العقل بمزية الحسن لا يشاركها فيها غيرها. فإن كل عارف بأسرار الكلام من أي لغة كانت من اللغات، يعلم أن إخراج المعاني في ألفاظ حسنة رائقة يلذها السمع ولا ينبو عنها الطبع، خير من إخراجها في ألفاظ قبيحة مستكرهة ينبو عنها السمع. ولو أراد واضع اللغة خلاف ذلك ما قلدناه.

أقول: قد ادعى أن ذلك عقل صرف. فإن أراد بالبيان الذي اصطلح عليه أرباب البلاغة، وهو أحد أقسام علم البلاغة الذي يطلق على معرفة الحقيقة والمجاز والتشبيه والاستعارة والكناية، فإن من المجاز ما هو لغوي كالصلاة، استعملها الشارع في هذه الهيئة المخصوصة المشتملة على القيام والقراءة والركوع والسجود والذكر والسلام والدعاء. وهي في أصل اللغة إنما

تطلق على الدعاء الذي هو جزء هذه الهيئة فسماها باسم جزئها، فقد توقفت معرفة هذا المجاز على حقيقته، وتلك الحقيقة لا تعرف إلا بالنقل لا بالعقل، والمتوقف على المتوقف على معرفة الشي متوقف على ذلك الشيء.

الاستعارة والكناية

وأما الاستعارة، فاختلف علماء البيان، هل هي مجاز لغوي أو عقلي. فذهب الأكثرون إلى أنها مجاز لغوي خلافا لصاحب المفتاح فإنه ذهب إلى أنها عقلية. ودليل الأكثرين أنك إذا قلت: عندي أسد شاكي السلاح، وأنت تريد الرجل الشجاع، كان لفظ الأسد عند التحقيق مستعملاً في غير ما وضع له، لأنك تفهم أنه عنده رجل شبهه بالأسد. وإنما حذف أداة التشبيه مبالغة، والألف والسين والدال فهم معناها متوقف على النقل.

وأما الكتابة فمن أقسامها قسم يتوقف على النقل. كقول الشاعر:

أخو لخم أعارك منه ثوباً ... هنيئاً بالقميص المستجد

أراد أبوك أمك حين زفت ... فلم يوجد لأمك بنت سعد." (١)

"يريد بذلك، وكذلك يُفْعَل بالفؤاد، كقول الآخر:

وضعتُ كفِّي عَلَى فُؤادي مِنْ ... نار الهوى وانْطَويت فَوق يَدِي

وأكثر الناس على أن (نَضِيجَة)، صفة للكبد في **اللفظ والمعنى**، لا حظَّ لليد في النُّضج، وإنما يريد أن اليد موضوعة على خِلب الكبد فقط، ويُقَويه البيت الذي أنشدناه، وهو (وضعت كفى على فؤادي من......ناؤ الهوى.....).

وقد يجوز أن يكون (نضيجة) صفة للكبد في اللفظ، ولليد في المعنى، أي على كبد قد نضجت يدها على خلبها من حرارتها، وهذا أبلغ لأنه إذا أنضجت اليد وهي موضوعة على الخلب من حر الكبد، فما الظن بالكبد؟ فإذا كان المعنى على هذا، جاز في (نضيجة) الجر والرفع. فالجر على الصفة للكبد في اللفظ، والرفع على أن يكون خبر مبتدأ، وذلك المبتدأ هو اليد، كأنه قال: يدها نضيجة فوق خلبها. وهذا كما تقول: مررت بامراة ظريفة أمتها، فالظرف في اللفظ للمرأة، وفي الحقيفة للأمة. وإن شئت قلت: ظريفةٌ أمُّها، أي أمُّها ظريفةٌ.

وأما إذا كانت النضيجة صفة للكبد في **اللفظ والمعنى**، فإنه لا يكون فيها الا الجرُّ. وكن (نضيجة) صفة لليد، أبلغ في المعنى، لأنها حينئذ نضيجة بما ليس في ذاتها. وإذا كانت نعتاً للكبد، فهي نضيجة بما في ذاتها. واحتراق الشيء بما ليس في ذاته، أبلغ من احتراقه بما في ذاته وإنما يريد أنه إذا وضع يده على كبده متألِّماً نضجيت اليد بحر الكبد، كقوله:

هل الوجد إلا أن قلبي لودنا ... من الجمر قِيد الرمْحِ لاحترق الجمرُ

وهذا عندي أبلغ من قول المتنبي، لأن اليد إذا كانت على خلب الكبد، فهي اقرب إلى الحرّ من الفؤاد من الجمر، إذا كان

(١) نصرة الثائر على المثل السائر، ص/١٢

بينه وبين الجمر قِيدُ رُمح، مع أنه جعل الجمر الناريّ محترقاً من حر فؤاده. فحر الفؤاد إذن أشد من حر الجمر.

(شابَ من الهجر فرْقُ لِمَّتِهِ ... فصار مثل الدِّمَقْسِ أسْودُها)." [١]

"وإذا أردنا أن نحلل نونية القربي فإننا نرى أن الشاعر قد أخذ من الشعراء كما أخذ غيره (٣) ويمكن أن نقسم هذا الأخذ إلى :

أ الموارده وهي أن يتفق المتكلمان في **اللفظ والمعنى** ، أو في المعنى وحده ولا يعلم أخذ أحدهما من الآخر وهذا يحدث من اتفاق القرائح ، وتوارد الأفكار من غير أن يسرق أحد من الآخر ، ولو كان أحدهما متأخرا زمنا

فلو قلنا مثلا إن قول القربي : (ومدادنا والرق مخلوقان) لا يعلم أخذه من قول القحطاني وابن القيم لكان يصدق عليه هذا النوع .

ومنه قول القربي :

ونمر أخبار الصفات كما أتت **** من غير تأويل ولا جحدان

مع قول القحطاني (٤) :

أمر أحاديث الصفات كما أتت **** من غير تأويل ولا هذيان

---

(١) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ص١٩٦ .

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه ص١٨٨ .

(٣) انظر ما كتبه د . محمد الدرية في تاريخ النقد في الأندلس ص٤٨١ .

(٤) نونية القحطاني ص٤٨.

وإذا علم أخذه من السابق فإنه سيكون من القسم الثالث الذي سيأتي ومن المعاصرين عبد الرحمن حبنكة الميداني كتب قصيدة مبنية على حوار ثم فوجئ بقصيدة مثلها وزنا وقافية وحرف روي، وكذلك في أسلوبها وموضوعها موجودة في كتاب الأغاني فقال : لو اطلع على القصيدتين لقال : سارق انتحل القصيدة وهي ليست له (١) فمثل هذا قد يحدث على سبيل توارد القرائح الشعرية .

ب- الاشتراك العام وهى التوافق في الأغراض وفي الأفكار والمعاني المتداولة التي يشترك معظم الناس بإدراكها وقد ضرب الجرجاني أمثلة على هذا النوع (٢).

ومن هذا النوع أخذ الأمثال كقول القربي :

الرأي قبل شجاعة الشجعان فهو وان كان شطر بيت للمتنبي إلا أنه جرى مجرى المثل ولهذا وضعها الثعالبي في يتيمة الدهر (٣).

---

(١) شرح المشكل في شعر المتنبي، ص/٢

٣-أخذ السابق من اللاحق نفس الفكرة لكن صاغها بأسلوب آخر أو عبارة أخرى أو نحو ذلك .

ومن ذلك قول القرني :

أكعصا كليم الله تلقف كلما." (١)

"وأقسم لولا أن في كل شعرة

له ضيغما قلنا له أنت ضيغم

المعنى أنه يزيد على الأسد قوة وشجاعة بعدد شعر بدنه ولولا ذلك لقلنا أنه أسد ثم أكد هذا فقال

أننقصه من حظه وهو زائد

ونبخسه والبخس شيء محرم

يعني أنه زاد على الأسد شجاعة ثم إن جعلناه كالأسد كنا قد نقصنا حظه لنه يستحق أكثر منه

يجل عن التشبيه لا الكف لجة

ولا هو ضرغام ولا الرأي مخذم

يقول هو أجل من أن يشبه كفه بالبحر وهو بالأسد ورأيه بالسيف

ولا جرحه يؤسى ولا غوره يرى

ولا حده ينبو ولا يتثلم

عطف لا في قوله ولا في جرحه يؤسى على لا في البيت قبله في ظاهر اللفظ لا في المعنى لأن قوله لا الكف لجة يريد أن فيها ما في اللجة وزيادة عليه وكذلك ما بعده في هذا البيت وقوله ولا جرحه يؤسى ليس يريد أنه يؤسى ويزاد عليه فهو في هذا ينفي في **اللفظ والمعنى** جميعا وفيما قبل مثبت في المعنى ما نفاه لفظا والمعنى أن جرحه أوسع من أن يعالج لأنه لا يبرأ بالعلاج ولا يرى غور جرحه لعمقه ويجوز أن يكون المعنى ولا غور الممدوح يرى أي يعلم أي أنه بعيد الغور في الرأي والتدبير ولا يدرك غوره واستعار له حدا لمضائه ونفاذه في الأمور وجعل حده غير ناب ولا متثلما لحدته

ولا يبرم الأمر الذي هو حالل

ولا يحلل الأمر الذي هو مبرم

أظهر التضعيف من حالل للضرورة كقول الراجز، يشكو الوجى من أظلل وأظللن

ولا يرمح الأذيال من جبرية

ولا يخدم الدنيا وإياه تخدم

الجبرية الكبر يقول لا يختال في مشيته فيرمح ذيل ثوبه يقال للمختال أنه ليرمح الأذيال إذا طال ذيله ولم يرفعه وضربه برجله ومنه قول القحيف العقيلي، يقول لي المغني وهن عشية، بمكة يرمحن المهذبة السحلا،

ولا يشتهى يبقى وتفنى هباته

---

(١) شرحة نونية القرني لكاملة الكواري، ١١/١

ولا يسلم الأعداء منه ويسلم

يقول لا يحب أن يبقى ولا عطاء له أي إنما يحب البقاء ليعطي فإذا لم يكن له عطاء لم يحب البقاء ولا يحب أن يسلم في نفسه مع سلامة الأعداء منه أي أنه يحب أن يقتلهم وأن كان في ذلك هلاكه." (١)

"قال ابن جنى قد أكثر الناس القول في هذا البيت وهو في الجملة شنيع الظاهر وقد كان يتعسف في الاحتجاج له والاعتذار منه بما لست أراه مقنعا مع هذا فليست الآراء والاعتقادات في الدين ما يقدح في جودة الشعر قال أبو الفضل العروضي فيما أملاه علي ذا بيت حسن المعنى مستقيم اللفظ حتى لو قلت أنه أمدح بيت في شعره لم ابعد عن الصواب ولا ذنب له إذا جهل الناس غرضه واشتبه عليهم أما معناه أن قريشا واعداء النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون أن محمدا صنبور أي منفرد ابتر لا عقب له فإذا مات استرحنا منه فانزل الله تعالى أنا أعطيناك الكوثر أي العدد الكثير ولست بالابتر الذي قالوه أن شانئك هو الابتر فقال المتنبي أنتم من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وآيات لتصديقه وتحقيق قول الله تعالى وذلك اجدى ما لكم من مناقب بالجيم فإن قيل الأنساب تنعقد بالأبناء والآباء لا بالبنات والامهات كما قال الشاعر، بنونا بنو أبنائنا وبناتنا، بنوهن أبناء الرجال الأباعد، قلنا هذا خلاف حكم الله تعالى وقوله تعالى في القرآن الحكيم ومن ذريته داءود وسليمان إلى قوله تعالى ويحيى وعيسى فجعل عيسى من أولاد إبراهيم وذريته ولا خلاف أنه لم يكن لعيسى أب وأما ذكر التهامي فإن الله تعالى كان قد أنزل في التوارة أنه باعث نبيا من تهامة من أولاد إسماعيل في آخر الزمان وأمر موسى أمته أن يومنوا به إذا بعث ودل عليه بعلامات أخر فأنكر اليهود نبوته فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنا النبي التهامي الأبطحي الأمي فلا أدري كيف نقموا على المتنبي لفظة افتخر بها النبي صلى الله عليه وسلم ولما رووا وإحدى بالحاء اضطرب عليهم المعنى واقرأنا أبو الحسن الرخجي أولا والشعراني ثانيا والخوارزمي ثالثا وأجدى ما لكم بالجيم واستقام المعنى واللفظ وتشنيع أبي الفتح وغيره عليه باطل انتهى كلامه وليس يفسد المعنى وإن روى واحدي بالحاء فإنه يقول كون النبي التهامي أبا لكم أحدى." (٢)

"نجوم القذف هي التي يرمي بها الشياطين من قوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا يقول خيله تبارى تلك النجوم التي تنقض من الهواء في السرعة وجعل خيله نجوما لأنها تتلألأ في سواد الليل ببريق الحديد ولأنها تستغرق الأرض بسيرها استغراق الكواكب وهي تسير في الأرض كما تسير الكواكب في السماء.

يطأن من الأبطال من لا حملنه

ومن قصد المران ما لا يقوم

القصد قطع الرماح إذا انكسرت الواحدة قصدة والمران جمع مارن وهو ما لان من الرماح يقول خيله تطأ القتلى من أبطال العدو الذين لم يحملنهم وما تكسر من قطع الرماح التي لا تقوم بعد تكسرها والمعنى واللفظ من قول الحصين بن الحمام المري، يطأن من القتلى ومن قصد القنا، خبارا فما يجرين إلا تجسما،

---

(١) شرح ديوان المتنبي، ١/١٩٦

(٢) شرح ديوان المتنبي، ١/٣٥٣

فهن مع السيدان في البر عسل

وهن مع النينان في البحر عوم

السيدان جمع سيد وهو الذئب وهذا مما جاء على فعل وفعلان نحو قنو وقنوان وصنو وصنوان ورئد ورئدان والعسل جمع عاسل من عسلان الذيب يعني أن خيله عمت البر والبحر فهي تعدو مع الذئاب في البر وتعوم مع الحيتان في الماء.

وهن مع الغزلان في الواد كمن

وهن مع العقبان في النيق حوم

يقول خيله تكمن في الأودية مع الغزلان يعني إذا كمنت للعود أو هبطت في الأودية فكمنت فلم تظهر وتعلو الجبال والأماكن الصعبة مع العقبان في قلل الجبال والنيق أعلى موضع في الجبل والجمع انياق والمعنى أنها قطعت الأغوار والنجود والحوم جمع حائم من حومان الطير وهو دورانها.

إذا جلب الناس الوشيج فإنه

بهن وفي لباتهن يحطم

الوشيج عروق القنا ثم صار اسما له والضمير في فإنه للوشيج يقول الوشيج المحمول المجلوب من منابته يكسر بخيله طاعنات وفي صدورهن مطعونات وعلى رواية من روى بكسر الطاء عاد الضمير من فإنه إلى سيف الدولة يقول أنه يكسر الرماح بخيله طاعنة وفي صدور خيل أعدائه مطعونة وتعود الكناية في لباتهن إلى خيل الأعداء وفيه بعد

بغرته في الحرب والسلم والحجى." (١)

"يريد كل من أبائك يشبه أباه وترك صرف حمدون وحارث ضرورة وذلك غير جائز عند البصريين ويهزأ الصاحب من هذا البيت فقال لم نزل نستهجن جمعن الأسامي في الشعر كقول الشاعر، أن يقتلوك فقد ثللت عروشهم، بعتيبة بن الحارث بن شهاب، وقول دريد بن الصمة، قتلنا بعبد الله خير لداته، ذواب بن أسماء بن زيد بن قارب، واحتذى هذا الفاضل على طرقهم وقال وأنت ابو الهيجاء البيتان وهذا من الحكمة التي ذخرا ارسطاليس وافلاطون لهذا الخلف الصالح انتهى كلامه قال ابن فورجة أما سبك البيت فاحسن سبك يريد أنت تشبه أباك وأبو كان يشبه أباه وأبوه أباه إلى آخر الأباء فليت شعري ما الذي استقبحه فإن استقبح قوله وحمدان حمدون وحمدون حارث فليس في حمدان ما يستقبح من حيث **اللفظ والمعنى** بل كيف يصنع والرجل اسمه هذا والذنب في ذلك للأباء لا للمتنبي وهذا على نحو ما قال أبو تمام، عبد المليك بن صالح بن علي بن قسيم النبي في حسنه، والبحتري حيث يقول، علي بن عسى إبن موسى بن طلحة بن سائب بن ملك حين ينطق، وأبو بكر بن دريد في قوله، فنعم فتى الجلى ومستنبط الندى، وملجأ محروب ومفزع لاهث، عياذ بن عمرو بن الجليس بن جائر، بن زيد بن منظور بن زيد بن وارث،

أولائك أنياب الخلافة كلها

وسائر أملاك البلاد الزوائد

---

(١) شرح ديوان المتنبي، ٤٦٧/١

هؤلاء الذين ذكرتهم كانوا للخلافة بمنزلة الناب بهم تمتنع الخلافة امتناع السبع بنابه وسائر الملوك لا حاجة بالخلافة إليهم.
أبك يا شمس الزمان وبدره
وإن لامني فيك السهى والفراقد
جعله فيما بين الملوك كالشمس والبدر وغيره من الملوك كالنجوم الخفية يقول أنا أميل إليك بهواى وإن لامني في ذلك من لا يبلغ منزلتك.
وذاك لأن الفضل عندك باهر
وليس لأن العيش عندك بارد
يقول ذاك الحب لظهور فضلك على غيرك لا لطيب العيش عندك يعني أن العيش قد يطيب عند غيرك ولكن لا يظهر فضله ظهور فضلك فلا يستحق الحب.
فإن قليل الحب بالعقل صالح
وأن كثير الحب بالجهل فاسد." (١)

"حتف انتصب على الحال، ولم يستعمل منه حتف ولا هو محتوف. وليس هذا مثل تبسمت وميض البرق ، فاعلمه. يقول: لم يمت رئيس منا على فراشه، بل مات ميتة كريمة في الحرب تحت ظلال السيوف والرماح، ولا أبطل دم قتيل منا حيث كان، وعلى يد من اتفق. وهذا غاية ما يتحمد به الفتاك وأبناء الحروب، حتى إن بعضهم اعتذر عمن مات على فراشه فقال:
بحمد من سنابك لا بذم ... أبا قران مت على مثال
وفي هذه الطريقة قوله:
كتب القتل والقتال علينا ... وعلى الغانيات جر الذيول
وقوله: مات حتف أنفه يقال إن أول من تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم. وتحقيقه: كان حتفه بأنفه، أي بالأنفاس التي خرجت من أنفه عند نزوع الروح، لا دفعة واحدة. ويقال خص الأنف بذلك لأنه من جهته ينقضي الرمق. ويقال: طل دمه يطل طلا، إذا أهدر.
تسيل على حد الظبات نفوسنا ... وليست على غير السيوف تسيل
يروى: تسيل على حد السيوف نفوسنا . ولم يقل وليست على غيرها تسيل في الروايتين، لأنهم يكررون أسماء الأجناس والأعلام كثيرا، ولاسيما إذا قصدوا التفخيم بها. كما قال عدي:
لا أرى الموت يسبق الموت شيء ... نغص الموت ذا الغنى والفقيرا
وفي الرواية الثانية – وهي المشهورة – أضاف الحد إلى الظبات. وهذا فيه وجهان: أحدهما أن يكون أراد بالظبات السيوف كلها ثم أضاف الحد إليها، والمعنى: تسيل على حد السيوف دماؤنا وليست تسيل على غيرها. وهذا كما يسمى السيف

---

(١) شرح ديوان المتنبي، ٤٩٤/١

كما هو نصلا، وكما يسمى السهم نصلا كما هو. والثاني أن إضافة الحد إلى الظبات كإضافة البعض إلى الكل، ويكون التقدير: تسيل على الحد من الظبات، وتكون الظبات مضارب السيوف. فإن قيل: كيف تبجح بأن تكون دماؤهم تسيل على حد السيوف لا على غيره؟ قلت: إن الدماء قد تسال بالعصي وبغيرها مما لا يكون شرفا، فعد القتلة التي تكون بالسيف أكرم. ألا ترى أن بني أسد يسمون عبيد العصا لما كان حجر أبو امرئ القيس حين أوقع بهم قتلهم بها، لتكون قتلتهم ذميمة. وقد قتل كثير منهم بالجلاميد والصخور، ولذلك قال بعضهم:

جلاميد أملاء الأكف كأنها ... رؤوس رجال حلقت في المواسم

وقال آخر :

ولا نقاتل بالعص ... ي ولا نرامي بالحجاره

إلا علالة أو بدا ... هة سابح نهد الجزاره

وإذا كان الأمر على هذا فمعنى التبجح أن تكون منيتهم بالسيوف ظاهرة. وأما قوله:

لو بأبانين جاء يخطبها ... رمل ما أنف خاطب بدم

فإن الفحل الهجين إذا تعرض للناقة الكريمة قرع أنفه بالعصا وضرب وجهه بها، فهو من ذاك مأخوذ.

صفونا فلم نكد وأخلص سرنا ... إناث أطابت حملنا وفحول

أشار بهذا الكلام إلى كرم المناصب والمناسب، وطيب المنبت والمغرس. فيقول: صفت أنسابنا فلم يشبها كدورة. وخلص نكاحنا أمهات طيبت حملنا، وآباء كرمت عروقنا. ويقال: كدر الماء يكدر كدرا وكدورا وكدورة، وهو أكدر وكدر. وفي ضده صفا الماء يصفو صفوا؛ والصفاء الاسم. ومن أمثالهم: خذ ما صفا ودع ما كدر . والسر: النكاح. وسر الشيء: خالصه. ويجوز أن يكون قولهم سرية فعلية من هذا.

علونا إلى خير الظهور وحطنا ... لوقت إلى خير البطون نزول

يصف ترددهم في شرف المصعد والمنحدر، وكرم العنصر والمتحول، كما ذكر طهارة المنكح والمولد، وجلالة المعتلى والمستقر، فيقولك علونا في خير الظهور، أي حصلنا في أعلى المراتب من ظهور أكرم الآباء، وحدرنا منها لوقت معلوم – يشير إلى وقت الأطهار – نزول إلى خير البطون من أشرف الأمهات . والمعنى أنا كرام الأطراف. وهذه الأبيات إذا تؤملت أدى التأمل منها إلى سلامة اللفظ والمعنى من كل معاب . وحصول الفخامة والجلالة لها في كل جانب وباب.

فنحن كماء المزن ما في نصابنا ... كهام ولا فينا يعد بخيل

ماء المطر أصفى المياه عندهم، فشبه صفاء أنسابهم بصفاء ماء المطر. والمزن: السحاب. وقوله: ما في نصابنا كهام ، أي ليس فينا كليل الحد، ولكن كل منا ماض نافذ، ولا فينا بخيل فيعد. وهو نفي للبخل رأسا، وليس يريد أن فيهم بخيلا ومع ذلك لا يعد . ومثله:

ولا ترى الضب بها ينجحر." (١)

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٣٣/١

"صفحة الرجل وصفيحته: عرض وجهه. يقول: ولكن فقيرا مشرق الوجه صافي اللون، لا يتخشع لفقره، ولا يتذلل إذا أثر الدهر فيه، فكأن ضوء وجهه ضوء نار القابس المتنور. والقابس ها هنا ذو القبس معناه. والقبس: النار، ويكون القابس الطالب. ويقال: أقبسني نارك. والمتنور: المتفعل من النار. ويقال تنورت النار، أي نظرت إليها واستضأت بنورها. ومنه قول امرئ القيس:

تنورتها من أذرعات وأهلها ... بيثرب أدنى دارها نظر عل

وموضع " صفيحة وجهه " مع خبره نصب على أن يكون صفة لصعلوكا وخبر لكن يجيء فيما يجيء من بعد. وقوله " صفيحة وجهه " حذف المضاف منه لأن المراد ضوء صفيحه وجهه كضوء شهاب، فأقام المضاف إليه مقامه.

مطلا على أعدائه يزجرونه ... بساحتهم زجر المنيح المشهر

يقال: أطل على كذا، إذا أوفى عليه. والمنيح، قال الخليل: هو الثامن من القداح. وقال أبو عمرو: المنيح والسفيح والوغد قداح لا انصباء لها، وإنما يكثر بها القداح فهي تجال أبدا، وقال الأصمعي: المنيج الذي لا يعتد به. فيقول: ولكن الفقير الوضيئ الوجه، الذي يبذل جهده ويبتذل نفسه في طلب غناه، ويقصر سعيه على ما يبلغ به عذره فيشرف على أعدائه غازيا ومغيرا، وهم يزجرونه حالا بعد حال، ويكرهو عليهم وقتا بعد وقت يزجر هذا القدح في خروجه ومع ذلك يرد. وخبر لكن بعد لم يجيء.

إذا بعدوا لا يأمنون اقترابه ... تشوف أهل الغائب المنتظر

يقول: هذا الفقير لا يقعد به عن طلب الأعداء والإغارة عليهم والنيل منهم بعد الغزاة وتنائي الدار، فهم لا يأمنونه وإن شحطوا، بل يتشوفونه تشوف الغائب المتنظر، أي كما يتشوف غائب دنا قفوله وينتظر. وانتصب " تشوف " على المصدر فيما دل عليه لا يأمنون اقترابه، ومفعول تشوف محذوف، كأنه قال تشوف أهل الغائب رجوعه.

فذلك إن يلق المنية يلقها ... حميدا وإن يستغن يوما فأجدر

يقول: ذلك الصعلوك إن أدركه الأجل، قبل نيل الأمل، لقيه محمودا، إذ كان قد فعل ما وجب عليه، وأقام عذره في مطلوبه باستفراغ الوسع في السعي له، وإذ كان التبعة فيما فات على من يملك العواقب دونه. وإن نال الغني يوما فما أخلقه بذلك. وقوله " إن يلق المنية " خبر قوله ولكن صعلوكا لو انفرد عن قوله فذلك، لكنه لما تراخى الخبر عن المخبر عنه وتباعد المقتضي عن المقتضى له أتى بقوله فذلك، مشيرا به إلى الصعلوك. فصار إن يلق خبرا عنه. وساغ ذلك لأن المراد بالأول والثاني شيء واحد، ومما أجرى هذا المجرى لحصول مثل هذا التراخي فيه قول الله عز وجل: " ألم تعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم " ، فأعاد أن في قوله " فأن " كما ترى.

؟وقال عنترة بن شداد العبسي

تركت بني الهجيم لهم دوار ... إذا تمضى جماعتهم تعود

البيت يروى على وجهين: أحدهما:

تركت بني الهجيم له دوارا ... إذا يمضي جماعتهم يعود

ويكون الضمير في قوله له للفرس، ويمضي فعل له، وجماعتهم ينتصب على المفعول، لأن يمضي هذا يتعدى، ومعناه يجاوزهم.

ويكون المعنى: تركت هؤلاء القوم لفرس مطافا بمنزلة الدوار وهم ضم كانوا يحجونه يطوف حول ذلك الضم، إذا نفذهم وخرق صفوفهم ودار عليهم عاد إلى مثل فعله الأول، وإلى مكانه الأول. ويشبه هذا البيت بيت الأعشى في **المعنى واللفظ**، وهو:

تطوف عليهم وتمضيهم ... كما طاف بالرجمة المرتجم

وجاء في الحديث حجة لتعدي يمضي، في صفة المحشر: " يمضيهم الداعي وينفذهم البصر " .

والثاني أن يروى:

تركت بني الهجيم لهم دوار ... إذا تمضي جماعتهم تعود

والمعنى: تركتهم يطوفون حول قتلاهم كما يطاف على ذلك الصنم، أو ذلك النسك، فإذا انقضت جماعة منهم عادت الأخرى للنظارة. وقوله " جماعتهم " يريد جماعة منهم، فأضاف البعض إلى الكل، وليس يريد جملتهم، فهو في حكم النكرات. وموضع " لهم دوار " نصب على الحال، وقوله " تعود " فاعله مضمر، وهو جماعة أخرى، فاكتفى بذكر الأولى عنها.

تركت جرية العمري فيه ... شديد العير معتدل سديد." (١)

"إذا عاش الفتى مائتين عاما ... فقد ذهب اللذاذة والفتاء

أخبرنا الشيخ أبو الحسن المبارك بن عبد الجبار قال أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثني أبو بكر أحمد بن محمد الجوهري قال حدثنا الحسن بن عليل الغنزي قال حدثنا علي بن الصباح بن الفران الكاتب قال أخبرنا أبو المنذر هشام بن محمد الشائب الكلبي قال سمعت اسحق بن الجصاص وشرقيا وغير واحد يقولون عاش ربيع بن ضبع بن وهب بن بغيض بن مالك ومالك هو حممة بن سعد بن عدي بن فزارة مائتي سنة فقال:

ألا أبلغ بنيّ ربيع ... فأشرار البنين لكم فداء

بأني قد كبرت ورق عظمي ... فلا تشغلكم عني النساء

وإن كنايني لنساء صدق ... وما آلى بنيّ ولا أساؤا

إذا كان الشتاء فأدفئوني ... فإن الشيخ يهدمه الشتاء

وأما حين يذهب كل قرّ ... فسربال خفيف أو رداء

إذا عاش الفتى مائتين عاماً ... فقد ذهب البشاشة والفتاء

ألا لافتتاح الكلام وقوله فأشرار البنين لكم فداء وصفهم بالبر وقوله فلا تشغلكم عني النساء يقول لا يشغلكم عن تفقد أموري وإصلاحها نساؤكم والكنائن جمع كنة وهي امرأة الابن أو الأخ وقوله نساء صدق أي هن نعم النساء وقوله وما آلى بني أي ما أبطؤا ولا قصروا وهو من ألوت يقول ما أبطأ بني عن فعل المكارم وما يجب عليهم من القيام بأمري وإصلاح

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ١٢٨/١

شأني وقوله إذا كان الشتاء كان ههنا تامة لا اسم لها ولا خبر أي إذا جاء الشتاء فألبسوني ما يدفع عني البرد فالشيخ يؤذيه البرد ويضعفه ويقل حركته والسربال القميص يقول فإذا ذهب البرد وجاء الحر فاكسوني قميصا رقيقا ورداءً وأو هنا بمعنى الواو والبشاشة الهشاشة ويروى اللذاذة والفتاء مصدر لفتى يقال فتى بيّن الفتاء وقوله مائتين عاما كان الوجه أن يقول مائتي عام ولكنه اضطر فأثبت النون ونصب على التمييز.

ومن باب ما يمد ويقصر قال أبو محمد والبكاء يمد ويقصر

وأنشد:

بكت عيني وحقّ لها بكاها ... وما يغني البكاء ولا العويل

قوله وحقّ لها بكاها أي وجب لها البكاء وهذا عذر لعينه في البكاء ثم رجع على نفسه يلومها فقال وأي شيء يجدي عليها البكاء كما قال الهذلي: ماذا يغير ابنتي ربع عويلهما وكما قال الأحوص:

فإن يكن البكاء يرد شيئاً ... فقد أعولت لو نفع العويل

كتاب تقوم اللسان

باب الحرفين اللذين يتقاربان في **اللفظ والمعنى** ويلتبسان

فربما وضع الناس أحدهما موضع الآخر قال أبو محمد " وكبر الشيء معظمه " قال: وقال الله عز وجل " والذي تولى كبره منهم " وقال قيس بن الخطيم:

كأن لبّاتها تبدّدها ... هزلى جراد أجوافه جلف

تنام عن كبر شأنها فإذا ... قامت رويداً تكاد تنغرف

جمع اللّبة بما حولها وشبّه ما نظم في عقدها بالجراد لأنه يصاغ على صيغة الجراد وتنغرف وتنقصف بمعنى واحد يصف امرأة بالنعمة والرفاهية وقلة العمل وهذا يحسنها وينعم بدنها وقال تنام عن معظم شأنها لأنها كفية تخدم ورويداً معناه برفق ودعةٍ وتنغرف أي تنقطع من نعمتها.

قال أبو محمد " والحرق النار نفسها يقال في حرق الله " قال رؤبة:

تكاد أيدين تهوى في الزهق ... شداً سريعاً مثل أضرم الحرق

يصف الحمر تهوي أي تسقط هوّة والزهق مجاوزة القدر في كل شيء يريد أنهن يمددن أيديهن فوق القدر يقال للفرس إذا جرى مع خيل فتقدمها وسبقها قد انزهق منها والشد العدو الشديد والأضرم الأشعال شبه عدوهن باشتعال النار.

قال أبو محمد " والعرّ قروح تخرج في مشافر الإبل وقوائمها قال النابغة " :

أتوعد عبداً لم يخنك أمانة ... وتترك عبداً ظالما وهو ضالع

وحملتني ذنب امرئ وتركته ... كذى العرّ يكوى غيره وهو راتع." (١)

---

(١) شرح أدب الكاتب، ص/١٠٠

"منكم في إمدادها وإنجادها **المعنى واللفظ** وتوفر لها من اعتنايكم الكفل والحفظ وأننا بحسب هذا الاعتماد والاستمساك والود المستقيم الأفلاك والولا الذي يصرع نوره دياجي الأحلاك نود أن لا يمر جزء من الزمان إلا عن رسالة تعمل أو مخاطبة تتحمل أو مكاتبة تحشر فيها حروف الهجا كهذه فلا تعمل أو وجه تعريف يستقبل أو استطلاع لما يسنيه لله من مزيد عناية ترجى لكم وتؤمل وإن كنا لا نسوف الإمكان بهذا الغرض الحري بالتقديم ولا نغفل صلة الحديث بالقديم ولا نبرح عن التكميل له والتتميم قد جعلنا ذلك شأنا واستشعرناه سرا وإعلانا وشغلنا به لسانا وجنانا فودنا على الاستكثار حريص وله مع العموم تنصيص ومن بعد العموم تخصيص وغرضنا لو نستنفد الأوقات في فروض بر تقضى واغتنام ملاطفة ترضى واستحثاث مراسلة تنفذ وتمضي ولأجل ذلك رأينا أن أوفدنا على بابكم من يجدد عهدنا بأنباء ذلك المقام السعيد المطالع الرفيع المصاعد والمصانع وينهى إلينا عنه إن شاء الله قرة العيون وسرور المسامع وشافهنا بما يتأكد قبله من نعمة الله سابغة ومنة منه سابقة وموهبة بالغة فيشاركه في الشكر على فضل الله المترادف ويسره البادي والعاكف ونسئله صلة ما عود من اللطائف ونرى أن ما ينشأ بتلك السما من غيث ففضله عائد على هذه الآفاق وأن ما يرومه من تمهيد الأقطار وتأمين الرفاق ذريعة إلى الجهاد فيها وتخليد الذكر الباق هيأ الله من حلل العز ما يستأنف لباسه ومن مصانع الصنع ما يمهد أساسه ويسني به قومه الكرام وناسه وأبقاه لفخر فاش وحمد يشي حلته واش وفضل لا يختلف ". (١)

"وجياد مكارمه سابقة متلاحقة وعناية الله بنودها عليه خافقة مقام محل أخينا الذي من أنصاره القدر والقضاء ومن خلاله السماحة والرجاحة والمضاء ومن سجاياه الصفح والمنح والإغضاء السلطان الكذا أبقاه الله تسطر في ديوان المجد أخباره وتروى على الأيام مآثره وآثاره ويقضي في أعدائه وأوليائه اختياره وتمهد أوطانه وتيسر مآربه وأوطاره معظم مجده الذي تعظيمه حكم لا يبدل وإجلاله فرض لا يضيع ولا يهمل المثنى على مكارمه التي غمر منها الفارض المسبل وكرم الآخر منها والأول الأمير عبد الله فلان بن فلان سلام عليكم يخص مقامكم الأسنى ومثابتكم التي تأسس من أصالتها البني وتطابق منها **اللفظ والمعنى** ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله واصل أسباب المنن ومواليها ومسدى الآلاء الرغاب إلى من هو أحق بها من أهليها وجامع كلمات الإسلام ليرفع قواعده ويعليها ومجازي من أخلص النية لعباده بالعناية التي تروق عيون مجتليها والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ذي الرسالة التي بهرت معاليها والآيات التي لا يمل تاليها على تعاقب العصور وتواليها حافظ الأمة بما عقد من سياج العصمة وكاليها ونبي الرحمة الذي لا يزال في حال الحياة والممات ". (٢)

"وعظم جاهه وماله ولما تغلبت الفتنة بدولته وعجمت عود صولته آثر الرحيل وفارق ربعه المحيل واستقر بحضرة تونس يروم الوجهة الحجازية وقد تبرأ من قول الشاعر وما أنا إلا من غزية فأتاه بها حمامة وانقضت دون أمله أيامه وله أدب غض الجنى أنيق **اللفظ والمعنى** على قصر باعه وقلة انتجاعه

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ٣٦٤/١

(٢) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ٤٠٨/١

ومن ذلك في وصف أبي الحسن بن الصباغ اللسن العارف والناقد لجواهر المعاني كما تفعل بالسكة الصيارف والأديب المجيد الذي تحلى به للعصر النحر والجيد إن أجال جياد براعته فضح فرسان المهارق وأخجل من بياض طرسه وسواد نفسه الطرر تحت المهارق وإن جلى أبكار أفكاره وأثار طير البيان من أوكاره سلب الرحيق المعدم فضل ابتكاره إلى نفس لا يفارقها ظرف وهمة لا يرتد إليها طرف وإباية له لا يفل لها غرب ولا جرف وفي هذه الأيام دعاه شيخ الغزاة إلى كتابة سره وقام بواجب بره وله أدب غض وزهر على مجتنبه مرفض

ومن ذلك في وصف أبي إسحق الطراز روضة أدب وظرف كما شئت من حسن وعرف أشرقت ذكا ذكائه وتضوعت آدابه تضوع الروض غب سمائه إلى حلاوة الخلائق والضرائب والشيم الحسنة والمعاني الغرايب ترتاح إلى مجالسته المحاضر ويرقب من أفنان فكاهته الزهر الناضر فما شيت من توقيع رفيع وتندير بالإصابة جدير ولطافة الشمائل في كثير من الفضائل وله نفس تطمح إلى بلوغ المعاني وفكر يحدو حلل البدائع في الطراز العالي وأدب كالروض باكرته السحائب وحملت أرجه الصبا والجنائب وقد أثبت من شعره كل عطر النسيم سافر المحيا الوسيم

ومن ذلك في وصف أبي جعفر بن داود الوادي آشى شيخ العمال المؤتمن على الجباية والمال المستوفى شروط الفضل على الكمال

". (١)

"ومدح وانتفع وشفع شعره للملوك فشفع ولم يزل يتصرف في الأعمال ويقابل بالإحسان والإجمال وقد أثبت من شعره كل محكم العقد شديد الوطأة على النقد

ومن ذلك في وصف أبي القاسم بن مقاتل المالقي من حسباء الطريقة وصدورها والمحاسن لترايبها العاطلة ونحورها كان رحمه الله هضبة وقار وسكينة وذا مكانة في الفضل مكينة إلى صدر سلم ومجد صميم وخلق عظيم السهولة وسمت خليق بسن الكهولة ولسان مغرى بالذكر متقلب بين الحمد والشكر وإلى ذلك فكانت له دعابة صائبة السهم ونادرة يتنافس فيها أولو الفهم ومجالسة طيبة وفكاهة غمامتها صيبة واستعمل في الولايات النفيسة فحمدت سيرته وحسن أثره وكرم خبره وخبره وأنجب عقبا جاريا على سننه ومتخلفا من السرور بأحسنه وكان له أدب غض الجني طيب **اللفظ والمعنى** ومقطوعات حسنة المقاطع سافرة عن الحسن الساطع

ومن ذلك في وصف أبي زيد عبد الرحمن الينشتي من شيوخ طريقة العمل المتغلبين من أحوالها بين الصحو والثمل المتعلقين برسومها حين اختلط المرعى بالهمل وهو ناضم أرجاز ومستعمل حقيقة ومجاز نظم بها مختصر السيرة في الألفاظ اليسيرة ونظم جزءا في الرجز والفال فبذ به تلك الطريقة بعد الإغفال

ومن ذلك في وصف أبي جعفر المعروف بالبغيل من أهل المرية بقية صالحة وغرة في الزمن البهيم واضحة أرخ وقيد وأحكم بنا العبارة وشيد ورقم الرسائل البدائع وحقق ببلده الأخبار وكتب الوقائع فمجالسته عظيمة الإمتاع ومحاضرته مقرطة الأذان

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ٣٧٦/٢

والأسماع وله شعر جزل لا ينتكب لمعانيه غزل وألفاظه صقيلة ومعان تتبرج تبرج العقيلة وأغراض لا تطيش". (١)

"وأنهينا هذا العنصر من الفصل الأول بتقديم تعاريف ومفاهيم كل من اللغويين والعلماء العرب الأقدمين، وعلماء الغرب المحدثين حول الدلالة ومتعلقاتها وحقول مباحثها.

أولاً- نشأة علم الدلالة

١-نشأة علم الدلالة: المسار التطوري التاريخي:

لقد استقطبت اللغة اهتمام المفكرين منذ أمد بعيد، لأن عليها مدار حياة مجتمعاتهم الفكرية والاجتماعية، وبها قوام فهم كتبهم المقدسة، كما كان شأن الهنود قديماً حيث كان كتابهم الديني (الفيدا) منبع الدراسات اللغوية والألسنية على الخصوص التي قامت حوله، ومن ثمة غدت اللسانيات الإطار العام الذي اتخذت فيه اللغة مادة للدراسة والبحث. وكان الجدل الطويل الذي دار حول نشأة اللغة قد أثار عدة قضايا تعد المحاور الرئيسية لعلم الألسنية الحديث فمن جملة الآراء التي أوردها العلماء حول نشأة اللغة قولهم: "بوجود علاقة ضرورية بين **اللفظ والمعنى** شبيهة بالعلاقة اللزومية بين النار والدخان."(١) إن المباحث الدلالية قد أولت اهتماماً كبيراً علاقة اللفظ بالمعنى، وارتبط هذا بفهم طبيعة المفردات والجمل من جهة وفهم طبيعة المعنى من جهة أخرى، فلقد درس الهنود مختلف الأصناف التي تشكل عالم الموجودات، وقسموا دلالات الكلمات بناء على ذلك إلى أربعة أقسام:

١-قسم يدل على مدلول عام أو شامل (مثل لفظ: رجل)

٢-قسم يدل على كيفية (مثل كلمة: طويل)

٣-قسم يدل على حدث (مثل الفعل: جاء)

٤-قسم يدل على ذات (مثل الاسم: محمد)(٢)

---

(١) د.أحمد مختار عمر، علم الدلالة- ص١٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٩.." (٢)

"بهذا التعريف للدلالة اللفظية يكون ابن خلدون قد أشار إلى ما سماه "أندري مارتيني" بالتلفظ المزدوج (double articulation) اشتهر ذلك المصطلح في الألسنية الحديثة. إن التلفظ الأول هو الطريقة التي تترتب فيها الخبرة اللغوية المشتركة بين جميع أعضاء بيئة معينة، وتقوم كل وحدة من وحدات التلفظ الأول على دلالة وعلى صورة صوتية ولا يمكن تحليلها إلى وحدات أصغر ذات معنى، أما التلفظ الثاني فهو إمكانية تحليل الصورة الصوتية إلى وحدات صوتية مميزة تحتوي هذه الوحدات على شكل صوتي ولا تحمل بذاتها أية دلالة.(١)

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ٢/٣٧٩

(٢) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص/١٠

فصور الحروف الخطية- عند ابن خلدون- هي التي تمثل التلفظ الثاني وهو تقسيم الكلمة (المورفيم) إلى وحدات صوتية (فونيم) لا تحمل بذاتها أية دلالة، فضلاً على ذلك يرسم ابن خلدون العملية التواصلية أو الإبلاغية رسماً بيناً، فالخط يدل على الكلمات اللفظية التي في الخيال، والكلمات هذه تدل على المعاني التي في النفس، والكلمات اللفظية التي في الخيال هو اختصار للعلاقة القائمة بين اللفظ ومعناه، فابن خلدون ينظر إلى هذين الطرفين (**اللفظ والمعنى**) باعتبارهما طرفاً واحداً، ذلك أن اللفظ قد ارتبط بتصور في الخيال وإلى هذا أشار ابن سينا في تعريفه للدلالة بقوله: "معنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع، ارتسم في النفس معناه فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم فكلما أورده الحس على النفس التفتت النفس إلى معناه، وهو معنى الدلالة.

فاللفظ يرتسم في الخيال كصورة صوتية ذات دلالة، فترتسم في النفس مقاصد هذه الدلالة وعلى هذا الأساس يمكن تمثيل ذلك على النحو التالي:

---

(١) ابن سينا، العبارة، من الشفاء، ص٤.." [(١)]

"من أهم القضايا الدلالية التي تناولها علماء الألسنية والدلالة، مسألة الدال والمدلول والعلاقة بينهما، كانت القضية في بداية طرحها في الدرس اللغوي، تقتصر على **اللفظ والمعنى** وباتساع مجال علم الدلالة أضحت المسألة تتعلق بالدال والمدلول سواء أكان الدال لفظاً أو غير لفظ، واللغة في الأخير ما هي إلا علاقات تربط دالا بمدلوله، ضمن شبكة تنظيمية، ذلك أن الدال لا يحمل دلالته في ذاته إنما منبع الدلالة هي تلك التقابلات الثنائية التي تتم على مستوى الرصيد اللغوي، يقول في ذلك د. عبد السلام المسدي: "اللغة هي مجموعة من العلاقات الثنائية القائمة بين جملة العلامات المكونة لرصيد اللغة ذاتها، وعندئذ نستسيغ أيضاً ما دأب عليه اللسانيون من تعريف العلامة بأنها تشكل لا يستمد قيمته ولا دلالته من ذاته، وإنما يستمدهما من طبيعة العلاقات القائمة بينه وبين سائر العلامات الأخرى"(١).

وقد خصص سوسير حيزاً واسعاً لدراسة مسألة الدال والمدلول، وأطلق مصطلح الدليل اللساني على وجهي العملية الدلالية (الدال والمدلول) فالدال هو القيمة الصوتية أو الصورة الأكوستيكية، أما المدلول فهو المحتوى الذهني أو الفكري(٢).

إن علم الدلالة، يقوم على أساس تحديد العلاقة بين الدال والمدلول وهي علاقة لا يمكن ضبطها إلا إذا تعرفنا على طبيعة كل من الدال والمدلول وخواصهما، وفي هذا الإطار فإن الدال اللغوي لا يمكن بحال من الأحوال أن يحيلنا على الشيء الذي يعنيه في العالم الخارجي مباشرة، وإنما مرورا بالمدلول أو المحتوى الذهني الذي يرجعنا إلى الشيء الذي تشير إليه العلامة اللسانية، فالعلامات اللسانية حسب النموذج السوسيري تقتضي توفر ثلاثة شروط:

أ-أن تكون العلامة اللسانية دالة على المعنى.

ب-أن تكون مستعملة في مجتمع لساني يفهمها.

---

(١) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص/٤٢

(١) عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، ص٣٠.

(٢) cours de linguistiques generale f. de saussure p. 99." [1]

"إن الجاحظ في علم البلاغة والجمال، يضاهي مكانة الشافعي في علم أصول الفقه، فهو أول من فتق أبواب البيان، وأبان عن مكامن اللغة العربية الجمالية، آخذاً في ذلك جمع الصور اللفظية وغير اللفظية التي تحتضن الفكر و تعبر عن الدلالات والمعاني المختلفة. كما عكف على الدراسة الصوتية للحرف واللفظ لكون ذلك يفضي إلى استقامة البيان وحصول الإبلاغ، بحيث يراعي فيه حسن التأليف بين الحرف والكلمة، وقد أشار الجاحظ في هذا المجال إلى تلك الأمراض النطقية التي تؤدي إلى اختلال في آلة التعبير خاصة في مخارج الأصوات وعدّ منها الكثير(١). وقد أضحى ذلك في العصر الحديث فرعاً من اللسانيات وقد التمس له العلماء أسباباً فوجدوها عصبية نفسية تؤدي إلى اضطراب أساسي في بنى اللغة وأطلقوا على ذلك المبحث العصب السني (Neurolinguistique)(٢) تناول الجاحظ في كتابيه: "البيان والتبيين" وكتاب "الحيوان". مباحث لها ارتباط وثيق بموضوع الدلالة، وعلاقتها بطرق تأديتها فلقد قسم العلاقة إلى أصناف، كما وقف على وظائف الكلام، لأن ذلك هو جوهر البيان وفي إطاره تناول الدلالة السياقية، واختيار المكان والمقام الملائمين لموقع **اللفظ والمعنى**، كما خاض الجاحظ في ذلك الجدل الذي دار حول نشأة اللغة: أتوفيقية هي أم اصطلاحية توفيقية؟ ... تلك بعض الأبحاث التي تناولها الجاحظ ضمن مباحث البيان، نحاول أن نعبر إليها بغية اقتناص ما نستطيع أن نعثر عليه من مفاهيم لسانية، ودلالية ...

أ. حسن التأليف بين الحروف والألفاظ:

إن دراسة أصوات اللغة في الدرس اللساني الحديث تتم ضمن نمطين اثنين..

---

(١) من هذه الآفات التي تصيب النطق: التعتع، التمتمة. الحبسة. العقدة. العقلة ... انظر البيان والتبيين باب عيوب البيان، ص ٢٧.

(٢) د.ميشال زكريا، انظر ذلك في كتاب: "الألسنة، علم اللغة الحديث. ص ٧٠.." [2]

"ولصعوبة إنشاده ثلاث مرات متتالية ظن البعض من اللغويين أنه من أشعار الجن، وذلك لما بين كلماته من تنافر يعسر نطقها مجتمعة في سياق واحد، ولما في إنشادها من الاستكراه والنبو، والبلاغة عند الجاحظ ليس إلا أن تؤلف في نسق صحيح بين كلمات أو بين حروف اللفظ ثم تراعي حسن موقع المعنى من ذلك لتقذفه إلى سمع المتكلم فإذا هو يعيَه ويستوعبه يقول الجاحظ: "لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"(١)، ثم إن القدر المساوي بين **اللفظ والمعنى** يقتضي أن يصرف المتكلم كلامه على وجه لا إطناب فيه، ولا حشو لأن تأليف الكلام سليمة واقتضاؤها للمعنى صحيح يقول الجاحظ: "وإنما الألفاظ على أقدار

---

(١) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص/٧٢

(٢) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص/١٥٩

المعاني فكثيرها لكثيرها وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها، وسخيفها لسخيفها، والمعاني المصغرة البائنة بصورها وجهاتها تحتاج من الألفاظ إلى أقل ما تحتاج إليه المعاني المشتركة والجهات الملتبسة"(٢) فعلى قدر المعاني تأتي الألفاظ، فقد تكفي الإشارة الحقيقية للمعنى الظاهر البعيد عن اللبس وقد تتطلب المعاني الخفية التي تحتمل دلالات كثيرة إلى ألفاظ كثيرة قصد إجلاء الدلالات المشتركة والإبانة عن المعنى المراد. وإن إدراك الجاحظ إلى أن اللفظ هو عبارة عن مقاطع صوتية تنتج عنها حروف وأصوات، ليعبر عن القدرة التي أوتيها في معاينة اللغة يضاهي في ذلك ما أشار إليه أندري مارتينه في قوله بالتلفظ المزدوج Double articulation يقول الجاحظ: "الصوت وهو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف ... ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف"(٣)

ب ـ أصناف العلامة عند الجاحظ:

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ٨١.

(٢) الحيوان، ج٦، ص ٠٨.

(٣) البيان والتبيين، ج١ ص، ٨٤.." (١)

"إن الأداة الأولى للبيان هو اللفظ اللغوي ـ كما ينص على ذلك الجاحظ ـ وذلك لأن اللغة تبقى في إمبراطورية العلامات، تهيمن على كل الأنظمة الإبلاغية، وقد خصَّ الجاحظ اللفظ الدال بجملة سمات تعني بنيته الدلالية وبنيته الصورية يقول الجاحظ: "ثم إن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأن المعاني مبسوطة إلى غير نهاية وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة ومحصلة محدودة"(١). إن تصوراً لإنفصالية العلاقة بين **اللفظ والمعنى** يكرسه تعريف الجاحظ للفظ أو للمعنى فهما ـ كما أشار إلى ذلك دو سوسوسير ـ أشبه بوجهي الورقة الواحدة أو العملة الواحدة، فنرى الجاحظ في كتبه يبرزهما دائماً في شكل ثنائية تقابلية، إن الألفاظ ـ على نقيض المعاني ـ متناهية، محدودة، لأنها مشكلة من أصوات، والصوت محدود معدود، ولذلك كانت المعاني مما يتوصل إليها بأشكال مختلفة من الألفاظ، فاللغة قاصرة على أن تحيط بعالم المتكلم أو بالعوالم الدلالية كما سماها "غريماس".

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ٨١.." (٢)

"وبعد أن أوضح الجاحظ مقام المعاني بالنسبة للألفاظ ومقامها في ذهن المتكلم إذ هي أقدار وأحوال وليست على درجة واحدة من الاستعمال، فما يصلح لهذا المقام والحال قد لا يصلح لمقام وحال آخرين، وهذا ما عنته النظرية المقامية، يقول الجاحظ كاشفاً عن الدلالة المقامية أنه ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وحالاتهم، فيجعل لكل طبقة منهم كلاماً يخصهم به حتى يقسم بالتساوي أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم المعاني

---

(١) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص/١٦١

(٢) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص/١٦٣

على أقدار المقامات التي هم عليها المستمعون وحالاتهم(١). فالمعاني إذن تصنف وترتب بحسب أصناف الناس في المجتمع وتباين مقاماتهم وأحوالهم. وتلك رؤية علمية في غاية الدِّقة لطبيعة وجوهر العملية الإبلاغية، التي يراعى فيها الشروط الموضوعية (الخارجية) والشروط الذاتية التي يتصف بها الخطاب وصاحبه وهو ما تنادي به بعض المدارس اللسانية الحديثة التي تدعو إلى ضرورة الإحاطة بوضع المتلقي النفسي والاجتماعي حتى لا يقع المعنى في انسداد دلالي. وتلك إشارة إلى وجوب التوفيق عند المتكلم بين خطابه ومقام المستمع المتلقي، ويعني ذلك أن المتكلم كان قد قام بمطابقات تركيبية تشمل المطابقة النحوية (التأليف على سمت كلام العرب)، والمطابقة البلاغية (معرفية الفصل من الوصل) فضلاً على المطابقة بين **اللفظ والمعنى** وحسن موقع الكلمة من السياق، وهو ما تشير إليه نظرية الوقوع أو الرصف (collocational theory) حيث يعرف ستيفن أولمان الوقوع أو الرصف بقوله: "هو الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة".(٢)

---

(١) المرجع السابق، ج١، ص٨١.

(٢) Meaning and style ... p...10." (١)

"في القرن الرابع الهجري، ينهض ابن جني عالماً لغوياً، قدم دراسات كانت ولازالت لها فاعليتها في الثقافة اللغوية، والنشاط الفكري، إنْ على المستوى النظري المنهجي أو على المستوى الإجرائي التطبيقي. ولذلك يعد ابن جني من أعظم العلماء الذين قدموا نموذجاً مشرقاً لمباحث اللغة في التراث العربي المعرفي، فبدت اللغة العربية في "خصائصه" لغة لا تدانيها لغة لما اشتملت عليه من سمات حسن تصريف الكلام، والإبانة عن المعاني بأحسن وجوه الأداء، كما فتح أبواباً بديعة في العربية لا عهد للناس بها قبله كوضعه لأصول الاشتقاق بأقسامه، ومناسبة الألفاظ للمعاني(١) ومنها "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"، كما ناقش ابن جني مسألة نشأة اللغة التي كانت تشغل مكاناً مهماً في البحوث اللغوية آنذاك، وأوضح بتعليل منطقي أن اللغة أكثرها مجاز صار في حكم الحقيقة، وما يبرز قدرة ابن جني على رصد الظواهر اللغوية وتحليلها بمنطق علمي، هو ما قدمه حول التفريع الدلالي للفعل في "خصائصه". وفيما يلي سنعرض لبعض تلك المسائل عرضاً نحاول من خلاله إبراز جهود ابن جني في ميدان "الدلالة".

أ–اللفظ والمعنى:

---

(١) الخصائص، ج١، ص٢٧-٢٨. كان لأستاذه أبي علي الفارسي تقسيمات في الاشتقاق ولكن ليست كتقسيماته خاصة في الاشتقاق الكبير،انظر كذلك ج٢- ص١٣٣.." (٢)

---

(١) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص/١٧٢

(٢) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص/١٧٥

"تناول ابن جني في كتابه الخصائص عرض ثلاث علائق متصلة هي: العلاقة بين **اللفظ والمعنى**، والعلاقة بين اللفظ واللفظ، ثم العلاقة بين الحروف ببعضها. وأفرد لذلك أبواباً من ذلك "باب في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني" حيث عرض فيه لاشتراك الأسماء في المعنى الواحد ورده لوجود تقارب دلالي بين تلك الأسماء، يقول في مستهل هذا الباب: "هذا فصل من العربية حسن كثير المنفعة، قوي الدلالة على شرف هذه اللغة، وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل اسم منها فتجده مفضي المعنى إلى معنى صاحبه "وفي ذلك إشارة إلى وقوع الترادف في اللغة الذي كان ينكره بعض علماء اللغة في عصر ابن جني ومنهم أستاذه أبو علي الفارسي. وما اشتهر به صاحب الخصائص هو إبراز لظاهرة لغوية تتمثل في تقارب الدلالات لتقارب حروف الألفاظ، وهو ما سماه "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني" سجل فيه أن مخارج حروف اللفظ التي تقترب من مخارج حروف لفظ آخر، هما متقاربان دلالياً لتقاربهما فنولوجياً وتلك خاصية من خصائص اللغة العربية. وهذه الملاحظة تنم عن دقة وعمق رؤية ابن جني لنظام اللغة ففي شرحه للفظ "أزاً" الوارد ذكره في قوله تعالى: "ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً"(١) يقول ابن جني في قوله تعالى: "تأزهم أزاً": أي تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزاً والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز، لأنك قد تهز مالا بال له، كالجذع وساق الشجرة، ونحو ذلك"(٢). كما قدم ابن جني تطبيقات أخرى مست ألفاظاً وجد بين حروفها اشتراكاً في الصفات الفنولوجية، فأفضى ذلك إلى تقاربها في الدلالة من ذلك المقابلة بين فعل (ج ع د) والفعل (ش ح ط).

(١) سورة مريم، الآية ٨٣.

(٢) الخصائص، ج٢، ص١٤٦.." (١)

"وعلى أساس هذه الأصناف الثلاثة للفظ المفرد يمكن بناء العلاقات الدلالية بين جملة الحقول التي يؤسسها وبين الدلالة التي يحملها. فالنوع الأول يشير إلى علاقة المطابقة بين الإنسان والحيوان الناطق، أما النوع الثاني والثالث فهو يحقق علاقة التضمن، وما هو حريّ بالملاحظة في هذا المقام هو أن ابن سينا يسعى إلى وضع قواعد كلية تنتظم الألفاظ، وهذا هو "دأب المناطقة، بل إنه لينادي بأن تكون تلك القواعد عامّة لجميع اللغات ينتفع بها كل الأقوام خاصة فيما تعلق بالجانب الدلالي الذي يسعى المنطقي إلى تحقيقه بضبطه للألفاظ في حالتها الإفرادية والتركيبية يقول ابن سينا: "يلزم المنطقي أيضاً أن يراعي جانب اللفظ المطلق من حيث ذلك غير مقيد بلغة قوم دون قوم. إلا فيما يقل"(١). فابن سينا بخبرته في التحليل يدرك أن بين اللغات قدراً من الاشتراك وتبقى كل لغة تتميّز بخصوصيتها الموفورلوجية، والفونولوجية بحيث تتفاوت في ذلك اللغات، وتختلف.

ب-أقسام الدلالة: إنّ تعيين العلاقة بين **اللفظ والمعنى**، تناوله ابن سينا من جوانب ثلاثة: -دلالة المطابقة ودلالة التضمن ودلالة الإلتزام، فإذا كان الانتقال بواسطة العقل من الدال إلى مدلوله، لعلمه بعلاقة الوضع وأنّه كلّما تحقق مسموع اسم

(١) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص/١٧٦

ارتسم في الخيال مدلوله، فإن الدلالة عندئذ دلالة وضعية تمنع من وقوع الالتباس بين الدلالات الثلاث. لأنّه قد يطلق اللفظ ولا يعني به مدلوله المطابق له كما إذا أطلقنا لفظ "الشمس" وعنينا به "الجرم" كانت الدلالة بينهما مطابقة وإذا عنينا به "الضوء" كانت العلاقة بينهما تضمن".

---

(١) الإشارات والتنبيهات –ج١، ص١٨١.." (١)

"دلالة المطابقة ودلالة التضمن ودلالة الالتزام"(١). وهي دلالات تجمع الأنساق كلّها. ويشرح علاقة الالتزام فيقول: "ودلالة الالتزام مثل دلالة المخلوق على الخلق والأب على الابن والسقف على الحائط والإنسان على الضاحك، وذلك أن يدل أولاً دلالة المطابقة على المعنى الذي يدّل عليه أولاً، ويكون ذلك المعنى يصحبه معنى آخر، فينتقل الذهن أيضاً إلى ذلك المعنى الثاني الذي يوافق المعنى الأول ويصحبه. وتشترك دلالة المطابقة ودلالة التضمن في أن كل منها ليس دلالة على أمر خارج عن الشيء"(٢). وينصّ ابن سينا هاهنا على أمر مهم يخصّ العلاقة بين دلالة المطابقة ودلالة الالتزام إذ الوصول إلى دلالة اللفظ على معناه بطريق الالتزام يمرّ عبر إجراء دلالة المطابقة بين اللفظ وما يطابقه من مدلولات بتوسط الذهن الذي ينجز هاتين المرحلتين (بشكل سريع جداً) فدلالة الأب على الابن دلالة التزام ولكن هذه الدلالة لم تنعقد حتى وجد العقل أن بين الأب ومدلوله (أنه والد له أبناء) هناك علاقة مطابقة، ثمّ تختلف دلالة الالتزام عن دلالتي التضمن والمطابقة في أنها تستدعي مدلولاً خارجاً عن اللفظ، أما دلالتا التضمن والمطابقة فإنهما تستدعيان مدلولهما من لفظيهما. لأن دلالة اللفظ على كل أجزائه هي دلالة مطابقة، أما علاقته بجزء من هذه الأجزاء فهي علاقة تضمن، ولذلك نجد ابن سينا في حصره للعلاقة القائمة نظرياً بين **اللفظ والمعنى** لا يقيّدها فيقول في ذلك: "ولأن بين **اللفظ والمعنى** علاقة ما"(٣).

---

(١) منطق المشرقيين –ص٣٧.

(٢) الإشارات والتنبيهات –ج١، ص١٨٩.

(٣) الإشارات والتنبيهات –ج١، ص١٨٩.." (٢)

"يقول الجرجاني في ذلك: "لو كانت المعاني تكون تبعاً للألفاظ في ترتيبها لكان محالاً أن تتغيّر المعاني والألفاظ بحالها لم تزل عن ترتيبها فلما رأينا المعاني قد جاز فيها التغيّر من غير أن تتغيّر الألفاظ وتزول عن أماكنها علمنا أن الألفاظ هي التابعة والمعاني هي المتبوعة"(١). كما أن الدرس الدلالي الحديث يقرّ أن الصيغة المعجمية تكتسب دلالة ثانية عندما تدخل في تجاور سياقي مع وحدات كلامية أخرى يُراعىَ في ذلك حسن التناسق بين المعاني وحسن الموقع للألفاظ فلا تبدو نابية ولا مستكرهة وبذلك تكتسب الصيغة المعجمية داخل التركيب (الفضيلة) وفي ذلك تأكيد على أهمية التلازم بين مكونات الجملة بالنظر إلى الوظيفة الدلالية لهذه المكونات يشرح ذلك الجرجاني بقوله: "فقد اتضح إذن اتضاحاً لا يدع للشك مجالاً

---

(١) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص/١٩٤

(٢) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص/١٩٦

أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّدة ولا من حيث هي كلم مفردة، وإنما الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ"(٢). إنّ تلك المزايا التي كان يخص بها أهل الشعر ومحترفو صناعة النقد في التراث الأدبي العربي للفظ دون المعنى يعطيه الجرجاني تأويلاً آخر، إذ ينظر إلى **اللفظ والمعنى** كطرفين لا ينفكان يشكلان ما سمّاه علماء الألسنة المحدثون بالعلامة اللسانية أو الدليل اللساني (Signe linguistique) ومنهم العالم دوسوسير الذي يقيمه على الدال والمدلول ويغضّ الطرف على مفهوم المدلول في عالم الماديات وتعيينه كطرف ثالث في العملية الدلالية(٣). فأولئك النقاد الذين عناهم الجرجاني لا يبنون انطباعهم الجمالي على الصورة الصوتية للكلمة بمعزل عمّا توحيه من دلالة بديعة بل ينظرون إلى اشتراك **اللفظ والمعنى** معاً في إحداث صورة دلالية.

(١) دلائل الإعجاز، ص٣٣٨.

(٢) المصدر السابق، ص٦٠.

(٣) Cour de linguistique generale p.100." (١)

"إنّ اللغة عند الجرجاني تتمظهر في تقابلات ثنائية قطباها **اللفظ والمعنى**، وهي أعمق ممّا قيّدها به بعض البلاغيين الذين وضعوا معايير منطقية ونحوية (قواعدية) تمكن كل من قدر على النطق بها مراعياً أدواتها، من أن يبلغ الغاية من البيان في اللغة، وكأن النقص في بلوغ البيان يكمن فقط في النقص من جهة العلم باللغة، ومعرفة الإشارة بالعين وبالرأس ودلالتهما والخط والعقد والحال واتصالهم بتحقيق البيان. إن الذي يعطي المزية لخطاب لغوي هو مراعاته للأسرار والدقائق التي تتعلق بجوهر اللغة لا بمظهرها، آخذاً من أجل بلوغ الغاية التي لا مبلغ بعدها تلك الارتباطات الدلالية التي يلتحم فيها الدال بمدلوله ضمن شبكة من العلاقات، تقتضي معرفة بالأصول القواعدية، ووعي بأسرارها، حيث لا تقف عند حدود المنطق والنحو إنّما تأخذ فضلاً عن ذلك العلاقة اللغوية كتجسيد لدلالة هي عبارة عن نسيج حي متشعب الصور. يقول الجرجاني في ذلك متجاوزاً نظرة الجاحظ إلى البيان المؤسّس على معايير هي أشبه بالقواعد النحوية: "ترى كثيراً منهم لا يرى له (أي للنحو) معنى أكثر مما يرى للإشارة بالرأس والعين وما تجده للخط والعقد يقول: إنّما هو خبر واستخبار وأمر ونهي. ولكل من ذلك لفظ قد وضع له، وجعل دليلاً عليه فكل من عرف أوضاع لغة من اللغات عربية كانت أو فرنسية وعَرَف المغزى من ذلك من كل لفظة ثم ساعده اللسان على النطق بها وعلى تأدية أجراسها وحروفها فهو بيّن في تلك اللغة كامل الأداة، بالغ عن البيان المبلغ الذي لا مزيد عليه. مُنتهٍ إلى الغاية التي لا مذهب بعدها (..) وجملة الأمر أنه لا يرى النقص يدخل على صاحبه في ذلك إلا من جهة نقصه في علم اللغة، لا يعلم أن هاهنا دقائق وأسرار، طريق العلم بها الرواية والفكر ولطائف مستقاها العقل..."(١).

(١) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص/٢٠٥

(١) دلائل الإعجاز ، ص٢٠-٢١.." (١)

"إن احتفاء الجرجاني بالمعنى وإعطائه القيمة العليا في العملية الدلالية، وإحلاله المحل الأول في الإنشاء لكونه يعبر عن المقاصد والأغراض، يمكن أن نجد له تعليلاً في أن اللفظ قد خصّ باهتمام كبير لدى النقاد الذين سبقوا الجرجاني في تقديمهم للشكل على المضمون، هذا الاهتمام المفرط باللفظ على حساب المعنى سعى الجرجاني إلى الحدّ منه وذلك بالنظر إلى أن اللغة تذوب فيها ثنائية **اللفظ والمعنى**، وهذا ما كرّسه في نظرية النظم التي أقامها على النحو (العلم بالتركيب) وعلم المعاني (العلم بالدلالة).." (٢)

"أمّا ابن سينا فيمثّل حقلاً معرفياً أفاد منه الدرس الدلالي كثيراً، خاصّة وأنّ الدلالة هي بحث في المعنى وطرق تشكله وتمظهره في أنماط مقولية مختلفة، فابن سينا العالم النفساني الخبير بمكامن وأسرار النفس، والمشرّح البارع الممتلك لأدواته الإجرائية في التشريح، قد استطاع أن يلج إلى عالم الدلالة ليرصد لنا آليات الفعل الدلالي وأقسام الدلالة والعلاقة بين هذه الأقسام، فضلاً عن أقسام اللفظ باعتبار الشركة والخصوصية، وعلى أساس ذلك يمكن بناء حقول دلالية تخصّ الأسماء، وما يمكن إبرازه هاهنا هو العلاقة التي عقدها ابن سينا بين **اللفظ والمعنى** "والآثار" التي في النفس، وهي تقارب ما وضعه الألسنيون المحدثون في ذلك ممثلاً إياه بالمثلث —كمثلث (ogden et richards) المعروف، والذي ينص أن لا علاقة مباشرة بين **اللفظ والمعنى**، أو ما يصطلح عليه بالدال والمدلول وهو ما يوضحه الخط المنقط في قاعدة المثلث. وما ختمنا به جهود العرب القدامى في ميدان الدلالة هو جهود العالم اللغوي عبد القاهر الجرجاني صاحب نظرية النظم، التي ولدت مع الجاحظ وتبلورت مع ابن جني، وتأسست على يد الجرجاني قاعدة بيّنة المعالم واضحة الأهداف تأخذ (النحو) بمفهومه الواسع أساساً لضبط قواعد سلامة التركيب، والنظام الدلالي العام. وما يميّز جهود الجرجاني هو تحديده بشكل دقيق لآليات الفعل الإبلاغي، واضعاً في سبيل ذلك أسساً تتلخص في ضرورة الاهتمام بالسياق العام لكل عناصر الإبلاغ بدءاً بالمخبر ومروراً بالخبر وانتهاءً إلى المستمع المتلقي للخبر، ثم هناك علاقة مهمة بين المخبِر والخبَر من جهة والخَبر والمتلقي من جهة ثانية وعليها تتحدد دلالة الحدث الكلامي المتضمن للخبر. فإدراك الجرجاني هذه العناصر كلها في عملية الإبلاغ، جعله يتبوأ مكانة كبيرة في عطاءات الدرس اللساني الحديث عامّة والدلالي خاصّة.." (٣)

"ويتقدم الآمدي قبل الزركشي في تعريف علم أصول الفقه فيقول: "فأصول الفقه هي أدلة الفقه وجهات دلالتها على الأحكام الشرعية وكيفية حال المستدل بها"(١). ثمّ احتاج علم أصول الفقه في مرحلة من مراحل تشكله إلى ضوابط لغوية أخذها من تقسيمات المناطقة للألفاظ من حيث دلالتها على المعاني ومن حيث عمومها وخصوصها ومن حيث إفرادها وتركيبها. وإنّ نظرة عجلى إلى استهلالات كتب الأصوليين وتلك التي في كتب المنطق لتؤكد ما مدى صلة علم

(١) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص/٢٠٧

(٢) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص/٢٠٩

(٣) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص/٢٢٢

أصول الفقه بالمنطق، خاصّة، يقول الدكتور علي سامي النشار وهو يتحدث عن تلك المداخل اللغوية في كتب الأصوليين: "وتبدأ هذه الأبحاث اللفظية كما تبدأ كتب المنطق الأخرى بالبحث المشهور "دلالة الألفاظ على المعاني"(٢) ومنذ عهد الغزالي دأب الأصوليون المتكلمون يستهلون كتبهم بمقدمات كلامية كمظهر من مظاهر تأثرهم بالمنطق اليوناني ومنهم الآمدي صاحب كتاب "الإحكام في أصول الأحكام" وقد عدّت المباحث اللغوية في تلك الكتب من مسائل المنطق لأن الأصوليين المتكلمين خاصّة، نصّوا على قواعد نظرية المعرفة وذكروا من ضمنها المبحث اللغوي الذي يتناول **اللفظ والمعنى** وما يتفرع عنه من مسائل، وقد أطلقوا على تلك المقدمات اللغوية المنطقية بشكل عام اسم الكلامية وذلك لاعتبارهم أن المنطق جزء من علم الكلام، إلا أنّ ما يجدر ذكره هو عمق النظرة اللغوية عند الأصوليين بلجوئهم إلى طرق وأدلة خاصّة في تعاملهم مع اللغة، لا يتوفر عليها اللغويون أنفسهم يقول الدكتور علي سامي النشار: "إن المباحث الأصولية اللغوية ليست من نوع علوم اللغة أو النحو العادية. فقد دقق الأصوليون نظرهم في فهم أشياء من كلام العرب لم يتوصل إليها اللغويون أو النحاة.

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، ج١- ص٧.

(٢) منهاج البحث عند مفكري الإسلام. ص٤٥.." (١)

"أما الحالة الثانية التي يحدّدها الأصوليون لنشأة الحقيقة الشرعية، فتبدو الدلالة فيها محوّلة منقولة عن وضع لغوي أول، وذلك على اعتبار أن يكون أهل اللغة قد عرفوا الحقيقة الشرعية بمعرفة **اللفظ والمعنى** إلا أنهم عرفوا اللفظ بمفرده دون معناه الشرعي، أو عرفوا المعنى الشرعي دون لفظه الأصلي، وتعد الحقيقة الشرعية بهذا الوصف من قسم المنقول الذي قال عنه العلماء الأصول أنه المعنى اللغوي الذي نقل إلى المعنى الشرعي أو العرفي. وبعد هذه التفريعات التي أقام على أساسها الآمدي تقسيم "الحقيقة" يخلص إلى تعريف جامع مانع للدلالة الحقيقية ويربطها بالفعل الإجرائي المتمثل في الاستعمال لقصد التخاطب فيقول: "وإن شئت أن تجد الحقيقة على وجه يعم جميع هذه الاعتبارات قلت: "الحقيقة هي اللفظة المستعملة فيما وضع له أولاً في الاصطلاح الذي به التخاطب". فإنه جامع مانع"(١).

٢-ماهية المجاز

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٨.." (٢)

" سعيد البصري حيث يقول

(النحو يبسط من لسان الألكن ... والمرء تكرمه إذا لم يلحن)

(وإذا طلبت من العلوم أجلها ... فأجلها عندي مقيم الألسن)

---

(١) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص/٢٢٥

(٢) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص/٣٢٥

قال صاحب الريحان والريعان واللحن قبيح في كبراء الناس وسراتهم كما أن الإعراب جمال لهم وهو يرفع الساقط من السفلة ويرتقي به إلى مرتبة تلحقه بمن كان فوق نمطه وصنفه قال وإذا لم يتجه الإعراب فسد المعنى فإن اللحن يغير **المعنى واللفظ** ويقلبه عن المراد به إلى ضده حتى يفهم السامع خلاف المقصود منه وقد روي أن أعرابيا سمع قارئا يقرأ (إن الله بريء من المشركين ورسوله) بجر رسوله فتوهم عطفه على المشركين فقال أو بريء الله من رسوله فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأمر أن لا يقرأ القرآن إلا من يحسن العربية على أن الحسن قد قرأها بالجر على القسم وقد ذهب على الأعرابي فهم ذلك لخفائه وقرأ آخر (إنما يخشى الله من عباده العلماء) برفع الأول ونصب الثاني فوقع في الكفر بنقل فتحة إلى ضمة وضمة إلى فتحة فقيل له يا هذا إن الله تعالى لا يخشى أحدا فتنبه لذلك وتفطن له وسمع أعرابي رجلا يقول أشهد أن محمدا رسول الله بفتح رسول الله فتوهم أنه نصبه على النعت فقال يفعل ماذا وقال رجل لآخر ما شانك بالنصب فظن أنه يسأله عن شين به فقال عظم في وجهي وقال رجل لأعرابي كيف أهلك بكسر اللام وهو يريد السؤال عن أهله فتوهم أنه يسأل عن كيفية هلاك نفسه فقال صلبا ودخل رجل ." (١)

" وقد قيل من أخذ معنى بلفظه كان سارقا ومن أخذ بعض لفظه كان سالخا ومن أخذه فكساه لفظا من عنده كان أولى به ممن تقدمه وأين من هو أولى بالشيء ممن سبقه إليه ممن يعد سارقا وسالخا ويقال إن أبا عذرة الكلام من سبك لفظه على معناه ومن أخذ معنى بلفظه فليس له فيه نصيب

هذا فيمن أخذ سجعة أو سجعتين في خطبة أو رسالة أو بيتا أو بيتين في قصيدة وما قارب ذلك أما من أخذ القصيدة بكمالها أو الخطبة أو الرسالة برمتها أو لفقها من خطب أو رسائل فذاك إنما يعد ناسخا إن أحسن النقل أو ماسخا إن أفسده

واعلم أن الناثر الماهر والشاعر المفلق قد يأتي بكلام سبقه إليه غيره فيأتي بالبيت من الشعر أو القرينة من النثر أو أكثر من ذلك بلفظ الأول من غير زيادة ولا نقصان أو بتغيير لفظ يسير وهذا هو الذي يسميه أهل هذه الصناعة وقوع الحافر على الحافر

وقد سئل أبو عمرو بن العلاء عن الشاعرين يتفقان على لفظ واحد ومعنى فقال عقول رجال توافت على ألسنتها

والواقع من ذلك في كلامهم على قسمين

القسم الأول ما وقع الاتفاق فيه في **المعنى واللفظ** جميعا

كقول الفرزدق

(وغر قد وسقت مشمرات ... طوالع لا تطيق لها جوابا) ." (٢)

" (ليبلغ عذرا أو ينال رغيبة ... ومبلغ نفس عذرها مثل منجح)

---

(١) صبح الأعشى، ٢٠٦/١

(٢) صبح الأعشى، ٣١٧/٢

فعروة جعل اجتهاده في طلب الرزق عذرا يقوم مقام النجاح وأبو تمام جعل الموت في الحرب الذي هو غاية اجتهاد المجتهد في لقاء العدو قائما مقام الانتصار قال في المثل السائر وكلا المعنيين واحد غير أن اللفظ مختلف

وأظهر من ذلك أخذا قول القائل

(وقد عزى ربيعة أن يوما ... عليها مثل يومك لا يعود)

أخذه من قول ابن المقفع في باب المراثي من الحماسة

(وقد جر نفعا فقدنا لك أننا ... أمنا على كل الرزايا من الجزع)

على أنه ربما وقع للمتأخر معنى سبقه إليه من تقدمه من غير أن يلم به المتأخر ولم يسمعه ولا استبعاد في ذلك كما يستبعد اتفاق **اللفظ والمعنى** جميعا

قال أبو هلال العسكري وهذا أمر قد عرفته من نفسي فلا أمتري فيه وذلك أني كنت عملت شيئا في صفة النساء فقلت

(سفرن بدورا وانتقبن أهلة ...)

وظننت أني لم أسبق إلى جميع هذين التشبيهين حتى وجدت ذلك بعينه لبعض البغداديين فكثر تعجبي وعزمت على ألا أحكم على المتأخر بالسرقة من المتقدم حكما حتما

إذا تقرر ذلك فسرقة المعنى المجرد عن اللفظ لا تخرج عن اثني عشر ضربا

الضرب الأول

أن يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ولا يكون هو إياه

قال في المثل ." (١)

" نحمده فرادى ومثنى ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة كاملة **اللفظ والمعنى** ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي شيد الله به للدين خير مبنى وأضحت الضلوع على محبته تحنى وثمار الخير مما بين روضته ومنبره تجنى وخصه الله بالشرع المستقيم والدين الأهنى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة في الصدور لها سكنى وسلم تسليما

وبعد فإن أم القرى خير البلاد بلا مرا قد جعل الله للناس إليها رحلة وسرى وهجروا في قصدهم إليها لذيذ الكرى ونصب فيها بيتا متين العرى وأنبع فيها بئرا ماؤها يشفي السقيم ويبريء الورى وجعل فيها للشرف بيتا عالي الذرى فأميرها المطاع من أهل بيت النبوة لا يخيب ولا يضاع ذو همة تخافها السباع ويرهبها البطل الشجاع يعد من الآباء أسلافا كراما كمصابيح السماء تجلو ظلاما وقد طيب الله مقامهم وأعلى مقامهم حين جاوروا مقاما

ولما كان هو شريف العرب المعرق في النسب الطيب الحسب المحيي من آثار آبائه ما ذهب الشريف النفس فلا يلتفت إلى العرض الأدنى من الرقة وأكد شكره الحرم وأهله وأثنى على صفاء سيرته الصفا وعلى مروءته المروة إذ طاب أصله قد اقتفى في الكرم أباه وجده وأمن سبيل الحاج من جهة البر ومن جهة البحر من جدة

---

(١) صبح الأعشى، ٣٢٧/٢

فلذلك رسم أن يفوض إليه فليحل البلد الحرام حاكما وآمرا وليستجلب له من العاكف والباد شاكرا وليحسن للطائفين والعاكفين والركع السجود وليتبع آثار آبائه أهل الكرم والجود وليؤمن الخائف في تلك التهائم والنجود وليردع الحائف عن حيفه فلا يعود وليعلم أنه بواد غير ذي زرع ولكن فيه للبركات ظل ممدود وخير مشهود وبمكة مولد أشرف مولود وجده الحسن رضي الله عنه فليكن حسن الفعال فكما ساد يسود ." (١)

"لمست بكفي كفه أبتغي الغنى ... ولم أدر أن الجود من كفه يعدى

أخذه أبوتمام فقال:

علمني جودك السماح؛ فما ... أبقيت شيئاً لدى من صلتك

وبيت ابن الخياط أبلغ وأجود.

٢١ - وقال دعبل بن علي:

وإن امرأ أسدى إلى بشافعٍ ... إليه ويرجو الشكر مني لأحمق

شفيعك فاشكر في الحوائج؛ إنه ... يصونك عن مكروهها وهو يخلق

فأخذه أبو تمام فقال وألطف المعنى وأحسن اللفظ:

فلقيت بين يديك حلو عطائه ... ولقيت بين يدي مر سؤاله

وإذا امرؤٌ أهدى إليك صنيعةً ... من جاهه فكأنها من ماله

٢٢ - وقال مسلم بن الوليد ف يالحجاب، وأخطأ ف يالمعنى:

كذلك الغيث يرجى في تحجبه ... حتى يرى مسفراً عن وابل المطر

أخذه أبو تمام فقال:

ليس الحجاب بمقصٍ عنك لي أملاً ... إن السماء ترجى حين تحتجب

إلا أن لبيت أبي تمام وجهاً من الثواب، وقد ذكرته في بابٍ ف يهذا الكتاب مع ما أخذ على مسلم بن الوليد في بيته من العيب.

٢٣ - وقال النابغة الجعدي:

وتستلب الدهم التي كان ربها ... ضنيناً بها، والحرب فيها الحرائب

فأخذه أبو تمام فقال وقصر عنه:

لما رأى الحرب رأى العين نوفلسٌ ... والحرب مشتقة المعنى من الحرب

أو أخذه من قول إبراهيم بن المهدي:

وسعروا الحرب واسم الحرب قد علموالو ينفع العلم مشتقٌ من الحرب

٢٤ - وقالت مريم بنت طارق ترثى أخاها، في أبيات أنشدها ابن الأنباري في أماليه:

---

(١) صبح الأعشى، ٢٣٢/١٢

كنا كأنجم ليلٍ بينها قمرٌ ... يجلو الدجى، فهوى من بينها القمر

أخذ أبو تمام **اللفظ والمعنى**، فقال:

كأن بني نبهان يوم وفاته ... نجوم سماء من بينها البدر

أو أخذه من قول جرير يرثي الوليد بن عبد الملك:

أمسى بنوه وقد جلت مصيبتهم ... مثل النجوم هوى من بينها القمر

ولست أدري أيهما أخذ من صاحبه؟ أمريم أخذت من جرير، أم جرير أخذ منها؟ وروى دعبل بن علي الخزاعي لأبي سلمى المونى، من ولد زهير، واسمه مكنفٌ وهو الذي كان يهجو بني القعقاع آل ذفافة العبسي فيقول:

إن الضراط به تعاظم مجدكم ... فتعاظموا ضرطاً بني القعقاع

قال دعبل: فلما مات ذفافة رثاه أبو سلمى فقال:

أبعد أبي العباس يستعتب الدهر ... وما بعده للدهر عتبي ولا عذر؟

ألا أيها الناعي ذفافة ذا الندى ... تعست وشلت من أناملك العشر

ولا مطرت أرضاً سماءٌ، ولا جرت ... نجومٌ، ولا لذت لشاربها الخمر

كأن بني القعقاع بعد وفاته ... نجوم سماء خر من بينها البدر

توفيت الآمال بعد ذفافةٍ ... فأصبح في شغلٍ عن السفر السفر

يعزون عن ثاوٍ تعزى به العلا ... ويبكى عليه البأس والمجد والشعر

وما كان إلا مال من قل ماله ... وذخراً لمن أمسى وليس له ذخر

قال أبوعبد الله محمد بن داود بن الجراح: قال أبو محمد اليزيدي: أنشدني دعبلٌ هذه القصيدة، وجعل يعجبني من الطائي في ادعئه إياها، وتغييره بعض أبياتها.

٢٥ - وقال مسلم بن الوليد يرثي:

فاذهب كما ذهبت غوادي مزنةٍ ... أثنى عليها السهل والأوعار

أخذ أبو تمام المعنى وقصر ف يالعبارة، فقال:

وقفنا فقلنا بعد أن أفرد الثرى ... به ما يقال في السحابة تقلع

وتقصيره عن مسلم أن مسلماً قال " أثنى عليها السهل والأوعار " فأراد أن هذه السحابة عمت بنفعها، وفي قول أبي تمام " ما يقال في السحابة تقلع " إبهام؛ لأنه لم يفصح بالثناء عليها وأنها نفعت، وقد يقال في السحابة إذا أقلعت ما هو غير المدح والثناء، إذا نزلت في غير حينها، وف يغير وقت الحاجة إليها، وكثيراً ما يضر المطر إذا كانت هذه حاله، وإن كان أبو تمام لم يرد هذا القسم، وإنما أراد القسم الآخر فقط؛ فقصر في العبارة والشرح، ألا ترى إلى قول الشاعر الأول ما أحسن ما شرط، وهو طرفة:

فسقى ديارك غير مفسدها ... صوب الربيع وديمةٌ تهمى

قال " غير مفسدها " لما دعا لها بالسقيا التي تدوم، وقال البحتري:." [١]

"إليك تناهى المجد من كل وجهةٍ ... يصير فما يعدوك حيث تصير

٣٧ - وقال جرير يهجو الأخطل:

ما زلت تحسب كل شيء بعدهم ... خيلاً تكر عليكم ورجالاً

أخذه أبو تمام فقال:

حيران يحسب سجف النقع من دهشٍ ... نقى يحاذر أن ينقض أو جرفاً

وأخذ جرير المعنى من قول الله تعالى: " يحسبون كل صيحةٍ عليهم " .

٣٨ - وقال مسلم يرثي:

سلكت بك العرب السبيل إلى العلى ... حتى إذا سبق الردى بك داروا

نفضت بك الآمال أحلاس المنى ... واسترجعت نزاعها الأمصار

أخذه أبو تمام فقال:

توفيت الآمال بعد محمدٍ ... فأصبح مشغولاً عن السفر السفر

أو أخذ ذلك من أبي سلمى يرثى ذقاقة العبسى كما حكى دعبلٌ.

٣٩ - وقال توبة بن الحمير:

يقول أناسٌ: لا يضرك نأيها ... بلى كل ماشف النفوس يضيرها

أخذه أبو تمام فقال وزاد فيه:

لا شيء ضائر عاشقٍ، فإذا نأى ... عنه الحبيب فكل شيءٍ ضائره

٤٠ - وقال عنترة:

فشككت بالرمح الطويل ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرم

أخذه أبو تمام فقال:

يحملن كل مدججٍ، سمر القنا ... بإهابه أولى من السربال

قال ذلك لأنه ظن أن عنترة أراد الثياب نفسها، وإنما أراد عنترة بقوله " ثيابه " نفسه.

٤١ - وقال مسلم بن الوليد:

يكسو السيوف نفوس الناكثين به ... ةيجعل الهام تيجان القنا الذبل

أخذه أبو تمام وأساء الأخذ وتعسف اللفظ فقال:

أبدلت أرؤسهم يوم الكريهة من ... قنا الظهور قنا الخطى مدعما

---

(١) الموازنة، ص/١٨

أو أخذا المعنى جميعاً من قول جرير:

كأن رؤوس القوم فوق رماحنا ... غداة الوغى تيجان كسرى وقيصرا

٤٢ - وقال امرؤ القيس:

سموت إليها بعد ما نام أهلها ... سمو حباب الماء حالاً على حال

أخذه أبو تمام وعدل به إلى وجه المديح فقال:

سما للعلا من جانبيها كليهما ... سمو حباب الماء جاشت غواربه

وما قيل في إخفاء الحركة والدبيب أبلغ ولا أبرع من بيت امرئ القيس هذا.

٤٣ - وقال الفرزدق يهجو جريرا:

أنتم قرارة كل مدفع سوأةٍ ... ولل سائلة تسيل قرار

أخذ أبو تمام **اللفظ والمعنى** جميعاً فقال:

وكانت لوعةً ثم اطمأنت ... كذاك لكل سائلةٍ قرار

٤٤ - وقال محمد بن بشير الخارجي من خارجة عدوان:

وإذا رأيت صديقه وشقيقه ... لم تدر أيهما أخو الأرحام

أخذه أبو تمام فقال:

فلو أبصرتهم والزائريهم ... لما مزت الحميم من البعيد

فقصر عن الأول.

٤٥ - وقال بعض الأعراب يصف المصلوب، أنشده ثعلب:

قام ولما يستعن بساقه ... آلف مثواه على فراقه

كأنما يضحك في إشراقه

أخذ أبو تمام قوله " آلف مثواه على فراقه " فقال:

لايبرحون ومن رآهم خالهم ... أبداً على سفرٍ من الأسفار

٤٦ - وقال مسلم بن الوليد وهو معنى سبق إليه:

لا يستطيع يزيدٌ من طبيعته ... عن المروءة والمعروف إحجاماً

أخذ أبو تمام المعنى فكشفه وأحسن اللفظ وأجاد فقال:

تعود بسط الكف حتى لوانه ... دعاها لقبضٍ لم تجبه أنامله

٤٧ - وقال ذو الرمة:

وليلٍ كجلباب العروس أدرعته ... بأربعةٍ والشخص في العين واحد

أحم علافيٌ، وأبيض صارمٌ ... وأعيس مهريٌ، وأروع ماجد

أخذه أبو تمام فقصر وليس هو المعنى بعينه، فقال:

البيد والعيس والليل التمام معاً ... ثلاثةٌ أبداً يقرن في قرن

والذي اتبع ذا الرمة فأحسن الاتباع البحتري في قوله:

يا خليلي بالسواجير من أد ... بن معنٍ وبحتر بن عتودٍ

اطلبا ثالثاً سواي؛ فإني ... رابع العيس والدجى والبيد

٤٨ – وقال النابغة الذبياني، وكان الأصمعي يتعجب من جودته:

وعيرتني بنو ذبيان خشيته ... وهل على بأن أخشاك من عار

اخذه أبو تمام فقال وزاد ذكر الموت:

خضعوا اصولتك التي هي عندهم ... كالموت يأتي ليس فيه عار

٤٩ – وقال كعب بن زهير يمدح قريشا:." (١)

"وأبو تمام سأل من يخاطبه أن يقبل عليه، ويجعل له قشطاً من النظر؛ فإن إدامة النظر تدل على المودة، كما أن الإعراض يدل على البغض. والبحتري إنما سلم على الهيثم الغنوى، وذكر أن السلام تحية، وأن وجهه لجماله وطلاقته يكفي المسلم قبل رده، والمعنيان مختلفان، وليس لواحد منهما من الرقة والغرابة ما ينسب أحدهما إلى انه محذوٌ على ألآخر أو مسروق منه.

٢٢ – ومن ذلك قول أبي تمام:

ورحب صدرٍ لو أن الأرض واسعةٌ ... كوسعه لم يضق عن أهله بلد

وقول البحتري:

مفازة صدرٍ لو تطرق لم يكن ... ليسلكها فرداً سليك المقانب

وأبو تمام ذكر أن رحب صدر الممدوح وسعته تزيد على سعة الأرض، فأسرف، وأخطأ ف يالمعنى بما قد ذكرته في باب خطائه في المعاني، والبحتري ذكر سعة صدر الممدوح، وجعل له مفازة على اللاستعارة، وذكر أنه لو تطرق لم يكن ليسلكها سليكٌ الذي لم يكن ليكبر عليه سلوك الأرض وإن عرضت وطالت، وإنما أراد جميعاً سعة صدر الممدوح، كما جرت العادة بهذا الضرب من المدح، فأفرطا، ولكن سلك كل واحد منهما معنىً غير معنى صاحبه كما ترى.

٢٣ – ومن ذلك قول أبي تمام:

إنما البشر روضةٌ؛ فإذا ما ... كان برٌ فروضةٌ وغدير

وقول البحتري:

فإن العطاء الجزل ما لم تحلهببشرك مثل الروض غير منور

فأراد أبو تمام البشر مع البر كالروضة والغدير، وأراد البحتري أ العطاء ما لم يكن معه بشر كان كالروض غير منور؛ فليس

---

(١) الموازنة، ص/٢٠

بين المعنيين اتفاق إلا في ذكر البشر والروض، والألفاظ غير محظورة على واحد.

٢٤ - ومن ذلك قول أبي تمام:

وغني ما حورفت في طلب الغنى ... ولكنما حورفتم في المكارم

فقال البحتري:

إذا ابتدا بخلاء الناس عارفةً ... يتبعها المن فالمرزوق من حرما

فأراد أبو تمام أنه ليس بمحدود ولا محارفٍ في ملتمساته ومكالبه، ولكن الذين أملهم وطلب ما عندهم حورفوا ف يمكارمهم؛ فأحسن في **المعنى واللفظ** كل الإحسان؛ وأراد البحتري أن البخيل إذا امتن بمعروفه فالمرزوق من حرم ذلك المرعوف؛ فهذا المعنى غير معنى أب يتمام، وليس بينهما اتفاق ولا تقارب.

٢٥ - ومن ذلك قول أبي تمام:

إذا شب ناراً أقعدت كل قائم ... وقام لها من خوفه كل قاعد

وقول البحتري:

ومبجلٌ وسط الرجال، خفوفهم ... لقيامه، وقيامهم لقعوده

وليس أحد المعنيين من الآخر في شيء؛ لأن أبا تمام أراد أن الممدوح إذا شب نار الحرب أقعدت كل قائم لقتاله ومنابذته: أي تزعج كل واحد خوفاً وفرقاً؛ وذلك مأخوذ من قول الفرزدق:

أتاني ورحلي بالمدينة وقعةٌ ... آل تميمٍ أقعدت كل قائم

وقوله " وقام لها من خوفه كل قاعد " أي: زال عن الطمأنينة والهدو والقرار فقام، وإنما يريد انزعاج الخائف؛ فجعل ذلك قياماً له، والبحتري إنما ذكر أن الرجال يخفون لقيام ممدوحه، أي: يسرعون بين يديه إذا قام، فإذا قعد قاموا إجلالا وهيبة، وأن من شأنه أن لا يجلس أحد بجلوسه وأن يكون الناس كلهم قياماً إذا جلس، والمعنيان مختلفان، وليس بينهما اتفاق إلا في ذكر القيام والقعود، والألفاظ مباحة.

٢٦ - ومن ذلك قول أبي تمام:

ورب يومٍ كأيامٍ، تركت به ... متن القناة ومتن القرن منقصفا

وقول البحتري:

من معركٍ ضنكٍ تخال به القنا ... بين الضلوع إذا انثنين ضلوعا

وليس بين المعنيين اتفاق إلا في أن الشاعرين وصفا حال الطعن بالقنا كيف يقع؛ فذكر ذلك أن ممدوحه يقصف متن القرن ومتن القناة، وشبه هذا انطواء الرماح واعوجاجها - إذا وقعت بضلوع القوم - باعوجاج ضلوعهم، وهذا من التشبيهات الظريفة العجيبة، وهو المعنى الذي استغربه واستحسنه أبو تمام لما أنشد البحتري محمد بن يوسف القصيدة، وذلك أول اجتماعهما وتعارفهما على ما يرويه الشاميون.

٢٧ - ومن ذلك قول أبي تمام:

بين البين فقعدها، قلما يع ... رف فقدٌ للشمس حتى تغيبا

وقول البحتري:

فاضل بين الإخوان عسرى في ... ظلماء ليلٍ تفاضلت شهبه." [١]

"أرامة كنت مألف كل ريم ... لو استمتعت بالأنس القديم

وهذا بيت جيد.

وقال البحتري:

ربعٌ خلا من بدره مغناه ... ورعت به عين المها الأشباه

وهذا بيت حسن حلو.

وقال البحتري أيضاً:

عهدي بربعك مأنوساً ملاعبه ... أشباه آرامه حسناً كواعبه

وهذا بيت في غاية الجودة والبراعة لفظه ومعناه.

وقال أيضاً:

عهدي بربعك مئلاً آرامه ... يجلى بضوء خدودهن ظلام

وهذا بيت جيد **اللفظ والمعنى**، ولفظ الأول أحلى وأبرع، وقوله " يجلى بضوء خدودهن ظلامه " حسن جداً.

وقال أيضاً:

أرى بين ملتف الأراك منازلا ... مواثل لو كانت مهاها مواثلا

وهذا أيضاً بيت من أبرع ابتداءاته.

فهذا ما وجدته لهما في هذا النحو، والبحتري في أبياته أشعر من أبي تمام في أبياته.

فيما تهيجه الديار وتبعثه من جوى الواقفين بها

قال أبو تمام:

أقشيب ربعهم أراك دريساً ... تقرى ضيوفك لوعةً ورسيسا

وهذا بيت من جيد الابتداءات وبارعها.

وقا لالبحتري:

مغاني سليمى بالعقيق ودورها ... أجد الشجى أخلاقها ودذورها

وهذا بيت في جودة بيت أبي تمام وبراعته.

وقال:

لعمر المغاني يوم صحراء أربد ... لقد هيجت وجداً على ذى توجد

---

(١) الموازنة، ص/٧٩

وقال أيضاً:

ما جو خبتٍ وإن نأت ظعنه ... تاركنا أو تشوقنا دمنه

وقال أيضاً:

كلما شاءت الرسوم المحيله ... هيجت من مشوق صدرٍ غليله

وهذه كلها ابتداءات جياد، وهي مع بيت أبي تمام متكافئة.

الدعاء للدار بالسقيا

قال أبو تمام:

أسقى طلولهم أجش هزيم ... وغدت عليهم نضرةٌ ونعيم

وقال أيضاً:

سقى عهد الحمى صوب العهاد ... وروى حاضرٌ منهم وبادي

وهذا ابتداءان جيدان.

وقال أيضاً:

يا برق طالع منزلاً بالأبرق ... واحد السحاب له حداء الأينق

قوله " طالع " لفظة رديئة ف يهذا الموضع قبيحة، وقوله " واحد السحاب له حداء الأينق " لفظه ومعناه جيدان فصيحان، وإنما خص البرق لأنه دليل الغيث وقال أيضاً:

أيها البرق بت بأعلى البراق ... وأغد فيها بوابلٍ غيداق

البرقا: جمع برقة، مثل برمة وبرام، وهي الأرض ذات الطين والحصى تكون ذات ألوان مختلفة، وهذا بيت جيد، ووصله ببيت هو غاية في الحسن والحلاوة نأتي به إن شاء الله تعالى في بابه.

وقال:

يا دار دار عليك أرهام الندى ... واهتز روضك في الثرى فترأدا

يقال: أرهمت السماء، إذا أتت بالرهمة، وهو المطر اللين، يقال: رهمة وأرهام، كأكمة وآكام، فإن قلت " أرهام الندى "كان ذلك سائغاً، فترأد: تثنى لكثرة مائه وغضاضته، ومنه " امرأة رود الشباب " أي: غضته، وهذا بيت ليس بجيد اللفظ ولا النسج.

وقال البحتري:

نشدتك الله من برق على أضم ... لما سقيت جنوب الحزن فالعلم

وهذا بيت بارع اللفظ، جيد المعنى، وزاد في جودته قوله " نشدتك الله " .

وقال أيضاً:

سقيت الغوادي من طلولٍ وأربع ... وحييت من دار لأسماء بلع

وهذا أيضاً بيت جيد **اللفظ والمعنى**، ويدخل في باب التسليم على اديار لقوله " وحييت من دار " .

وقال أيضاً:

أناشد الغيث هل تهمى غواديه ... على العقيق وإن أقوت مغانيه

وهذا بيت جيد وقال أيضاً:

أقام كل ملث الودق رجاس ... على ديارٍ بعلو الشام أدراس

ملث: دائم كثير، ورجاس: مصوت، يريد الرعد، وهذا بيت كثير الماء والرونق.

وقال أيضاً:

لا يرم ربعك السحاب يجوده ... تبتدى سوقه الصبا أو تقوده

وقال أيضاً:

سقى دار ليلى حيث حلت رسومها ... عهادٌ من الوسمى وطفٌ غيومها

وهذان ابتداءان جيدان، وليسا مثل ما تقدم.

وقال أيضاً:

سقى ربعها سح السحاب وهاطله ... وإن لم يخبر آنفاً من يسائله

وهذا البيت ردئ العجز من أجل قوله " آنفاً " لأنه حشوٌ لا حاجة للمعنى به؛ فهذا ابتداء من الدعاء للديار بالسقيا، وهما عندي متكافئان.

في لوم الأصحاب في الوقوف على الديار

قال أبو تمام:." (١)

"أراك أكبرت إدماني على الدمن ... وحملي الشوق من بادٍ ومكتمن

وهذا ابتداء صالح وقال أيضاً:

ما عهدنا كذا نحيب المشوق ... كيف والدمع آية المعشوق

هذا بيت ردئ جداً، وقد ذكرت ما فيه في باب ما ذكرناه له في وسط الكلام في تعنيف الأصحاب على الوقوف على الديار، وهذا البيت ابتداء، وإنما ذكرته هناك لأن معناه يتضح بالأبيات التي بعده؛ فجعلته في ذلك الباب.

وليس لأبي تمام ابتداء صالح في لوم الأصحاب غير هذين البيتين.

فأما البحتري فإنه تصرف ف يابتداءاتٍ جيادٍ حسانٍ بارعةٍ حلوةٍ؛ فمن ذلك قوله:

فيم ابتداركما الملام ولوعا ... ابكيت إلا دمنةً وربوعا

وهذا بيت حسن، وفيه سؤال، وهو أن يقال: إنما لاموه على بكائه على الدمنة والربوع، فما وجه اعتذاره بأنه لم يبك إلا دمنة وربوعا؟ والجواب أنه أراد أبكيت إلا ما مثله يبكي؟ وقد تقدمني الناس فيه ولم ينكر ذلك على أحد.

---

(١) الموازنة، ص/١٠١

وقوله:

خذا من بكائي في المنازل أودعا ... وروحا على لومي بهن أو اربعا

وهذا بيت جيد.

وقوله أيضاً:

ذاك وادي الأراك فاحبس قليلا ... مقصراً من ملامتي أو مطيلا

وهذا بيت جيد حسن، بارع **اللفظ والمعنى**، وقد ذكرته أيضاً في باب الوقوف على الديار.

وقوله:

أحرى الخطوب بأن يكون عظيما ... قول الجهول: ألا تكون حليما

وقوله:

ما أنت للكلف المشوق بصاحب ... فاذهب على مهلٍ فليس بذاهب

وقوله:

في غير شأنك بكرتي وأصيلي ... وسوى سبيلك في السلو سبيلي

وقوله:

بعض هذا العتاب والتفنيد ... ليس ذم الوفاء بالمحمود

ولهما في تأنيب العذال في غير الوقوف علىالديار ابتداءاتٌ ليس بضائرٍ ذكرها ههنا.

فمن ذلك قول أب يتمام:

تقى جمحاتي لست طوع مؤنبي ... وليس حبيبي إن عذلت بمصحبي

وقوله أيضاً:

دأب عيني البكاء، والحزن دابيفاتركيني وقيت ما بي لما بي

وقوله أيضاً:

كفى وغاك؛ فإنني لك قالى ... ليست هوادي عزمتي بتوالي

وقوله أيضاً:

لامته لام عشيرها وحميمها ... منها خلائق قد أبر ذميمها

وقوله أيضاً:

متى كان سمعي خلسةً للوائم ... وكيف صغت للعاذلين عزائمي

وقوله أيضاً:

قدك اتئب أربيت في الغلواء ... كم تعذلون وأنتم سجرائي

وهذه كلها ابتداءاتٌ صالحة، إلا هذا البيت الأخير؛ فإن الناس عابوه، وذكر أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح في كتابه

أن مما عيب من ابتداءات الطائي قوله:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر

وقوله:

خشنت عليه أخت بني خشين

فأما قوله " خشنت عليه " فهو لعمري من تجنيساته القبيحة، وعهدت مجان البغداديين يقولون: قليل نورة يذهب بالخشونة، وأما قوله "كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر " فليس بمعيب عندي، وقد ذكرته في ابتداءات المراثي، وأخبرت بمعناه، وأما قوله " قدك اتئب أربيت في الغلواء " فإنها ألفاظ صحيحة فصيحة من ألفاظ العرب، مستعملة في نظمهم ونثرهم، وليست من متعسف ألفاظهم، ولا وحشي كلامهم، ولكن العلماء بالشعر أنكروا عليه أن جمعها في مصراع واحد، وجعلها ابتداء قصيدة، ولم يرفق بينها بفواصل فقال: " قدك اتئب أربيت في الغلواء " ؛ فصار قوله " قدك اتئب "كانهما كلمة واحدة على وزن مستفعلن، وضم إليه " أربيت في الغلواء " فاستهجنت ،ولو جاء هذا في شعر أعرابي لما أنكروه؛ لأن الأعرابي إنما ينظم كلامه المنثورالذي يستعمله في مخاطباته ومحاوراته ،ولو خاطب أبو تمام بهذا المعنى في كلامه المنثور لما قال لمن يخطبه إلاحسبك استح زدت وغلوت، وهذا كلام حسن بارع.." (١)

"أين الأكاسرة الجبابرة الألى ... كنزوا الكُنوز فما بَقَيْنَ ولا بَقُوا

قال أبو العتاهية:

أين الأولى كنزوا الكُنوز وأتقنوا ... أنْ القرون بنو القرون الماضية

دَرجُوا فأصبحت المنازلُ منهم ... عُطلاً وأصبحت المساكن خالية

وأبو الطيب جاء بالمعنى واللفظ الطويل في الموجز القليل وهو أولى بما أخذ.

وقال المتنبي:

من كُلّ من ضَاق الفَضاءُ بجيشه ... حتى ثَوى فَحواهُ لحْدٌ ضَيّقُ

هذا من قول أشجع:

وأصبح في لحدٍ من الأرضِ ضَيّقٍ ... وكانَتْ به حَيّاً تضيق الصَّحاصِحُ

فجعل أبو الطيب الأرض تضيق بجيشه، وأشجع جعل الضيق به وحده فبيته أرجح وأمدح فهو أولى للسبق بما قال. وقد قال أبو العتاهية:

شهواتُ الدنيا ... عوافهن المكاره

يسع القبر شخصاً ... من لم يسعه المهامه

وهذان البيتان يساويان قول أبي الطيب بغير زيادة لأن المهامه لا تضيق عن شخص من إلا أن يريد أبو العتاهية مراد أبي الطيب لم يسعه المهامه لكثرة رجاله وتوافر جيشه فيصيران متساويان وقد يكون أشجع أولى بالرجحان.

---

(١) الموازنة، ص/١٠٢

وقال المتنبي:

فالموتُ آتٍ والنّفوسُ نفائس ... والمستغرُّ بما لديه الأحمقُ

أنشد ابن قتيبة في كتاب عيون الشعر:

إنّ امرأ أمِن الزَّما ... ن لمستغِر أحْمقُ

وفي بيت أبي الطيب زيادتان في صدره وعجزه يستولي بها على هذا البيت ولفظه أجزل فهو أرجح من هذا البيت وأحق بما أخذ.

وقال المتنبي:

ولَقدْ بكيْتُ على الشَّبابِ ولِمّتي ... مُسودّةٌ ولماء وجهي رَوْنَقُ

حَذراً عليهِ قَبْلَ يَومِ فَراقِهِ ... حتّى لكدتُ بِماءَ جَفْني أشْرَقُ

هذا يشبه قول القائل:

كُنتُ أبكي دماً وأنْت ضجيعي ... حَذراً من تَشتّت أو فراق

وهذا يدخل في نقل اللفظ القصير إلى الطويل الكثير لم يبلغ مراده إلا في بيتين وأتى به من سبقه في بيت، الأول أولى بما قال. ويشبه ما حكاه الصولي، قال: قال ثعلب: غير مرة وأنشد لابن الأحنف ما رأيت أحداً إلا وهو يستحسن هذا وهو مما أحتذي عليه وإن فارق ما قصد به إليه:

قد كنت أبكي وأنت راضية ... حذار هذا الصُّدودِ والغَضبِ

إن تم ذَا الهجر يا ظلوم ... ولا تم فما لي في العيش من أرب

جعله أبو الطيب في الشباب وجعله ابن الأحنف في محبوبه واعتراض كلام في كلام فيه فائدة مما يستحسن قوله ولا تم من ذلك وفي معنى ابن الأحنف:

ما كنتُ أيّام راضية ... عنّي بذاك الرّضا بمغتبط

علماً بأنَّ الرّضا سيتبعُهُ ... منك التَّجني وكثرة السَّخط

فكلما نساني فعن خلق منك ... وما سرني فعنَّ غلط

وقال المتنبي:

كَبّرتُ حَول ديارهمْ لما بَدتْ ... منها الشُّموسُ وليس فيها المشرِقُ

ذكر أنه كبر حول ديارهم تعجباً من كون الشموس فيها وليس فيها المشرق. شبه الممدوحين بالشموس، وينبغي أن تكون الشموس في المشرق فكأن ديارهم ليس لها مشرق فلذلك أستغرب كون الشمس فيها، نبهه على هذا أبو نواس بقوله:

ترى حَيْثُ ما كانتْ من البيت مَشرقاً ... وما لم تكنْ فيه من البيت مَغربا

فخبر عن الخمر بأنها إذا حلت في بيت كان مشرقاً وإذا لم يكن فيه كان مغرباً وكلام أبي نواس أحسن وقد ذكر المشرق والمغرب فرجح كلامه عليه.

وقال المتنبي:

وعجِبتُ من أرض سَحاب أكفهم ... مِنْ فوقها وصخُورها لا تُورِقُ

قال بعض البادية:

لوْ أنَّ راحتهُ مرت على حجرٍ ... صَلْدٍ لأورق منها ذلك الحَجَرُ

وقال مسلم:

لَوْ أنَّ كفاً أعشبتْ لِسماحةٍ ... لبدى براحتِهِ النباتُ الأخْضرُ

قال ابن الخياط في طاهر بن الحسين)في حراقة في دجلة(.

عَجبتُ لِحُرّاقةَ ابن الحسي ... أن كيف تعومُ ولا تغْرقُ

وبحران مِنْ تَحْتِها واحِدٌ ... وآخر مِنْ فوقها مُطْبِقُ

وأعجب من ذاك عِيدانُها ... وقَدْ مسّها كيف لا تُوْرِقُ." (١)

"فتعجب أبو الطيب من أرض سحاب أكفهم فوقها لم تورق صخورها وخبر البدوي أن يد الممدوح لو مرت على حجر لأورق فأخبر بإيراق الحجر ولم يتعجب من أن لا يورق فبيته أرجح وأمدح وهو أولى بما قال ومعنى بيت مسلم لو كان ممكناً أن يعشب كف لأعشبت يدك فخبر أن ذلك غير ممكن والإخبار بإيراق الحجر أبلغ في المدح من إعشاب الراحة بعد ما دل على أن ذلك لا يمكن فيها وقد أشترك أبو الطيب وابن الخياط في التعجب ولكن الصخور أبعد من الإيراق وإن كانت العيدان قد بعدت من إمكان الإيراق فيها ولكن ما أمكن أن يورق في حال أقل مبالغة مما لم يكن إيراقه على حال فعلى هذا الترتيب فالبدوي أحق بما قال ثم أبو الطيب وأقصد القوم مسلم.

وقال المتنبي:

وتفوحُ من طيبِ الثّناءِ رَوائحٌ ... لهم بكل مكانةٍ تُستنشقُ

مِسْكيّةُ النفحّاتِ إلا أنّها ... وَحْشيّة بِسواهُمُ لا تعْبقُ

أخذ هذا من شعر أورده جدّي وكيع في كتاب الغرة:

لَوْ كان يوجَدُ ريحُ مجدٍ فائحاً ... لوجدتَهُ منهم عَلى أمْيالِ

وقال العطوي: وقد حمل نعش ابن أبي داود:

وليسَ نسيم المِسْك ما تجدونه ... ولكنَّهُ ذاك الثَّناءُ المخلَّفُ

وليس صرير النعش ما تسمعونه ... ولكنَّهُ أصلاب قومٍ تَعصفُ

وقال ابن الرومي:

أعبقتهُ من طيبِ ريحكَ عبقةً ... كادَتْ تكُونُ ثناءك المَسمُوعا

فالشاعر الأول قال لو كان يوجد ريح مجد فائحاً لوجدته منهم على أميال ولكنه لا يوجد وابن الرومي قال: كادت تكون)ثناءك وقال: كادت(والعطوي خبر أن المسك ليس هو في الحقيقة ما يجده الشام ولكنه ثناؤه المخلف بعده وأبو الطيب

---

(١) المنصف للسارق والمسروق منه، ص/٣٨

خبر عن ريح الثناء أنه منهم بكل مكانة يستنشق وبكل مكان أعم من أميال ولكن العطوي جاء بإرادته في بيت ولم يبلغ أبو الطيب إرادته إلا في بيتين فنقل اللفظ القصير إلى الطويل الكثير.

وقال المتنبي:

أمرِيُدَ مِثْلَ مُحمدٍّ في عصرنا ... لا تبلنا بطِلاب ما لا يُلْحقُ

أخذه من أبي الشيص:

لَوْ تبتغي مثلَهُ في الناس كُلّهم ... طلبتَ ما ليس في الدنيا بموجود

ويقرب من قول البحتري:

وما للمعالي طالبُ فتمهّلنْ ... ولو طُلبتْ ما كان مِثْلك يُلْحقُ

وللبحتري أيضاً:

أيُّها المبتغي مساجلة)الفتْ ... ح(تبغيتَ نَيلَ ما لا يُنالُ

فهذه أبيات تتناسب معانيها ومبانيها وهي تدخل في باب المساواة والسابق أولى بها.

وقال المتنبي:

لمْ يخلقِ الرحمنُ مِثْل محَمدٍ ... أحداً وظني أنَّه لا يَخلقُ

قال عبد الله بن أبي السمط:

ما كان مِثلك في الورى فيمنْ مَضى ... أحداً وظنّي أنه لا يخلقُ

وهما متفقا اللفظ والمعنى مجتمعان على التيقّن فيما مضى والشكّ في المستقبل وهذا تغيير يسير يكاد يدخل في أخذ اللفظ المدعى وهو ومعناه معاً، وقد قال ابن الرومي:

فَهلْ من سبيلٍ إلى مِثله ... أبى اللهُ ذاك على منْ خَلقْ

فلم يخطر جمعهم وجود مثله إلا على من خلق دون من يخلق غير المعوج فإنه قال:

وما ابن علي في العُلى كابن من ... لهُ مِن الناسِ شكل أو يكون لهُ شكل

وقال الحصنيّ:

لمْ يكن في خليفةِ الله ندٌّ ... لك فيما مَضى وليس يكونُ

فمنع وجود مثله في الماضي والمستقبل فحكم على الغيب وما أشبه هذا الشعر بشيء. روي عن المعتصم أنه أمر في ليلة من لياليه بإحضار من جار على بابه فوجد الغلام ثلاثة قد مروا بالباب من أهل المدينة فأدخلوا، فقال لهم المعتصم: أسمعوا هذا الغناء واحداً واحدا وعرّفوني ما عندكم فيه وأمر جارية له بالغناء فغنّت فقال لأحدهم: كيف رأيت ما تسمع؟ قال: امرأته طالق إن كان الله يخلق مثل هذه. وقال للآخر ما تقول أنت؟ قال: امرأته طالق إن كان الله يخلق مثلها أبداً. فقال للثالث: ما تقول أنت؟ قال: أقول امرأتي طالق. قال: إن كان ماذا. قال: إن كان لا شيء، قال: ولم طلقت، قال: لطلاق رفيقيّ من أين لهذا العاض بظر أمه أن الله ما خلق مثل هذه ولهذا العاض بظر أمه إن الله لا يخلق مثلها فلما رأيتهما قد طلقا في

غير موضع الطلاق ساعدتهما على ذلك.

وقال المتنبي:

يا ذَا الذي يهَبُ الكثير وعنده ... إني عليه بأَخْذِهِ أتَصدَّقُ." (١)

"والبحتري أرجح، يحسن التأليف في الفراق والصدود.

وقال المتنبي:

المُنبهاتُ عُيوننا وقُلُوبنا ... وجناتِهِنَّ النّاهِباتِ النَّاهِبَا

هذا كلام متكلف ولفظ متعجرف وهو من قول أبي تمام:

سلبنَ غطاءَ الحُسْن عن حُرّ أوجُهٍ ... تظلُّ للبّ السّالبيها سَوالِبا

وقال ابن الرومي:

منهوبةً باللحظ مسلوبةً ... لها جمالٌ ناهب سالبُ

وشعر أبي الطيب أصعب وشعر غيره أعذب، فالأول أحق بقوله.

وقال المتنبي:

حاولْنَ تفديتي وخِفْنَ مراقباً ... فوضعن أيديهنَّ فوق تَرائبِا

كان المليح أن ينكر فيقول:)وضعن أيدنا فوق ترائب(أو يعرف فيقول:)وضعن أيديهن فوق ترائبهنّ(لتعتدل الصنعة والتقدير من عادتها وضع الأيدي على الترائب فهؤلاء الرقباء إذا رأوا أيديهن فوق ترائبهن وليس هذا من عادتهن إلا لعلة فلم يفطنوا لمقصدهم في غاية ركود الفطنة واستيلاء الغفلة.

وقال المتنبي:

وبسمْنَ عن بَرَدٍ خشيتُ أذيبُهُ ... منْ حَرّ أنفاسي فكنتُ الذَّائِبا

أخذه من قول ديك الجن:

تضاحكَ عَنْ بردٍ مُشْرقٍ ... ناجيتهُ من بَيْن جُلاَّسي

فكلَّما قبَلتهُ خِفْتُ أنْ ... يَذُوبَ من نيرانِ أنْفاسِي

فالمعنى المعنى ولكن لأبي الطيب زيادة وهي من تمام الكلام، وهي قوله:)فكنت الذّائبا(وهي مليحة يستحق بها الجزالة ما أخذ. وقد أملح أبو تمام في قوله:

ومن العجائبِ أن يُذيبَ مفاصِلي ... منْ لو جَرى نفسي عليه لذابا

وقال المتنبي:

يا حبذا المتحملونَ وحبَّذَا ... وادٍ لثمتُ به الغزالةَ كاعِبَا

هذا من قول المؤمل:

---

(١) المنصف للسارق والمسروق منه، ص/٣٩

يا قوم قَدْ زارني شخص سررت به ... زارتني الشمس إلا أنّها بَشرُ

فهذا يدخل في قسم المساواة.

وقال المتنبي:

كيف الرَّجاء من الخُطوبِ تخلّصاً ... من بعد ما أنشبنَ فيَّ مخالِبَا

هذا موجود **اللفظ والمعنى** في قول أبي الرومي:

فقد أنشبت حادثاتُ الخُطوبِ ... مخالبُها بِي وأنيابها

فهذه استعارة للعتّابي في قوله:

فتىً ظفرت مِنهُ الليالي بِزلّةٍ ... فافعلنَ عنه داميات المَخالِب

وقال المتنبي:

أوجدْنِي ووجدْنَ حزناً واحداً ... متناهياً فجعلنَهُ لي صَاحِبا

قال أبو تمام:

مضى صاحبي وأستخلف البتَّ والأسى ... عليَّ فلي من ذا وهَذاك صَاحِبُ

ولا فرق بين المبنيين والمعنيين فالسابق أولى بما قال وأفصحهما، الديك سرقه في أخذه من أبي تمام منه جملة فقال:

مضى قاسم وأستخلف البتَّ والأسى ... عليّ قدْ أخل وذاكَ مساعِدُ

وقال المتنبي:

ونصبنني غرضَ الرُّماةِ تُصيبُني ... مِحنٌ أشدُّ من السَّيُوفَ مَضَارِبا

ما أحوجه أن تكون القصيدة على قافية اللام، فكان يقول: محن أشد من السهام نِصَالا لأنه لا يقدم ذكر العرض فكان قد وفى الصنعة حقها كما قال الحصني:

في كل يوم لها نُبل معوقه ... كأنّني غرض تنجوه أو هَدفُ

وكقول أبي نواس:

تعاورتهم سِهامُ الدهرِ فانقرضوا ... كما تيمم نُبْل قَصْد أغْراضِ

وقال المتنبي:

أظمتني الدُّنيا فلما جِئْتُها ... مُسْتسقياً مَطَرتْ عَليَّ مَصَائِبا

وقال ابن الرومي:

وكنت كمستسق سماء مخيلة ... حيا فأصابته بإحدى الصَواعق

وهذا يدخل في قسم المساواة.

وقال المتنبي:

وحبيتُ من خوصِ الرّكابِ بأسْوَدٍ ... من دراشٍ فغدوْتُ أمشي رَاكِبا

هذا معنى أقل من فتحه أبو نواس ولكنه مع افتتاحه إيا جوّده حتى يزيد عليه من احتذاه بعده، وقال:

إِليك أبا العبّاس من بين من مشى ... عليها امتطينا الحضرميّ المُلَسَّنا

قلائص لم تُسقط جنيناً من الوَجَى ... ولم تَدْرِ ما قَرِع الفنيقُ ولا الهَنَا

وقال المتنبي:

حالاً متى علم ابن منصور بها ... جاء الزَّمانُ إِليّ منها تائبَا

هذا من قول أبي تمام المكفور النعمة المجحود المعرفة وهو:

كثرت خطايا الدَّهْر فيّ وقد يُرَى ... لنداك وهو إِليّ منها تَائِبُ

وقد يدخل هذا في اللفظ المدعى هو ومعناه، وقد ألم الحصني بمعنى أبي تمام فقال:." (١)

"وقد تَحْسِن الأَيام بَعْد إساءةٍ ... ويذيبُ صرف الدهرِ ثمَّ يتوبُ

ويقرب منه قول ابن الرومي:

أساءت لي الأيامُ يا بن محمدٍ ... ووهنَّ إِليّ اليوم مُعْتذراتُ

أين مطافي حول حقوبك عائذاً ... فهنَّ لمن أبصرته حذراتُ

وقال ابن المعتز:

وعرفني الدهر عن قربة ... زماناً فقد تابَ من ظلمِهِ

وقال المتنبي:

مَلكُ سِنانُ قناتِهِ وبنانُهُ ... يتباريان دماً وعرفاً سَاكِبا

هذا من قول البحتري:

تلقاهُ يقطرُ سيفهُ وسنانُهُ ... وبنانُ راحِتهِ ندىً ونَجِيعَا

وهو المعنى بعينه، وللبحتري السبق، فهو أولى بقوله.

وقال المتنبي:

يستصغر الخطرَ الكبيرَ لِوفْدِهِ ... ويظنُّ دجلة ليس تكفي شارِبا

أصح معنى منه معنى مسلم حيث يقول:

ليس الجوادُ بمالِهِ إلا الذي ... يُعطي الجزيل ولا يراهُ جَزيلا

معناه معنى أبي الطيب فإن أحتسب له محتسب إن قال ويظن دجلة ليس تكفي شارباً معنى آخر عورض بأن يقال له فقد قال ابن الرومي:

فسقاني امرؤ يرى لجةُ البحرِ ... لديه حوضاً من الأَحواضِ

فلجة البحر أكبر من دجلة، والحوض أكثر ما يشرب الشارب إلى بلوغ ريّه فالناقص بازاء الناقص والزائد بازاء الزائد وابن

---

(١) المنصف للسارق والمسروق منه، ص/٩٢

الرومي أحق بقوله.

وقال المتنبي:

كرماً فلو حدّثتهُ عن نَفْسِهِ ... بعظيمِ ما صنعْتَ لظّنكَ كَاذِبا

قال البحتري:

تجاوز غايات العُقولِ مواهبٌ ... تكادُ بها لولا العِياتُ تكذّبُ

وقال أيضاً:

وحديثُ مجدٍ عنك أفْرط حُسْنُه ... حَتّى ظنّنا أنّهُ موضُوعُ

وقال البصير:

يحدث عنه كلَّ بادٍ وحاضرٍ ... أحاديث كالأحلامِ فيها عَجائبُ

أحاديث لولا حقٌ لبسنه ... لظنّ أناس إنهنّ كَواذبُ

وقال البحتري:

أغرُّ إذا عدّتْ مناقِبُ فعلِهِ ... توهّمتَ أنَّ الحقَّ مِنْهُنّ باطِلُ

فكل من أتى بهذا المعنى يخبر أن غير الممدوح يظن ما سمعه كذباً في إفراطه غير أبي الطيب فإنه جعل أن يكون الكريم متناسياً لصنائعه فأما أن ينساها جملة حتى يظن حديثك بما فعل كذباً فهو بلادة وركود فطنة وقلة معرفة بما أسداه وهو بالذم أشبه منه بالمدح وألفاظ السابقين أرجح وأمدح فهم بما قالوه أحق.

وقال المتنبي:

وعجاجةً تركَ الحديدُ قذالها ... زنْجاً تبسّمَ أو قذالاً شائِبا

الأحسن في صنعة الشعر لو أمكنه أن يقول: زنجياً تبسم أو قذالاً شَائِبا أو: زنجاً تبسم أو قذالة شَائبا فأتى بالجمع مع الجمع والمفرد مع المفرد وتخصيصه القذال دون اللحية لا يفيد إلا ما يفيد المفرق، وقد أتى تبسم الزنجي ابن المعتز فقال:

قدْ أغتدي والصبح في مآبِه ... كالحبشي أفتر عن أنْيابِهِ

كأنّما يُضحك من ذهابِهِ فهذا من استخراج معنى من معنى أحتذي عليه وإن فارق ما قصد به إليه جعل العجاج بازاء الليل وجعل الحديد بازاء الصبح، وجاء بالمعنى بعينه والأول أحق به.

وقال المتنبي:

فكأنّما كُسي النَّهارُ بها دُجَى ... ليلٍ وأطلعتِ الرّماحُ كَواكِبا

قد أكثر الشعراء في هذا المعنى فمن ذلك قول العتابي:

يبني حَوافرها من فَوق رأسِها ... سقفاً كواكبه البيض المآثير

وقال ابن أبي فنن:

تَرى للنّقع فوقهم سماءً ... كواكبها الأسِنّةُ والنُّصولُ

وكل ما قيل في هذا المعنى يسقط دون قول بشار:

كأنَّ مثار النقع فوق رؤوسهم ... وأسْيافنا ليل تَهاوى كَواكِبُه

هذا شعر يجمع حسن **اللفظ والمعنى** لأن فيه تشبيهين في تشبيهين لا يحتاج البيت فيهما إلى غيره، وبيت أبي الطيب يفسّره ما قبله فيكون اللفظ الطويل الذي جاء به الشعراء قبله في الموجز القليل والسابق أحق بقوله.

وقال المتنبي:

أسدٌ فرائسُها الأسود يقودها ... أسدٌ تَصيرُ له الأسودُ ثعالبا

صدره من قول ابن المعتز:

أسدٌ فرائسها الأسود ولا تطأ ... إلاَّ على الآساد يوم حُروبها

وعجزه من قول المريمي:

كم من عدوٍ كان قبلك ضيغماً ... حتى إذا ما خيف عاود تعلبا

وقد ألم المريمي ببيت ابن الرومي في قوله:

ليث إذا زأر الليث الهزبر له ... لم يحسب الليث إلا ثعلباً ضبحا." (١)

"سئل أبو سليمان عن الكهانة وما يلحق بها من أمور الغيب، وعن التنجيم وما يقدر به على أحكام المستقبل، وعن النبوة التي هي في محلها الأعلى ومكانها الأشراف؟ فتصرف في الجواب أحسن تصرف، على سعة من **اللفظ والمعنى**. ولكن لو نقلت كثيراً منه لنسبوه للكفر وقلة العناية. ومقدار الحاصل منه قد أثبته في هذا الموضع خوفاً من أن يذهب نسياً. فإن وافتني فيه معاندة حاصلة، أو حصلت لي محالة محتملة، فما على إلا الجهد وبذل المطاق، وإذا عذرني المتكلم المنصف، لم أحفل بالمتعنت المسرف، والله يعين أهل الحق بلطفه.

قال: الكهانة قوة إلهية توجد في شخص بعد شخص بسهام سماوية، وأسباب فلكية، وأقسام علوية، فإذا توسطت صارت في منصف البشرية والربوبية، فحينئذ يكون ما يبدو بها مشيراً إلى غيب أمور الدنيا وإلى غيب أمور الآخرة على حد يكون على سواء. والغلب مع ذلك لأمور الدنيا، لأن الإنسان بالطبيعة أكثر منه بغيرها، في الأعم الأغلب والشائع الأشمل، فإن تحدرت هذه القوة قليلاً كانت الإشارة إلى أمور عالية شريفة. ومحل النبوة بين أبناء هذه القوة بالترقي والتحدر، وكلما كان التباس النفس بالمزاج الموافق، وكان النور المقتبس من هذه القوة أسطع وأعلى، فعلى هذه تتبع قوة المنجم لآثار الكواكب تتبعاً ضعيفاً، لأن الآلة لا تساعده والصبر لا يوافيه، وذلك أنه يتلقى هذه الأمور المنتشرة من تلقاء نفسه ومن ناحية اختياره وقصده وبحثه وليست قوى الكاهن كذلك، أعني ليست تتبع بل هي كالإلقاء والوحي والسانح والطارئ فإن اجتمعت القوتان، أعني قوة التتبع بالصناعة وقوة الاقتباس بالكهانة، ظهر له كل أمر عجيب، وسمع كل قول غريب.

---

(١) المنصف للسارق والمسروق منه، ص/٩٣

ثم قال: وعلى ما تبين فإن الكهانة أقوى إذا كان صاحبها لا يشوبها بشيء من الحس، وألقاها على صفائها ونقائها، لأن قوتها تنسكب من المحل الأعلى بنسبتها بالعلة الأولى تامة قوية وصحيحة واضحة.." (١)

"حتى تلاقى الشاء والنمر

بلغت مرادا من فدائهم

والأم في الأبناء تعتقر

تأتي الليالي دونها ولها

في العقر مجد ليس ينعقر

أبقت حديثا من مآثرها

يبقى وتنفد قبله الصور

فإذا سمعت بذكر سوددها

ليلا أتاك الفجر ينفجر

ولقد تكون ومن بدائعها

حكم ومن أيامها سير

إنا لنؤتى من تجاربها

علما بما نأتي وما نذر

قسمت على ابنيها مكارمها

إن التراث المجد لا البدر

حتى تولت غير عاتبة

لم يبق في الدنيا لها وطر

من بعد ما ضربت بها مثلا

قحطان واستحيت لها مضر

صفو فهين بعده كدر

وإذا انتهيت إلى مدى أمل

دركا فيوم واحد عمر

ولخير عيش أنت لابسه

عيش جنى ثمراته الكبر

ولكل سابق حلبة أمد

---

(١) المقابسات .. لأبي حيان التوحيدي، ص/١٠٧

ولكل وارد نهلة صدر
وحدود تعمير المعمر أن
يسمو صعودا ثم ينحدر
والسيف يبلى وهو صاعقة
وتنال منه الهام والقصر
والمرء كالظل المديد ضحى
والفي يحسره فينحسر
ولقد حلبت الدهر أشطره
فالأعذبان الصاب والصبر
غرض ترامابي الخطوب فذا
قوس وذا سهم وذا وتر
فجزعت حتى ليس بي جزع
وحذرت حتى ليس بي حذر
العصر الأندلسي >> ابن هانئ الأندلسي >> تنبأ المتنبي فيكم عصرا
تنبأ المتنبي فيكم عصرا
رقم القصيدة : ١٠٨١٣
-
تنبأ المتنبي فيكم عصرا
ولو رأى رأيكم في شعره كفرا
مهلا فلا المتنبي بالنبي ولا
أعدوا أمثاله في شعره السورا
تهتم علينا بمرآه وعلكم
لم تدركوا منه لا عينا ولا أثرا
هذا على أنكم لم تنصفوه ولا
أورثتموه حميد الذكر إن ذكرا
ويلمه شاعرا أخملتموه ولم
نعلم له عندنا قدرا ولا خطرا
فقد حملتم عليه في قصائده

وما يضحك الثقلين الجن والبشرا

صحفتم **اللفظ والمعنى** عليه معا." [1]

"أو أن ما بيمينه في فيه

العصر الأندلسي >> صفي الدين الحلي >> وأغن أبدى من مواجب عوده

وأغن أبدى من مواجب عوده

رقم القصيدة : ٢٠٠٩١

–

وأغن أبدى من مواجب عوده

نغما أصح به القلوب وأمرضا

بيد، إذا سخطت على أوتاره،

نال الرفاق بسخطها عين الرضى

العصر الأندلسي >> صفي الدين الحلي >> يا نافخ الصور بل يا نافخ الصور،

يا نافخ الصور بل يا نافخ الصور،

رقم القصيدة : ٢٠٠٩٢

–

يا نافخ الصور بل يا نافخ الصور،

من رقدة السكر لا من ظلمة الحفر

قرنت حسنك بالإحسان فيه لنا،

فكان فيك مراد السمع والبصر

ضمنت للصحب إقبال السرور كما

ضمنت نايك نأي الهم والكدر

صوت بسيط به أرواحنا انبسطت،

إذ جئت في **اللفظ والمعنى** على قدر

إذ ترنم ساوى وزن نغمته،

وإن علا جاء بالترخيم في الأثر

يكاد تخرس صوت العود صرخته

حتى كأن له وترا على الوتر

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٢٦٣/٣

العصر الأندلسي >> صفي الدين الحلي >> جاء في قده اعتدال،

جاء في قده اعتدال،

رقم القصيدة : ٢٠٠٩٣

-

جاء في قده اعتدال،

مهفهف ما له عديل

قد خففت عطفه شمال،

وثقلت جفنه شمول

ثم انثنى راقصا بقد،

تثنى إلى نحوه العقول

يجول ما بيننا بوجه

فيه مياه الحيا تجول

ورنح الروض منه عطفا،

حف به اللطف والدخول

فعطفه داخل خفيف،

وردفه خارج ثقيل

العصر الأندلسي >> صفي الدين الحلي >> رقصوا فقام الحرب واشتبك القنا،

رقصوا فقام الحرب واشتبك القنا،

رقم القصيدة : ٢٠٠٩٤

-

رقصوا فقام الحرب واشتبك القنا،

من كل قد كالقضيب إذا انثنى

ونضوا من السود المراض صوارما،

بيضا، فلم نعلم علينا أم لنا." (١)

"ولقد أصغى إليها أذنا

فشجت قلب الخلي دون الملي

زادنا لحن الأغاني طربا

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٣٦٢/١٩

خبرا يطربنا عن وتر

والأماني بلغتنا أربا

فقضيناها إذن بالوطر

ونظرنا فقضينا عجبا

تطلع الشمس بكف القمر

في ليال أظفرتنا بالمنى

وكؤوس الراح فيها تنجلي

تذهب الهم وتنفي الحزنا

بنشاط مطلق من كسل

بحياة الطاس والكاس عليك

نزه المجلس من كل ثقيل

وتحكم إنما الأمر إليك

ولك الحكم ومن هذا القبيل

كيف لا والكأس تسقى من يديك

ما على المحسن فيها من سبيل

ولك الله حفيظا ولنا

حيثما كنت وما شئت افعل

وكجر حكم الحب فينا وبنا

أنت مرضي وإن لم تعدل

حبذا مجلسنا من مجلس

جامع كل غريب وعجيب

نغم العود وشعر الأخرس

ومحب مستهام وحبيب

يتعاطون حياة الأنفس

في بديع اللفظ والمعنى الغريب

بابلي السحر معسول الجنى

أين هذا مشتيار العسل

وإذا مر نسيم بيننا

قلت هذا ويحكم من غزلي

آه ممن ساءني في نسكه

ويراني حاملا عبء الذنوب

قد عرفنا زيفه في سكبه

فإذا كل مزاياه عيوب

قال لي تبت وذا إفكه

أنا لا والله لا أرضي أتوب

عن مليح صرحت عنه الكنى

توبة في حبه لم تقبل

وإذا ساء غيور أحسنا

بحميا رشفات القبل

أترك المغبق والمصطحبا

زمن الورد وأيام الربيع

بعد أن أغدو بها منشرحا

فلقد جئت لعمري بشنيع

فأدرها وانتهب لي زمنا

بحلول الشمس برج الحمل

وأرخني إنما ألقى العنا

من خليل مغرم بالعذل

أجتلي الكاسات تهوي أنجما

ولها فينا طلوع ومغيب

وأرى أوقاتها مغتنما

وإليها رحت ألهو وأطيب

لم أضعها فرصة لاسيما

في ختان الغر أبناء النقيب

علوي الأصل علوي الثنا

سيد السادات مولانا علي

الرفيع القدر والعالي البنا

مستهل الوبل عذب المنهل

ابن باز الله عبد القادر
علم الشرق وسلطان الرجال
لم يزالوا طاهرا من طاهر." (١)

"والشيب مهرب من جارى منيته،
ولا نجاء له من ذلك الهرب
والمرء لو كانت الشعرى له وطنا،
حطت عليه صروف الدهر من صبب
قد أقذف العيس في ليل، كأن له
وشيا من النور أو أرضا من العشب
حتى إذا ما انجلت أخراه عن أفق
مضمخ بالصباح الورد مختضب
أوردت صادية الآمال، فانصرفت
بريها، وأخذت النجح من كثب
هاتيك أخلاق إسماعيل في تعب
من العلا، والعلا منهن في تعب
أتعبت شكري فأضحى منك في نصب،
فاذهب فمالي في جدواك من أرب
لا أقبل الدهر نيلا لا يقوم به
شكري، ولو كان مسديه إلي أبي
لما سألتك وافاني نداك على
أضعاف ظني، فلم أظفر ولم أخب
لم يخط مأبض خلسات تعمدها
فشك ذا الشعبة الطولى فلم يصب
لأشكرنك، إن الشكر نائله
أبقى على حالة من نائل النشب
بكل شاهدة للقوم غائبة
عنهم جميعا، ولم تشهد ولم تغب

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٨٧/٢٣

مرصوفة باللآلي من نوادرها،

مسبوكة **اللفظ والمعنى** من الذهب

ولم أحابك في مدح تكذبه

بالفعل منك، وبعض المدح من كذب

العصر الأندلسي >> حيدر بن سليمان الحلي >> كلما زادك المحب اقترابا

كلما زادك المحب اقترابا

رقم القصيدة : ٢٢٨٣٠

-

كلما زادك المحب اقترابا

زدت عنه تباعدا واجتنابا

شيمة ليست العلى ترتضيها

للذي كان هاشميا لبابا

ياهماما ضربن في طينة العل

ياء أعراقه فطبن وطابا

لا تسم هذه الأواصر قطعا

ليس ذا اليوم يوم لا أنسابا

كيف تغضي، وقد سمعت عتابا

لم أخلني عدوت فيه الصوابا؟

هل أتى غير مفهم عن قصور؟

أم تراني أسأت فيه الخطابا؟

أو تثاقلت عن ملال، وحاشا." (١)

"ألا يا سيد الكونين سمعا

لداع سائل أمنا ومنا

وغوثا يا فدتك النفس غوثا

فقد شف الأسى جسمي وأضنى

فما في الخلق أسرع منك نصرا

لملهوف وأسمع منك أذنا

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٢٤/٥٠

وها أنا فيك قد أحسنت ظني

فحاشا أن تخيب فيك ظنا

وكيف يخاف ريب الدهر عبد

تكون له من الحدثان حصنا

أروم فكاك أسري من زمان

علقت بكفه الشلاء رهنا

وأرجو النصر منك على عدو

متى استقبلته قلب المجنا

ركنت إليك في أسري ونصري

وحسبي جاهك المأمول ركنا

وكم لي فيك من أمل فسيح

ستنجحه إذا ما الدهر ضنا

وقد طال البعاد وزاد شوقي

إليك وعاقني دهري وأونى

فأبدلني ببعد الدار قربا

وبوئني بتلك الدار سكنى

وجد لي بالشفاعة يوم حشري

وأسكني من الجنات عدنا

عليك صلاة ربك ما تغنى

حمام الأيك في فنن وحنا

وآلك والصحابة خير آل

وصحب ما شدا شاد وغنى

العصر الأندلسي >> ابن معصوم المدني >> اشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا

اشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا

رقم القصيدة : ٢٧٧٣٥

-

اشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا

بصوت شاد ودع شاذا وغمدانا

إن كان ألبست العليا ابن ذي يزن

تاجا فقد ألبست اليوم تيجانا

العصر الأندلسي >> ابن معصوم المدني >> أيا ماجدا قد أتقن اللفظ والمعنى

أيا ماجدا قد أتقن اللفظ والمعنى

رقم القصيدة : ٢٧٧٣٦

–

أيا ماجدا قد أتقن اللفظ والمعنى

ومعه من الإحسان ما لم يكن معنا

إليك فقد صيرت سحبان مفحما

وأخجلت بالافضال يا سيدي معنا

العصر الأندلسي >> ابن معصوم المدني >> بانوا فليت غرامي بعد هم بانا

بانوا فليت غرامي بعد هم بانا

رقم القصيدة : ٢٧٧٣٧

–

بانوا فليت غرامي بعد هم بانا

واستشعر القلب بعد البين سلوانا

لا بل سروا بفؤادي قبل سيرهم

وأبدلوا من جميل الصبر أحزانا

هل يعلم الصحب أني بعد فرقتهم." (١)

"أو جار في أمن خشاش

الأرض تنسحب انسحابا

كن جوهرا مما يمحص باللظى أو كن ترابا

ليسا سواء هابط

وهيا ومنقض شهابا

ألبين محتوم وآمله

إذا ما المرء هابا

والطبع إن روضته

ذللت بالطبع الصعابا

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤٥٨/٣٥

لا تؤخذ الدنيا اجتدا

تؤخذ الدنيا غلابا

راجع ضميرك ما استطعت ولا تهادنه عتابا

طوبى لمن لم يمض في

غي تبينه فتابا

ألوزر مغفور وقد

صدق المفرط إذ أنابا

يا منشئا هذي الرواية

إن رأيك قد أصابا

باللفظ والمعنى لقد

سالت مواردها عذابا

حقا أجدت وأنت أحرى من أجاد بأن تثابا

وأفدت فالمحمول فيها طاب والموضوع طابا

يكفيك فضلا أن عمرت بها من الذكرى خرابا

يا حسن ما يروى إذا

أروى معينا لا سرابا

أذكرت مجدا لم تزل

تحدو به السير الركابا

وعظائما للشرق قد

أعنت من الغرب الرقابا

خفض الجناح لها العدى

وعلا الولاة بها جنابا

مشت على الأسناد في الروم المطهمة العرابا

وبمسرجيها الفاتحين أضاقت الدنيا رحابا

آيات عز خلدت صحف الزمان لها كتابا

يا قومي التاريخ لا

يألو الذين مضوا حسابا

ويظل قبل النشر يوسعهم

ثوابا أو عقابا

من رابه بعث فهذا البعث لم يدع ارتيابا

فإذا عنينا بالحياة

خلا ألطعام أو الشرابا

وإذا تبينا المسيرة لا طريقا بل عبابا

فلنقض من حق الحمى

ما ليس يألوه ارتقاب

ويح امرئ رجاه موطنه

لمحمدة فخابا

أعلى احتساب بذل من

لبى ولم يبغ احتسابا

إنا ومطلبنا أقل الحق لا تغلو طلابا

تدعو الوفي إلى الحفاظ

وتكبر التقصير عابا

ونقول كن نصلا به

تسطو الحية لا قرابا

ونقول دع فخرا يكاد

صداه يوسعنا سبابا

آباؤنا كانوا . . . وإنا

أشرف الأمم انتسابا

هل ذاك مغنينا إذا

لم نكمل المجد اكتسابا

يا نخبة ملكوا التجلة في فؤادي والحبابا

ورأو كرأيي أمثل الخطط التآلف والربابا

لله فيكم من دعا

للصالحات ومن أجابا

شعراء العراق والشام >> جبران خليل جبران >> بر وبحر حائلان

بر وبحر حائلان

رقم القصيدة : ٥٣٢١٩

-

بر وبحر حائلان." (١)

"وأنت فضه زغل ما تقبل المينا

أكثرت يا أنت تقليبا وتلوينا

ساروا الحبائب وعنهم أنت تلوينا

العصر الأندلسي >> عبد الغني النابلسي >> صدقت عباد الله أسماؤه الحسنى

صدقت عباد الله أسماؤه الحسنى

رقم القصيدة : ٦٢٨١٣

-

صدقت عباد الله أسماؤه الحسنى

تجلى بهم كالشمس في القمر الأسنى

ثوابت أعيان بلا جعل جاعل

قديمة عهد لا وجود لها يفنى

وهاتيك معلومات علم الهنا

به كاشف عنها قديما كما قلنا

مرتبة أعيانها هكذا على

نظام تراه في ثلاث وفي مثنى

ونور التجلي من قديم يعمها

على حسب الترتيب فيهن والمبنى

وذاك وجود مطلق متوجه

عليها يسمى الوجه أوجد أو أفنى

فيظهر الترتيب من علمه الورى

وتنكشف الأشياء شأنا به شأنا

ومال الكل إلا حادث عندنا به

قديم عديم عنده قط ما كنا

وما ظاهر إلا الوجود بكلهم

مقام يسمى قاب قوسين أو أدنى

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٢٤٨/٤٣

ألا نحن أهل الله ما بيننا انتفت

إضافة أهل بالفنا هكذا أنا

ورثنا رسول الله علما محققا

لتنزيل قرآن لدينا بنا منا

ألا أن أهل الجنة الغافلون أن

على الصدق في الإيمان دانوا كما دنا

وفي شغل عن ربهم أهل جنة

كما الله في القرآن أسمعه الأذنا

وهم يتقون الله مع جهلهم بهفخذ لب هذا الأمر واترك قشوره لقوم به هم قانعون وجنبنا

إذا جانبوا التأويل والمذهب الأدنى سقط بيت ص

ولا تحتفل بالتابعين عقولهم

ودعهم يقولوا ما يقولونه ظنا

كما أنكروا توحيدنا بجهالة

وصاروا علوم الله ينفونها عنا

ونحن ملأنا الكون علما بربنا

فلا منشد لا بأياتنا غنى

وقد جاء في القرآن عن مثلهم فلا

نقيم لهم يوم القيامة أي وزنا

وحي على ما قلته لك يا فتى

تجد علم أهل الله والمورد إلا هني

وحقق معاني ما ذكرت وقل به

وإلا فسلم واترك **اللفظ والمعنى**

وإياك إياك الجحود فإنه

هو الكفر عند الله في حكمه الأسنى

وإن كان في الدنيا نسميه مسلما

لما أنه بالشرع قد دخل الحصنا

تمسك بأيات الكتاب فإنها." (١)

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٣٩٧/٧١

"سواه حقا ولا امتراء

العصر الأندلسي >> عبد الغني النابلسي >> هما إحاطتان بالأشياء

هما إحاطتان بالأشياء

رقم القصيدة : ٥٦٢٨٨

-

هما إحاطتان بالأشياء

إحاطة العلم بلا اختفاء

كذا إحاطة الوجود وهما

لم يخرجا شيئا من انتفاء

إحاطة الوجود للذات كما

لعلمه إحاطة الأشياء

بكل شيء ربنا عليم

قد قال في القرآن ذو العلاء

وقال أيضا ربنا محيط

بكل شيء مظهر الأشياء

والشيء ليس خارجا من عدم

بالعلم والوجود في استقصاء

وإنما هما إحاطتان قل

بذلك الشيء بلا امتراء

والشيء هالك فان ولم

يخرج عن الهلاك والفناء

ولو أحاط ربه علما به

ولو وجودا لعيون الرائي

وانظر إلى الظل الذي به أحاطت شمسه ما زال في الظلماء

...

وانظر إلى إحاطة الخطوط في

دوائر فارغة الأثناء

وافهم كلامي واتبع القرآن لا

تعدل إلى العقول والآراء

فإن فيهن ضلالات الورى

بهن قد مالوا عن اهتداء

العصر الأندلسي >> عبد الغني النابلسي >> للذات ذات وللأسماء أسماء

للذات ذات وللأسماء أسماء

رقم القصيدة : ٥٦٢٨٩

-

للذات ذات وللأسماء أسماء

تدري حقيقته سعدى وأسماء

فاخرج عن اللفظ والمعنى لأنهما

رمز إلى الذات والأسما وإيماء

هي الحقيقة في كل الأمور سرت

سرا وقامت بها في الجهر أشياء

تنزهت عن فهوم العارفين بها

وإنما هم على الذكرى أدلاء

لا تسأل الكون عنها فهو يجهلها

وعنه سلها ففيها منه أنباء

كن طالبا علمها منها تجده بها

محققا وعلى التحقيق لألاء

ما في الورى أحد إلا بقوتها

له مدى عمره منع وإعطاء

والناظرون بها والسامعون بها

وإن يكن عندهم للأمر إخفاء

وتسعد الناس أو تشقى بلا غرض

فهي الدواء كما تختار والداء

شمس وعن علمها كل الورى ظهروا

كأنما هم ظلالات وأفياء

العصر الأندلسي >> عبد الغني النابلسي >> حرك الذات آلة الأسماء

حرك الذات آلة الأسماء

رقم القصيدة : ٥٦٢٩٠

ـ." (١)

"فهو السميع العالم البصير

والحي والمريد والقدير

ومن صفات ذاته القيام

بنفسه لا الغير والكلام

كلم موسى بكلامه الذي

من وصف ذاته فبالحق خذ

والصحف والتوراة والزبور

وبعده الإنجيل والمسطور

أعني كتاب أحمد الأواه

جميعها عين كلام الله

لفظا ومعنى عند أهل الحق

وإنما المخلوق صوت الخلق

وحبرهم والخط والسجل

قضى بهذا العلماء الجل

فالصوت للقارىء والكلام

لله ذا به قد استقاموا

فاللفظ والمعنى من القرآن

قد نزلا من ربنا الرحمن

تكلم الله به فاسمعا

أمينه جبريل نعم مودعا

فبلغ النبي جبرائيل

جميع ما حمله الجليل

ثم تلقاه من النبي

أصحابه بلفظه القدسي

وأنه الآن على ما قد نزل

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٨٥/٢٠٠

ولا يزال هكذا ولم يزل

مبرأ عن اتيان الباطل

ليس بمنسوخ ولا مبدل

ونحو طس ويس وما

ضاهاهما ربي به تكلما

وقد أتى الترتيب منه حسبما

لقنه نبينا وعلما

وحسبما أثبت في المصاحف

رسما فلا تصغ إلى مخالف

ثم كلام الله كالقرآن

ليس بمحدث ولا بفاني

واللفظ من ذلك والمعاني

في الحكم عند العلما سيان

فمن يقل بأنه قول البشر

فكافر والله يصليه سقر

ومن يقل بخلقه أو سطره

فهو مضل فاستعذ من شره

هذا هو الحق فدع عنك الهوى

والله ربنا على العرش استوى

لكن بلا كيف ولا تمثيل

جل فنزهه بلا تعطيل

فالواجب الإيمان باستوائه

ولا تفسرنه باستيلائه

إليه تعرج الملائك العلا

والروح والأمر ومنه أنزلا

والمصطفى به إليه أسرى

فجاوز السبع الطباق فادر

فطيب القول إليه يصعد

وفطرة الخلق بهذا تشهد

هلا سألت كل عبد يسأل

هل نفسه تجنح إلا للعلو

وأنه قد رفع ابن مريما

له وسمى نفسه من في السما

وقد أشار المصطفى بالأصبع

نحو السماء مشهدا في مجمع

فالله ذو العرش على العرش استوى

وعلمه لكل شيء قد حوى

وما اقتضى التشبه مثل العين

والوجه والاصبع واليدين

وتؤمن به لكن مع التنزيه

له عن التمثيل والتشبيه

فالله ليس مثله شيء ولا

له سمى جل شأنا وعلا

فذاته لا تشبه الذوات

ووصفه لا يشبه الصفات

من شبه الله بخلقه كفر." (١)

" الفصل الثاني في الفصاحة

قال الامام فخر الدين الرازي رحمة الله تعالى عليه اعلم أن الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد وأصلها من قولهم أفصح اللبن إذا أخذت عنه الرغوة وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونهما استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحدة في تسوية الحكم بينهما ويزعم بعضهم أن البلاغة في المعاني والفصاحة في الألفاظ ويستدل بقولهم معنى بليغ ولفظ فصيح

وقال يحي بن خالد ما رأيت رجلا قط الا هبته حتى يتكلم فان كان فصيحا عظم في صدري وإن قصر سقط من عيني

وقد اختلف الناس في الفصاحة فمنهم من قال إنها راجعة إلى الألفاظ دون المعاني ومنهم من قال إنها لا تخص الألفاظ وحدها واحتج من خص الفصاحة بالألفاظ بأن قال نرى الناس يقولون هذا لفظ فصيح وهذه الالفاظ فصيحة ولا نرى قائلا يقول هذا معنى فصيح فدل على أن الفصاحة من صفات الالفاظ دون المعاني وإن قلنا إنها تشمل **اللفظ**

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤٨٣/٨٩

والمعنى لزم من ذلك تسمية المعنى بالفصيح وذلك غير مألوف في كلام الناس والذي أراه في ذلك أن الفصيح هو اللفظ الحسن المألوف في الاستعمال بشرط أن يكون معناه المفهوم منه صحيحا حسنا ومن المستحسن في الالفاظ تباعد مخارج الحروف فإذا كانت بعيدة المخارج جاءت الحروف متمكنة في مواضعها غير قلقة ولا مكدودة والمعيب من ذلك كقول القائل

(لو كنت كنت كتمت الحب كنت كما ... كنا وكنت ولكن ذاك لم يكن)

وكقول بعضهم أيضا

(ولا الضعف حتى يبلغ الضعف ضعفه ... ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف)

وكقول الآخر

(وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر) ." (١)

" أيضا فيه

(واغن قد أبدى لنا من عوده ... نغما أصح به القلوب وأمرضا)

(بيد إذا سخطت على أوتاره ... نال الرفاق بسخطها عين الرضا) وقال في مليح مشبب

(يا نافخ الصور بل يا باعث الصور ... من رقدة السكر لا من رقدة الحفر)

(قرنت حسنك بالإحسان فيه لنا ... فكان فيك مراد السمع والبصر)

(ضمنت للصحب إقبال السرور كما ... ضمنت نايك نأى الهم والفكر

(صوت بسيط به أرواحنا انبسطت ... إذ جئت في اللفظ والمعنى على قدر) وقال في مليح ساق

(وساق من بني الأتراك طفل ... أتيه به على جمع الرفاق)

(أملكه قيادي وهو رقي ... وأفديه بعيني وهو ساقي) وقال أيضا في رسول مليح أتاه من عند من يحبه

(من كنت أنت رسوله ... كان الجواب قبوله)

(يا طلعة الشمس الذي ... جاء الصباح دليله)

(لم يبد وجهك قبلة ... إلا ارتقبت وصوله)

(فلذاك إذ واجهتني ... بل الفؤاد غليله) في مليح قارئ

(نفسي الفداء لشادن شاهدته ... يوم الزيارة قارئا في المصحف)

(فتن الأنام ببهجة وبلهجة ... تسبي وتضني كل صب مدنف)

(فتلا مليا جل سورة يوسف ... وجلا محيا مثل صورة يوسف) وقال آخر في مليح مكتمل العذار

(وكامل العارض قبلته ... فصدني وازور من قبلتي) ." (٢)

---

(١) المستطرف، ٩٦/١

(٢) المستطرف، ٤٤٠/٢

"ومن التشبيه نوعان آخران أحدهما تكون أدواته أفعال الظن واليقين كقولك: حسبت زيداً في جرأته الأسد، وعمراً في جوده الغمام والجارية في حسنها القمر، فحاصل ذلك تشبيه الجرئ بالأسد، والجواد بالغمام، والجارية بالقمر، ومنه في الكتاب العزيز قوله تعالى: " وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود " حاصل ذلك تشبيه أهل الكهف في حال نومهم بحال الأيقاظ، ومن ذلك في الشعر قول شاعر الحماسة طويل:

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة.

وذلك أنه لما كانت الشحمة بيضاء شبهوا كل بيضاء بها، وأخرج ذلك مخرج المثل.

والنوع الآخر من التشبيه هو الذي يسمى تشبيه التوليد والتمثيل كقول الكميت بسيط

أحلامكم لسقام الجهل شافية ... كما دماؤكم يشفي بها الكلب

باب عتاب المرء نفسه

وهو من إفراد ابن المعتز، ولم ينشد فيه سوى بيتين ذكر أن الآمدى أنشدهما له عن الجاحظ طويل:

عصاني قومي في الرشاد الذي به ... أمرت ومن يعص المجرب يندم

فصبراً بني بكر على الموت إنني ... أرى عارضاً ينهل بالموت والدم

وما أرى في هذين البيتين من عتاب المرء نفسه إلا ما يتحيل به لمعناهما، فيقدر أن هذا الشاعر لما أمر بالرشد وبذل النصح ولم يطع ندم على بذل النصيحة لغير أهلها، وملزوم ذلك عتابه لنفسه فيكون دلالة البيتين على عتابه لنفسه دلالة التزام لا دلالة مطابقة ولا تضمين.

ومثل هذين البيتين قول دريد بن الصمة طويل:

نصحت لعراض وأصحاب عارض ... ورهط بني السوداء والقوم شهدى

وقلت لهم: ظنوا بألفي مدجج ... سراتهم في الفارسي المسرد

فلما عصوني كنت منهم وقد أرى ... غوايتهم وأنني غير مهتد

وما أنا إلا من غزية إن غوت ... غويت وإن ترشد غزية أرشد

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى ... فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

ولا يصلح أن يكون شاهد هذا الباب إلا قول شاعر الحماسة طويل:

أقول لنفسي في الخلاء ألومها ... لك الويل ما هذا التجلد والصبر

وكقول ابن السليماني من شعراء الحماسة طويل:

لعمرك إني يوم سلع للائم ... لنفسي ولكن ما يرد التلوم

أأمكنت من نفسي عدوى ضلة ... ألهفي على ما فات لو كنت أعلم

وقد جاء من هذا الباب في كتاب الله قوله سبحانه وتعالى: " يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله " والله أعلم.

باب حسن الابتداءات

هذه تسمية ابن المعتز، وأراد بها ابتداءات القصائد، وقد فرع المتأخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال، وخصوا بها ابتداء

المتكلم بمعنى ما يريد تكميله ولقد وقع في أثناء القصيدة.

وقد روى أن أحسن ابتداء ابتدأ به مولد قصيدة قول إسحاق بن إبراهيم الموصلي، حيث يقول خفيف:

هل إلى أن تنام عيني سبيل ... إن عهدي بالنوم عهد طويل

ومن إنشادات ابن المعتز في هذا الباب قول النابغة الذبياني طويل:

كليني لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب

ولعمري لقد أحسن ابن المعتز الاختيار، فإني أظنه نظر بين هذا الابتداء وبين ابتداء امرئ القيس في معلقته حيث قال طويل:

قفا نبك من ذكري حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فرأى أن ابتداء امرئ القيس على تقدمه وكثرة معاني ابتداءاته متفاوت القسمين جداً، لأن صدر البيت جمع بين عذوبة اللفظ وسهولة السبك، وكثرة المعاني بالنسبة إلى العجز ما لم يجمع العجز، فإن ألفاظ العجز غريبة بالنسبة إلى ألفاظ الصدر، والعجز أقل معان من الصدر بخلاف بيت النابغة، فإنه لا تفاوت بين قسميه البتة، فبيت امرئ القيس وإن كان أكثر معان من بيت النابغة، فبيت النابغة أفضل، من جهة ملاءمة ألفاظه، ومساواة قسمية، ومثل بيت النابغة قول زهير طويل:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله ... وعرى أفراس الصبا ورواحله

فإن قسمي هذا البيت متلائمان، فإن لفظ كل واحد منهما متوسط بين الغرابة والابتذال، وفي كل قسم منهما استعارتان، فقد تساويا في **اللفظ والمعنى** كبيت النابغة، وهذا من قول امرئ القيس طويل:." (١)

"دون كل ما ذكرت وما لم أذكر، فإن ما ذكرت هو دليل على ما لم يذكر، إذ لا يخرج ما لم يذكر عن أن يكون أمراً يمكن مغالبته وغلبه، أو شيئاً يرجى انكشافه وزواله، أو شيئاً يريح بسرعة كالسم الوحي، والموت الذريع وكما يدل الأول على الثاني كما ذكرت كذلك، يدل الثاني على الأول، فإنه لو قيل لحاذق بما يصلح أن يوطأ لقولها إذا نبها منك داء عضالاً فإنه لا يجد إلا قولها: فأقسم يا عمرو لو نبهاك، فهذا ما يدل الأول فيه على ما بعده دلالة معنوية.

وأما ما يدل فيه الأول على الثاني دلالة لفظية فقولها:

إذن نبها ليث عريسة ... مفتياً مفيداً نفوساً ومالا

فإن العارف ببنية الشعر إذا سمع قولها: مفيتا مفيداً، تحقق أن هذا اللفظ يوجب أن يتلوه قولها نفوساً ومالاً، وكذلك قولها:

وخرق تجاوزت مجهوله ... بوجناء حرف تشكى الكلالا

فكنت النهار به شمسه ... وكنت دجى الليل فيه الهلالا

والبيت الثاني أردت، وإن كان البيت الأول فيه من التسهيم ما فيه لكن الثاني أوضح، لأن قولها، يقتضي أن يتلوه:

فكنت النهار به شمسه ... وكنت دجى الليل فيه الهلالا

ومن جيد أمثلة التسهيم قول عمرو بن كلثوم وافر:

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ص/٢١

ونوجد نحن أحماهم ذماراً ... وأوفاهم إذ عقدوا يمينا

واستخراج التسهيم من هذا البيت عسر جداً، وهو مما ينبغي أن يسأل عنه من يتعاطى هذه الصناعة، وطريق استخراجه منه أن يقال: لما قدم في صدر بيته الفخر بصفات المدح في الحرب، أوجبت عليه البلاغة أن يكمل الفخر بصفات المدح في السلم، والسلم لا يكون إلا بالعهود والأيمان، وهذان لا يمدح الإنسان فيها إلا بالوفاء بهما، إذ ليس من المدح أن تقول: حلف فلان ولا استحلف بل تقول: فلان وفى بعهده ويمينه، فلما اقتضى المعنى تكميل المدح في حالة السلم بالأمر الذي هو أس السلم وأصله، كما مدح في حالة الحرب بما هو من صفات المدح في الحرب، اقتضى اللفظ أيضاً أن يكون ما يأتي به من الألفاظ مناسباً لما قدمه، وقد قال في صدر البيت: ونوجد نحن أحماهم، فتعين لمراعاة المناسبة أن يقول في العجز وأوفاهم، لا سيما وهي تعطي المعنى الذي يكمل به المدح، وقال: إذا عقدوا يميناً يريد الحالة التي هي أشد أحوال الحالف، فإنه لو قال: إذا حلفوا لم يعط من المعنى البليغ ما يعطيه عقدوا إذ الحالف قد يحلف لغواً، وتعقيد اليمين يدل على النية والتصميم، قال الله سبحانه: " لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان " فقد اقتضى صدر هذا البيت من جهة **اللفظ والمعنى** أن يكون تمامه ما ذكره والله أعلم.

ومن أمثلة هذا الباب للمحدثين قول البحتري، وهو مما جاءت دلالته لفظية أيضاً طويل:

فليس الذي حللته بمحلل ... وليس الذي حرمته بحرام

وكقول الآخر خفيف:

من غصون كأنهن قدود ... وقدود كأنهن غصون

وهذا البيت لا يصلح أن يكون شاهداً للتسهيم، لكون أوله لا يقتضي آخره لأنه لو قال:

من غصون كأنهن قدود ... ذات نور مثل الثغور العذاب

أو ذات ورد كأنه الوجنات، حسن أن يكون تماماً له، ومتى كان التقدير كذلك انخرم ضابط التسهيم، وإنما ذكرته سهواً كما سها من ذكره قبلي ثم فطنت لذلك بعد إثباته.

والفرق بين التسهيم والتوشيح من ثلاثة أوجه: أدها أن التسهيم يعرف به من أول الكلام آخره، ويعلم مقطعه من حشوه من غير أن تتقدم سجعة النثر ولا قافية الشعر، والتوشيح لا تعرف السجعة والقافية منه إلا بعد أن تتقدم معرفتهما. والآخر أن التوشيح لا يدلك أوله إلا على القافية فحسب، والتسهيم يدل تارة على عجز البيت وطوراً على ما دون العجز، بشرط الزيادة على القافية، وما حكيناه عن ابن العباس رضي الله عنه في بيت عمر بن أبي ربيعة، وعن الفرزدق في بيت عدي بن الرقاع فنادر لا يقاس عليه.

والثالث أن التسهيم يدل تارة أوله على آخره، وطوراً آخره على أوله بخلاف التوشيح.

وقد جاء من التسهيم في الكتاب العزيز قوله تعالى: " أفرأيتم ما تحرثون، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون، لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون " وقوله: " أفرأيتم الماء الذي تشربون " إلى آخر الآية.." (١)

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ص/٤٧

" ثم أتبعه الشعراء فأكثروا من هذا التمثيل قال أبو فراس فى وصف البازى

(كأن فوق صدره والهادى ... آثار مشى الذر فى الرماد)

ووصف بعضهم الخبز فقال رغفان كأن فى خللها مداب أرجل النمل

قال أبو الفتح بن العميد والشعراء يشبهون الشئ الصغير القصير بإبهام القطا والحبارى وأظفور العصفور

وأراد أن يبتدع عليهم فى **اللفظ والمعنى** فكتب إلى أبي الحسين بن فارس رقعة صدرها وصلت رقعة الشيخ فكانت أقصر من أنمل الرمل وأقصر من منفقة بقة

٧٠٠ - (عض النملة) قال بعض العلماء وهو يضرب المثل بما يستهان ولا يبالى به فيقال ما عسى ان يكون عض النملة وقرص القملة ولسع النحلة ووقوع البقة على النخلة ونباح الكلاب على السحاب وما موقع الذباب من ذى ناب

٧٠١ - (جناح النملة) يضرب مثلا لارتياش الضعيف واستغناء الفقير بما فيه هلاكه إذ من أقوى أسباب هلاك النمل نبات أجنحته

ويقال لم يرد الله النملة صلاحا إذا أنبت لها جناحا وقال أبو العتاهية

(أحببت دارا همها قدر ... جم العروج كثيرة شعبه) ." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٩٦ """"""""

أحدهما ومن أن عمر قال لو أدركتها لجمعت بينهما غير صحيح الرواية كما في النزهة نعم حمل قول عمر على الرؤية وتمسك من قال أن عفراء لم تزر قبره بقولها :

عداني أن أزورك يا خليلي . . . معاشر كلهم واش حسود

أشاعوا ما علمت من الدواهي . . . وعابونا وما فيهم رشيد

فأما إذ ثويت اليوم لحدا . . . فدور الناس كلهم اللحود

فلا طابت لي الدنيا فراقا . . . لبعدك لا يطيب لي العديد

ولما قضت دفنت إلى جانبه فنبت من القبرين شجرتان حتى إذا صارتا على حد قامة التفتا فكانت المارة تنظر إليهما ولا يعرفان من أي ضرب من النبات وكثيرا ما أنشدت فيهما الناس فمن ذلك قول الشهاب محمود :

بالله يا سرحة الوادي إذا خطرت . . . تلك المعاطف حيث الرند والغار

فعانقيهم عن الصب الكئيب فما . . . على معانقة الأغصان انكار

وقول صاحب الأصل :

غصنان من دوحة طال ائتلافهما . . . فيها فجالت صروف الدهر فافترقا

فصار ذا في يد تحويه ليس له . . . منها براح وهذا في الغلاة لقا

---

(١) ثمار القلوب، ص/٤٣٦

حتى إذا ذويا يوما وضمهما . . . بعد التفرق بطن الأرض واتفقا

حنا على العهد في أرجائها فحنا . . . كل على ألفه في الترب واعتنقا

قلت وبين هذين خلاف في **اللفظ والمعنى** ويحتمل رجوعه إلى خصوص وعموم مطلق فإن الأول أرق وأعذب وألطف ولكنه قاصر عن المراد وغير دال على خصوص." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٤ """""""

ذكرناها وقد بلغت عدة هذه الأصوات المفردة المقطعة بهذه الحركات المسماة حروفاً – ثمانية وعشرين حرفاً في اللغة العربية .

ثم ركبت كلها ثنائياً وثلاثياً ورباعياً وجميعها متناهية محصاة لأن أصولها وبسائطها محصورة معدودة فالمركبات منها أيضاً محصورة معدودة .

ولما كانت قسمة العقل توجب في هذه الكلم إذا نظر إليها بحسب دلالتها على المعاني أن تكون على أحوال خمس لا أقل منها ولا أكثر وجدت منقسمة إليها لا غير وهي : أن يتفق **اللفظ والمعنى** معاً أو يختلفا معاً أو تتفق الألفاظ وتختلف المعاني أو تختلف الألفاظ وتتفق المعاني أو تتركب اللفظة فيتفق بعض حروفها وبعض المعنى وتختلف في الباقي .

وهذه الألفاظ الخمسة هي التي عدها الحكيم في أول كتبه المنطقية وتكلم عليها المفسرين وسموها المتفقة والمتباينة والمتواطئة والمترادفة والمشتقة وهي مشروحة هناك ولكن السبب الذي من أجله احتيج إلى وضع الكلام يقتضى قسماً واحداً منها وهو أن تختلف الألفاظ بحسب اختلاف المعاني وهي المسماة المتباينة فأما الأقسام الباقية فإن ضرورات دعت إليها وحاجات بعثت عليها ولم تقع بالقصد الأول وسنشرح ذلك بعون الله وتوفيقه .

وقد تقدم البيان أن المعاني والأحوال التي تتصور للنفس كثيرة جداً وأنها بلا نهاية .

فأما الحروف الموضوعة الدالة بالتواطؤ والمركبات منها فمتناهية محصورة محصاة بالعدد .

ومن الأحكام البينة والقضايا الواضحة ببدائه العقول أن الكثير إذا قسم على القليل اشتركت عدة منها في واحدة لا محالة فمن ههنا حدث الاتفاق في الإسم وهو أن توجد لفظة واحدة دالة على معان." (٢)

"مُنىً كُنَّ لي أنَّ البَياضَ خِضابُ ... فيَخفى تَبييضِ القُرونِ شبابُ

قال أبو الفتح: يقول شيبي هذا كان لي منىً قديماً. وإنما تمنيت الشيب ليخفى شبابي بابيضاض شعري. وآثر الشيب على الشباب لما فيه من الوقار.

قال أبو القاسم: ثاني هذا البيت يرد ما ذكره أبو الفتح من تمني الوقار وهو:

ليالي عندَ البيضِ فَودايَ فتنةٌ ... وَفخْرٌ وذاكَ الفخْرُ عِنديَ عابُ

وإنما المعنى أني مصروف الهمة إلى اكتساب المعالي والمآثر كقوله في عدة قصائد:

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق، ١٩٦/١

(٢) الهوامل والشوامل - موافق للمطبوع، ص/٣٤

ضُروبُ الناسِ عُشّاقٌ ضُروبا ... فأعذَرُهم أشَقُّهُمُ حَبيبا

وَما سَكَني سوى قَتْلُ الأعادي ... فَهَل من زَوْرَةٍ تَشْفي القُلوبا

وقال في أخرى:

مُحبٌّ كَنى في البِيضِ عن مُرهَفاتِهِ ... وبالحُسْنِ في أجسادِهِنَّ عن الصَّقْلِ

وبالُّمْرِ عن سُمْرِ القَنا غيرَ أنَّني ... جناها أحِبَّائي وأطرافُها رُسْلي

وقال المتنبي:

لو مَرَّ يركُضُ في سُطورِ كتابِهِ ... أحصى بِحافِرِ مُهْرِهِ ميمانِها

قال أبو الفتح في آخر تفسير هذا البيت: وشبه معها حافر الفرس بالميم وقد استقصيت ذلك في الفسر الكبير في شرح هذا الديوان.

قال أبو القاسم لأبي الفتح ثلاث علل اتخذها قواعد في شعر المتنبي إذا ضاق به الأمر: إحداهما أنه يحيل بالمعنى على الفسر الكبير، والثانية أن يقول بهذا أجابني المتنبي عند الاجتماع، والثالثة أن يقرن بالبيت مسألة في النحو يستهلك البيت **واللفظ والمعنى**.

وأما حافر الفرس فلا يشبه الميم في صورته. والمتنبي شبه حافر الفرس بالعين المفردة كقوله في سيف الدولة:

أول حرف من اسمه كتبت ... سنابكُ الخيلِ في الجلاميدِ

وقد شبه نعال الحوافر مسمورة بعض أهل العصر في عضد الدولة فقال:

لهمْ بِفناءِ البيتِ جُرْدٌ صَوافِن ... سِلاطٌ هواديها فَوَرْدٌ وَأَيْهَمُ

إذا أنعَلوها فالنَّعالُ أهِلَّةٌ ... وإن سَمَّروها فالمَساميرُ أنْجُمُ

وقال المتنبي:

تكبو وراءَكَ يا ابنَ أحمَدَ قُرَّحٌ ... لَيْسَتْ قَوائِمُهُنَّ من آلاتها

قال أبو الفتح: الهاء في آلاتها راجعة إلى الوراء لأنه مؤنثة وتصغيرها وريَّة.

قال أبو القاسم: الهاء في آلاتها عائدة إلى القُرَّح أي ليست قوائم هذه القرح من آلات مجاراتك في مآثرك أو مباراتك في مناقبك، ويريد بالآلات أفعالهم.

فتىً يشتهي طُولَ البلاد وَوَقْتُهُ ... تضيقُ بِهِ أوقاتُهُ والمَقاصِد

قال أبو الفتح: أي يحب طول البلاد لتبعد سراياه، وطول الوقت ليتمكن فيه من أغراضه وتضيق ببعد همته أوقاته ومقاصده.

قال أبو القاسم: أي وقت سيف الدولة الذي هو فيه في الحال يستغرق مقاصد الأرض.

وقال المتنبي:

أبْرَحْتَ يا مَرَض الجُفونِ بمُمرض ... مرضَ الطبيبُ لهُ وعِيدَ العُوَّدُ

قال أبو الفتح: أبرحت أي تجاوزت. والممرض جفنها.

ومرض الطبيب له وعيد العود مثل ضربه ولا طبيب هناك ولا عوَّد ولكنه لما ذكر هناك ذكر المرض ذكر الطبيب معه والعوَّد.

قال أبو القاسم: قوله أبرحت معناه شددت يقال أمر مُبرّح ومُبَرَّح ومنه البرحاء لشدة الشوق، والممرض هو المتنبي نفسه يقول اشتدت يا مرض الجفون بمحب أمرضته في شدة مرضه، وهو لسقمه مرض معالجه وعيد عائده. وهذا المعنى متداول في شعر المحدثين لا يعد كثرة كقول أحدهم:

مَرَض بناظِرِه إذا ما مَرَّضَا ... يقضي على أحبائِهِ قبل القَضَا

وكقول غيره:

أسقَمَ جسمي سَقامُ ناظِرِه ... يا لَيتني خاطِرٌ بخاطِرِهِ

وقال المتنبي:

أُحادٌ أم سُداسٌ في أُحادِ ... لُيَيْلَتُنا المنوطَةُ بالتَّنادي

قال أبو الفتح: استطال ليلته فقال واحدة هي أم ستة واختيار الستة دون غيرها من العدد لأنها الغاية التي فرغ الله تعالى من جميع أحوال الدنيا. وصغر الليلة تصغير التعظيم كقول أوس:

فُوَيْقَ جُبَيلٍ شامِخِ الرأسِ لمْ تَكَدْ ... لِتَبْلُغَهُ حتى تَكِلَّ وَتَعْمَلا

والتنادي يريد التنادي بالرحيل وقود الخيل إلى الأعداء ألا تراه يقول فيما بعد:

أفكر في معانقة المنايا ... وقود الخيل مشرفة الهوادي." (١)

"تاريخ آداب العرب مصطفى صادق الرافعي الصفحة : ٢٠٦

ونحن فما ندري كيف نبلغ صفة هذا الوجه المعجز الذي غاب عن العرب ولم يدركه إلا المقصودون به، و هم الذين وصفوهم بتأخر المعرفة وبلادة الذهن، وهم أحبار اليهود ورؤساؤهم وأهل العلم فيهم، وما يمكن أن يهتدي إلى هذا الوجه بليغ عربي من بلغاء ذلك العهد إلا بوحي وتوفيق من الله، فإنه في الحقيقة سر من أسرار الأدب العبراني، جرى القرآن عليه في أكثر خطابهم خاصة ليعلموا أنه وضع غير إنساني، وليحسوا معنى من معاني إعجازه فيما هم بسبيله، كما أحس العرب فيما هو من أمرهم؛ إذ كان أبلغ البلاغة في الشعر العبراني القديم أن تجتمع له: رشاقة العبارة، وحسن المعرض، ووضوح اللفظ، وفصاحة التركيب، وإبانة المعنى، وتكرار الكلام لكل مايفيده التكرار وتوكيدا ومبالغة وإبانة وتحقيقا ونحوها، ثم استعمال الترادف في **اللفظ والمعنى**، ومقابلة الأضداد وغيرها، ومما هو نفسه تكرار آخر للمحسنات اللفظية، وتحسين للتكرار المعنوي.

وإنا لنظن أن تهمة النبي صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر لم تكن ابتداء إلا من قبل بعض اليهود. ثم تعلق بها بعض العرب مكابرة، فإنهم ليعرفون أن القرآن ليس بشعر من شعرهم، ولا هو في أوزانه وأعاريضه وفنونه وطرقه، ولكنهم تجوزوا إلى ذلك ببراعة العبارة، وسمو التركيب، وتصوير الإحساس اللغوي بألوان من المجاز والاستعارة والكناية وغيرها مما يكون القليل من جيده خاصا بالفحل من شعرائهم. ويكون مع ذلك حقيقة الإحساس اللغوي في شعره، وأين هذا الوجه البعيد الذي لا

(١) الواضح في مشكلات شعر المتنبي، ص/١٠

يستقيم في الرأي إلا بعد التمحل له، والتجوز فيه من قولهم إنه من قولهم إنه (شاعر) ؟ ولفظ الشاعر عندهم متعين المعنى متحقق الدلالة ليس فيه لبس ولا إبهام ولا تجوز ؟.

(١) ".

"ما أتم ... ما أوضحاما أورقا ما أنم

لا جرم ... من لمحاقد عشقا قد حرم أو في قول الآخر:

قل هل علم أو هل عهد ... أو كان كالمعتصم والمعتضد ملكان وهناك ظاهرة أخرى جعلت الموشح كالعبارات المنثورة وهي عدم استقلال أجزائه بل تسلسلها وترابطها في **اللفظ والمعنى** رغم وجود الوقفات (١) :

أنت المليك الرئيس ... أنت العقد النفيس

الواهب ... الجياد الحاليات السروج مع أبناء العلوج فهذا إذا قرأته معا: " أنت العقد النفيس الواهب الجياد الحاليات السروج " .

على ان هذا لا يعني ان الموشح قد تخلص من اثر الشعر، فهناك الموشح الشعري، وهناك هذه التقفية في داخل الاقفال والغصون، والتقفية تجعل الموشح شكلا من أشكال الفسيفساء التي يعجبك ظاهرها فإذا فتشتها وجدت تكرارا في الوحدات الصغيرة. وهناك الاستقلال في الاشطار حتى في اجمل الموشحات وأرقها مثل موشحة الأعمى:

ضاحك عن جمان ... سافر عن بدر

ضاق عنه الزمان ... وحواه صدري

---

(١) دار الطراز: ٨٣.." (٢)

"وقال يمدح بيروت وأدباءها وخصوصا الشيخ ناصيف اليازجي:

لقد قصدوا بيروت دار أعزة لهم تنتمي الآلاء في **اللفظ والمعنى**

نزيلهم قد شك في أصل داره وصار يقين الأمر في علمه ظنا

مدينة ظرف ما بها غير فاضل بسيم وسيم قد حوى الحسن والحسنى

تشد له الألباب كل مطية مجربة الإسعاف في كل ما عنا

صغيرهم في المجد سيد غيره على أن ذاك الغير قدوة من أثنى

وما منهم إلا وقد شب طوقه بنادي ناصيف اليازجي وقد أقنى

مجيد المعاني وهو للقول حجة لأهل النهى كم قد أجاد لنا فنا

ومن أقوال الزيلعي في المدح:

---

(١) تاريخ الأدب العربي للرافعي، /

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، ص/٢٤٥

بلغت مقاما لم تنله الأوائل وحزت كمالا لم تبتغيه الأفاضل
ولست براء غير فضلك يرتجي لكل ملم فيه تدمى الصياقل
ولولاك لك تدر العلوم بأنها تجل وإن قد بان منها دلائل
يطول لسان الفخر في فضلك الذي بنيت له ركنا ليرجع ثاكل
ويقصر با ع الدهر عن وصف ماجد له جمعت في المكرمات الفضائل
فيا لك من مجد ويا له من يد تطول إذا مدت وإن حال حائل
وقال حمد محمود أفندي من قصيدة متشوقا إلى أهل الفضل في بيروت:
يا أهل بيروت إن لاقيتم كبدي فمتعوا جدركم من قبل بالخفر
أكباد أهل الهوى حرى وما بردت ألا لترمي من الأشواق بالشرر
ودونكم حر لي فهو رقكم وارعوا ذمام شج فيكم على سفر
ما كتموه بألفاظ هم غرر ورابح من شرى الألباب بالغرر
وللشيخ حسن بن علي اللقاني الإسكندري يصف ديوان الشيخ ناصيف:
بدائع ما فيها سوى السحر منطق حلال وفي أجناسها لا أدافع
إذا جر غوق الطرس سمر براعه تصافحه الآداب وهي رواكع
وإن راح ينثي أو يكاتب صحبه فغر معانيه الحسان تسارع
كان صرير السمر في روض طرسه غناء حمام وهو بالشعر ساجع
تآليفه قد فصحت في كل أعجم بليد وكم ولى بليغ وبارع
لآلئ من زهر الربيع تناثرت علينا وفي منظموها السر ذائع." (١)
"وزهرة روض كلما طال وقتها تزيد نمذوا بالجمال مقلدا
بها افتخرت بيروت حتى لقد سمت على كل مصر وهي تشبه فرقدا
مؤلفة من كل صاحب غيرة ذوات بنو للخير بيتا مشيدا
كواكب سعد يسطع اليوم نورهم ويهدي الذي في الجهل ضل إلى الهدى
وقد ألبسوا بيروت حلة سؤدد تتيه بها إذا أصبحت منبع الندى
فكل لسان في ثناهم لاهج يصيغ به لفظا لدر منضدا
وكل جنان حمدهم فيه راسخ وكل مديح في سواهم تفندا
فلا زال مسعاهم بذلك ناجحا ونالوا المنى ما الطير في الغصن غردا
ومن نظم شاكر قوله من قصيدة في رثاء نقولا نقاش:

(١) تاريخ الآداب العربية، ١٠١/١

من كان بالأمس نقاش الصحاف هدى ينسيك حسان أو يزري بسبحان

من كل نثر أنيق الوصف مندمج وكل شعر رشيق النظم طنان

كم حرر **اللفظ والمعنى** تصوره بما استرق له أحرار تبيان

إذا انبرى لا يباري في مناظرة وإن جرى لا يجاري بين أقران

وختمها بقوله:

مضى إلى الله حيث الدار خالدة مستوفيا أجر أعمال وإيمان

لا يبرح العفو فيه فوق مضجعة تحت الأكلة من آس وريحان

أمين شميل

أسرة شميل هي فرع آخر من دوحة الآداب التي نمت في كفرشيما. يقال أن أصلهم من حوران فاستوطنوا كفرشيما في مبادئ القرن التاسع عشر. وكان مولد أمين بن إبراهيم شميل في ١٤ شباط سنة ١٨٢٨ وتلقى مبادئ العلوم واللغة الإنكليزية في مدرسة الأميركان في بيروت فامتاز بين أقرانه. ثم سار إلى رومية في بعض شؤون طائفته فأصاب فيها نجاحا. ثم رحل إلى إنكلترة وتعاطى فيها التجارة فاتسعت أشغاله وفتح محلا في الإسكندرية فلم يزل في تقدم ونجاح إلى أن دار دولاب الدهر فأباد ثروته. إلا إن تلك الأحوال المشؤومة لم تقل شباة عزمه. فصفى أشغاله وقصد مصر سنة ١٨٧٥ ليتعاطى فن المحاماة فيبرز فيه واشتغل بالآداب وأشنأ مجلة الحقوق فكانت باكورة المجلات الشرعية.." (١)

"ومتى أحكمتَ هذا الباب حقّ الإحكام، وأوليتَه حسنَ التمييز فقد ألقيت عن نفسك ثقلاً، وكفيتها مؤونة، ولم يبقَ عليك إلا أن تحترس من التفريط، كما احترستَ من الإفراط. فلا تكن كمن يرى السّرَق لا يتمّ إلا باجتماع **اللفظ والمعنى**، ونقْل البيت جملة، والمصراع تامّاً؛ بل لا يعرِفُ السارق إلا من يفعل فِعل عبد الله بن الزبير بأبيات معن بن أوس.

حكى أبو عبيدة وغيره أن عبد الله بن الزبير دخل على معاوية فأنشده لنفسه:

إذا أنت لم تُنصِف أخاك وجدتَه ... على طرَفِ الهِجران إن كان يعقِل

ويركبُ حدّ السيفِ من أن تَضيمه ... إذا لم يكن عن شفرَةِ السيفِ مزحَلُ

فقال له معاوية: لقد شعرت بعدي يا أبا بكر! ولم يفارق عبد الله المجلس حتى دخل معنُ بن أوس المزني، فأنشده كلمته التي أولها:

لعمرُك ما أدري وإني لأوجَلُ ... على أيِّنا تعْدو المنيةُ أولُ

حتى أتى عليها، وهذه الأبيات فيها. فأقبل معاوية على عبد الله بن الزبير فقال: ألم تخبرني أنها لك؟ فقال: المعنى لي واللفظ له؛ وبعدُ فهو أخي من الرضاع وأنا أحق الناس بشعره.

وكفعل جرير بقول سُويد بن كراع العُكلي:

---

(١) تاريخ الآداب العربية، ٣١٥/١

وما بات قومٌ ضامِنينَ لنا دماً ... فنوفيها إلا دماءٌ شوافِعُ

فإنه نقل البيتَ الى قصيدة له، فلما أنشدها نبه عليه عمر بن نجاء التيمي، وكان أحد الأسباب التي هاجت الشر بينهما.

وفِعل الفرزدق إذ سمع جميلاً ينشد:

ترى الناسَ ما سِرْنا يسيرون خلْفنا ... وإن نحنُ أومأنا الى الناس وقّفوا

فقال: أنا أحق بهذا البيت، فأخذه غصباً. وكما ادعى دِعبِل على أبي تمام في كلمته الرائية، التي رثى بها محمد بن حميد؛ فإنه زعم أن أبا مكنف المُزني، من ولد زهير بن أبي سلمى رثى ذُفافة العبْسي، فقال:

أبعد أبي العباس يُستعتب الدهرُ ... وما بعده للدهرِ عُتبى ولا عُذر

ألا أيها الناعي ذُفافةَ والنّدى ... تعِستَ وشلّت من أناملِك العشْر

إذا ما أبو العباس خلّى مكانه ... فما حملَت أنثى ولا مسّها طُهر

ولا مطَرت أرضاً سماءٌ ولا جرَت ... نجومٌ ولا لذّت لشاربها الخمرُ

كأنّ بني القَعْقاع بعد وفاتِه ... نجومُ سماء خرّ من بينها البدرُ

توفّيت الآمال بعد ذُفافةٍ ... وأصبح في شُغلٍ عن السّفر السّفْر

يعزَّوْن عن ثاوٍ تعزّى به العُلا ... ويبكي عليه البأسُ والمجدُ والشعرُ

وما كان إلا مالَ من قلّ مالُه ... وذخراً لمن أمسى وليس له ذُخر

فأخذ أبو تمام أكثر هذه القصيدة وجعل مكان بني القعقاع بني نبهان وأبدل باسم ذُفافة محمداً.

أو كما فعل أبو نُخيْلة بأرجوزة العجّاج: زعم أبو عبيدة عن أبي الخطاب أن أبا نُخيلة قال: وفدتُ على مسلمة بن عبد الملك وقد مدحته فأكرمني وأنزلني، ثم قال لي: ما لكَ والقصيد وأنتَ من بني سعد! عليك بالرجز! فقلت: أولستُ بأرجز العرب؟ فقال: أسمعني، فأنشدته:

يا صاحِ ما شاقَك من رسْم خالِ ... ودمنةٍ تعرفُها وأطلالِ

وهو من قول العجّاج، فلما سمع أولها أصاخ، فلما أسهبتُ فيها قال: أمسك. فنحن أروى لهذا منك، وظننته مقتَني، فما أصبت منه خيراً.

وكما أخذ زُهير بيت أوس:

إذا أنت لم تعرِض عن الجهل والخنا ... أصبتَ حليماً أو أصابكَ جاهلُ

وهو مرويٌّ في قصيدته. وكقول المعلوط:

إن الظائنَ يومَ حزمِ عُنيزةٍ ... بكّيْن عند فراقهنّ عُيونا

غيّضْن من عبَراتِهنّ وقلنَ لي ... ما لقيتَ من الهوى ولقينا

وقال جرير:

إن الذين غدَوا بلبّك غادروا ... وشَلاً بعينك ما يزال مَعينا

غيّضنَ من عبراتهنّ وقلن لي ... ماذا لقيتَ من الهوى ولَقينا

ولا تعدّ المعنى مأخوذاً حتى يجيء مجيء قول النابغة:

لو أنها عرضَت لأشْمَطَ راهبٍ ... عبَد الإلهَ صَرورةٍ متعبّدِ

وقول ربيعة بن مقروم:

لو أنها عرضَتْ لأشمَط راهبٍ ... عبَد الإلهَ صَرورةٍ متبتّلِ

وقول امرئ القيس:." (١)

"ولو عرّجنا على كل معترِض وأصغينا لكل قائل لامتدّ بنا القول ولأعجزَنا كثرةُ الخصْم عن امتحان الشهادات، وشغلنا باتّصال الدعوى عن التوسّط، وإنما يقصد بالكشف ما يشتبه، ويتوسط في الأمر الذي يشكل ويلتبس. ونصون كتابنا عن سخيف الاعتراض، كما نصونه عن ضعيف الانفصال.

ما عاب العلماء على أبي الطيب

فما أنكره عليه أهلُ العلم واستضعفوه قوله:

جلَلاً كما بي فليَكُ التّبريحُ ... أغِذاء ذا الرَّشإ الأغنّ الشّيحُ

فقال أهل الإعراب: حذف النون من تكن إذا استقبلتها اللام خطأ؛ لأنها تتحرك الى الكسر، وإنما تحذف استخفافاً إذا سكنت، فقال لهم المحتجّ عن أبي الطيب: لعمري إن وجهَ الكلام ما ذكرتُم، لكنّ ضرورة الشعر تُجيز حذف النون مع الألف واللام، وقد حكاه أبو زيد عن العرب في كتابه المعروف بكتاب النوادر، وأنشد لحسيل بن عُرفُطة:

لم يكُ الحقُّ سوى أن هاجَه ... رسمُ دارٍ قد تعفّى بالسُرَر

غيّر الجدّة عن عِرْفانِها ... خُرْق الريحِ وطوفانُ المطر

وأبو زيد ثِقة والرواية عن العرب حجّة، وقد جاء مثله:

فلستُ بآتيه ولا أستطيعُه ... ولاكِ اسقِني إنْ كان ماؤُكَ ذا فضْل

كأنه حذف ثم جاء بالساكن منبعد فتركه على الحذف. وأنكر أصحاب المعاني قطعَ المصراع الثاني عن الأول في **اللفظ والمعنى**، فقال المحتجّ عنه إنما يسوغُ الإنكار لو قطع قبل الإتمام، وابتدأ بالثاني وقد غادر من الأول بقية، فأما أن يستوفي مراده، ثم ينتقل الى غيره فليس بعيب، وإنما المصراعان كالبيتين، وه قد استوفى بقوله:

جلَلاً كما بي فليَكُ التّبريحُ

هذا المعنى، ثم ابتدأ بالمصراع الثاني مستفهماً فما في هذا من العيب! وقال بعضهم: قد يفعلُ الشاعر مثل هذا في النسيب خاصة ليدلّ به على تمكّن الشوق منه، وغلبة الحب عليه، وليرى أن آثار الاختلاط ظاهرة في كلامه، وأنه مشغول عن تقويم خطابه، قالوا: ولذلك قال:

أغِذاء ذا الرّشإ الأغنّ الشيحُ

وجعلوا من هذا الباب قول زهير:

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص/٥٦

قِف بالدّيار التي لم يعفُها القدَمُ ... بلى وغيّرَها الأرواحُ والدّيَمُ

فنقض بالمصراع الثاني الأول ولم يحفل بتكذيب نفسه، وأنكر هؤلاء قول من ذهب الى أن معنى البيت أن القدم لم يعفُها، وإنما غيّرها الأرواح والدّيَم. ومن النّقض الظاهر قول بشار:

لم يطُل ليلي ولكن لم أنم ... ونفى عني الكرى طيفٌ ألم

فقال: لم أنم، ثم زعم أن الطيف ألمّ به، وهو لا يُلمّ إلا بنائم. وقال غيره إن بين المصراعين اتصالاً لطيفاً، وهو أنه لما أخبر عن عظم تبريحه، وشدّة أسفه بيّن أن الذي أورثه التبريح والأسف وهدَى إليه الشوق والقلق هو الأغنّ الذي شكّكه غلبة شِبْه الغِزلان عليه في غذائه، وهذا الاعتذار قريب.

وعابوا له:

أمطِ عنك تشبيهي بما وكأنّه ... فلا أحدٌ فوقي ولا أحدٌ مثلي

فقالوا: إنما يشبه من الأسماء بِمِثل وشِبه ونحوهما، ومن الأدوات بالكاف، ثم تدخل على أنّ فيقال: كأنه الأسد، وقد تقرّب العرب التشبيه بأن تجعل أحد الشيئين هو الآخر، فتقول زيد الأسد عادياً، والسيفُ مسلولاً، فأما ما فلها مواقعُ معروفة وليس للتشبيه في أبوابه مدخل. وهذا مما سُئِل أبو الطيب عنه فذكر أنّ ما تأتي لتحقيقِ التشبيه؛ تقول: عبد الله الأسد وما عبد الله إلا الأسد وإلا كالأسد، تنفي أن يشبَّه بغيره، وقال:

وما هندُ إلا مُهرة عربية ... سَليلةُ أفراس تجلَّلها بغْل

وقد تجيء مع الكاف قال لبيد:

وما المرءُ إلا كالشِهاب وضوئِه ... يحور رماداً بعد إذْ هو ساطِعُ." (١)

"أما تصغير اللفظ على تكثير المعنى فغير منكر؛ وهو كثير في كلام العرب؛ لكن في احتجاج أبي الطيب خلل؛ من قبل أن دُويْهية في هذا الموضع تصغير في **المعنى واللفظ**، وكذلك جذيلها المحكك لأن هذا الجذل لا يكون إلا لطيف الجرم؛ وإنما هو جذم من النخلة تحتكّ به الإبل، وكما زاد تحكّك الإبل به زاد لطفاً وصِغَراً وضئولة. وإنما وجه القول في هذا أن من التصغير ما يكون جارياً على طريق الاستهانة والتحقير، ومنه ما يراد به الصِّغر واللطافة؛ فأنت إذ قلت: جاءَني رُجيل لم تُبالِ بصغَر جسمه، وتفاوت خلْقه، وقِصَر قامته، إذا أردت تحقيرَ شأنه والإهوان به، ومتى أردت الإخبار عن ضئولته. ودمامة خلْقه لم تعرّج على حاله، ولم تفكر في محله. وقد تقول ذلك للملك على هذا الوجه، وتقول للرجل العادي على الوجه الأول، وقد تفعل ذلك وأنت تريد ذمّه؛ وإن كان قويّ الخُلُق، عظيم الشأن. وذكرُ لَبيد الدويْهية على لفظ التصغير من باب اللطافة دون النِّكاية؛ وقول أبي الطيب لُبيلتنا خارج مخرج الذم والهجو، ثم قد أزال الالتباس وأفصح عن المراد بقوله: المنوطة بالتناد، إذ قد بين أنه لم يرد قِصَر مدتها. ولا قرب انقضائها. فأما قول أبي الطيب: إني لم أرد بالتّناد القيامة، وإنما أردت مصدر تَنادَى القوم، وعنيت أنها منوطة بما أهم منه فهو أعْلم بقصده، وأعرب بنيته؛ غير أن نسْق الكلام يشهد عليه. ومن تأمله عرف أنه بأن يراد به القيامة أشبه، ولا عيب فيه لو أراده؛ إنما هو ضرب من الإفراط قد استعمله الشعراء.

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص/١١٣

قال بشار:

أضلَّ النهارُ المستنيرُ طريقَه ... أم الدهر ليلٌ كله ليس يبرَحُ

ومثله كثير موجود.

وقوله:

ولم تردّ حياةً بعد توليةٍ ... ولم تغِثْ داعياً بالويلِ والحرَبِ

قالوا: العرب لا تقول دَعا بالويل والحرب، وإنما يقال: دعا ويلَه؛ كما يقول دعا فلاناً. قال الله تعالى (لا تدْعو اليومَ ثُبوراً واحداً وادعوا ثُبوراً كثيراً). فإنما يقال: دعا بكذا إذا طلب أن يؤتى بذلك الشيء؛ كقول الفرزدق:

دعوتُ بقُضبانِ الأراك التي جَنى ... لها الرَّكْبُ من نُعمان أيام عرّفوا

وتداعوا بشعارهم، ودعا لكذا، أي من أجله، فقال أبو الطيب: يقال دعا للقتال وللخير وللشعر ولما به، أي إليه. ومن أجله قال طرفة:

وإن أُدْع للجُلّى أنْ من حُماتِها ... وإن يأتك الأعداءُ بالجهْدِ أجهَدِ

ويقال: دعا باللَّهَف وبالويل والحرَب بيا، وأيا؛ لأنه لفظ الداعي. وقال ذو الرمة:

تداعيْن باسم الشِّيب من متثلِّمٍ ... جوانبهُ من بصرةٍ وسِلام

وقال الراعي:

إذا ما دعت شيباً بجنَبِ عُنيزَة ... مشافرُها في ماء مُزنٍ وباقِلِ

وقال:

دعا الداعي بحيّ على الفلاح

وقال عنترة:

دعاني دعوةً والخيلُ تردي ... فما أدري أبِسْمي أم كَناني

وإنما يقال: دعا بكذا إذا أمر أن يؤتى به، لأنه ذكر اسمه. والذي ناله أبو الطيب محكيّ عن العرب، معروف عند أهل العلم، فإذا أراد ذكر المدعوّ قال: دعوته، وإذا أراد ما يلفظ به قال: دعا بكذا وكذا، وعلى هذا بيتُ عنترة، وقول الآخر:

دعا الدّاعي بحيّ على الفلاح

وقوله:

بياضُ وجهٍ يريكَ الشمسَ حالكةً ... ودُرُّ لفظٍ يريكَ الدُرَّ مخشَلَبا

قالوا: مخشلبا ليس من كلام العرب. فقال أبو الطيب: هي كلمة عربية فصيحة، وقد ذكرها العجّاج. ولست أعرفها في شعر العجاج ولا أحفظها محكي عن العرب؛ غير أني أرى استعمالها وأمثالها غير محفوظ، لأني أجد العرب تستعمل كثيراً من ألفاظ العجَم إذا احتاجت إليه لإقامة الوزن، وإتمام القافية، وقد تتجاوز ذلك الى استعماله مع الاستغناء عنه؛ كما سموا الحمَل برَقاً مع كثرة أسماء الغنم عندهم، وكما قال التغلبي:

وكنا إذا القيسيّ نبّ عَتوده ... ضرَبْناه دون الأنثَيْن على الكرْدِ

أراد الكَرْدَن، وهو العُنق، فأقام به القافية. وقال الآخر:

قد علمت فارس حِميَر والأع ... رابُ بالدّشْت أيُّهم نزَلا

أراد الدّشت وهو فارسي، وأسماؤه عند العرب كثيرة، فلم يمنعهم ذلك من الارتفاق به. وكذا قال الآخر:

تضمنها وهم ركوب كأنه ... إذا ضم جنبيها المخارِق رَزْدَقُ." (١)

"وإنِّي وإيَّاهم كمن نبَّه القطا ... ولو لم ينبه باتت الطَّير لا تسري

عن عروة عن عائشة قالت: وعك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم حين قدموا المدينة وعكاً شديداً قالت: فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلّم في زيارة أبي ومولاه بلال وعامر بن فُهيرة قالت: فدخلت على أبي بكر فذكرت الحديث ثمَّ قالت: أتيت بلالاً فوجدته يهذي وهو يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً ... بفخٍّ وحولي أذخرٌ وجليل

وهل أرِدنَ يوماً مياه مجنَّة ... وهل يبدُوَنْ لي شامةٌ وطفيل

اللهم العن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام كما أخرجونا من مكة. فرجعت إلى النَّبيّ صلى الله عليه وسلّم بالذي رأيت فقال: " اللهم حبِّب إلينا المدينة كما حبَّبت إلينا مكة وبارك لنا فيها كما باركت لنا في مكة وبارك لنا في صاعنا ومدنا وانقل وباءنا عنا إلى مهيعة " .

وقال زهير:

ومن يغتربْ يحسب عدوّاً صديقَه ... ومن لا يكرّمْ نفسه لم يُكرَّمِ

ومن يجعلِ المعروفَ من دونِ عِرضه ... يَفِرْه ومن لا يتَّقي الشّتم يُشتَمِ

ومن لا يذدْ عن حوضه بسلاحه ... يُهدّمْ ومن لا يظلم النَّاس لا يظلمِ

ويقال أن عمرو بن معد يكرب كان يُعد من الشجعان فلما قال:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

عُدَّ حينئذٍ من الشعراء.

وقال آخر:

أيذهب يوم واحد إن أسأته ... بصالح أيَّامي وحُسن بلائيا

وقد ينبت الدُّنيا عن دمِن الثَّرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

قال القطامي:

قد يُدركُ المتأنِّي بعضَ حاجته ... وقد يكونُ مع المستعجل الزَّلَلُ

والنَّاس من يلقَ خيراً قائلونَ لهُ ... ما يشتهي ولأم المخطئ الهَبَلُ

وذكر أن بعض البصريين ممَّن لم يعرف بقول الشاعر ولا روايته سمع ليلة من الليالي يُنشد:

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص/١٢٠

يا راقد اللَّيل مسروراً بأوَّله ... إن الحوادث قد يطرقن أسحارك

فلمَّا أصبح وجده قد أصيب، لا يعرف سببه، ولا من أصابه.

وقال آخر:

من لم يخف صولة الليالي ... أثر في وجهه الغبارُ

من لم يُؤدِّبْهُ والداه ... أدَّبَهُ اللَّيلُ والنهارُ

وقال الخليل بن أحمد:

عش ما بَدَا لك قصرُك الموت ... لا مهربٌ منه ولا فوْتُ

ولربّ محمود صنائعه ... أودى فماتَ الذّكر والصَّوتُ

وقال سعيد بن حميد:

أحسنت ظنَّك بالأيَّام إذْ حسنتْ ... ولم تخف شرّ ما يأتي به القدرُ

وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وحين تصفو اللَّيالي تحدث الغيرُ

وقال آخر:

من تحلَّى بغير ما هو فيه ... فضحته شواهد الامتحانِ

وأخو العلم تعرف العين منه ... حركات من غير لفظ لسانِ

وقال ربيعة الرقي:

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه ... شكا الفقر أوْ لام الصديق فأكثرا

فسرْ في بلادِ الله والتمس الغِنَى ... تعشْ ذا فساد أوْ تموتَ فتُعذرا

الباب الحادي والتسعون

ذكر

ما اشتبهت معانيه واتفقت أعجازه وقوافيه

قال أبو بكر: قد جاء في شعر شعراء الجاهلية والإسلام ما يوافق بعضها بعضاً فمنها ما يتفق في المعنى دون اللفظ ومنها ما يتفق في **المعنى واللفظ**، فمن ذلك ما يقوي أسباب التهمة فيكاد العالم يقنع بأن المتأخر قد سرقه من المتقدم، مثل ما وقع في شعر امرئ القيس من شعر أبي دؤاد الإيادي فتقع التهمة قوية بامرئ القيس لا رواية أبي دؤاد، وكذلك يقوي التهمة بزهير فيما وقع من شعر مشبهاً لشعر أوس بن حجر، لأنه روايته، والإسلاميون أيضاً كذلك تتأكد التهمة على الرَّجُل إذا كان رواية لرجل فوجد في شعره ما يشبه شعره ككثيّر وجميل ومن جرى مجراهما ممَّن يكون الباب بتسميته. ومن لم يكن رواية شاعر بعينه إلا أنَّه علامةٌ، وبالرواية مشهور، لم يعذر محرماً لا يعرف الأخبار ولا يروي الأشعار، ونحن نقدم في هذا الباب ما يشاكل ترجمته ثمَّ نعود على ما تبقى من السرقات بعد ذلك فنذكره بعد الفراغ إن شاء الله، وقال امرؤ القيس:

فقالت ولن يُبخل عليك ويُعتللْ ... يسؤْكَ وإن يُكشف غرامُك تدْربِ

وهذا يشاكل قول طرفة بن العبد:." (١)

"ولهذا كان الشاعر يدقق في لغته؛ بوصفها أداته التعبيرية والتصويرية، ويُعنى بتشكيل صوره الحسية التي بها يقدم معانيه، ويحاول جاهداً أن يوفر الانسجام والتآلف بين مكونات اللغة الشعرية، وعناصرها التشكيلية المتنوعة. وهنا تحضر الباحث مقولة الجاحظ، في معرض كلامه على **اللفظ والمعنى** في الشعر: (وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك؛ فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير) (٦). لقد كان الشاعر، وسيظل يعتمد كثيراً على الحواس في بناء الصورة الشعرية، ولقد وضح هذا الاعتماد وضوحاً شديداً لدى الشاعر القديم، الذي كان يقدّم المعنى الذهني المجرّد المراد التعبير عنه تقديماً حسّيّاً، ويستعين بالصور الحسية للتعبير عن رؤيته للحياة وموقفه منها، وتصوير الحالة النفسية التي يعيشها؛ ولهذا كان للجانب الحسي في الصورة أهمية ملحوظة، جعلت النقاد يصنّفون أبنية الصورة تصنيفات حسية متنوعة (وقد دفعت الأهمية الكبرى للجانب الحسي في الصورة النقاد إلى متابعة علماء النفس في تصنيف أبنية الصورة إلى مجموعات حسية؛ كالصورة البصريّة، والسمعية، والذوقية، والشميّة، واللمسية، والحركية، وإلى تقسيم كل واحدة منها أعداداً أخرى، حسب طبيعة الحاسة، ودرجة تلقيها للصورة شدّة ورخاء وانخفاضاً وارتفاعا) (٧).." (٢)

"فلما غشي أبا الطيب موج هذا الكلام قال: رويداً، أما ما نعيته علي من السرق فما يدريك أني اعتمدته، وكلام العرب آخذ بعضه برقاب بعض، وآخذ من بعض، والمعاني تعتلج في الصدور، وتخطر للتقدم تارة وللمتأخرة أخرى، والألفاظ مشتركة مباحة. وهذا هو عمرو ابن العلاء سئل عن الشاعرين يتفقان في **اللفظ والمعنى** مع تباين ما ينهما، وتقاذف المسافة بين بلادهما، فقال: تلك عقول رجال توافت على ألسنتها. وبعد، فمن هذا الذي تعرى من الأتباع، وتفرد بالاختراع والابتداع لا أعلم شاعراً جاهلياً ولا إسلامياً إلا قد احتذى واقتفى، واجتذب واجتلب، هذا امرؤ القيس يقول:

جُؤجُؤُ حَشرُ كأن لشجامَهُ ... يُعالَى به في رأسِ جذعٍ مُشذبِ

وإنما اعتمد غيه على أبي داود:

وهادٍ تَقَدُمَ لا عَيُبَ فِيهِ ... كالجذِعِ شُذبَ عَنهُ الكَرَبُ

وقال أيضاً:

كأنُ مَكاكيُ الجواءِ غدُيةً ... صُبِحنَ رَحيقاً مِن سُلافٍ مفلفل

وإنما اعتمد فيه على أبي داود الإيادي:

تَخَالُ مَكاكيهُ بالضحى ... خلالَ الدقارِي شَرباً ثمَاَلا

وقال امرؤ القيس يصف فرساً:

---

(١) الزهرة، ص/٢٣١

(٢) الروضة الغزلية في قصائد قديمة ـ مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية ــ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٢٧) العدد (١) ٢٠٠٥، ص/٨

كأن غُلامي إذا عَلا حالَ متَنِهِ ... على ظَهرِ بازٍ في السماء مُحلقِ

وهو من قول أبي داود:

إذا شاء راكبُهُ ضَمهُ ... كما ضَم بازٍ إليَهِ الجَناحَا

وقال امرؤ القيس:

مِكرٍ مِفَر مقُبِلٍ مدُبِرٍ معاً ... كجلُمودِ صَخرٍ حطه السيلُ من علِ

وإنما اعتمد فيه على أبي داود في قوله: منِفح مِطرحُ مِعَنُ مِفَنُ مِخلَطُ مِزيَلُ جموحُ خَروجُ وقال امرؤ القيس واصفاً برقاً:

ويهدَا تاراتٍ سَناَهُ وتارةً ... ينَوُء كما ناءَ الكسيرُ المهَيضُ

اعتمد فيه على أبي داود أيضاً في قوله:

واندَاح يَنهضَ نَهضَ الكَسيرِ ... جأجَأهُ الماءُ حتى أسالا

وقد أخذه عدي بن زيد منهما فقال:

وحيٍّ بعدَ الهُدُو تُهَادِيهِ ... رياحُ كَما يزَجيَ الكَسيرُ

فهذا أمير الشعراء؛ ومن بعده النابعة، وقد قدّمه عليه قوم، فقال

وتَخالهاُ في البيتِ إذْ فاجأتَها ... قد كانَ محجوباً سراجُ المَوقد

وإنما اعتمد فيه على قول امرئ القيس:

تضُيء الظّلامَ بالعشاء كأنهاّ ... منَارَةُ مسمىَ راهب متَبتلِ

وقال زهير:

يَطعنهمْ ما ارتمَوْا حتى إذا اطعنوا ... ضاربَ حتى إذا ما ضاربوا اعتَنقاَ

وإنما اعتمد فيه على قول مهلهل:

أنْبضواُ معَجسَ القسيّ وأبرَقْنا ... كما توُعدُ الفُحولُ الفحُولا

وقال الأعشى يصف الطيف:

يَلوينَي ديْني الغَداة وأقتضي ... وديْني إذا وقَذَ النّعاسُ الرقدّاَ

وإنما أخذه من قول عمرو بن قميئة:

نأتْكَ أمامةُ إلاّ سؤالا ... وإلاّ خَيالاً يوُافِي خياَلا

يوُافِي معَ اللّيلِ ميعادُها ... ويأبىَ معَ الصبّح إلاّ زَوالا

فقلت له: من هاهنا أخذ قيس بن الخطيم:

أنىّ سَربتَِ غَيَر سَروُبِ ... وتُقَربُ الأحلامُ غيرَ قَريبِ

ما تمَنعَي يقَظيَ فقدْ تؤُتينهُ ... في النوْمِ غيرَ مصردٍ محسوبِ

فأخذ هذا البحتري فقال:

بنفسيَ من تنأى ويدنو ادّكارها ... ويبذُلُ عنها طيفهاُ وتمأُنعُ

قال: وأخذ الأعشى قوله:

تَبيتوُنَ في المشتى ملاءً بطونكمْ ... وجاراتكمْ غرْثى يبتنَ خمائصاَ

من قول الأشعر:

لا يصلُحُ الجارانِ أنْ يتجاوَرَا ... هذا أخوُ شبعٍ وذا طاوي المعاِ

وهذا عبيد بن الأبرص أخذ قوله:

والناسُ يلحْونَ الغَوِيَ إذا همُ ... خطبواَ الصّوابَ ولا يلاُم المرْشدُ

من قول المرقش الكبر:

فمنْ يلقَ خيراً يحمدِ النّاس أمرهُ ... ومنَ يغْولاِ يعدْمْ على الغيّ لائِما

وقال الأخطل:

أما السُراةُ فمِن ديباجةٍ لهَقٍ ... وبالقوائمِ مثلُ الوَشمْ ِ بالقارِ

وإنما أخذه من قول المسيبّ بن علس في قوله:

كأنّ على الظّهرِ ديباجةً ... وسُدُ القَوائمِ يحسبنَ قارَا

وهذا جرير أخذ قوله:

وإني لعفُ الفقرِ مشتَرَكُ الغنى ... سريعُ إذا أرْضَ داري، احتمالياَ

من المنخبل السعدي في قوله:

إني لترَزْؤني النَوائبُ في الغنى ... وأعفُ عندَ مشَحةً الإقْتارِ." (١)

"مِنَ السُّحِ جَوالاً كَأَنَّ غُلاَمَهُ ... يُصَرِّف سِبْداً في العنَان عَمَّردَا

إلا قرأه سيداً يذهب إلى الذئب، والشعراء قد تشبه الفرس بالذئب وليست الرواية المسموعة عنهم إلا سبداً قال أبو عبيدة: المصحفون لهذا الحرف كثير، يروونه سيداً أي ذئباً، وإنما هو سبدٌ بالباء معجمة بواحدة، يقال فلانٌ سبدٌ أسبادٍ أي داهية دواه.

وكذلك قول الآخر:

زَوْجُكِ يا ذاتَ الثَّنَايَا الغُرِّ ... الرّتِلاَتِ والجَبِينِ الحُرِّ

يرويه المصحفون والآخذون عن الدفاتر الربلات وما الربلات من الثنايا والجبين؟ وهي أصول الفخذين، يقال: رجل أربل إذا كان عظيم الربلتين، أي عظيم الفخذين وإنما هي الرتلات بالتاء يقال: ثغرٌ رتلٌ إذا كان مفلجاً.

وليس كل الشعر يختار ويحفظ على جودة **اللفظ والمعنى**، ولكنه قد يختار ويحفظ على أسبابٍ: منها الإصابة في التشبيه، كقول القائل في وصف القمر:

بَدَأَنَ بنا وابْنُ اللَّيَالي كَأَنَّهُ ... حُسَامٌ جَلَتْ عَنْهُ القُيُونُ صَقِيلُ

(١) الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره، ص/٤١

فما زِلْتُ أُفْنِي كُلَّ يَوْمٍ شَبَابَهُ ... إلى أَنْ أَتَتْكَ العيسُ وهْوَ ضَئِيلُ

وكقول الآخر في مغن:

كَأَنَّ أَبَا الشُّمُوس إِذَا تَغَنَّى ... يُحَاكي عَاطِساً في عَيْنِ شَمْسِ

يَدُوكُ بلَحْيِهِ طَوْراً وطَوْراً ... كَأَنَّ بلَحْيِهِ ضَرَبَانَ ضِرْسِ

وقد يحفظ ويختار على خفة الروى، كقول الشاعر:

يا تَمْلكُ يَا تَمْلي ... صِلِينِي وذَرِى عَذْلِي

ذَرِيني وسِلاَحي ثُ ... مَّ شُدَّى الكفَّ بِالغَزْلِ

ونَبْلى وفُقَاهَا كَعَ ... رَاقِيبِ قَطاً طُحْلِ

ومِنّى نَظْرَةٌ بَعْدِي ... ومِنّى نَظْرَةٌ قَبْلي

وثَوْبَاىَ جَدِيدَانِ ... وأُرْخِى شُرْكَ النَّعْلِ

وإِمَّا مُتُّ يا تَمْلي ... فَكُونِي حُرَّةً مِثْلي

وهذا الشعر مما اختاره الأصمعي بخفة رويه.

وكقول الآخر:

ولَو أُرْسِلْتُ مِنْ حُب ... كِ مَبْهُوتاً مِنَ الصِّينْ

لَوَافَيْتُكِ قَبْل الصُّب ... حِ أَوْ حِينَ تُصَلِّينْ

وكان يتمثل بهذا كثيراً وقال: المبهوت من الطير الذي يرسل من بعد قبل أن يدرج.

وقد يختار ويحفظ لأن قائله لم يقل غيره، أو لأن شعره قليلٌ عزيز، كقول عبد الله بن أبي بن سلولٍ المنافق:

مَتَى ما يَكُنْ مَوْلاَكَ خَصْمَكَ لا تَزَلْ ... تَذِلُّ ويَعْلُوكَ الَّذِينَ تُصَارِعُ

وهلْ يِنْهَضُ البَازِي بَغْيرِ جَنَاحِهِ ... وإنْ قُصَّ يَوْماً رِيشُهُ فَهْوَ وَاقِعُ

وقد يختار ويحفظ لأنه غريبٌ في معناه، كقول القائل في الفتى:

لَيس الفَتَى بفتىً لا يُسْتَضَاءُ بِهِ ... ولا يكُونُ له في الأَرْضِ آثَارُ

وكقول آخر في مجوسي:

شهدْتُ عَلَيْكَ بِطِيب المُشَاشِ ... وأَنَّكَ بَحْرٌ جَوَادٌ خِضَمْ

وأَنَّكَ سَيِّدُ أَهْلِ الجَحِيمِ ... إِذَا مَا تَرَدَّيْتَ فِيمَنْ ظَلَمْ

قَرِينٌ لِهَامَانَ في قَعْرِهَا ... وفِرْعَوْنَ والمُكْتَنى بالحَكَمْ

وقد يختار ويحفظ أيضاً لنبل قائله، كقول المهدي:

تُفَّاحَةٌ مِنْ عِنْدِ تُفّاحَةٍ ... جاءَتْ فماذا صَنَعَتْ بالفُؤادْ

واللهِ ما أَدْرِي أَأَبْصَرْتُهَا ... يَقْظَانَ أَمْ أَبْصَرْتُهَا في الرُّقَادْ

وكقول الرشيد:

النَّفْسُ تَطْمَعُ والأَسْبَابُ عاجِزَةٌوالَّنفسُ تَهْلِكُ بَيْنَ اليَأْسِ والطَّمعِ

وكقول المأمون في رسول:

بعَثْتُكَ مُشْتَاقاً فَفُزْتَ بِنَظْرَةٍ ... وأَغْفَلْتَني حتَّى أَسَأْتُ بِكَ الظَّنَّا

ونَاجَيْتَ مَنْ أَهْوَى وكُنْتَ مُقَرَّباًفَيَالَيْتَ شِعْرِي عَنْ دُنُوِّكَ ما أَغْنَى

ورَدَّدْتَ طَرْفاً في مَحَاسِنِ وجْهِهَا ... ومَتَّعْتَ باسْتماعِ نَغْمتِهَا أُذُنَا

أَرَى أَثَراً مِنْها بِعَيْنَيْكَ لَمْ يَكُنْلقد سَرَقَتْ عَيْنَاكَ مِنْ وجْهِهَا حُسْنَا." (١)

"ولقد حدثني من أثق به: أنه لما قتل المتنبي وجد معه ديوانا أبي تمام والبحتري بخطه وعلى حواشي الأوراق علامة كل بيت أخذ معناه وسلخه، فهل يحل له أن ينكر أسماء الشعراء وكناهم، ويجحد فضائل أولاهم وأخراهم إلى أن قال: وأنا بمشيئة الله تعالى أورد ما عندي من أبيات أخذ ألفاظها ومعانيها، وادعى الإعجاز لنفسه فيها، ليشهد بلؤم طبعه في إنكار فضيلة السابقين، ويسمه بما نهبه من أشعارهم بسمة السارقين.

قلت: ليعلم أنه لا بد من تقديم متقدمتين قبل إيراد ما سرق به أبو الطيب المتنبي، ليصير العاذل عاذراً والمحجوج مفارخراً: المقدمة الأولى: من المقرر عند أرباب هذا الشأن، وفرسان هذا الميدان، أن من المعاني ما يتساوى فيه الشعراء ويشترك فيه المحدثون والقدماء، لأنه كضياء القمر لا يخفي على من أوتي فضيلة النظر، كما إن قلنا في مولانا نجل الحسام: له عزمة أمضى من الحسام، وهو كالليث يوم جداله، وكالغيث وقت نواله، أو إذا قلنا: وجهه كالبدر الزاهر، وكفه كالبحر الزاخر، أو إذا قلنا: كلماته كبرد الشبابُ وألفاظه كبرد الشراب، أو إذا قلنا: لا أشبه وجه مولانا إلا بالعيد المقبل لو كان العيد تبقى ميامنه، وتدوم محاسنه، أو إذا قلنا: مولانا كالبدر في ارتفاع قدره، وكالبحر في اتساع صدره، لو أن البحر لا يتغير ماؤه، والبدر لا ينقص ضياؤه، أو إذا قلنا: لمولانا خلق هو المسك لولا سواده، وكف هو البحر لولا نفاده، ووجه هو الشمس لولا كسوفه، والقمر لولا خسوفه، أو إذا قلنا: مولانا كالدهر لولا صروفه، والجبل لولا وقوفه، وقد شاهدت من مساطر كلامه، ومقاطر أقلامه، روضات حزن، بل جنات عدن وكقولهم: عفت الديار وما عفت آثارها من القلوب، وكقولهم: إن الطيف يجود بما يبخل به صاحبه، وإن الواشي لو علم بمزار الطيف لساءه، وأشباه ذلك، وكقولهم في المراثي: إن هذا الرزء أول حادث، وإنه استوى فيه الأباعد والأقارب، وإن الذاهب لم يكن واحدا وإنما كان قبيلة، ويجري هذا الأمر في سائر أنواع الشعر، فإن أمثال هذه المعاني الظواهر تتوارد عليها جميع الخواطر، وتستوي في إيرادها، ومثل ذلك لا يطلق على المتأخر اسم السرقة، وإنما يطلق اسمها في معنى مخصوص كقول أبي الطيب:

بناها على والقنا يقرع القنا ... وموجُ المنايا حولها مُتلاطم

وكان بها مثُل الجنون فأصبحتْ ... ومن جُثث القتلى عليها تمائم

فإن هذا معنى، مخصوص ابتداعه أبو الطيب، وكذلك في عضد الدولة وولديه

وكان ابنا عدوٍّ كاثراه ... له ياءي حروفِ أُنيسيان

(١) الشعر والشعراء، ص/٧

وهذا المعنى لأبي الطيب، وهو الذي ابتدعه، فمن أتى من بعده بهذا المعنى أو بجزء منه فإنه يكون سارقاً له، وزعم بعض أهل الأدب أن ابن الرومي ابتدع قوله:

تشكو المحبّ وتُلْفىَ الدهَر شاكيةً ... كالقوس تُصمي الرمايا وهي مِرنان

وليس الأمر كما زعم فإنه من المثل المضروب وهو تلدغ وتضيء ويضرب لمن يبدأ بالأذى ثم يشكو. وزعم كثير أن ابن الخياط ابتدع قوله:

أغارُ إذا آنستُ في الحيّ أنةً ... حذاراً عليه أن تكون لِحُبّه

وهو مأخوذ من قول أبي الطيب:

لو قلت للدنفِ الحزين فديتُه ... مما به لأغرتَه بفدائه

وهو أدق معنى من قول ابن الخياط.

المقدمة الثانية: في السرقات الشعرية، والمحمود منها والمذموم، وهي على خمسة عشر ضرباً: الضرب الأول: أن يأخذ الثاني من الأول **المعنى واللفظ** جميعاً، كقول الفرزدق:

أتعدل أحساباً لئاماً حُماتها ... بأحسابِنا؟ إني إلى الله راجعُ

وكقول جرير:

أتعدل أحسابا كراماً حُماتها ... بأحسابكم؟ إني إلى الله راجع

فتخالفهما في لفظة واحدة، وهذا الضرب مذموم والمتأخر ملوم. ومن هذا الضرب قول أبي نواس الحكمي:

دارتْ على فتيةٍ ذل الزمانُ لهم ... فما أصابهُم إلا بما شاءُوا

أخذه من معبد:

لَهْفِي على فتية ذلّ الزمان لهم ... فما أصّابهمُ إلاّ بما شاءُوا

الضرب الثاني: أن يأخذ المعنى وأكثر اللفظ، وهذا الضرب ينقسم قسمين: مذموم ومحمود، فالأول كقول أبي تمام:

محاسنُ أصناف المغنين جَمَّة ... وما قَصَباتُ السبق إلاّ لمعَبد

أخذه من قول بعض المتقدمين يمدح معبداً صاحب المغنى:." (١)

"" فالشعر العربي لم يبدأ بالنهوض، إلاّ حين بدأ يقيم مسافة بينه وبين (الايديولوجية الدينية) من جهة، وبينه وبين (الجماعة) بالمعنى الديني، من جهة ثانية... وقد بلغت هذه الحركة من الانفصال أَوْجَهَا في نهاية القرن الثالث الهجري، (كذا) في نتاج أبي نواس وأبي تمام " (٨).

وقد ساهمت السلطة المدنية إلى جانب السلطة الدينية في إسباغ هذه القدسية على اللغة العربية، أيام الدولة الأموية. فحلفاء بني أمية كانوا يولون اللغة العربية عناية كبيرة، فيرسلون أبناءهم إلى البادية، لينهلوا من معين الفصاحة العربية.. وهو الأمر الذي ما عدنا نراه عند خلفاء بني العباس، الذين ما كانوا "يحبّون البادية، ولا يحنّون إليها ولا يتكلّفون في قصورهم عيشة

---

(١) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، ص/٥١

أهلها. إنما قطعوا بينهم وبين هذه العيشة كل صلة، واتخذوا لأنفسهم من ملوك الفرس مُثلاً يحتذونها في ضروب الحياة ". (٩).

وإذا كان هذا الكلام يوحي بأن العصر الأموي كان عصر ثبات، وأن التحديث في لفظ الشعر ومعناه بدأ في العصر العباسي خاصة، فإن طه حسين يرى أننا " نظلم العصر الأموي، ونظلم معه تاريخ الأدب العربي.. فإنّ العصر الأموي قد كان عصر تجديد أيضاً، بل قد كان عصر تجديد قوي ظاهر في اللفظ والمعنى ." وربما كان عصر الأمويين، من هذه الناحية، أخصب وأكثر إنتاجاً من عصر العباسيين. فقد حاول الشعر في هذا العصر أن يتجدّد لافي لفظه ومعناه فحسب، بل فيهما وفي الموضوع أيضاً (١٠). ولكن هذه المحاولة لم توفق توفيقاً تاماً، لأن عصر الأمويين لم يطل، ولأنه لم يكن عصر ثبات واطمئنان، وإنما كان عصر تحوّل وانتقال ،(١١).." [1]

"وخلاصة الكلام أن مقياس المفاضلة بين الشاعرين هو تلك الصنعة اللطيفة المحبّبة، التي لا تتعارض مع الطبع وتلقائية التعبير. أما سمات هذه الصنعة فتكمن في عدم الإغراق فيها مع شيء من التنقيح، وفي الإبداع على غير مثال. وهذا هو مذهب الأوائل.

وهكذا، تردّ قضية الطبع والّصنعة إلى مسألة التقليد والتجديد أو الأصالة والمعاصرة: فالأصالة في التقليد، أما التجديد والمعاصرة فمر فوضان وإن توافرت فيهما سمات الصنعة اللطيفة .

و - **اللفظ والمعنى**

كانت قضية اللفظ والمعنى، أهم قضية دار حولها النقاش بين القدماء والمحدثين، بل إنها القضية الرئيسة، وما سواها متفرّع منها.

يحدثنا طه حسين عن تطور هذه القضية في العصرين الأموي والعباسي، فيقول: "كان القدماء والمحدثون أيام بني أمية يختلفون في اللفظ اختلافاً ظاهراً، (٨٧) وكانوا يتخذون اللفظ مقياساً لجودة الشعر، فكلما قرب هذا اللفظ من البداوة، وكلما كان رصيناً يملأ الفم ويهز السمع كان الشعر جيداً، أي إن جزالة اللفظ، وشدة القرب بينه وبين ألفاظ البادية في العصر الجاهلي كانت هي المزية الأولى للشاعر، ثم تأتي بعد ذلك جودة المعنى والتعمق فيه " (٨٨).

وقد استمرّ هذا الخلاف نفسه في أول العصر العباسي، " فاختلف الشعراء العباسيون، واختلف معهم الأدباء واللغويون في أيّ الشعرين أجمل وأرقى وأحسن: الشعر الذي يحتذي شعراء الجاهلية والإسلام في متانة اللفظ ورصانته وبداوته، أم الشعر الذي يتخير الألفاظ السهلة العذبة التي ألفها الناس عامة، لا علماء اللغة خاصة؟ " (٨٩).

وإلى جانب ذلك ظهر خلاف آخر حول معاني الشعر :" أتبقى كما كانت بدوية أعرابية، أم تتحضر كما تحضّر الناس؟ ... أيعيش الشعراء عصرهم الذي هم فيه، أم يعيشون عصور الآباء والأجداد؟ " (٩٠).." [2]

---

(١) الخصومة بين الطائيين وعمود الشعر العربي، ص/٤

(٢) الخصومة بين الطائيين وعمود الشعر العربي، ص/٣٦

"هذا الخلاف حول اللفظ، والمعنى: كان أشد أنواع الخلاف إنتاجاً وأكثرها خصباً ...وكان هذا كل ما عرف العرب من اختلاف في الشعر بين القدماء والمحدثين: اختلاف في اللفظ نشأت عنه مدرسة مسلم بن الوليد، التي أخرجت أبا تمام والمتبني وأمثالهما من أصحاب البديع، واختلاف في المعنى نشأت عنه مدرسة أبي نواس التي أخرجت البحتري وغيره من أولئك الشعراء، الذين آثرو اللفظ القديم والمعنى الجديد، ولم يتكلفوا بديعاً ولا استعارة ولا جناساً " (٩١).

لقد احتلّت قضية **اللفظ والمعنى**، إذاً، حيّزاً هاماً من النقاش الدائر بين أنصار القديم وأنصار الحدّيث. بل إن بعضهم يذهب إلى القول: " إن محور تلك الخصومة كان تجديد المحدثين لمعاني القدماء وفشلهم أوتوفيقهم في ذلك " (٩٢).

فالبحتري، بحسب الآمدي، " يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام... ويتعمّد حذف الغريب والوحشي من شعره، ليقرّبه على فهم من يمدحه" (٩٣). أما أبو تمام، فكان " يستكره الألفاظ والمعاني،.. (بل إنه) تعّمد أن يُدلّ في شعره على علمه باللغة وبكلام العرب. فتعمد إدخال ألفاظ غريبة في مواضع كثيرة من شعره "(٩٤).

هذا هو رأي أنصار البحتري في الشاعرين. أما خصومهم فيرون أن ما أُخذ على أبي تمام في اللفظ، والمعنى مسبوق إليه :" ففحول الشعراء – الذين غلبوا عليه، وافتتحوا معانيه، وصاروا قدوة فيه، واتبعهم الشعراء، واحتذوا على حذوهم، وبنوا على أصولهم . ما عُصموا من الزلل، ولا سلموا من الغلط "(٩٥) وإن أساء صاحبهم، فالبحتري أيضاً " قد أساء " (٩٦).." (١)

"ويعود أصحاب البحتري ليردّوا على خصومهم بأن " أخذّ السهو والغلط على من أُخذ عليه من المتقدمين والمتأخرين، في البيت الواحد والبيتين والثلاثة، وربما سلم الشاعر المُكثر من ذلك ألبتّة " (٩٧). هذا، على حين كان أبو تمام " لا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من أبيات عديدة، يكون فيها مخطئاً، أو مُحيلاً، أو عن الغرضِ عادلاً، أو مستعيراً استعارة قبيحة، أو مفسداً للمعنى الذي يقصده بطلب الطباق والتجنيس، أو مُبهماً له بسوء العبارة والتعقيد حتى لا يفهم، ولا يوجد له مخرج " (٩٧).

بعد هذا الدفاع عن المتقدّمين، يأبى أنصارهم إلاّ أن ينزّهوهم عن كل عيب وغلط، فينسبون أغلاطهم إلى السهو، " والسهو فيه إنما دخل على الرواة.. وليس ينبغي له (أي للمتأخر) أن يتبعهم (أي العرب) فيما سهوا فيه "(٩٨).

ويتابع خصوم أبي تمام الدفاع عن صاحبهم، فإن كان البحتري قد أخطأ في بعض شعره، فإنه لايكون بذلك " داخلاً في جملة المسيئين، ولا الخاطئين في الشعر، لجودة نظمه، واستواء نسجه، ووقوع لفظه في مواقعه، ولأن معانيه تصحّ في النقد، وتخلّصُ على السّبر والسبك، وأبو تمام يتبهرج شعره عند التفتيش والبحث، ولا تصحّ معانيه على التفسير والشرح "(٩٩).

لقد حدّد طرفا الخصومة، وهما يتبادلان الحجج بينهما، نظريتهما في **اللفظ والمعنى**. فأنصار القديم يميلون إلى المعنى القريب، البعيد عن التعقيد، و إلى اللفظ الواضح المطابق لدلالته المعنوية، لهذا قدّموا البحتري على أبي تمام. وهم، في موقفهم هذا

---

(١) الخصومة بين الطائيين وعمود الشعر العربي، ص/٣٧

كانوا يفصلون بين اللفظ والمعنى، وهذا يعني بالتالي " أن الشعر (عندهم) محاكاة، أوهو إعادة سبك لعناصر سابقة " (١٠٠) أما كون المعنى قريباً، فهو يعني أنه: مسبق موجود قبلياً " (١٠١)، له رصيد سابق في أذهان المتلقين.." [١]

"على هذه الرؤية التقليدية ثار أنصار الجديد، فلئن كانت " اللغة مستودع الماضي"، إنها " في الوقت نفسه ينبوع المستقبل، من حيث إن الأساسي هو كلام الشاعر، الخاص به، ومن حيث إن الكلام يفتح بعضه بعضاً ." (١٠٠) وعليه فإن الشاعرمدعو إلى تأسيس تعبير جديد تتحقق فيه الوحدة بين مايقال وطريقة القول" (١٠٠) أي هو مدعو إلى أن يكون كلامه مطابقاً للمعنى الحادث الجديد، لا للمعنى المسبّق القديم، كمايريد التقليديون، وكما أصرّ علماء اللغة والنحو .(١٠٢) وهنا يكمن سرّ النقد الموجه لأبي تمام، فهو " يخالف قواعد اللغة لأنه متعمّق في المعاني، فيضطره هذا التعمق إلى أن يحمّل اللغة أكثر مما تطيق، ولا يجوز للمحدثين أن يتصرفوا في اللغة "(١٠٣).

وهنا نجد أنفسنا مرة أخرى في حَرَم اللغة، وأمام قضية قدسيتها. وبذلك، تنحلّ مشكلة الخصومة حول اللفظ والمعنى، بين أنصار القديم والجديد. فالبحتري ملتزم بقدسية اللغة، محافظ على ألفاظها ودلالاتها المعنوية كما أقرّها عمود الشعر العربي. أما أبو تمام، فخارج على اللغة، يسعى إلى المعنى البعيد، فيضطر إلى تسخير اللغة له. وهكذا يقوم مذهب أبي تمام في اللفظ والمعنى على اعتماد " المعنى غير المألوف، واستخدام الكلمة العربية بطريقة غير مألوفة، أي نقل اللفظ عن معناه المعروف.. (وهو مذهب) جديد مخالف للطريقة التقليدية في كتابة الشعر آنذاك . لكنه، إذا كان خروجاً على الطريقة، فهو ليس خروجاً على الشعر، بل إنه أفق شعري آخر ". (١٠٤).

وعلى الرغم من مهاجمة النقاد مذهب أبي تمام في اللفظ والمعنى، نراهم، بالنسبة إلى المعنى، قد " سلّموا له بالشيء الذي هو ضالة الشعراء وطلبتهم، وهو لطيف المعاني "(١٠٥).." [٢]

"أما فيما يخصّ اللفظ، فنرى الزمخشري يدعو إلى الاستشهاد بشعر أبي تمام نفسه، فيقول: " وهو، وإن كان محدثاً لايُستشهد بشعره في اللغة، فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزلة مايرويه. ألا ترى إلى قول العلماء: الدليل عليه بيتُ الحماسة، فيقنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه " (١٠٦) ويذكر أن الزمحشري نفسه استشهد بشعر أبي تمام في الكشاف .(١٠٧) .

وقد كان للخصومة حول اللفظ والمعنى أثر كبير في دراسة السرقات، فادّعاء المحدثين (١٠٨) السبق والابتكار في ما أعادوا صياغته وتقعيده من معاني القدماء، كان أدعى لخلق مشكلة السرقات من موقف أنصار القديم " (١٠٩). (١١٠).

وقد دفعت دراسة السرقات، بالتالي، النقاد إلى الاهتمام بالموازنة " فقد كان هؤلاء النقاد حريصين جداً على أن يكشفوا في كل جهود الشعراء، الصورة العارية، لأن هذه الصورة هي مأثورهم الذي يعتزون به... إن الاهتمام بالموازنة بين الشعراء كشف الاهتمام الغريب بالعناصر الثابتة، وخيل إلى النقاد أن العناصر الثابتة تنافس العناصر المتطورة أوالطارئة. فالمأثور أو أصل المعنى أو الصورة العارية ذات قدم راسخة.. إن الاهتمام بالموازنة بين المعاني في اللغة العربية، له دوافع تَخَفْى عَلَيْنا الآن،

---

(١) الخصومة بين الطائيين وعمود الشعر العربي، ص/٣٨

(٢) الخصومة بين الطائيين وعمود الشعر العربي، ص/٣٩

أهم هذه الدّوافع هو كما قلنا أن يُثبت الناقد أن الجماعة أهم من الفرد، أنّ المأثور ينافس المبتدع، أن الصورة العارية لها وجاهة وإن خلت من آثار الفردية والخيال. هذه الصورة الأولى تبلغ أقصى ما قدّر لها من حبّ حين تسمّى تسمية مشهورة هي الفطرة. والفطرة صافية نقية بسيطة كجمهور الناس، أي أن فكرة الجمهور أخذت مكانة ضخمة في ظل الفطرة أو الصورة الأولى أو المستوى الأوّل " (١١١). وفي ذلك عودة إلى قضيتي الطبع والتقليد.." [١]

"(٧٤) المصدر نفسه ١/ ٢٧

(٧٥) المصدر نفسه ٥٤/١

(٧٦) المصدر نفسه ٥٥/١ وانظر أيضاً الثابت والمتحول ٢/ ١٨٩

(٧٧) الموازنة ٢٩/١

(٧٨) الموازنة ٣٣/١

(٧٩) الثابت والمتحول ١٨٩/٢

(٨٠) حركات التجديد، لعبد القادر القط ٤٤٧

(٨١) الموازنة ٤/١

(٨٢) المصدر نفسه ١٧/١ –١٨، ٢٠

(٨٣) المصدر نفسه ١٨/١

(٨٤) المصدر نفسه ٢٣/١

(٨٥) المصدر نفسه ٢٤/١

(٨٦) شعراء الشام في اقرن الثالث، لخليل مردم بك، ص ٩٦ مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٢٥

(٨٧) يرى طه حسين أن العصر الأموي "كان عصر تجديد قوي ظاهر في **اللفظ والمعنى** " حديث الأربعاء ١٤/٢

(٨٨) حديث الأربعاء ٢/ ٧، وانظر موقف أصحاب اللفظ من تقديم اللفظ على المعنى، عند محمد نجيب البهبيتي: أبو تمام الطائي ١٨٧، ط ٢ دار الفكر، بيروت، ١٩٧٠ .

(٨٩) حديث الأربعاء ٧/٢

(٩٠) المرجع نفسه ٧/٢ –٨

(٩١) المرجع نفسه ٨/٢

(٩٢) البحتري بين نقاد عصره ٣٤، وانظر النقد المنهجي ٨٦، ومقالات في النقد الأدبي، لمحمد مصطفى هدارة، ص ٦٠ يقول الأخير: " ويمكننا أن نحصر عناصر الخصومة الحقيقية بين القدماء والمحدثين في اختلافهم على عمود الشعر ونهج القصيدة، وفي الإيمان بفكرة استنفاد القدماء للمعاني فأغلب مافي الخصومة كان دائراً حول تجديد المحدثين لمعاني القدماء، وذلك عن طريق وضعها في صورة شعرية جديدة، مادامت المعاني قد استأثربها القدماء، ولابد للمحدثين من التوارد عليها

---

(١) الخصومة بين الطائيين وعمود الشعر العربي، ص/٤٠

"مقالات في النقد الأدبي، دار القلم، ١٩٦٤ – ١٩٦٥ .

(٩٣) الموازنة ١/٤، ٢٦

(٩٤) المصدر نفسه ١/٤، ٢٥

(٩٥) المصدر نفسه ١/٥١ وماقبل

(٩٦) المصدر نفسه ١/٢٨

(٩٧) المصدر نفسه ١/٥٢." (١)

"ولكي تكون الصورة واضحة، تشبّه القصيدة بلوحة تتألف من مجموعة صور جزئية، يعطي مجموعها الجمال للوّحة الكلية، مع احتفاظ كل صورة بفرديتها وخصوصيتها. وهكذا يبقى للصورة الجزئية جمالها الخاص، لكن هذا الجمال يزداد قوة بارتباطها بمثيلاتها عن طريق السياق. وهنا، يمكننا أن نشير إلى أثر هذه الجزئية في الاعتماد على وحدة البيت، لا وحدة الرؤية في القصيدة كلها. فالشاعر ما كان يستطيع بإدراكه الحسي أن يصل إلى هذه الرؤية الكلية الشاملة.

وإذا عدنا إلى الشعر الذي استحسنه النقاد العرّب، اتضح الأمر أمامنا. فهم لم يستحسنوا القصائد الكاملة، وإنما انصب اختيارهم على الأبيات المفردة، وعلى ما تحقّق فيها مثل هذا التصوير الجزئي ؛ بل إنهم قدّموا تلك الأبيات التي استطاع فيها الشاعر أن يكثف أكبر عدد ممكن من هذه الصور الجزئية، كما في استحسانهم لقول الشاعر:

وأسبلت لؤلؤاً من نرجس، وسقت ... ورداً، وعضّت على العنّاب بالبردِ

وسبب هذا الاستحسان، عند علي البطل، أن الشاعر " شبّه خمسة أشياء بخمسة أشياء في بيت واحد، وإن تنافرت الصورة الحسية مع الصورة النفسية الباكية (١١).

جـ) **اللفظ والمعنى:**

يطالب المرزوقي في عمود الشعر " بجزالة اللفظ واستقامته... ومشاكلته للمعنى ". أما "عيار اللفظ، فالطبع والرواية والاستعمال، فما سلم مما يهجنه عند العرض عليها، فهو المختار المستقيم... (وأما) عيار مشاكلة اللفظ للمعنى... فطول الدربة ودوام المدارسة، فإذا حكما بحسن التباس بعضها ببعض، لاجفاء في خلالها ولا نبوّ، ولا زيادة فيها ولا قصور، وكان اللفظ مقسوماً على رتب المعاني: قد جعل الأخصّ للأخص، والأخسّ للأخسّ، فهو البريء من العيب..."(١٢).." (٢)

"ويدلنا اهتمام المرزوقي بقضية اللفظ، والمعنى، وإعطاؤها مثل هذه الأهمية، على تلك المكانة التي أولاها النقاد لهذه القضية. ولا نبالغ إذا قلنا: إن النقد القديم في معظمه نقدٌ لغويّ، كان له أثر كبير في جمود الشعر والحدّ من خيال الشعراء. ولكن ما هي معايير **اللفظ والمعنى**، وماذا كان يريد النقاد منهما؟

إن المعيار الوحيد الذي يمكننا أن نفهمه من كلام المرزوقي – وهو خلاصة آراء النقاد القدماء –هو الوضوح، وضوح اللفظ

(١) الخصومة بين الطائيين وعمود الشعر العربي، ص/٤٩

(٢) الخصومة بين الطائيين وعمود الشعر العربي، ص/٧٠

ووضوح المعنى.

لقد كانت اللفظة في الشعر القديم الأداة التعبيرية (١٣) التي يعبّر الشاعر بوساطتها عن تجربته. لهذا كان لابدّ لها أن تكون واضحة مفهومة، حتى تتمكّن من إيصال هذه التجربة. ولكي تتحقق هذه الغاية، اشترطوا " في اللفظ ألاّ يكون غريباً في استعماله ولا مبتذلاً، تفهمه العامّة إذا سمعته، ولا تستعمله في كلامها "(١٤). كما اشترطوا أن يكون سليماً من تنافر الحروف، متجانساً مع الألفاظ المجاورة مناسباً لمعناه (١٥).

هذه هي معايير اللفظ كما يمكننا أن نفهمها من كلام المرزوقي، وهي كلها تدور حول محور واحد: الوضوح. مثلها في ذلك مثل المعنى الذي أراد المرزوقي أن تطابق دلالته لفظه، وأن يكون مألوفاً معروفاً، ممّا درج عليه القدماء ،غير مخالف للعرف السائد .

لقد أراد المرزوقي – ومعه النقاد العرب القدماء (١٦) من الشاعر، ألا يستخدم من الألفاظ والمعاني إلاّ ما كان واضحاً مألوفاً عن طريق الاستعمال، له رصيد في أذهان الناس. ومن الواضح ما لهذه النظرة من خطر في الحدّ من حرية الشاعر في اختيار ألفاظه ومعانيه، وفي " الحدّ من جنوح الخيال إلى أفق غير أفق الظاهر "كما يرى عصام قصبجي (١٧). فما سبيل الشاعر إلى الخيال، " وشعره مكبّل بقيود **اللفظ والمعنى**، والعرف، والحس، والوضوح والقرب والمطابقة؟ " (١٨).." [1]

"إن عناية النقاد بالصياغة والسبك كان لها أثر كبير في تأخر التصوير والخيال في الشعر العربي (١٩). لهذا، نرى أن معظم شعراء الصورة قد خرجوا على حدود **اللفظ والمعنى**، ضاربين صفحاً عنها، متجاوزين قيودها إلى عالم الخيال والإبداع. أما قلة عناية النقاد بالمعاني والأفكار، "فسببها وارتباط المعنى في الأذهان بالتوجيه الخلقي، والمغزى الديني، والتصوّرات المنطقية " (٢٠). وقد دفع هذا الأمر النقاد إلى طلب الوضوح المعنوي والتمسّك به.

إن خلوّ الشعر من الفكرة وعدم عناية الشعراء بتصوير الأفكار، جعلت هذا الشعر أشبه بالصفحة البيضاء الواضحة. لهذا نجد أن أهم قضية ثارت في وجه شعراء الفكرة، هي قضية الوضوح، إذ إن النقاد كانوا أمام شعر جديد بعيد عن قيمة الوضوح التي رسّخوها، فهاجموا هذا الشعر وأخذوا على أصحابه غموض التعبير وسوء الإبانة.

د) التشبيه والاستعارة:

يقول المرزوقي: " أما عيار المقاربة في التشبيه، فالفطنة وحسنُ التقدير، فأصدقه مالا ينتقض عند العكس، وأحسنه ما أوقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما، ليبين وجه التشبيه بلا كلفة، إلاّ أن يكون المطلوب من التشبيه أشهر صفات المشبه به وأملكها له ،لأنه حينئذ يدلّ على نفسه ويحميه من الغموض والالتباس. وقد قيل: " أقسام الشعر ثلاثة: مثل سائر، وتشبيه نادر، واستعارة قريبة " (٢١).

وأمّا " عيار الاستعارة، فالذهن والفطنة. وملاك الأمر تقريب التشبيه في الأصل حتى يتناسب المشبه والمشبه به، ثم يكتفى فيه بالاسم المستعار لأنه المنقول عما كان له في الوضع إلى المستعار له " (٢٢).

إن التشبيه هو الأسلوب التصويري الذي لجأ إليه الجاهليون وأكثروا منه(٢٣) " حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم، لم

---

(١) الخصومة بين الطائيين وعمود الشعر العربي، ص/٧١

يبعد " (٢٤). لهذا كان أوضح من الاستعارة في الأذهان، وكان اللجوء إليه مظهراً من مظاهر التمسك بالوضوح الشعري (٢٥).." [1]

"ويبقى سؤال آخر: لماذا قبل النقاد استعارات القدماء، وعدّوها مطبوعة، ورفضوا استعارات المحدثين وعدوّها مصنوعة ؟

لقد قبل النقاد استعارات القدماء وعدّوها مطبوعة، لأنها قليلة إذا ما قيست إلى الصور التشبيهية (٣٣)، ولأنها على قلتها مرتبطة بفكرة " وترد استجابة لقوة المعنى وصدق تصويره " (٣٤)، كما يرى الأستاذ الشايب.

وإذا كان ما قبلوه من الاستعارات يغلب عليه النوع التصريحي، فإن هذا لايعني رفضهم القاطع للاستعارة المكنية، بدليل استحسانهم بيت إبي ذؤيب. فهم قبلوا الشكل الأول لأن فيه شبهة بالتشبيه، أما سبب ما استحسنوه من الاستعارات المكنية، فيعود إلى أن علاقة النقل والمغايرة فيها كادت تنسى، بسبب الإلف والعادة وطول الزمن (٣٥)، مما أدى إلى أن تصبح واضحة مألوفة وضوح التشبيه وألفته.

أما رفضهم استعارات المحدثين وعدّها مصنوعة، فيعود إلى أن هذه الاستعارات كثرت كثرة قوية في شعرهم (٣٦)، وإلى أنها أصبحت تصدر عن العقل لا عن الحسّ (٣٧)، وباتت تعتمد على المبالغة والتهويم لا الصدق والواقع، وأنها انفصلت عن الفكرة، فأصبح الشاعر يسعى إليها لذاتها بغية التحسين والتزيين. وهكذا انتقلت الاستعارة من كونها تعبيراً عن تجربة إلى مجرّد زينة وحلية لفظية، ممّا جعل النقاد يدخلونها في باب البديع. ولعلّ النقاد هم السبب في عدّ الاستعارة زينة وحلية، وذلك لفصلهم بين **اللفظ والمعنى**، بين الصورة والمضمون، واهتمامهم بالشكل دون المحتوى.." [2]

"٤ـ ٤– الرباعي، د. عبد القادر الصورة في النقد الأوربي، مجلة المعرفة، دمشق العدد ٢٠٤، شباط، ١٩٧٩.

)))

المحتوى

(١) الخصومة بين الطائيين وعمود الشعر العربي، ص/٧٢

(٢) الخصومة بين الطائيين وعمود الشعر العربي، ص/٩١

)

رقم الايداع في مكتبة الأسد الوطنية:

الخصومة بين الطائيين وعمود الشعر العربي : دراسة / وحيد صبحي كبابة– دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٧– ١١٩ص ؛ ٢٤سم.

١– ٨١١,٥٠٠٩ ك ب ا خ ... ... ٢– العنوان

٣– كبابة

ع: ١٩٩٧/١١/١٩٦٣ ... ... مكتبة الأسد

)

هذا الكتاب
دراسة أدبية نقدية يعرض جذور الخصومة بين التجديد والتقليد في
العصر العباسي بعد ظهور أبي تمام كمجدد للشعر العربي
كما يتناول عمود الشعر العربي من خلال نص قدمه المرزوقي
مثيراً بعض القضايا النقدية مستأنساً بعرض آراء النقاد القدامى
مشيراً إلى الجوانب الايجابية والسلبية في آراء كل فريق
من المتخاصمين وذلك بأسلوب نقدي أدبي ملتزم.

(."[١]

"قالت: أهديت إلى شعر حسان، ما كنت تأتيني بخير.قالت: أهديت إلى شعر حسان، ما كنت تأتيني بخير.

معنى الضافطة، والدرمك

قال القاضي: قول الراوي في هذا الخبر: ضافطة أراد عيراً أو رفقه فيها ميرة، وقوله: الدرمك يريد النقى، ومنه الخبر: " أن الأرض بعد البعث درمكةٌ بيضاء " ، قال: أعشى بني قيس بن ثعلبة:

له درمك في رأسه ومشاربٌ ... وقدرٌ وخبازٌ وصاع وديسق

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: في تربة الجنة: إنها الخبز من الدرمك.

وقال ابن الأنباري: الدرمك خبز الحوارى، وأنشد:

ذهب الذين إذا استجعت فزرتهم ... خبزوا الفؤاد بدرمكٍ وشراب

حذف الياء في مثل يا ابن أخ ويا ابن أم

وفي الخبر: يا ابن أخ، بحذف الياء المضاف إليها وإبقاء الكسرة دلالة عليها ، وهذا وجه معروف في كلام العرب، غير أن معظم النحويين زعموا أن الذي يكثر استعماله في هذا الباب موضعان: يا ابن أم ويا ابن عم، على اختلاف القراءة في فتح الميم وكسرها من قوله يا ابن أم، وعلى ما في هذه الكلمة من لغات العرب، واعتل بعضهم في اختصاص هذين الاسمين لهذا المعنى بابن الرجل يقول: يا ابن أم ويا ابن عم، لمن ليس بأخيه ولا ابن عمه، وهذا عندي لازم في يا أخي ويا ابن أخي لكثرة قولهم: يا أخي ويا ابن أخي للأجنبي، وقد يقولون يا ابن أمي في الإضافة في يا ابن أمي، ويسكنونها تارةً ويحركونها أخرى، قال الشاعر:

يا ابن أمي ويا شقيق نفسي ... أنت خليتني لدهرٍ شديد

وقال آخر:

يا ابن أمي ولو شهدتك إذ ... تدعو تميماً وأنت غير مجاب

---

(١) الخصومة بين الطائيين وعمود الشعر العربي، ص/١٢٢

وقوله: وكان شيخاً قد عسى، يعني أن الكبر قد بلغ منه وأثر فيه، وقد قرىء " وقد بلغت من الكبر عسياً " وعسيا على ما بين القراء من الاختلاف في ضم العين على الأصل وكسرها، قال الشاعر:

لولا الحياء وأن رأسي قد عسا ... فيه المشيب لزرت أم القاسم

ويروى: وقد بدا، ويقال: في هذا الباب العسو والعتو

كتب بني أمية أقصر من كتب بني العباس

حدثنا محمد بن الحسين بن دريد، قال: حدثنا أبو حاتم، قال: سمعت بعض أصحابنا يحدث عن عبد الله بن سوار، قال: كنت غلاماً أكتب بين يدي يحيى بن خالد، فدخل عليه شيخٌ ضخمٌ جميل الهيئة، فأعظمه يحيى وأقعده إلى جانبه وحادثه ثم قال له: ما بالكم كنتم تكتبون الكتب إلى عمالكم في سائر أموركم فلا تطيلون، وإنما الكتاب بقدر الفضل من كتبنا، ونحن نطيل إطالة لا يمكنا غير ذلك، فقال: اعفني، فأبى عليه إلا أن يجيبه، فقال وأنت غير ساخط؟ قال: نعم، قال: إن بني أمية كانت لا تكتب في الباطل أنه حقٌ، ولا في الحق أنه باطل فلا تعقب أمراً قد نفذ بخلافه أمرٌ، فلا يحتاجون إلى الأطالة وطلب المعاذير والتلبيس، وأنتم تكتبون في الشيء الحق أنه باطل والباطل أنه حق، ثم تعقبون ذلك بخلافه فلا بد لكم من الإطالة.

قال عبد الله بن سوار: فسألت عن الشيخ فقيل لي: هذا رجلٌ من كتاب بني أمية القدماء من أهل الشام.

قال القاضي: قول يحيى لهذا الكتاب في سائر أموركم، إن كان أراد فيما يسير وينتشر من أموركم، فهو صواب في اللفظ، وإن كان أراد به العموم والإحاطة على معنى جميع أموركم، فهو خطأ من جهة **اللفظ والمعنى**، إذ السائر في هذا المعنى تأويله الباقي، وإنما يقال: فعلت في باب كذا كيت وكيت وفي سائر الأبواب لمعنى الفاضل والبقية، يقال: أسأرت في الإناء أسأر بالهمز قال الشاعر:

أعط الملوح سؤر الكلب يشربه ... إن الملوح شرابٌ على الكدر

وقال الأعشى:

بانت وقد أسأرت في النفس حاجتها ... بعد ائتلافٍ وخير الود ما نفعا

وقال أيضاً:

فبانت وقد أسأرت في الفؤا ... د صدعاً على نأيها مستطيرا

وقال حميد بن ثور الهلالي:

إلا إن أمي ما يزال مطالها ... شديداً وفيها سؤرةٌ وهي قاعد

يعني بقية من الشباب، وهي من القواعد، وقد روي بيت الأخطل على وجهين:

وشاربٌ مربحٌ بالكأس نادمني ... لا بالحصور ولا فيها بسوار." (١)

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص/٢٢٨

"(ص) ويقولون في جمع خَبيث: أخْباث. والوصاب: خُبَثاء، مثل ظريف وظرفاء.

(ص) ويقولون: أخْلَعَ السلطانُ على فلانٍ وأكْساهُ. والصواب: خلَعَ عليه وكَساه.

(ص) ويقولون: أُخيرَ لك في كذا. والصواب: خِيرَ لك، ويقال أيضاً: وكذلك يقول أحدُهم: أُخِفْتُ، والصواب: خِفْتُ.

(ح) ويقولون لِمَنْ أتى الذنبَ مُتعَمِّداً: أخطأ، فيُحَرِّفون **اللفظَ والمعنى**، لأنه لا يقال أخطأ إلا لِمَنْ لم يتعمد الفعلَ، أو لِمَن اجتهد فلم يُوافِق الصوابَ، وإياه عَنى النّبيّ صلى الله عليه وسلم بقوله: (إذا اجتهدَ الحاكمُ وأخطأ فلَه أجْر). وإنما أوجبَ له الأجرَ عن اجتهاده في إصابة الحقّ الذي هو نوع من أنواع العبادة، فأما المُتَعَمِّدُ الشيء فيقال له: خَطِئَ فهو خاطِئٌ والمصدر الخِطْء بكسر الخاء وإسكان الطاء، كما قال تعالى: (إنّ قَتْلَهُم كان خِطْأً كَبيراً)، وقال الحريريّ رحمه الله تعالى:

لا تخطُوَنّ الى خِطْءٍ ولا خَطأٍ ... مِن بعدِ ما الشّيبُ في فَوْدَيْكَ قد وَخَطا

وأيُّ عُذْرٍ لِمَنْ شابتْ مَفارِقُهُ ... إذا جرى في مَيادينِ الهَوى وَخَطا

(وح) ويقولون عند الحُرْقَة ولَذْعِ الحَرَارة المُمِضّة: أخّ، بالخاء المعجمة من فوق، والعرب تنطق بهذه اللفظة بالحاء المهملة، وعليه قول عبد الشارق:

فَباتُوا بالصّعيدِ لهُم أُحاحٌ ... ولو خفتْ لنا الظّلْما سَرَيْنا

وحكي أن الحجاج لما نازله شبيبٌ الخارجيّ أبرزَ إليه غُلاماً وألبسه سلاحَه المعروفَ به وأركبه فرسه الذي لم يقاتل إلا عليه، فلما رآه شبيبٌ غمس نفسه في الحرب الى أن خلَصَ إليه، فلما قاربه ضربه بعمود كان في يده وهو يظن أنه الحجاج فلما أحسّ الغلامُ حرارةَ الضربة قال: أخّ، بالخاء المعجمة، فعلم شبيب بهذه اللفظة أنه عبْد، فانثنى عنه وقال: قبحك الله يا بن أمّ الحجاج، أتتقي الموت بالعبيد؟! (ص ح) ويقولون: كلّمتُ فلاناً فاختلَطَ، أي اختلّ رأيُه وثار غضبه، فيحرفون فيه، لأن وجه الكلام فاحتلَطَ، بالحاء المغفلة لاشتقاقه من الاحتلاط وهو الغضب، ومنه المثل: أوّلُ العِيّ الاحتلاط، وأسوأ القول الإفراط.

(ز) ويقولون: نَحْوٌ أخْفَشُ وشِعرٌ أخْطَلُ. والصواب نَحْوُ الأخفشِ وشِعْرُ الأخطل، لا يجوز حذف الألف واللام.

(ص) ويقولون: فلان اختفى، بمعنى استتر، وليس كذلك، إنما اختفى بمعنى ظهَرَ، فأما المُسْتَتِر فهو المُسْتَخْفِي، يقال: استخفى إذا استتر، واختفى إذا ظهر، ومنه قيل للنّبّاش مُخْتَفٍ.

قلت: خفيت الشيء أخفيه: كتمته، وخفيته: أظهرته، وهو من الأضداد، كذا قال الأصمعي وأبو عبيدة، ويقال: خَفا المطرُ الفأرَ، إذا أخرجهن من أنفاقهنَ، وبَرِحَ الخَفاءُ، أي وضح الأمر، وخَفا البرقُ يَخْفو خَفْواً ويَخْفي خَفْياً: إذا لمع ضعيفاً في نواحي الغَيْم.

(ز) ويقولون: أُخيفَ. والصواب: خِيْفَ، بإسقاط الألف.

(و) والعامة تقول: اختفيتُ منه. والصواب: استخفيتُ، وإنما الاختفاء الاستخراج، ومنه قيل للنباش مخْتَفٍ.

الهمزة والدال المهملة

(ص) ويقولون: أدانَ اللهُ لَنا على العَدوّ. والصواب: أدالَ باللام.

قلت: يريد أنهم يقولونه بالنون بدل اللام.

(و) ويقولون: أَدْلَجَ الرجل، خفيفة، إذا سار أولَ الليل، وادّلجَ بتشديد الدال، إذا سار من آخرِه، والعامة لا تفرق بين ذلك.

(ز) ويقولون: جاءَ على إدْراجِه. والصواب: على أَدْراجِه، واحدها دَرَجٌ، وهو المشي، وأنشد سيبويه:

أَنَصْبٌ للمنيةِ يعْتَرِيهمْ ... أناسٌ أم هُمُ درَجُ السّيولِ

قلت: يريد أنهم يكسرون الهمزة من أدراجه، والصواب فتحها، وعلى أدراجه، أي على بَدْئِه.

(خ) ويقولون: أُدْخِل باللصّ السجن. والصواب أن يقولوا: أُدخِلَ اللصُّ السجنَ، لأن الفعل يُعدّى تارة بهمزة النقل كقولك: خرج وأخرجته، وتارة بالباء كقولك: خرج وخرجت به، فأما الجمع بينهما فممتنع. وقد اختلف النحاة هل بين حَرْفَيَ التعدية فرق أو لا؟ فقال الأكثرون: هما بمعنى حملته على الخروج، وإن قلت: خرجت به، فمعناه أنك استصحبته، والقول الأول أصح، بدلالة قوله تعالى: (ذهبَ اللهُ بنُورِهم).

(ز) ويقولون: أُديرَ به. والصواب: دِيرَ بِهِ، بإسقاط الألف.." (١)

" وأما النوع الرابع وهو الاطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والمنثور فإن في ذلك فوائد جمة لأنه يعلم منه أغراض الناس ونتائج أفكارهم ويعرف به مقاصد كل فريق منهم وإلى أين ترامت به صنعته في ذلك فإن هذه الأشياء مما تشحذ القريحة وتذكي الفطنة وإذا كان صاحب هذه الصناعة عارفا بها تصير المعاني التي ذكرت وتعب في استخراجها كالشيء الملقى بين يديه يأخذ منه ما أراد ويترك ما أراد وأيضا فإنه إذا كان مطلعا على المعاني المسبوق إليها قد ينقدح له من بينها معنى غريب لم يسبق إليه ومن المعلوم أن خواطر الناس وإن كانت متفاوتة في الجودة والرداءة فإن بعضها لا يكون عاليا على بعض أو منحطا عنه إلا بشيء يسير وكثيرا ما تتساوى القرائح والأفكار في الإتيان بالمعاني حتى إن بعض الناس قد يأتي بمعنى موضوع بلفظ ثم يأتي الآخر بعده بذلك **المعنى واللفظ** بعينهما من غير علم منه بما جاء به الأول وهذا الذي يسميه أرباب هذه الصناعة وقوع الحافر على الحافر وسيأتي لذلك باب مفرد في آخر كتابنا هذا إن شاء الله تعالى

وأما النوع الخامس وهو معرفة الأحكام السلطانية من الإمامة والإمارة والقضاء والحسبة وغير ذلك فإنما أوجبنا معرفتها والإحاطة بها لما يحتاج إليه الكاتب في تقليدات الملوك والأمراء والقضاة والمحتسبين ومن يجري مجراهم وأيضا فإنه قد يحدث في الإمامة حادث في بعض الأوقات بأن يموت الإمام القائم بأمر المسلمين ثم يتولى من بعده من لم تكمل فيه شرائط الإمامة أو يكون كامل الشرائط غير أن الإمام الذي كان قبله عهد بها إلى آخر غيره وهو ناقص الشرائط أو يكون قد تنازع الإمامة اثنان أو يكون أرباب الحل والعقد قد اختاروا إماما وهم غير كاملي الشرائط التي تجب أن توجد فيهم أو يكون أمر غير ما ذكرناه فتختلف الأطراف في ذلك وينتصب ملك من الملوك له عناية بالإمام الذي قد قام للمسلمين فيأمر كاتبه أن يكتب كتابا في أمره إلى الأطراف المخالفة له وإذا لم يكن الكاتب عند ذلك عارفا بالحكم في هذه الحوادث واختلاف

---

(١) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، ص/٢١

أقوال العلماء فيها وما هو رخصة في ذلك وما ليس برخصة لا يكتب كتابا ينتفع به ولسنا نعني بهذا القول أن يكون الكتاب مقصورا على فقه محض فقط لأنا لو أردنا ذلك لما ." (١)

" أنه ذم وقدح فيه ولم يلتفت إليه وإن كان عربيا محضا من الجاهلية الأقدمين فإن حقيقة الشيء إذا علمت وجب الوقوف عندها ولم يعرج على ما خرج عنها

وإذن ثبت أن الفصيح من الألفاظ هو الظاهر البين وإنما كان ظاهرا بينا لأنه مألوف الاستعمال وإنما كان مألوف الاستعمال لمكان حسنه وحسنه مدرك بالسمع والذي يدرك بالسمع إنما هو اللفظ لأنه صوت يأتلف عن مخارج الحروف فما استلذه السمع منه فهو الحسن وما كرهه فهو القبيح والحسن هو الموصوف بالفصاحة والقبيح غير موصوف بفصاحة لأنه ضدها لمكان قبحه وقد مثلت ذلك في المثال المتقدم بلفظة المزنة والديمة ولفظة البعاق ولو كانت الفصاحة لأمر يرجع إلى المعنى لكانت هذه الألفاظ في الدلالة عليه سواء ليس منها حسن ومنها قبيح ولما لم يكن كذلك علمنا أنها تخص اللفظ دون المعنى

وليس لقائل ههنا أن يقول لا لفظ إلا بمعنى فكيف فصلت أنت بين **اللفظ والمعنى** فإن لم أفصل بينهما وإنما خصصت اللفظ بصفة هي له والمعنى يجيء فيه ضمنا وتبعا

الوجه الثاني أن وزن فعيل هو اسم فاعل من فعل بفتح الفاء وضم العين نحو كرم فهو كريم وشرف فهو شريف ولطف فهو لطيف وهذا مطرد في بابه وعلى هذا فإن اللفظ الفصيح هو اسم فاعل من فصح فهو فصيح واللفظ هو الفاعل للإبانة عن المعنى فكانت الفصاحة مختصة به

فإن قيل إنك قلت إن الفصيح من الألفاظ هو الظاهر البين أي المفهوم ونرى من آيات القرآن ما لا يفهم ما تضمنه من المعنى إلا باستنباط وتفسير وتلك الآيات فصيحة لا محالة وهذا بخلاف ما ذكرته

قلت لأن الآيات التي تستنبط وتحتاج إلى تفسير ليس شيء منها إلا ومفردات ألفاظه كلها ظاهرة واضحة وإنما التفسير يقع في غموض المعنى من جهة التركيب لا من جهة ألفاظه المفردة لأن معنى المفردة يتداخل بالتركيب ويصير له هيئة تخصه وهذا ليس قدحا في فصاحة تلك الألفاظ لأنها إذا اعتبرت لفظة لفظة وجدت كلها فصيحة أي ظاهرة واضحة ". (٢)

" إلا في **اللفظ والمعنى** بشرط التركيب فإن اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة ويطلق عليها اسم الفصاحة إذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحسن

وأما وصف البلاغة فلا يوجد فيها لخلوها من المعنى المفيد الذي ينتظم كلاما

مسألة تتعلق بهذا الفصل

هل أخذ علم البيان من ضروب الفصاحة والبلاغة بالاستقراء من أشعار العرب أم بالنظر وقضية العقل

---

(١) المثل السائر، ١/٤٦

(٢) المثل السائر، ١/٨٢

الجواب عن ذلك أنا نقول لم يؤخذ علم البيان بالاستقراء فإن العرب الذين ألفوا الشعر والخطب لا يخلو أمرهم من حالين إما أنهم ابتدعوا ما أتوا به من ضروب الفصاحة والبلاغة بالنظر وقضية العقل أو أخذوه بالاستقراء ممن كان قبلهم

فإن كانوا ابتدعوه عند وقوفهم على أسرار اللغة ومعرفة جيدها من رديئها وحسنها من قبيحها فذلك هو الذي أذهب إليه

وإن كانوا أخذوه بالاستقراء ممن كان قبلهم فهذا يتسلسل إلى أول من ابتدعه ولم يستقره فإن كل لغة من اللغات لا تخلو من وصفي الفصاحة والبلاغة المختصين بالألفاظ والمعاني إلا أن للغة العربية مزية على غيرها لما فيها من التوسعات التي لا توجد في لغة أخرى سواها

مسألة أخرى تتعلق بهذا الفصل أيضا

هل علم البيان من الفصاحة والبلاغة جار مجرى علم النحو أم لا

الجواب عن ذلك أنا نقول الفرق بينهما ظاهر وذاك أن أقسام النحو أخذت من واضعها بالتقليد حتى لو عكس القضية فيها لجاز له ذلك ولما كان العقل يأباه ولا ينكره فإنه لو جعل الفاعل منصوبا والمفعول مرفوعا قلد في ذلك كما قلد في رفع الفاعل ونصب المفعول وأما علم البيان من الفصاحة والبلاغة فليس كذلك لأنه استنبط بالنظر وقضية العقل من غير واضع اللغة ولم يفتقر فيه إلى التوقيف ." (١)

" المعنى وهذا البيت المشار إليه هو اتفاق **اللفظ والمعنى** معا وهذا مما ينبغي أن ينبه عليه ليعرف

ومن علماء البيان من جعل له اسما سماه به وهو الترديد أي أن اللفظة الواحدة رددت فيه

وحيث نبهت عليه ههنا فلا أحتاج أن أعقد له بابا أفرده بالذكر فيه

وأما الأقسام الستة المشبهة بالتجنيس فالقسم الأول منها أن تكون الحروف متساوية في تركيبها مختلفة في وزنها فمما جاء من ذلك قول النبي (اللهم كما حسنت خلقي حسن خلقي) ألا ترى أن هاتين اللفظتين متساويتين في التركيب مختلفتان في الوزن لأن تركيب الخلق والخلق من ثلاثة أحرف وهي الخاء واللام والقاف إلا أنهما قد اختلفا في الوزن إذ وزن الخلق فعل بفتح الفاء ووزن الخلق فعل بضم الفاء

ومن هذا القسم قول بعضهم لا تنال غرز المعالي إلا بركوب الغرر واهتبال الغرر

وقال البحتري

(وفر الحائن المغرور يرجو ... أمانا أي ساعة ما أمان)

(يهاب الإلتفات وقد تهيا ... للحظة طرفه طرف السنان)

وكذلك ورد قول الآخر

(قد ذبت بين حشاشة وذماء ... ما بين حر هوى وحر هواء) ." (٢)

---

(١) المثل السائر، ٨٥/١

(٢) المثل السائر، ٢٤٨/١

" ٦٠ – أن تكون كلم من الجرح أي جرح ولها ثلاثي وهو كلم مخففا أي جرح فإذا وردت مخففة دلت على الجراحة مرة واحدة وإذا وردت مثقلة دلت على التكثير

وكذلك ورد قوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) فإن لفظة (رتل) على وزن لفظة قتل ومع هذا ليست دالة على كثرة القراءة وإنما المراد بها أن تكون القراءة على هيئة التأني والتدبر وسبب ذلك أن هذه اللفظة لا ثلاثي لها حتى تنقل عنه إلى رباعي وإنما هي رباعية موضوعة لهذه الهيئة المخصوصة من القراءة وعلى هذا فلا يستقيم معنى الكثرة والقوة في اللفظ والمعنى إلا بالنقل من وزن إلى وزن أعلى منه فاعرف ذلك

ومن ههنا شذ الصواب عمن شذ عنه في عالم وعليم فإن جمهور علماء العربية يذهبون إلى أن عليما أبلغ في معنى العلم من عالم وقد تأملت ذلك وأنعمت نظري فيه فحصل عندي شك في الذي ذهبوا إليه والذي أوجب ذلك الشك هو أن عالما وعليما على عدة واحدة إذ كل منهما أربعة أحرف وليس بينهما زيادة ينقل فيها الأدنى إلى الأعلى والذي يوجبه النظر أن يكون الأمر على عكس ما ذكروه وذاك أن يكون عالم أبلغ من عليم وسببه أن عالما اسم فاعل من علم وهو متعد وأن عليما اسم فاعل من علم إلا أنه أشبه وزن الفعل القاصر نحو شرف فهو شريف وكرم فهو كريم وعظم فهو عظيم فهذا الوزن لا يكون إلا في الفعل القاصر فلما أشبهه عليم انحط عن رتبة عالم الذي هو متعد ألا ترى أن فعل – بفتح الفاء وكسر العين – يكون متعديا نحو علم وحمد ويكون قاصرا غير متعد نحو عضب وشبع وأما فعل – بفتح الفاء وضم العين – فإنه لا يكون إلا قاصرا غير متعد ولما كان فعل – بفتح الفاء وكسر العين – مترددا بين المتعدي والقاصر وكان فعل – بفتح الفاء وضم العين – قاصرا غير متعد صار القاصر أضعف مما يدور بين المتعدي والقاصر وحيث كان الأمر كذلك وأشبه وزن المتعدي وزن القاصر حط ذلك من درجته وجعله في الرتبة دون المتعدي الذي ليس بقاصر هذا هو الذي أوجب لي التشكيك فيما ذهب إليه غيري من علماء العربية ولربما كان ما ذهبوا إليه لأمر خفي عني ولم أطلع عليه ." (١)

" النوع السابع عشر

في التكرير

قد تقدم الكلام في صدر كتابي هذا على تكرار الحروف وما أشبه ذلك مما يختلط بهذا النوع الذي هو تكرار المعاني والألفاظ

واعلم أن هذا النوع من مقاتل علم البيان وهو دقيق المأخذ

وحده هو دلالة اللفظ على المعنى مرددا وربما اشتبه على أكثر الناس بالإطناب مرة وبالتطويل أخرى وقد تقدم الكلام على الفرق بين هذه الأنواع الثلاثة في باب الإطناب فلا حاجة إلى إعادته ههنا وأما التكرير فقد عرفته

وهو ينقسم قسمين أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ

فأما الذي يوجد في اللفظ والمعنى فكقولك لمن تستدعيه أسرع أسرع ومنه قول أبي الطيب المتنبي

(ولم أر مثل جيراني ومثلي ... لمثلي عند مثلهم مقام)

---

(١) المثل السائر، ٦٠/٢

وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ فكقولك أطعني ولا تعصني فإن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية

وكل من هذين القسمين ينقسم إلى مفيد وغير مفيد ولا أعني بالمفيد ههنا ما يعنيه النحاة فإنه عندهم عبارة عن اللفظ المركبإما من الاسم مع الاسم بشرط أن يكون للأول بالثاني علاقة معنى يسع مكلفا جهله وإما من الاسم مع ." [١]

" الفعل التام المتصرف على هذا الشرط أيضا وإما من حرف النداء مع الاسم فهذا هو المفيد عند النحاة وأنا لم اقصد ذلك ههنا بل مقصودي من المفيد أن يأتي لمعنى وغير المفيد أن يأتي لغير معنى

واعلم أن المفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيدا له وتشيدا من أمره وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك إما مبالغة في مدحه أو ذمه أو غير ذلك ولا يأتي إلا في أحد طرفي الشيء المقصود بالذكر والوسط عار منه ولأن أحد الطرفين هو المقصود بالمبالغة إما بمدح أو ذم أو غيرهما والوسط ليس من شرط المبالغة وغير المفيد لا يأتي في الكلام إلا عيا وخطلا من غير حاجة إليه

فأما الأول – وهو الذي يوجد في **اللفظ والمعنى** – فإنه ينقسم إلى ضربين مفيد وغير مفيد

فالأول المفيد وهو فرعان الأول إذا كان التكرير في **اللفظ والمعنى** يدل على معنى واحد والمقصود به غرضان مختلفان كقوله تعالى (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) هذا تكرير في **اللفظ والمعنى** وهو قوله (يحق الحق) و (وليحق الحق) إنما جيء به ههنا لاختلاف المراد وذاك أن الأول تمييز بين الإرادتين والثاني بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكه على غيرها وأنه ما نصرهم وخذل أولئك إلا لهذا الغرض

ومن هذا الباب قوله تعالى (قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه) فكرر قوله تعالى (قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) وقوله (قل الله أعبد مخلصا له ديني) والمراد به غرضان مختلفان و ذلك أن الأول إخبار بأنه مأمور من جهة الله بالعبادة ." [٢]

" على وجه التوكيد والتخصيص المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأبلغه

وهذا باب من تكرير **اللفظ والمعنى** حسن غامض وبه تعريف موقع التكرير والفرق بينه وبين غيره فافهمه إن شاء الله تعالى

الفرع الثاني من الضرب الأول إذا كان التكرير في **اللفظ والمعنى** يدل على معنى واحد والمراد به غرض واحد كقوله تعالى (فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر) والتكرير دلالة على التعجب من تقديره وإصابته الغرض وهذا كما يقال قتله الله ما أشجعه أو ما أشعره وعليه ورد قوله الشاعر

---

(١) المثل السائر، ٢/١٤٦

(٢) المثل السائر، ٢/١٤٧

(ألا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي ...) وهذا مبالغة في الدعاء لها بالسلامة وكل هذا يجاء به لتقرير المعنى المراد وإثباته

وعليه ورد الحديث النبوي وذاك أن النبي قال (إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم عليا فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يطلق علي أبنتي وينكح ابنتهم) فقوله (لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن) من التكرير الذي هو أشد موقعا من الإيجاز لانصباب العناية إلى تأكيد القول في منع علي رضي الله عنه من التزوج بابنة أبي جهل بن هشام

وهذا مثل قوله تعالى (أولى لك فأولى ثم أولى لك فاولى) ومن أجل ذلك نقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له لأن قولنا (لا إله إلا الله) مثل قولنا (وحده لا شريك له) وهما في المعنى سواءوإنما كررنا القول فيه لتقرير المعنى وإثباته وذاك لأن من الناس من يخالف فيه كالنصارى والثنوية والتكرير في مثل هذا المقام أبلغ من الإيجاز وأحسن وأسد موقعا

ومما جاء في مثل هذا قوله تعالى (والله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا ." [1]

" (إني رأيت) ثم طال الفصل كان الأحسن أن يعيد لفظ الرؤية فيقول (رأيتهم لي ساجدين)

وكذلك جاءت الآية المذكورة ههنا قبل هذه وهي قوله تعالى (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا) فإنه لما طال الفصل أعاد قوله (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) فاعلم ذلك وضع يدك عليه

وكذلك الآية التي قبلها وهي قوله تعالى (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة)

وكذلك الآية الأخرى وهي (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا)

ومن باب التكرير في **اللفظ والمعنى** الدال على معنى واحد قوله عز و جل (وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار) فإنه إنما كرر نداء قومه ههنا لزيادة التنبيه لهم والإيقاظ عن سنة الغفلة ولأنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم من الضلال وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبه فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك ألا يتهموه فإن سرورهم سروره وغمهم غمه وأن ينزلوا على نصيحته لهم وهذا من التكرير الذي هو أبلغ من الإيجاز وأسد موقعا من الإختصارفاعرفه إن شاء الله تعالى

وعلى نحو منه جاء قوله تعالى في سورة القمر (فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) فإنه قد تكرر ذلك في السورة كثيرا وفائدته أن يجددوا عنه استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادكارا وإيقاظا وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث إليه وأن تقرع لهم العصا مرات لئلا يغلبهم السهو وتستولي عليهم الغفلة

وهكذا حكم التكرير في قوله تعالى في سورة الرحمن (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وذلك عند كل نعمة عددها على عباده ." [2]

" (وكذا كل أخي حذلقة ... ما مشى في يابس إلا زلق)

---

(١) المثل السائر، ٢/١٥٠

(٢) المثل السائر، ٢/١٥٦

فترى أحدهم قد جمع نفسه وظن على جهله أنه عالم فيسرع في وصف كلام بالإيجاز وكلام بالتطويل أو بالتكرير وإذا طولب بأن يبدي سببا لما ذكره لم يوجد عنده من القول شيء إلا تحكما محضا صادرا عن جهل محض

الضرب الثاني من التكرير في **اللفظ والمعنى** وهو غير المفيدفمن ذلك قول مروان الأصغر

(سقى الله نجدا والسلام على نجد ... ويا حبذا نجد على النأي والبعد)

(نظرت إلى نجد وبغداد دونها ... لعلي أرى نجدا وهيهات من نجد)

وهذا من العي الضعيف فإنه كرر ذكر نجد في البيت الأول ثلاثا وفي البيت الثاني ثلاثا ومراده في الأول الثناء على نجد وفي الثاني أنه تلفت إليها ناظرا من بغداد وذلك مرمى بعيد وهذا المعنى لا يحتاج إلى مثل هذا التكرير أما البيت الأول فيحمل على الجائز من التكرير لأنه مقام تشوق وتحرق وموجدة بفراق نجد ولما كان كذلك أجيز فيه التكرير على انه قد كان يمكنه أن يصوغ هذا المعنى الوارد في البيتين معا من غير أن يأتي بهذا التكرير المتتابع ست مرات

وعلى هذا الأسلوب ورد قول أبي نواس

(أقمنا بها يوما ويوما وثالثا ... ويوما له يوم الترحل خامس)

ومراده من ذلك أنهم أقاموا بها أربعة أيام ويا عجبا له يأتي بمثل هذا البيت السخيف الدال على العي الفاحش في ضمن تلك الأبيات العجيبة الحسن التي تقدم ذكرها في باب الإيجاز وهي

(ودار ندامى عطلوها وأدلجوا ...) ." (١)

" (وإن الذي بيني وبين بني أبي ... بين بني عمي لمختلف جدا)

(إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا)

(وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم ... وإن هم هووا غي هويت لهم رشدا)

فهذا من الخاص والعام فإن كل لحم يؤكل للإنسان فهو تضييع لغيبه وليس كل تضييع لغيبه أكلا للحمه ألا ترى أن أكل اللحم هو كناية عن الاغتياب وأما تضييع الغيب فمنه الاغتياب ومنه التخلي عن النصرة والإعانة ومنه إهمال السعي في كل ما يعود بالنفع كائنا ما كان وعلى هذا فإن هذين البيتين من الخاص والعام المشار إليه في الآية المقدم ذكرها وهو موضع يرد في الكلام البليغ ويظن أنه لا فائدة فيه

الفرع الثاني إذا كان التكرير في المعنى يدل على معنى واحد لا غير وقد سبق مثال ذلك في أول هذا الباب كقولك أطعني ولا تعصني فإن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية والفائدة في ذلك تثبيت الطاعة في نفس المخاطب

والكلام في هذا الموضع كالكلام في الموضع الذي قبله من تكرير **اللفظ والمعنى** إذا كان الغرض به شيئا واحدا ولا نجد شيئا من ذلك يأتي في الكلام إلا لتأكيد الغرض المقصود به كقوله تعالى (يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفو وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم) فإنه إنما كرر العفو والصفح والمغفرة والجميع بمعنى

---

(١) المثل السائر، ١٥٩/٢

واحد للزيادة في تحسين عفو الوالد عن ولده والزوج عن زوجته وهذا وأمثاله ينظر في الغرض المقصود به وهو موضع يكون التكرير فيه أوجز من لمحة الإيجاز وأولى بالاستعمال

وقد ورد في القرآن الكريم كثيرا كقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام (قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون) فإن البث والحزن بمعنى واحد وإنما ههنا لشدة الخطب النازل به وتكاثر سهامه النافذة في قلبه وهذا المعنى كالذي قبله

وكذلك ورد قوله تعالى (تلك عشرة كاملة) بعد ثلاثة وسبعة تنوب مناب قوله ثلاثة وسبعة مرتين لأن عشرة هي ثلاثة وسبعة ثم قال " كاملة " وذلك توكيد ." (١)

" (نزلت على آل المهلب شاتيا ... بعيدا عن الأوطان في زمن المحل)

(فما زال بي إكرامهم وافتقادهم ... وإحسانهم حتى حسبتهم أهلي) فإن الإكرام والافتقاد داخلان تحت الإحسان وإنما كرر ذلك للتنويه بذكر الصنيع والإيجاب لحقه

وعلى هذا ورد قول الأعشى في قصيدته المشهورة التي يمدح بها النبيفقال منها

(فآليت لا أرثي لها من كلالة ... ولا من وجى حتى تلاقي محمدا)

فإن الوجى والكلالة معناهما سواء وإنما حسن تكريره ههنا للإشعار ببعد المسافة

الضرب الثاني من القسم الثاني في تكرير المعنى دون اللفظ وهو غير المفيد فمن ذلك قول أبي تمام

(قسم الزمان ربوعها بين الصبا ... وقبولها ودبورها أثلاثا)

فإن الصبا هي القبول وليس ذلك مثل التكرير في قوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) فيما يرجع إلى اللفظ والمعنى ولا مثل التكرير في قوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف) فيما يرجع إلى تكرير المعنى دون اللفظ وقول أبي تمام الصبا والقبول لا يشتمل إلا على معنى واحد لا غير

وهذا الضرب من التكرير قد خبط فيه علماء البيان خبطا كثيرا والأكثر منهم ." (٢)

" وأما غيره من أرباب هذه الصناعة فإنهم سموا هذا الضرب من الكلام مطابقا لغير اشتقاق ولا مناسبة بينه وبين مسماه هذا الظاهر لنا من هذا القول إلا أن يكونوا قد علموا لذلك مناسبة لطيفة لم نعلمها نحن

ولنرجع إلى ذكر هذا القسم من التأليف وإيضاح حقيقتهفنقول

الأليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلةلأنه لا يخلو الحال فيه من وجهين إما أن يقابل الشيء بضده أو يقابل بما ليس بضده وليس لنا وجه ثالث

فأما الأول – وهو مقابلة الشيء بضده كالسواد والبياض وما جرى مجراهما – فإنه ينقسم قسمين أحدهما مقابلة في اللفظ والمعنى والآخر مقابلة في المعنى دون اللفظ

---

(١) المثل السائر، ١٦٢/٢

(٢) المثل السائر، ١٦٦/٢

أما المقابلة في اللفظ والمعنى فكقوله تعالى (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) فقابل بين الضحك والبكاء والقليل والكثير وكذلك قوله تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) من أحسن ما يجيء في هذا الباب وقال رسول الله " خير المال عين ساهرة لعين نائمة "

ومن الحسن المطبوع الذي ليس بمتكلف قول علي رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه إن الحق ثقيل مرىء والباطل خفيف وبيء وأنت رجل إن صدقت سخطت وإن كذبت رضيتفقابل الحق بالباطل والثقيل المريء بالخفيف الوبيء والصدق بالكذب والسخط بالرضا وهذه خمس مقابلات في هذه الكلمات القصار

وكذلك ورد قوله رضي الله عنه لما قال الخوارج لا حكم إلا لله تعالى هذه كلمة حق أريد بها باطل

وقال الحجاج بن يوسف لسعيد بن جبير رضي الله عنه وقد أحضره بين يديه ليقتله فقال له ما اسمك ؟ قال سعيد بن جبير قال بل أنت شقي بن كسير ." (١)

" (تشكو المحب وتلفى الدهر شاكية ... كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان)

فإن علماء البيان يزعمون أن هذا المعنى مبتدع لابن الرومي وليس كذلك ولكنه مأخوذ من المثل المضروب وهو قولهم يلدغ ويصي ويضرب ذلك لمن يبتديء بالأذى ثم يشكو وإنما إبن الرومي قد ابتدع معاني أخر غير ما ذكرته وليس الغرض أن يؤتي على جميع ما جاء به هو ولا غيره من المعاني المبتدعة بل الغرض أن يبين المعنى المبتدع من غيره

والذي عندي في السرقات انه متى أورد الآخر شيئا من ألفاظ الأول في معنى من المعاني ولو لفظه واحدة فإن ذلك من أدل الدليل على سرقته

واعلم ان علماء البيان قد تكلموا في السرقات الشعرية فأكثروا وكنت ألفت فيه كتابا وقسمته ثلاثة أقسام نسخا وسلخا ومسخا

أما النسخ فهو أخذ اللفظ والمعنى برمته من غير زيادة عليه مأخوذا ذلك من نسخ الكتاب

أما السلخ فهو أخذ بعض المعنى مأخوذا ذلك من سلخ الجلد الذي هو بعض الجسم المسلوخ

وأما المسخ فهو إحالة المعنى إلى ما دونه مأخوذا ذلك من مسخ الآدميين قردة

وههنا قسمان آخرن أخللت بذكرهما في الكتاب الذي ألفتهفأحدهما أخذ المعنى مع الزيادة عليه والآخر عكس المعنى إلى ضده وهذان القسمان ليسا بنسخ ولا سلخ ولا مسخ ." (٢)

" وجودها ولو لم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرها فإنها هي التي ألبسته لباس الملام وجعلت عرضه شارة لسهام الأقوام

ولسائل ههنا أن يسأل ويقول لم عدلت إلى شعر هؤلاء الثلاثة دون غيرهم ؟

فأقول إني لم أعدل إليهم اتفاقا وإنما عدلت إليهم نظرا واجتهادا وذلك أني وقفت على أشعار الشعراء قديمها وحديثها حتى لم أترك ديوانا لشاعر مفلق يثبت شعره على المحل إلا وعرضته على نظري فلم أجد أجمع من ديوان أبي تمام

---

(١) المثل السائر، ٢/٢٦٥

(٢) المثل السائر، ٢/٣٤٥

وأبي الطيب للمعاني الدقيقة ولا أكثر استخراجا منهما للطيف الأغراض والمقاصد ولم أجد أحسن تهذيبا للألفاظ من أبي عبادة ولا أنقش ديباجة ولا أبهج سبكا فاخترت حينئذ دواوينهم لاشتمالها على محاسن الطرفين من المعاني والألفاظ ولما حفظتها ألغيت ما سواها مع ما بقي على خاطري من غيرها

وقد أوردت في هذا الموضع من السرقات الشعرية مالم يورده غيري ونبهت على غوامض منها

وكنت قدمت القول أني قسمتها إلى خمسة أقسامنها الثلاثة الأول وهي النسخ والسلخ والمسخ ومنها القسمان الآخران وها أنا أبين ما تنقسم إليه هذه الأقسام من تشعبها وتفريعهافأقول فأما النسخ فإنه لا يكون إلا في أخذ **المعنى واللفظ** جميعا أو في أخذ المعنى وأكثر اللفظلأنه مأخوذ من نسخ الكتاب وعلى ذلك فإنه ضربان الأول يسمى وقوع الحافر على الحافركقول امرىء القيس

(وقوفا بها صحبي علي مطيهم ... يقولون لاتهلك أسى وتحمل)

وكقول طرفة ." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٤٢ """""""

ابن الرومي من أبيات

رأيت الدهر يرفع كل وغد . . . ويخفض كل ذي زنة شريفه

كمثل البحر يغرق فيه در . . . ولا ينفك يطفو فيه جيفه

وكالميزان يخفض كل واو . . . ويرفع كل ذي زنة خفيفه

قال بعض الأماجد : ما رددت أحدا عن حاجة الا تبينت العزة في قفاها والذل في وجهي .

وقف أعرابي على قوم يسألهم ، فقالوا : من أنت ؟ فقال : إن سوء الإكتساب يمنعني من الإنتساب .

قال بعضهم : كان الناس يفعلون ، ولا يقولون ، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون واليوم لا يقولون ولا يفعلون .

من كلام الحكماء : من لم يستوحش من ذل السؤال ، لم يأنف من لوم الرد .

من الكشاف في تفسير سورة التطفيف ، الضمير في كالوهم أو وزنوهم ، ضمير منصوب راجع إلى الناس ، وفيه وجهان : أن يراد كالوا لهم أو وزنوا لهم ، فحذف الجار واوصل الفعل كما قال :

ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا . . . ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

والحريص يصيدك لا الجواد ، بمعنى جنيت لك ويصيد لك ، وأن تكون على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، والمضاف هو المكيل والموزون ولا يصح أن يكون ضميرا مرفوعا للمطففين ، لأن الكلام يخرج به إلى نظم فاسد ، وذلك أن المعنى اذا أخذوا من الناس ، استوفوا ، وإذا أعطوهم أخسروا ، وإن جعلت الضمير للمطففين ، انقلب إلى قولك اذا أخذوا من الناس استوفوا ، واذا تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص أخسروا ، وهو كلام متنافر ، لأن الحديث واقع في الفعل ، لا في المباشر ، والتعلق في إبطاله بخط المصحف ، وإن الألف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك ، لأن خط

---

(١) المثل السائر، ٢/٣٥٠

المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على أني رأيت في الكتب المخطوطة بأيدي الأئمة المتقنين ، هذا الألف مرفوضة لكونها غير ثابتة في **اللفظ والمعنى** جميعا ؛ لأن الواو وحدها معطية معنى الجمع وإنما كتب هذه الألف تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك : هم لم يدعوا ، وهو يدعو فمن لم يثبتها قال : إن المعنى كاف في التفرقة بينهما .

وعن عيسى بن عمرو وحمزة ، أنهما كانا يرتكبان ذلك ، أي يجعلان الضميرين للمطففين : ويقفان عند الواوين وقيفة يبنيان بها ما أرادا .." (١)

"فَقُلِ لأبي العَبَّاسِ إن كُنْتُ مُذْنِباًفَأَنْتَ أحَقُّ النَّاسِ بالأَخْذِ بِالفَضْلِ

وَلاَ تَجْحَدُونِي وُدَّ عِشْرِينَ حِجَّةًوَمَا تُفْسِدُوا مَا كانَ مِنْكُم مِنَ الفَضْلِ

والأول كنية والثاني من العفو والثالث من الإعطاء والتفضل.

فإن جاء في بيت رجل وفي بيت آخر الرجل بالألف واللام، لم يكن ذلك عندهم إيطاء. وكذلك إذا قلت: يضرب، وأنت تضرب، وأنا أضرب، لم يكن ذلك إيطاء، لاختلاف المعاني. وقال بعضهم: هو الإيطاء.

وكذلك إذا قلت: ذهب من الذهاب، ثم قلت: ذهب تريد المصوغ، لم يكن إيطاء، فإن قلت زوج تريد المرأة، ثم قلت: زوج تريد الرجل، فذلك إيطاء، لأنه يقال لهما: زوجان.

قال تعالى: " ....من كل زوجين اثنين " .

فإن أردت بالزوج النمط، لم يكن ذلك إيطاء.

وكذا إذا قلت العين تريد عين النظر، ثم قلت العين تريد عين السحاب والعين تريد عين الماء، والعين مصدر عانه يعينه إذا أصابه بعينه، والعين الذهب، وما بالدار من عين أي أحد، وعين الركبة: النقرة عن تمين الرضفة وشمالها، لم يكن في شيء من ذلك إيطاء.

فإن قال: شيء يريد غير الأول كان ذلك إيطاء، لأن قوله: شيء لا يختص بهذا دون هذا.

فإن قلت: كذا ثم قلت: بذا ولذا فقد قيل: إنه ليس بإيطاء.

وكذلك إن قلت: رمى بك ومضى بك قال قوم: مضى بك اسم مضمر والمضمر مع ما قبله بمنزلة شيء واحد فليس بإيطاء.

وذا اسم ظاهر، فإذا قلت: بذا ولذا كان إيطاء، وقال قوم: إن جعلت الروي الألف من ذا فهو إيطاء، لأن اللام والباء مع ذا قد صارتا كالشيء الواحد.

فإن قلت: عرس تريد المرأة، وعرس تريد الرجل، فهو إيطاء كالزوج والزوج تقول العرب: هذا عرس، وهذه عرس: قال العجاج:

أَكْرَمُ عِرْسٍ جُبِلا وَعِرْسِ

---

(١) الكشكول . موافق للمطبوع، ٢٤٢/٢

يريد: أكرم رجل وامرأة جبلا.

فإن قلت: غلامى وغلام منكراً، لم يكن إيطاء.

قيل: وقدم رجل لأعرابي لوناً من الطعام مرتين فقال : أوطأت في طعامك.

فصل: قال خلف الأحمر: لو قلت برجل ولرجل لم يكن إيطاء لاختلاف المعاني، ويقول: إن قول الراجز:

إِنَّكَ لَوْ أَكَلْتَ خُبْزاً صَالِحاً ... ثُمَّ أدِمْتُ الخُبْزَ أدْماً صَالِحاً

لُقْتُ بِالقَوْمِ سِيَاقاً صَالِحا

ليس بإيطاء لاختلاف ما قبله.

وقاسه على الياء والكاف في المضمر، إذا قلت: عندي، ومنّي، ولك، بك بينهما فرق لأن المضمر مع ما قبله كالشيء الواحد وليس كذلك الظاهر ومما أوطئ فيه باتفاق **اللفظ والمعنى** قول الراجز:

يَارَبِّ إِنِّي رَجُلٌ، كمَا تَرَى ... عَلَى قَلُوصٍ صَعْبَةٍ، كَمَا تَرَى

أخَافُ أنْ تَصْرَعَنِي كَمَا تَرَى

قال بعض أصحاب القوافي: فخذ بتحريك الخاء مع فخذ بإسكانها إيطاء.

وفي هذا نظر من جهة العروض، لأن فعلن لا يجتمعان إلا في رابع السريع المقيد، وفخِذ وفخِذْ وعُنُق وعَنْق إنما يماثلهما فعلن وفعلن بالتنوين الذي فيهما.

وإذا نونا لم يلزم هناك تقييد. والشعر المطلق لا يجوز أن يكون قبل رويه تارة ساكن وتارة متحرك، إلا أن يكون من قال هذا أراد شعراً على ووي الكاف كاف الخطاب، فَخِذك بكسر الخاء، ثم يقول فَخْذك بسكونها.

وقد روى في بعض ضروب الكامل شعر مبني على فعلن وفعلٌ. وهذا شاذ.

السناد

وأصله الاختلاف. يقال: خرج القسوم متساندين. أي: لم يتبعوا رئيساً واحداً. ويقال: إن قريشاً خرجوا يوم الفجار متساندين. وقد ذكرت العرب السناد. وقال ذو الرمة:

وَشِعْرٍ قَدْ سَهِرْتُ لَه كَرِيم ... أُجَنِّبُهُ المُسَانَدَ والْمَحَالا

وقال جرير بن عطية:

فلا إقواء إذْ مَرِسَ القَوافِي ... بِأَفْوَاهِ الرّوِاةِ وَلا سنَادا

وقال عدي بن زيد بن الرقاع العاملي:

وقَصِيدَةِ قَدْ بِتُّ أُجْمَعُ شَمْلَهَا ... حَتَّى أُقَوِّمَ مَيلَهَا وَسِنادهَا

وقال أبو حزام العكلي:

قَوَافٍ عَلَى الهَاءِ سَحْجِيَّة ... بِغَيرِ السِّنَادِ ولا المَكْفُوءَة

والسناد على ضروب، جميعها قبل الروي، فمن ذلك ما ليس بمكروه، وهو تعاقب الواو المضموم ما قبلها والياء المكسور ما

قبلها في ردف القصيدة الواحدة، وذلك مجمع على استعماله، ولا يحاط بكثرته.
ومنه ما هو مكروه، وذلك ينقسم أقساماً.." (١)

"من أراد المديح فبالرغبة، ومن أراد الهجاء فبالبغضاء، ومن أراد التشبيب فبالشوق والعشق، ومن أراد المعاتبة فبالاستبطاء؛ فقسم الشعر كما ترى هذه الأقسام الأربعة، وكان الرثاء عنده من باب المدح على ما قدمت، إلا أنه جعل العتاب بدلاً منه.

وقال غير واحد من العلماء: الشعر ما اشتمل على المثل السائر، والاستعارة الرائعة، والتشبيه الواقع، وما سوى ذلك فإنما لقائله فضل الوزن.

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: قلت لأعرابي: من أشعر الناس؟ قال: الذي إذا قال أسرع، وإذا أسرع أبدع، وإذا تكلم أسمع، وإذا مدح رفع، وإذا هجا وضع.

وسئل بعض أهل الأدب: من أشعر الناس؟ فقال: من أكرهك شعره على هجو ذويك ومدح أعاديك، يريد الذي تستحسنه فتحفظ منه ما فيه عليك وصمة، وخلاف للشهوة، وهذا ذوب قول أبي الطيب:

وأسمع من ألفاظه اللغة التي ... يلذ بها سمعي ولو ضمنت شتمي

أخذه من قول أبي تمام:

فإن أنا لم يمدحك عني صاغراً ... عدوك فاعلم أنني غير حامد

أتبعه البحتري في ذلك فقال:

ليواصلنك ركب شعري سائراً ... يرويه فيك لحسنه الأعداء

وقال عبد الصمد بن المعذل: الشعر كله في ثلاث لفظات، وليس كل إنسان يحسن تأليفها: فإذا مدحت قلت أنت، وإذا هجوت قلت لست، وإذا رثيت قلت كنت.

وقال بعض النقاد: أصغر الشعر الرثاء؛ لأنه لا يعمل رغبة ولا رهبة.

قال ابن قتيبة: قال أحمد بن يوسف الكاتب لأبي يعقوب الخريمي: أنت في مدائحك لمحمد بن منصور كاتب البرامكة أشعر منك في مراثيك له، فقال: كنا يومئذ نعمل على الرجاء، ونحن نعمل اليوم على الوفاء.

قال صاحب الكتاب: ومن هذا المنثور والله أعلم سرق البصير بيته المتقدم في الفتح بن خاقان.

وقيل لبعضهم: ما أحسن الشعر؟ فقال: ما أعطى القياد، وبلغ المراد.

وقال أبو عبد الله وزير المهدي: خير الشعر ما فهمته العامة، ورضيته الخاصة.

وسمعت بعض الشيوخ يقول: قال الحذاق: لو كانت البلاغة في التطويل ما سبق إليها أبو نواس والبحتري.

وقال بعض الحذاق من المتعقبين: أشعر الناس من تخلص في مدح امرأة ورثائها.

وقال ابن المعتز: قيل لمعتوه: ما أحسن الشعر؟ قال: ما لم يحجبه عن القلب شيء.

---

(١) القوافي للتنوخي، ص/١٧

باب في اللفظ والمعنى

اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم: يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك، من غير أن تذهب الروح، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح، ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ، وجريه فيه على غير الواجب، قياساً على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح، فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتاً لا فائدة فيه، وإن كان حسن الطلاوة في السمع، كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين، إلا أنه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة، وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى؛ لأنا لا نجد روحاً في غير جسم البتة.

ثم للناس فيما بعد آراء ومذاهب: منهم من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعله غايته ووكده، وهم فرق: قوم يذهبون إلى فخامة الكلام وجزالته، على مذهب العرب من غير تصنع، كقول بشار:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية ... هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

إذا ما أعرنا سيداً من قبيلة ... ذرى منبر صلى علينا وسلما

وهذا النوع أدل على القوة، وأشبه بما وقع فيه من موضع الافتخار، وكذلك ما مدح به الملوك يجب أن يكون من هذا النحت.

وفرقة أصحاب جلبة وقعقعة بلا طائل معنى إلا القليل النادر: كأبي القاسم بن هانئ ومن جرى مجراه؛ فإنه يقول أول مذهبته:

أصاخت فقالت: وقع أجرد شيظم ... وشامت فقالت: لمع أبيض مخذم

وما ذعرت إلا لجرس حليها ... ولا رمقت إلا برى في مخدم." (١)

"والقالب يكون وعاء كالذي تفرغ فيه الأواني، ويعمل به اللبن والآجر، وقد يكون قدراً للوعاء كالذي يقام به اللوالك، وتصلح عليه الأخفاف، ويكون مثالاً كالذي تحذى عليه النعال، وتفصل عليه القلانس، فلهذا احتمل القالب أن يكون لفظاً مرة ومعنى مرة.

وللشعراء ألفاظ معروفة، وأمثلة مألوفة، لا ينبغي للشاعر أن يعدوها، ولا أن يستعمل غيرها، كما أن الكتاب اصطلحوا على ألفاظ بأعيانها سموها الكتابية لا يتجاوزونها إلى سواها، إلا أن يريد شاعر أن يتظرف باستعمال لفظ أعجمي فيستعمله في الندرة، وعلى سبيل الخطرة، كما فعل الأعشى قديماً، وأبو نواس حديثاً، فلا بأس بذلك، والفلسفة وجر الأخبار باب آخر غير الشعر؛ فإن وقع فيه شيء منهما فبقدر، ولا يجب أن يجعلا نصب العين فيكونا متكئاً واستراحة، وإنما الشعر ما أطرب، وهز النفوس، وحرك الطباع، فهذا هو باب الشعر الذي وضع له، وبني عليه، لا ما سواه.

ومن ملح الكلام على اللفظ والمعنى ما حكاه أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي، قال: البليغ من يحوك الكلام

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص/٣٨

على حسب الأماني، ويخيط الألفاظ على قدود المعاني.

وقال غيره: الألفاظ في الأسماع كالصور في الأبصار.

وقال أبو عبادة البحتري:

وكأنها والسمع معقود بها ... وجه الحبيب بدا لعين محبه

باب في المطبوع والمصنوع

ومن الشعر مطبوع ومصنوع، فالمطبوع هو الأصل الذي وضع أولاً، وعليه المدار. والمصنوع وإن وقع عليه هذا الاسم فليس متكلفاً تكلف أشعار المولدين، لكن وقع فيه هذا النوع الذي سموه صنعة من غير قصد ولا تعمل، لكن بطباع القوم عفواً، فاستحسنوه ومالوا إليه بعض الميل، بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره، حتى صنع زهير الحوليات على وجه التنقيح والتثقيف: يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفاً من التعقب بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة، وربما رصد أوقات نشاطه فتباطأ عمله لذلك، والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل، فتترك لفظة للفظة، أو معنى لمعنى، كما يفعل المحدثون، ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته، وبسط المعنى وإبرازه، وإتقان بنية الشعر، وإحكام عقد القوافي وتلاحم الكلام بعضه ببعض حتى عدوا من فضل صنعة الحطيئة حسن نسقه الكلام بعضه على بعض في قوله:

فلا وأبيك ما ظلمت قريع ... بأن يبنوا المكارم حيث شاءوا

ولا وأبيك ما ظلمت قريع ... ولا برموا لذاك ولا أساءوا

بعثرة جارهم أن ينعشوها ... فيغبر حوله نعم وشاء

فيبنى مجدهم ويقيم فيها ... ويمشي إن أريد به المشاء

وإن الجار مثل الضيف يغدو ... لوجهته وإن طال الثواء

وإني قد علقت بحبل قوم ... أعانهم على الحسب الثراء

وكذلك قول أبي ذؤيب يصف حمر الوحش والصائد:

فوردن والعيوق مقعد رابئ ال ... ضرباء خلف النجم لا يتتلع

فكرعن في حجرات عذاب بارد ... حصب البطاح تغيب فيه الأكرع

فشربن ثم سمعن حساً دونه ... شرف الحجاب، وريب قرع يقرع

فنكرنه فنفرن فامترست به ... هوجاء هادية وهادٍ جرشع

فرمى فأنفذ من نحوص عائط ... سهماً فخر وريشه متصمع

فبدا له أقراب هادٍ رائغاً ... عنه فعيث في الكنانة يرجع

فرمى فألحق صاعدياً مطحراً ... بالكشح فاشتملت عليه الأضلع

فأبدهن حتوفهن فهارب ... بدمائه أو بارك متجعجع

فأنت ترى هذا النسق بالفاء كيف اطرد له، ولم ينحل عقده، ولا اختل بناؤه، ولولا ثقافة الشاعر ومراعاته إياه لما تمكن له هذا التمكن.." (١)

"لأن كلتيهما قبيلتان، فكأنه جمع بين رجلين متفقي الاسم، انتهى كلامه، وهو يشهد بما قلته في بيت الأعشى إذا حققه من له ميز وتدبير..

وقد ذكروا تجنيساً مضافاً، أنشده جماعة من المتعقبين منهم الجرجاني:

أيا قمر التمام أعنت ظلماً ... علي تطول الليل التمام

فهذا عندهم وما جرى مجراه إذا اتصل كان تجنيساً، وإذا انفصل لم يكن تجنيساً، وإنما كان يتمكن ما أراد لو أن الشاعر ذكر الليل وأضافه فقال " ليل التمام " كما قال " قمر التمام " والرماني سمى هذا النوع مزواجاً، ومثله عنده قول الآخر:

حمتني مياه الوفر منها مواردي ... فلا تحمياني ورد ماء العناقد

ومن المزاوجة عندهم قول الله تعالى: " يخادعون الله وهو خادعهم " وقوله: " من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم " وقوله: " إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم " وكل هذه استعارات ومجاز؛ لأن المراد المجازاة فزاوج بين اللفظين.

وكان الأصمعي يدفع قول العامة " هذا مجانس لهذا " إذا كان من شكله، يقول: ليس بعربي خالص، حكى ذلك ابن جني.. فأما ابن المعتز فقال وهو أول من نحا هذا النحو وجمعه والمجانسة: أن تشبه اللفظة اللفظة في تأليف حروفها على السبيل الذي ألف الأصمعي كتاب الأجناس عليها، قال: والجنس أصل لكل شيء: تتفرع منه أنواعه، وتعود كلها إليه، وكالإنسان وهو جنس وأنواعه عربي ورومي وزنجي، وأشباه ذلك، ولم تكن القدماء تعرف هذا اللقب أعني التجنيس يدلك على ذلك ما حكى عن رؤبة بن العجاج وأبيه، وذلك أنه قال له يوماً: أنا أشعر منك، قال: وكيف تكون أشعر مني وأنا علمتك عطف الرجز؟ قال: وما عطف الرجز؟ قال عاصم يا عاصم لو اعتصم قال: يا أبت، أنا شاعر ابن شاعر، وأنت شاعر ابن معجم، فغلبه، فأنت ترى كيف سماه عطفاً، ولم يسمه تجانساً، اللهم إلا أن يذهب بالعطف إلى معنى الالتفات فنعم.

ومن أناشيد هذا الباب قول الشنفرى واسمه عامر بن عمرو الأزدي:

وبتنا كأن البيت حجر فوقنا ... بريحانة ريحت عشاء وظلت

وقال علي بن محمد بن نصر بن بسام:

فاشرب على الورد من وردية عتقت ... كأنها خد ريم ريم فامتنعا

وقال الفرزدق:

ألم يأته أني تخلل ناقتي ... بنعمان أطراف الأراك النواعم

وحقيقة المجانسة عند الرماني المناسبة بمعنى الأصل، نحو قول أبي تمام: في حده الحد بين الجد واللعب قال: لأن معناهما جميعاً أبلغ، وأما قولك قرب واقترب، والطلوع والمطلع، وما شاكل هذا؛ فهو عنده من تصرف اللفظ، ولا يعده تجنيساً، ومن

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص/٤٠

تصرف المعنى عنده قولك: عين الميزان، وعين الإنسان، وعين الماء، ونحو ذلك.. ومن التصرف في اللفظ والمعنى جميعاً قولك: الضرب والمضاربة والاستضراب، وما أشبه ذلك، كل هذه الأنواع عنده من باب التصرف.

وما أكثر ما يستعمل هذا النوع بعض شعراء وقتنا المذكورين، ويظن أنه قد أتى بشيء من غرائب التجنيس.

وأما قول دعبل في امرأته سلمى:

أحبك حباً لو تضمنه سلمى ... سميك ذاك الشاهق الرأس

فقد جنس من غير جنس؛ لأن قوله سميك دال على مراده.

ومثله قول آخر:

ضيعتي مثل اسمها العا ... م وداري مسترمه

أنشده الرماني.. وقال الآخر، وهو أبو تمام:

إذ لا صدوق ولا كنود اسماهما ... كالمعنيين ولا النوار نوارا

المراد صدر البيت لا عجزه.

وإذا دخل التجنيس نفي عد طباقاً، وكذلك الطباق يصير بالنفي تجنيساً، وسأفرد لهما باباً إن شاء الله تعالى فيما بعد باب الترديد.

باب الترديد

وهو أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى، ثم يردها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه، أو في قسيم منه، وذلك نحو قول زهير:

من يلق يوماً على علاته هرماً ... يلق السماحة منه والندى خلقاً

فعلق يلق بهرم، ثم علقها بالسماحة. وكذلك قوله أيضاً:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... ولو رام أسباب السماء بسلم

فردد أسباب على ما بينت. ولبعض الحجازيين:

ومن لامني فيهم حبيب وصاحب ... فرد بغيظٍ صاحب وحميم

وقال مجنون بني عامر:

قضاها لغيري وابتلاني بحبها ... فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا." (١)

"وهو ألا يكون للقافية فائدة إلا كونها قافية فقط، فتخلو حينئذ من المعنى كقول عدي القرشي، أنشده قدامة:

ووقيت الحتوف من وارث وا ... لٍ، وأبقاك صالحاً رب هود

فإنه لم يأت لهود النبي عليه السلام ههنا معنى إلا كونه قافية.

وما أعجب السيد الحميري في قوله:

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص/١٠٩

أقسم بالفجر وبالعشر ... والشفع والوتر ورب لقمان

في منزل محكم ناطق ... بنور آيات وبرهان

فالفجر فجر الصبح والعشر عش ... ر النحر والشفع نجيان

محمد وابن أبي طالب ... والوتر رب العزة الباني

باني سموات بناها بلا ... تقدير إنس ولا جان

فانظر إلى قوله " رب لقمان " ما اكثر قلقه وأشد ركاكته!!! وأما قوله " الباني " فقد خرج فيه من حد اللين والبرد، وتجاوز فيه الغاية في ثقل الروح، والله حسبه.

ومن أناشيد قدامة قول علي بن محمد صاحب البصرة:

وسابغة الأذيال زغف مفاضة ... تكنفها مني نجاد مخطط

فلا أدري معنى هذا الشاعر في تخطيط النجاد، وهذا أقل ما في تكلف القوافي الشاردة إذا ركبها غير فارسها، وراضها غير سائسها.

باب التكرار

وللتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعانى، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر **اللفظ والمعنى** جميعاً فذلك الخذلان بعينه، ولا يجب للشاعر أن يكرر اسماً إلا على جهة التشوق والاستعذاب، إذا كان في تغزل أو نسيب.. كقول امرئ القيس، ولم يتخلص أحد تخلصه فيما ذكر عبد الكريم وغيره، ولا سلم سلامته في هذا الباب:

ديار لسلمى عافيات بذي الخال ... ألح عليها كل أسحم هطال

وتحسب سلمى لا تزال كعهدنا ... بوادي الخزامي أو على رأس أو عال

وتحسب سلمى لا تزال ترى طلا ... من الوحش أو بيضاً بميثاء محلال

ليالي سلمى إذ تريك منضداً ... وجيداً كجيد الريم ليس بمعطال

وكقول قيس بن ذريح:

ألا ليت لبنى لم تكن لي خلة ... ولم تلقني لبنى ولم أدر ما هيا

أو على سبيل التنويه به، والإشارة إليه بذكر، إن كان في مدح كقول أبي الأسد:

ولائمة لامتك يا فيض في الندى ... فقلت لها: هل يقدح اللوم في البحر؟

أرادت لتثني الفيض عن عادة الندى ... ومن ذا الذي يثني السحاب عن القطر؟!

كأن وفود الفيض يوم تحملوا ... إلى الفيض لاقوا عنده ليلة القدر

مواقع جود الفيض في كل بلدة ... مواقع ماء المزن في البلد القفر

فتكر يراسم الممدوح ههنا تنويه به، وإشارة بذكره، وتفخيم له في القلوب والأسماع.

وكذلك قول الخنساء:

وإن صخراً لمولانا وسيدنا ... وإن صخراً إذا نشتو لنحار

وإن صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

أو على سبيل التقرير والتوبيخ. كقول بعضهم:

إلى كم وكم أشياء منكم تريبني ... أغمض عنها لست عنها بذي عمي

فأما قول محمد بن مناذر الصبيري في معنى التكثير:

كم وكم كم كم وكم كم كم وكم ... قال لي: أنجز حر ما وعد

فقد زاد على الواجب، وتجاوز الحد.

ولما أنشدوا للصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد قول أبي الطيب:

عظمت فلما لم تكلم مهابة ... تواضعت، وهو العظم عظماً عن العظم

قال: ما أكثر عظام هذا البيت مع أنه من قول الطائي:

تعظمت عن ذاك التعظيم فيهم ... وأوصاك عظم القدر أن تتنبلا

ومن المعجز في هذا النوع قول الله تعالى في سورة الرحمن: " فبأي آلاء ربكما تكذبان " كلما عدد منة أو ذكر بنعمة كرر هذا. وقد كرر أبو كبير الهذلي قوله:

فإذا وذلك ليس إلا ذكره ... وإذا مضى شيء كأن لم يفعل

على بعض الروايات في سبعة مواضع من قصيدته التي أولها:

أزهير هل عن شيبة من معدل ... أم لا سبيل إلى الشباب الأول؟؟

كلما وصف فصلاً وأتمه كرر هذا البيت.

أو على سبيل التعظيم للمحكي عنه، وأنشد سيبويه:." (١)

"البحر : بسيط تام (تنبّأَ المتنبي فيكمُ عصرا ** ولو رأى رأيكم في شعرِهِ كفَرا) (مهْلاً فلا المتنبّي بالنبيّ ولا ** أعدّوا أمثالهُ في شعرِهِ السورا) (تهتمْ علينا بمرآه وعلّكمُ ** لمْ تدركوا منهُ لا عيناً ولا أثرا) ٤ (هذا على أنّكُم لم تُنصِفوه ولا ** أورثتموه حميدَ الذكر إن ذُكِرا) ٥ (وَيْلُمّهِ شاعراً أخمَلْتُموه ولم ** نعلمْ لهُ عندنا قدراً ولا خطرا) ٦ (فقد حَمَلتُمْ عليهِ في قصائِدِهِ ** وما يُضْحِكُ الثَّقَلَينِ الجِنَّ والبشَرا) ٧ (صَحَّفْتُمُ **اللّفظَ والمعنى** عليهِ معاً ** في حالةٍ وزعمتمْ أنهُ حصرا) ٨ (إذ تقسمونَ برأس العيرِ أنّكمُ ** شافهتموهُ فهلْ شافهتمْ الحجرا ؟) ٩ (فما يقولُ لنا القرطاسُ ويلكُمُ ** إنّا نَرَى عِظَةً فيكُم ومُعتَبَرا). (شعراً أحَطتُمْ بهِ عِلماً كأنّكُمُ ** فاوضتم العيرَ في فحواهِ والحمرا)

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص/١٣٤

". (١)

"البحر : طويل (أيا ماجداً قد أتقنَ **اللَّفظَ والمعنى** ** ومَعْهُ من الإحسان ما لم يكن مَعْنا) (إليكَ فقد صيَّرتَ سَحبان مُفحَماً ** وأخجلتَ بالافضال يا سيِّدي مَعْنا)

". (٢)

"إن للنثر محاسن ومعايب يجب على المنشئ أن يفرق بينهما محترزا من استعمال الألفاظ الغريبة وما يخل بفهم المراد ويوجب صعوبته ولابد من أن يجعل الألفاظ تابعة للمعاني دون العكس. لأن المعاني إذا تركبت على سجيتها طلبت لأنفسها ألفاظا تليق بها فيحسن **اللفظ والمعنى** جميعا. وأما جعل الألفاظ متكلفة والمعاني تابعة لها فهو شأن من لهم شغف بإيراد شيء من المحسنات اللفظية فيصرفون العناية إليها ويجعلون الكلام كأنه غير مسوق لإفادة المعنى. فلا يبالون بخفاء الدلالات وركاكة المعنى ومن أعظم ما يليق بمن يتعاطى الإنشاء أن يكتب ما يراد لا ما يريد كما قيل في الصاحب والصابئ: أن الصابئ يكتب ما يراد والصاحب يكتب ما يريد.

(عن آداب المنشئ ببعض تصرف)

فصاحة الألفاظ ومطابقتها للمعاني

فصاحة الألفاظ تكون بثلاثة أوجه: الأول مجانبة الغريب الوحشي حتى لا يمجه سمع ولا ينفر منه طبع. والثاني تنكب اللفظ المبتذل والعدول عن الكلام المسترذل حتى لا يستسقطه خاصي ولا ينبو عنه فهم عامي كما قال الجاحظ في "كتاب البيان": أما أنا فلم أر قوما أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب وذلك أنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا عاميا.

والثالث أن يكون بين الألفاظ ومعانيها مناسبة ومطابقة. أما المطابقة فهي أن تكون الألفاظ كالقوالب لمعانيها فلا تزيد عليها ولا تنقص عنها. وأما المناسبة فهي أن يكون المعنى يليق ببعض الألفاظ إما لعرف مستعمل أو لاتفاق مستحسن حتى إذا ذكرت تلك المعاني بغير تلك الألفاظ كانت نافرة عنها وإن كانت أفصح وأوضح لاعتياد ما سواها.

(أدب الدين والدنيا باختصار)

حقيقة الفصاحة." (٣)

"٢(وحبرهم والخط والسجل ** قضى بهذا العلماء الجل)(فالصوت للقارىء والكلام ** لله ذا به قد استقاموا)(**فاللفظ والمعنى** من القرآن ** قد نزلا من ربنا الرحمن)٤ (تكلم الله به فاسمعا ** أمينه جبريل نعم مودعا)٥ (فبلغ النبي جبرائيل ** جميع ما حمله الجليل)٦ (ثم تلقاه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم* أصحابه بلفظه القدسي)٧ (وأنه الآن

---

(١) ديوان ابن هانئ الأندلسي، ص/١٧١

(٢) ديوان ابن معصوم المدني، ص/٤١٣

(٣) جواهر الأدب، ١/١١

على ما قد نزل ** ولا يزال هكذا ولم يزل)٨ (مبرأ عن اتيان الباطل ** ليس بمنسوخ ولا مبدل)٩ (ونحو طس ويس وما ** ضاهاهما ربي به تكلما)٠ (وقد أتى الترتيب منه حسبما ** لقنه نبينا وعلما)

". (١)

" في مدح أو ذم أو تعظيم أو تحقير أو توبيخ أو تقرير أو من تدله في الحب وأنا أذكر أمثلة الجميع هنا فمنه للمبالغة في الغزل قول الشاعر

(أجفون كحيلة أم صفاح ... وقدود مهزوزة أم رماح)

ومنه للمبالغة في الشوق وطول الليل

(وشوق ما أقاسي أم حريق ... وليل ما أكابد أم زمان)

وللمبالغة في النحول

(وقفت وقد فقدت الصبر حتى ... تبين موقفي أني الفقيد)

(وشكك في عذالي فقالوا ... لرسم الدار أيكما العميد)

ومنه للمبالغة في الغزل

(في الخيف من ظبيانه سمراء ... أقوامها أم صعدة سمراء)

ومثله

(أثغرك يا هند أبدى ابتساما ... أم البرق سل عليه حساما)

ومثله قول شرف الدين راجح الحلي

(من أطلع البدر في ديجور طرته ... وأودع السحر في تكسير مقلته)

(ومن أدار يواقيت الشفاه على ... كأس من الدر يحمي خمر ريقته)

ويعجبني من هذا القصيد قوله وإن كان من غير ما نحن فيه

(يحنو النسيم عليه من لطافته ... والدهر ألين منه عند قسوته)

ومثله في **اللفظ والمعنى** قول ابن نباتة

(في مرشفيه سلاف الراح من عصره ... ومعطفيه قوام البان من هصره)

(وفي ابتسام ثناياه ومنطقه ... من نظم الدر أسلاكا ومن نثره) ." (٢)

" ذكر التكرار

(كررت مدحي حلا في الزائد الكرم ابن ... الزائد الكرم ابن الزائد الكرم)

---

(١) ديوان ابن مشرف، ص/٧

(٢) خزانة الأدب، ١/٢٧٥

المديح للكريم مليح هنا

وقد تقدم قولي إن التكرار هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة **باللفظ والمعنى** والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد أو الإنكار أو التوبيخ أو الاستبعاد أو الغرض من الأغراض

فأما ما جاء منه للذم فكقول مهلهل بن ربيعة أخي كليب

(يا لبكر أنشروا لي كليبا ... يا لبكر أين أين الفرار)

وأما ما جاء منه للمدح فكقول كثير في عمر بن عبد العزيز

(فأربح بها من صفقة لمبايع ... وأعظم بها وأعظم بها ثم أعظم)

وكقول أبي تمام

(بالصريح الصريح والأروع الأروع ... منهم باللباب اللباب)

وأما ما جاء منه للتهويل فكقوله تعالى (القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة) وكقوله (الحاقة ما الحاقة) ." (١)

" لمعشر شبهوا الهندي بالجلم فإنه ذكر في شرحه أنه ولده من قول أبي الطيب المتنبي

(فالعيس أعقل من قوم رأيتهم ... عما أراه من الإحسان عميانا)

ثم قال في الشرح ما شبه السيف بالمقص إلا أعمى قلت ومن أين لنا أن تشبيه السيف بالجلم مولد من بيت المتنبي وألفاظها ومعانيها ظاهرة للمتأمل

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي

(توليد نصرتهم يبدو بطلعته ... ما السبعة الشهب ما توليد رملهم) معنى هذا البيت ولدته من قول أبي تمام

(والنصر من شهب الأرماح لامعة ... بين الخميس علا في السبعة الشهب)

ولكن ذكر التوليد هنا وهو اسم النوع البديعي مع النصرة لا تخفى محاسنه على حذاق الأدب فإنه التوليد في التوليد وذكر الرمل هنا توليد اخر وقد جمعت في صدر هذا البيت وعجزه بين التوليد الذي هو المراد من التورية في تسمية النوع وبين التذييل بقولي بعد تتمة الفائدة ما توليد رملهم وبين مراعاة النظير بذكر التوليد والرمل والسبعة الشهب والنصرة وجمعت بين قسمي التوليد في **اللفظ والمعنى** والذي بينهما من توليد المحاسن الظاهرة الزائدة على بيت أبي تمام غير خاف على المتأمل المنصف والله أعلم ." (٢)

" ذكر الائتلاف

وهو أربعة أنواع هي

١ – ائتلاف اللفظ مع المعنى

---

(١) خزانة الأدب، ٣٦١/١

(٢) خزانة الأدب، ٢٦٢/٢

(تألف **اللفظ والمعنى** بمدحته ... والجسم عندي بغير الروح لم يقم)

هذا النوع ذكره قدامة أعني ائتلاف اللفظ مع المعنى وترجمه منفردا ولم يبين معناه وشرحه الآمدي وأطال ولم توف عبارته بإيضاحه وأوضحه ابن أبي الأصبع وقال مختصر عبارة هذه التسمية أن تكون ألفاظ المعاني المطلوبة ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى إن كان اللفظ جزلا كان المعنى فخما أو رشيقا رقيقا كان المعنى غريبا كقول زهير بن أبي سلمى

(أثافي سفعا في معرس مرجل ... ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم)

(فلما عرفت الدار قلت لربعها ... ألا انعم صباحا أيها الربع واسلم)

فإن زهيرا قصد تركيب البيت الأول من ألفاظ تدل على معنى غريب لكن المعنى غير غريب فركبه من ألفاظ متوسطة بين الغرابة والاستعمال ولما جنح في البيت الثاني إلى معنى أبين من الأول وأغرب ركبه من ألفاظ مستعملة معروفة وبيت الحلي في بديعيته قوله

(كأنما حلق السعدي منتثرا ... على الثرى بين منقض ومنقصم) ." [1]

" والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي قوله

(تؤلف **اللفظ والمعنى** فصاحته ... تبارك الله منشي الدر في الكلم)

بيت الشيخ عز الدين في هذا النوع عامر وبيت الشيخ صفي الدين خراب لأنه غير صالح للتجريد ولم يظهر له معنى حتى يأتي بالمشبه به في البيت وعلى هذا التقدير لم يحصل في بيته ائتلاف بين **اللفظ والمعنى** وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي

(تآلف **اللفظ والمعنى** بمدحته ... والجسم عندي بغير الروح لم يقم)

٢ – ائتلاف اللفظ مع الوزن

(واللفظ والوزن في أوصافه ائتلفا ... فما يكون مديحي غير منسجم)

هذا النوع أعني ائتلاف اللفظ مع الوزن قال قدامة هو أن تكون الأسماء والأفعال تامة لم يضطر الشاعر في الوزن إلى نقصها في البنية ولا إلى الزيادة ولا إلى التقديم والتأخير ومنهم من قال هذا النوع لا مثال له بصورة معينة لأنه عبارة عن أنه لا يضطر إلى ما لا يلزمه منه فساد صورة المعنى وذهاب رونق اللفظ كقول الفرزدق

(وما مثله في الناس إلا مملكا ... أبو أمه حي أبوه يقاربه)

وفي رواية أخو أمه فإن اضطرار الوزن حمله على رداءة السبك فحصل في الكلام تعقيد يمنع من فهم معناه بسرعة ولو قال وما مثله إلا مملك أبوه يقارب خاله لسهل مأخذه وقرب تناوله

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته قوله

(في ظل أبلج منصور اللواء له ... عدل يؤلف بين الذئب والغنم) والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي قوله

---

(١) خزانة الأدب، ٤٤٢/٢

(أؤلف اللفظ مع وزن بمدحة مو ... لانا وذم عدو بين الثلم)

قلت ثقل الهمزة في لفظة أؤلف والوقوف لتحرير الوزن عند قوله بمدحة مولانا كان سببا في عدم ائتلاف اللفظ مع الوزن في بيت الشيخ عز الدين ." (١)

" وبيت بديعيتي قلت فيه عن النبي بعد قولي فيه في ائتلاف اللفظ مع المعنى

(تألف **اللفظ والمعنى** بمدحته ... والجسم عندي بغير الروح لم يقم) وقلت بعده

(واللفظ والوزن في أوصافه ائتلفا ... فما يكون مديحي غير منسجم)

٣ - ائتلاف المعنى مع الوزن

(والوزن صح مع المعنى تألفه ... في مدحه فأتى بالدر في الكلم)

هذا النوع أعني ائتلاف المعنى مع الوزن هو أن تأتي المعاني في الشعر صحيحة لا يضطر الشاعر في الوزن إلى قلبها عن وجهها ولا إلى خروجها عن صحتها كقول عروة بن الورد

(فإني لو شهدت أبا سعاد ... غداة غد بمهجته يفوق)

(فديت بنفسه نفسي ومالي ... وما آلوه إلا ما يطيق)

فإنه أراد أن يقول فديت نفسه بنفسي ومالي فألجأته ضرورة الوزن إلى قلب المعنى ومهما كان الشعر سليما من مثل هذا كان الشعر الذي ائتلف معناه مع وزنه

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته قوله

(من مثله وذراع الشاة حذره ... عن سمه بلسان صادق الرتم) والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

(تؤلف **اللفظ والمعنى** مدائحه ... فللمعاني ترى الألفاظ كالخدم)

قلت بيت الشيخ صفي الدين في هذا النوع قاصر عن بيت الشيخ عز الدين فإن الشيخ عز الدين أتى أولا بالانسجام والسهولة مع التورية بتسمية النوع وتمكين القافية فإن لفظة رتم في بيت الشيخ صفي الدين غير ممكنة وأيضا فإن الوزن والمعنى في بيت الموصلي في غاية الائتلاف

وبيت بديعيتي قلت فيه

(واللفظ والوزن في أوصافه ائتلفا ... فما يكون مديحي غير منسجم) ." (٢)

"له اليد البيضاء في استخراج جواهر الأفكار من بحار الخواطر، والقدم الراسخة في اختراع معان هي على فلك الفضل بمنزلة النجوم الزواهر. كلماته متوافقة **المعنى واللفظ**، مستوفية من الحسن أكمل الحظ.

بدر طالع من ديار بكر، وبحر طام على كل بحر. إن جال في مضمار القريض، وجرى في ميدانه الطويل العريض، أفحم أبا

---

(١) خزانة الأدب، ٤٤٣/٢

(٢) خزانة الأدب، ٤٤٤/٢

الطيب وأبا تمام، ورد عقودهم واهية النظام. ينسج على منوال أبي فراس، ويكنى بأبي فراس. قال في حقه بعض شعراء أصفهان من قطعة:

فأشعار الأمير أبي فراس ... كأشعار الأمير أبي فراس

هو في الطبع والمنشأ شامي، وفي النظم والنشيد تهامي، ومولده عراقي.

قدم في شهور سنة سبع وثلاثين وخمس مئة أصفهان، وكان مقيما بها الى سنة ثمان وأربعين، وانثالت التلامذة عليه، ومالت أعناق المستفيدين إليه، ومدح بقصائده الصدور، وشرح بفوائده الصدور. ضاع بها عرفه، ولكن ضاع فيها عرفه؛ فإنه غير مجدود بفضله، وكذا الزمان غدار بمثله، والحر فيه مضيع، والكريم مودع.

لقيته يوما بالجامع، في بعض المجامع، ضيق الصدر، متوزع الفكر، مطرقا رأسه، مصعدا أنفاسه. فسألته عن حاله، فأنشدني ما ذكر أنه من مقاله:

هجرت للعدم كل خدن ... وصرت للإنقباض خدنا

فلا أعزي ولا أعزى ... ولا أهني ولا أهنى

وكان أملى ديوان على الأخ الهمام، الأجل الإمام، فخر الدين نجيب الإسلام، محمد بن مسعود القسام، الذي هو باكورة العصر، في النظم والنثر. فكتبه، وجمعه، ورتبه. وقصائده التي أنشأها بالشام أجزل وأحسن مما أنشأه بالعراق. وقدما قيل: اللها تفته اللها، والبقاع تغير الطباع.

وديوانه ضخم الحجم. لكني اخترت منه قصائد، وإن كان الكل فرائد.

ولما وصلت الى الشام، لقيته بالموصل، وقد غير زيه، وهو يلبس الأتراك، جليس الأملاك، قريبا من صاحبها بعيدا من مذهب النساك.

وآخر عهدي به سنة سبعين.

فمن شامياته: قال يمدح الأمير حسام الدين، تاج الدولة، قطب الملوك، أبا سعيد تمرتاش بن إيل غازي بن أرتق؛ ويذكر ظفره بالفرنج بعد عوده من الشام، وأنشدها إياه بماردين في شوال سنة أربع وثلاثين وخمس مئة:

أطاعك فيما ساء حاسدك الدهر ... ووالاك ما عادى معاديك العمر

ولا استعرت إلا بحملاتك الوغى ... ولا سار إلا تحت راياتك النصر

فأنت الذي أرضى عن الدهر قربه ... وجملت الأيام أيامه الغر

كرمت فمن كعب السماح وحاتم ... وصلت فمن زيد الفوارس أو عمرو

ملوك البرايا أنجم أنت شمسها ... إذا الشمس ذرت غابت الأنجم الزهر

هو من قول النابغة:

وإنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

حويت حسام الدين كل فضيلة ... سواك لها طي وأنت لها نشر

فما ينتهي إلا الى كفك الندى ... ولا يعزي إلا الى بيتك الفخر

سطا كلما تابعتها جزع الردى ... ونعمى متى فرقتها جمع الشكر

ونفس كأن من طبعها خلق السخا ... وبأس كأن من حره طبع الجمر

الأبيات الأربعة حقها أن تكتب بذوب التبر، على صفحة الدهر، وترقم بسويداء الفؤاد على سواد الحدق، وترتاح لها النفوس ارتياح الرياض للديمة الغدق.

مناقب لا الغوث الذي شمخت به ... على العرب طي يدعيها ولا النضر

أنالك ما أعيا سواك من العلى ... بهن الطعان الشزر والنائل الغمر

ومقربة شقر وماذية خضر ... وهندية حمر وخطية سمر

نصول إذا استمطرتها ذرت الطلا ... وخيل إذا استحضرتها أطلم الفجر

معودة ألا تجوس عمارة ... فترجل إلا وهي من سكنها قفر

هزمت بها جيش العدو مجاهدا ... فعز بك الإسلام وامتهن الكفر." (١)

"قلع الرواسي من عشيرته ... حرصا على التحويل والغرس

وفتى المعمر لا يجود لمن ... يرجو ندى كفيه بالفلس

يعني نقيب الطالبيين، والد النقيب الآن.

وله خوان، ما عليه من ال ... إدام غير الخل والدبس

والشنفقي، ثكلت طلعته، ... في غاية الإدبار والنحس

هو النقيب العمري ب سوراء.

فكأنه، في لبس ممطره ... والعمة الصفراء كالورس،

شيخ المثيبة في اليهود، وما ... بين النصارى موضع القس

وفتى معية لو بصرت به ... لوجدته ذئبا من الطلس

هو الشريف أبو منصور بن معية، وزير دبيس المزيدي.

هو في التذلل من سلول، وفي ال ... أطماع والغارات من عبس

متفنن في الخبث منه، فما ... كذب الذي سماه بالنمس

والأنكد المشؤوم طلعته ... أدهى من الضربان في الضرس

وأبو الحسين فكله ملق ... مبنى عقيدته بلا أس

هو جال الدين، بن عز الدين بن أبي نزار.

فكأنه دار مجصصة، ... بيضاء، خالية من الإنس

وأنشدني له في جارية، كانت تسكن في جوار الجامع، بديها:

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ١١٦/١

نشدتك يا جارة الجامع ... أهل من قرى للفتى القانع؟

بعيشك لا تحرميه القرى، ... فما دون وصلك من مانع

وعدت ثلاثا فأخلفتها، ... وحاشاك من موعد رابع

يجوز الخلاف لرب الخلاف، ... فما العذر للسامع الطائع؟

الشريف علم الدين بن الأقساسي من الكوفة.

أبو محمد، الحسن، بن علي، بن حمزة أبي الحسين، بن أبي يعلى محمد، بن أبي القاسم الحسن، بن كمال الشرف أبي الحسن محمد، بن الحسن بن محمد، بن علي، بن محمد، بن يحيى، بن الحسين، بن زيد، بن علي، بن الحسين، بن علي، بن أبي طالب – عليهم السلام.

استكتبت هذا النسب من أخيه الأكبر قطب الدين، أبي يعلى، محمد، بن الأقساسي. وكانا قد وصلا، في سنة ثمان وخمسين وخمس مئة، من الكوفة إلى ديوان الخلافة، يسألان إعادة الأملاك التي أخذت.

وسمعت ابن الأقساسي الأصغر، وهو كهل، ينشد الوزير عون الدين بن هبيرة، غير مرة، من قصائده التي نظم فيه.

وهو شاعر مجيد، حسن الأسلوب، متين النظم، سليم المغزى، قويم **اللفظ والمعنى**. ينطق شعره بحسبه، وشرف نسبه، وتعبر ألفاظه عن غزارة علمه وكمال أدبه.

وللشريف أبي محمد، بن الأقساسي، العلوي، الكوفي يرثي الإمام المستنجد بالله، ويهنيء الإمام المستضيء بالله بالخلافة:

رزء، تعاظم عن حد وعن أمد ... كادت تزول له الأفلاك من زؤد

عم الورى، فوهى حلم الحليم به، ... وظل مستضعفا عنه أخو الجلد

ومارت الأرض، إعظاما لموقعه، ... مورا غدا راجفا بالسهل والجلد

وأضحت الشمس منه وهي كاسفة ... كأنما طرفها مغض على رمد

بيوم أعظم خلق الله منزلة، ... وخير منفرد، بالعز متحد

من الرعان التي لولا شوامخها ... ما كان للأرض من صدف ولا وتد

القائمين بأمر الله، دأبهم ... حياطة الدين، كالحاني على الولد

الآخذين من الأيام ما احتكموا ... والنائلي أمدا يغنيك عن أمد

هم الأئمة، ما إن زال مدحهم ... دأبي، وحبهم ديني ومعتقدي

آها لداعي الردى، لو أم عقوته ... في جحفل حرج الأحشاء محتشد،

له وجيف على الثريا، يظللها ... بمثلها من صفيق النقع منعقد،

إذن للاقى طعانا دون بغيته ... مواشكا، وضرابا هاتك الزرد." (١)

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٢٠٢/١

"قلب وقلب في يد ... يك معذب ومنعم

ظمآن يطلب قطرة ... تشفي صداه ومفعم

هذان البيتان كنت استلمحتهما من بعض الكتب فاستملحتهما، فإنهما جمعا التجنيس والتطبيق والموازنة ولزوم ما لا يلزم واللطافة والرقة والمعنى واللفظ ولم أعرف قائلهما إلى أن طالعت المذيل فشعرت بالشاعر، وعرفت عرف عرفه العاطر، وسجلت له بخطر الفكر والخاطر.

ونسب أيضا إلى عبد الغالب هذين البيتين:

رأيت مرآتها تقابلها ... فقلت والقلب في تلهبه

كأنما الشمس عند مشرقها ... قابلها البدر عند مغربه

لقد أبدع في تشبيه المرأة والمرآة المتقابلين بالقمرين إذا تقابلا في المطلع والمغيب، محاكميين للمحب والحبيب.

وله:

جس الطبيب يدي وقال بنبضه ... معنى يدل على دم فليفصد

فأجبته يكفيك ما أبصرته ... متحدرا من دمعي المتورد

فأشار بالعناب فاهتاج الهوى ... إذ كان من شكواي عناب اليد

وأتى بورد في الصفات فزادني ... قلقا على قلقي وبان تجلدي

وأمر ما قاسيته ولقيته ... حجج ألفقها، حياء العود

وأنشدني أبو اليسر الكاتب له يرثي بعض بني سليمان:

لم يكف قلبي ما به من وجده ... وخروجه بعذابه عن حده

ومنها:

يا والد المدفون بين ضلوعنا ... فوض إلى معطيكه في فقده

أخوه القاضي أبو غانم

عبد الرزاق بن أبي حصين

أنشدني ابن أبي البيان ابنه، القاضي أبو غانم بالشام سنة سبعين وخمسمائة، قال أنشدني جدي أبو غانم بالشام لنفسه يصف الفقاع:

ومحبوس بلا جرم جناه ... له حبس بباب من رصاص

يضيق بابه خوفا عليه ... ويوثق بعد ذلك بالعفاص

إذا أطلقته خرج ارتقاصا ... وقبل فاك من فرح الخلاص

هذه الأبيات الحسنة، صقلتها الألسنة، وهي عروس في كنها، خندريس في دنها، مطبوعة في فنها، يعد هذا الأسلوب من النظم معمى، ويدل على أن لقائله فضلا جما.

وأنشدني القاضي أبو غانم قال أنشدني جدي أبو غانم لنفسه في حجر الرجل معمى:

وعجيبة أبصرتها فخبأتها ... لغزا لكل مساجل ومناضل

ما يستقر بكف ألكن ناقص ... حتى يجر برجل أروع فاضل

وقد أوردهما السمعاني في تاريخه منسوبين إلى أبي حصين والد أبي غانم.

أبو حصين عبد الله

له شعر، ونسب إليه السمعاني البيتين في حجر الرجل. وأنشدني له القاضي أبو اليسر وذكر أنه يرثي والده وقد مات في الحج:

دم فوق صدري وكف ... من الجفن لما ذرف

ومنها:

لفقدان من لا أرى ... يد الدهر منه خلف

ومنها:

لميت غدا ثاويا ... بطيبة بين السلف

أبو القاسم المحسن والد أبي حصين

ذكره السمعاني في تاريخه، المؤلف بين مشتريه ومريخه؛ وكتابه، الدال على وفور آدابه، فذكر أنه أنشده أبو البيان محمد بن أبي غانم عبد الرزاق، قال أنشدني أبي لجده:

وكل أداويه على حسب دائه ... سوى حاسدي فهي التي لا أنالها

وكيف يداوي المرء حاسد نعمة ... إذا كان لا يرضيه إلا زوالها

قال وأنشدنا أبو البيان قال أنشدني أبي لجده وذكر أنه أنشده لنفسه:

إذا ما رأيت امرأ كاسبا ... يخاف العواقب في كسبه

يريد الغنى ويخاف الردى ... فذره ولا تك من حزبه

فما يدرك المرء أمنية ... وخوف المنية في قلبه

أبو البيان محمد بن أبي غانم بن أبي حصين

كان قاضي حمص، وذكر لي القاضي أبو اليسر أن له ديوانا وشعرا حسنا، وقد ذكره السمعاني في تاريخه ولقيه وروى عنه.

أبو الرضا عبد الواحد بن الفرج بن النوت

المعري." (١)

"الملقب بشمس الدين، من المعاصرين، يعرف في الشام بابن المنجم، وتوفي بدمشق بعد العود إليها سنة ستين وخمسمائة، ذو البديهة المستجيبة، والقريحة العجيبة، والمنطق واللسن، والكلام الحسن، والقالة والحالة، والتحقيق والتدقيق،

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٤٦٥/١

والمنظر الصبيح، والمقول الفصيح، اجتمعت له الصباحة والفصاحة، والبهجة واللهجة، مواعظه مبكية مضحكة، وكلماته بالوعيد منجية مهلكة، إذا وعظ كانت عباراته أرق من عبرات الباكين، وإذا انشد كانت غرره آنق من درر الناظمين، وثغور الضاحكين. حضرت ببغداد مجالسه وشهدت محاسنه فألفيته جوهري الوقت، جهوري الصوت، وهو كما قال الحريري: بزواجر وعظه يقرع الأسماع، وبجواهر لفظه يطبع الأسجاع، وبكلامه يأسو الكلوم، ويجلو الهموم، وبنكته ينكت العقول ويبهت الحلوم، فما رأيت في مجلسه إلا قلوبا ترق، ودموعا تترقرق، وجيوبا تشقق، ونفوسا تكاد من وجدها تزهق، وأنفاسا تتصاعد، وحرقا تتزايد، وأيديا إلى قابل التوب ترفع، وشعورا لقطع الحوب تقطع. قال يوما وقد قص شعر شاب، من التواب. شاب جفا، قص شعره بمقص الوفا، وألبسه قميصا كان عليه وقال: من وافق وفق، فقص بقصصه وأشعاره شعورا، فكأنه بنغماته داود يتلو زبورا، وخرج أعيان أهل من ثيابهم إليه، وخلعوها عليه، فقلت يجب أن نسميه المعري المعري، وأنا في حدود خمس عشرة سنة، وكان ذلك يوم عاشوراء بالمدرسة النظامية سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، ولم أزل إلى آخر سنة إحدى وخمسين ألقاه في محافل الأماثل، ومجالس الأفاضل، ولم يزل شحاذا أخاذا، فصالا قوالا، نتاشا حواشا، فاتقا راتقا، ماهرا حاذقا، لا يخلو يوما شركه من صيد، لو رآه الحريري لم يذكر أبا زيد، له في كل حادث حديث، وفي كل خطب خطبة، وفي كل نائب نوبة، وفي كل ملم إلمام، وفي كل جمعة جمع، وفي كل سبت وقت، وفي كل ناد نداء، وفي كل ناشئ إنشاء، وفي كل فصل فصل، وفي كل سهم نصل، وفي كل مدخل دخول، وإلى كل محفل وصول، وإلى كل مورد ورود، وفي كل مشهد شهود، وفي كل مأتم نياحة، وفي كل يم سباحة.

حضرت عند شيخ الشيوخ إسماعيل الصوفي ببغداد وهو قائم يورد فصلا، ويملأ الجمع فضلا، ومما أنشأه على البديهة وأنشده فيه بيتين علقا بالحفظ، لرقة **المعنى واللفظ**، وهما:

يا أخلائي وحقكم ... ما بقي من بعدكم فرح

أي صدر في الزمان لنا ... بعد صدر الدين ينشرح

وسمعته ينشد في سيدنا وأستاذنا شرف الدين يوسف الدمشقي المفتي ببغداد:

من ذا يباهي أو يضا ... هي في الخليفة أو يلاسن

لفقيهها الشرف الذي ... جمع المكارم والمحاسن

وكان له على الواعظ علي الغزنوي، الملقب ببرهان الدين، رسم تعهد، فسمعته ينشده يوما:

يا من يطوف بكعبة ال ... إحسان منه المستميح

إن طاف طوفان بنا ... من عسرة فنداك نوح

أو ظل عازر قصدنا ... ميتا فجدواك المسيح

وأثرت ببغداد حاله، ونمى ماله، وحلت عيشته، وحليت معيشته، وكان مولعا بالاستكثار، من نكاح البكار، وهو ذو حظ من النسوان، وقبول عند الحسان، أنشدني له في بعضهن:

جارة قد أجارها ال ... حسن من كل جانب

فهي بين النساء كال ... بدر بين الكواكب

وأقام ببغداد حتى تبغدذ، وتمتع فيها وتلذذ، وكان نظيفا عفيفا، نظيفا ظريفا، غلب على نظمه الإكثار، واستوى في نظمه الصفر والنضار، قوة إيراده وحسن إنشاده يطرقان بين يدي الضعيف من شعره، وينفقان الزيف من نظمه ونثره، وربما سمحت بديهته بما تضن به روية الفضلاء، من نوادر تبهر خواطر الشعراء، وتفحم شقاشق البلغاء. ومما أنشدنيه لنفسه ببغداذ سنة خمسين وخمسمائة بيتين في الطبقة العليا ، في ذم الدنيا وهما:

أف للدنيا وأف ... كل من فيها يلف

مثل خياط حريص ... كلما شل يكف

وآخران في وصف فرس أدهم:

وأدهم يستعير الليل منه ... وتطلع بين عينيه الثريا." (١)

"ثم طالعت مجموع عمارة الشاعر اليمني في ذكر شعراء اليمن فوجدته قد أثنى على أبي بكر العيدي من عدن وقال: ومنهم من جعلت ذكره فارس الأعقاب، وجمال ما مضى وما يأتي من الأحقاب، وزير الدولة الزريعية وصاحب ديوان الإنشاء بها ووصفه بصدق اللهجة، وحسن البهجة، والدين الحصين، والعقل الرصين، والؤدد العريض، والكرم المستفيض، والتواضع الذي لا يضع من رتبته العالية، ولا يرخص من قيمته الغالية، وأما البلاغة فهو إمامها، وبيده زمامها، ولخاطره هداية النجم الساري، وسلاسة العذب الجاري، وأما عبارته فلا يشوبها لبس، ولا يعوقها حبس، فسيح في الإطالة مجاله، موف علي الروية ارتجاله، يكاد نظمه أن يبتسم ثغره، ونثره أن ينتظم دره. وقال إن له بلاغة تشهد عذوبة مطبوعها، بكرم ينبوعها، وألفاظا تدل معانيها، على فضل معانيها.

وأما مولده فمن أهل أبين وهو أبين عدن، قال ولما ترعرع عني بنفسه، وكان ينزل إلى عدن وهي من وطنه على ليلة فيجتمع بالعلماء الواصلين من الآفاق إلى موسم عدنن ولازم الطلب، حتى تفقه وتأدب، ونظم ونثر، وكتب وحسب، ولم يزل في عدن وجمر فضله مستور بالرماد، وغمر معينه مغمور بالثماد، إلى أن مات محمد بن غزي كاتب الشيخ بلال بن جرير صاحب عدن، فتنبه بلال عليه، وأرشده رائد السعادة إليه، فجعله كاتبه، بل صاحبه.

وذكر أنه حكي له أنه كان محمد بن غزى إذا أراد أن يكتب عن بلال كتابا أو يرد جوابا لم يستقل بنفسه دون الحضور بين يديه حتى يملي عليه مقاصد الكتاب ثم لا يختمه حتى يلحق بلال بين سطوره بخطه ما وقع الإخلال به في **اللفظ والمعنى**، فلما كتب له الشيخ الأديب اعتقد بلال أن الأديب مثل ابن غزى في جمود طبعه، وخور نبعه، وثمد معينه، وعدم معينه ونبوة كلامه، وكبوة أقلامه، وقصر رشائه، وفقره من فقر إنشائه، وشتان بين عزة فارس القلم، وذلة راجل الجلم، فألقى بلال إلى الأديب كتبا وردت عليه، وقال قف عليها وتصفحها حتى نخلو من مجلس السلام فأملي عليك مقاصدها، فكتبها الشيخ الأديب في ذلك المجلس في لحظة ودفعها إليه وقد كتب عنوان كل كتاب منها، فلما وقف عليها بلال قال: لم تزد والله على ما في نفسي من الجواب شيئا ولم تنقص عنه، ففوض إليه واعتمد عليه.

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٤٧٢/١

وذكر أنه استأذنه يوما على ما يجيب به عن كتب وصلت إليه، ويثيب به آخرين وفدوا عليه، فقال له يا مولاي الأديب، الدولة دولتك، والمال مالك، فأجب، وأثب، كيف شئت، وبما شئت.

وذكر أن الأديب أبا بكر كان من سؤدده أنه إذا سمع بقدوم قافلة إلى البلد خرج إلى الباب واستخبر عمن فيها من الأدباء والفقهاء، فإذا ظفر منهم بأحد بالغ في إكرامه واستخلاص بضاعته إن كان تاجرا، وإن كان باعه في الأدب قصيرا عمل له الشعر على لسانه واستنجز له الصلة، ثم أنزله مدة مقامه وزوده عند رحيله.

قال عمارة في مجموعه وهذه القصة جرت له معي، فإني قدمت عدن وأنا حينئذ لا أحسن الشعر، فعمل قصيدة على لساني، حتى فزت عند صاحب عدن بالأماني، فلما عزمت على السفر قال إنك قد اتسمت عند القوم بسمة شاعر، فانظر لنفسك وطالع كتب الأدب ولا تجمد على الفقه وحده، فإن فضيلة اللسان حلية الإنسان، ثم قدمت في العام الثاني وقد علمت شعرا أصلح من الأول ومعي إنسان جمال، فقال لي الأديب ما رأيك أن تنفع هذا الإنسان بشيء لا يضرنا، قلت: وما هو؟ قال نعمل قصيدة على لسانه، ففعل واستنجز له صلة من الداعي محمد بن سبأ. فلما انفض الجمع دعاني الداعي وقال إذا سألتك عن شيء تنصحني؟ قلت: نعم، قال أظن أن هذا الإنسان الذي أخذ له الأديب الدنانير جمالا، قلت: هو والله جمال وإنما فضل طباع الأديب ومعونتكم له على فعل الخير صيرت هذا ومن يجري مجراه شاعرا، فضحك الداعي وأعاد الجمال فزاده ذهبا.

قال ومن أخباره أن إنسانا يقال له أبو طالب بن الطرائفي مدح الداعي محمد بن سبأ في سنة ست وثلاثين بقصيدة أبي الصلت أمية التي مدح بها الأفضل وأولها:

نسخت غرائب مدحك التشبيبا ... وكفى به غزلا لنا ونسيبا

ومنها:

وأنا الغريب مكانه وبيانه ... فاجعل نوالك في الغريب غريبا." (١)

"فلا عناء له إذ كان صاحبه ... إليك مفتقرا عن جودك الهتن

مجرب في الوفا مملوك دولتكم ... وحسن سيرته في السر والعلن

هنئت بالفطر والفتح المبين وما ... أتى من اليمن والبشرى من اليمن

مقدم الملك المولى المعظم قد ... سرى السرور إلى الأفهام والفطن

علمت قومك تفريق الممالك في ال ... عبيد حتى غدت من جملة المؤن

فقد أتاك ومن أدنى سماحته ... تخويل خادمه ملك ابن ذي يزن

لا زلت في ذروة العلياء منفردا ... بالنصر ما غرد القمري في فنن

وذكر أنه لما تولى شاور مصر، وأخذ جماعة من آل رزيك، وحبسهم في بيت، دخل عليه ابن النحاس، وأنشده من قصيدة، يعرض فيها بآل رزيك، حسام وبدر وقصة:

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٢/١٢٠

نزلت القرقرون ففر قوم ... ملكت عليهم بالبعد مصرا

حسمت بعضبك الماضي حساما ... فولى خاسئا وبدرت بدرا

وقص جناح قصة منك حزم ... يطير لبأسه شررا وجمرا

هم أسروا كمال الدين صبحا ... فها هم في يديه اليوم أسرى

فإن جاءوك واعتذروا بعذر ... فلا تقبل من الطاغين عذرا

قال أحد المحبوسين لابنه: ما الذي تسمع، فقال: واحد يرقق قلب السلطان علينا.

ومن شعره في طي بن شاور من قصيدة أولها:

غرد الطير حين لاح الصباح ... وطربنا فدارت الأقداح

ومنها:

يا ابن من خلص الخلائق من ظلم ... وعسف وفكهم فاستراحوا

وغزا في ديارهم آل رزيك ... فلم يغن جمعهم والسلاح

أين ورد وبائس وحسام ... رأوا الذل قد أحاط فراحوا

فر بدر في البحر خوفا وولى ... قل له لا أهتدي بك الملاح

أبو المظفر بن أحمد المصري الرفدلي

ذكره الفقيه عيسى بن محمد بن محمد، الحجازي المولد، الدندري الدار. وفد إلى الملك الناصر بالشام لاستماحته واجتداء جنى الإنعام في سنة إحدى وسبعين وقال: هذا شاب بمصر من زقاق القناديل، وهو ذو أدب وتحصيل، وله شعر.

وأنشدني له بعض المتصرفين في الديوان بمصر:

وقالوا الأمير أبو طاهر ... يلوط جهارا ولكنه

يحب الغلام إذا ما التحى ... وهذا دليل على أنه

شلعلع هو أبو الفضل جعفر بن المفضل

ابن زيد بن خلف بن محمد بن أبي حامد بن العباس القرشي من أهل عصرنا هذا، ويلقب بالمهذب وهو شيخ أثط. وله يهجو ابن الدباغ:

تعالت قرون ابن الدباغ فأصبحت ... تجل عن التحديد في اللفظ والمعنى

على بعضها ناجى النبي إلهه ... وقد كان منه قاب قوسين أو أدنى

ووصل إلي بالقاهرة وقد خصني بقصيدة أولها:

نظيرك معدوم وراجيه مخفق ... فلا تلزمنا روم ما ليس يخلق

لك المال والجاه اللذان هداهما ... يوافق رحمى من إليه يوفق

متى سئلا سالا على الخلق أنعما ... لها سحب بالمكرمات تدفق

يبل بها من قاتل العدم مدنف ... وينجو بها من زاخر الهم مغرق

ويضحى أسير الفقر فوزا بمنها ... يجرر أذيال الغنى وهو مطلق

فهل لي مما أسأر الفضل فضلة ... يرمق نفسي بردها حين يرمق

ويرجع لي غصن المنى بعد ما ذوى ... وجف ثراه وهو فينان مورق

فيا طود عز مد شامل ظله ... على كل ضاح بالحوادث يحرق

ويا من دعاه الدين حقا عماده ... موافق دعوى من برحماه يعلق." (١)

"ومن قصيدة ابن خلصة:

والبيض تسقي ثراهم من دمائهم ... وبلا وتنشئ لمع البرق في القلل

يغرهم بك والآمال كاذبة ... ما جمعوا لك من خيل ومن خول

ومنها:

مكنت حزمك من حيزوم مكرهم ... وقد تصاد أسود الغيل بالغيل

لم تدر قبلك عين أنها بصرت ... بالبر والبحر والرئبال في رجل

ليث الضراب ولكن من ضرائبه ... دفع المخوف وأمن الخائف الوجل

أما قول مسلم فإنه في غاية الصنعة والإحكام والجودة والرفعة، فإنه طابق بين الخوف والأمن في **اللفظ والمعنى**، وقوله خوف المخيف في غاية الحسن. وأما ابن خلصة فقابل الدفع بالأمن وما بنيهما مقابلة، ودفع المخوف هو من الخائف.

ومن قصيدة ابن خلصة:

أيا حيا قبل الإمحال نائله ... ما لي أرى سبلا قد حاد عن سبلي

ومايقصر عن علمي ولا فهمي ... عن همتي فاختبر إن شئت أو فسل

خدمتكم ليكون الدهر من خدمي ... فما أحالته عن حالاته حيلي

إن لم تكن بك حالاتي مبدلة ... فما انتفاعي بعلم الحال والبدل

وقال يشير الى علمه بالنحو:

مليك إذا ألهى الملوك عن اللهى ... خمار وخمر فارق الدل والدنا

فلم تثنه الأوتار أوتار قينة ... إذا ما دعاه السيف لم يثنه المثنى

فلو جاد بالدنيا وعاد لضعفها ... لظن من استصغاره أنه ضنا

فلا عتب في إنعامه غير أنه ... إذا من لم يتبع مواهبه منا

ولأبي الفرج الأصفهاني:

وردنا ذراه مقترين فراشنا ... وردنا حياه مجدبين فأخصبنا

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٣٤٦/٢

ولما انتجعنا لائذين بظله ... أعان وما عنى ومن وما منا

ولا طعن في إقدامه غير أنه ... لبوس الى حاجاته الضرب والطعنا

وللمتنبي

وإنا إذا ما الموت صرح في الوغى ... لبسنا الى حاجاتنا الطعن والضربا

وأمدح من هذا قول مهيار:

لما رأوك تفرقت أرواحهم ... فكأنما عرفتك قبل الأعين

فإذا أردت بأن تفل كتيبة ... لاقيتها فتسم فيها واكنن

قال ابن خلصة:

لئن وردت من لفظها المنهل العذبا ... لقد جربت من لحظها المنصل العضبا

وقالوا كساك الحب أثواب ذلة ... وهل ممكن أن أجمع العز والحبا

أبا حسن أحسنت أيام ساءني ... زماني وكنت الخصب قد عاقب الجدبا

فأوليتني مرعى من الفضل ممرعا ... وأوردتني شربا رويت به شربا

وقال:

لا يرد البكا عليك الذي فا ... ت فلا يعط دمعك المسؤولا

والمسرات والملمات أق ... دار وما أنت قادر أن تحيلا

سلم الأمر إنما الأمر لل ... ه وكن قابلا تكن مقبولا

وقال من أخرى:

تمنى الأعادي والغرور مناهم ... فكانوا كمن ظن السراب شرابا

وقد غشيت أم اللهيم حصونهم ... بأدهم يكسي الشمس منه ضبابا

كأن على جسم الصباح ملاءة ... به وعلى وجه النهار نقابا

خميس يعج الجو خوف عجاجه ... ملأت الفلا تبا به وتبابا

فمن أشقر يحكي صفاء مشقر ... وأشهب مختال يخال شهابا

رماهم بها شهاد أندية العلا ... وإن عاب لم تعد الذوابل عابا

ابن وهبون

هو أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسي.

قال في ابن عباد من قصيدة؛ يصف فيها ركوبه البحر يوم نكبته وإخراجه:

كأنما البحر عين أنت ناظرها ... وكل شط بأشخاص الورى شفر

شبه الشط والناس قيام عليه للانتظار بشفر العين وأهدابها.

ولأبي إسحاق بن خفاجة المغربي:

وغدت تحف به الغصون كأنها ... هدب تحف بمقلة زرقاء

ومن هذا الباب قول الأسعد بن إبراهيم: وقد سبق:

صف كحاشية الرداء يؤمه ... صف القنا فكأنه هداب

وقال، وقد أنشد ابن عباد:." (١)

"الصاد فكانت قراءة "نُصْب"، ثم إن قراءة "نَصَب" خففت هي الأخرى بتسكين الصاد فكانت قراءة "نَصْب"، وهذا التحليل يتمشى مع طبيعة اللغة وقوانين التطور فيها، ومن المنطقي أن نحكم بوجود اللغة الأصعب أولا، ثم يلجأ مستخدم اللغة إلى التخفيف فتكون اللغات الأخرى. ومما يقوي هذا التحليل كلام السمين السابق، وأيضا قول أبي زرعة بن زنجلة أن: النَّصْبَ والنُّصْبَ لغتان كالضَّعْفِ والضُّعْفِ (١). وقول الزبيدي أن النَّصْبَ والنَّصَبَ لغتان (٢)، والجمع بين هذه الأقوال يجعلنا نطمئن إلى ما خلصنا من أن "نُصُب" هي الأصل وباقي القراءات صور مخففة منها. ومما يقوي هذا الرأي توجه المفسرين الذي يتلخص في حرصهم على التقريب بين القراءات في الحرف الواحد في **اللفظ والمعنى** إلا إذا دعا داع إلى غير ذلك (٣).

عليه السلام (سُحُقًا) (٤): قراءة في قوله تعالى:" فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ" (٥).

[التاج: سحق].

يذكر الزبيدي أن السُّحْقَ، بالضَّمِّ، وبِضَمَّتَيْن مثال خُلْقٍ وخُلُقٍ، وأنه قد قرئ بهما "فَسُحْقًاً"، حيث أسكن الجمهور الحاء (٦)، وضمها الكسائي مع لآخرين في رواية عنه. ويقرر السمين أنهما لغتان، والأحسنُ أَنْ يكونَ المثقَّلُ أصلاً للتخفيفِ (٧).

عليه السلام (عُقُبًا) (٨): من قوله تعالى:"هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا" (٩). [التاج: عقب].

---

(١) الحجة لأبي زرعة ابن زنجلة: ٧٢٤.

(٢) انظر التاج:٤/ ٢٧٢.

(٣) انظر: السبعة لابن مجاهد: ٦٥١، والتيسير: ١٣٦، والإتحاف الدمياطي: ٧٥١.

(٤) قراءة علي بن أبي طالب والكسائي وأبي جعفر وابن وردان وابن جماز، انظر: السبعة: ٦٤٤، والنشر: ٢/ ٢١٧، والإتحاف: ٤٢٠.

(٥) الملك: ١١.

(٦) انظر: السبعة لابن مجاهد:٦٤٤، والحجة لأبي زرعة: ٧١٦، والنشر: ٢/ ٢١٧، والإتحاف للدمياطي: ٤٢٠.

(٧) الدر المصون: ١٤/ ٣٨.

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٤٩٧/٢

(٨) ضم القاف قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو والكسائي وأبي جعفر ويعقوب، انظر: السبعة: ٣٩٢.
(٩) الكهف: ٤٤.." (١)

"وفَكِهُونَ، ولَابِثِينَ ولَبِثِينَ. وبين الصيغتين اختلاف في **اللفظ والمعنى**، مما يدعونا للقول بأن في ذلك ثراء للمعجم في **اللفظ والمعنى**.

٤ – كما أفادت دراسة صيغ الجموع المعجم في مجالي الثراء اللفظي والمعنوي على السواء، وإن كان الجانب الأبرز هو الثراء اللفظي، ويتضح هذا بشدة عند الحديث عن جموع التكسير، حيث وردت القراءة في هذا الجانب – على الحد الأدنى– بقراءتين، نحو: غُلُف وغُلَّف، وظِلَال وظُلَل، ورِهَان ورُهُن، وإِنَاث وأُنُث، وزُلُف زُلْف، ونُجُم ونُجْم، وثَمَر وثُمُر، وعَمَد وعُمُد. وقد تأتي القراءة بأكثر من ذلك في نحو: رِجَال ورُجَال ورُجَّال ورُجَّل ورَجْل، وكلها جمع لـ (راجل) أي الماشي على رجليه. ومن ذلك: وُلُد ووُلْد ووَلَد ووَلْد ووِلْد، على ما في ذلك من خلاف. ونحو: ولُبَد ولُبْد ولُبَّد ولِبَد.

وكما تعددت صيغة الجمع المكسر، تعددت أيضا بعض صيغ الجمع السالم في نحو: صَدَقَات وصُدْقَات، ونَحِسَات ونَحْسَات. أما في مجال الجمع المذكر السالم فقد جاءت صيغة (الْمُعَذِّرُونَ) مشتركا لفظيا بين اسم الفاعل من عَذَّرَ ومن اعتذر، وفي ذلك ثراء للمعنى المعجمي.." (٢)

"وتَكْلِمُ الكافرَ أو الفاجرَ تَجْرَحُهُ". وقال أبو حاتم "تُكَلِّمُهُمْ" كما تقول تُجَرِّحُهُمْ يذهب إلى أنه تكثير من تكلمهم" (١).

ومعنى ذلك أن "تُكَلِّمُهُمْ" مشترك لفظي بين أصلين مختلفين هما: الكَلْمِ والكَلَامِ، وأن المعنى يحتمل التأويلين لذلك قيل بهما جميعا، وهذه ميزة في النص القرآني أن الكلمة الواحدة قد تعطي أكثر من معنى في النص الواحد.

ﷺ (أَفَتَمْرُونَهُ) (٢): قراءة في قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾ (٣).
[التاج: مري].

وجه الزبيدي القراءة السابقة على معنى: "مَرَاهُ حَقَّهُ: جَحَدَهُ، أي أَفَتَجْحَدُونَهُ أو تَدْفَعُونَهُ عما يرى، أو أَفَتَغْلِبُونَهُ في المماراة مع ما يرى من الآيات، أو أَفَتَطْمَعُونَ في غَلَبَتِهِ أو تَدَّعُونَهَا مع ما يرى، وهو إنكارٌ لِتَأَتِّي الغَلَبَةُ وهو مجاز".

وأما قراءة الجمهور: "أَفَتُمَارُونَهُ" فقد جعله من: ماراه مماراة ومراء: جَادَلَهُ ولاحَهُ، والمعنى على ذلك عنده: أَفَتُلاحُونَهُ مع ما يرى من الآيات الْمُثْبِتَةِ لِنُبُوَّتِهِ وهو مجاز". [التاج: مري]

إذن القراءتان تنتميان إلى أصلين مختلفين في **اللفظ والمعنى** هما:

الأول: قراءة "أَفَتُمَارُونَهُ" أي: (تُفاعلونه) من مَارَى يُمَارِي مِرَاءً: جادل.

والثاني: قرأءة "أَفَتَمْرُونَهُ" أي: تجحدونه، من قولهم: مَرَيْتُ حَقَّهُ أَمْرِيهِ مَرْياً، أي: جَحَدْتُهُ.

---

(١) أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجا، عبد الرازق بن حمودة القادوسي ص/٦٧
(٢) أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجا، عبد الرازق بن حمودة القادوسي ص/٢٤٦

ويصحح الطبري المعنى على القراءتين فيقول: والصواب من القول في ذلك: أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، وذلك أن المشركين قد جحدوا أن يكون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رأى ما أراه الله ليلة أُسري به، وجادلوا في ذلك، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. وتأويل الكلام: أفتجادلون أيها المشركون محمدا – صلى الله عليه وسلم – على ما يرى مما أراه الله من آياته" (٤).

---

(١) إعراب القرآن: ٢/ ٢٥٠.

(٢) قراءة حمزة والكسائي وخلف والأعمش وعلي وعبد الله بن مسعود وابن عباس والجحدري وابن سعدان ومسروق وأبي العالية ويحيى بن وثاب، انظر: الحجة لأبي علي الفارسي: ٦/ ٢٣٠، والحجة لابن خالويه:٣٣٥، والنشر: ٢/ ٤١٩، ومعجم القراءات لمختار: ٤/ ٥٠٩، ومعجم القراءات للخطيب: ٩/ ١٨١.

(٣) النجم: ١٢.

(٤) جامع البيان: ٢٢/ ٥١٠.." [1]

"نخلص من هذا المبحث إلى النتائج الآتية:

١ – يكون الفونيم أحيانا صويتا (حركة) مصاحبا للصوت الصامت، فيؤدي تغيره إلى تغير المعنى، وهذا هو الأصل، وأحيانا لا يغير المعنى ويُحْمَلُ على تعدد اللغات، وهذا له أثره الواضح في المعجم كما يلي:

- إذا كان الضبط لم يُحْدِثْ اختلافا في المعنى، وحُمِلَ على تعدد اللغات في الكلمة الواحدة، صار ضربا من ضروب التيسير على أهل اللغة من حيث هو توسعة في النطق وعدم اقتصاره على شكل معين.

- وإذا أدى إلى تغير في المعنى صار ثراء للمعجم من حيث **اللفظ والمعنى**، ويجسد هذا الجانب العديد من القراءات القرآنية، نحو: كُرْهٍ وكَرْهٍ، وقُرْحٍ وقَرْحٍ، وجُهْدٍ وجَهْدٍ، وضُعْفٍ وضَعْفٍ، وسُدٍّ وسَدٍّ، حيث وردت هذه الألفاظ بضم أولها وفتحه.

٢ – أما الكلمتان اللتان تعودان إلى أصلين مختلفين فإن اتحدا في المعنى صارا من قبيل الترادف، وفي ذلك ثراء لفظي للمعجم، نحو: أَخَذَ وتَخِذَ. وإن تغاير البناء والمعنى معا صار الثراء في **اللفظ والمعنى** على السواء، نحو: صِرْهُنَّ صُرْهُنَّ صِرَّهُنَّ صُرَّهُنَّ، وكما في: تَأْلِقُونَهُ وتَلِقُونَهُ وتَلَقَّوْنَهُ.." [2]

"إذا هذا الموضع الثاني وهو شبه الاتصال، هذان الموضعان داخلان في قوله: (كنفسها). (إن نزلت ثانية) يعني: جملة ثانية (من ماضيه) يعني من الجملة الماضية السابقة. (كنفسها) وهذا ما يسمى بكمال الاتصال أو شبه كمال الاتصال. يعني أن تكون الثانية بمنزلة التوكيد، أو عطف البيان، أو بدل بأنواعه، أو بمنزلة الجواب. إذا دخل النوعان في هذه (كنفسها). (أو نزلت كالعارية) وهذا يدخل تحته أمران وهو الموضع الثالث أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع. وصورته أن تختلف

---

(١) أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجا، عبد الرازق بن حمودة القادوسي ص/٣٠٦

(٢) أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجا، عبد الرازق بن حمودة القادوسي ص/٣٠٧

الجملتان خبرا وإنشاء، الأصل في العطف عند البيانيين أن يعطف الخبر على الخبر، والإنشاء على الإنشاء مطلقا لفظا ومعنى؟ لفظا ومعنى هذا الأصل، فإن اختلفا في **اللفظ والمعنى**، أو في المعنى دون اللفظ، أو في اللفظ، في البعض دون المعنى، يعني كانت الأولى خبرية لفظا إنشائية معنى، وكانت الثانية إنشائية لفظا خبرية المعنى، حينئذ قالوا: هذا حصل فيه اختلاف.

إذا كمال الانقطاع أن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء، لفظا ومعنى، أو معنى فقط، أو يفقد الجامع، لا بد من تحقق أمرين.

مثال كمال الانقطاع: مات فلان رحمه الله. هل يصح أن يقال مات فلان ورحمه الله؟ لا يصح، لماذا؟ لكون الأولى خبرا لفظا ومعنى، والثانية خبر لفظا لا معنى. لأن رحمه الله عرفنا قبل قليل أنه ثم قد يقع الخبر موضع الإنشاء، وهنا وقع الخبر موضع الإنشاء رحمه الله بمعنى يرحمه الله. إذا لما اختلفا في المعنى خبرا وإنشاء حينئذ وجب الفصل. إذا مات فلان رحمه الله، أي يرحمه الله. فهو إنشاء معنى فلا يصح عطفه على مات فلان، لأنه خبر لفظا ومعنى.

إذا هذا الموضع الثالث من المواضع التي يجب فيها الفصل فصل جملة الثانية على الأولى ولا يجوز العطف إذا كان بين الجملتين كمال الانقطاع لأن اختلفتا خبرا وإنشاء أو فقد الجامع، وسيأتي فقد الجامع.

الموضع الرابع من مواضع وجوب الفصل: شبه الانقطاع. يعني شبه كمال الانقطاع. بأن يكون عطف الثاني على الأولى موهما لعطفها على غيرها. يعني: لو عطفنا لوقع وهم أو فسد المعنى مثاله المشهور عندهم:

وتظن سلمى أنني أبغي بها ... بدلا أراها في الضلال تهيم

تظن سلمى ماذا؟ أنني أبغي بها بدلا، هذا مظنون سلمى، أراها يعني أنا. في الضلال تهيم، ولو عطف أراها على أبغي لصار من مظنون سلمى. إذا العطف هنا يفسد المعنى، حينئذ نقول: يجب الفصل لأننا لو عطفنا أراها على أبغي لصار من مظنون سلمى، تظن سلمى ماذا؟ أنني أبغي بها بدلا، وهل تظن أنني أراها في الضلال تهيم؟ الجواب: لا. هذا من مظنون المتكلم الشاعر نفسه، وأما هي فلا. إذا نقول: فصل أراها عن أبغي، لأنه لو عطف لظن أنه معطوف على أبغي، وليس مرادا بل يفسد المعنى. اتضح هذا؟ إذا عطف هنا صار من مظنون سلمى، تظن سلمى أنني أبغي. إذا هذا مظنون سلمى، هذا الذي تظنه سلمى. أراها في الضلال تهيم. هذا مظنوني أنا، فلو عطفته على أبغي لظن أنه من مظنون سلمى فسد المعنى.." (١)

"يسير الباب نأتي عليه (الباب الثامن) وهو خاتمة الأبواب الثمانية التي انحصر فيها علم المعاني، وهو: (الإيجاز والإطناب). هذا هو الباب الثامن، وهو باب عظيم حتى نقل صاحب ((سر الفصاحة)) عن بعضها أن البلاغة هي الإيجاز والإطناب كما قيل في الوصل والفصل، (الإيجاز والإطناب) هي البلاغة ولم يذكر الناظم المساواة، (الإيجاز والإطناب) ولم يذكر المساواة هذه مما يستدل بها على أن الناظم لم ينظم ((التلخيص)) لأن ((التلخيص)) ذكر المساواة جعلها أصل، مساواة وإيجاز وإطناب، وهنا أسقط المساواة، ولم يذكر المساواة للعلم بها مما ذكره في حد (الإيجاز والإطناب). هذا إذا أردنا

---

(١) شرح مائة المعاني والبيان، أحمد بن عمر الحازمي ٦/١١

أن نجعل النظم صار على ما صار عليه الكثير من البيانيين، وإن رأينا أنه جنح إلى رأي ابن الأثير أن المساواة لا وجود لها، إما إيجاز، وإما إطناب. حينئذ نقول: خالف كثيرا من البيانيين. وأيضا لقلة الأبحاث المتعلقة بالمساواة لم يذكرها، الإيجاز والإطناب والمساواة هذه ثلاثة أبحاث، لماذا انقسمت إلى ثلاثة ألفاظ لمعانيها؟ لأن المقبول من طرق التعبير إذا تكلم المتكلم ليس كل ما تكلم به يكون مقبولا، وإنما المقبول قالوا: إما أن يعبر عن المراد تأدية أصله بلفظ مساو له، فالمقبول من طرق التعبير عن المراد إما أن يكون بتأدية أصله بلفظ مساو له، أو ناقص عنه واف، أو زائد عليه بفائدة، يعني إذا تكلم متكلم **اللفظ والمعنى**:

إما أن يكون متساويين.

وإما أن يكون أحدهما زائد على الآخر.

وإما أن يكون ناقصا.

فالمساوي هو المساواة، والناقص هو الإيجاز، والزائد هو الإطناب.

فالمقبول من طرق التعبير عن المراد تأدية أصله بلفظ مساو له تأدية أصل يعني المعنى أصل المراد بلفظ مساو له، يعني **اللفظ والمعنى** متساويان ليس أحدهما أزيد من الثاني.

أو ناقص عنه واف، يعني اللفظ ناقص عن المعنى والمعنى كثير هذا يسمى الإيجاز.

أو زائد عليه بفائدة، وهذا يسمى الإطناب.

فالأول المساواة، والثاني الإيجاز، والثالث الإطناب.

فالمساواة نحو قوله تعالى مثل لها الناظم ولا يذكرها ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ [فاطر: ٤٣] والمثال هذا فيه كلام لكن من باب المثال فقط ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ قالوا: فإذا تأملت الآية وجدتها منطبقة على معانها من غير زيادة ولا نقصان. إذا المساواة هي في حقيقتها تأدية أصل المعنى بلفظ مساو له لفائدة، والمثال هو المذكور، وأشار الناظم إلى تعريف ما بوب له وهو الإيجاز والإطناب بقوله: (توفية المراد بالناقص من ** لفظ له الإيجاز)

ما هو الإيجاز؟ (توفية المراد) يقال: وفى الشيء يفي وفيا على فعول أي تم وكثر. وأوفى على الشيء وأوفاه حقه ووفى توفية بمعنى أنه أعطاه. إذا (توفية المراد) يعني إعطاء المراد الذي هو المعنى، والمراد به أصل المعنى (توفية المراد) أي توفية المعنى المقصود من اللفظ. (بالناقص) يعني باللفظ الناقص، عنه عن أصل المراد إذا عندنا أمران:

أصل المراد وهو المعنى.." (١)

"باسم به يختص للبيان: للبيان الأخير هذا في البيت، هذا اسم مصدر لـ (بين) بين يبين تبيينا، وبين يبين بيانا هذا اسم مصدر، فحينئذ لا يكون في البيت إيطاء، وهو أن يكرر اللفظ بعينه لفظا ومعنى، هذا معيب عندهم، إذا كرر آخر الشطر الأول ونهاية البيت بلفظ واحد متفق في **اللفظ والمعنى**، قالوا: هذا معيب، يسمى: إيطاء، وإذا فرق بينهما من جهة المعنى حينئذ نقول: لا إيطاء.

---

(١) شرح مائة المعاني والبيان، أحمد بن عمر الحازمي ١٣/١١

إذن: إذا حمل البيان في الأول .. الشطر الأول على التابع المخصوص، ثم جعل البيان في نهاية البيت على أنه اسم مصدر لـ (بين) نقول: فلا إيطاء.

وعطفوا عليه، أي: على المسند إليه، بالبيان: عطفا ملابسا للمعطوف البياني، فالباء هنا للملابسة، حينئذ نقول: تعقيب المسند إليه بعطف البيان كما ذكر الناظم هنا: باسم به يختص للبيان، يعني: فلإيضاحه باسم يختص به، باسم: هذا جار ومجرور متعلق بقوله: للبيان في آخر البيت .. جار ومجرور متعلق بقوله: للبيان الذي هو اسم مصدر.

به: هذا جار ومجرور متعلق بقوله: يختص، حينئذ يكون التركيب: وعطفوا عليه بالبيان يعني: بالتابع المخصوص للبيان لاسم يختص به .. للبيان، عين: للإيضاح، باسم يختص به ولا يتعداه إلى غيره.

إذن: فائدة البيان .. عطف البيان هي الإيضاح، قال: للبيان التي في آخر البيت، هذا اسم مصدر بمعنى: البيان .. بمعنى الإيضاح والتفسير والكشف لا إشكال في هذا، حينئذ نقول: وعطفوا عليه بالبيان: للبيان باسم يختص به، فلا يشمل غيره. وحينئذ لا يلزم أن يكون الثاني أوضح، لأنه قد يحصل البيان والإيضاح باجتماعهما، كما في قوله: أقسم بالله أبو حفص عمر، الكنية قد تكون أوضح وأعرف من العلم؛ لأن العلم قد يكون مشتركا، فلا يعرف عمر من هذا؟ عمر وعمر وعمر، لكن قد يختص بالكنية، فإذا أطلق أبو حفص انصرف إلى عمر معين، فحينئذ نقول: لا يلزم أن يكون عطف البيان أوضح من المبين، بل قد يحصل البيان والإيضاح باجتماعهما معا.

مثلوا لذلك بما إذا كانت الكنية خاصة، إذا أطلق انصرف إلى معهوده، والعلم قد يكون مشتركا فلا يفهم، لو قيل: أقسم بالله عمر، عمر من .. إذا لم يكن ثم قرينة من المقام والسياق، عمر من؟ لكن عندما قال: أقسم بالله أبو حفص عمر، عرفنا أن المراد به عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

وعطفوا عليه بالبيان، يعني: تعقيب المسند إليه بعطف البيان، فلإيضاحه كما قال في آخر البيت، إيضاحه بماذا؟ باسم يختص به، ولا يلزم أن يكون الثاني أوضح؛ لجواز أن يحصل الإيضاح باجتماعهما.

قدم صديقك خالد: وقد يكون المخاطب لا، أو المخاطب له أكثر من صديق، قدم صديقك، من؟ هذا يحتاج إلى إيضاح .. يحتاج إلى بيان، من؟ تقول: خالد، إذن: خالد هذا نقول: عطف بيان، حصل به الإيضاح أو لا؟ حصل به الإيضاح، بماذا باسم إشارة أو حصل بماذا؟ نقول: باسم يختص به، فحينئذ حصل الكشف والإيضاح.

وعطفوا عليه بالبيان ... باسم به يختص ...." (١)

"أيهما أولى .. أيهما ألصق؟ ضربت ضربا زيدا، أو ضربت زيدا ضربا؟ الألصق هو المفعول المطلق، والمصدر المفعول المطلق أصل الفعل، والمفعول به قد يكون في المعنى فاعلا، لكنه في الاصطلاح لا يسمى فاعلا، وإنما يكون من جهة المعنى كفاعل أعطى .. كفاعل أعطى الأول، وما كان بلا واسطة مقدما على الذي بواسطة، هذا لا إشكال فيه، ما كان بلا واسطة مقدما على الذي بواسطة، شكرت زيدا لعلمه، شكرت هذا يتعدى إلى مفعولين، أحدهما بدون واسطة، والثاني بواسطة، أيهما الأولى في التقديم؟ ما لم يكن بواسطة هو المقدم على ما كان بواسطة، ثم المفعول فيه الزماني، لأنه ألزم للفعل

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٢/١٨

ولا يقع في غيره ودل عليه بصيغته، لأن الزمن يؤخذ من الفعل بدلالة الصيغة، ضرب: الصيغة دلت على الزمن الماضي، يضرب: الصيغة دلت على الزمن الحال، اضرب: الصيغة دلت على الزمن المستقبل.

من أين عرفنا الزمن؟ نقول: بصيغته، كونه على وزن فعل يفعل افعل، هذا المراد بالصيغة الحركات والسكنات، وأما المكاني فهو مدلول عليه بدلالة اللزوم، ضرب زيد عمرا، هل نأخذ من اللفظ الزمن؟ نعم من اللفظ، كونه على وزن ضرب عرفنا أنه في الزمن الماضي، لا الحال ولا المستقبل، لكن أين ضربه؟ لا بد من مكان، أين هو المكان؟ الله أعلم، لا بد من لفظ يبين حقيقة هذا المكان، وأما كونه في مكان فلا بد من هذا، لأنه لا يمكن أن يضرب زيد عمرا لا في مكان، كما أنه لا يمكن أن يضربه لا في زمن، الحدث لا بد له من زمن، ولا بد له من مكان، لكن دلالة الحدث الذي هو الفعل على الزمان باللفظ .. بالصيغة، وأما دلالته على المكان فهو باللازم، أمر الذهن خارج عن اللفظ، كما نقول: أن المحدث الفاعل .. الفعل لا بد له من فاعل، لماذا؟ لدلالة العطف: أن كل حدث لا بد له من محدث، إذن: شيء خارج عن اللفظ.

كذلك هنا نقول: إذا اجتمع الظرف الزماني والمكان قدم الزماني لأنه ألصق وألزم، ولأنه يدل عليه بصيغته بخلاف المكاني، ثم المكاني أقرب إلى اللزوم، ودل عليه الفعل باللازم لا بالصيغة، ثم المفعول له؛ لأن له غرضا لا يخلو فعل عاقل عنه، ثم المفعول معه بعد ذلك لقلة رعايته، آخر المفاعيل المفعول معه، ولذلك في إثباته خلاف، بعضهم ينفيه يقول: لا مفعول معه عنده، قلنا: وأكثر الكوفيين على هذا، أنهم ينكرون المفعول معه.

واتباع الحال والنعت لصاحبها هذا أمر ظاهر، لماذا الحال تأتي عقيب صاحب الحال؟ لأنها في المعنى صفة، وصاحب الحال في المعنى موصوف، إذن لا إشكال، كذلك التابع مع المتبوع هو في المعنى صفة، وتقديم النعت على غيره من التوابع؛ لأنه وصف وهو ألزم للموصوف، لأن العرب إذا أرادت أن تنعت جاءت به على صيغة معينة وشروط، فحينئذ ما كان وصفا في المعنى، وما كان وصفا في **اللفظ والمعنى** أيهما أولى؟ الثاني: ما كان وصفا في **اللفظ والمعنى** بشرطه الذي وضعته وقصدته العرب إذا اجتمع مع غيره وهو وصف في المعنى، ولم يكن مقصودا عند العرب ولم تضع له قواعد وضوابط حينئذ نقول: الأول مقدم على الثاني.." (١)

"عناصر الدرس

* باب الإيجاز والإطناب والمساواة.
* تعريف الإيجاز والإطناب والمساواة: لغة واصطلاحا.
* هل المساواة قسم مستقل بذاته؟
* أمثلة على المساواة، والإجابة على الاعتراضات التي وردت عليها.
* ينقسم الإيجاز إلى قسمين.
* الفرق بين قسمي الإيجاز، وكيفية التفريق بينهما.
* أمثلة على الإيجاز بقسميه.

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٥/٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

قال المصنف رحمه الله تعالى:

الباب الثامن: الإيجاز والإطناب والمساواة.

الباب الثامن وهو خاتمة أبواب فن المعاني، وقلنا: هي ثمانية أبواب، وهذا هو خاتمتها: الإيجاز والإطناب والمساواة، وهو باب عظيم من أبواب علم المعاني كسابقه باب الوصل والفصل، حتى قيل: إن البلاغة هي الإيجاز والإطناب، كما قيل في الفصل والوصل.

الإيجاز والإطناب والمساواة، قدم صاحب التلخيص هنا الإيجاز على الإطناب والمساواة. أخر المساواة، وبعضهم قدم المساواة على الإيجاز والإطناب، ثم خلاف في الترتيب والتقديم، مع أنه في التعريف قدم المساواة، قال ماذا؟

تأدية المعنى بلفظ قدره ... هي المساواة ك "سر بذكره"

وبأقل منه إيجاز علم ... وهو إلى قصر وحذف ينقسم

فقدم المساواة على الإيجاز في باب التعريف، وأما في الترجمة فقدم الإيجاز والإطناب على المساواة، نقول: قدم في الترجمة الإيجاز تنبيها على أنه يناسبه التقديم في الكلام، وأردفه بالإطناب لكونه مقابلا له، لأن الكلام باعتبار **المعنى واللفظ** إما أن يتساويا بأن يكون اللفظ مساويا للمعنى، والمعنى مساويا للفظ، ليس أحدهما أقل من الآخر، ولا أكثر من الآخر، هذا هو المساواة.

وقد يكون اللفظ أقل من المعنى، المعنى كثير واللفظ يسير، والإطناب بعكسه: الأول الإيجاز والثاني الإطناب، فإذا كان الكلام كثير الكلمات والألفاظ كثيرة، ولكن المعنى أقل، هذا يسمى إطنابا، أطنب في الكلام بمعنى: أنه أكثر من **اللفظ والمعنى** يسير، وبالعكس هو الإيجاز: أن يأتي بالمعنى الكثير بألفاظ قليلة، حينئذ يسمى اختصارا ويسمى إيجازا.

إذن: بدأ بالإيجاز لأنه يناسبه التقديم في الكلام، وأردفه بالإطناب لكونه مقابلا له، ثم لما كان للمساواة ما يقتضي تقديمها، وهو كونها الأصل المقيس عليه، قدمها في المترجم له تنبيها عليه، لماذا؟ لأننا لا نحكم بأقل أو أكثر إلا إذا عرفنا المساواة، فأولا تقدر في نفسك أن هذا الكلام إذا أردت أن يكون مساويا فلا بد أن تأتي بكذا وكذا، ثم بعد ذلك تتفرع منه إلى الحكم بالإيجاز والإطناب، فالأول يتصور في الذهن هو المساواة، ثم بعد ذلك يتفرع عنه الحكم بالإيجاز والإطناب، لأنك تقول: هذا إيجاز بمعنى: أنه كلام من حيث المعنى كثير، ومن حيث اللفظ يسير، متى تحكم؟ لأنك تتصور أولا المساواة، ثم تقول: هذا المعنى أكثر من لفظه، فتحكم بالإيجاز، أو تتصور في نفسك أولا المساواة بأن **المعنى واللفظ** ينبغي أن يتطابقا من حيث كذا، ولكن هذا اللفظ أكثر من المعنى، فاستحضرت أولا في الذهن المساواة، ثم بعد ذلك حكمت بالإطناب.

إذن: الأصل المقيس عليه الذي يتفرع عنه الحكم بالإيجاز والإطناب هو المساواة، فمن لم يعرف المساواة لا يعرف الإيجاز ولا الإطناب.." (١)

"تأدية المعنى، يعني: الذي يوصل إلى تأدية المعنى، والمراد بتأدية المعنى الدلالة على المعنى المراد، لأننا كما قررنا: أن الكلام هنا باعتبار **اللفظ والمعنى** معا، فيجعل اللفظ بإزاء المعنى، وكذلك المعنى بإزاء اللفظ، فالنظر إليهما معا، فالأصل المعاني قائمة بالنفس، وإنما تكون الألفاظ قوالب من أجل إيصال هذه المعاني إلى المخاطب، تأدية المعنى .. المعنى: ما يقصد من اللفظ، وما يعبر عنه بالمفهوم.

تأدية المعنى، أي: الدلالة على المعنى المراد بلفظ قدره .. بلفظ قدره، الأصل بالتنوين حذفه للوزن، بلفظ قدره، قدره: هذا بدل من قوله: بلفظ، يعني: بلفظ قدره، الضمير يعود إلى المعنى، يعني: بلفظ بمقدار المعنى الذي أردت إيصاله إلى المخاطب، بلفظ قدره، يعني: بلفظ مقدار المعنى الذي أردت إيصاله إلى المخاطب، فالقدر المقدار، ومساوي الشيء من غير زيادة ولا نقصان، بأن يؤدى بما وضع لأجزائه مطابقة أو بما يساويه، يعني: تأتي باللفظ الذي يؤدي المعنى، ويكون هذا المعنى موضوعا له مطابقة في لسان العرب، سبق معنا ويأتي أيضا دلالة المطابقة، وهو أن يكون اللفظ مساويا للمعنى من طابق النعل النعل إذا ساواه، حينئذ يكون اللفظ مساويا للمعنى بحيث لا يزيد المعنى على اللفظ ولا العكس.

حينئذ نقول هنا: مساوي الشيء من غير زيادة ولا نقصان بأن يؤدى المعنى بما وضع لأجزائه مطابقة، أو بما يساويه، والمراد به قد يستعمل اللفظ في التركيب مجازا، حينئذ تكون المساواة في الحقيقة، وتكون كذلك في المجاز.

تأدية المعنى بلفظ قدره هي المساواة، هي أي: تلك التأدية، تأدية المعنى المساواة، يعني: المسماة في الاصطلاح .. اصطلاح البيانيين: المساواة، وقد يسمى نفس اللفظ المجعول دالا مساواة، يعني: هل التأدية، هنا قال: تأدية المعنى، الوصف لأي شيء؟ قال: هي، أي: التأدية، هذا شيء معنوي، هل التأدية كونك تفعل هذا بأن تأتي بلفظ مساويا للمعنى، هو المساواة أو هو وصف للفظ والمعنى؟ قيل وقيل، لكن ظاهر كلام الناظم هنا: هي المساواة، هي، أي: تأدية المعنى المساواة.

حينئذ عبر عن المعنى باللفظ، فحينئذ يكون المعنى المصدري هو المراد هنا، وقد يسمى نفس اللفظ المجعول دالا مساواة، وهو الذي مثل له المصنف: كـ "سر بذكره" حينئذ يكون المساواة قد يطلق ويراد به المعنى، الذي هو المعنى المصدري، وقد يطلق ويراد به نفس اللفظ، وهذا يحتمل هذا وذاك، لكن لقوله كـ "سر بذكره" حينئذ نقول: الناظم أراد به اللفظ.

وقد يسمى نفس اللفظ المجعول دالا مساواة، وهو الذي مثل له المصنف.." (٢)

"إذن: ((ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله)) [فاطر:٤٣] مثال صحيح للمساواة، وهنا في هذا التركيب **اللفظ والمعنى** مستويان، بمعنى: ليس اللفظ زائدا على المعنى، ولا المعنى زائدا على اللفظ، حينئذ إذا قيل بكون المحذوف هنا: بأحد وهو مستثنى منه، نقول: هذا إنما يقدر من أجل مراعاة اللفظ فحسب، يعني: قواعد النحاة.

تأدية المعنى بلفظ قدره ... هي المساواة كـ "سر بذكره"

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ١/٢٩

(٢) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٣/٢٩

وبأقل منه إيجاز علم ... وهو إلى قصر وحذف ينقسم

كـ "سر بذكره": هذا مثال اعترض عليه المحشي هناك، بأنه من الإيجاز، لأن المثال فيه حذف المفعول الذي لا يعلم بالقرينة لاحتمال اللفظ في ذاته لمعنى: سر بذكره لقضاء حاجتك ونحو ذلك، سر بذكره .. حينئذ المناسب النسخة الثانية: سد بذكره، سد السيادة تكون ذاتية، وأما: سر بذكره، في ماذا .. في أي شيء؟ قال: لقضاء حاجتك، فحينئذ قضاء الحاجة إنما يتمكن منه ويعان بذكر الله تعالى، وهنا يحتمل أنه من باب حذف المتعلق لإفادة العموم، وإذا كان كذلك فلا اعتراض: ((قل هل يستوي الذين يعلمون)) [الزمر:٩] لذات العلم، يعلمون ماذا؟ نقول: هنا نزل المتعدي منزلة اللازم، حينئذ لا يتعدى، فلا تقول: أين المفعول في قوله: ((قل هل يستوي الذين يعلمون)) [الزمر:٩] .. يعلمون ماذا؟ نقول: ليس عندنا مفعول به، لماذا؟

لأن المتعدي وهو يعلم نزل منزلة الفعل القاصر الذي لا يتعدى، لأن المراد هنا مساواة من يعلم بما لايعلم، العلم صفة محمودة بقطع النظر عن كونه يعلم ماذا؟ والجهل الذي لا يعلم صفة مذمومة، حينئذ مقارنة بعلم ضده جهل، أما العلم بأي شيء ليس هذا مرادا بالآية، سر بذكره حينئذ سر إلى كل ما يمكن السير إليه، فحذف الجار والمجرور لإفادة العموم، فلا اعتراض على ما ذكره المحشي.

وبأقل منه إيجاز علم: الإيجاز .. الإيجاز لغة: التقصير ضد التطويل، يقال أوجزت الكلام، أي: قصرته، وأوجز الكلام .. أوجزت الكلام، وأوجز الكلام، صح؟ أوجز الكلام .. لا إذا قيل في مثل هذا لا يقال فيه مجاز، الكلام الآن في التركيب .. في اللفظ، لفظ الواحد، يعني: استعمل متعديا واستعمل قاصرا هذا مراده، أوجزت الكلام، الكلام: مفعول صار متعديا، أوجز الكلام في نفسه، حينئذ نقول: هذا قاصر، أي: قصر فورد متعديا ولازما، ويقال: كلام موجز بالفتح من أوجز المتعدي، وكلام موجز بالكسر، من أوجز اللازم، حينئذ موجز من المتعدي، وموجز من اللازم، ووجيز .. الوجيز عند الشافعية من أوجز منطقه بالرفع.." (١)

"وبفتحها: (مقدمة) كمقدمة الرحل في لغة، يعني: بفتح الدال، حينئذ تكون أمور مقدمة يعني: من "قدم" المتعدي، إذا كانت بكسر الدال فهي مأخوذة من "قدم" اللازم، وقيل: من "قدم" المتعدي، يعني: إذا كانت بالكسر يجوز الوجهان، أن تكون مأخوذة من "قدم" المتعدي، أو "قدم" اللازم، وإذا كانت بفتح الدال: (مقدمة) فهي لا تكون إلا من "قدم" المتعدي، ولا تكون من اللازم.

إذا كانت من "قدم" اللازم تفسر بأنها أمور متقدمة، يعني: بنفسها كمقدمة الجيش، وإذا كانت من "قدم" المتعدي هي أمور مقدمة، والمعنى المؤدى واحد.

المقدمة مقدمتان عند أهل العلم كما مر معنا مرارا: مقدمة كتاب، ومقدمة علم، مقدمة الكتاب يحدونها بأنها اسم لطائفة تقدمت أمام المقصود لارتباط له بها، وانتفاع بها فيه، سواء توقف عليها الشروع في الفن أم لا، ومقدمة العلم ما هو؟ مقدمة

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٧/٢٩

العلم ما يتوقف عليه الشروع في الفن، من معرفة حده وموضوعه وغايته:

إن مبادي كل فن عشرة

ج ... الحد والموضوع ثم الثمرة

وفضله ونسبة والواضع ... والاسم الاستمداد حكم الشارع

مسائل والبعض بالبعض اكتفى

جج ... ومن درى الجميع حاز الشرفا

ج

هذه تسمى مقدمة علم، يعني: يذكر فيها الناظم أو الشارح أو غيرهما، يذكر حد العلم أو موضوعه، وغايته وفائدته ومسائله، إلى آخر ما ذكر في النظم وهو لمحمد بن علي الصبان، نظمه في حاشيته على شرح الملوي على السنة؛ لأن بعضهم ينسبها إلى غير محمد بن علي الصبان.

العلاقة بين المقدمتين، نقول: مقدمة الكتاب عند الكثيرين اسم للألفاظ المخصوصة الدالة على المعاني المخصوصة، فمقدمة العلم اسم للمعاني المخصوصة، إذن: من جهة المفهوم بين المقدمتين التباين؛ لأن مقدمة الكتاب اسم للألفاظ، ومقدمة العلم اسم للمعاني، **واللفظ والمعنى** متباينان في الأصل، ومقدمة العلم ومقدمة الكتاب ينظر إليهما باعتبار المفهوم، وينظر إليهما باعتبار الوجود، يعني: بالفعل، اعتبار المفهوم يعني: بالعقل، اعتبار المفهوم بالعقل، بينهما التباين، وباعتبار الوجود بينهما العموم والخصوص المطلق، والأعم: مقدمة الكتاب، الأخص مقدمة العلم، كلما وجدت مقدمة الكتاب وجدت مقدمة العلم من غير العكس، وهذا الكلام يحتاج إلى شرح طويل، فيه اعتراضات وأخذ وعطاء في حواشي التفسير وفي حواشي الأصول وغير ذلك.

(المقدمة) هنا جرى على ما ذكره صاحب الأصل، الأصل في الناظم أنه وإن اختصر بعض المسائل إلا أنه جرى في الترتيب على ما جرى عليه صاحب الأصل، الخطيب القزويني صاحب التلخيص، جعل الكتاب مؤلفا من مقدمة وثلاثة فنون، وذكر خاتمة بعد فن البديع، واختلفوا:." (١)

"ثم العرفي في كل منهما ينقسم إلى عرف عام وعرف خاص، إذا: اللفظ .. لا بد أن يكون اللفظ مأخوذا في حد الاستعارة، المستعمل في غير ما وضع له: احترازا عن الحقيقة، لأن استعمال اللفظ فيما وضع له هو الحقيقة، استعمال اللفظ في غير ما وضع له هذا يسمى مجازا، والاستعارة نوع من أنواع المجاز، إذا: لا بد من التنصيص على أنها مجاز.

اللفظ المستعمل في غير ما وضع لعلاقة المشابهة، احترزنا عن اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لا لعلاقة المشابهة، كالجزئية والكلية والمحلية والظرفية إلى آخره، فهذا يسمى مجازا مرسلا.

إذا عرف حد الاستعارة حينئذ لا إشكال في قوله: (وهي مجاز لغة) يعني: بأنها مجاز لغوي، لأن استعمال اللفظ في غير ما

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٢/٣

وضع له، وأما القول بأنها مجاز عقلي نظرا إلى التصرف والتصريف في المعنى، وتسوية معنى بآخر، نقول: هذا وإن كان موجودا في الاستعارة إلا أن الأصل هو أن اللفظ موضوع لما لفرد معين كالأسد مثلا في الحيوان المفترس، وادعاء أن المشبه من جنس المشبه به هذا تصريف عقلي لكنه لا ينفي الأصل، وهو أنه باتفاق أن الأسد وضع لفرد واحد وهو السبع وهو الحيوان المفترس .. السبع المخصوص.

حينئذ لما اتفق أهل اللغة على أن لفظ (الأسد) وضع لفرد واحد حينئذ تسوية غير هذا الفرد به للجراءة أو الشجاعة لا يلزم منه أن اللفظ إذا استعمل فيه لما ساواه للفرع، أن يكون حقيقة بل هو مجاز، اتفق القولان بأنها مجاز لغوي أو مجاز عقلي: بأن الاستعارة مبينة على ادعاء أن المشبه من جنس المشبه به.

مثلا: رأيت أسدا يرمي وعنيت به زيدا، (زيد) هو المشبه، والمشبه به هو الأسد، لكون زيد رجلا شجاعا فقد شابه الحيوان المفترس في الشجاعة، حينئذ إذا أردنا الاستعارة لا بد أن ندعيه ونتأول .. نقدر، يعني: شيئا اعتباريا، بأن زيد فرد من أفراد لفظ الأسد.

حينئذ من أجل أن يكون المجاز موضوعا وضعا لغويا صار لفظ الأسد موضوعا لفردين، يعني: معناه فردان، فرد متعارف مشهور وهو السبع المخصوص، وفرد مدعى وهو الرجل الشجاع، حينئذ نقول: اللفظ له معنيان، هل بواسطة الادعاء بأن المشبه من جنس المشبه به صار إطلاق الأسد على الفرد الملحق المتأول هذا حقيقة؟ الجواب: لا، ولذلك منع الجمهور من القول القائل: بأن الاستعارة مجاز عقلي بكون هذا التصريف هو المجوز، وأن الذي أطلق إنما هو اللفظ فقط وليس المعنى.

فإذا قيل: رأيت أسدا يرمي، قالوا: هنا سحب لفظ مجرد دون معنى، فأطلق اللفظ على الرجل الشجاع، نقول: لا، بل نقل **اللفظ والمعنى** كذلك، وليس مجرد لفظ فحسب، من أجل أن يقال: بأنه استعمل فيما وضع له، حينئذ صار لفظ الأسد يدل على شيئين: فرد متعارف، وفرد غير متعارف، استعماله في الفرد المتعارف الذي هو السبع المخصوص حقيقة، استعماله في الفرد غير المتعارف نقول: هذا مجاز.." (١)

"جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد، أي: في شيء ما لا من جهة التضاد، في أي مناسبة بينهما، لكن لا من جهة التضاد، بل بالتوافق، أن يكون بينهما موافقة في كون ما جمع من واد واحد لصحبته في إدراك، أو لمناسبة في شكل، أو لترتب بعض على بعض، أو ما أشبه شيئا من ذلك، ولما كان في هذا الجمع رعاية الشيء مع نظيره، أو شبيهه أو مناسبه، سمي مراعاة النظير، يعني: الموافقة يسمى بمراعاة النظير، لأن ثم مشاكلة وموافقة بين اللفظين، لا من جهة التضاد.

قالوا بقوله: لا بالتضاد، خرج الطباق، كقوله: ((الشمس والقمر بحسبان)) [الرحمن:٥] الشمس والقمر جمع بينهما ليسا متضادين وإنما الشمس آية النهار، والقمر آية الليل، إذا: جمع بينهما لأن الأولى الشمس وهي آية النهار، والقمر وهو آية الليل، حينئذ حصل مناسبة ومشاكلة بينهما.

وفي المثال هنا: ((الشمس والقمر بحسبان)) [الرحمن:٥] ناسب اللفظ اللفظ من حيث اللفظية فقط لا من جهة المعنى، فقد جمع بين أمرين كل منهما مناسب للآخر من جهة أن أحدهما آية الليل والآخر آية النهار، وقد يناسب اللفظ المعنى،

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٢/٣٧

و ((الشمس والقمر)) [الرحمن:٥] هنا وقع التناسب بين لفظين، وقد يقع التناسب بين لفظ ومعنى، وقد يقع التناسب بين معنى ومعنى، عرفنا التناسب بين لفظين: ((الشمس والقمر)) [الرحمن:٥].

وقد يقع بين **اللفظ والمعنى** كما في الحديث: ﴿ألا أخبركم بأهل الجنة: كل ضعيف متضعف أغبر ذي طمرين، لا يؤبه به، لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار: كل عتل جواظ متكبر﴾ إلى آخر الحديث، هنا انظر جاء في أهل الجنة بألفاظ رقيقة سهلة، وجاء عند ذكر أهل النار بألفاظ فيها شيء من القوة، ولذلك قالوا: أتى في أهل الجنة بألفاظ سهلة رقيقة، وفي أهل النار بألفاظ فجة شديدة، إذا: هنا مناسبة بين **اللفظ والمعنى**، فروعي في الأول الرقة والسهولة، وروعي في الثاني الشدة والفجة كما عبر غير واحد.

وقد يناسب المعنى المعنى، وهذا المراد به تشابه الأطراف .. تشابه الأطراف: المراد به المناسبة بين معنى ومعنى، ولذلك قالوا: وقد يناسب المعنى المعنى، بأن يؤتى في الكلام بما يناسب أوله، وهو الذي سبق: تشابه الأطراف.

ثم قال:

والعكس والتسهيم والمشاكلة ... تزاوج رجوع او مقابلة

ج

هذا البيت ذكر فيه ستة ألقاب، يأتي بحثها إن شاء الله تعالى.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... !!!." (١)

"فمثال الأول، الأول –أن يجعل أحد اللفظين المكررين–، قوله تعالى: ((وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه)) [الأحزاب:٣٧] تخشى .. تخشاه، وقع في أول الفقرة، وهذا في آخرها، كل منهما مكرر، يعني: متماثلين ((وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه)) [الأحزاب:٣٧] وهذا هو المثال الذي ذكره الناظم رحمه الله تعالى: يأتي

مكررا مجانسا وما التحق يأتي ك" تخشى الناس والله أحق"

إذا: وقع التكرار في أول العجز، وهذا الذي يسمى: رد عجز اللفظ على صدره، يعني: يأتي اللفظ الأخير موافق للصدر، إذا مثال الأول المكرر: ((وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه)) [الأحزاب:٣٧] فهما متماثلان، وعبارة المصنف: متكرران، ومثله: الحيلة ترك الحيلة، تكرار.

ومثال الثاني: المتجانسين، نحو قولك: سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل، هنا تجانس ليس بينهما اتحاد كالسابق، حيلة .. حيلة، لفظا ومعنى، تخشى .. تخشاه، **اللفظ والمعنى** بمعنى واحد.

إذا المكرر: هو الذي اتحد فيه **اللفظ والمعنى**.

وأما المجانس: اتحد فيه اللفظ فقط، والمعنى مختلف: سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل، هنا رد العجز .. عجز اللفظ على صدره، يعني: صارا متحدين .. صار بينهما تجانس، سائل الأول: من السؤال، والثاني: من السيلان لكنهما متجانسين،

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ١٦/٤٢

إذا: وقع التجانس بين اللفظين في اللفظ فحسب، وأما المعنى فهما مختلفان.
ومثال الثالث، الذي هو الملحق .. الذي هو المشتق وشبهه، الذي أخذناه في البيت السابق، المشتق وشبهه هو الملحق، قوله تعالى: ((فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا)) [نوح:١٠] استغفروا .. غفارا: متشابهان لرجوعهما في الاشتقاق إلى أصل واحد، من الغفر أو المغفرة، فهما مشتقان من أصل واحد، إذا: جمعهما الاشتقاق، وكقوله: ((قال إني لعملكم من القالين)) [الشعراء:١٦٨] السابق، فإنهما وإن لم يرجعا إلى أصل واحد، لكن حروف أصلهما متحدة، وهذا كله في النثر.
وأما الشعر فأشار إليه الناظم بقوله: والنظم، يعني: وفي النظم، ومنه رد عجز اللفظ على صدر: له يعني، ففي نثر إذا: في تفصل، الفاء هنا للتفصيل، ففي نثر بفقرة: الباء هنا بمعنى: (في) يعني: في فقرة، ومتعلق بجلا، والفقرة قيل: هي قطعة من الكلام جعلت مزاوجة لأخرى، وجلا هو، أي: الرد، حال كونه مكتنفا، والاكتناف: هو الإحاطة.
والنظم الاول أولا آخر مصراع فما قبل تلا: يعني: وفي النظم، أي: الشعر، وهو في النظم أن يكون الأول: الذي هو اللفظ الأول، أولا آخر مصراع، يعني: يقع أولا في المصراع الأخير، آخر مصراع: من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي: المصراع الثاني، والمصراع من البيت، يعني: من الشعر: نصفه، يجمع على مصاريع .. مفاعيل، فما قبل، يعني: قبل أول المصارع الثاني تلا، أي: تلاه.." (١)

"ك" تخشى الناس والله أحق" يعني: أحق أن تخشاه، وهذا مثال للمكرر، يعني: اتحدا في **اللفظ والمعنى**، أي: يأتي الرد المذكور .. رد العجز للصدر بأن تقع اللفظة صدرا لفقرة من النثر، أي: في أولها، ويقع مثلها في **اللفظ والمعنى** مكررا، أو مشابها له في اللفظ دون المعنى، وما التحق، أي: والملحق به، والمراد به بالملحق بالمجانس: ما يجمعه وغيره الاشتقاق الأصغر، أو شبهه في تماثل الحروف على ما سبق، قال .. قالين، في آخر تلك الفقرة، فالملحق نوعان:
مثال الأول: ((فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا)) [نوح:١٠].
ومثال الثاني: ((قال إني لعملكم من القالين)) [الشعراء:١٦٨] فهو شبهه في تماثل الحروف واتحادها، وإن لم يرجعا إلى أصل واحد.
إذا: هذا ما يتعلق بهذا النوع، وهو رد عجز اللفظ على صدره، إما أن يكون في النثر، وإما أن يكون في النظم، وكل منهما يأتي إما بالتكرار أو التجانس أو الإلحاق، وأوصلوها إلى عشرين، وأمثلتها توجد في المطولات.
والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين ... !!!." (٢)

"والقلب، يعني: من اللفظ .. من المحسنات اللفظية، والقلب كذلك: وهو أن يكون حروف الكلام على ترتيب، وهذا من الأشياء الطريفة، يعني: يقرأ طردا وعكسا، القلب المراد به: ما يقرأ طردا وعكسا، قد يكون في الكلمات .. كلمة أو كلمتين، أو جملة أو بيت كامل، يقرأ بطريقة ثم إذا عكسته يقرأ على نفس المنوال، لا بد أن يتحد في نفسه.
أن يكون حروف الكلام على ترتيب، بحيث لو افتتح من آخره إلى أوله لخرج النظم الأول بعينه، فهو كل لفظ إذا قلب

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ١٧/٤٦

(٢) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ١٩/٤٦

كان إياه، هو نفسه بعينه، يعني: تقرأه طردا وعكسا، ونفس **اللفظ والمعنى** ما يختلف، بحيث لا يختلف اللفظ في القراءة من أي طرفيه طردا وعكسا، ويسمى: المقلوب المستوي.

وهذا غير القلب الذي مر معنا في الجناس، قلنا: الجناس نوعان: قلب كل، وقلب بعض، هناك قلب ويختلف اللفظ: فتح .. حتف، اختلف اللفظ واختلف المعنى، وهنا لا: اللفظ كما هو سلس .. سلس، اللفظ هو بعينه، ولكن المعنى كما هو، بخلاف: فتح وحتف، هناك القلب يختلف اللفظ ويختلف المعنى، وإن سمي قلبا وهو واضح، كذلك هنا يسمى: قلبا، لكن بمعنى آخر، وهذا غير القلب الذي ذكر في الجناس، فإنه هناك إذا قلبت الكلمة تغير لفظها ومعناها: كفتح وحتف، ويجب ثم – هناك– ذكر اللفظين جميعا بخلاف هنا .. هنا ليس عندنا لفظان، ولذلك تقرأ: سلس .. وتعكسه سلس، ما تذكره مرة وتكتبه، هناك لا بد أن يذكر اللفظان: فتح وحتف .. لاح حال، كما سبق معنا، بخلافه هنا.

ويقع هذا هنا في كلمة أو كلمتين أو أكثر، في نظم أو نثر، يعني: عام، ومثال وقوعه في كلمة قوله: سلس .. اعكسها: سلس .. سلس .. باب .. خوخ، وفي كلمتين كذلك: أرض خضراء كذلك، وفي أكثر كقوله تعالى: ((كل في فلك)) [الأنبياء:٣٣] .. ((وربك فكبر)) [المدثر:٣] تعكسها، المعنى واحد واللفظ هو هو عينه.

من الغرائب أن بيت يقرأ بالعكس كذلك، ومنه قوله:

مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم

هذا يقرأ طردا وعكسا.

والقلب والتشريع .. قال الناظم: والتشريع، أي: ومن اللفظ التشريع، وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى على الوقوف على كل واحدة منها، وهذا متعلق بالعروض، يعني: لن يفهم إلا من فهم علم العروض، كقوله:

يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى وقرارة الأكدار

لو وقف عند قوله: شرك الردى صح البيت، وزيادة: وقرارة الأكدار، كذلك يصح البيت، إذا: بناء البيت على قافيتين: الردى .. الأكدار، يصح المعنى على الوقوف على كل واحدة منها، ولا يخرج عن كونه بيتا .. عن كونه شعرا:

يا خاطب الدنيا الدنـية إنها شرك الردى

صح البيت، وقرارة الأكدار، لو تمم صح البيت، فإن وقفت على الردى فالبيت من الضرب الثامن من الكامل، وإن وقفت على الأكدار فهو من الضرب الثاني منه، إذا صح، وهذا يسمى بالتشريع.." (١)

"والثاني، أي: الذي هو الجلي والظاهر أقسام، لأنه لا يخلو إما أن يأخذ المعنى جميعه مع لفظه الدال عليه، من غير تغيير لفظه، المصنف هنا أجمل فقال: تضمن المعنى جميعا مسجلا: مسجلا يعني: مطلقا، من أسجل الشيء: أرسله، وهذا الإطلاق يراد به أن يشمل هذا التعريف أقسام النوع الثاني، لأن التقسيم من حيث هو يقال: لا يخلو الشاعر الثاني إما أن يأخذ المعنى جميعه مع لفظه الدال عليه من غير تغيير، يعني: سرقة تامة، يأخذ البيت كما هو **المعنى واللفظ** لا يغير فيه شيئا البتة لا من جهة المعنى ولا من جهة اللفظ، هذه سرقة تامة كاملة واضحة بينة.

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ١٦/٤٧

إما أن يأخذ المعنى جميعه مع لفظه الدال عليه من غير تغيير لفظه، وكيفية ترتيبه وتأليفه الواقع بين مفرداته، أو أخذ بعضه فقط مع تغييره، يعني: أخذ بعض البيت، وإذا أخذ بعض البيت معناه أخذ بعض المعنى، وبعض اللفظ مع تغييره، يعني: غير في الكلمة تبديلا أو بالمرادف أو بالتقديم والتأخير، أو أخذ المعنى فقط دون اللفظ.

إذا ثلاثة أقسام:

المعنى كله مع لفظه كله بدون تغيير.

بعض المعنى ويلزم بعض اللفظ مع التغيير.

أخذ المعنى فقط، والتركيب اللفظ من عنده.

هذه ثلاثة أقسام، بقي قسم رابع أغفلوه لم يذكروه في هذا الموضع، وهو أخذ اللفظ دون المعنى، يعني: يأخذ اللفظ كما هو لكن يجعل في ضمنه معنى آخر: بأن يكون اللفظ مشتركا فيقصد به الثاني معنى لم يقصده به الأول، لكن هذا أغفلوه كما قال المرشدي في شرح العقود.

إذا: الحاصل أن يؤخذ المعنى كله، إما بلفظه كله، أو بعضه، أو وحده، هذه ثلاثة أقسام، ويشملها قوله: تضمن المعنى جميع، قال: مسجلا مطلقا، يعني: أخذ المعنى مع لفظه كله، أو بعضه، أو المعنى وحده، وكلها داخلة في قوله: مسجلا، أي: مطلقا، فدخلت الأنواع الثلاثة في حد السرقة التي هي الظاهرة.

فإن أخذ المعنى كله .. الآن نفصل لكل واحد له اسم، لو قالوا تضمن وسكتوا أراحونا، لكن جعلوا لكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة جعلوا اسما يختص به: فإن أخذ المعنى كله، يعني: جميع المعنى بجميع لفظه: فهذا محض السرقة .. سرقة محضة لا جدال فيه، ويسمى: بالانتحال، وهو أردؤها، ولذلك قال: أردؤه انتحال ما قد نقلا بحاله، أعلى الدرجات ذما في السرقة: أن يأخذ المعنى كله بلفظه، دون أن يبدل ودون أن يغير، أردؤه يقال: ردؤ رداءة: وضع وفسد، فهو رديء.

أردؤه انتحال يعني: ما يسمى بالانتحال، وهو مذموم، وهذا معنى قوله: أردؤه، أي: أكثره رداءة، انتحال: بصيغة الافتعال، من النحلة، يقال: انتحل فلان الشعر من غيره إذا أضاف شعر الغير إلى نفسه وادعاه لها، إذا: واضح المعنى، الانتحال: انتحل شعر غيره وادعاه لنفسه، المعنى كله ومع لفظه دون أن يغير في المعنى ولا في اللفظ، هذا يسمى بالانتحال.." (١)

"مسند إليه: مسند: هذا اصطلاح البيانيين، هذا هو الباب الثالث، الباب الأول: الإسناد، الباب الثاني: المسند إليه، الباب الثالث: مسند، خبرا عند النحاة .. فعلا عند النحاة، يعني: يسمى فعلا عند النحاة، محكوما به عند الأصوليين، محمولا عند المناطقة: قام زيد، أين المسند؟ قام .. أين الفعل؟ قام .. أين المحكوم به؟ قام .. أين المحمول؟ قام، كلها أسماء لمسمى واحد.

الرابع قال: (ومتعلقات فعل) هذا إذا كان المسند فعل، أو ما جرى مجراه كالمصدر، واسم الفاعل، والمشتقات، لأنها هي التي يتعلق بها الجآر أو الظرف:

لا بد للجار من التعلق ... بفعل او معناه نحو مرتقي

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٥/٤٨

(بفعل) بأنواعه الثلاثة، (او معناه) يعني: ما فيه رائحة الفعل، ومتعلقات الفعل.

إذا: عرفنا أن هذا هو الباب الرابع، كالمفعول به وفيه وله، والحال والتمييز، والمجرور.

قال: (تورد) هذه جملة كمل بها البيت، أشار إلى أنها فضلات في الجملة زائدة على الركنين، متعلقات الفعل كالمنصوبات وغيرها .. مفعولات، هذه فضلات، لكن فضلات لا باعتبار أنه يمكن الاستغناء عنها وحذفها .. لا، وإنما بكونها زائدة على الركنين .. ليست من الركنين، لأن ركني المسند إليه والمسند من المرفوعات، ولا يكونان من المنصوبات ولا المجرورات، هذا هو الأصل.

وكل منصوب وكل مجرور الأصل فيه: أنه فضلة، بمعنى: أنه ليس فاعلا، ولا فعلا، ولا مبتدأ، ولا خبر -كما سيأتي إيضاحه -.

(قصر) هذا هو الباب الخامس، يعني: حصر .. القصر والحصر سيأتي، حصر المبتدأ في الخبر، أو عكسه .. حصر الخبر في المبتدأ، أو حصر الفعل أو ما يجري مجراه في بعض المتعلقات أو العكس .. حصر بعض المتعلقات في الفعل، أو ما يجري مجراه سيأتي بيانه.

(وإنشاء) هذا هو الباب الثالث، أخره عن الخبر، وإن كان الإنشاء كما سيأتي .. لذلك بعضهم يرى أن هذه القسمة قسمة ضيزى! يعني: ليست صحيحة، لأن الإنشاء أيضا فيه إسناد ومسند إليه ومسند .. لا يخلو، وتقديم القصر على أنه من خواص الخبر لا الإنشاء أيضا فيه نظر، لأن القصر قد يكون في الخبر، وقد يكون في الإنشاء، لكن هذا هو المشهور، لكن خطأ مشهور خير من صواب مهجور .. هكذا قيل!

(قصر وإنشاء) إذا: قدم الخبر على الإنشاء، قالوا: لأن الخبر أثر، وبعضهم يرى أن الإنشاء فرع الخبر .. في الجملة، لأن الجملة قد تكون خبرية ثم تدخل عليها (ليس)، أو (لعل)، أو الاستفهام، فصارت إنشائية - سيأتي بيانه في موضعه -.

(وفصل وصل) الوصل: عطف بعض الجمل على بعض، والفصل: تركه، هذا هو الباب السابع.

. . . . أو ... إيجاز اطناب مساواة رأوا

(إيجاز) أن يكون الكلام مساويا للمعنى المراد، (إيجاز اطناب) أصل الهمزة هنا همزة قطع، ولكن حركت بعد نقل حركتها إلى التنوين إيجابا للوزن.

(اطناب) أن يكون الكلام اللفظ أكثر من المعنى المراد لكن لفائدة.

(مساواة) أن يكون **اللفظ والمعنى** على قدر واحد.." (١)

"إذا قال: زيد قائم، ثبوت القيام لزيد هذا نسبة؛ ارتباط؛ علاقة، نقول: هذا يوجد في الذهن أولا، أما في الخارج فقد يوجد وقد لا يوجد، أليس كذلك؟ هذا مر معنا، إذا قيل: زيد قائم، من مجرد التركيب يدرك الذهن أن ثم ارتباطا وعلاقة

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٧/١١

بين القيام وزيد، وثبوته هو النسبة أو المعنى، هذه تكون في الذهن، في الخارج زيد وقائم، إن كان بينهما ارتباط على جهة الإيقاع فحينئذ نقول: طابقت النسبة الذهنية الخارج، وسيأتي أن هذا هو الصدق، وعدم المطابقة هو الكذب.

فإذا قيل: زيد قائم، أدرك العقل ثبوت القيام لزيد، لكن في الخارج؛ خارج العقل قد يكون القيام ثابتا، وقد يكون غير ثابت، قد يقع القيام من زيد، وقد لا يقع القيام من زيد، إن وقع القيام من زيد نقول: النسبة التي في الذهن، والنسبة التي في الخارج تطابقتا، وهذا هو الصدق كما سيأتي، إذا أدرك العقل النسبة للثبوت قيام لزيد في الذهن، فوجدنا في الخارج أن زيدا لم يقم، إذن: هنا منفية النسبة في الخارج، وفي الذهن مثبتة، هل حصل التطابق؟ لا لم يحصل التطابق، هذا يسمى كذبا كما سيأتي.

إذن: نقول: دليل الحصر أن الكلام مطلقا إنشاء وخبرا، إما أن يكون لنسبته، أي: النسبة الذهنية، خارج بالقوة أو بالفعل؟ بالفعل، يعني: بالإيجاب، زيد قائم أو ليس بقائم، يعني: الخبر وقع أو لم يقع بالفعل، أما بالقوة فما سيأتي أن المراد به: سيقوم زيد المستقبلات، سيأتي أنها توصف بالكذب والصدق، تطابقه أو لا تطابقه، إن طابقت فهي الصدق، وإن لم تطابق فهي الكذب، أو لا يكون له خارج كذلك.

إذن: إما أن يكون له خارج، أو لا يكون، إن كان له خارج مطلقا بالقوة أو بالفعل .. طابقت النسبة، أو لم تطابق، هذا هو الخبر، القسم الأول بأقسامه، هذا هو الخبر، أو لا يكون له نسبة في الخارج، نقول: هذا الثاني هو الإنشاء؛ لأن ثم مقارنة بين **المعنى واللفظ**، فالأول بأقسامه الخبر، والثاني هو الإنشاء.

لم قلنا: بالقوة أو بالفعل؟ قال: وقولنا بالقوة أو بالفعل لئلا يرد الإخبار عن المستقبلات، إذا قيل: الخبر ما احتمل الصدق والكذب لذاته، المستقبل لو قلت: سيقوم زيد، قام زيد، زيد قائم، يحتمل الصدق والكذب؛ لأنه خبر، أليس كذلك؟ زيد قائم، قام زيد، زيد قد قام، هذه كلها أخبار عن أمور وقعت وحصلت، وتسلط الكذب والصدق عليها واضح وبين وظاهر، لكن: سيقوم زيد في المستقبل، هل يصح أن يوصف المعنى الذي سيقع في المستقبل، أو الحدث الذي سيقع في المستقبل، هل يصح أن يوصف بالصدق والكذب؟

نقول الجواب: نعم يصح وهو خبر، والخبر: ما احتمل الصدق والكذب: ((يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين)) [الأنعام:٢٧] هذا تمن، الله عز وجل قال: ((ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون)) [الأنعام:٢٨] أكذبهم .. كذبهم؟ نعم.." (١)

"صلى الله عليه وسلم أقرأنيها فأتيت به النبي عليه السلام فأخبرته فقال [له –] : اقرأ فقرأ تلك القراءة فقال: هكذا أنزلت ثم قال لي: اقرأ فقرأت قراءتي فقال: هكذا أنزلت ثم قال: إن [هذا –] القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه وكذلك حديث أبي بن كعب هو مثل حديث عمر أو نحوه. فهذا يبين لك أن الاختلاف إنما هو في **اللفظ والمعنى** واحد ولو كان الاختلاف في الحلال والحرام لما جاز أن يقال في شيء هو حرام: هكذا نزل ثم يقول آخر في ذلك بعينه: إنه حلال فيقول: هكذا نزل وكذلك الأمر والنهي وكذلك الأخبار لا يجوز أن يقال في خبر قد مضى: إنه كان كذا وكذا

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٣/٨

فيقول: هكذا نزل ثم يقول الآخر بخلاف ذلك الخبر فيقول: هكذا نزل وكذلك الخبر المستأنف كخبر القيامة والجنة والنار ومن توهم أن في هذا شيئا من الاختلاف فقد زعم أن القرآن يكذب بعضه بعضا ويتناقض وليس يكون المعنى في السبعة الأحرف إلا على اللغات لا غير بمعنى واحد لا يختلف فيه في حلال ولا حرام ولا خبر ولا غير ذلك. قال أبو عبيد:." [١]

"٩- مقدمة مدح التجار وذم عمل السلطان

لم يبق من هذا الكتاب سوى صفحات قليلة. وما تبقى منه يعطينا فكرة واضحة عن محتواه. انه مقارنة بين التجار وخدم السلطان.

والجاحظ كعادته يتخيل شخصا يؤيد خدم السلطان ويمدحهم فيرد عليه ويعارضه ويتنصل من التهمة التي وجهها اليه ذلك الشخص وهي التكلف والصنعة البيانية في كتابته ويقول: «استحي من الكتابة، واستنكف بان انسب اليها في البلاغة وان أعرف بها في غير موضعها، ومن السجع ان يظهر مني، ومن الصنعة ان تعرف في كتبي، ومن العجب بكثير ما يكون مني» .

والجاحظ صادق فيما يقوله عن نفسه فهو لا يتصنع في كتابته، واذا ورد فيها شيء من السجع او الصنعة البيانية، فإنما يرد عفو الخاطر دون ان يقصد اليه قصدا. وقد اعلن رأيه في هذه المسألة مرارا وهو ان جمال الأدب يرتكز على الطبيعة اي عدم التكلف، وعلى البلاغة اي المساواة بين **اللفظ والمعنى**، واختيار اللفظ الذي يناسب المعنى ويوازيه فلا يفضل عنه ولا ينقص، شرط ان تتوافر فيه الفصاحة اي الوضوح ويتجنب الغرابة والوحشية.

نجد هذا الرأي في كتاب البيان والتبين وفي كتاب الحيوان، وفي كتاب المعلمين وغيرها.." [٢]

"شكر المادح إياه على عطائه وذكر مناقبه والثناء عليه واضمار المودة له.

ومن الناحية الفنية ينبغي ان يتوافر في المادح ادبان هما أدب الخلق وادب الرواية الى جانب رجاحة العقل الذي يسوسهما. ويبدو ذلك في أصول تجدر مراعاتها وهي الايجاز والابتعاد عن اللحن، ووضوح **المعنى واللفظ**، وعدم اللجوء الى الزخرفة البيانية، والقصد الى المعنى دون لف ودوران، ودون تصوير الباطل حقا والحق باطلا، وتجنب الفأفأة وسائر آفات اللسان.

بعد وضع هذه الاصول الجمالية للمدح ينتقل الجاحظ الى غرضه وهو طلب العطاء من ابي الفرج. وهذا العطاء انما يقتضيه من ممدوحه مقابل ما يمحضه من محبة واكبار، وبسبب المشاكلة في الأدب، ولأنه في فاقة وابا الفرج في غنى ومجد، وقد عبر عن ذلك بقوله «وانا اقول بعد هذا كله: لو لم أضمر لكم محبة قديمة ولم أضر بكم بشفيع من المشاكلة، ولا بسبب الأديب الى الأديب، ولم يكن على قبول، ولا على حلاوة عند المحصول، ولم اكن الا رجلا من عرض المعارف، ومن جمهور الاتباع، لكان في احسانكم الينا، وانعامكم علينا، دليل على أنا قد اخلصنا المحبة، واصطفينا لكم المودة» . ويردف قائلا: «ولا خير في سمين لا يحتمل هزال اخيه، وصحيح لا يجبر كسر صاحبه» .

وينهي ابو عثمان الرسالة بتعداد مزايا ابي الفرج على سنة المداحين، فلا يترك منقبة الا وينسبها اليه: الأريحية والنجابة

---

(١) غريب الحديث للقاسم بن سلام أبو عُبيد القاسم بن سلاّم ٣/١٦١

(٢) الرسائل الأدبية الجاحظ ص/٣٩

والسيادة والقيادة والذكاء والمهابة والجمال وكرم المحتد والادب. لقد اجتمع له المجد من طرفيه «وهل المجد الا كرم الأرومه والحسب وبعد الهمة، وكثرة الأدب، والثبات على العهد اذا زلت الاقدام، وتوكيد العقد اذا انحلت معاقد الكرام، والا التواضع عند حدوث النعمة، واحتمال كل العثرة، والنفاذ في الكتابة، والاشراف على الصناعة» .." (١)

"وإذ هو لا يستب خصمان عنده ... ولا القول مرفوع بجد ولا هزل

فإن خبز إسماعيل حل به الذي ... أصاب كليبا لم يكن ذاك عن بذل

ولكن قضاء ليس يسطاع دفعه ... بحيلة ذي دهي ولا فكر ذي عقل

٦٢٠-[الأعراب أشعر من أهل الأمصار]

والقضية التي لا أحتشم منها، ولا أهاب الخصومة فيها: أن عامة العرب والأعراب والبدو والحضر من سائر العرب، أشعر من عامة شعراء الأمصار والقرى، من المولدة والنابتة. وليس ذلك بواجب لهم في كل ما قالوه.

وقد رأيت ناسا منه يبهرجون أشعار المولدين، ويستسقطون من رواها ولم أر ذلك قط إلا في رواية للشعر غير بصير بجوهر ما يروى. ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان، وفي أي زمان كان.

وأنا رأيت أبا عمرو الشيباني وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين، ونحن في المسجد يوم الجمعة، أن كلف رجلا حتى أحضره دواة وقرطاسا حتى كتبهما له.

وأنا أزعم أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعرا أبدا. ولولا أن أدخل في الحكم بعض الفتك؛ لزعمت أن ابنه لا يقول شعرا أبدا، وهما قوله [١] : [من السريع]

لا تحسبن الموت موت البلى ... فإنما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت ولكن ذا ... أفظع من ذاك لذل السؤال

٦٢١-[القول في المعنى واللفظ]

وذهب الشيخ إلى استحسان المعنى، والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، والمدني. وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير.

وقد قيل للخليل بن أحمد: ما لك لا تقول الشعر؟ قال: «الذي يجيئني لا أرضاه، والذي أرضاه لا يجيئني» [٢] .

---

[١] البيان بلا نسبة في البيان والتبيين ٢/١٧١.

[٢] نسب هذا القول إلى ابن المقفع في البيان والتبيين ١/٢٠٨.." (٢)

---

(١) الرسائل الأدبية الجاحظ ص/٧٨

(٢) الحيوان الجاحظ ٣/٦٧

"يرويه المصحفون والآخذون عن الدفاتر «الربلات» وما «الربلات» من الثنايا والجبين؟! وهى أصول الفخذين، يقال: «رجل أربل» إذا كان عظيم الربلتين، (أى عظيم الفخذين) ، وإنما هى «الرتلات» بالتاء، يقال: «ثغر رتل» إذا كان مفلجا [١] .

٨٦* وليس كل الشعر يختار (ويحفظ) على جودة **اللفظ والمعنى**، ولكنه قد يختار ويحفظ على أسباب [٢] :

٨٧* منها الإصابة فى التشبيه، كقول القائل فى وصف القمر:

بدأن بنا وابن الليالى كأنه ... حسام جلت عنه القيون صقيل

فما زلت أفنى كل يوم شبابه ... إلى أن أتتك العيس وهو ضئيل

٨٨* وكقول الآخر فى مغن:

كأن أبا الشموس إذا تغنى ... يحاكى عاطسا فى عين شمس [٣]

يلوك بلحيه طورا وطورا ... كأن بلحيه ضربان ضرس

٨٩* وقد يحفظ ويختار على خفة الروى، كقول الشاعر [٤] :

---

[١] وقد رواه صاحب اللسان على الخطأ أيضا فى أبيات ٧: ١٥.

[٢] س ب «قد يختار على جهات وأسباب» .

[٣] س ب هـ «كأن أبا السمى» .

[٤] هذه الأبيات رواها أبو سعيد السيرافى فى كتاب أخبار النحويين البصريين طبعة معهد المباحث الشرقية بالجزائر سنة ١٩٣٦ م ص ٢٩ قال: «وأنشد المازنى قال: أنشدنا الأصمعى عن أبى عمر لرجل من اليمن، وقد سماه غيره فقال امرؤ القيس بن عابس» .

ونقل ذلك صاحب اللسان ٢٠: ٢٠ ولكنه أخطأ فجعل الرواية عن أبى عمرو بن العلاء عن الأصمعى، وأبو عمرو شيخ الأصمعى! ورواها صاحب اللسان أيضا برواية أخرى ٧: ٣٨٨ قال: «وأنشد أبو عمرو بن العلاء للفند الزمانى ويروى لامرئ القيس بن عابس الكندى» . والأبيات فى اللسان مرة أخرى ٢: ٨٤. وزادها أبياتا ثلاثة فى آخرها.." (١)

"بين القول [١] ، ولا يتبع حوشى الكلام [٢] . ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه.

وهو القائل [٣] :

إذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية ... من المجد من يسبق إليها يسود

سبقت إليها كل طلق مبرز ... سبوق إلى الغايات غير مخلد

ويروى «غير مبلد» ، و «المخلد» فى هذا الموضع: المبطئ [٤] .

فلو كان حمد يخلد الناس لم تمت ... ولكن حمد المرء ليس بمخلد

---

(١) الشعر والشعراء الدِّينَوري، ابن قتيبة ٨٥/١

١٩٧* وكان قدامة بن موسى عالما بالشعر، وكان يقدم زهيرا ويستجيد قوله [٥] :

قد جعل المبتغون الخير فى هرم ... والسائلون إلى أبوابه طرقا

من يلق يوما على علاته هرما ... يلق السماحة فيه والندى خلقا

١٩٨* قال عكرمة بن جرير: قلت لأبى: من أشعر الناس؟ قال:

أجاهلية أم إسلامية؟ قلت: جاهلية، قال: زهير، قلت: فالإسلام؟ قال:

الفرزدق، قلت: فالأخطل؟ قال: الأخطل يجيد نعت الملوك ويصيب صفة

---

[١] كل شيء ركب شيئا فقد عاظله، والمعنى: لم يحمل بعض الكلام على بعض، ولم يتكلم بالرجيع من القول ولم يكرر اللفظ والمعنى. عن اللسان.

[٢] حوشى الكلام: وحشيه وغريبه. وانظر ما يأتى ٦١ ل.

[٣] من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان المرى، فى ديوانه ٢٣٤، ٢٣٦ طبعة دار الكتب المصرية.

[٤] رواية الأغانى «غير مزند» ورواية الديوان «غير مجلد» . وقال ثعلب فى شرحه:

«يقال رجل طلق اليدين: معطاء. مبرز: سبق الناس إلى الكرم والخير. غير مجلد:

ينتهى إلى الغاية من غير أن يضرب» . وتفسير ابن قتيبة «المخلد» بالخاء بأنه المبطئ لم يذكر فى المعاجم.

[٥] من قصيدة فى مدح هرم بن سنان فى الديوان ٤٩، ٥٣ وهما فى الأغانى ٩: ١٤٤ فى أبيات، وفى الخزانة ١: ٣٧٦.." (١)

"القطر (و " الآنك " الأسرب، ومنه الحديث: " من استمع إلى قينة صب في أذنيه الآنك يوم القيامة "، و " النضر " الذهب، وهو " العقيان " أيضا، و " اللجين " الفضة، و " الصرفان " الرصاص، ومنه قول الزباء:

ما للجمال مشيها وئيدا ... أجندلا يحملن أم حديدا

أم صرفانا باردا شديدا ... أم الرجال جثما قعودا

باب الأسماء المتقاربة في اللفظ والمعنى

" النضخ " أكثر من النضح ولا يقال من النضخ فعلت.

و" الحزم " من الأرض: أرفع من " الحزن ".

و" القبض " بجميع الكف، والقبص بأطراف الأصابع، وقرأ الحسن: فقبصت قبصة من أثر الرسول (.."(٢)

"أي لقد أبصرت وعاينت

وقال أبو محمد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا بلالا بتمر فجعل يجيء به قبصا قبصا فقال رسول الله صلى الله

---

(١) الشعر والشعراء الدِّينَوري، ابن قتيبة ١/١٣٨

(٢) أدب الكاتب = أدب الكتاب لابن قتيبة الدِّينَوري، ابن قتيبة ص/٢٠٠

عليه وسلم أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا حدثني ابي قال حدثنيه أبو سفيان الغنوي قال ثناه موسى بن مسعود النهدي ثنا سفيان الثوري عن أبي إسحق قال سمعت مسروقا يقول ذلك

قبص جمع قبصة وهو من القبص والقبص بأطراف الأصابع والقبص بالكف كلها ومثل ذلك مما يتقارب في **اللفظ والمعنى** القضم والخصم فالقضم بالأسنان والخضم بالفم كله والنصح والنصخ والنضخ أكثر من النصح ولا يقال منه فعلت والحزم والحزن يقال إن الحزم أرفع من الحزن ويقال هما جميعا واحد لأن الميم تبدل من النون وتبدل النون منها لقرب مخرجها والمضمضة والمصمصة فالمصمصة بطرف اللسان والشفتين والمضمضة بالفم كله حدثني أبي قال حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن إسحق عن صفوان عن ابي المثنى عن عتبة بن عبد الرحمن وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إن رسول." (١)

"قال: عليه الدرانك: البسط: وأنشد:

دار لليلى خلق لبيس ... ليس بها من أهلها أنيس

إلا اليعافير وإلا العيس ... وبقر ملمع كنوس

وقال آخر:

وحوقل ذبذبه الوجيف ... ظل لأعلى رأسه رجيف

يقول والعيس لها حفيف ... أكل من ساق بكم عنيف

وحدثنا أبو العباس قال: قال رجل لابن عباس: أكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر والعصر؟ قال: لا. قال: أفكان يقرأ في نفسه؟ قال: لا. فقال: " حمسا ". قال أبو العباس: أي هذا بلاء، ويقول هذا شر. والحمس لا يكون إلا عند البلاء.

وقال أبو العباس: نداء النفس على أربع لغات، يا نفس اصبري، ويا نفس اصبري، ويا نفس اصبري، ويا نفسا اصبري. من قال " يا نفسا " بين الفتح والكسر فإنه أراد يا نفساه، فحذف الهاء. ومن قال " يا نفس " فإنه لما رأى أنه قد حذف الهاء وبقى ألف حذف الألف وأشار إلى موضعها بالفتح. ومن قال " يا نفس " فإنه حذف الياء وأشار إليها بالكسر.

وقال أبو العباس في قوله عز وجل: " يوم ينادي المناد من مكان قريب " قال: يسمع كل واحد، ويقال إنه يقوم على صخرة البيت المقدس فينادي. وقال في قوله عز وجل: " فأستعذ بالله " بعد " فإذا قرأت القرآن " قال: هو كقولك إذا قمت فأحسن، فأول ما يقوم يجب الإحسان.

إذا قلت: قام زيد وعمرو، فإن شئت كان عمرو بمعنى التقديم على زيد، وإن شئت كان بمعنى التأخير، وإن شئت كان قيامها معا. فإذا قلت قاما معا كانا فيه سواء لا غير.

وقال أبو العباس: قلت لابن قادم: قام عبد الله وزيد معا. وقام عبد الله وزيد جميعا، ما بينهما من الفرق؟ فبقي يركض فيها إلى الليل، فلما أصبح قلت له: إنما ها هنا ابن يحيى أحمد. وفسر ذلك فقال: قام زيد وعمرو معا، لا يكون القيام وقع لهما

---

(١) غريب الحديث لابن قتيبة الدِّينَوري، ابن قتيبة ٤١٢/١

إلا في حالة، وإذا قلت قاما جميعا فيكون في وقتين وفي واحد؛ لأنك تقول مات زيد ومحمد جميعا، فيكون الوقت متخلفا، وإذا قلت: قام ذا مع ذا، لم يكن القيام إلا في وقت واحد.

من هو قائم جاريتك ومن هو يقوم جاريتك، جيد ولا يقطع منه ولا ينسق عليه، ويسمى، مجهولا، وهو يشبه من هو قائمة جاريتك. قال: قد أخرج المعنى ولا يؤكد هو ولا " الضمير " في قائم. من هي قائمة جاريتك، قال قد أخرج المعنى كله.

قال: وقلت لابن قادم: " من " مسألتان. فقال: لا، ثلاث مسائل. فقلت: مسألتان. فقال: ثلاث. فقلت: بين لي حتى أسمع وأفهم. فجاء باللفظ ثم جاء بالمعنى، ثم جاء **باللفظ والمعنى** فقلت: هذه هم تلك بعد. وفسر فقال: من مسألتان: لفظ ومعنى من قام إخوتك وإخوانك بمعنى، فقابلها بما شئت والأول مجهول. وإذا قلت يقوم جاريتك ويقومان ويقوم، جئت به على **المعنى واللفظ**. فإذا جمع بينهما فقيل من هو قائمة جاريتك، جاء باللفظ وجاء بالمعنى، فليس يزيد على هذا، وهي تلك إلا أنه جاء بها **باللفظ والمعنى**. من هو أخوك هند، قال: لا يجوز. وقال الفراء: من هو أختك هند، قبيح، والأسماء لا تخرج على اللفظ بما تخرج الأفعال. من قال كلهن قائمات لم يقل كلهن أخوك.

وقال أبو العباس في قوله عز وجل: " قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم " قال: إذا كان الموت واحدا يقصد له فالذي بعده خبر وإذا كان ضروبا فالذي بعده نعت، وإذا كان واحدا لم يكن جزاء، وإذا كان ضروبا كان جزاء.

" يا ابن أم " قال: يريد أماه: ويقال جعله حرفا واحدا. ومن تأول إسقاط الهاء أجود.

ويقال هذه الحلف منى صرى، وأصرى، " وصرى " " وأصرى "، أربع لغات، مثل عزيمتي وحقيقة عزمي.

يا غلام أقبل، تسقط الياء منه، ويا ضاربي أقبل، لا تسقط الياء منه. وذلك فرق بين الأسم والفعل.

وإذا كان الفعل يدوم فالماضي والمستقبل واحد. صلى يصلي، وصام يصوم، واحد.

وأنشد:

شهد الحطيئة حين يلقى ربه ... أن الوليد أحق بالعذر

قال: هو بمعنى يشهد:." (١)

"وإني وإياهم كمن نبه القطا ... ولو لم ينبه باتت الطير لا تسري

عن عروة عن عائشة قالت: وعك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدموا المدينة وعكا شديدا قالت: فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيارة أبي ومولاه بلال وعامر بن فهيرة قالت: فدخلت على أبي بكر فذكرت الحديث ثم قالت: أتيت بلالا فوجدته يهذي وهو يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بفخ وحولي أذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه تجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل

اللهم العن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام كما أخرجونا من مكة. فرجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالذي رأيت فقال: " اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة وبارك لنا فيها كما باركت

---

(١) مجالس ثعلب ثعلب ص/٧٧

لنا في مكة وبارك لنا في صاعنا ومدنا وانقل وباءنا عنا إلى مهيعة ".

وقال زهير:

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ... ومن لا يكرم نفسه لم يكرم

ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره ومن لا يتقي الشتم يشتم

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه ... يهدم ومن لا يظلم الناس لا يظلم

ويقال أن عمرو بن معد يكرب كان يعد من الشجعان فلما قال:

إذا لم تستطع شيئا فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

عد حينئذ من الشعراء.

وقال آخر:

أيذهب يوم واحد إن أسأته ... بصالح أيامي وحسن بلائيا

وقد ينبت الدنيا عن دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

قال القطامي:

قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

والناس من يلق خيرا قائلون له ... ما يشتهي ولأم المخطئ الهبل

وذكر أن بعض البصريين ممن لم يعرف بقول الشاعر ولا روايته سمع ليلة من الليالي ينشد:

يا راقد الليل مسرورا بأوله ... إن الحوادث قد يطرقن أسحارك

فلما أصبح وجده قد أصيب، لا يعرف سببه، ولا من أصابه.

وقال آخر:

من لم يخف صولة الليالي ... أثر في وجهه الغبار

من لم يؤدبه والداه ... أدبه الليل والنهار

وقال الخليل بن أحمد:

عش ما بدا لك قصرك الموت ... لا مهرب منه ولا فوت

ولرب محمود صنائعه ... أودى فمات الذكر والصوت

وقال سعيد بن حميد:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف شر ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وحين تصفو الليالي تحدث الغير

وقال آخر:

من تحلى بغير ما هو فيه ... فضحته شواهد الامتحان

وأخو العلم تعرف العين منه ... حركات من غير لفظ لسان

وقال ربيعة الرقي:

إذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه ... شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا

فسر في بلاد الله والتمس الغنى ... تعش ذا فساد أو تموت فتعذرا

الباب الحادي والتسعون

ذكر

ما اشتبهت معانيه واتفقت أعجازه وقوافيه

قال أبو بكر: قد جاء في شعر شعراء الجاهلية والإسلام ما يوافق بعضها بعضا فمنها ما يتفق في المعنى دون اللفظ ومنها ما يتفق في **المعنى واللفظ**، فمن ذلك ما يقوي أسباب التهمة فيكاد العالم يقنع بأن المتأخر قد سرقه من المتقدم، مثل ما وقع في شعر امرئ القيس من شعر أبي دؤاد الإيادي فتقع التهمة قوية بامرئ القيس لا رواية أبي دؤاد، وكذلك يقوي التهمة بزهير فيما وقع من شعر مشبها لشعر أوس بن حجر، لأنه روايته، والإسلاميون أيضا كذلك تتأكد التهمة على الرجل إذا كان رواية لرجل فوجد في شعره ما يشبه شعره ككثير وجميل ومن جرى مجراهما ممن يكون الباب بتسميته. ومن لم يكن رواية شاعر بعينه إلا أنه علامة، وبالرواية مشهور، لم يعذر محرما لا يعرف الأخبار ولا يروي الأشعار، ونحن نقدم في هذا الباب ما يشاكل ترجمته ثم نعود على ما تبقى من السرقات بعد ذلك فنذكره بعد الفراغ إن شاء الله، وقال امرؤ القيس:

فقالت ولن يبخل عليك ويعتلل ... يسؤك وإن يكشف غرامك تدرب

وهذا يشاكل قول طرفة بن العبد:." (١)

"ولقيت منه البرحين والبرحين، والفتكرين والفتكرين يعني الدواهي والأمر العظيم. ونمرقة ونمرقة: الوسادة، وما بها دبي ودبي، من الدبيب، والمغيرة والمغيرة، وذبيان وذبيان، وفتك الرجل بصاحبه فتكا، وفتكا وفتكا؛ ثلاث لغات: إذا قتله مجاهرة. وقال الخليل تقرأ هذه الآية في كتاب الله سبحانه على سبعة أوجه فلهذا قيل القرآن على سبعة أوجه؛ تقرأ: (وعبد الطاغوت) معناه أنه عبد الطاغوت من دون الله سبحانه. (وعبد الطاغوت) رفع كما تقول: ضرب عبد الله (وعبد الطاغوت) معناه صار الطاغوت يعبد كما تقول فقه الرجل، وظرف الرجل (وعبد الطاغوت) معناه عباد الطاغوت؛ جمع مثل سجد وركع، (وعبد الطاغوت) أراد به: وعبدة الطاغوت مثل كفرة وفجرة فطرح الهاء في الهاء في **اللفظ والمعنى** في الهاء (وعابد الطاغوت) كما تقول: ضارب الرجل (وعبد الطاغوت) جماعة؛ لأنه يقال: عابد وعبد، ويقال للمشركين: هؤلاء عبدة الطاغوت والأوثان، ويقال للمسلمين: عباد.

باب الأفعال

يقال: قررت به عينا وقررت، ولهثت ولهثت، وضحيت للشمس." (٢)

---

(١) الزهرة ابن داود الظاهري ص/٢٣١

(٢) المنتخب من كلام العرب كراع النمل ص/٥٥٠

"شهدت جسيمات العلا وهو غائب ... ولو كان أيضا شاهدا كان غائبا

فقال البحتري:

نصحتكم لو كان للنصح سامع ... لدى شاهد عن موضع الفهم غائب

على أن محمد بن عبيد الله العتبي قد قال:

قوم حضور غائبو الأذهان ليس لها قفول

وقال أبو تمام:

فإن أنا لم يحمدك عني صاغرا ... عدوك فاعلم أنني غير حامد

فقال البحتري:

ليواصلنك ذكر شعر سائر ... يرويه فيك لحسنه الأعداء

وكأن هذا المعنى من قولهم: من فضل فلان أن أعداءه مجمعون على فضله، وقولهم: خير المدح ما رواه العدو والصديق.

وقال أبو تمام:

ونغمة معتفي جدواه أحلى ... على أذنيه من نغم السماع

فقال البحتري:

نشوان يطرب للسؤال كأنما ... غناه مالك طيئ أو معبد

وأول من أتى بفرح المسؤول، وطلاقة وجهه، ثم أخذه الناس فولدوه فقالوا: السؤال أحلى عنده من الغناء، وراجيه أحب إليه من معطيه، زهير، قال:

تراه إذا ما جئته متهللا ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وقال أبو تمام:

ومجربون سقاهم من بأسه ... فإذا لقوا فكأنهم أغمار

فأخذه البحتري فقال:

ملك له في كل يوم كريهة ... إقدام غر واعتزام مجرب

فأما الذي نقله البحتري نقلا، فأخذ **اللفظ والمعنى**، فقول أبي تمام يصف شعره:

منزهة عن السرق الموري ... مكرمة عن المعنى المعاد

فقال البحتري يصف بلاغة:

لا يعمل المعنى المكر ... ر فيه واللفظ المردد

وقال أبو تمام:

البيد والعيس والليل التمام معا ... ثلاثة أبدا يقرن في قرن

فقال البحتري:

اطلبا ثالثا سواى فإني ... رابع العيس والدجى والبيد

وأخذه أبو تمام من قول ذي الرمة:

وليل كجلباب العروس ادرعته ... بأربعة والشخص في العين واحد

أحم علافي، وأبيض صارم ... وأعيس مهري، وأروع ماجد

وقال أبو تمام:

تفيض سماحة والمزن مكد ... وتقطع والحسام العضب نابي

فقال البحتري:

يتوقدن والكواكب مطفا ... ة ويقطعن والسيوف نوابي

وقال الطائي:

لا تدعون نوح بن عمرو دعوة ... للخطب إلا أن يكون جليلا

فقال البحتري:

يا أبا جعفر وما أنت بالمد ... عو إلا لكل أمر كبار

وقال أبو تمام:

ولقد أردتم مجده وجهدتم ... فإذا أبان قد رسا ويلملم!

فقال البحتري ونقله لفظا ومعنى:

ولن ينقل الحساد مجدك بعدما ... تمكن رضوى واطمأن متالع

وقال أبو تمام:

وتشرف العليا وهل من مذهب ... عنها وأنت على المعالي قيم

فقال البحتري:

متقلقل الأحشاء في طلب العلا ... حتى يكون على المعالي قيما

وقال أبو تمام:

ويلبس أخلاقا كراما كأنها ... على العرض من فرط الحصانة أدرع

فقال البحتري، ولم يستوف، وكذلك هو في أكثر ما ذكرت يقع دونا:

قوم إذا لبسوا الدروع لموقف ... لبستهم الأخلاق فيه دروعا

وقال أبو تمام:

وقد كان فوت الموت سهلا فرده ... إليه الحفاظ المر والخلق الوعر

فقال البحتري:

ولو أنه استام الحياة لنفسه ... وجد الحياة رخيصة الأسباب

وهذا أيضا من قول الآخر:

ولو أنهم فروا لكانوا أعزة ... ولكن رأوا صبرا على الموت أكرما

وقال أبو تمام:." (١)

"سمعت الحسن بن الحسن بن رجاء يحدث أبا سعيد الحسن بن الحسين الأزدي، أن أباه رأى أبا تمام يوما يصلي صلاة خفيفة، فقال له: أتم يا أبا تمام. فلما انصرف من صلاته قال له: قصر المال، وطول الأمل، ونقصان الجدة، وزيادة الهمة، يمنع من إتمام الصلاة، لا سيما ونحن سفر، فكان أبي يقول: وددت أنه يعاني فروضه كما يعاني شعره، وأني مغرم ما يثقل غرمه؟.

وقد ادعى قوم عليه الكفر بل حققوه، وجعلوا ذلك سببا للطعن على شعره، وتقبيح حسنه، وما ظننت أن كفرا ينقص من شعر، ولا أن إيمانا يزيد فيه. وكيف يحقق هذا على مثله، حتى يسمع الناس لعنه له، من لم يشاهده ولم يسمع منه، ولا سمع قول من يوثق به فيه؟ وهذا خلاف ما أمر الله عز وجل، ورسوله عليه السلام به، ومخالف لما عليه جملة المسلمين. لأن الناس على ظاهرهم حتى يأتوا بما يوجب الكفر عليهم بفعل أو قول، فيرى ذلك أو يسمع منهم، أو يقوم به بينة عليهم.

واحتجوا برواية أحمد بن أبي طاهر، وقد حدثني بها عنه جماعة أنه قال: دخلت على أبي تمام وهو يعمل شعرا، وبين يديه شعر أبي نواس ومسلم، فقلت: ما هذا؟ قال: اللات والعزى، وأنا أعبدهما من دون الله مذ ثلاثون سنة.

وهذا إذا كان حقا فهو قبيح الظاهر، ردئ **اللفظ والمعنى**، لأنه كلام ماجن مشعوف بالشعر. والمعنى أنهما قد شغلاني عن عبادة الله عز وجل، وإلا فمن المحال أن يكون عبد اثنين لعله عند نفسه أكبر منهما، أو مثلهما، أو قريب منهما. على أنه ما ينبغي لجاد ولا مازح أن يلفظ بلسانه، ولا يعتقد بقلبه، ما يغضب الله عز وجل، ويتاب من مثله؛ فكيف يصح الكفر عند هؤلاء على رجل، شعره كله يشهد بضد ما اتهموه به، حتى يلعنوه في المجالس؟ ولو كان على حال الديانة لأغروا من الشعراء بلعن من هو صحيح الكفر، واضح الأمر، ممن قتله الخلفاء - صلوات الله عليهم - بإقرار وبينة، وما نقصت بذلك رتب أشعارهم، ولا ذهبت جودتها، وإنما نقصوا هم في أنفسهم، وشقوا بكفرهم.

وكذلك ما ضر هؤلاء الأربعة، الذين أجمع العلماء على أنهم أشعر الناس: امرأ القيس والنابغة الذبياني وزهيرا والأعشى، كفرهم في شعرهم، وإنما ضرهم في أنفسهم. ولا رأينا جريرا والفرزدق يتقدمان الأخطل عند من يقدمهما عليه بإيمانهما وكفره، وإنما تقدمهما بالشعر. وقد قدم الأخطل عليهما خلق من العلماء، وهؤلاء الثلاثة طبقة واحدة، وللناس في تقديمهم آراء.

حدثني القاسم بن إسماعيل قال، حدثنا أبو محمد التوجي عن خلف الأحمر قال: سئل حماد الراوية عن جرير والفرزدق والأخطل أيهم أشعر؟ فقال: الأخطل، ما تقول في رجل قد حبب إلى شعره النصرانية! وهذا أيضا مزح من حماد، وفرط شعف بشعر الأخطل. ولو تأول الناس عليه كما تأولوا على أبي تمام لكان ما قال قبيحا، وما أحسب شعر أبي تمام، مع جودته وإجماع الناس عليه، ينقص بطعن طاعن عليه في زماننا هذا، لأني رأيت جماعة من العلماء المتقدمين، ممن قدمت عذرهم في قلة المعرفة بالشعر ونقده وتمييزه، وأريت أن هذا ليس من صناعتهم، وقد طعنوا على أبي تمام في زمانهم وزمانه،

---

(١) أخبار أبي تمام الصولي ص/٥

ووضعوا عند أنفسهم منه، فكانوا عند الناس بمنزلة من يهذي، وهو يأخذ بما طعنوا عليه الرغائب من علماء الملوك، ورؤساء الكتاب، الذين هم أعلم الناس بالكلام منثوره ومنظومه، حتى كان هو يعطي الشعراء في زمانه ويشفع لهم؛ وكل محسن فهو غلام له، وتابع أثره.

ومن الإفراط في عصبيتهم عليه، ما حدثني به أبو العباس عبد الله بن المعتز قال: حدثت إبراهيم بن المدبر – ورأيته يستجيد شعر أبي تمام ولا يوفيه حقه – بحديث حدثنيه أبو عمرو بن أبي الحسن الطوسي، وجعلته مثلا له، قال: وجه بي أبي إلى ابن الأعرابي لأقرأ عليه أشعارا، وكنت معجبا بشعر أبي تمام، فقرأت عليه من أشعار هذيل، ثم قرأت أرجوزة أبي تمام على أنها لبعض شعراء هذيل:

وعاذل عذلته في عذله ... فظن أني جاهل من جهله

حتى أتممتها، فقال: اكتب لي هذه، فكتبتها له، ثم قلت: أحسنة هي؟ قال: ما سمعت بأحسن منها! قلت: إنها لأبي تمام فقال: خرق خرق!.." (١)

"أسباب أن تكون أقسام تأليف هذه الأسباب بعضها إلى بعض جاريا هذا المجرى، وأن يكون تعديد هذه التأليفات إذا استوعب وأضيف ذلك إلى عدة الأسباب المفردات من غير تأليف، فقد أتى على جميع الأسباب التي يجب الكلام فيها من أمر الشعر، فأقول: إنه لما كانت الأسباب المفردات التي يحيط بها على حد الشعر على ما قدمنا القول فيه أربعة، وهي اللفظ، والمعنى، والوزن، والتقفية، وجب – بحسب هذا العدد – أن يكون لها ستة اضرب من التأليف، إلا أني وجدت اللفظ والمعنى والوزن تأتلف، فيحدث من ائتلافها بعضها إلى بعض معان يتكلم فيها، ولم أجد للقافية مع واحد من سائر الأسباب الأخر ائتلافا، إلا أني نظرت فيها فوجدتها، من جهة ما، أنها تدل على معنى لذلك المعنى الذي تدل عليه ائتلاف مع معنى سائر البيت، فأما مع غيره فلا، لأن القافية إنما هي لفظة مثل لفظ سائر البيت من الشعر، ولها دلالة على معنى، كما لذلك اللفظ أيضا، والوزن شيء واقع على جميع لفظ الشعر الدال على المعنى، فإذا كان ذلك كذلك فقد انتظم تأليف الثلاثة الأمور الأخر ائتلاف القافية أيضا، إذ كانت لا تعدو أنها لفظة كسائر لفظ الشعر المؤتلف مع غيره.

فأما من جهة ما هي قافية، فليس ذلك ذاتا يجب لها أن يكون لها به ائتلاف مع شيء آخر، إذ كانت هذه اللفظة إنما قيل فيها: إنها قافية من أجل أنها مقطع البيت وآخره، وليس أنها مقطع ذاتي لها، وإنما هو شيء عرض لها بسبب أنه لم يوجد بعدها لفظ من البيت غيرها، وليس الترتيب، وأن لا يوجد للشيء تال يتلوه، ذاتا قائمة فيه، فهذا هو السبب في أن لم يكن للقافية من جهة ما هي قافية تأليف مع غيرها.

فأما من جهة ما تدل عليه، فإن ذلك تأليف معنى إلى ما يتألف معه، إلا أني نسبته في هذا الكتاب إلى القافية على سبيل التسمية، وإن أراد مريد أن ينسب ذلك إلى أنه تأليف معنى القافية إلى ما يتألف معه لم أضايقه، فصار ما حدث من أقسام ائتلاف بعض هذه الأسباب إلى بعض: أربعة، وهي: ائتلاف اللفظ مع المعنى، وائتلاف اللفظ مع الوزن، وائتلاف المعنى مع الوزن، وائتلاف المعنى مع القافية، وصارت أجناس الشعر ثمانية، وهي: الأربعة المفردات البسائط التي يدل عليها حده،

---

(١) أخبار أبي تمام الصولي ص/٢٢

والأربعة المؤلفات منها.

ولما كان لكل واحد من هذه الثمانية صفات يمدح بها، وأحوال يعاب من أجلها، وجب أ، يكون." (١)

"نعت ائتلاف اللفظ مع المعنى.

ومن أنواع ائتلاف اللفظ مع المعنى المساواة.

المساواة:

وهو أن يكون اللفظ مساويا للمعنى، حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتاب رجلا فقال: كانت ألفاظه قوالب لمعانيه، أي هي مساوية لها لا يفضل أحدهما على الآخر، وذلك مثل قول امرئ القيس:

فإن تكتموا الداء لا نخفه ... وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

وإن تقتلونا تقتلكم ... وإن تقصدوا لدم نقصد

وأعددت للحرب وثابة ... جواد المحثة والمردود

ومثل قول زهير:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة ... وإن خالها تخفى على الناس تعلم

ومثل قوله:

إذا أنت لم تقصر عن الجهل والخنا ... أصبت حليما أو أصابك جاهل

ومثل قوله:

سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم ... فلم يدركوا ولم يليموا ولم يألوا

ومثل قول طرفة:

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى ... لكالطول المرخى وثنياه باليد

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ومثله قول خالد بن زهير ابن أخي أبي ذؤيب الهذلي:

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها ... فأول راض سنة من يسيرها

ومثل قول ليلى الأخيلية:

فلا يبعدنك الله يا توب إنما ... لقاء المنايا دارعا مثل حاسر

ومن أنواع ائتلاف **اللفظ والمعنى** الإشارة:

الإشارة:

وهو أن يكون اللفظ القليل مشتملا على معان كثيرة بإيماء إليها أو لمحة تدل." (٢)

---

(١) نقد الشعر قدامة بن جعفر ص/٧

(٢) نقد الشعر قدامة بن جعفر ص/٥٥

"ومثل قول أوس بن حجر:

فإن يهو أقوام ردائي فإنني ... يقيني الإله ما وقى وأصادف

ومثل قول قتادة بن طارق المازني من الأزد:

اهاجك ربع قد تحمل حاضره وأوحش بعد الحي منه مناظرهيقول: ما تنظر إلى موضع منه إلا ذكرت فيه من الأنس بمن كان يحله منا قد أوحش في هذا الوقت بخلوه منه، وللعامرية:

كيف الفخار وقد كانوا لنسوتكم ... يوم النسار، بنو ذبيان، أربابا

إذ جز ناصيتي حصن وأعتقني ... وذاك شيب مني اليوم ما شابا

ولامرئ القيس:

فظل لنا يوم لذيذ بنعمة ... فقل في مقيل نحسه متغيب

ولامرأة من عكل:

يا ابن الدعى إنها عكل فقف

لتعلمن اليوم إن لم تنصرف

أن الكريم واللئيم مختلف

ومن أنواع ائتلاف **اللفظ والمعنى** الإرداف:

الإرداف:

وهو أن يريد الشعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع به، فإذا دل على التابع أبان عن المنبوع، بمنزلة قول ابن أبي ربيعة:

بعية مهوى القرط إما لنوفل ... أبوها وإما عبد شمس وهاشم

وإنما أراد هذا الشاعر أ، يصف طول الجيد، فلم يذكره بلفظه الخاص به، بل أتى بمعنى تابع لطول الجيد، وهو بعد مهوى القرط.

ومثل قول امرئ القيس:

ويضحي فتيت المسك فوق فراشها ... نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

وإنما أراد امرؤ القيس أن يذكر ترفه هذه المرأة وأن لها من يكفيها، فقال: نؤرم الضحى، وإن فتيت المسك يبقى إلى الضحى فوق فراشها، وكذلك سائر البيت، أي." (١)

"المعنى الآخر والكلام منبئان عما أراد أن يشير إليه.

مثال ذلك قول الرماح بن ميادة:

ألم تك في يمنى يديك جعلتني ... فلا تجعلني بعدها في شمالكا

---

(١) نقد الشعر قدامة بن جعفر ص/٥٧

ولو أنني أذنبت ما كنت هالكا ... على خصلة من صالحات خصالكا

فعدل عن أن يقول في البيت الأول: إنه كان عنده مقدما، فلا يؤخره، أو مقربا، فلا يبعده، أو مجتبى، فلا يجتنبه، إلى أن قال: إنه كان في يمنى يديه، فلا يجعله في اليسرى، ذهابا نحو الامر الذي قصد الإشارة إليه بلفظ ومعنى يجريان مجرى المثل له، وقصد الإغراب في الدلالة والابداع في المقالة، وكذلك قول عمير بن الأيهم:

راح القطين من الثغراء أو بكروا ... وصدقوا من نهار الأمس ما ذكروا

قالوا لنا وعرفنا بعض بينهم ... قولا فما وردوا عنه وما صدروا

فقد كان يستغني عن قوله: فما وردوا عنه ولا صدروا، بأن يقو: فما تعدوه، أو فما تجاوزوه، ولكن لم يكن له من موقع الإيضاح وغرابة المثل ما لقوله: فما وردوا عنه ولاصدروا.

ومن هذا قول بعض بني كلاب:

دع الشر واحلل بالنحاة تعزلا ... إذا هو لم يصبغك في الشر صابغ

ولكن إذا ما الشر ثار دفينه ... عليك فأنضج دبغ ما أنت دابغ

فأكثر **اللفظ والمعنى** في هذين البيتين جار على سبيل التمثيل، وقد كان يجوز أن يقال مكان ما قيل فيه: دع الشر ما لم تنشب فيه، فإذا نشبت فيه فبالغ، ولكن لم يكن لذلك من الحظ في الكلام الشعري والتمثيل الظريف ما لقول الكلابي،

ومن هذا قول الآخر:

تركت الركاب لأربابها ... وأكرهت نفسي على ابن الصعق

جعلت يدي وشاحا له ... وبعض الفوارس لا يعتنق

وفي قوله: جعلت يدي وشاحا له، إشارة بعيدة لغير لفظ الاعتناق وهي دالة عليه.

ومنه قول يزيد بن مالك الغامدي:

فإن ضجوا منا زأرنا فلم يكن ... شبيها بزأر الأسد ضبح الثعالب." (١)

"فقد أشار إلى قوتهم وضعف أعدائهم إشارة مستغربة، لها من الموقع بالتمثيل ما لم يكن لو ذكر الشيء المشار إليع بلفظه، ومثل ذلك قول عبد الرحمن بن علي بن علقمة بن عبدة:

أوردتهم وصدور العيس مسنفة ... والصبح بالكوكب الدري منحور

فقد اشار إلى الفجر إشارة بعيدة ظريفة بغير لفظه.

وكذلك قول اللعين المنقري، يصف ناره:

رأى أم نيران عوانا تكفها ... بأعرافها هوج الرياح الطرائد

فقد أومأ بقوله: أم نيران: إلى قدمها، وبعوان: إلى كثرة عادته لإيقادها، إيماء غريبا ظريفا، وإن كانت العرب تقول ذلك في النار كثيرا.

---

(١) نقد الشعر قدامة بن جعفر ص/٥٩

وقال بعض العرب:

فتى صدمته الكأس حتى كأنما ... به فالج من دائها فهو يرعش

والكأس لا تصدم، ولكنه أشار بهذا التمثيل إشارة حسنة إلى سكره.

وقال العباس بن مرداس:

كانوا أمام المؤمنين دريئة ... والبيض يومئذ عليهم أشمس

يريد أن البيض عليهم قد صارت شموسا.

المطابق والمجانس:

وقد يضع الناس من صفات الشعر: المطابق والمجانس، وهما داخلان في باب ائتلاف **اللفظ والمعنى**، ومعناهما أن تكون في الشعر معان متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة.

المطابق:

فأما المطابق فهو ما يشترك في لفظة واحدة بعينها، مثل قول زياد الأعجم:

ونبئتهم يستنصرون بكاهل ... وللؤم فيهم كاهل وسنام

وقال الأفوه الأودي:

وأقطع الهوجل مستأنسا ... بهوجل عيرانة عنتريس

فلفظة: الهوجل في هذا الشعر واحدة قد اشتركت في معنيين، لأن الأولى يراد بها الأرض، والثانية الناقة، وكذلك قول أبي دؤاد الإيادي:

عهدت لها منزلا دائرا ... وآلا على الماء يحملن آلا

فالآل الأول في المعنى غير الثاني، لأن الأول أعمدة الخيام، والثاني من السراب.

المجانس:." (١)

"نسب الشيء إلى ما ليس منه:

ومن عيوب المعاني: أن ينسب الشيء إلى ما ليس منه، كما قال خالد بن صفوان:

فإن صورة راقتك فاخبر فربما ... أمر مذاق العود، والعود أخضر

فهذا الشاعر بقوله: ربما أمر مذاق العود والعود أخضر.

كأنه يومئ إلى أن سبيل العود الأخضر، في الأكثر، أن يكون عذبا، أو غير مر، وهذا ليس بواجب، لأنه ليس العود الأخضر بطعم من الطعوم أولى منه بالآخر.

ولنتبع ما تكلمنا به في عيوب المعاني بما في الأقسام الأربعة المؤتلفة. من ذلك: عيوب ائتلاف **اللفظ والمعنى**. فمنها:

الإخلال:

---

(١) نقد الشعر قدامة بن جعفر ص/٦٠

وهو أن يترك من اللفظ ما به يتم المعنى.

مثال ذلك قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

أعاذل عاجل ما أشتهي ... أحب من الأكثر الرائث

فإنما أراد أن يقول: عاجل ما أشتهي مع القلة أحب إلى من الأكثر المبطئ فترك مع القلة وبه يتم المعنى.

ومثل ذلك قول عروة بن الورد:

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ... ومقلتهم عند الوغى كان أعذرا

فإنما أراد أن يقول: عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم في السلم، ومقلتهم عند الوغى أعذر فترك في السلم.

ومن هذا الجنس قول الحارث بن حلزة:

والعيش خير في ظلا ... ل النوك ممن عاش كدا

فأراد أن يقول: والعيش خير في ظلال النوك من العيش بكد في ظلال العقل فترك شيئا كثيرا، وعلى أنه لو قال ذلك لكان في هذا الشعر خلل آخر، لأن الذي يظهر أنه أراده، هو أن يقول: إن العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل فأخل بشيء كثير.

ومن هذا الجنس نوع آخر، وهو كما قال بعضهم:." (١)

"يرمي إذا ما سدد الأرعاظا

على قسي حربظت حرباظا

وسهم مرعوظ إذا انكسر رعظه فشد بالعقب فوقه، وذلك العقب يسمى الرصاف.

(باب العين والظاء مع اللام)

ع ظ ل

استعمل من وجوههن: عظل، ظلع، لعظ.

عظل: روي عن عمر بن الخطاب أنه قال لقوم من العرب: أشعر شعرائكم من لم يعاظل الكلام ولم يتبع حوشيه. قوله: لم يعاظل الكلام أي لم يحمل بعضه على بعض، ولم يتكلم بالرجيع من القول ولم يكرر **اللفظ والمعنى**. وحوشي الكلام: وحشيه وغريبه. ومن أيام العرب المعروفة يوم العظالى وهو يوم معروف.

ويقال أيضا: يوم العظالى، سمي اليوم به لركوب الناس فيه بعضهم بعضا.

وقال الأصمعي: ركب فيه الثلاثة والاثنان الدابة الواحدة. وتعظل القوم على فلان إذا تركبوا عليه يضربونه.

وقال الليث: عظل الجراد والكلاب كل ما يلازم في السفاد، والاسم العظال؛ وأنشد:

كلاب تعاظل سود الفقا

---

(١) نقد الشعر قدامة بن جعفر ص/٨٥

ح لم تحم شيئا ولم تصطد

قال: وجراد عظلى: متعاظلات؛ وأنشد:

يا أم عمرو أبشري بالبشرى

موت ذريع وجراد عظلى

قلت: أراد أن يقول: يا أم عامر فلم يستقم البيت فقال: يا أم عمرو. وأم عامر: كنية الضبع، والعرب تضرب بها المثل في الحمق. ويجيء الرجال إلى وجارها فيسد فمه بعد ما يدخله لئلا ترى الضوء، فتحمل الضبع عليه، فيقول لها: خامري أم عامر، أبشري برجال قتلى، وجراد عظلى، فتذل له، حتى يكعمها، ثم يجرها ويستخرجها. وتعاظلت الجراد إذا تسافدت. وأخبرني المنذري عن ثعلب عن ابن الأعرابي قال: سفد السبع وعاظل. قال: والسباع كلها تعاظل. والجراد والعظاء تعاظل ويقال: تعاظلت السباع وتشابكت. قال: والعظل: هو المجبوسون، مأخوذ من المعاظلة. وقال ابن شميل: يقال: رأيت الجراد ردافى وركابى وعظالى إذا اعتظلت. وذلك أن ترى أربعة وخمسة قد ارتدفت.

ظلع: أبو عبيد عن أبي عمرو قال: الظالع: المتهم. قال: ومنه قوله:

ظالم الرب ظلع

قلت: هذا بالظاء لا غير. وأما الضالع بالضاد فهو المائل، وقد ضلع يضلع. ويقال: ضلعك مع فلان أي ميلك معه. وأخبرني أبو الفضل المنذري عن أبي العباس عن ابن الأعرابي أنه قال: يقال: ارق على ظلعك، فيقول: رقيت رقيا. ويقال: ارقأ على ظلعك بالهمزة فيقول: رقأت، ومعناه: أصلح أمرك أولا. ويقال: ق على ظلعك، فيجيبه: وقيت، أقي، وقيا. وروى ابن هانئ عن." (١)

"من (الأون) وهو: الرفق.

وقد أونت، أي: اقتصدت.

ويقال: ربع آئن خير من عب حصحاص.

قلت: الوأبة، بالباء: مقاربة الخلق.

والوأنة، بالنون: الحمقاء.

ابن السكيت: امرأة وأنة، إذا كانت مقاربة الخلق.

وقال الليث: الوأنة؛ سواء فيه الرجل والمرأة، يعني: المقتدر الخلق.

والإوان: شبه أزج غير مسدود الوجه.

والإيوان، لغة؛ وأنشد:

إيوان كسرى ذي القرى والريحان

وجماعة (الإوان) أون، مثل: خوان وخون.

---

(١) تهذيب اللغة الأزهري ١٧٨/٢

وجماعة (الإيوان) : أواوين، وإيوانات؛ وأنشد:

شطت نوى من أهله بالإيوان

قال: وجماعة إيوان اللجام: إيوانات.

وقال غيره: الإوان: من أعمدة الخباء.

قال: وكل شيء عمدت به شيئا فهو: إوان؛ قال الراعي يذكر امرأة:

تبيت ورجلاها إوانان لاستها

عصاها استها حتى يكل قعودها

أي: رجلاها سندان لاستها تعتمد عليهما. وقوله: عصاها استها، أي: تحرك استها على البعير.

الليث: الأوان: الحين والزمان.

تقول: جاء أوان البرد؛ قال العجاج:

هذا أوان الجد إذ جد عمر

وجمع، الأوان: آونة.

ابن السكيت، عن الكسائي، قال: قال ابن جامع: هذا إوان ذلك.

والكلام: أوان ذلك، بالفتح.

وقال أبو عمرو: أتيته آئنة بعد آئنة، بمعنى: آونة.

الآن: سلمة، عن الفراء، قال: الآن، حرف بني على الألف واللام، ولم يخلعا منه وترك على مذهب الصفة، لأنه صفة في **المعنى واللفظ**، كما رأيتهم فعلوا ب (الذي) و (اللذين) فتركوهما على مذهب الأداة، والألف واللام لهما غير مفارقة؛ ومنه قول الشاعر:

فإن الألاء يعلمونك منهم

فأدخل الألف واللام على (أولا) .

ثم تركها مخفوضة في موضع النصب، كما كانت قبل أن تدخلها الألف واللام؛ ومثله قوله:." [١]

"٢٤ - وقالت مريم بنت طارق ترثى أخاها، في أبيات أنشدها ابن الأنباري في أماليه:

كنا كأنجم ليل بينها قمر ... يجلو الدجى، فهوى من بينها القمر

أخذ أبو تمام **اللفظ والمعنى**، فقال:

كأن بني نبهان يوم وفاته ... نجوم سماء من بينها البدر

أو أخذه من قول جرير يرثي الوليد بن عبد الملك:

أمسى بنوه وقد جلت مصيبتهم ... مثل النجوم هوى من بينها القمر

---

(١) تهذيب اللغة الأزهري ١٥/٣٩٢

ولست أدري أيهما أخذ من صاحبه؟ أمريم أخذت من جرير، أم جرير أخذ منها؟ وروى دعبل بن علي الخزاعي لأبي سلمى المونى، من ولد زهير، واسمه مكنف وهو الذي كان يهجو بني القعقاع آل ذفافة العبسي فيقول:

إن الضراط به تعاظم مجدكم ... فتعاظموا ضرطا بني القعقاع

قال دعبل: فلما مات ذفافة رثاه أبو سلمى فقال:

أبعد أبي العباس يستعتب الدهر ... وما بعده للدهر عتبي ولا عذر؟

[إذا ما أبو العباس خلى مكانه ... فلا حملت أنثى ولا مسها طهر].." (١)

"وما قيل في إخفاء الحركة والدبيب أبلغ ولا أبرع من بيت امرئ القيس هذا.

٤٣ - وقال الفرزدق يهجو جريرا:

أنتم قرارة كل مدفع سوأة ... ولل سائلة تسيل قرار

أخذ أبو تمام **اللفظ والمعنى** جميعا فقال:

وكانت لوعة ثم اطمأنت ... كذاك لكل سائلة قرار

٤٤ - وقال محمد بن بشير الخارجي من خارجة عدوان:

وإذا رأيت صديقه وشقيقه ... لم تدر أيهما أخو الأرحام

أخذه أبو تمام فقال:

فلو أبصرتهم والزائريهم ... لما مزت الحميم من البعيد

فقصر عن الأول.

٤٥ - وقال بعض الأعراب يصف المصلوب، أنشده ثعلب:

قام ولما يستعن بساقه ... آلف مثواه على فراقه

كأنما يضحك في أشداقه." (٢)

"ولكن الذين أملهم وطلب ما عندهم حورفوا ف يمكارمهم؛ فأحسن في **المعنى واللفظ** كل الإحسان؛ وأراد البحتري أن البخيل إذا امتن بمعروفه فالمرزوق من حرم ذلك المرعوف؛ فهذا المعنى غير معنى أب يتمام، وليس بينهما اتفاق ولا تقارب.

٢٥ - ومن ذلك قول أبي تمام:

إذا شب نارا أقعدت كل قائم ... وقام لها من خوفه كل قاعد

وقول البحتري:

ومبجل وسط الرجال، خفوفهم ... لقيامه، وقيامهم لقعوده

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٧٢/١

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٨٢/١

وليس أحد المعنيين من الآخر في شيء؛ لأن أبا تمام أراد أن الممدوح إذا شب نار الحرب أقعدت كل قائم لقتاله ومنابذته: أي تزعج كل واحد خوفا وفرقا؛ وذلك مأخوذ من قول الفرزدق:

أتاني ورحلي بالمدينة وقعة ... آل تميم أقعدت كل قائم

وقوله " وقام لها من خوفه كل قاعد " أي: زال عن الطمأنينة والهدو والقرار فقام، وإنما يريد انزعاج الخائف؛ فجعل ذلك قياما له، والبحتري إنما ذكر أن الرجال يخفون لقيام ممدوحه، أي:." (١)

"وقال البحتري أيضا:

عهدي بربعك مأنوسا ملاعبه ... أشباه آرامه حسنا كواعبه

وهذا بيت في غاية الجودة والبراعة لفظه ومعناه.

وقال أيضا:

عهدي بربعك مئلا آرامه ... يجلى بضوء خدودهن ظلام

وهذا بيت جيد **اللفظ والمعنى**، ولفظ الأول أحلى وأبرع، وقوله " يجلى بضوء خدودهن ظلامه " حسن جدا.

وقال أيضا:

أرى بين ملتف الأراك منازلا ... مواثل لو كانت مهاها مواثلا

وهذا أيضا بيت من أبرع ابتداءاته.

فهذا ما وجدته لهما في هذا النحو، والبحتري في أبياته أشعر من أبي تمام في أبياته.." (٢)

"وهذا بيت بارع اللفظ، جيد المعنى، وزاد في جودته قوله " نشدتك الله ".

وقال أيضا:

سقيت الغوادي من طلول وأربع ... وحييت من دار لأسماء بلع

وهذا أيضا بيت جيد **اللفظ والمعنى**، ويدخل في باب التسليم على اديار لقوله " وحييت من دار ".

وقال أيضا:

أناشد الغيث هل تهمى غواديه ... على العقيق وإن أقوت مغانيه

وهذا بيت جيد وقال أيضا:

أقام كل ملث الودق رجاس ... على ديار بعلو الشام أدراس

ملث: دائم كثير، ورجاس: مصوت، يريد الرعد، وهذا بيت كثير الماء والرونق.

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٣٦١/١

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٤٦١/١

وقال أيضا:

لا يرم ربعك السحاب يجوده ... تبتدى سوقه الصبا أو تقوده." (١)

"والجواب أنه أراد أبكيت إلا ما مثله يبكي؟ وقد تقدمني الناس فيه ولم ينكر ذلك على أحد.

وقوله:

خذا من بكائي في المنازل أودعا ... وروحا على لومي بهن أو اربعا

وهذا بيت جيد.

وقوله أيضا:

ذاك وادي الأراك فاحبس قليلا ... مقصرا من ملامتي أو مطيلا

وهذا بيت جيد حسن، بارع **اللفظ والمعنى**، وقد ذكرته أيضا في باب الوقوف على الديار.

وقوله:

أحرى الخطوب بأن يكون عظيما ... قول الجهول: ألا تكون حليما

وقوله:

ما أنت للكلف المشوق بصاحب ... فاذهب على مهل فليس بذاهب

وقوله:

في غير شأنك بكرتي وأصيلي ... وسوى سبيلك في السلو سبيلي." (٢)

"وما زال الناس يستقبحون هذا **اللفظ والمعنى**، وإنما سمع أبا نواس قال:

سن للناس الندى فندوا ... فكأن البخل لم يكن

فأخذه وأفسده بشهواته أن يصيب بخيلا

وقال:

أرى الناس منهاج الندى بعدما عفت ... مهايعه المثلى ومحت لواحبه

ففي كل شرق للبلاد ومغرب ... مواهب ليست منه وهي مواهبه

وهذا معنى حسن جدا، ومثله قول البحتري:

رغبت قوما في السماح وأين هم ... إن ساجلوك من السماك الأعزل

ساموك من حسد فأفضل منهم ... غير الجواد وجاد غير المفضل

فبذلت فينا ما بذلت سماحة ... وتكرما وبذلت ما لم تبذل

قوله: «وجاد غير المفضل»، أي: صار جوادا من لم يقدر على الإفضال، وقوله: «وبذلت ما لم تبذل» أي: لما ساماك

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٤٦٥/١

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٤٦٨/١

حسادك فسمحوا وبذلوا، كان ذلك البذل كأنه منك، وإن لم تكن بذلته على الحقيقة، فهذا معنى قول أبي تمام:

ففي كل شرق في البلاد ومغرب ... مواهب ليست منه وهي مواهبه." (١)

"«المصيف»: هو الموضع الذي يصيفون فيه، و «المربع»: منزلهم الربيع ووقت المطر والخصب.

وقال أبو تمام:

ومشهد بين حكم الذل منقطع ... صاليه أو بحمام الموت متصل

ضنك إذا خرست أبطاله نطقت ... فيه الصوارم والخطية الذبل

لا يطمع المرء أن يجتاب ظلمته ... بالقول ما لم يكن جسرا له العمل

قوله: «بين حكم الذل» رديء، لأن حكم الذل ليس يراد به أشياء متفرقة، فيصلح فيها بين، لأن حكم الذل، والذل بمنزلة، وكذلك حكم العز والعز وحكم الظلم والظلم، وحكم العدل والعدل، وقد بينت هذا في باب أغاليطه، وهو الجزء الثاني من جملة «كتاب الموازنة» ز

وليس هذا من اللحون التي يتجاوز في مثلها، مثل تسكين ما يجب أن يكون منصوبا، أو تحريك ما يجب أن يكون ساكنا ونحو ذلك، لأن هذا فساد في اللفظ، وذلك فساد في **اللفظ والمعنى**، وكان ينبغي أن يقول: ومشهد بين حكم الذل وحكم العز، لأنه قد قال: «منقطع صاليه» يريد فراره عن الحرب، «أو بحبال الموت متصل»، الذي لا يبرح مكانه حتى يقتل أو يظفر.." (٢)

"وقال:

بأبي وغير أبي وذاك قليل ... ثاو عليه ثرى النباح مهيل

وهذان ابتداءان صالحان.

وقال:

لنمنا وصرف الدهر ليس بنائم ... خزمنا له قسرا بغير خزائم

وهذا ابتداء رديء كز **اللفظ والمعنى**.

وقال:

دموع أجابت داعي الحزن همع ... توصل منا عن قلوب تقطع

وقال:

اليوم أدرج زيد الخيل في كفن ... وانحل معقود دمع الأعين الهتن

وهذان ابتداءان صالحان.

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٢١٤/٣

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٢٩٧/٣

وقال:

ريب دهر أصم دون العتاب ... مرصد بالأوجال والأوصاب." [1]

"وفي روضة بيتية صبغت لها ... جداولها نوارها صبغة العهن

ظللت بها في جنة غاب نحسها ... تذكرنا لذاتها جنة العدن

نعمنا بها في بيت أروع ماجد ... من القوم آب للدنية واللعن

فتى شق من عود المحامد عوده ... كما اشتق مسموه له اسما من الحسن

وهذه أبيات منها جيد حلو، ومنها رديء **المعنى واللفظ**، قبيح النسج.

فقوله: «وصبح من يقيني كالظن» رديء: من أجل قوله: «وصبح» كأنه أراد أن يقول: «صحيح من يقيني كالظن» فلم يستو له أن يقول: «صحيح»، فجعل مكانه «صبح»، أي: واضح يقيني ونيره كالظن.

وقوله: «هي اختدعتني والغمام» بيت صحيح المعنى رديء اللفظ والنسج.

وكذلك قوله: «إذا اشتعلت في الكاس والطاس» وقد كانت الكاس تكفي من ذكر الطاس، وإن كان هذا يسوغ، ومثله موجود في أشعار الناس.

وقوله: «راحتي يقق لدن» يريد راحتي أبيض ناعم، وأبيض ناعم أجود وأحسن لفظا من «يقق لدن» وأحلى في هذا الموضع.

وقوله: «هي من الجفن» يريد الكرم، ويقول: هي من الكرم، أي ليست من التمر ولا غيره من الأشربة التي ليست خمرا.." [2]

"وقوله: «إلا أنه اللؤلؤ الرطب» أي: محدث من اختراعه، ولم يكن سبق إليه.

وقال البحتري:

لأشكرنك إن الشكر نائله ... أبقى على حالة من نائل النشب

بكل شاهدة للقوم غائبة ... عنهم جميعا ولم يشهد ولم يغب

مرصوفة باللآلي من نوادرها ... مسبوكة **اللفظ والمعنى** من الذهب

ولم أحابك في مدح تكذبه ... بالفعل منك وبعض المدح من كذب

قوله: «لم أحابك في مدح تكذبه»، وقول أبي تمام: «وإذا امتدحت سواك ...» معنى قد تداولته الشعراء أيضا وأكثرت فيه.

وقال أبو تمام:

إليك أثرت من تحت التراقي ... قوافي تستدر بلا عصاب

من القرطات في الآذان تبقى ... بقاء الوحي في الصم الصلاب

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٤٦١/٣

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٦٠٨/٣

عراض الجاه تجزع كل واد ... مكرمة وتفتح كل باب

مضمنة كلال الركب تغني ... غناء الزاد عنهم والركاب

إذا عارضتها في يوم فخر ... مسحت خدود سابقة عراب

تصير بها وهاد القوم هضبا ... وأعلاما وتثلم في الروابي." (١)

"ومعنى هذا البيت من معانيه اللطيفة المشهورة، قوله: «لأعجاز الزمان» أراد بالأعجاز أواخر الزمان، وهذا لفظ وإن كان معناه صحيحا، فإنه لا يكاد يستعمل بأن يقال: إذا عجز الزمان كذا وكذا، وإنما يقال: إذا كان في آخر الزمان، وإنما قال: أعجاز الزمان، من أجل قوله: «تلهو بعاجل حسنها»، فأراد أن يطابق بين عاجل وآجل، فلم يستو له آجل الزمان، فجعل مكانه أعجاز الزمان، ولو قال: أغبار الزمان، وغبر الزمان: باقي الزمان، كان أحسن من أعجاز الزمان، لأن غابر الأيام لفظ مستعمل حسن، فإذا وقع في موقع المستعمل ما هو في معناه وليس بمستعمل في ذلك قبح وهجن، ولكن ليست لأبي تمام عناية باللفظ كعنايته بالمعاني، فهو إذا جاءه المعنى أورده بأي لفظ استوى له، والبحتري عنايته مصروفة إلى تخير الألفاظ كما يتخير المعاني وذلك قوله:

بمنقوشة نقش الدنانير يبتغي ... لها اللفظ مختارا كما ينتقى التبر

وقوله:

مرصوفة باللآلي من نوادرها ... مسبوكة اللفظ والمعنى من الذهب

وقال أبو تمام:

إليك أرحنا عازب الشعر بعدما ... تمهل في روض المعاني العجائب

غرائب لاقت في فنائك أنسها ... من المجد فهي الآن غير غرائب

ولو كان يفنى الشعر أفنته ما قرت ... حياضك منه في العصور الذواهب." (٢)

"وأما قوله:

فلا يبعد الله الشباب وقولنا ... إذا ما صبونا صبوة سنتوب

فمن أملح الكلام وأطرفه وأرقه ولو لم يكن فضائل الشباب غير ما ذكر الشاعر في هذا البيت لكفاه، ولم نعلم أحدا أتى بأحسن من هذا المعنى واللفظ في تذكر عهد الصبا وأيام البطالة. وشبيه بقوله: " إذا ما صبونا " البيت، قول بعضهم:

أتانا بها حمراء يحلف أنها ... طبيخ فصدقناه وهو كذوب

فهل هي إلا ليلة غاب نحسها ... أواقع فيها الذنب ثم أتوب

ومثله قول أبي نواس:

لو شئت لم نبرح من القفص ... نشربها حمراء كالحص

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٣/٦٨٥

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٣/٦٩٣

نسرق هذا اليوم من ربنا ... وإنما يعفى عن اللص

وشبيه به بيت قرأناه في هيكل دير متى وهو:

سقنا يا غلام في هيكل الدي ... ر شرابا يختاره الرهبان

هاتها كالعقيق حمراء وليج ... هد علينا بجهده رمضان

هو يوم مكان يوم ويعفو الل ... ه عنا فربنا منان." (١)

"خرجت أجر الذيل مني كأنني ... عليك أمير المؤمنين أمير

وفيه قال أزيهر النميري فوافق طرفة:

وندمان صدق له بهجة ... كريم الفجاءة رحب العطن

أكلنا الغريض على كأسه ... ولم يدر ندمانه ما الثمن

وراح نداماه لم يغرموا ... وراح إلى أهله قد غبن

وقال المرار بن سلامة العجلي:

وفتيان يهولك أن تراهم ... سبأت لهم من الراح المدام

فلما أن شربنا وانتشينا ... ودبت في المفاصل والعظام

نهضت إلى عتيق مشرفي ... حديث الصقل مأثور حسام

لبرك هاجد فاعتمت منه ... علاة الجسم تامكة السنام

وهذا موافق لطرفة لفظا ومعنى، وقد وافقهما في **اللفظ والمعنى** البرج بن مسهر حيث يقول:

وندمان يزيد الكأس طيبا ... سقيت وقد تغورت النجوم

فلما أن تنشى قام خرق من الفتيان مختلق هضوم

إلى وجناء ناوية وكاست ... وهي العرقوب منها والصميم

فأشبع شربه وجرى عليهم ... بإبريقين كأسهما رذوم

وقد قال عنترة فوافق طرفة:

فإذا شربت فإنني مستهلك ... مالي وعرضي وافر لم يكلم

وقد قال ابن قتيبة: لولا أن عنترة قال بعد هذا البيت:

وإذا صحوت فما أقصر عن ندى ... وكما علمت شمائلي وتكرمي

لعيب كما عيب على طرفة، والعرب قد تمدح الرجل بالجود على السكر كما تمدحه به في الصحو. يوضح ذلك قول امرئ القيس:

وتعرف فيه من أبيه شمائلا ... ومن عمه ومن يزيد، ومن حجر

---

(١) حماسة الخالديين = الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين الخالديان ٢٩/١

سماحة ذا، وبر ذا، ووفاء ذا ... ونائل ذا إذا صحا وإذا سكر

والخمر لا تنقل الإنسان عن طبعه كما يقول بعض الناس، وإنما تزيد فيه إن كان كريما زادته كرما، وإن كان لئيما زادته لؤما، وكل من سكر حاد كما قال في بيت عمرو بن كلثوم، ألم تسمع إلى قول عرقل بن الخطيم السعدي:

أحب اللينين من الندامى ... وأبغض كل ندمان وقاح

يزيد العقدتين إذا انتشينا ... على ما كان يعقد وهو صاح

والى قول الشاعر: بئس الصحاة وبئس الشرب شربهم إذا جرت فيهم المزاء والسكر وإلى قول الجرمي:

لعمري لئن أنزفتم أو صحوتم ... لبئس الندامى أنتم آل أبجرا

أنزفوا: سكروا، قال الله عز وجل في صفة الخمر: (لا يصدعون عنها ولا ينزفون) .

وأوضح من هذا كله، قول الشاعر:

تزيد حسا الكأس السفيه سفاهة ... وتترك أخلاق الكريم كما هيا

وكان أبو عمرو يرد على رؤبة قوله:

لا تك كالرامي بغير أهزعا

ويقول: إنما يقال: " ما في كنانته أهزع "كما يقال: " ليس فيها ديار " في موضع النفي.

وقد جاء الأهزع في كلامهم موجبا، قال ريان بن حويص:

كبرت ودق العظم مني كأنما ... رمى الدهر مني كل عرق بأهزع

وقال النمر بن تولب:

فأخرج سهما له أهزعا ... فشك نواهقه والفما

وقال بعض جرم:

فأسعل الغير بحشر أهزعا

قوله: أسعل، كقول لبيد:

فتآيا بطرير مرهف ... جفرة المخرم منه فسعل

٣٦ - وكان أبو عمرو يعيب على ذي الرمة في قوله:

حتى إذا دومت في الأرض راجعه ... كبر ولو شاء نجى نفسه الهرب

ويقول لا يقال: دوم في الأرض، إنما يقال: دوى في الأرض، وتابعه الأصمعي في ذلك فقال: التدويم ارتفاع مع استدارة، يقال: دوم الطائر في السماء، ودوى السبع في الأرض.

وقد أنكر هذا الرد ابن الأعرابي وقال: إن كان لا يقال دوم في الأرض فمن أي شيء سميت الدوامة. وقد صدق ابن

الأعرابي: دوم ودوى بمعنى. وأنا أقول: لو لم يكن التدويم إلا في السماء لما قيل أصاب فلانا دوام كما يقولون: أصابه دوار، ولما قالوا: دومة الجندل.." (١)

"منى كن لي أن البياض خضاب ... فيخفى تبييض القرون شباب

قال أبو الفتح: يقول شيبي هذا كان لي منى قديما. وإنما تمنيت الشيب ليخفى شبابي بابيضاض شعري. وآثر الشيب على الشباب لما فيه من الوقار.

قال أبو القاسم: ثاني هذا البيت يرد ما ذكره أبو الفتح من تمني الوقار وهو:

ليالي عند البيض فوداي فتنة ... وفخر وذاك الفخر عندي عاب

وإنما المعنى أني مصروف الهمة إلى اكتساب المعالي والمآثر كقوله في عدة قصائد:

ضروب الناس عشاق ضروبا ... فأعذرهم أشقهم حبيبا

وما سكني سوى قتل الأعادي ... فهل من زورة تشفي القلوبا

وقال في أخرى:

محب كنى في البيض عن مرهفاته ... وبالحسن في أجسادهن عن الصقل

وبالمر عن سمر القنا غير أنني ... جناها أحبائي وأطرافها رسلي

وقال المتنبي:

لو مر يركض في سطور كتابه ... أحصى بحافر مهره ميمانها

قال أبو الفتح في آخر تفسير هذا البيت: وشبه معها حافر الفرس بالميم وقد استقصيت ذلك في الفسر الكبير في شرح هذا الديوان.

قال أبو القاسم لأبي الفتح ثلاث علل اتخذها قواعد في شعر المتنبي إذا ضاق به الأمر: إحداهما أنه يحيل بالمعنى على الفسر الكبير، والثانية أن يقول بهذا أجابني المتنبي عند الاجتماع، والثالثة أن يقرن بالبيت مسألة في النحو يستهلك البيت **واللفظ والمعنى**.

وأما حافر الفرس فلا يشبه الميم في صورته. والمتنبي شبه حافر الفرس بالعين المفردة كقوله في سيف الدولة:

أول حرف من اسمه كتبت ... سنابك الخيل في الجلاميد

وقد شبه نعال الحوافر مسمورة بعض أهل العصر في عضد الدولة فقال:

لهم بفناء البيت جرد صوافن ... سلاط هواديها فورد وأيهم

إذا أنعلوها فالنعال أهلة ... وإن سمروها فالمسامير أنجم

وقال المتنبي:

تكبو وراءك يا ابن أحمد قرح ... ليست قوائمهن من آلاتها

---

(١) التنبيهات على أغاليط الرواة علي بن حمزة البصري ص/١٣

قال أبو الفتح: الهاء في آلاتها راجعة إلى الوراء لأنه مؤنثة وتصغيرها ورية.

قال أبو القاسم: الهاء في آلاتها عائدة إلى القرح أي ليست قوائم هذه القرح من آلات مجاراتك في مآثرك أو مباراتك في مناقبك، ويريد بالآلات أفعالهم.

فتى يشتهي طول البلاد ووقته ... تضيق به أوقاته والمقاصد

قال أبو الفتح: أي يحب طول البلاد لتبعد سراياه، وطول الوقت ليتمكن فيه من أغراضه وتضيق ببعد همته أوقاته ومقاصده.

قال أبو القاسم: أي وقت سيف الدولة الذي هو فيه في الحال يستغرق مقاصد الأرض.

وقال المتنبي:

أبرحت يا مرض الجفون بممرض ... مرض الطبيب له وعيد العود

قال أبو الفتح: أبرحت أي تجاوزت. والممرض جفنها.

ومرض الطبيب له وعيد العود مثل ضربه ولا طبيب هناك ولا عود ولكنه لما ذكر هناك ذكر المرض ذكر الطبيب معه والعود.

قال أبو القاسم: قوله أبرحت معناه شددت يقال أمر مبرح ومبرح ومنه البرحاء لشدة الشوق، والممرض هو المتنبي نفسه يقول اشتدت يا مرض الجفون بمحب أمرضته في شدة مرضه، وهو لسقمه مرض معالجه وعيد عائده. وهذا المعنى متداول في شعر المحدثين لا يعد كثرة كقول أحدهم:

مرض بناظره إذا ما مرضا ... يقضي على أحبائه قبل القضا

وكقول غيره:

أسقم جسمي سقام ناظره ... يا ليتني خاطر بخاطره

وقال المتنبي:

أحاد أم سداس في أحاد ... لييلتنا المنوطة بالتنادي

قال أبو الفتح: استطال ليلته فقال واحدة هي أم ستة واختيار الستة دون غيرها من العدد لأنها الغاية التي فرغ الله تعالى من جميع أحوال الدنيا. وصغر الليلة تصغير التعظيم كقول أوس:

فويق جبيل شامخ الرأس لم تكد ... لتبلغه حتى تكل وتعملا

والتنادي يريد التنادي بالرحيل وقود الخيل إلى الأعداء ألا تراه يقول فيما بعد:

أفكر في معانقة المنايا ... وقود الخيل مشرفة الهوادي." (١)

"وقوله الذين أهتروا بذكر الله أي نسبوا إلى الخرف في كثرة ذكر الله عز وجل ويقال خرف فلان في ذكر الله يراد قد هرم وهو يطيع الله عز وجل ويذكره ويجوز أن يكون المفردون الذين قد تفردوا وتحلوا بذكر الله تعالى واشتهروا بالذكر والتسبيح ومما يشكل ولا يضبطه إلا أهله ما حدثنا به أحمد بن اسحاق ابن بهلول حدثنا أبي حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن يونس بن عبيد عن الحسن عن عمرو بن تغلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أشراط الساعة أن يفيض

(١) الواضح في مشكلات شعر المتنبي أبو القاسم الأصبهاني ص/١٠

المال ويظهر القلم ويفشو التجار قوله القلم القاف مفتوحة واللام مفتوحة ومن لا يميز يصحفه بالعلم فيقلب **المعنى واللفظ** وإنما أراد صلى الله عليه وسلم القلم الذي يكتب به قال عمرو ابن تغلب إن كان الرجل ليبيع البيع فيقول حتى أستأمر تاجر بني فلان ويلتمس في الحواء العظيم الكاتب فلا يوجد

وفي حديث آخر ويرفع العلم ويوضع الجهل وليس من هذا في شيء." (١)

"أنهما عرفا أمير المؤمنين خبري، وأن علي ثمان مائة ألف درهم، دينا، فأمر بحملها إلي.

ثم قالا له: فإذا قضى دينه، يرجع إلى الدين؟ فأمر لي بثمان مائة ألف درهم أخرى، لنفقتي.

وأنهما أضافا إليها من أموالهما، ألفي ألف درهم، فحملاها مع ذلك.

فاستوفيت من رسولهما، ثلاثة آلاف ألف، وست مائة ألف درهم.

وقد ذكر أبو الحسن القاضي هذا الخبر في كتابه، على قريب من هذا **اللفظ والمعنى**، بغير إسناد، ولم يذكر فيه مبلغ المال، ولا حال الاستتار.." (٢)

"فليس فى المعهود أن يكون الغيث واكفا فى كل ساعة.

قال «١٤» : ومن عيوب المعانى أيضا أن ينسب الشيء إلى ما ليس منه، كما قال خالد بن صفوان:

فإن صورة راقتك فاخبر فربما ... أمر مذاق العود والعود أخضر

فهذا الشاعر بقوله:

.... ربما

أمر مذاق العود والعود أخضر

كأنه يومئ إلى أن سبيل العود الأخضر فى الأكثر أن يكون عذبا أو غير مر؛ وهذا ليس بواجب؛ لأنه ليس العود الأخضر بطعم من الطعوم أولى منه بالآخر.

[من عيوب ائتلاف **اللفظ والمعنى**:]

قال «١٥» : ومن عيوب الشعر «الإخلال» ؛ وهو أن يترك من اللفظ ما يتم به المعنى؛ مثال ذلك قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

أعاذل عاجل ما أشتهى ... أحب من الأكثر الرائث «١٦»

فإنما أراد أن يقول: عاجل ما أشتهى مع القلة أحب إلى من الأكثر المبطىء، فترك «مع القلة» ، وبه يتم المعنى.

ومثل ذلك قول عروة بن الورد «١٧» :

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ... ومقتلهم عند «١٨» الوغى كان أعذرا [١٢٤]." (٣)

---

(١) تصحيفات المحدثين العسكري، أبو أحمد ٢٧١/١

(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخي التنوخي، المحسن بن علي ٥٢/٣

(٣) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء المرزباني ص/٢٩٦

"فأما الذى أخذه البحترى نقلا، فأخذ **اللفظ والمعنى**، فقول أبى تمام يصف شعره «١٦» :

منزهة عن السرق المورى ... مكرمة عن المعنى المعاد

فقال البحترى يصف بلاغة «١٧» :

لا يعمل المعنى المكر ... ر فيه واللفظ «١٨» المردد

وقال أبو تمام «١٩» :

متوطئو عقيبيك فى طلب العلا ... والمجد ثمت تستوى الأقدام

فقال البحترى «٢٠» :

حزت العلا سبقا وصلى ثانيا ... ثم استوت من بعدى «٢١» الأقدام

وقال أبو تمام «٢٢» :

ولقد أردتم «٢٣» مجده وجهدتم ... فإذا أبان قد رسا ومتالع «٢٤»

فنقله البحترى لفظا ومعنى، فقال «٢٥» :

ولن ينقل الحساد مجدك بعد ما ... تمكن رضوى واطمأن متالع." (١)

"يذكر ما جاء من التناقض فى شعره ٢٨٨

شعر ليزيد بن مالك متناقض ٢٨٨

٣٥- نوح بن جرير: ٢٨٩

رجل من بنى سعد يعيب جريرا، وابنه ٢٨٩

٣٦- أبو حية النميرى: ٢٩٠

بعض ما عيب من شعره ٢٩٠

٣٧- ابن ميادة المرى: ٢٩٠

رأى قاسم بن جندل فى شعره ٢٩١،

رد ابن ميادة عليه ٢٩١،

نقد ابن ميادة لشعر الحكم الخضرى ٢٩١،

الحكم ينقد شعرا لابن ميادة ٢٩٢

٣٨- عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلى: ٢٩٣

بعض ما أخذ عليه فى شعره ٢٩٣

٣٩- الحسين بن مطير يمدح معنا، ٢٩٣، ٢٩٤

نقد لشعره فى مديح معن ٢٩٤

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء المرزباني ص/٤١٣

الأخطل ينشد عبد الملك شعرا لا يرضيه ٣٠٦،

شعر لمتمم بن نويرة يكره سماعه." (١)

"فلما غشي أبا الطيب موج هذا الكلام قال: رويدا، أما ما نعيته علي من السرق فما يدريك أني اعتمدته، وكلام العرب آخذ بعضه برقاب بعض، وآخذ من بعض، والمعاني تعتلج في الصدور، وتخطر للتقدم تارة وللمتأخرة أخرى، والألفاظ مشتركة مباحة. وهذا هو عمرو ابن العلاء سئل عن الشاعرين يتفقان في **اللفظ والمعنى** مع تباين ما ينهما، وتقاذف المسافة بين بلادهما، فقال: تلك عقول رجال توافت على ألسنتها. وبعد، فمن هذا الذي تعرى من الأتباع، وتفرد بالاختراع والابتداع لا أعلم شاعرا جاهليا ولا إسلاميا إلا قد احتذى واقتفى، واجتذب واجتلب، هذا امرؤ القيس يقول:

جؤجؤ حشر كأن لشجامه ... يعالى به في رأس جذع مشذب

وإنما اعتمد غيه على أبي داود:

وهاد تقدم لا عيب فيه ... كالجذع شذب عنه الكرب

وقال أيضا:

كأن مكاكي الجواء غدية ... صبحن رحيقا من سلاف مفلفل

وإنما اعتمد فيه على أبي داود الإيادي:

تخال مكاكيه بالضحى ... خلال الدقاري شربا ثمالا

وقال امرؤ القيس يصف فرسا:

كأن غلامي إذا علا حال متنه ... على ظهر باز في السماء محلق

وهو من قول أبي داود:

إذا شاء راكبه ضمه ... كما ضم باز إليه الجناحا

وقال امرؤ القيس:

مكر مفر مقبل مدبر معا ... كجلمود صخر حطه السيل من عل

وإنما اعتمد فيه على أبي داود في قوله: منفح مطرح معن مفن مخلط مزيل جموح خروج وقال امرؤ القيس واصفا برقا:

ويهدا تارات سناه وتارة ... ينوء كما ناء الكسير المهيض

اعتمد فيه على أبي داود أيضا في قوله:

وانداح ينهض نهض الكسير ... جأجأه الماء حتى أسالا

وقد أخذه عدي بن زيد منهما فقال:

وحبي بعد الهدو تهاديه ... رياح كما يزجى الكسير

فهذا أمير الشعراء؛ ومن بعده النابغة، وقد قدمه عليه قوم، فقال

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء المرزباني ص/٤٧٩

وتخالها في البيت إذ فاجأتها ... قد كان محجوبا سراج الموقد

وإنما اعتمد فيه على قول امرئ القيس:

تضيء الظلام بالعشاء كأنها ... منارة مسمى راهب متبتل

وقال زهير:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطعنوا ... ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

وإنما اعتمد فيه على قول مهلهل:

أنبضوا معجس القسي وأبرقنا ... كما توعد الفحول الفحولا

وقال الأعشى يصف الطيف:

يلويني ديني الغداة وأقتضي ... وديني إذا وقذ النعاس الرقدا

وإنما أخذه من قول عمرو بن قميئة:

نأتك أمامة إلا سؤالا ... وإلا خيالا يوافي خيالا

يوافي مع الليل ميعادها ... ويأبى مع الصبح إلا زوالا

فقلت له: من هاهنا أخذ قيس بن الخطيم:

أنى سربت غير سروب ... وتقرب الأحلام غير قريب

ما تمنعي يقظي فقد تؤتينه ... في النوم غير مصرد محسوب

فأخذ هذا البحتري فقال:

بنفسي من تنأى ويدنو ادكارها ... ويبذل عنها طيفها وتمانع

قال: وأخذ الأعشى قوله:

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم ... وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

من قول الأشعر:

لا يصلح الجاران أن يتجاورا ... هذا أخو شبع وذا طاوي المعا

وهذا عبيد بن الأبرص أخذ قوله:

والناس يلحون الغوي إذا هم ... خطبوا الصواب ولا يلام المرشد

من قول المرقش الكبر:

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ... ومن يغولا يعدم على الغي لائما

وقال الأخطل:

أما السراة فمن ديباجة لهق ... وبالقوائم مثل الوشم بالقار

وإنما أخذه من قول المسيب بن علس في قوله:

كأن على الظهر ديباجة ... وسد القوائم يحسبن قارا

وهذا جرير أخذ قوله:

وإني لعف الفقر مشترك الغنى ... سريع إذا أرض داري، احتماليا

من المنخبل السعدي في قوله:

إني لترزؤني النوائب في الغنى ... وأعف عند مشحة الإقتار." (١)

"للأجنبي، وقد يقولون يا ابن أمي في الإضافة في يا ابن أمي، ويسكنونها تارة ويحركونها أخرى، قال الشاعر:

يا ابن أمي ويا شقيق نفسي ... أنت خليتني لدهر شديد

وقال أخر:

يا ابن أمي ولو شهدتك إذ ... تدعو تميما وأنت غير مجاب

وقوله: وكان شيخا قد عسى، يعني أن الكبر قد بلغ منه وأثر فيه، وقد قرىء " وقد بلغت من الكبر عسيا " وعسيا على ما بين القراء من الاختلاف في ضم العين على الأصل وكسرها، قال الشاعر:

لولا الحياء وأن رأسي قد عسا ... فيه المشيب لزرت أم القاسم

ويروى: وقد بدا، ويقال: في هذا الباب العسو والعتو

كتب بني أمية أقصر من كتب بني العباس

حدثنا محمد بن الحسين بن دريد، قال: حدثنا أبو حاتم، قال: سمعت بعض أصحابنا يحدث عن عبد الله بن سوار، قال: كنت غلاما أكتب بين يدي يحيى بن خالد، فدخل عليه شيخ ضخم جميل الهيئة، فأعظمه يحيى وأقعده إلى جانبه وحادثه ثم قال له: ما بالكم كنتم تكتبون الكتب إلى عمالكم في سائر أموركم فلا تطيلون، وإنما الكتاب بقدر الفضل من كتبنا، ونحن نطيل إطالة لا يمكننا غير ذلك، فقال: اعفني، فأبى عليه إلا أن يجيبه، فقال وأنت غير ساخط؟ قال: نعم، قال: إن بني أمية كانت لا تكتب في الباطل أنه حق، ولا في الحق أنه باطل فلا تعقب أمرا قد نفذ بخلافه أمر، فلا يحتاجون إلى الإطالة وطلب المعاذير والتلبيس، وأنتم تكتبون في الشيء الحق أنه باطل والباطل أنه حق، ثم تعقبون ذلك بخلافه فلا بد لكم من الإطالة.

قال عبد الله بن سوار: فسالت عن الشيخ فقيل لي: هذا رجل من كتاب بني أمية القدماء من أهل الشام.

قال القاضي: قول يحيى لهذا الكتاب في سائر أموركم، إن كان أراد فيما يسير وينتشر من أموركم، فهو صواب في اللفظ، وإن كان أراد به العموم والإحاطة على معنى جميع أموركم، فهو خطأ من جهة **اللفظ والمعنى**، إذ السائر في هذا المعنى تأويله الباقي، وإنما يقال: فعلت في باب كذا كيت وكيت وفي سائر الأبواب لمعنى الفاضل والبقية، يقال: أسأرت في الإناء أسار بالهمز قال الشاعر:

أعط الملوح سؤر الكلب يشربه ... إن الملوح شراب على الكدر

(١) الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره ابن المظفر الحاتمي ص/٤١

وقال الأعشى:

بانت وقد أسأرت في النفس حاجتها ... بعد ائتلاف وخير الود ما نفعا." (١)

"فإن قلت: فـ "أي" أيضا على ثلاثة أحرف؛ فهلا دخلت اللام عليها، فقيل: "مررت بزيد الأي أخوه منطلق"، كما تقول: "الذي أخوه منطلق"، ويكون "الأي" في الوصف بمنزلة "الرث"١ و"الصب"٢ و"الخب"٣، كما كان "الذي" منزلة "العمي" و"الجوي"٤ و"الندي"؟

فالجواب: أن في "أي" سرا يمنع من هذا الذي سمته فيها، وأن الحكمة في عدولهم عنها إلى "الذي"؛ وذلك أن "أيا" في أي موضع وقعت من كلامهم من الخبر والاستفهام والشرط والتعجب؛ فليست منفكة من معنى الإضافة؛ لأنها أبدا بعض من كل؛ فلا بد من اعتقاد إضافتها وإرادتها لفظا أو معنى فيها؛ فلما شاع فيها معنى الإضافة بعدت عن الصفة، فلم توضع موضعا يقتصر بها لأجله على الصفة البتة كما فعل ذلك بـ "الذي"؛ وإنما منعت الإضافة من ذلك لأنها تنافر الصفة في **اللفظ والمعنى**، أما في اللفظ: فلأن كل صفة معرفة، فلا بد فيها من لام المعرفة على ما تقدم، ولام المعرفة لا تجامع الإضافة لأنهما يتعقبان الكلمة، فلا يجتمعان معا، فأما قولهم: "الحسن الوجه"، و"الكريم الأب" وبابهما؛ فإن الإضافة فيهما غير محضة٥، وتقدير الانفصال فيهما واجب، ألا ترى أن المعنى: "الحسن وجهه"، و"الكريم أبوه"؛ على أن هذا الاتساع في اللفظ بالجمع بين اللام والإضافة إنما جاء في الصفات المشتقة من الأفعال٦ نحو: الحسن من حسن، والظريف من ظرف، و"أي" ليست بصفة ولا جارية على فعل؛ فبعدت من أحكام الصفات.

---

١ الرث: رديء المتاع. "ج" رثاث. القاموس المحيط "١/ ١٦٧" مادة/ رثث.

٢ الصب: يقال: صب إليه أي رق واشتاق؛ فهو صب وهي صبة. القاموس المحيط "١/ ٩١".

٣ الخب: فلان خب في الأمر أي أسرع، والخب: المخادع الغشاش لقوله -صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة خب ولا خائن". القاموس المحيط "١/ ٥٩".

٤ الجوى: مرض الصدر، وكذا إذا اشتد الوجد من عشق أو حزن. القاموس "٤/ ٣١٤".

٥ فإن الإضافة فيهما غير محضة: وهي أن يكون الجزء الأول بمنزلة الفعل المضارع في إفادته الحال أو الاستقبال: أي اسم الفاعل أو اسم المفعول أو صفة مشبهة، كقوله تعالى: ﴿هديا بالغ الكعبة﴾ [المائدة: ٩٥] . شرح ابن عقيل "٢/ ٤٤، شذور الذهب "٣٢٦".

٦ الصفات المشتقة من الأفعال: ويقصد بها أن تشتق الصفة من الفعل مثل الحسن من حسن، والظريف من ظرف." (٢)

"والثلث: سهم من ثلاثة، فإذا فتحت الثاء زدت ياء فقلت ثليث، مثل ثمين، وسبيع وسديس وخميس ونصيف. وأنكر أبو زيد منها خميسا وثليثا. والثلث، بالكسر، من قولهم هو يسقي نخلة الثلث، لا يستعمل الثلث إلا في هذا الموضع.

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٣٥٨

(٢) سر صناعة الإعراب ابن جني ٣٦/٢

وليس في الورد ثلث، لان أقصر الورد الرفه وهو أن تشرب الابل كل يوم، ثم الغب وهو أن ترد يوما وتدع يوما، فإذا ارتفع من الغب فالظمء الربع ثم الخمس، وكذلك إلى العشر. قاله الاصمعي. وثلاث ومثلث غير مصروف للعدل والصفة، لأنه عدل من ثلاثة إلى ثلاث ومثلث، وهو صفة لأنك تقول: مررت بقوم مثنى وثلاث. وقال تعالى: (أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع) فوصف به. وهذا قول سيبويه، وقال غيره: إنما لم ينصرف لتكرر العدل فيه في **اللفظ والمعنى**، لانه عدل عن لفظ اثنين إلى لفظ مثنى وثناء، وعن معنى اثنين إلى معنى اثنين اثنين، لانك إذا قلت جاءت الخيل مثنى فالمعنى اثنين اثنين، أي جاءوا مزدوجين. وكذلك جميع معدول العدد. فإن صغرته صرفته فقلت أحيد،." (١)

"[أحد] أحد بمعنى الواحد، وهو أول العدد. تقول: أحد واثنان، وأحد عشر وإحدى عشرة. وأما قوله تعالى:

(قل هو الله أحد) *، فهو بدل من الله، لأن النكرة قد تبدل من المعرفة، كما يقال:

(لنسفعا بالناصية. ناصية) *. قال الكسائي: إذا أدخلت في العدد الالف واللام فأدخلهما في العدد كله. فتقول: ما فعلت الاحد العشر الالف الدرهم. والبصريون يدخلونها في أوله فيقولون: ما فعلت الاحد عشر الالف درهم. وتقول: لا أحد في الدار، ولا تقل فيها أحد. ويوم الاحد يجمع على آحاد. وأما قولهم: ما في الدار أحد، فهو اسم لمن يصلح أن يخاطب، يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث. وقال تعالى:

(لستن كأحد من النساء) * وقال:

(فما منكم من أحد عنه حاجزين) *. واستأحد الرجل: انفرد. وجاءوا آحاد أحاد غير مصروفين، لأنهما معدولان في **اللفظ والمعنى** جميعا. وأحد: جبل بالمدينة. وحكى الفراء عن بعض الاعراب: معى عشرة فأحدهن، أي صيرهن أحد عشر. وفى الحديث أنه قال لرجل أشار بسبابتيه في التشهد: أحد أحد.." (٢)

"[أحد]

أحد بمعنى الواحد، وهو أول العدد. وأما قوله تعالى: قل هو الله أحد، فهو بدل من الله، لأن النكرة قد تبدل من المعرفة. وتقول: لا أحد في الدار ولا تقول فيها أحد ويوم الأحد يجمع على آحاد وأما قولهم ما في الدار أحد، فهو اسم لمن يصلح أن يخاطب، يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث. وقال تعالى: لستن كأحد من النساء وقال: فما منكم من أحد عنه حاجزين. واستأحد الرجل: انفرد. وجاءوا آحاد أحاد غير مصروفين، لأنهما معدولان في **اللفظ والمعنى** جميعا.." (٣)

"وهذا يدخل في باب المساواة لا له ولا عليه. وقال المتنبي:

أين الأكاسرة الجبابرة الألى ... كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا

قال أبو العتاهية:

أين الأولى كنزوا الكنوز وأتقنوا ... أن القرون بنو القرون الماضية

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية الجوهري، أبو نصر ٢٧٥/١

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية الجوهري، أبو نصر ٤٤٠/٢

(٣) منتخب من صحاح الجوهري الجوهري، أبو نصر ص/٣٨

درجوا فأصبحت المنازل منهم ... عطلا وأصبحت المساكن خالية

وأبو الطيب جاء **بالمعنى واللفظ** الطويل في الموجز القليل وهو أولى بما أخذ.

وقال المتنبي:

من كل من ضاق الفضاء بجيشه ... حتى ثوى فحواه لحد ضيق

هذا من قول أشجع:

وأصبح في لحد من الأرض ضيق ... وكانت به حيا تضيق الصحاصح

فجعل أبو الطيب الأرض تضيق بجيشه، وأشجع جعل الضيق به وحده فبيته أرجح وأمدح فهو أولى للسبق بما قال. وقد قال أبو العتاهية:

شهوات الدنيا ... عوافهن المكاره

يسع القبر شخصا ... من لم يسعه المهامه." (١)

"قال عبد الله بن أبي السمط:

ما كان مثلك في الورى فيمن مضى ... أحدا وظني أنه لا يخلق

وهما متفقا **اللفظ والمعنى** مجتمعان على التيقن فيما مضى والشك في المستقبل وهذا تغيير يسير يكاد يدخل في أخذ اللفظ المدعى وهو ومعناه معا، وقد قال ابن الرومي:

فهل من سبيل إلى مثله ... أبى الله ذاك على من خلق

فلم يخطر جمعهم وجود مثله إلا على من خلق دون من يخلق غير المعوج فإنه قال:." (٢)

"تضاحك عن برد مشرق ... ناجيته من بين جلاسي

فكلما قبلته خفت أن ... يذوب من نيران أنفاسي

فالمعنى المعنى ولكن لأبي الطيب زيادة وهي من تمام الكلام، وهي قوله:) فكنت الذائبا (وهي مليحة يستحق بها الجزالة ما أخذ. وقد أملح أبو تمام في قوله:

ومن العجائب أن يذيب مفاصلي ... من لو جرى نفسي عليه لذابا

وقال المتنبي:

يا حبذا المتحملون وحبذا ... واد لثمت به الغزالة كاعبا

هذا من قول المؤمل:

يا قوم قد زارني شخص سررت به ... زارتني الشمس إلا أنها بشر

فهذا يدخل في قسم المساواة.

---

(١) المنصف للسارق والمسروق منه ابن وكيع التنيسي ص/٢٧٥

(٢) المنصف للسارق والمسروق منه ابن وكيع التنيسي ص/٢٨٢

وقال المتنبي:

كيف الرجاء من الخطوب تخلصا ... من بعد ما أنشبن في مخالبا

هذا موجود **اللفظ والمعنى** في قول أبي الرومي:

فقد أنشبت حادثات الخطوب ... مخالبها بي وأنيابها." (١)

"وتخصيصه القذال دون اللحية لا يفيد إلا ما يفيد المفرق، وقد أتى تبسم الزنجي ابن المعتز فقال:

قد أغتدي والصبح في مآبه ... كالحبشي أفتر عن أنيابه

كأنما يضحك من ذهابه فهذا من استخراج معنى من معنى أحتذي عليه وإن فارق ما قصد به إليه جعل العجاج بازاء الليل وجعل الحديد بازاء الصبح، وجاء بالمعنى بعينه والأول أحق به.

وقال المتنبي:

فكأنما كسي النهار بها دجى ... ليل وأطلعت الرماح كواكبا

قد أكثر الشعراء في هذا المعنى فمن ذلك قول العتابي:

يبني حوافرها من فوق رأسها ... سقفا كواكبه البيض المآثير

وقال ابن أبي فنن:

ترى للنقع فوقهم سماء ... كواكبها الأسنة والنصول

وكل ما قيل في هذا المعنى يسقط دون قول بشار:

كأن مثار النقع فوق رؤوسهم ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

هذا شعر يجمع حسن **اللفظ والمعنى** لأن فيه تشبيهين في تشبيهين." (٢)

"الباب الأول في الإبانة عن كون اختلاف العبارات موجبا لاختلاف المعاني في كل لغة والقول في البيان عن معرفة الفروق والدلالة عليها

الباب الثاني في الفرق بين ما كان من هذا النوع كلاما

الباب الثالث في الفرق بين الدليل والدلالة والاستدلال والنظر والتامل

الباب الرابع في الفروق بين أقسامت العلوم وما يجري مع ذلك من الفروق بين الادراك والوجدان وفي الفرق بين ما يخالف العلوم ويضادها

الباب الخامس في الفرق بين الحياة وما يقرب منها في **اللفظ والمعنى** وما يخالفها ويضادها والفرق بين القدرة وما يخالفها ويناقضها والفرق بين الصحة والسلامة وما يجري مع ذلك

الباب السادس في الفرق بين القديم والعتيق والباقي والدائم وما يجري مع ذلك

---

(١) المنصف للسارق والمسروق منه ابن وكيع التنيسي ص/٥٢٥

(٢) المنصف للسارق والمسروق منه ابن وكيع التنيسي ص/٥٣١

البابع السابع في الفرق بين أقسام الارادات وأضدادها والفرق بين أقسام الأفعال
الباب الثامن في الفرق بين الفرد والواحد والحوانية وما بسبيل ذلك وما يخالغه من الفرق بين الكل والجمع وما هو من قبيل الجمع من التأليف والتصنيف والتنظيم والتنضيد والقرق بين الممارسة والمجاورة وما يخالف ذلك من الفروق بين الفصل والفرق
الباب التاسع في الفرق بين الشبه والشبه والعديل والنظير والفرق بين ما يخالف ذلك من المتناقض والمتضاد وما يجري معه
الباب العاشر في الفرق بين الجسم والجزم والشخص والشبح وما يجري مع ذلك
الباب الحادي عشر في الفرق بين الجنس والنوع والضرب والصنف والأصل والاس وما بسبيل ذلك
الباب الثاني عشر في الفرق بين القسم والحظ والرزق والنصيب وبين السخاء والجود وبين أقسام العطيات وبين الغنى والجدة وما يخالف الغنى من الفقر والاملاق وما بسبيله وما يخالف الحظ من الحرمان والحرف
الباب الثالث عشر في الفرق بين العز والرف والرياسة والسؤدد وبين الملك والسلطان والدولة والتمكين وبين النصر والاعانة وبين الكبير والعظيم والكبر والكبرياء وبين الحكم والقضاء والقدر والتقدير وما يجري مع ذلك
الباب الرابع عشر في الفرق بين النعمة والرحمة والاحسان والانعام وبين الحلم والامهال والصبر والاحتمال والوقار والسؤدد وما بسبيل ذلك
الباب الخامس عشر في الفرق بين الحفظ والرعاية والحراسة والحماية والفرق بين الرقيب والمهيمن وبين الوكيل والضمين وما يجري مع ذلك
الباب السادس عشر في الفرق بين الهداية والرشدت والصلاح والسداد وما يخالف ذلك من الغي والفساد
الباب السابع عشر في الفرق بين التكليف والاختبار والابتلاء والفتنة وبين اللطف والتوفيق واللطف واللطف
الباب الثامن عشر في الفرق بين الدين والملة والطاعة والعبادة والفرض والوجوب والمباح والحلال وما يخالف ذلك من أقسام المعاصي والفرق بين التوبة والاعتذار وما يجري مع ذلك
الباب التاسع عشر في الفرق بين االثواب والعوض وبين العوض
والبدل وبين القيمة والثمن والفرق بين ما يخالف الثواب من العقاب والعذاب والألم والوجع والخوف والخشية والوجل والحياء والخجل وما يخالف ذلك من الرجاء والطمع واليأس والقنوط
الباب العشرون في الفرق بين الكبر والتيه والجبرية وما يخالف ذلك الخضوع والخشوع وما بسبيلها
الباب الحادي والعشرون في الفرق بين العبث واللعب والهزل والمزاح والاستهزاء والسخرية وما بسبيل ذلك
الباب الثاني والعشرون في الفرق بين الخديعة والحيلة والمكر والكيد وما يقرب من ذلك
الباب الثالث والعشرون في الفرق بين الوضاءة والحسن والقسامة والبهجة وبين السرور والفرح وما بسبيل ذلك
الباب الرابع والعشرون في الفرق بين الزمان والدهر والأمد والمدة وما يجري مع ذلك
الباب الخامس والعشرون في الفرق بين ضروب القرابات وبين المصاحبة والمقاربة وما يقرب من ذلك
الباب السادس والعشرون في الفرق بين الاظهار والجهر وما بسبيل ذلك وما يخالفه من الفروق بين الكتمان والاخفاء والستر والحجاب وما يقرب ذلك

الباب السابع والعشرون في الفرق بين البعث والارسال والإنفاذ وبين النبي والرسول

الباب الثامن والعشرون في الفرق بين الكتب والنسخت وبين المنشور والكتاب وبين الكتاب والدفاتر والصحيفة

الباب التاسع والعشرون في الفرق بين نهاية الشيء وآخره وغايته وبين

الجانب ولكنف وما يجري مع ذلك

الباب الثلاثون في الفرق بين أشياء مختلفة

والرغبة إلى الله في التوفيق للصواب في ما أضمنه هذه الأبواب ثم في جميع ما أتصرف فيه من القول والفعل إن شاء الله تعالى." (١)

"يكون الله من الاشياء وقولنا إنه قبلها أو بعدها لم يوجب أنه منها ولا أنه شيء إلا أنه لاي يجوز أن يطلق ذلك دون أن يقال إنه قبل الأشياء الموجوده سواه أو بعدها فيكون استثناؤه من الأشياء لا يخرجه من أن يكون شيئا وقبل وبعد لا يقتضيان زمانا ولو اقتضايا زمانا لم يصح أن يستعملا في الأزمنة والأوقات بأن يقال بعضها قبل بعض أو بعده لأنت ذلك يوجب للزمان زمانا وغير مستنكر وجود زمان لا في زمان ووقت لا في وقت وقبل مضمنة بالاضافة في **المعنى واللفظ** وربما حذفت الاضافة احتزاء ببا في الكلام من الدلالة عليها وأصل قبل المقابلة فكأن الحادث المتقدم قد قابل الوقت الأول والحادث المتأخر قد بعد عن الوقت الأول ما يتسقبل والآخر يجيء على تفصيل الاثنين تقول أحدهما كذا والآخر كذا والأول والآخر يقال بالاضافة يقال أوله كذا وآخره إلا في أسماء الله تعالى والأول الموجود قبل والآخر الموجود بعد

الفرق بين السابق والأول

أن السابق في أصل اللغة يقتضي مسبوقا والأول ثانيا ألا ترى أنك تقول هذا أول مولود ولد لفلان وإن لم يولد له غيره وتقول أول عبد يملكه حر وإن لم يملك غيره ولا يخرج العبد والابن من معنى الابتداء وبهذا يبطل قول الملحدين إن الأول لا يسمى أولا إلا بالاضافة إلى ثان وأما تسمية الله تعالى بأنه سابق يفيد أنه موجود قبل كل موجود وقال بعضهم لا يطلق ذلك في الله تعالى إلا مع البيان لأنه يوهم أن معه أشياء موجودة في سبقها ولذلك لا يقال إن الله تعالى أسبق من غيره لأنه يقتضي الزيادة في السبق وزيادة أحد الموصوفين على الآخرت في الصفة يوجب اشتراكهما فيها في السبق وزيادة أحد الموصوفين على الآخر في الصفة يوجب اشتراكهما فيها من وجة أو من وجوه

الفرق بين قولك يقدمه وقولك يسبقه

أن معنى قولك يقدمه يسير قدامه ويسبقه يقتضي أنه يلحق قبله وقال تعالى (يقدم قومه يوم القيامة) قيل أراد يمسي على قدمه يقودهم إلى النار وليس كذلك يسبقهم لأن يسبقهم يجوز أن يكون معناه أنه يوجد قبلهم." (٢)

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري العسكري، أبو هلال ص/

(٢) الفروق اللغوية للعسكري العسكري، أبو هلال ص/١٢٠

"٨٥ - الفرق بين الاخبار عن الشئ والعبارة عنه: أن الاخبار عنه يكون بالزيادة في صفته والنقصان منها ويجوز أن يخبر عنه بخلاف ما هو عليه فيكون ذلك كذبا، والعبارة عنه هي الخبر عنه بما هو عليه من غير زيادة ولا نقصان فالفرق بينهما بين.

٨٦ - الفرق بين الاخبال والافقار: أن الاخبال أن يعطى الرجل فرسا ليغزو عليه وقيل هو أن يعطيه ماله ينتفع بصوفه ووبره وسمنه، قال زهير: * هنالك إن يستخبلوا المال يخبلوا *

٨٧ - الفرق بين الاختبار والابتلاء: (٢١) .

٨٨ - الفرق بين الاختبار والتجريب: (٤٥٣) .

٨٩ - الفرق بين الاختبار والفتنة: (١٥٩١) .

٩٠ - الفرق بين الاختراع والابتداع: (١٩) .

٩١ - الفرق بين الاختراع والفعل: (١٦٣٥) .

٩٢ - الفرق بين الاختصار والاقتصار (١) : قيل: الاختصار: ما كان قليل اللفظ، كثير المعنى.

والاقتصار: ما كان قليل **اللفظ والمعنى.**

قلت: ويرشد إليه اشتقاقه (٢) من القصور، وهو النقصان.

(اللغات) .

---

(١) الاختصار والاقتصار في الكليات ١: ٧٧ و ١: ٢٥٧.

والفرائد: ٨.

(٢) في ط: استفادته.

ولا معنى لها.

(*)."[1]

"٣٤٣ - الفرق بين قولنا الاول وبين قولنا قبل وبين قولنا آخر وقولنا بعد: أن الاول هو من جملة ما هو أوله وكذلك الآخر من جملة ما هو آخره وليس كذلك ما يتعلق بقبل وبعد، وذلك أنك إذا قلت زيد أول من جاءني من بني تميم وآخره أوجب ذلك أن يكون زيد من بني تميم وإذا قلت جاءني زيد قبل بني تميم أو بعدهم لم يجب أن يكون زيد منهم، فعلى هذا يجب أن يكون قولنا الله أول الاشياء في الوجود وآخرها أن يكون الله من الاشياء، وقولنا إنه قبلها أو بعدها لم يوجب أنه منها ولا أنه شئ، إلا أنه لا يجوز أن يطلق ذلك دون أن يقال إنه قبل الاشياء الموجودة سواه أو بعدها فيكون استثناؤه من الاشياء لا يخرجه من أن يكون شيئا، وقبل

وبعد لا يقتضيان زمانا ولو اقتضيا زمانا لم يصح أن يستعملا في الازمنة والاوقات بأن يقال بعضها قبل بعض أو بعده لان

---

(١) معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة العسكري، أبو هلال ص/٢٦

ذلك يوجب للزمان زمانا، وغير مستنكر وجود زمان لا في زمان ووقت لا في وقت، وقبل مضمنة بالاضافة في **المعنى واللفظ** وربما حذفت الاضافة اجتزاء بما في الكلام من الدلالة عليها، وأصل قبل المقابلة فكأن الحادث المتقدم قد قابل الوقت الاول والحادث المتأخر قد بعد عن الوقت الاول ما يستقبل والآخر يجئ على تفصيل الاثنين تقول أحدهما كذا والآخر كذا، والاول والآخر يقال بالاضافة يقال أوله كذا وآخره إلا في أسماء الله تعالى والاول الموجود قبل والآخر الموجود بعد.

٣٤٤ - الفرق بين الايتاء والاعطاء (١) : قال الفاضل النيسابوري: في الاعطاء دليل التملك دون الايتاء. انتهى.

---

(١) الايتاء والاعطاء في الكليات ١: ٣٦٠.

والمفردات: ٥٠٧.

(*)".(١)

"القول يدل على الحكاية.

وليس كذلك الكلام.

نحو قال الحمد لله.

فإذا أخبرت عنه بالكلام قلت: تكلم بالحمد قال: والحكاية على ثلاثة أوجه.

أحدها: حكاية على **اللفظ والمعنى**، نحو: " قال ءاتوني افرغ عليه قطرا " (١) .

إذا حكاه من يعرف لفظه ومعناه.

وحكاية على المعنى، وحكاية على اللفظ، نحو ما إذا حكاه من يعرف لفظه دون معناه، نحو أن يقول نحاسا بدل قوله: قطرا.

(اللغات) .

١٧٦٣ - الفرق بين القوم والقرن: (١٧١٦) .

١٧٦٤ - الفرق بين القوي والقادر: أن القوي هو الذي يقدر على الشئ وعلى ما هو أكثر منه ولهذا لا يجوز أن يقال للذي إستفرغ قدرته في الشئ أنه قوي عليه وإنما يقال له إنه قوي عليه إذا كان في قدرته فضل لغيره، ولهذا قال بعضهم القوي القادر العظيم الشأن فيما يقدر عليه.

١٧٦٥ - الفرق بين القياس وبن الاجتهاد: أن القياس حمل الشئ على الشئ في بعض أحكامه لوجه من الشبه وقيل حمل الشئ على الشئ وإجراء حكمه عليه لشبه بينهما عند الحامل، وقال أبو هاشم

رحمه الله: " حمل شئ على شئ وإجراء حكمه عليه " ولذلك سمي المكيال مقياسا من حيث كان يحمل عليه ما يراد كيله،

---

(١) معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة العسكري، أبو هلال ص/٨٦

وكذلك يسمون ما يقدر به النعال مقياسا أيضا، ولذلك يستعمل القياس في شئ من غير إعتبار له بغيره وإنما يقال قست الشئ بالشئ

---

(١) الكهف ١٨: ٩٦.

(*)."[1]

"باب أين وأينما:

"أين" تكون استفهاما عن مكان. نحو "اين زيد؟".

وتكون شرطا لمكان. نحو "أين لقيت زيدا فكلمه" بمعنى في أي مكان.

فأما "أينما" فإنما يكون شرطا لمكان. نحو "أينما تجلس أجلس" ولا يكون استفهاما.

باب أيان:

"أيان" بمعنى "متى" و"أي حين". قال بعض العلماء: نرى أصلها "أي أوان" فحذفت الهمزة وجعلت الكلمتان واحدة. قال الله جل ثناؤه: ﴿أيان يبعثون﴾ ١ أي متى و ﴿أيان يوم الدين﴾ ٢ أي متى.

باب الآن:

يقولون: "الآن" حد الزمانين، حد الماضي من آخره وحد المستقبل من أوله. وكان الفراء يقول: بني على الألف واللام لم يخلعا منه وترى على مذهب الصفة لأنه صفة في **المعنى واللفظ**، كما فعلوا في "الذي" و"الذين" فتركوهما على مذهب الأداة، والألف واللام غير مفارقين. ومثله قوله٣:

فإن الأولاء يعلمونك منهم ... كعلمي مطنوك ما دمت أشعرا

فأدخل الألف واللام على "أولاء" ثم تركها مخفوضة في موضع نصب كما كانت قبل أن يدخلها الألف واللام ومثله٤:

وإني حبست اليوم والأمس قبله ... ببابك حتى كادت الشمس تغرب

فأدخل الألف واللام على "أمس" ثم تركه مخفوضا على جهته الأولى. ومثله٥:

---

١ سورة النحل، الآية: ٦٥.

٢ سورة الذاريات، الآية: ١٢.

٣ لسان العرب: مادة "أين" بلا عزو.

٤ الإنصاف: ١/ ٣٢٠.

٥ الإنصاف: ١/ ٣١٣. ونسبته إلى ابن أحمر، وهو في ديوانه: ١٥٩. والخازباز: ذباب يكون في =." [2]

---

(١) معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة العسكري، أبو هلال ص/٤٣٨

(٢) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ابن فارس ص/١٠١

"في قلبه، وكان ند آل جعفر.

وحدثنا علي بن إبراهيم عن علي بن عبد العزيز قال: قال أبو عبيد حدثني نصر بن باب عن الحجاج عن الحكم عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: ما رأيت أحدا أقرى من علي صلوات الله عليه، صلينا خلفه فأسوأ برزخا ثم رجع فقرأه ثم عاد إلى مكانه قال أبو عبيد البرزخ: ما بين كل شيئين، ومنه قيل للميت: هو في البرزخ، لأنه بين الدنيا والآخرة، فأراد أبو عبد الرحمن بالبرزخ ما بين الموضع الذي أسقط علي صلوات الله عليه منه ذلك الحرف إلى الموضع الذي كان انتهى إليه.

باب أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق:

يكون ذلك على وجوه: فمنه اختلاف **اللفظ والمعنى**، وهو الأكثر الأشهر، مثل "رجل، وفرس" و"سيف، ورمح" ومنه اختلاف اللفظ واتفاق المعنى، كقولنا: "سيف، وعضب" و"ليث، وأسد" على مذهبنا في أن كل واحد منهما فيه ما ليس في الآخر من معنى وفائدة

ومنه اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، كقولنا عين الماء وعين المال وعين الركبة وعين الميزان ومنه في كتاب الله جل ثناؤه: ﴿قضى﴾ بمعنى: حتم كقوله جل ثناؤه ﴿قضى عليها الموت﴾ ١ وقضى بمعنى: أمر كقوله جل ثناؤه: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ ٢ أي أمر. ويكون قضى بمعنى: أعلم كقوله جل ثناؤه: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾ ٣ أي أعلمناهم. وقضى بمعنى: صنع كقوله جل ثناؤه: ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ ٤ وكقوله جل ثناؤه: ﴿ثم اقضوا إلي﴾ ٥ أي اعملوا ما أنتم عاملون. وقضى: فرغ. ويقال للميت:

---

١ سورة الزمر، الآية: ٤٢.

٢ سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

٣ سورة الإسراء، الآية: ٤.

٤ سورة طه، الآية: ٧.

٥ سورة يونس، الآية: ٧١.." (١)

"من الحص هزروف يطير عفاؤه ... إذا استدرج الفيفاء مد المغابنا «١»

أزج زلوج هزرفى زفازف ... هزف يبذ الناجيات الصوافنا «٢»

فهذا من الجزل البغيض الجلف، الفاسد النسج، القبيح الرصف، الذى ينبغى أن يتجنب مثله.

وتمييز الألفاظ شديد. أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن فضل اليزيدى، عن إسحق الموصلى عن أيوب بن عباية «٣» : أن رجلا أنشد ابن هرمة قوله:

بالله ربك إن دخلت فقل لها ... هذا ابن هرمة قائما بالباب

فقال: ما كذا قلت؛ أكنت أتصدق؟ «٤» قال: فقاعدا. قال: كنت أبول؟

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ابن فارس ص/١٥٢

قال: فماذا؟ قال: واقفا. ليتك علمت ما بين هذين من قدر **اللفظ والمعنى**.

ولولا كراهة الإطالة وتخوف الإملال لزدت من هذا النوع، ولكن يكفى من البحر جرعة. وقالوا: خير الكلام ما قل وجل، ودل ولم يمل. وبالله التوفيق.." (١)

"ومن الكلام الصحيح **المعنى واللفظ**، القليل الحلاوة العديم الطلاوة قول الشاعر:

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا ... ولا أراهم رضوا فى العيش بالدون

فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما اس ... تغنى الملوك بدنياهم عن الدين

ومن الشعر المستحسن الرونق قول دعبل «١» :

وإن امرءا أمست مساقط رحله ... بأسوان لم يترك له الحرص معلما

حللت محلا يقصر البرق دونه ... ويعجز عنه الطيف أن يتجشما." (٢)

"الفصل الرابع فى المقابلة

المقابلة فى المعنى

المقابلة: إيراد الكلام، ثم مقابلته بمثله فى **المعنى واللفظ** على جهة الموافقة أو المخالفة.

فأما ما كان منها فى المعنى فهو مقابلة الفعل بالفعل؛ مثاله قول الله تعالى: فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا

؛ فخواء بيوتهم وخرابها بالعذاب مقابلة لظلمهم.

ونحو قوله تعالى: ومكروا مكرا ومكرنا مكرا

؛ فالمكر من الله تعالى العذاب، جعله الله عز وجل مقابلة لمكرهم بأنبيائه وأهل طاعته.

وقوله سبحانه: نسوا الله فنسيهم.

وقوله تعالى: إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

ومن ذلك قول تأبط شرا «١» :

أهز به فى ندوة الحى عطفه ... كما هز عطفى بالهجان الأوارك «٢»

وقول الآخر:

ومن لو أراه صاديا لسقيته ... ومن لو رآنى صاديا لسقانى

ومن لو أراه عانيا لفديته ... ومن لو رآنى عانيا لفدانى

المقابلة بالألفاظ

فهذا مقابلة **باللفظ والمعنى**.

وأما ما كان منها بالألفاظ، فمثل قول عدى بن الرقاع «٣» :

---

(١) الصناعتين: الكتابة والشعر العسكري، أبو هلال ص/٦٨

(٢) الصناعتين: الكتابة والشعر العسكري، أبو هلال ص/١٧٢

ولقد ثنيت يد الفتاة وسادة ... لى جاعلا إحدى يدى وسادها

وقال عمرو بن كلثوم «٤» :

ورثناهن عن آباء صدق ... ونورثها إذا متنا بنينا

(٢٢- الصناعتين)." (١)

"(وقالوا أفق من سكرة اللهو والصبا ... فقد لاح صبح في دجاك عجيب)

(فقلت لهم كفوا الملام وأقصروا ... فإن الكرى عند الصباح يطيب)

وهذا معنى مليح أظنه ما سبق إليه. وأول من تهاون بالشيب جرير في قوله:

(يقول العاذلات علاك شيب ... أهذا الشيب يمنعني مراحي)

وتبعه الناس فمن أحسنهم قولا فيه ابن الرومي حيث يقول:

(لاح شيبي فرحت أمرح فيه ... مرح الطرف في العذار المحلى)

(وتولى الشباب فازددت غيا ... في ميادين باطلي إذ تولى)

(إن من ساءه الزمان بشئ ... لأحق امرئ بأن يتسلى)

وهذا من قول أحمد بن زياد الكاتب:

(ولما رأيت الشيب حل بياضه ... بمفرق رأسي قلت للشيب مرحبا)

(ولو خلت أني إن كففت تحيتي ... تنكب عني رمت أن يتنكبا)

(ولكن إذا ما الكره حل تسامحت ... به النفس يوما كان للكره أذهبا)

وفي ألفاظ هذه الأبيات زيادة على معناها، وأبيات ابن الرومي متوازنة **اللفظ والمعنى** مع إصابة تشبيهه في وقوله:

(مرح الطرف في العذار المحلى ...)

وقد بالغ في ذم الشيب أبو تمام فقال:

(دقة في الحياة تدعى جمالا ... مثل ما سمي اللديغ سليما)

(غرة مرة إلا إنما كنت ... أغرا أيام كنت بهيما)

وقال ابن المعتز:

(لقد أبغضت نفسي في مشيبي ... فكيف تحبني الخود الكعاب)

وقلت:

(فلا تعجبا أن يعبن المشيب ... فما عبن من ذاك إلا معيبا)

---

(١) الصناعتين: الكتابة والشعر العسكري، أبو هلال ص/٣٣٧

(إذا كان شيبي بغيضا إلي ... فكيف يكون إليها حبيبا)

(وقد كنت أرفل برد الشباب ... قشيبا وأرفل وشيا قشيبا)." (١)

"باب القول في موالاة أعضاء الوضوء

قال الله تعالى: (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين). فذهب الشافعي إلى أن من خالف ذلك في الترتيب الذي ذكره الله تعالى لم يجز وضوءه.

وعاب عليه ذلك قوم، فقالوا: الواو لا توجب ترتيبا.

وليس تعلق الشافعي في ذلك بالواو فقط، ولكن **بالمعنى واللفظ**، وذلك أن الوضوء لما كان عبادة على البدن أتي بلفظ لا ينفي الترتيب، بل ظاهره أنه ترتيب أوجب الترتيب، ألا ترى أن الصلاة لما كانت على البدن كانت مرتبة، وكذلك الحج لما كان على البدن كان على الترتيب، ولم يلزمنا ما ألزمناه في قسمة الصدقات، لأن العلة ليست في ذلك، إذ هو عبادة على المال.." (٢)

"كما يقرع المأمون في وجهه، فأعلاهما حالا أكثرهما عند التقصير وبالا.

وهذا باب يعرفه من الناس من ساس الناس؛ وهذا الكاتب يعرف بالأشل.

وقلت أيضا: ولست أسألك أن لا تذكر من حديثهما إلا ما كان جالبا لمقتهما، وداعيا إلى الزراية عليهما، وباعثا على سوء القول والاعتقاد فيهما، بل تضيف إلى ذلك ما قد شاع لهما وشهر عنهما، من فضائل لم يثلثهما فيها أحد في زمانهما، ولا كثير ممن تقدمهما؛ فإن الفائدة المطلوبة في أمرهما وشرح حديثهما، تأديب النفس واجتلاب الأنس، وإصلاح الخلق، وتخليص ما حسن مما قبح، وتسليط النظر الصحيح، مع العدل المحمود فيما أشكل واشتبه بين الحسن المطلق والقبيح المطلق، وقلت: ومما ينبغي أن لا تغفله ولا تذهب عنه، وتطالب نفسك بالتيقظ فيه، والتجمع له: باب **اللفظ والمعنى** في الصدق والكذب،." (٣)

"أن رجلا شكا إلى النبي صلى الله عليه صفوان بن المعطل، وقال: إنه هجاني.

فقال: دعوه، إنه خبيث اللسان طيب القلب.

فما تأويل: " خبيث اللسان وطيب القلب "؟ فقال: البخاري حشوي فشري، ليس عليه معول، ولا لقوله متأول.

وسئل يوما عن قول الله عز وجل: (فإن يشإ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل) ، كيف نظمه وتمامه في **المعنى واللفظ؟**

فصاح على السائل وقال: أتسأل عن النظم، وأنت لا تعرف الرقم." (٤)

---

(١) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ٢/١٥٧

(٢) حلية الفقهاء ابن فارس ص/٥٠

(٣) أخلاق الوزيرين = مثالب الوزيرين أبو حيّان التوحيدي ص/١٣

(٤) أخلاق الوزيرين = مثالب الوزيرين أبو حيّان التوحيدي ص/٢٦٨

"وهاهنا مسألة، تقول: إن الناس عقولهم مختلفة، وأنصباؤهم منها متفاوتة.

قال: نعم. قال: وهذا الاختلاف والتفاوت بالطبيعة أو بالاكتساب؟ قال: بالطبيعة.

قال: فكيف يجوز أن يكون هاهنا شيء يرتفع به هذا الاختلاف الطبيعي والتفاوت الأصلي؟ قال متى: هذا قد مر في جملة كلامك آنفا. قال أبو سعيد: فهل وصلته بجواب قاطع وبيان ناصع؟ ودع هذا، أسألك عن حرف واحد، وهو دائر في كلام العرب، ومعانيه متميزة عند أهل العقل، فاستخرج أنت معانيه من ناحية منطق أرسطاطاليس الذي تدل به وتباهي بتفخيمه، وهو (الواو) ما أحكامه؟ وكيف مواقعه؟

وهل هو على وجه أو وجوه؟

فبهت متى وقال: هذا نحو، والنحو لم أنظر فيه، لأنه لا حاجة بالمنطقي إليه، وبالنحوي حاجة شديدة إلى المنطق، لأن المنطق يبحث عن المعنى، والنحو يبحث عن اللفظ، فإن مر المنطقي باللفظ فبالعرض، وإن عثر النحوي بالمعنى فبالعرض والمعنى أشرف من اللفظ، واللفظ أوضع من المعنى.

فقال أبو سعيد: أخطأت، لأن الكلام والنطق واللغة واللفظ والإفصاح والإعراب والإبانة والحديث والإخبار والاستخبار والعرض والتمني والنهي والحض والدعاء والنداء والطلب كلها من واد واحد بالمشاكلة والمماثلة، ألا ترى أن رجلا لو قال: «نطق زيد بالحق ولكن ما تكلم بالحق، وتكلم بالفحش ولكن ما قال الفحش، وأعرب عن نفسه ولكن ما أفصح، وأبان المراد ولكن ما أوضح، أو فاه بحاجته ولكن ما لفظ، أو أخبر ولكن ما أنبأ» ، لكان في جميع هذا محرفا ومناقضا وواضعا للكلام في غير حقه، ومستعملا اللفظ على غير شهادة من عقله وعقل غيره، والنحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية، والمنطق نحو، ولكنه مفهوم باللغة، وإنما الخلاف بين **اللفظ والمعنى** أن اللفظ طبيعي والمعنى عقلي، ولهذا كان اللفظ بائدا على الزمان، لأن الزمان يقفوا أثر الطبيعة بأثر آخر من الطبيعة ولهذا كان المعنى ثابتا على الزمان، لأن مستملي المعنى عقل والعقل إلهي، ومادة اللفظ طينية، وكل طيني متهافت، وقد بقيت أنت بلا اسم لصناعتك التي تنتحلها، وآلتك التي تزهى بها، إلا أن تستعير من العربية لها اسما فتعار، ويسلم لك ذلك بمقدار، وإذا لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة فلابد لك أيضا من كثيرها من أجل تحقيق الترجمة واجتلاب الثقة والتوقي من الخلة اللاحقة.

فقال متى: يكفيني من لغتكم هذه الاسم والفعل والحرف، فإني أتبلغ بهذا القدر إلى أغراض قد هذبتها لي يونان.

قال أبو سعيد: أخطأت، لأنك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى وصفها وبنائها على الترتيب الواقع في غرائز أهلها، وكذلك أنت محتاج بعد هذا إلى حركات هذه الأسماء والأفعال والحروف، فإن الخطأ والتحريف في الحركات كالخطأ والفساد." (١)

"في المنزلة الثالثة من كتابه، قال لنا علي بن عيسى الوزير: عرض علي قدامة كتابه سنة عشرين وثلاثمائة، واختبرته فوجدته قد بالغ وأحسن، وتفرد في وصف فنون البلاغة في المنزلة الثالثة بما لم يشركه فيه أحد من طريق **اللفظ والمعنى**، مما يدل على المختار المجتبى والمعيب المجتنب. ولقد شاكه فيه الخليل بن أحمد في وضع العروض، ولكني وجدته هجين اللفظ،

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيّان التوحيدي ص/٩٣

ركيك البلاغة في وصف البلاغة، حتى كأن ما يصفه ليس ما يعرفه، وكأن ما يدل به غير ما يدل عليه. والعرب تقول: فلان يدل ولا يدل، حكاه ابن الأعرابي، وهذا لا يكون إلا من غزارة العلم، وحسن التصور، وتوارد المعنى، ونقد الطبع، وتصرف القريحة. قال: ولولا أن الأمر على ما ذكرت لكان ذلك الطريق الذي سلكه، والفن الذي ملكه، والكنز الذي هجم عليه، والنمط الذي ظفر به، قد برز في أحسن معرض، وتحلى بألطف كلام، وماس في أطول ذيل، وسفر عن أحسن وجه، وطلع من أقرب نفق، وحلق في أبعد أفق.

وابن المراغي يقول كثيرا- وهو شيخ من جلة العلماء، وله سهم واف في زمرة البلغاء-: ما أحسن معونة الكلمات القصار، المشتملة على الحكم الكبار، لمن كانت بلاغته في صناعته بالقلم واللسان، فإنها توافيه عند الحاجة، وتستصحب أخواتها على سهولة، وهكذا مصاريع أبيات الشعر، فإنها تختلط بالنثر متقطعة وموزونة، ومنتثرة ومنضودة.

قال لي ابن عبيد الكاتب: بلغني هذا الوصف عن هذا الشيخ، فبلوته بالتتبع فوجدته على ما قال، وما أشبه ما ذكره إلا بالصرة «١» المعدة عند الإنسان، لما يحتاج إليه في الوقت المهم والأمر الملم، فهذا هذا.

فقال- أدام الله دولته، وكبت أعداءه-: قدم هذا الباب فقد أتى على ما لم أظن أنه يؤتى عليه ويهتدى إليه- إذا شئت، وانصرفت.." (١)

"إلى الله نلتجئ فيما دهمنا وفيما نزل بنا من غيرنا، فما خسر من لاذ به في السراء، ولا خاب من عاذبه في الضراء، إنه نعم الرب والكافي، والمعين والكالئ، والمرشد والناصر، به يوجد كل مطلوب، ويملك كل محبوب، وينجي من كل أذية، ويتعرى عن كل رزية، لطيف التدبير، عجيب التقدير، خبير بجميع الأمور، لا تنكر ذاته، ولا يدرك كنهه، جل معبودا وعز موجودا مشهودا.

المقابسة الخمسون

في الكهانة وما يلحق بها من أمور الغيب

سئل أبو سليمان عن الكهانة وما يلحق بها من أمور الغيب، وعن التنجيم وما يقدر به على أحكام المستقبل، وعن النبوة التي هي في محلها الأعلى ومكانها الأشراف؟ فتصرف في الجواب أحسن تصرف، على سعة من **اللفظ والمعنى**. ولكن لو نقلت كثيرا منه لنسبوه للكفر وقلة العناية. ومقدار الحاصل منه قد أثبته في هذا الموضع خوفا من أن يذهب نسيا. فإن وافتني فيه معاندة حاصلة، أو حصلت لي محالة محتملة، فما على إلا الجهد وبذل المطاق، وإذا عذرني المتكلم المنصف، لم أحفل بالمتعنت المسرف، والله يعين أهل الحق بلطفه.

قال: الكهانة قوة إلهية توجد في شخص بعد شخص بسهام سماوية، وأسباب فلكية، وأقسام علوية، فإذا توسطت صارت في منصف البشرية والربوبية، فحينئذ يكون ما يبدو بها مشيرا إلى غيب أمور الدنيا وإلى غيب أمور الآخرة على حد يكون على سواء. والغلب مع ذلك لأمور الدنيا، لأن الإنسان بالطبيعة أكثر منه بغيرها، في الأعم الأغلب والشائع الأشمل، فإن

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيّان التوحيدي ص/٢٥٧

تحدرت هذه القوة قليلا كانت الإشارة إلى أمور عالية شريفة. ومحل النبوة بين أبناء هذه القوة بالترقي والتحدر، وكلما كان." (١)

"وقال الأعشى فجعله جمعا:

يراقبن من جوع خلاء مخافة ... نجوم الثريا الطالعات الشواخصا «١»

وقال أبو عبيدة: يقال النجم، فيفرد **اللفظ والمعنى** للجمع، وأنشد قول الراعي:

فباتت تعد النجم في مستجيرة ... سريع بأيدي الآكلين جمودها

يعني ضيفة قراها جفنة، قد استجار فيها الدهم، فهي ترى نجوم الليل فيها. وأما الكوكب فلا نعلمه يقع إلا على واحد فقط، وقال الآخر في منازل القمر فسماها نجوما:

وأخوات نجوم الأخذ إلا أنضة ... أنضة محل ليس قاطرها يثري

قال أبو عبيدة: نجوم الأخذ: منازل القمر، سميت نجوم الأخذ، لأخذه كل ليلة في منزل. وقال أبو عمرو الشيباني: الأخذ: نزول القمر منازله، يقال: أخذ القمر نجم كذا إذا نزل به. وأنشد أبو عمرو شعرا:

وأمست نجوم الأخذ غبرا كأنها ... مقطرة من شدة البرد كسف

وقال: مقطرة من القطار، أراد تناسقها، ومراد الشاعر كسوفها، لأنها متناسقة في الخصب والجدب. وكان على كل حال، وكسوفها ذهاب نورها لشدة الزمان وذلك لما يعرض في الهواء من الكدر ولا يجلوه، قال أبو الطمحان القتبي: تذكر حميرا وردت عيونا.

وتراها نجوم الأخذ في حجراتها ... وتنهق في أعناقها بالجداول

وقال أبو حنيفة: أول ما تبتدئون به من المنازل الشرطان، ولما كانت العرب تقدم الشتاء كان أول أنوائها مؤخر الدلو، وهو الفرع المؤخر، ونوؤه محمود الوقت، عزيز الفقد، وهو أول الوسمي، ثم بطن الحوت وهو الذي يسميه الرشاء ولا يذكر نوؤه لغلبة ما قبله عليه.

واعلم أن المنازل تبدو للعين منها في السماء أبدا نصفها، وهو أربعة عشر، وكذا البروج يبدو نصفها، وهو ستة لأنه كلما غاب واحد منها طلع من المشرق رقيبه وسقوط كل منزل فيه ثلاثة عشر يوما سوى الجبهة، فإن لها أربعة عشر يوما لأنها خصت بالليلة الباقية من أيام السنة الثلاث مائة والخمسة والستين، وفضلت بذلك على سائرها، لغزارة نوئها، وكثرة الانتفاع بها، ويكون انقضاء الثمانية والعشرين، وانقضاء الاثني عشر مع انقضاء السنة.." (٢)

"إلى وقت الأطهار – نزول إلى خير البطون من أشرف الأمهات. والمعنى أنا كرام الأطراف. وهذه الأبيات إذا تؤملت أدى التأمل منها إلى سلامة **اللفظ والمعنى** من كل معاب. وحصول الفخامة والجلالة لها في كل جانب وباب.

فنحن كماء المزن ما في نصابنا ... كهام ولا فينا يعد بخيل

---

(١) المقابسات أبو حيّان التوحيدي ص/٢٢٦

(٢) الأزمنة والأمكنة المرزوقي ص/١٣٧

ماء المطر أصفى المياه عندهم، فشبه صفاء أنسابهم بصفاء ماء المطر. والمزن: السحاب. وقوله: ما في نصابنا كهام، أي ليس فينا كليل الحد، ولكن كل منا ماض نافذ، ولا فينا بخيل فيعد. وهو نفي للبخل رأسا، وليس يريد أن فيهم بخيلا ومع ذلك لا يعد. ومثله:

ولا ترى الضب بها ينجحر

أي ليس بها ضب رأسا فينجحر، ومثل هذا كثير. ويقال كهم وكهم يكهم ويكهم كهامة، فهو كهام وكهيم. يقال ذلك للرجل إذا ضعف، وللسيف إذا كل.

ننكر إن شينا على الناس قولهم ... ولا ينكرون القول حين نقول

هذا مثل قول الآخر:

وما يستطيعالاس عقدا نشده ... وننقضه منهم وإن كان مبرما

يصف رياستهم وعلو كلامهم ونفاذ حكمهم، ورجوع الناس في المهمات إلى رأيهم، والاعتماد على تدبيرهم ومشورتهم. فيقول: نغير ما نريد تغييره من قول غيرنا، وأحد لا يجسر على الاعتراض علينا، والإنكار لقولنا، انقيادا لهوانا، واقتداء بحزمنا. وهذا كما قال الأعشى:

كل سيرضى بأن يلقى له تبعا

إذا سيد منا خلا قام سيد ... قؤول لما قال الكرام فعول." (١)

"مشيرا به إلى الصعلوك. فصار إن يلق خبرا عنه. وساغ ذلك لأن المراد بالأول والثاني شيء واحد، ومما أجرى هذا المجرى لحصول مثل هذا التراخي فيه قول الله عز وجل: " ألم تعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم "، فأعاد أن في قوله " فأن "كما ترى.

؟ وقال عنترة بن شداد العبسي

تركت بني الهجيم لهم دوار ... إذا تمضى جماعتهم تعود

البيت يروى على وجهين: أحدهما:

تركت بني الهجيم له دوارا ... إذا يمضي جماعتهم يعود

ويكون الضمير في قوله له للفرس، ويمضي فعل له، وجماعتهم ينتصب على المفعول، لأن يمضي هذا يتعدى، ومعناه يجاوزهم. ويكون المعنى: تركت هؤلاء القوم لفرس مطافا بمنزلة الدوار وهم ضم كانوا يحجونه يطوف حول ذلك الضم، إذا نفذهم وخرق صفوفهم ودار عليهم عاد إلى مثل فعله الأول، وإلى مكانه الأول. ويشبه هذا البيت بيت الأعشى في **المعنى واللفظ**، وهو:

تطوف عليهم وتمضيهم ... كما طاف بالرجمة المرتجم

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٩٠

وجاء في الحديث حجة لتعدي يمضي، في صفة المحشر: " يمضيهم الداعي وينفذهم البصر ".

والثاني أن يروى:

تركت بني الهجيم لهم دوار ... إذا تمضي جماعتهم تعود

والمعنى: تركتهم يطوفون حول قتلاهم كما يطاف على ذلك الصنم، أو ذلك النسك، فإذا انقضت جماعة منهم عادت الأخرى للنظارة. وقوله " جماعتهم " يريد جماعة منهم، فأضاف البعض إلى الكل، وليس يريد جملتهم، فهو في حكم النكرات. وموضع " لهم دوار " نصب على الحال، وقوله " تعود " فاعله مضمر، وهو جماعة أخرى، فاكتفى بذكر الأولى عنها.." (١)

"ثور: [من الطويل] :

قصائد تستحلي الرواة نشيدها ... ويلهو بها من لاعب الحي سامر.

يعض عليها الشيخ إبهام كفه ... وتجزى بها أحياؤكم والمقابر.

أي أهل المقابر. والعرب تقول: أكلت قدرا طيبة. أي أكلت ما فيها. وكذلك قول الخاصة: شربت كأسا.

الفصل الثامن: في فيما ظاهره أمر وباطنه زجر.

هو من سنن العرب تقول العرب: إذا لم تستح فافعل ما شئت١. وفي القرآن: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ ٢ وقال جل وعلا: ﴿ومن شاء فليكفر﴾ ٣.

الفصل التاسع: في الحمل على اللفظ والمعنى للمجاورة.

العرب تفعل ذلك فتقول: هذا حجر ضب خرب. والخرب نعت الحجر لا نعت الضب ولكن الجوار عمل عليه كما قال امرؤ القيس: [من الطويل] :

كأن ثبيرا في عرانين وبله ... كبير أناس في بجاد مزمل٤.

فالمزمل: نعت الشيخ لا نعت البجاد وحقه الرفع ولكن خفضه للجوار وكما قال الآخر:

يا ليت شيخك قد غدا ... متقلدا سيفا ورمحا.

والرمح لا يتقلد وإنما قال ذلك لمجاورته السيف. وفي القرآن: ﴿فأجمعوا أمركم وشركاءكم﴾ ٥ لا يقال: أجمعت الشركاء وإنما يقال: جمعت شركائي وأجمعت أمري وإنما قال ذلك للمجاورة وقال النبي صلى الله عايه وسلم: "ارجعن مأزورات غير مأجورات" ٦ وأصلها

---

١ الحديث أخرجه الطيالسي ١٢١ وأحمد ١٢١/٤، و ١٢٢ والبخاري ٣٤٨٤، ١٣١٦ وابن حبان ٦٠٧ والطبراني ٦٥١/١٧ والقضاعي ١١٥٣، ١١٥٦ والبيهقي ١٩٢/١٠، ١٩٨ وابن ماجه ٤١٨٣ من حديث أبي سعيد ولفظه في صحيح البخاري "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت"

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٣٠٧

٢ سورة فصلت الآية: ٤٠.

٣ سورة الكهف الآية: ٢٩.

٤ مزمل: ملتف.

٥ سورة يونس الآية: ٧١.

٦ أخرجه ابن ماجه ١٥٧٨ والبيهقي ٧٧/٤ و١٧٦/٦ والبغوي ٤٦٥/٥ من حديث علي مضعفه البوصيري في الزوائد.." (١)

"حاكم يقطع الخلاف، مؤد إلى الإنصاف والانتصاف، وبه حفظ الأعمال، ونظام الأموال، وقوام أمور الملوك والتجار، وثبات قوانين البلاد والأمصار.

قيل: فالعروض؟ قال: ميزان الشعر. وعيار النظم، ورائض الطبع، وسائس الفهم، وبه يعرف الصحيح من المريض، وفلك عليه مدار القريض.

قيل: فالتعبير؟ قال: علم نبوي، وسفير إلهي، وإشارة سماوية، وعبارة غيبية، وبشير ونذير يخبر عن الأشياء الغائبة والحاضرة، وينبيء عن أمور الدنيا والآخرة.

قيل: فالخط؟ قال: لسان اليد، ولهجة الضمير، ووحي الفكر، وناقل الخبر، وحافظ الأثر، وعمدة الدين والدنيا، ولقاح **اللفظ والمعنى**.

قال مؤلف الكتاب: فهذا آخر ما حكي عن الجاحظ في مدح العلوم. وهذا ما أحاضر به في مدح العلم والعلماء. عن النبي صلى الله عليه وسلم:

«العلماء ورثة الأنبياء» «١» . ويقال: العلم خير من المال، لأن العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والملوك حكام الناس، والعلماء حكام على الملوك. وقال بعض العلماء: ليس شيء أعز من العلم. وقال بعض العلماء: إنا لم نطلب العلم لنحيط به كله، إذ لا سبيل إلى ذلك، ولكن لنستكثر من الصواب ونستقل من الخطأ. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طلب العلم." (٢)

"ثم أتبعه الشعراء فأكثروا من هذا التمثيل قال أبو فراس فى وصف البازى

(كأن فوق صدره والهادى ... آثار مشى الذر فى الرماد)

ووصف بعضهم الخبز فقال رغفان كأن فى خللها مداب أرجل النمل

قال أبو الفتح بن العميد والشعراء يشبهون الشئ الصغير القصير بإبهام القطا والحبارى وأظفور العصفور

وأراد أن يبتدع عليهم فى **اللفظ والمعنى** فكتب إلى أبى الحسين بن فارس رقعة صدرها وصلت رقعة الشيخ فكانت أقصر من أنمل الرمل وأقصر من منفقة بقة

---

(١) فقه اللغة وسر العربية الثعالبي، أبو منصور ص/٢٢٤

(٢) اللطائف والظرائف الثعالبي، أبو منصور ص/٤٧

٧٠٠ - (عض النملة) قال بعض العلماء وهو يضرب المثل بما يستهان ولا يبالى به فيقال ما عسى ان يكون عض النملة وقرص القملة ولسع النحلة ووقوع البقة على النخلة ونباح الكلاب على السحاب وما موقع الذباب من ذى ناب

٧٠ - (جناح النملة) يضرب مثلا لارتياش الضعيف واستغناء الفقير بما فيه هلاكه إذ من أقوى أسباب هلاك النمل نبات أجنحته

ويقال لم يرد الله النملة صلاحا إذا أنبت لها جناحا وقال أبو العتاهية

(أحببت دارا همها قدر ... جم العروج كثيرة شعبه)." (١)

"يقول: هذه الرماح تقطع على الكماة والملوك دروعهم وجواشنهم، وتخرق إليهم الحصون والأسوار والخنادق حتى تصل إليهم، وتفتح بلادهم.

يغير بها بين اللقان وواسط ... ويركزها بين الفرات وجلق،

اللقان: موضع ببلد الروم، وقيل: جبل. وواسط: مدينة بالعراق بناها الحجاج بن يوسف والفرات: معروف يجيء من بلاد الروم، ويمر على أطراف الشام، حتى ينتهي إلى العراق، ويلتقي مع دجلة أسفل بغداد فيصيران نهرا واحدا، ويمران على البصرة ثم إلى البحر. وجلق: موضع بدمشق.

يعني لا يزال أبدا يغير برماحه مرة في بلاد الروم، ومرة على البوادي التي في العراق، ويركزها بين الفرات وجلق، لأنها دار مملكته ومعدن ولايته.

ويرجعها حمرا كأن صحيحها ... يبكي دما من رحمة المتدقق

المتدقق: المتكسر، يقال: اندق الرمح، إذا انكسر، ولا يستعمل الأندقاق إلا فيما كان فيه طول، مثل الرمح ونحوه، ويقال: سقط فلان فاندقت عنقه.

يقول: يرجع هو رماحه من الغارات وقد احمرت بالدم، وبعضها قد تكسر في بدن الأعداء، فكأن الصحيح منها يبكي دما على ما تكسر منها، حزنا عليها، لأنه من جنسه، ودما نصب على التمييز، ويجوز أن يكون مفعولا به عن فعل مضمر، دل عليه. يبكي أي يبكي فيجري دما.

فلا تبلغاه ما أقول فإنه ... شجاع متى يذكر له الطعن يشتق

يقول: لا تبلغا يا صاحبي سيف الدولة ما أقول، فإنه شجاع، إذا سمع وصف الشجاعة اشتاق إليها.

وهذا بيت كثير نقله من النسيب إلى الشجاعة، وهو:

فلا تذكراه الحاجبية يشتق

وهذه السرقة قبيحة، لأنه أخذ **المعنى واللفظ** والوزن والقافية.

ضروب بأطراف السيوف بنانه ... لعوب بأطراف الكلام المشقق

روى بصير ولعوب والمشقق: الكلام الذي له خط في كل شق. ويقال: فلان يشقق في كلامه. إذا تصرف في معانيه. وقيل:

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب الثعالبي، أبو منصور ص/٤٣٦

هو المشق من المشة، أي يشق على غير الفصيح التكلم به. يصفه بالشجاعة والفصاحة.

كسائله من يسأل الغيث قطرة ... كعاذله من قال للفلك: ارفق

يقول: هو يجود بالطبع، فمن يسأله كمن يسأل الغيث قطرة.

وقيل: معناه كما أن القطرة لا تؤثر في الغيث، كذلك سائله لا يؤثر في جوده وماله، وكذلك من يعذله على كرمه، لكونه مطبوعا عليه، كمن يعذل الفلك على دوره. وقال له: ارفق في الحركة.

وقيل: إن من يسأل الغيث قطرة، فقد تكلف ما قد استغنى عنه، وأتى غيثا، إذ قطراته مبذولة، فكذلك سائل سيف الدولة يتكلف ما لا يحتاج إليه، لأنه يعطى قبل السؤال، فنائله مبذول كقطر الغيث.

لقد جدت حتى جدت في كل ملة ... وحتى أتاك الحمد من كل منطق

أي: من كل ذي منطق.

يقول: عممت بجودك أهل الإسلام، وأهل الشرك، فحصل لك الشكر من كل ذي منطق.

جعل إجابته إلى الصلح، فضلا منه على الروم.

رأى ملك الروم ارتياحك للندى ... فقام مقام المجتدي المتملق

الارتياح: الاهتزاز للعطية، والمجتدي: طالب المعروف. والمتملق: المتلطف في الكلام.

يقول: علم ملك الروم جودك، فبعث إليك رسوله، واستوهب منك أسراء الروم، فقام لك مقام السائل المتلطف في سؤاله، لعلمه أنك لا تخيب سائلك.

وخلى الرماح السمهرية صاغرا ... لأدرب منه بالطعان وأحذق

صاغرا نصب على الحال. والدربة في معنى العادة والتجربة. والحذق: إحكام الصنعة.

يقول: إن ملك الروم ترك الرماح على رغم منه، وذل لمن هو أعود للطعان وأحذق به. وأراد به سيف الدولة، يعني أنه ترك قتالك وعدل إلى استعطافك.

وكاتب من أرض بعيد مرامها ... قريب على خيل حواليك سبق

يقول: كاتبك في الصلح من أرض بعيدة المرام، ولكنها مع بعدها قريبة عليك، وعلى خيلك السوابق التي هي حواليك.

وقد سار في مسراك منها رسوله ... فما سار إلا فوق هام مفلق

المسرى: اسم المكان السري، والهاء في منها للأرض.

يعني: أن رسول ملك الروم سار في الطريق التي سرت فيها إلى بلاد الروم، فلم يسر إلا فوق هام مشققة بسيوفك.

فلما دنى أخفى عيه مكانه ... شعاع الحديد البارق المتألق

البارق المتألق: هو اللامع، وإنما أتبع أحدهما الآخر، لاختلاف اللفظين. والهاء في مكانه للرسول.." (١)

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/٢٨٩

"وذا اسم ظاهر، فإذا قلت: بذا ولذا كان إيطاء، وقال قوم: إن جعلت الروي الألف من ذا فهو إيطاء، لأن اللام والباء مع ذا قد صارتا كالشيء الواحد.

فإن قلت: عرس تريد المرأة، وعرس تريد الرجل، فهو إيطاء كالزوج والزوج تقول العرب: هذا عرس، وهذه عرس: قال العجاج:

أكرم عرس جبلا وعرس

يريد: أكرم رجل وامرأة جبلا.

فإن قلت: غلامي وغلام منكرا، لم يكن إيطاء.

قيل: وقدم رجل لأعرابي لونا من الطعام مرتين فقال: أوطأت في طعامك.

فصل: قال خلف الأحمر: لو قلت برجل ولرجل لم يكن إيطاء لاختلاف المعاني، ويقول: إن قول الراجز:

إنك لو أكلت خبزا صالحا ... ثم أدمت الخبز أدما صالحا

لقت بالقوم سياقا صالحا

ليس بإيطاء لاختلاف ما قبله.

وقاسه على الياء والكاف في المضمر، إذا قلت: عندي، ومنى، ولك، بك بينهما فرق لأن المضمر مع ما قبله كالشيء الواحد وليس كذلك الظاهر ومما أوطئ فيه باتفاق **اللفظ والمعنى** قول الراجز:

يارب إني رجل، كما ترى ... على قلوص صعبة، كما ترى

أخاف أن تصرعني كما ترى

قال بعض أصحاب القوافي: فخذ بتحريك الخاء مع فخذ بإسكانها إيطاء.

وفي هذا نظر من جهة العروض، لأن فعلن لا يجتمعان إلا في رابع السريع المقيد، وفخذ وفخذ وعنق وعنق إنما يماثلهما فعلن وفعلن بالتنوين الذي فيهما.

وإذا نونا لم يلزم هناك تقييد. والشعر المطلق لا يجوز أن يكون قبل رويه تارة ساكن وتارة متحرك، إلا أن يكون من قال هذا أراد شعرا على ووي الكاف كاف الخطاب، فخذك بكسر الخاء، ثم يقول فخذك بسكونها.

وقد روى في بعض ضروب الكامل شعر مبني على فعلن وفعل. وهذا شاذ.

السناد

وأصله الاختلاف. يقال: خرج القسوم متساندين. أي: لم يتبعوا رئيسا واحدا. ويقال: إن قريشا خرجوا يوم الفجار متساندين. وقد ذكرت العرب السناد. وقال ذو الرمة:

وشعر قد سهرت له كريم ... أجببه المساند والمحالا

وقال جرير بن عطية:

فلا إقواء إذ مرس القوافي ... بأفواه الرواة ولا سنادا

وقال عدي بن زيد بن الرقاع العاملي:
وقصيدة قد بت أجمع شملها ... حتى أقوم ميلها وسنادها
وقال أبو حزام العكلي:
قواف على الهاء سحجية ... بغير السناد ولا المكفوءة
والسناد على ضروب، جميعها قبل الروي، فمن ذلك ما ليس بمكروه، وهو تعاقب الواو المضموم ما قبلها والياء المكسور ما قبلها في ردف القصيدة الواحدة، وذلك مجمع على استعماله، ولا يحاط بكثرته.
ومنه ما هو مكروه، وذلك ينقسم أقساما.
فمنه ما هو في التأسيس، كقول العجاج:
يا دار سلمى يا لسلمى ثم اسلمى ... بسمسم أو عن يمين سمسم
ثم قال:
فخندف هامة هذا العالم
وكان رؤبة يعيب ذلك على أبيه، وقيل كأن الهمزة من لغة العجاج. فإن صح ذلك، فإن الهمزة في العالم يخرجه من السناد.
وكذلك الكلام في قوله فيها:
مكرم للأنبياء خاتم
إما أن يهمز فلا يكون سنادا، أو بترك الهمزة فيكونه، والهمزة بتأتي في خاتم إذا فتحت التاء، فإن كسرت فلا يهمز؛ لأنه يصير فاعلا من الختم.
ومن السناد اختلاف حركات الدخيل كقول ورقاء بن زهير:
دعاني زهير تحت كلكل خالد ... فأقبلت أسعى كالعجول أبادر
فشلت يميني يوم أضرب خالدا ... ويمنعه مني الحديد المظاهر
ففتح الهاء مع كسر الدال. ولو كانت مع الكسرة ضمة لكان أقل من العيب.
ومن السناد أن يجئ حذو مفتوح وحذو غير مفتوح. نحو قوله:
عبد شمس أبي كنت غضبى ... فاملئي وجهك المليح خموشا
نحن كنا سكانها من قريش ... وبنا سميت قريش قريشا
وقال عبيد بن الأبرص:." (١)

"والجمع حلي ومثله ثدي وثدي ومن الواو حقو وحقي وأنشد: تسهد من نوم العشاء سليمها لحلي النساء في يديه قعاقع قال لحلى النساء عل أحد أمرين، إما على قوله: كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقوله: قد عض أعناقهم جلد الجواميس أو يكون على قوله تعالى وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها فيريد به الكثرة، وقال الشاعر: بريحانة من بطن حلية نورت لها

---
(١) القوافي للتنوخي التنوخي، أبو يعلى /

أرج ما حولها غير مسنت فإن كان هذا المكان سمي بواحد حلى كتمرة وتمر كان حلي جمعا يكون قوله لحلي النساء جمعا قد أضيف إلى جمع وقال عز وجل أو من ينشأ في الحلية وقال وتستخرجوا منه حلية فيجوز أن تكون الحلية كسرت مع علامة التأنيث وفتح بلا هاء فقيل حلى كما قيل البرك والبركة للصدر وقال: ولوح ذراعين في بركة فأما وجه قول من ضم من حليهم فإن حليا لا يخلو من أن يكون جمعا على حد نخل وتمر أو مفردا فيكون حلى وحلي وحلي كقولهم كعب وكعوب وفلس وفلوس فلما جمع أبدل من الواو والياء لإدغامها في الياء وأبدل من الضمة كسرة كما أبدلت في مرمي ويجوز أن يكون حلى جمعا كتمر وجمع على فعول كما جمع صفا على صفي في قوله: مواقع الطير على الصفي من كسر الحاء فلأن المكسر من الجموع قد غير عما كان عليه الواحد في **اللفظ والمعنى** كما أن الاسم المضاف إليه كذلك ألا ترى أن الاسم المكسر في الجمع يدل بالتكسير على الكثرة وأن البناء قد غير في التكسير كما أن الاسم المضاف إليه كذلك وذلك أنه بالنسب صار صفة وكان قبل اسما وقد تغير في اللفظ بما لحقة من الزيادة فلما غير الاسم تغييرين قوي هذا التغيير على تغيير الفاء كما قوي النسب للتغييرين على حذف الياء في نحو حنفي وجدلي فقال حلي وعصي والتغيير في مثل هذا مطرد إلا أن يشذ منه شيء نحو إنكم لتنظرون في نحو كثيرة وكما أنشد أحمد بن يحيى: ألا إن هندا أصبحت منك محرما وأصبحت من أدنى حموتها حما فجاءت الواو في الحموة مصححة وكان القياس أن تقلب من حيث كان جمعا فأما لحاق تاء التأنيث له فعلى حد عمومة وخيوطه وليس لحاق هذه التاء مما يمنع القلب ألا ترى أن الذي يوجب القلب منه هو أنه جمع، ابن السكيت، امرأة حالية – عليها حلي، ابن الأعرابي، حال بغير هاء ألا أن يكون على الفعل، أبو علي، تعادل الضدان في هذا فقيل حال كما قيل عاطل، ابن السكيت، حليت حليا وحليتها وحلوتها، الكلابيون، حليت المرأة حليا – أفادت حليا، صاحب العين، حلية المرأة وحليها وحلية السيف لا غير وقد." (١)

"قنتت المرأة لبعلها انقادت والإقنات الانقياد، قنت يقنت قنوتا. صاحب العين: أقنع الرجل يديه في القنوت: مدهما واسترحم ربه وقال: صلينا أعقاب الفريضة وهو إذا صلى عقب الظهر وهو واحد الأعقاب وقال نحر الرجل في الصلاة ينحر إذا انتصب ونهد صدره وقوله تعالى: (فصل لربك وانحر) . قيل معناه وانحر البدن وقيل هو وضع اليمين على الشمال في الصلاة. ابن دريد: ركع يركع ركعا وركوعا فهو راكع والراكع: الذي يكبو على وجهه ومنه الركوع في الصلاة، قال الشاعر: وأفلت حاجب فوت العوالي على شقاء تركع في الظراب والركعة: الهوة في الأرض لغة يمانية. صاحب العين: كل قومة من الصلاة ركعة وكل شيء ينكب لوجهه فتمس ركبته الأرض أو لا تمس بعد أن يطأطئ رأسه فهو راكع، قال لبيد: أخبر أخبار القرون التي مضت أدب كأني كلما قمت راكع والجمع ركع وركوع وركع الشيخ: انحنى. أبو عبيد: التحنية: وضع اليدين على الركبتين والأرض في الصلاة. صاحب العين: الساجد: المنتصب. أبو عبيد: حقيقة السجود الخضوع، سجد يسجد سجودا: إذا وضع جبهته بالأرض وأسجد البعير طأطأ رأسه وانحنى وأنشد: وقلن له أسجد ليلى فأسجدا وجمع الساجد سجود. قال الفارسي: وإذا حقر رد إلى واحده كما يفعل بالقعود والبكي جمع قاعد وباك وأما المسجد فإنه أحد الحروف الشاذة التي جاءت من فعل يفعل على مفعل وهذا إذا عني الموضع الذي يسجد فيه فأما من جعله اسما للبيت

(١) المخصص ابن سيده ٣٦٧/١

فعلى من جعل المضرب اسما للحديدة فلا يكون على هذا شاذا إنما هو اسم كالمدق حين جعلوه اسما كالجلمود. أبو حاتم: المسجدة: الخمرة المسجود عليها. صاحب العين: قوله عز وجل: (وأن المساجد لله) قيل هي مواضع السجود من الإنسان الجبهة واليدان والركبة والرجلان فأما الإسجاد في النظر فقد قيل إنه الإدامة وقيل الفتور وهذا أشبه لأنه ميل وانخفاض وليس السجود. أبو زيد: حرجت الصلاة على المرأة: حرمت زمن الحيض وقال حانت الصلاة حينا وحينونة: وجبت. صاحب العين: الترويحة في شهر رمضان: سميت بذلك لاستراحة القوم بعد كل أربع ركعات وقال: رهقتنا الصلاة رهقا: حانت، وقال: التشهد: قراءة التحيات، واشتقاقه من أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله. غيره: الذكر: الصلاة لله والدعاء إليه والثناء عليه وفي الحديث: (كانت الأنبياء إذا حزبهم حازب فزعوا إلى الذكر) أي الصلاة يقومون فيصلون والذكر أيضا الكتاب الذي فيه تفصيل الدين ووضع الملة.

٣ – (الدعاء)

طلب الطالب للفعل من غيره وقد دعوت. سيبويه: الدعوى: الدعاء. قال: وفي الدعاء اللهم أشركنا في دعوى المسلمين، وأنشد: ولت ودعواها شديد صخبه والأدعوة: أفعولة من دعا يدعو، صحت الواو لأنه ليس هناك ما يقلبها إلا ترى أنك إذا بنيت مثال أفعولة من غزوت قلت أغزوة ومن قال أدعية فلخفة الياء على حد مسنية. ابن الرماني: الدعاء إلى الله على وجهين: الأول طلب في مخرج **اللفظ والمعنى** على التعظيم والمدح. والثاني: الطلب لأجل الغفران أو عاجل الإنعام. ابن." (١)

"فإذا كان كذلك لم يكن قول من قال إن مثنى ونحوه أنه لم ينصرف لأنه عدل في **اللفظ والمعنى** بمستقيم وإذا كان العدل ما ذكرناه من أنه لفظ يراد به لفظ آخر لم يمتنع أن يكون العدل واقعا على النكرة كما يقع على المعرفة ولم يجز أن يتكرر العدل في اسم واحد وإذا كان كذلك فقول أبي إسحاق في مثنى وثلاث ورباع لم ينصرف بجهتين لا أعلم أحدا من النحويين ذكرهما وهما أنه اجتمع فيه علتان معدول عن اثنتين اثنتين وأنه عدل عن تأنيث خطأ وذلك أنه لا يخلو أن يكون لها عدل عن اثنتين اثنتين وثلاثا ثلاثا وعدل عن التأنيث تكرر فيه العدل كما تكرر الجمع في أكالب ومساجد أو يكون لما عدل عن التأنيث كان ذلك ثقلا آخر من حيث كان المعدول عنه مؤنثا ولم يكن الأول المذكر فلا يجوز أن يكون العدل متكررا في هذا كما تكرر الجمع في أكالب ومساجد والتأنيث في بشرى ونحوه لما قدمناه من أن العدل إنما هو أن يريد باللفظ لفظا آخر وإذا كان كذلك لم يجز ن يتكرر هذا المعنى لا في المعدول عنه ولا في المعدول ألا ترى أنه لا يستقيم أن يكون معدولا عن اسمين كما لا يجوز أن يكون المعدول اسمين ولا يوهمنك قول النحويين أنه عدل عن اثنين اثنين أنهم يريدون بمثنى العدل عنهما إنما ذلك تمثيل منهم للفظه المعدول عنها كما يفسرون قولهم هو خير رجل في الناس وهو خير اثنين في الناس أن المعنى هما خير اثنين إذا كان الناس اثنين اثنين وخير الناس إذا كانوا رجلا رجلا وكذلك يريدون بقولهم مثنى معدول عن اثنين اثنين يريدون به اثنين الذي يراد به اثنين اثنين لا عن اللفظتين جميعا فأما المعدول فإنه لا يكون إلا اسما واحدا مفردا كما كان المعدول عنه كذلك ألا ترى أن جميع المعجدولات أسماء مفردة كما أن المعدول عنها كذلك والمعنى في

---

(١) المخصص ابن سيده ٥٧/٤

المعدول الذي هو مثنى وثلاث هو المعنى الذي في اثنين وثلاث في أنك تريد بعد العدل اثنين اثنين كما أردت قبله فلا يستقيم إذا أن يكون تكرر اثنين هنا كتكرر الجمع في أكالب ونحوه لظهور هذا المعنى في هذا الضرب من الجمع وخروجه به عن أبنية الآحاد الأول إلى ما لا يكسر للجمع ولا يجوز أيضا أن يكون مثنى لما عدل عن التأنيث كان ثقلا آخر لما لم يكن المعدول عنه هو الأول المذكر فصار ذلك ثقلا انضم إلى المعنى الأول فلم ينصرف وعلى هذا الوجه قصد أبو إسحاق فيما علمناه من فحوى كلامه لأن العدل إن سلمنا في هذا الموضع أنه عن تأنيث لم يكن ثقلا مانعا من الصرف أنها معدولة وعدلها عن تأنيث ولم يمنعها من الصرف أنها معدولة وأنها عدلت عن التأنيث إنما امتنعت من للعدل والتعريف ألا ترى أن سيبويه يصرف جمع إذا سمي به رجل في النكرة فإن كان لا يصرف أحمد إذا سمي به فذلك جمع لم ينصرف في التأكيد للعدل والتعريف والمعدول غير مؤنث ويدلك على أن العدل عن التأنيث لا يعتد به ثقلا وإنما المعتد به نفس العدل وهو أن يريد ببناء أو لفظ بناء ولفظا آخر أن التعريف ثان كما أن التأنيث كذلك ولم يكن العدل عن التعريف ثقلا معتدا به في منع الصرف ألا ترى أن لو كان معتدا به لوجب أن لا ينصرف عمر في النكرة لأنه لو كان يكون في حال النكرة معدولا ومعدولا عن التعريف وفي صرف عمر في النكرة في قول جميع الناس دلالة على أن العدل عن التعريف غير معتد به ثقلا وإذا لم يعتد به ثقلا لم يجز أيضا أن يعتد بالعدل عن التأنيث ثقلا وإنما لم ينصرف عمر في التعريف للعدل والتعريف كما لم ينصرف جمع لهما فإذا زال التعريف انصرف عمر ولم يعتد بالعدل فيه عن التعريف ثقلا فذلك ينبغي أن يكون المعدول عن التأنيث لأن هذا إنما هو تأنيث جمع ولا يدل جريه على المؤنث إذا كان جمعا على أن واحده مؤنث ألا ترى أنه جاء في التنزيل: ﴿أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾ [فاطر: ١] فجرى في هذا الموضع على جمع واحده مذكر فلو جاز لقائل أن يقول إن مثنى وبابه معدول عن مؤنث لما جرى على النساء وإحداهن مؤنثة لآخر أن يقول إنه مذكر لأنه جرى صفة على الأجنحة وواحدها مذكر وهذا هو القول والوجه وإنما جرى على النساء من حيث كان تأنيثها تأنيث." (١)

"نص الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

قال ابو الحسن علي بن إسماعيل النحوي المعروف بابن سيده: قال ابو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي رحمه الله تعالى:

) أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدني ... وفرق الهجر بين الجفن والوسن (

يذهب الناس إلى أن أسف البعد هي الذي أبلاه على عادة البلى وإنما قصد المبالغة، أرد أن البل يعمل في الجسام فحالا على الأيام. وقد عمل فيه ليوم واحد، وهو يوم النوى، عمله لسنين.

وقال:

) ظلت بها تنطوي على كبد ... نضيجة فوق خلبها يدها (

ظلت: أقمت، والخلب: غشاوة الكبد والبيت مضمن بالأول وهو أبعد بان عنك خردها.

---

(١) المخصص ابن سيده ٢٠٨/٥

فالعامل في أبعد، ظلت كأنه قال: ظلت بها بعد ما بان خردها، والمعنى: بعدما بان خردها، ظلت منطويا على كبد قد أنضجها التوجع وأذابها التفجيع، و) عليها يدها (: إنما توضع اليد على الكبد خشية من ضعفها.

يريد بذلك، وكذلك يفعل بالفؤاد، كقول الآخر:

وضعت كفي على فؤادي من ... نار الهوى وانطويت فوق يدي

وأكثر الناس على أن) نضيجة (، صفة للكبد في **اللفظ والمعنى**، لا حظ لليد في النضج، وإنما يريد أن اليد موضوعة على خلب الكبد فقط، ويقويه البيت الذي أنشدناه، وهو) وضعت كفي على فؤادي من......ناؤ الهوى..... (.

وقد يجوز أن يكون) نضيجة (صفة للكبد في اللفظ، ولليد في المعنى، أي على كبد قد نضجت يدها على خلبها من حرارتها، وهذا أبلغ لأنه إذا أنضجت اليد وهي موضوعة على الخلب من حر الكبد، فما الظن بالكبد؟ فإذا كان المعنى على هذا، جاز في) نضيجة (الجر والرفع. فالجر على الصفة للكبد في اللفظ، والرفع على أن يكون خبر مبتدأ، وذلك المبتدأ هو اليد، كأنه قال: يدها نضيجة فوق خلبها. وهذا كما تقول: مررت بامراة ظريفة أمتها، فالظرف في اللفظ للمرأة، وفي الحقيفة للأمة. وإن شئت قلت: ظريفة أمها، أي أمها ظريفة.

وأما إذا كانت النضيجة صفة للكبد في **اللفظ والمعنى**، فإنه لا يكون فيها الا الجر. وكن) نضيجة (صفة لليد، أبلغ في المعنى، لأنها حينئذ نضيجة بما ليس في ذاتها. وإذا كانت نعتا للكبد، فهي نضيجة بما في ذاتها. واحتراق الشيء بما ليس في ذاته، أبلغ من احتراقه بما في ذاته وإنما يريد أنه إذا وضع يده على كبده متألما نضجيت اليد بحر الكبد، كقوله:

هل الوجد إلا أن قلبي لودنا ... من الجمر قيد الرمح لاحترق الجمر

وهذا عندي أبلغ من قول المتنبي، لأن اليد إذا كانت على خلب الكبد، فهي اقرب إلى الحر من الفؤاد من الجمر، إذا كان بينه وبين الجمر قيد رمح، مع أنه جعل الجمر الناري محترقا من حر فؤاده. فحر الفؤاد إذن أشد من حر الجمر.

) شاب من الهجر فرق لمته ... فصار مثل الدمقس أسودها (

وفي هذا البيت ثرملة صنعة، قال:) فرق لمته (فخص جزءا من اللمة ثم قال: أسودها، فعم، لكن قد يجوز أن يعود الضمير إلى الفرق، وإن كان الفرق مذكراً، لأن المذكر إذا كان جزءا من ذات المؤنث جاز تأنيثه.

أنشد سيبويه:

وتشرق بالقول الذي قد أذعته ... كما شرقت صدر القناة من الدم

وقد يجوز أن يريد بياض اللمة كلها، وخص الفرق، لأنه معظم الرأس، تم أعاد الضمير إلى اللمة. وإنما وجه استواء الصنعة لو اتزن له، وحسن في القافية أن يقول:

شابت من الهجر لمته ... فصارمثل الدمقس أسودها

أو يقول:) أسوده (بعد قوله) لمته (وأسودها هنا: ليست مفاضلة، إذ لو كان ذلك، لكان أشد سوادا.

وقد يجوز أن يكون أراد المفاضلة، فقد جاء ذلك شاذا، فقوله أسودها بريد به مسودها كما يقول: هو أسود القوم أي الأسود فيهم.

)كيف يحيك الملام في همم ... أقربها منك عنك أبعدها
كيف يكون أقر شيء أبعد شيء! هذا خلف إذا حمل على ظاهره لكن لو قال: أقربها منك بعيد عنك، كان حسنا، ولكن الذي أراده: أقربها عندك مثل أبعدها. فالجملة في موضع الصفة لهمم. أي أقربها منك عندك أبعدها منك على الحقيقة.." (١)

"باب في اللفظ والمعنى

اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم: يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك، من غير أن تذهب الروح، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح، ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ، وجريه فيه على غير الواجب، قياسا على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح، فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه، وإن كان حسن الطلاوة في السمع، كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين، إلا أنه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة، وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى؛ لأنا لا نجد روحا في غير جسم البتة.

ثم للناس فيما بعد آراء ومذاهب: منهم من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعله غايته ووكده، وهم فرق: قوم يذهبون إلى فخامة الكلام وجزالته، على مذهب العرب من غير تصنع، كقول بشار:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية ... هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

إذا ما أعرنا سيدا من قبيلة ... ذرى منبر صلى علينا وسلما

وهذا النوع أدل على القوة، وأشبه بما وقع فيه من موضع الافتخار، وكذلك ما مدح به الملوك يجب أن يكون من هذا النحت.

وفرقة أصحاب جلبة وقعقعة بلا طائل معنى إلا القليل النادر: كأبي القاسم بن هانئ ومن جرى مجراه؛ فإنه يقول أول مذهبته:." (٢)

"وقد يكون قدرا للوعاء كالذي يقام به اللوالك، وتصلح عليه الأخفاف، ويكون مثالا كالذي تحذى عليه النعال، وتفصل عليه القلانس، فلهذا احتمل القالب أن يكون لفظا مرة ومعنى مرة.

وللشعراء ألفاظ معروفة، وأمثلة مألوفة، لا ينبغي للشاعر أن يعدوها، ولا أن يستعمل غيرها، كما أن الكتاب اصطلحوا على ألفاظ بأعيانها سموها الكتابية لا يتجاوزونها إلى سواها، إلا أن يريد شاعر أن يتظرف باستعمال لفظ أعجمي فيستعمله في الندرة، وعلى سبيل الخطرة، كما فعل الأعشى قديما، وأبو نواس حديثا، فلا بأس بذلك، والفلسفة وجر الأخبار باب آخر غير الشعر؛ فإن وقع فيه شيء منهما فبقدر، ولا يجب أن يجعلا نصب العين فيكونا متكئا واستراحة، وإنما الشعر ما

---

(١) شرح المشكل من شعر المتنبي ابن سيده ص/١

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ١٢٤/١

أطرب، وهز النفوس، وحرك الطباع، فهذا هو باب الشعر الذي وضع له، وبني عليه، لا ما سواه.

ومن ملح الكلام على **اللفظ والمعنى** ما حكاه أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي، قال: البليغ من يحوك الكلام على حسب الأماني، ويخيط الألفاظ على قدود المعاني.

وقال غيره: الألفاظ في الأسماع كالصور في الأبصار.

وقال أبو عبادة البحتري:

وكأنها والسمع معقود بها ... وجه الحبيب بدا لعين محبه." (١)

"ألم يأته أني تخلل ناقتي ... بنعمان أطراف الأراك النواعم

وحقيقة المجانسة عند الرماني المناسبة بمعنى الأصل، نحو قول أبي تمام: في حده الحد بين الجد واللعب قال: لأن معناهما جميعا أبلغ، وأما قولك قرب واقترب، والطلوع والمطلع، وما شاكل هذا؛ فهو عنده من تصرف اللفظ، ولا يعده تجنيسا، ومن تصرف المعنى عنده قولك: عين الميزان، وعين الإنسان، وعين الماء، ونحو ذلك.. ومن التصرف في **اللفظ والمعنى** جميعا قولك: الضرب والمضاربة والاستضراب، وما أشبه ذلك، كل هذه الأنواع عنده من باب التصرف.

وما أكثر ما يستعمل هذا النوع بعض شعراء وقتنا المذكورين، ويظن أنه قد أتى بشيء من غرائب التجنيس.

وأما قول دعبل في امرأته سلمى:

أحبك حبا لو تضمنه سلمى ... سميك ذاك الشاهق الرأس

فقد جنس من غير جنس؛ لأن قوله سميك دال على مراده.

ومثله قول آخر:

ضيعتي مثل اسمها العا ... م وداري مسترمه

أنشده الرماني.. وقال الآخر، وهو أبو تمام:

إذ لا صدوق ولا كنود اسماهما ... كالمعنيين ولا النوار نوارا

المراد صدر البيت لا عجزه.

وإذا دخل التجنيس نفي عد طباقا، وكذلك الطباق يصير بالنفي تجنيسا، وسأفرد لهما بابا إن شاء الله تعالى فيما بعد." (٢)

"**اللفظ والمعنى** جميعا فذلك الخذلان بعينه، ولا يجب للشاعر أن يكرر اسما إلا على جهة التشوق والاستعذاب، إذا كان في تغزل أو نسيب.. كقول امرئ القيس، ولم يتخلص أحد تخلصه فيما ذكر عبد الكريم وغيره، ولا سلم سلامته في هذا الباب:

ديار لسلمى عافيات بذي الخال ... ألح عليها كل أسحم هطال

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ١٢٨/١

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ٣٣٢/١

وتحسب سلمى لا تزال كعهدنا ... بوادي الخزامي أو على رأس أو عال

وتحسب سلمى لا تزال ترى طلا ... من الوحش أو بيضا بميثاء محلال

ليالي سلمى إذ تريك منضدا ... وجيدا كجيد الريم ليس بمعطال

وكقول قيس بن ذريح:

ألا ليت لبنى لم تكن لي خلة ... ولم تلقني لبنى ولم أدر ما هيا

أو على سبيل التنويه به، والإشارة إليه بذكر، إن كان في مدح كقول أبي الأسد:

ولائمة لامتك يا فيض في الندى ... فقلت لها: هل يقدح اللوم في البحر؟

أرادت لتثني الفيض عن عادة الندى ... ومن ذا الذي يثني السحاب عن القطر؟!

كأن وفود الفيض يوم تحملوا ... إلى الفيض لاقوا عنده ليلة القدر

مواقع جود الفيض في كل بلدة ... مواقع ماء المزن في البلد القفر

فتكر يراسم الممدوح ههنا تنويه به، وإشارة بذكره، وتفخيم له في القلوب والأسماع.

وكذلك قول الخنساء:

وإن صخرا لمولانا وسيدنا ... وإن صخرا إذا نشتو لنحار

وإن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار." (١)

"إذا ما المكرمات رفعن يوما ... وقصر مبتغوها عن مداها

وضاقت أذرع المثرين عنها ... سما أوس إليها فاحتواها١

وإن كان ابن أبي خازم سبق الشماخ إلى المعنى إلا أنه جاء به في بيتين واختصره الشماخ فأتى به في بيت واحد.

ومن هذا القبيل أيضا قول امرئ القيس:

إذا ما استحمت كان فيض حميمها ... على متنتيها كالجمان لدى الجالي٢

فإن امرئ القيس أتى بهذا التشبيه في بيت واحد وأخذه الوليد بن يزيد فأساء لأنه أتى به في بيتين فقال:

كأن الحميم على متنها ... إذا غرفته بأطساسها

جمان يجول على فضة ... جلته حدايد دواسها

على أن الوليد قد زاد في التشبيه بقوله: على فضة لكن بين ألفاظه وألفاظ امرئ القيس تفاوت لا يخفى.

فأما المساواة بين **اللفظ والمعنى** كما وصف بعض الأدباء رجلا فقال: كانت ألفاظه قوالب لمعانيه أي هي مساوية لها لا يفضل أحدهما على الآخر وحد المساواة المحمودة هو إيضاح المعنى باللفظ الذي لا يزيد عنه ولا ينقص وقد احترزت بقولي: إيضاح مما احترزت منه في حد الإيجار لما أذهب إليه من قبح العبارة عن المعنى باللفظ الذي لا يوضحه وفرقت بين المساواة والتذييل بقولي: لا يزيد عنه لأن التذييل لفظ يزيد على المعنى وفرقت بين المساواة والإيجاز والإخلال بقولي: ولا ينقص لأن

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ٧٤/٢

الإيجاز والإخلال لفظ ينقص عن المعنى إلا أن الفرق بين الإيجار والإخلال أن الإيجاز على ما ذكرناه إيضاح المعنى بأقل ما

١ يريد أوس بن حارثة بن لام الطائي.
٢ الحميم الماء الحار أو البارد.." (١)

"جعل نفسه في الدقة كخصرها وجعل ظلمها أياه كظلم متنيها لخصرها ثم وصف نفسه بضعف القوى والعادة جرت للشعراء بوصف الردف بالعظم والخصر بالهيف ولم يسمع ذكر سمن المتن وكثرة لحمه بل يصفون النصف الأعلى بالخفة والرشاقة وهو يقول متنها ممتلىء يظلم خصرها بتكليفه حمله والصحيح في هذا المعنى قول خالد بن يزيد الكاتب، صبا كئيبا يتشكى الهوى، كما اشتكى خصرك من ردفكا،

بفرع يعيد الليل والصبح نير ... ووجه يعيد الصبح والليل مظلم
فلو كان قلبي دارها كان خاليا ... ولكن جيش الشوق فيه عرمرم
أثاف بها ما بالفؤاد من الصلى ... ورسم كجسمي ناحل متهدم
أثاف جمع أثفيه وهي الحجر ينصب تحت القدر قال الأخفش واجمعت العرب على تخفيف أثاف والصلى والاصطلاء بالنار وإذا فتحت الصادر قصر وإذا كسرت مد والتقدير أثاف بها من الصلاء ما بالفواد يعني أن النار احرقتها وأثرت فيها كما أحرق الشوق والحب قلبي

بللت بها رديني والغيم مسعدي ... وعبرته صرف وهي عبرتي دم
يعني بكيت أنا والغيم في الدار وكان دمعي ودمعه صافيا

ولو لم يكن ما انهل في الخد من دمي ... لما كان محمرا يسيل فأسقم
يقول لو لم يكن دمعي دما ما كان احمر وما كنت هزلت وسقمت بعده

بنفسي الخيال الزائري بعد هجعة ... وقولته لي بعدنا الغمض تطعم
الهجعة الرقدة يقول غيرني الخيال الزائر وقال كيف تلتذ بالنوم بعدي

سلام فلولا البخل والخوف عنده ... لقلنا أبو حفص علينا المسلم
سلام من حكاية قولها أي قال لي الخيال معاتبا أتنام بعد مفارقتنا سلام أي عليك سلام ثم قال لولا أنه بخيل جبان لقلت أنه الممدوح اجلالا له واستعظاما وقال ابن جنى لولا خوفي من مفارقته او معاتبته ولولا بخله لأنه لا حقيقة لزيارته واخطأ

(١) سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي ص/٢١٧

في تفسيرهما لأنه جعل الخوف للمتنبي وإن لا حقيقة لزيارته لايكون بخلا والمرأة توصف بالجبن والبخل ويقال أن هذين من شر أخلاق الرجال وهما من خير أخلاق النساء

محب الندى الصابي إلى بذل ماله ... صبوا كما يصبو المحب المتيم

وأقسم لولا أن في كل شعرة ... له ضيغما قلنا له أنت ضيغم

المعنى أنه يزيد على الأسد قوة وشجاعة بعدد شعر بدنه ولولا ذلك لقلنا أنه أسد ثم أكد هذا فقال

أننقصه من حظه وهو زائد ... ونبخسه والبخس شيء محرم

يعني أنه زاد على الأسد شجاعة ثم إن جعلناه كالأسد كنا قد نقصنا حظه لنه يستحق أكثر منه

يجل عن التشبيه لا الكف لجة ... ولا هو ضرغام ولا الرأي مخذم

يقول هو أجل من أن يشبه كفه بالبحر وهو بالأسد ورأيه بالسيف

ولا جرحه يؤسى ولا غوره يرى ... ولا حده ينبو ولا يتثلم

عطف لا في قوله ولا في جرحه يؤسى على لا في البيت قبله في ظاهر اللفظ لا في المعنى لأن قوله لا الكف لجة يريد أن فيها ما في اللجة وزيادة عليه وكذلك ما بعده في هذا البيت وقوله ولا جرحه يؤسى ليس يريد أنه يؤسى ويزاد عليه فهو في هذا ينفي في **اللفظ والمعنى** جميعا وفيما قبل مثبت في المعنى ما نفاه لفظا والمعنى أن جرحه أوسع من أن يعالج لأنه لا يبرأ بالعلاج ولا يرى غور جرحه لعمقه ويجوز أن يكون المعنى ولا غور الممدوح يرى أي يعلم أي أنه بعيد الغور في الرأي والتدبير ولا يدرك غوره واستعار له حدا لمضائه ونفاذه في الأمور وجعل حده غير ناب ولا متثلما لحدته

ولا يبرم الأمر الذي هو حالل ... ولا يحلل الأمر الذي هو مبرم

أظهر التضعيف من حالل للضرورة كقول الراجز، يشكو الوجى من أظلل وأظلل

ولا يرمح الأذيال من جبرية ... ولا يخدم الدنيا وإياه تخدم

الجبرية الكبر يقول لا يختال في مشيته فيرمح ذيل ثوبه يقال للمختال أنه ليرمح الأذيال إذا طال ذيله ولم يرفعه وضربه برجله ومنه قول القحيف العقيلي، يقول لي المغني وهن عشية، بمكة يرمحن المهذبة السحلا،

ولا يشتهي يبقى وتفنى هباته ... ولا يسلم الأعداء منه ويسلم

يقول لا يحب أن يبقى ولا عطاء له أي إنما يحب البقاء ليعطي فإذا لم يكن له عطاء لم يحب البقاء ولا يحب أن يسلم في نفسه مع سلامة الأعداء منه أي أنه يحب أن يقتلهم وأن كان في ذلك هلاكه

ألذ من الصهباء بالماء ذكره ... وأحسن من يسر تلقاه معدم." (١)

"قال ابن جنى قد أكثر الناس القول في هذا البيت وهو في الجملة شنيع الظاهر وقد كان يتعسف في الاحتجاج له والاعتذار منه بما لست أراه مقنعا مع هذا فليست الآراء والاعتقادات في الدين ما يقدح في جودة الشعر قال أبو الفضل العروضي فيما أملاه علي ذا بيت حسن المعنى مستقيم اللفظ حتى لو قلت أنه أمدح بيت في شعره لم ابعد عن الصواب ولا ذنب له إذا جهل الناس غرضه واشتبه عليهم أما معناه أن قريشا واعداء النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون أن محمدا صنبور أي منفرد ابتر لا عقب له فإذا مات استرحنا منه فانزل الله تعالى أنا أعطيناك الكوثر أي العدد الكثير ولست بالابتر الذي قالوه أن شانئك هو الابتر فقال المتنبي أنتم من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وآيات لتصديقه وتحقيق قول الله تعالى وذلك اجدى ما لكم من مناقب بالجيم فإن قيل الأنساب تنعقد بالأبناء والآباء لا بالبنات والامهات كما قال الشاعر، بنونا بنو أبنائنا وبناتنا، بنوهن أبناء الرجال الأباعد، قلنا هذا خلاف حكم الله تعالى وقوله تعالى في القرآن الحكيم ومن ذريته داءود وسليمان إلى قوله تعالى ويحيى وعيسى فجعل عيسى من أولاد إبراهيم وذريته ولا خلاف أنه لم يكن لعيسى أب وأما ذكر التهامي فإن الله تعالى كان قد أنزل في التوارة أنه باعث نبيا من تهامة من أولاد إسماعيل في آخر الزمان وأمر موسى أمته أن يومنوا به إذا بعث ودل عليه بعلامات أخر فأنكر اليهود نبوته فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنا النبي التهامي الأبطحي الأمي فلا أدري كيف نقموا على المتنبي لفظة افتخر بها النبي صلى الله عليه وسلم ولما رووا وإحدى بالحاء اضطرب عليهم المعنى واقرأنا أبو الحسن الرخجي أولا والشعراني ثانيا والخوارزمي ثالثا وأجدى ما لكم بالجيم واستقام المعنى واللفظ وتشنيع أبي الفتح وغيره عليه باطل انتهى كلامه وليس يفسد المعنى وإن روى واحدي بالحاء فإنه يقول كون النبي التهامي أبا لكم أحدى مناقبكم أي لكم مناقب كثيرة أحداها انتسابكم إليه وقال ابن فورجة وروى بعضهم وأكبر آيات التهامي أنه أبوك قال يعني به عليذ ابن أبي طالب رضي الله عنه وكان آية من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إذا لم تكن نفس النسيب كأصله ... فماذا الذي كرام المناصب

النسيب ذو النسب الشريف والمنصب الأصل يعني أن كرم الأصل لا ينفع مع لؤم النفس يشير إلى من ذكرهم من الادعياء يعني أنهم وإن صدقوا في نسبهم لم يكن لهم به فخر حتى يفعلوا ما فعل آباؤهم كما قال أبو يعقوب الخريمي، إذا أنت لم تحم القديم بحادث، من المجد لم ينفعك ما كان من قبل، وقال البحتري، ولست أعتد للفتى حسبا، حتى يرى في فعاله حسبه،

وما قربت أشباه قوم أباعد ... وما بعدت أشباه قوم أقارب

لم أجد في هذا البيت بيانا شافيا وتفسيرا مقنعا وكل تفسير لا يوافقه لفظ البيت لم يكن تفسيرا للبيت والذي يصح في تفسيره أنه يقول الأشباه من الأباعد لا يقرب بعضهم من بعض لأن الشبه لا يحصل القرب في النسب والاشباه من الأقارب

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/٩١

لا يبعد بعضهم من بعض لأن الشبه يؤكد قرب النسب هذا إذا جعل الأشباه الذين يشبه بعضهم بعضا كقوله الناس ما لم يروك أشباه فإن جعلنا الأشباه جمع الشبه من قولهم بينهما شبه فمعنى البيت لم يقرب شبه قوم أباعد أي لا يتقاربون في الشبه ولا يشبه بعضهم بعضا ولا يبعد شبه قوم أقارب أي أنهم إذا تقاربوا في النسب تقاربوا في الشبه.

إذا علوي لم يكن مثل طاهر ... فما هو إلا حجة للنواصب

يعني بالنواصب الخوارج الذين نصبوا العداوة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول إذا لم يكن العلوي تقيا ورعا مثل طاهر كان حجة لاعداء علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأنهم يستدلون بنقصه على نقص أبيه

يقولون تأثير الكواكب في الورى ... فما باله تأثيره في الكواكب." (١)

"فجاز له حتى على الشمس حكمه ... وبان له حتى على البدر ميسم

يقول فحكمة جائز حتى على الشمس وأما الميسم فقال ابن جنى هو الحسن قال والمعنى ظهر حسنه حتى على البدر أي أنه أحسن منه قال العروضي وإن جاز أخذ الميسم من الوسامة فأخذه من الوسم أولى لكون المعنى موافقا للمصراع الأول يقول كل شيء موسوم بأنه له وتحت قهره وأمره حتى البدر وأشار بالميسم على البدر إلى ما فيه من السواد الذي هو أثر المحو

كأن العدى في أرضهم خلفاؤه ... فإن شاء حازوها وإن شاء سلموا

يقول اعداؤه من الملوك كأنهم خلفاؤه حيثما كانوا من الأرض استخلفهم على حفظها فإن شاء تركهم عليها وإن شاء اجلاهم عنها فيخرجون ويسلمون أرضهم إليه.

ولا كتب إلا المشرفية عنده ... ولا رسل إلا الخميس العرمرم

يقول يرسل إلى أحد رسولا غير الجيش ولا كتاب له إلا السيف يعني لا يستدعي منهم حاجة بالرسول والكتاب إنما يبعث إليهم الجيش ليجلوهم عن أماكنهم.

ولم يخل من نصر له من له يد ... ولم يخل من شكر له من له فم

أي كل من له يد قام بنصره لأن نصره نصر دين الله ومن له فم نطق بشكره لعموم إحسانه.

ولم يخل من أسمائه عود منبر ... ولم يخل دينار ولم يخل درهم

يقول عمت مملكته الدنيا حتى خطب له على منابرها وضرب باسمه الدينار والدرهم.

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/١٦٧

ضروب وما بين الحسامين ضيق ... بصير وما بين الشجاعين مظلم

يضرب قرنه في الحرب مكافحة وقد دنا ما بينهما حتى ضاق مضرب سيفيهما ويبصر في غبار الحرب حين يظلم ما بين الشجاعين من الهواء والغبار.

تبارى نجوم القذف في كل ليلة ... نجوم له منهن ورد وأدهم

نجوم القذف هي التي يرمي بها الشياطين من قوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا يقول خيله تبارى تلك النجوم التي تنقض من الهواء في السرعة وجعل خيله نجوما لأنها تتلألأ في سواد الليل ببريق الحديد ولأنها تستغرق الأرض بسيرها استغراق الكواكب وهي تسير في الأرض كما تسير الكواكب في السماء.

يطأن من الأبطال من لا حملنه ... ومن قصد المران ما لا يقوم

القصد قطع الرماح إذا انكسرت الواحدة قصدة والمران جمع مارن وهو ما لان من الرماح يقول خيله تطأ القتلى من أبطال العدو الذين لم يحملنهم وما تكسر من قطع الرماح التي لا تقوم بعد تكسرها **والمعنى واللفظ** من قول الحصين بن الحمام المري، يطأن من القتلى ومن قصد القنا، خبارا فما يجرين إلا تجسما،

فهن مع السيدان في البر عسل ... وهن مع النينان في البحر عوم

السيدان جمع سيد وهو الذئب وهذا مما جاء على فعل وفعلان نحو قنو وقنوان وصنو وصنوان ورئد ورئدان والعسل جمع عاسل من عسلان الذيب يعني أن خيله عمت البر والبحر فهي تعدو مع الذئاب في البر وتعوم مع الحيتان في الماء.

وهن مع الغزلان في الواد كمن ... وهن مع العقبان في النيق حوم

يقول خيله تكمن في الأودية مع الغزلان يعني إذا كمنت للعدو أو هبطت في الأودية فكمنت فلم تظهر وتعلو الجبال والأماكن الصعبة مع العقبان في قلل الجبال والنيق أعلى موضع في الجبل والجمع انياق والمعنى أنها قطعت الأغوار والنجود والحوم جمع حائم من حومان الطير وهو دورانها.

إذا جلب الناس الوشيج فإنه ... بهن وفي لباتهن يحطم

الوشيج عروق القنا ثم صار اسما له والضمير في فإنه للوشيج يقول الوشيج المحمول المجلوب من منابته يكسر بخيله طاعنات وفي صدورهن مطعونات وعلى رواية من روى بكسر الطاء عاد الضمير من فإنه إلى سيف الدولة يقول أنه يكسر الرماح بخيله طاعنة وفي صدور خيل أعدائه مطعونة وتعود الكناية في لباتهن إلى خيل الأعداء وفيه بعد

بغرته في الحرب والسلم والحجى ... وبذل اللهى والحمد والمجد معلم." (١)

"يقول يفخر بك الدم الذي تسفكه ويحمدك القلب الذي تخوفه وذلك من شرف الأقدام كما قال آخر، فإن كنت مقتولا فكن أنت قاتلي، فبعض منايا القوم أكرم من بعض،

وكل يرى طرق الشجاعة والندى ... ولكن طبع النفس للنفس قائد

يقول كل أحد يرى طريق النجدة والجود لأنه لا خفاء بهما ولكن إنما يسلك طريقهما من قادته نفسه إليه والمعنى أنك مطبوع عليهما ونفسك تقودك إليهما.

نهبت من الأعمار ما لو حويته ... لهنئت الدنيا بأنك خالد

هذا من احسن ما مدح وهو مديح موجه ذو وجهين وذلك أنه مدحه في المصراع الأول بالشجاعة وكثرة قتل الأعداء فقال نهبت من أعمار الأعداء بقتلهم ما لو عشته لكانت الدنيا مهنأة ببقائك فيها خالدا وهذا هو الوجه الثاني من المدح أنه جعله جمالا للدنيا تهنأ الدنيا ببقائه فيها ولو قال ما لو عشته لبقيت خالدا لم يكن المدح موجها.

فأنت حسام الملك والله ضارب ... وأنت لواء الدين والله عاقد

أي أنت للملك بمنزلة الحسام ولكن الضارب بك هو الله وأنت للدين لواء عاقدك الله لا غير.

وأنت أبو الهيجا ابن حمدان يا ابنه ... تشابه مولود كريم ووالد

يقول يا ابن أبي الهيجاء أنت أبو الهيجاء بن حمدان يعني صحة شبهه بأبيه حتى كأنه هو وهو قوله فيما بعد تشابه مولود كريم ووالد.

وحمدان حمدون وحمدون حارث ... وحارث لقمان ولقمان راشد

يريد كل من أبائك يشبه أباه وترك صرف حمدون وحارث ضرورة وذلك غير جائر عند البصريين ويهزأ الصاحب من هذا البيت فقال لم نزل نستهجن جمعن الأسامي في الشعر كقول الشاعر، أن يقتلوك فقد ثللت عروشهم، بعتيبة بن الحارث بن شهاب، وقول دريد بن الصمة، قتلنا بعبد الله خير لداته، ذواب بن أسماء بن زيد بن قارب، واحتذى هذا الفاضل على طرقهم وقال وأنت ابو الهيجاء البيتان وهذا من الحكمة التي ذخرا ارسطاليس وافلاطون لهذا الخلف الصالح انتهى كلامه قال ابن فورجة أما سبك البيت فاحسن سبك يريد أنت تشبه أباك وأبو كان يشبه أباه وأبوه أباه إلى آخر الأباء فليت شعري ما الذي استقبحه فإن استقبح قوله وحمدان حمدون وحمدون حارث فليس في حمدان ما يستقبح من حيث اللفظ والمعنى

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/٢٢١

بل كيف يصنع والرجل اسمه هذا والذنب في ذلك للأباء لا للمتنبي وهذا على نحو ما قال أبو تمام، عبد المليك بن صالح بن علي بن قسيم النبي في حسنه، والبحتري حيث يقول، علي بن عسى إبن موسى بن طلحة بن سائب بن ملك حين ينطق، وأبو بكر بن دريد في قوله، فنعم فتى الجلى ومستنبط الندى، وملجأ محروب ومفزع لاهث، عياذ بن عمرو بن الجليس بن جائر، بن زيد بن منظور بن زيد بن وارث،

أولائك أنياب الخلافة كلها ... وسائر أملاك البلاد الزوائد
هؤلاء الذين ذكرتهم كانوا للخلافة بمنزلة الناب بهم تمتنع الخلافة امتناع السبع بنابه وسائر الملوك لا حاجة بالخلافة إليهم.

أبك يا شمس الزمان وبدره ... وإن لامني فيك السهى والفراقد
جعله فيما بين الملوك كالشمس والبدر وغيره من الملوك كالنجوم الخفية يقول أنا أميل إليك بهواى وإن لامني في ذلك من لا يبلغ منزلتك.

وذاك لأن الفضل عندك باهر ... وليس لأن العيش عندك بارد
يقول ذاك الحب لظهور فضلك على غيرك لا لطيب العيش عندك يعني أن العيش قد يطيب عند غيرك ولكن لا يظهر فضله ظهور فضلك فلا يستحق الحب.

فإن قليل الحب بالعقل صالح ... وأن كثير الحب بالجهل فاسد
وقال يعزى سيف الدولة بعبده يماك وقد توفى في شهر رمضان سنة أربعين وثلثمائة.

لا يحزن الله الأمير فإنني ... لآخذ من حالاته بنصيب
يقول لا أحزنه الله فإنه إذا حزن حزنت أدعى لنفسه مشاركة معه وغلط الصاحب في هذا البيت فظن أنه يقول لا يحزن الله الآمير بالرفع على الخبر فقال لا أدري لم لا يحزن الله الأمير إذا أخذ أبو الطيب بنصيب من القلق فليس الأمر على ما توهم والنون مكسورة وهو دعاء يقول لا أصابه الله بحزن فأني أحزن إذا حزن يعني أن حزنه حزني فلا أصيب بحزن لئلا أحزن وروى ابن جنى سآخذ.

ومن سر أهل الأرض ثم بكى أسى ... بكى بعيون سرها وقلوب." (١)
"بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمة المصنف

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/٢٣٤

الحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين

اللفظ والمعنى

اعلم أن الكلام هو الذي يعطي العلوم منازلها، ويبين مراتبها، ويكشف عن صورها، ويجني صنوف ثمرها، ويدل على سرائرها، ويبرز مكنون ضمائرها، وبه أبان الله تعالى الإنسان من سائر الحيوان، ونبه فيه على عظم الامتنان، فقال عز من قائل: " الرحمن علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان " " الرحمن١ – ٤ "، فلولاه لم تكن لتتعدى فوائد العلم عالمه، ولا صح من العاقل أن يفتق عن أزاهير العقل كمائمه، ولتعطلت قوى الخواطر والأفكار من معانيها، واستوت القضية في موجودها وفانيها، نعم، ولوقع الحي الحساس في مرتبة الجماد، ولكان الإدراك كالذي ينافيه من الأضداد، ولبقيت القلوب مقفلة تتصون على ودائعها، والمعاني مسجونة في مواضعها، ولصارت القرائح." (١)

"ويجوز أن يكون توهم الهاء في قوله) في نعمائه (عائدة إلى ما بات، ولو كانت عائدة إليه كان المعنى مأخوذا من قول أرسطاطاليس كما ذكر. وإنما الهاء عائدة إلى الممدوح، ومعنى البيت أن إنعامه فائض على كل أحد فاظلم الناس من يحسد من نال من خيره. إذ كان خيره مبذولا لكل أحد، فلم يبق للحسد وجه. وإنما هذا مثل قوله: كسائله من يسأل الغيث قطرة وخارج من مخرجه.

ودون الذي يبغون ما لو تخلصوا ... إلى الشيب منه عشت والطفل أشيب

قال ابن جني: أتى دون ما يريدون من السوء الموت، والذي لو تخلصوا منه إلى الشيب لشاب، ولكنهم لا يخلصون من الموت إلى الشيب بل يقتلهم قبل ذلك.

ويغنيك عما ينسب الناس أنه ... إليك تناهى المكرمات وتنسب

قال أبو علي: قوله عما ينسب الناس. يبعد قليلا هذا البيت عن الفهم، وهو مع ذلك ظاهر، يقول يغنيك عن النسب أن المكارم كلها تنسب إليك. وظاهره مأخوذة من قول ابن أبي طاهر:

خلائقه للمكرمات مناسب ... تناهى إليها كل مجد موثل

وللبيت باطن خبيث، وهو سخرية يردي أنه لا نسب لك لأنك عبد، ثم زاد دلالة على السخرية فيما يليه:

وأي قبيل يستحقك قدره ... معد بن عدنان فداك ويعرب

أفتراه أجل من النبي صلى الله عليه وسلم وهو من معد بن عدنان!.

ومن التي أولها:

لا يحزن الله الأمير فإنني ... لآخذ من حالاته بنصيب

قال الشيخ أبو العلاء: في هذا البيت خزم، ولم يخزم أبو الطيب إلا في موضعين أحدهما هذا والآخر: إن تك طيء كانت لئاما وقال أبو علي ابن فورجة: هذا البيت ظاهر اللفظ والمعنى، وإنما حملني على إيراده أني قرأت أوراقا قد وسمت بمساوئ

---

(١) أسرار البلاغة الجرجاني، عبد القاهر ص/٣

المتنبي. أنشأها الصاحب كافي الكفاءة أبو القاسم، قد ارتكب فيها شيئا من المزج عجيبا، ليس من طريقة العلم، ولا مما أفاد غير خيلاء الوزارة وبذخ الولاية. ولعمري لو لم يرو عنه هذا الكتاب لكان أجمل بمثله، إذ كان لم يتعد فيه التهزؤ الفارغ والكلام اللغو. حتى أنه ما يكاد ينتقص بيتا من الأبيات التي نقمها على أبي الطيب بما يفيد معرفة، مخطئا فيه أو مصيبا، إلا مواضع يسيرة كأنها عثار منه بالجد لا عمد، وهذه رسالة عملها في صباه والنزق حداه على إظهارها وما أجدر مريد الخير بكتمانها عليه، فمن الأبيات التي ردها عليه هذه الأبيات يقول: ولا ندري لم لا يحزن الله سيف الدولة إذا أخذ أبو الطيب بنصيب من القلق، أترى هذه التسلية أحسن عند أمته أم قول أوس:

أيتها النفس أجملي جزعا ... إن الذي تذرين قد وقعا

قد أخطأ في موضعين، أحدهما أنه ظن أنه يقول كلما أحزن سيف الدولة حزنت فقط، وظن أن يحزن الله لأنه إخبار ولو ظنه ذلك لما استفهم، فقال لم لا يحزن الله سيف الدولة إذا أخذ أبو الطيب بنصيب من القلق وهذا خطأ ويحزن جزم والنون ساكنة وحركت لالتقاء الساكنين، وهو دعاء كما تقول: لا يمت زيد، ولا تشلل يدك، فيقول لا أصابك الله بحزن فأني أحزن إذا حزنت، كأنه يقول لا أحزنني الله ولا نالني بحزن والغلط الثاني أنه قال: أترى هذه التسلية أحسن أم قول أوس؟ فأن هذا البيت ليس بتسلية وإنما هو دعاء للممدوح، وليحسب أنه على ما أظنه قائل هذا القول، فكيف يكون تسلية، إخباره أن الله لا يحزن سيف الدولة لأن المتنبي شريكه، فهذا ظاهر وترك الدلالة على هذه الزلة غير سائغ.

ولا فضل فيها للشجاعة والندى ... وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

قال ابن جني: يقول لو أمن الناس الموت لما كان للصابر والشجاع فضل، لأنه قد أيقن بالخلود ولا خوف عليه.." [1]

"قال ابن فورجة: وقد كثر كلام الناس في هذا البيت وادعي عليه قلب الكلام واحتجوا باحتجاجات، وزعموا أنه أراد كيف لا يموت من يعشق، وليس الأمر عندي على ما زعموا ولو قال ذلك أو أرده لكان معنى رذلا متداولا خلقا والذي أراده أبو الطيب معنى حسن صحيح **اللفظ والمعنى**، أحسن مما ذهبوا إليه، وإنما يقول عجبت كيف يكون الموت من غير هذا هو أعظم الأدواء، والخطب الذي هو أشد الخطوب لأنه لاستعظامه العشق يتعجب كيف يكون موت من غيره.

حرف الكاف

ومن التي أولها:

رب نجيع بسيف الدولة انسفكا ... ورب قافية غاظت به ملكا

قال الشيخ: لم يزاحف أبو الطيب زحافا تنكره الغزيرة إلا في هذا البيت، ولا ريب أنه قاله على البديهة، ولو أن لي حكما في البيت لجعلت أوله) كم من نجيع بسيف الدولة انسفكا (لأن) رب (تدل على القلة، وإنما يجب أن يصف كثرة سفكه دماء الأعداء، ويحسن ذلك أن رب جاءت في النصف الثاني وهي ضد) كم (.

ومن التي أولها: بكيت يا ربع حتى) كدت (أبكيكا قوله:

---

(١) تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي أبو مرشد المعري ص/١٤

ولو نقصت كما قد زدت من كرم ... على الورى لرأوني مثل قاليكا

قال الشيخ: وضع هذا البيت على أنه يحب الممدوح محبة مفرطة، كما أن كرمه مفرط، فلو نقص حبه إياه لزيادة في كرمه لرآه الناس مثل من يبغضه، وإن كانت محبته في غاية الزيادة.

ومن التي أولها:

لم تر من نادمت إلاكا ... لا لسوي ودك لي ذاكا

قال ابن جني: الوجه أن تكون) من (ههنا نكرة بمنزلة أحد أو رجل ويكون) نادمت (صفة لا صلة فكأنه قال لم تر إنسانا نادمته غيرك كما أنشد سيبويه.

يا رب من يبغض أذوادنا ... رحن على بغضائه واغتدين

وقوله) إلاكا (قبيح لا يجوز إلا في ضرورة الشعر، والوجه إلا إياكا؛ لأن) إلا (ليس لها قوة الفعل، ولا هي عاملة عمل كان ونحوها، وقد أنشدوا بيتا وصلت فيه إلا بالكاف وهو:

فما نبالي إذا ما كنت جارتنا ... ألا يجاورنا إلاك ديار

وهذا شاذ لا يقاس عليه، ومعنى البيت أنه يعتد عليه بمنادمته إياه، فيقول: لم تر أحدا نادمته سواك، وليس ذاك لسوى ودك لي ومحبتك إياي.

ومن التي أولها:

فدى لك من يقصر عن مداكا ... فلا ملك إذن إلا فداكا

قال ابن جني: أي لو أجبيت هذه الدعوة فداك جميع الملوك لأنهم كلهم يقصرون عن مداك.

وقال الشيخ: المراد أن الخلق كلهم فدى للممدوح لأنهم يقصرون عن مداه.

ولو قلنا فدى لك من يساوي ... دعونا بالبقاء لمن قلاكا

قال الشيخ: يقول لو قلنا فدى لك من يساويك لكان ذلك دعاء لأعدائك بطول البقاء إذ ليس لك مساو في الخلق.

قال ابن فورجة: هذا الكلام كأنه محمول على دليل الخطاب، وكأنه إذا قال فداك من يساويك فقد قال لا فداك من يساويك، وهذا مجازلا حقيقة وقد تناول هذا المعنى أبو إسحاق الصابي الكاتب، فوقع دون أبي الطيب فقال:

أيهذا الوزير لا زال يفديك ... من الناس كل من هو دونك

وإذا كان ذاك أوجب قولي ... أن يكونوا بأسرهم يفدونك

وبين الفقهاء في دليل الخطاب خلاف، فمنهم مثبت ناف، يعني أن من قلاك ناقص غنك، فإنما يقليك لنقصانه عنك، وهذا أيضا مجاز، فكان من الواجب أن يقول جميع الناس ناقصون بالقياس إليك ولكن لما كان من يقليه أيضا أحد الناقصين حسن أن يقول ذلك.

وآمنا فداءك كل نفس ... وإن كانت لمملكة ملاكا

قال ابن جني: ملاك الشيء قوامه، أي هذه النفوس وإن كانت قواما لمهالك فهي مع هذه مقصرة عن شأوك، فقد أمنت أن تفديك إن أجبيت هذه الدعوة.

وقال الشيخ: هذا البيت معطوف على ما قبله أي لو قلنا فدي لك من يساويك لآمنا كل نفس أن تفديك وإن كانت نفس ملك.

ومن يلغ التراب به كراه ... وقد بلغت به الحال السكاكا

قال الشيخ: السكاك الهواء بين السماء والأرض، يقول: لو قلنا فدي لك من يساوي لأمنت هذه الجماعة أن تفديك وفيهم من كأنه في كرى من غفلته، قد خفض ذلك منزلته، وإن كانت حالته قد رفعته في الهواء.." (١)

"قال الشيخ: التيار الموج، والمقربة الخيل التي جرت عادتها بأن تقرب عند البيوت، والرثم بياض جحفلة الفرس العليا، وإذا كان البياض في السفلى قيل فلاس المظ، وابتدأ الشاعر بصفة الخيل المعروفة، ولم يزل مستمرا على ذلك إلى قوله) دهم (ثم دل ذلك أنه يريد السفن يعني أنها مطلية بالقار وجعل فوارسها ركاب أبطنها، فدل ذلك على أنه يريد السن لا غير.

وقال ابن فورجة: أرسناس نهر عظيم يقول ظنوا أنهم إذا جاوزوه حال بينك وبينهم، وكيف بعصمهم وهو نفسه ليس يعصم منك، لأنك تقطعه وتركبه بالخيل والسفن وهي المقربة التي ذكرها، والرثم بياض في الشفة العليا من الدابة شبه الزبد على مقدمها بالرثم.

والأعوجية مل الطرق خلفهم ... والمشرفية ملء اليوم فوقهم

قال الشيخ: نصب) ملء الطرق (بإضمار فعل كأنه قال: والأعوجية تردى أو تركض في حال ملئها للطرق، والإضافة على نية الانفصال كأنه قال: ملأ للطرق أي مالئه، ونصب) ملء اليوم (على نحو من هذا النصب.

وقال ابن فورجة: لما كانت الخيل مما يبسط في الأرض، جعل الطرق منها ممتلئة، ولما كانت السيوف مما يعلو في الجو ويهبط عند الضرب، جعلها ملء النهار لأن النهار ما بين السماء والأرض.

ومن التي أولها:

أنا لائمي إن كنت وقت اللوائم ... علمت بما بي بين تلك المعالم

قال ابن جني: هذا كقولك أنا مثلك إن كان كذا وكذا، ونظيره قوله:

عيون رواحلي إن حرت عيني ... وكل بغام رزحة بغامي

أي أنا مثل الإبل إن حارت عيني، والمعالم جمع معلم، وهي الآثار والأمارات قال ذو الرمة:

أو دمنة هيجت شوقا معالمها ... كأنها بالهدملات الرواسيم

وقال الشيخ: في البيت معنى القسم، لأن الإنسان يقول: أنا كافر إن كان كذا وإثبات الألف في أنا عند بعض النحويين ضرورة، وعلى ذلك يحملون قول حميد بن بحدل الكلابي:

أنا زين العشيرة فاعرفوني ... حميد قد تذريت السناما

والمعنى على هذا القول: أنا لائمي إن كان كذا، لأن اللائم عنده قبيح الشيمة مذموم الأفعال، ولو حمل قوله) أنى (على أنه فعل ماض من أنى الشيء يأني إذا حان وبلغ ميقاته، من قوله الله تعالى:) ألم يأن للذين آمنوا (لكان ذلك وجها حسنا،

---

(١) تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي أبو مرشد المعري ص/٥٥

وسلم من إثبات الألف في غير موضع الإثبات، ويكون المعنى بلغ لائمي ما يريد إن كان ما ذكرت.

ديار اللواتي دارهن عزيزة ... بطول القنا يحفظن لا بالتمائم

قال أبو علي ابن فورجة: هذا البيت ظاهر **المعنى واللفظ**، وإنما أتيت بذكره لنكتة وهي أنني قرأت على أبي العلاء، فقلت له: أنشد بطول القنا، أو بطولي القنا على وزن كبرى وصغرى، فقال: ما رويت إلا بكسر للام، فقلت: التمائم في آخر البيت جمع وطول واحد، فهلا أنشد بطولى يراد بها طوال القنا، ليكون جمعا مع جمع، هذا أجود في صنعة الشعر. فقال: ما اخترت إلا مختارا غير أن الرواية ما ذكرت.

فمالي وللدنيا طلابي نجومها ... ومسعاي منها في شدوق الأراقم

قال الشيخ رحمه الله: طلابي مبتدأ، ونجومها خبره، والمعنى الذي أطلب نجومها فأقام المصدر مقام المفعول، فكأنه قال مطلوبي نجومها، ولو نصب نجومها لجاز، كما يقول: " ضربي فلانا " وهذا مثل قولهم: رأي عيني فلانا يفعل كذا، قال الراجز:

ورأي عيني الفتى أخاكا ... يعطي الجزيل فعليك ذاكا

يقول مالي وللدنيا أطلب فيها معالي الأمور، ومسعاي في شدوق الأراقم، أي في موضع الهلكة، التي لا تؤدي إلى فائدة.

وفارقت شر الأرض أهلا وتربة ... بها علوي جده غير هاشم

قال الشيخ: الأجود أن تكون الهاء في بها راجعة إلى تربة، وتكون الجملة في موضع نعت لها، وقوله) بها علوي (إقرار بالعلوية، ثم نفاه عن هاشم، أي أن هذا الممدوح ينسب إلى علي بدعواه، وليس هو من ولده واسم هاشم عمرو بن مناف.

كأنك ما جاودت من بان جوده ... عليك ولا قاتلت من لم تقاوم

قال ابن جني: يقال جاودني فجدته، أي كنت أجود منه، من الجود والجودة معا.." (١)

"وكتب المعتصم إلى ملك الروم جوابا عن كتاب تهدده فيه: الجواب ما ترى لا ما تسمع، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار، والسلام.

وأمر المأمون عمرو بن مسعدة أن يكتب كتاب عناية موجزة فكتب: كتابي كتاب واثق بمن كتب إليه، معتنى بمن كتب له، ولن يضيع بين الثقة والعناية موصله.

الإيجاز والإطناب «١» في محليهما

قيل لأبي عمرو بن العلاء: لم كانت العرب تطيل؟ قال: ليسمع منها. قيل: فلم توجز؟ قال: ليحفظ عنها. وقد قال الشاعر في هذا المعنى:

يرمون بالخطب الطوال وتارة ... وحي الملاحظ خيفة الرقباء

وقال ابن قدامة: البلاغة ثلاثة مذاهب: المساواة، وهي مطابقة **اللفظ والمعنى** لا زائدا ولا ناقصا. والإشارة وهي أن يكون اللفظ كاللمحة الدالة والتذييل وهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، ليظهر لمن لم يفهمه، ويتأكد عند من فهمه.

---

(١) تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي أبو مرشد المعري ص/٨٧

وقال شاعر:

يكفي قليل كلامه وكثيره ... ثبت إذا طال النضال مصيب

وأمر يحيى بن خالد كاتبين أن يكتبا في معنى، فأوجز أحدهما وأطال الآخر، فقال للموجز، لما نظر في كتابه: لم أجد موضع مزيد. وقال للمطيل: لم أجد موضع نقصان.

وقال جعفر بن يحيى: إذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار هذرا «٢» ، وإذا كان التطويل واجبا كان التقصير عجزا «٣» .

استقباح إعادة الحديث

قيل: الحديث الرجيع «٤» كالحدث والرجيع. وقيل: إذا أعيد الحديث ذهب ضوؤه ورونقه. قال ابن السماك لجارية له تصغي إلى كلامه: كيف تجدين كلامي؟ قالت: ما أحسنه إلا أنك تكثر ترداده قال إنما أردده ليفهمه من لم يفهمه قالت إلى أن يفهمه من لم يفهمه مله من قد فهمه. وقيل لرجل يعيد كلاما لغبي: قد ثقل كلامك على الذكي قبل حصوله في قلب الغبي.

ذم إطالة الحديث:

قيل: من أطال حديثه فقد عرض أصحابه للسآمة»

وطول الاستماع.." (١)

"[١٠١] ويقولون لمن يأتي الذنب متعمدا: قد اخطأ، فيحرفون اللفظ والمعنى لأنه لا يقال: اخطأ إلا لمن لم يتعمدالفعل أو لمن اجتهد، فلم يوافق الصواب، وإياه عنى صلى الله عليه وسلم بقوله: إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر وإنما أوجب له الأجر عن اجتهاده في إصابة الحق الذي هو نوع من أنواع العبادة، لا عن الخطأ الذي يكفي صاحبه أن يعذر فيه ويرفع مأثمه عنه، والفاعل من هذا النوع مخطيء، والاسم منه الخطأ، ومنه قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ﴾ ، أما المتعمد الشيء فيقال فيه: خطئ فهو خاطئ، والاسم منه الخطيئة، والمصدر الخطء بكسر الخاء وإسكان الطاء، كما قال تعالى: ﴿إن قتلهم كان خطأ كبيرا﴾ قال الإمام أبو محمد رحمه الله: ولي فيما انتظم هاتين اللفظتين واحتضن معنييهما المتنافيين:

(لا تخطون إلى خطء ولا خطأ ... من بعدما الشيب في فوديك قد وخطا)

(فأي عذر لمن شابت مفارقه ... إذا جرى في ميادين الهوى وخطا)

الخطيئة تقع على الصغيرة كما قال سبحانه إخبارا عن إبراهيم عليه وعلى نبينا وعلى سائر الأنبياء والمرسلين السلام: ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ ويقع على الكبيرة كما قال تعالى: ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ .

[١٠٢] يقولون لمن بدأ في إثارة شر أو فساد أمر: قد نشب فيه، ووجه الكلام أن." (٢)

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٨٢/١

(٢) درة الغواص في أوهام الخواص الحريري ص/١٣٤

"كتاب تقوم اللسان

باب الحرفين اللذين يتقاربان في **اللفظ والمعنى** ويلتبسان

فربما وضع الناس أحدهما موضع الآخر قال أبو محمد " وكبر الشيء معظمه " قال: وقال الله عز وجل " والذي تولى كبره منهم " وقال قيس بن الخطيم:

كأن لباتها تبددها ... هزلى جراد أجوافه جلف

تنام عن كبر شأنها فإذا ... قامت رويدا تكاد تنغرف

جمع اللبة بما حولها وشبه ما نظم في عقدها بالجراد لأنه يصاغ على صيغة الجراد وتنغرف وتنقصف بمعنى واحد يصف امرأة بالنعمة والرفاهية وقلة العمل وهذا يحسنها وينعم بدنها وقال تنام عن معظم شأنها لأنها كفية تخدم ورويدا معناه برفق ودعة وتنغرف أي تنقطع من نعمتها.

قال أبو محمد " والحرق النار نفسها يقال في حرق الله " قال رؤبة:

تكاد أيدين تهوى في الزهق ... شدا سريعا مثل أضرم الحرق

يصف الحمر تهوي أي تسقط هوة والزهق مجاوزة القدر في كل شيء يريد أنهن يمددن أيديهن فوق القدر يقال للفرس إذا جرى مع خيل فتقدمها وسبقها قد انزهق منها والشد العدو الشديد والأضرم الأشعال شبه عدوهن باشتعال النار.

قال أبو محمد " والعر قروح تخرج في مشافر الإبل وقوائمها قال النابغة ":

أتوعد عبدا لم يخنك أمانة ... وتترك عبدا ظالما وهو ضالع

وحملتني ذنب امرئ وتركته ... كذى العر يكوى غيره وهو راتع

يخاطب النعمان بن المنذر ويعتذر إليه مما وشت به بنو قريع وقوله أتوعد أي أتهدد وقوله وتترك عبدا ظالما أي ظالما ربه في خيانته وتركه لقضاء حقه والضالع الجائر ويروى طالع بالطاء أي معوج عن الحق أخذ من طلع البعير والعر قروح تخرج في مشافر الإبل وأعناقها مثل القوباء وكان أهل الجاهلية." (١)

"قد ذكرت (١) قبل أن الصفون مصدر صفن: إذا ثنى فى وقوفه إحدى قوائمه فوقف على سنبكها، وقد يكون الصفون أيضا فى غير (٢) هذا جمع صافن، قال عمرو بن كلثوم (٣):

تركنا الخيل عاكفة عليه ... مقلدة أعنتها صفونا

وكسير على هذا المعنى من الأوصاف المعدولة عن فاعل إلى فعيل للمبالغة، فكسير أبلغ فى الوصف من كاسر، كما أن رحيما وسميعا وقديرا أبلغ من سامع وراحم وقادر، لأن الموصوف بفعيل هو الذى يكثر منه ذلك الفعل، ومعنى كاسر: ثان، من قولك: ثنى يده: أى لواها، وثنى الفرس قائمته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثاني عطفه﴾ (٤) أى لاويا عنقه تكبرا، وانتصاب «كسيرا» على أنه خبر ما يزال.

---

(١) شرح أدب الكاتب ابن الجواليقي ص/١٩٤

وقوله: مما يقوم على الثلاث: ما مصدرية، فالمعنى: من قيامه، ومن متعلقة بالخبر المحذوف، فتحقيق **اللفظ والمعنى**: ألف القيام على ثلاث فما يزال كسيرا، أى ثانيا إحدى قوائمه، حتى كأنه مخلوق من القيام على الثلاث.

ومثله فى وصف/العين باسم الحدث قول الآخر (٥):

ألا أصبحت أسماء جاذمة الحبل ... وضنت علينا والضنين من البخل

كأنه قال: والضنين مخلوق من البخل، ومثله:

*وهن من الإخلاف قبلك والمطل (٦) ... *

---

(١) فى المجلس المذكور.

(٢) فى هـ: غيرها.

(٣) من معلقته. شرح القصائد السبع ص ٣٨٩، والمحتسب ٢/ ٨١، وتفسير القرطبى ١٥/ ١٩٣.

(٤) الآية التاسعة من سورة الحج.

(٥) هو البعيث المجاشعى. والبيت من قصيدة فى النقائض ص ١٣٥. وهو فى الخصائص ٢/ ٢٠٢، ٣/ ٣٥٩، والمحتسب ٢/ ٤٦، والمغنى ص ٣٤٤، وشرح أبياته ٥/ ٢٦٥، وشرح شواهده ص ٢٤٦، والخزانة ١٠/ ٢١٦، واللسان (جذم-ضنن).

(٦) للبعيث أيضا. وصدره: *فصدت فأعدانا بهجر صدودها* -." [1]

"وغير أبى على ومن اعتمد على قوله، رووا نصب (١) «الماء» ولم يرووا فيه الرفع، فلزموا ظاهر **اللفظ والمعنى**، فذهبوا إلى أن فاعل ارتوى مرتوى، وأبو طالب العبدى منهم، وذلك أنه ذكر لفظ أبى على فى تعريب البيت، ثم قال: وأنا مطالب بفاعل ارتوى، ثم مثل قوله: «ما ارتوى الماء مرتوى» بقوله: ما شرب الماء شارب، أى أبدا، فدل كلامه على أنه لم يعرف المعنى الذى ذهب إليه أبو على، من نصب مرتوى، على أنه خبر كان، أو رفعه على أنه خبر ليت.

والقول عندى فيه أن الالتزام (٢) بالظاهر على ما ذهب إليه العبدى أشبه بمذاهب العرب فيما يريدون به التأبيد، كقولهم: لا أفعل (٣) كذا ما طار طائر، ولا أكلمك ما سمر سامر، وقد مر بى كلام لأبى على، ذهب عنى مكانه، يتضمن تجويز رفع مرتوى بارتوى، وأنا منذ زمان أجيل فكرى وطرفى فى تعرف المكان الذى سنح لى فيه كلامه، فلا أقف عليه (٤).

و «عن» فيما ذهب إليه العبدى متعلقة بمعنى «كفافا» كأنه قال: فليتك كان خيرك وشرك كافا عنى ما ارتوى الماء مرتوى.

فأما نصب «الماء» فبتقدير حذف الجار، أى ما ارتوى من الماء، أو بالماء، وحذف الجار ثم إيصال الفعل إلى المجرور به مما كثر استعماله فى القرآن والشعر، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلا﴾ (٥) أراد: من قومه، ومثله

---

(١) وهو رأى أبى العلاء، أجراه على لسان الشاعر، وقد استنكر على أبى على الرفع. انظر رسالة الغفران ص ١٥٣.

---

(١) أمالي ابن الشجري ابن الشجري ١٠٧/١

(٢) فى هـ: «التلزم» وغيره مصحح طبعة الهند إلى «التزام». وما فى الأصل مثله فى الخزانة ١٠/ ٤٨٠.
(٣) ويقال: لا أفعل ذلك ما سمر ابنا سمير، وما سمر السمير، وهو الدهر. جمهرة الأمثال ٢/ ٢٨٢، والمستقصى ٢/ ٢٤٩.
(٤) ذكر فى المجلس السابع والثلاثين أن هذا الكلام مر به فى «التذكرة» لأبى على.
(٥) سورة الأعراف ١٥٥.." (١)

"على أن جعله جمع لهاة، على حد حصاة وحصى، وأضافه إلى «المنايا» ورفعه بإسناد «وجدت» إليه، فاستعار للمنايا لهوات، على معنى [أنها (١)] كشىء يبتلع الناس، والمراد أفواه المنايا، ولكنه استعمل اللهاة فى موضع الأفواه، لمجاورة اللهاة للفم، وهذا قول محتمل لو كان مرادا للشاعر، وهو لعمر الله يشبه طريقته فى الاستعارات، وإذا لم يكن مرادا له، حملت «لها» على ما تزيده العرب مبالغة فى التبيين، وإن كان الكلام مستغنيا عنه، كقولك: ما وجدت لى إليك طريقا، فقولك «لى» زيادة، ومثله قول محمد بن يزيد الأموى:

فلا قدرت عليك يد الليالى ... ولا وجدت إليك لها سبيلا

وقد جاء فى بيت للشماخ ما هو أنفر من هذا، وذلك قوله (٢):

وكنت إذا لاقيتها كان سرنا ... لنا بيننا مثل الشواء الملهوج (٣)

= بن رشدين: قلت للمتنبى عند قراءتى عليه: أضمرت قبل الذكر! قال: ليس كذلك، وليست المنايا فاعلة، وإنما هى فى موضع خفض». وقد أورد ابن القطاع هذا التأويل فى رسالته (شرح المشكل من شعر المتنبى) ص ٢٤١ من مجلة المورد العراقية-المجلد السادس-العدد الثالث-١٣٩٧ هـ-١٩٧٧ م-بتحقيق الدكتور محسن غياض. وجاء بهامش أصل الأمالى حاشية: «قال شيخنا ابن هشام: يظهر لى أن الحامل لهذا المقول على ذلك إنما هو إصلاح الإعراب، لا إصلاح المعنى، وذلك أنه لا يتعدى فعل المضمر المتصل إلى ضميره المتصل، لا يقال: أحسنت إلى، بل أحسنت إلى نفسى، كذلك لا يتعدى فعل الظاهر إلى ضميره المتصل، لا يقال: أحسن زيد إليه، بل أحسن إلى نفسه. وعلى هذه القاعدة الثانية انبنى (؟) أن قوله: «لها» ليس بجار ومجرور مضمر عائد على «المنايا» المتأخرة لفظا، المتقدمة (؟) ومن مجموع الحامل لهذا على ما ذكر الأمرين جميعهما [هكذا] أعنى إصلاح **المعنى واللفظ**. فإن قلت: ما ذكرته يرتفع بجعل «لها» صفة فى الأصل لسبلا، فلما تقدم عليه صار حالا. فهذا فى غاية البعد وضعف المعنى، فلا معرج عليه». انتهت الحاشية. وقد وجدت كلام ابن هشام فى المغنى ص ٢٤٥ هكذا: «الظاهر أن «لها» من قول المتنبى «لولا مفارقة الأحباب. . . . البيت» جار ومجرور متعلق بوجدت، لكن فيه تعدى فعل الظاهر إلى ضميره المتصل، كقولك: ضربه زيد، وذلك ممتنع، فينبغى أن يقدر صفة فى الأصل لسبلا، فلما قدم عليه صار حالا منه». ثم حكى ما قيل من أن «لها» جمع لهاة، بعبارات ابن الشجرى.
(١) ليس فى هـ.

---

(١) أمالي ابن الشجري ابن الشجري ٢٨٥/١

(٢) ديوانه ص ٧٦، وتخريجه فى ص ١٠٠.

(٣) روى: «كان سرنا وما بيننا»." [١]

"بإضمار «أن» ولا تظهر بعدها «أن» لأن التأويل: ما كان الله مضيعا إيمانكم، فلما كان معناه على التأويل، حمل لفظه على التأويل، من غير تصريح بإظهار «أن» يعنى (١) [أنه] لما حمل قوله: ﴿ليضيع﴾ فى المعنى، على مضيع، وبهذا الحمل يصح معنى الكلام، لزم «أن» /الإضمار، فلم يصرح بالمصدر، ليتفق **اللفظ والمعنى** على التأويل دون التصريح.

ومما أضمروه من عوامل الأفعال، وأجاز النحويون ذلك فى الشعر، لام الأمر، وأنشدوا:

محمد تفد نفسك كل نفس ... إذا ما خفت من شيء تبالا (٢)

قالوا: أراد: لتفد، فاضطره الوزن إلى حذف اللام، لأن تبقية الجزم يدل على أن ثم جازما، وقال بعضهم: هو خبر يراد به الدعاء، وأصله: تفدى نفسك كل نفس، كما قال (٣)

ويرحم الله عبدا قال آمينا

وكما جاء فى التنزيل: ﴿يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ (٤) فاحتاج إلى حذف الياء، وإن كان المراد به الخبر، كما حذفت (٥) فى التنزيل من ﴿نبغي﴾ فى

---

(١) ليس فى هـ.

(٢) نسب إلى ثلاثة من الشعراء: أبي طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم، والأعشى، وحسان رضى الله عنه، كما ذكر البغدادى فى الخزانة ٩/ ١٤، وليس فى ديوان واحد منهم، على ما ذكر شيخنا عبد السلام هارون، رحمه الله، فى حواشي الكتاب ٣/ ٨، والشاهد أثبته المستشرق رودلف جاير فى ديوان الأعشى (الصبح المنير) ص ٢٥٢، بيتا مفردا، فى زيادات ديوان الأعشى. وانظر تخريجه فى حواشى كتاب الشعر ص ٥٢.

(٣) تقدم فى المجلس الثالث والثلاثين.

(٤) سورة يوسف ٩٢.

(٥) فى هـ: كما حذفت من التنزيل من نبغى نحب قوله. . .." [٢]

"الرطب لا يتحول فيصير عنبا. وتقول: ما شأنك قائما، فما مبتدأ، وشأنك خبره، وقائما حال، العامل فيها معنى الكلام؛ لأن معنى ما شأنك؟ ما تلابس؟

فإن قلت: فهلا جعلت العامل فى الحال ما دل عليه الاستفهام (١) من معنى الفعل، فأجزت: هل زيد جالسا فى الدار؟. قيل: هذا لا يجوز؛ لأن هذه الحروف إنما جاءوا بها نائبة عن الأفعال، فلو أعملوها فى الأحوال كان إعمالها بمنزلة إظهار الفعل، وهم إنما جاءوا بها اختصارا، فأما ليت وكأن ولعل، فاستجازوا إعمالهن فى الأحوال؛ لأنهن أشبهن الأفعال من جهة

---

(١) أمالي ابن الشجري ابن الشجري ١/٣٥٣

(٢) أمالي ابن الشجري ابن الشجري ٢/١٥٠

اللفظ والمعنى، فقوين بهذه المشابهة، فمشابهتهن للفعل من جهة اللفظ بناؤهن على الفتح كبناء الأفعال الماضية عليه، وأن عدة حروفهن كعدة حروف الفعل/الماضى، ثلاثة فما زاد، ومشابهتهن من جهة المعنى أن ليت بمعنى أتمنى، ولعل بمعنى أترجى، وكأن بمعنى أشبه، ولا يجوز فى إن ولكن ما جاز فيهن؛ لأنهما لم يغيرا معنى الكلام، بل أكداه.

وقد أعملوا فى الحال كاف التشبيه، كما أعملوا فيها كأن، فقالوا: زيد كعمرو خاطبا، وبكر كبشر محاربا، وقوة هذا الحرف بأن له حظا فى الاسمية بإسنادهم الفعل إليه، وإدخالهم الجار عليه، فإسناد الفعل إليه فى قول الأعشى:

أتنتهون ولن ينهى ذوى شطط ... كالطعن يهلك فيه الزيت والفتل (٢)

وإدخال الجار عليه فى قول امرئ القيس:

---

(١) الاستفهام لا يعمل فى الحال. راجع المقتضب ٣/ ٢٧٣ وحواشيه.

(٢) فرغت منه فى المجلس السابع والستين.." [1]

"ولو قلت: حسن وجه، جاز على ضعف؛ لأنه قد علم أنك لا تعنى من الوجوه إلا وجه المذكور.

فحق «شباب» فى بيت المتنبي أن يكون معرفا باللام، عوضا من تعريف الإضافة إلى الضمير، من حيث كان مراده: شبابى، فدخول اللام هاهنا- لو استعمل-أقلق الوزن، إلا أنه كان يكمل **المعنى واللفظ**، على أن إسقاط اللام منه زحاف، وقد قيل: رب زحاف أطيب (١) فى الذوق من الأصل (٢).

قال أبو الفتح في تفسير البيت: يقول: شيبى هذا منى كن لى قديما، وإنما كنت أتمنى المشيب ليخفى شبابى (٣). والقرون: الذوائب، واحدها قرن.

...

---

(١) هكذا ضبطت الباء فى ط، د بالفتح، وهى الفتحة النائبة عن الكسرة، لأنه وصف لمجرور «رب». وهو أحد وجهين فى إعرابه. والوجه الثانى أنه مرفوع، خبر ابتداء محذوف، والتقدير: هو أطيب. والوجه الأول أقوى عندهم. راجع إعراب الحديث النبوى للعكبرى ص ٢٠٣، والمغنى ص ١٣٦، وفتح البارى ١٣/ ٢٣. وانظر الكلام على «رب» فى المجلس الثالث والسبعين.

(٢) الكافى للتبريزى ص ١٩.

(٣) الفتح الوهبى ص ٤٣، وانظر رد الأصفهانى عليه فى الواضح فى مشكلات شعر المتنبى ص ٣٥،٣٦.." [2]

"٢ - ذكر ابن الشجرى (١) فى إعراب قوله تعالى: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا﴾ قال: فأما قوله: ﴿ألا تشركوا به شيئا﴾ فيحتمل العامل فيه وجوها: أحدها فى قول بعض معربى القرآن أن يكون فى موضع

---

[1] أمالي ابن الشجري ابن الشجري ٣/٢٣

[2] أمالي ابن الشجري ابن الشجري ٣/١٩٩

نصب، بدلا من (ما)، والثانى: أجازه هذا المعرب، أن يكون فى موضع رفع، على تقدير مبتدأ محذوف، أى هو ألا تشركوا به شيئا، ولا يصح عندى هذان التقديران، إلا أن يحكم بزيادة (لا)، لأن الذى حرمه الله عليهم هو أن يشركوا به، فإن حكمت بأن (لا) للنفى، صار المحرم ترك الإشراك، فإذا قدرت بها الطرح، كما لحقت مزيدة فى نحو: ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾ و ﴿ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك﴾ استقام القولان.

ثم قال: ويحتمل عندى قوله: ﴿ألا تشركوا به﴾ وجهين آخرين: أحدهما:

أن تكون (أن) مفسرة بمعنى «أى» كالتى فى قوله تعالى: ﴿وانطلق الملأ منهم أن امشوا﴾ معناه: أى امشوا، وتكون (لا) نهيا، و «أن» المفسرة تؤدى معنى القول، فكأنه قيل: أقول: لا تشركوا به شيئا.

والوجه الثانى: أن تجعل (عليكم) منفصلة مما قبلها، فتكون إغراء، بمعنى الزموا، كأنه اجتزئ بقوله: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم﴾ ثم قيل على وجه الاستئناف: ﴿عليكم ألا تشركوا به شيئا﴾.

٣ – أعرب ابن الشجرى (٢) «ما» مصدرية، من قول الشاعر:

ألف الصفون فما يزال كأنه ... مما يقوم على الثلاث كسيرا

قال: «ما» مصدرية، فالمعنى: من قيامه، و «من» متعلقة بالخبر المحذوف، ثم قال: فتحقيق **اللفظ والمعنى**: ألف القيام على ثلاث فما يزال كسيرا، أى ثانيا إحدى قوائمه، حتى كأنه مخلوق من القيام على الثلاث.

---

(١) المجلس الثامن.

(٢) المجلس الحادى عشر.." (١)

"فلما أجن الشمس عني غؤورها ... نزلت إليه قائما بالحضيض

وأقول: إن اللام فيما ذكره أبو العلاء لا تخلو أن تكون لتعريف الجنس أو تكون عوضا من تعريف الإضافة إلى الضمير فكونها لتعريف الجنس في مثل قوله: وجه الجبان، وكونها عوضا من تعريف الإضافة في مثل قولك: حسن الوجه، الأصل: حسن وجهه فلما حذفت الهاء من وجهه عرفته باللام، ولو قلت: حسن وجه، جاز على ضعف لأنه قد علم أنك لا تعني من الوجوه إلا وجه المذكور، فحق شباب في بيت المتنبي أن يكون معرفا باللام عوضا من تعريف الإضافة إلى الضمير من حيث كان مراده، شبابي فدخول اللام ههنا لو استعمل أقلق الوزن إلا أنه كان يكمل **المعنى واللفظ** على أن إسقاط اللام منه زحاف، وقد قيل: رب زحاف أطيب في الذوق من الأصل.

قال أبو الفتح في تفسير البيت: يقول شيبي هذا منى كن لي قديما وإنما كنت أتمنى المشيب ليخفي شبابي. والقرون الذوائب واحدها قرن.." (٢)

---

(١) أمالي ابن الشجري ابن الشجري المقدمة/٧٣

(٢) ما لم ينشر من الأمالي الشجرية ابن الشجري ص/٨٠

"اختضب عمر بالحناء بحتا بسكون الحاء أي خالصا

(ب ح ث) قوله فبحث بعقبه أي حفر التراب واستخرجه

(ب ح ح) قوله وأخذته بحة بضم الباء كذا ضبطناه وهو عدم جهارة الصوت وحدته وهو البحح

(ب ح ر)
في حديث ابن أبي لقد اصطلح أهل هذه البحرة بفتح الباء وسكون الحاء ويقال البحيرة أيضا بفتح الباء وكسر الحاء ويقال البحيرة على التصغير يعني المدنية والبحرة الأرض والبلد قال لي ابن سراج ويقال أيضا البحيرة بفتح الباء وكسر الحاء والعرب تسمي القرى البحار وقد قيل أنه المراد بقوله تعالى) ظهر الفساد في البر والبحر

(أنها الأمصار وقيل هو على وجهه وفي الحديث الآخر اعمل من وراء هذه البحار أي البلاد وفي الحديث الآخر وكتب لهم ببحرهم أي ببلدهم وقال الحربي البحرة دون الوادي وأعظم من التلعة وقال الطبري كل قرية لها نهر جار أو ماء نافع فالعرب تسميها بحرا وقوله في الفرس إن وجدناه لبحر البحر الفرس الكثير العدو وقوله البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا تحلب سميت بحيرة لأنهم بحروا آذانها أي شقوها بنصفين وهي الناقة إذ أنتجت خمسة أبطن فكان آخرها ذكرا شقوا أذناها ولم يذبحوها ولم يركبها أحد ولم تطرد عن ماء ولا مرعى وقيل بل إذا ولدت خمسة أبطن فإن كان الخامس ذكرا أكله الرجال دون النساء وإن كانت أنثى بحروا أذناها ولم يشرب لبنها ولم تركب وإن كانت ميتة اشترك فيها الرجال والنساء وقيل كانت حراما على النساء فإذا ماتت حلت للنساء وقيل البحيرة بنت السائبة يشق أذنها وتترك مع أمها لا ينتفع بها.
فصل الاختلاف والوهم
في حديث موسى والخضر في تفسير سورة الكهف فاتخذ سبيله في البحر كذا لهم كما جاء في كتاب الله وعند الأصيلي في الحرب هكذا مهملا وهو تصحيف وفي باب خرص الثمر وكتب له ببحرهم كذا للكافة هنا كما جاء في غيره وحكي في كتاب عبدوس عن ابن السكن أن روايته بنجربنون وجيم وهو وهم
وفي باب فضل المنحة
في حديث محمد بن يوسف فاعمل من وراء البحار كذا لكافتهم وهو الصواب المعروف وقد ذكرناه وعند أبي الهيثم التجار بالتاء وهو وهم قبيح

(الباء مع الخاء)

(ب خ ب خ) قوله بخ بخ يقال بإسكان الخاء فيهما وبكسرها فيهما دون التنوين وبالكسر مع التنوين وبالتشديد أيضا والضم والتنوين قال الخطابي والاختيار إذا كررت تنوين الأولى وتسكين الثانية قال الخليل يقال ذلك للشيء إذا رضيته وقيل

لتعظيم الأمر فمن سكن شبهها بهل وبل ومن كسرها ونونها أجراها مجرى صه ومه وشبهها من الأصوات

(ب خ ت) قوله كأسنمة البخت هي إبل غلاظ ذات سنامين

(ب خ س) البخس النقصان.

فصل الاختلاف والوهم

في الزكاة ذكر الإبل العراب والبخت بسكون الخاء وضم الباء كذا عند أكثرهم في هذا الباب كله في الموطأ وعند ابن وضاح النجب بنون وجيم مضمومتين قال بعضهم والصواب هنا الأول بالخاء بعكس ما تقدم

وفي الهدى في قوله إحداهما نجيبة بالنون والجيم للجمهور ولابن وضاح بختية بالخاء بعد الياء مثل ما قالوا في الأول ورواية الكافة أشبه وأولى وإن كان ما قال ابن وضاح صحيحا في **المعنى واللفظ** والبخت بالباء والخاء قد فسرناه والنجب بالجيم والنون إبل السير والرحائل

(الباء مع الدال)

(ب د أ) قوله باب." (١)

"فيه خرب وأمر بالخرب فسويت ضبطناه بفتح الخاء وكسر الراء وبكسر الخاء وفتح الراء وكلاهما صحيح وتميم تقول خربة بكسر الخاء وقال أبو سليمان الخطابي لعل الصواب خرب بالضم جمع خربة وهي الخروق في الأرض إلا أنهم يقولونها في كل ثقبة مستديرة قال ولعلها جرف جمع جرفة وهي جمع جرف قال وأبين من ذلك أن ساعدته الرواية أن يكون حدبا جمع حدبة وهو ما ارتفع من الأرض لقوله فسويت وإنما يسوى المكان المحدوب

قال القاضي رحمه الله لا أدري ما قال وكما قطع النبي (صلى الله عليه وسلم) النخل الذي فيه كذلك سوى بقايا الخرب وهدم إطلال جدراتها كما فعل بالقبور والرواية صحيحة **اللفظ والمعنى** غنيه عن تكلف التغيير وذكر في بيع الثمار الخربز بكسر الخاء وسكون الراء وكسر الباء بواحدة بعدها وآخره زاي هو البطيخ الهندي المدور

(خ ر ت) وقوله هاديا خريتا بكسر الخاء وتشديد الراء بعدها ياء باثنتين تحتها وآخره تاء باثنتين فوقها فسره في الحديث الماهر بالهداية

(خ ر ج) وفي حديث خبيب فلما خرجوا وفي رواية الأصيلي أخرجوا به وهما لغتان صحيحتان خرج به وأخرج به وكذلك في الموطأ في حديث المسكينة فخرج بجنازتها ليلا كذا في أكثر الموطآت وكذا سمعناه من غير واحد في رواية يحيى بن يحيى

---

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار القاضي عياض ٧٩/١

وغيره من هذه الأصول وغيرها وكان عند القاضي أبي عبد الله ابن حمدين والفقيه أبي محمد بن عتاب فأخرج بجنازتها ويقال وجه هذا أيضا أن تكون الباء هنا مقحمة زائدة كما قيل في قوله تعالى) اقرأ باسم ربك

(ومثله في باب أذان المسافر ثم خرج بلال بالعنزة كذا للأصيلي والنسفي وعند الباقين أخرج وفي حديث ابن عباس شهدت الخروج مع النبي (صلى الله عليه وسلم) يعني البروز إلى العيد والروايات الأخر تبينه ويوم الخروج اسم من أسماء العيد وكذلك يوم الزينة ويوم الصف ويوم المشرق والخرج بالفتح وسكون الراء والخراج الغلة معلوم بالفتح ذكر وقد يقع على مال الفيء وقيل الخراج الاسم والخرج المصدر ويقع على الغلة أيضا وكل ما يخارج به ومنه الخراج بالضمان ويأكل من خراجه وقوله وبه خراج وهي القرحة تخرج في الجسد بضم الخاء وقوله أن يتخارج الشريكان وأهل الميراث فسره في حديث ابن عباس في البخاري بأن يأخذ أحدهما عينا والآخر دينا فإن توى لأحدهما لم يرجع على الآخر قال الداودي هذا إن كان الذي عليه الدين حاضرا مقرا كان بالتراضي وأما بالقرعة أو بمعيبه أو إنكاره فلا يجوز وقال أبو عبيد تخارج الشريكين وأهل الميراث إذا كان بينهم متاع فلا بأس أن يتبايعوه بينهم قبل قسمته وإن لم يعرف أحدهم نصيبه بعينه ويقبضه بخلاف الأجنبي وهذا معنى قول ابن عباس وفي شراء الأجنبي كذلك قبل قسمته وقبضه اختلاف بين أهل العلم

(خ ر د) قوله ومنهم المخردل أي المنقطع وقد تقدم الخلاف في روايته وتفسيره في حرف الجيم وقوله حبة خردل الخردل معلوم فإذا صنع بالزبيب فهو الصناب

(خ ر ر) وقوله ركب فرسا فخر عنه وخرت عنه وخرت ذنوبه وخرت مغشية وخر مستلقيا وخررت عنه وخر ساجدا وخر لفيه معناه كله سقط وأصله الصقوط من علو قال الله تعالى) فخر عليهم السقف من فوقهم

)

(خ ر ط) وقوله اخترط سيفي والسيف مخترط معناه سله

(خ ر م) وقوله لا أخرم عنها بفتح الهمزة يعني صلاة النبي (صلى الله عليه وسلم) أي لا أترك ذلك." (١)

"وهذه الرواية أشبه بالمعنى وأبين والرواية الأولى لها وجه ويريد بها بالحرب أيضا وأما رواية المروزي والفارسي فبعيدة غير مستقلة **اللفظ والمعنى**

وقوله قد كان من قبلكم يمشط بأمشاط الحديد وفي كتاب القابسي بمشاط ولا يعرف

في من نذر مشيا إلى بيت الله قوله فقولوا عليك مشى كذا وقع للقعنبي وعند يحي بن يحي ويحي بن بكير وغيرهما هدى

---

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار القاضي عياض ٢٣٢/١

وهو الصواب بدليل ما بعده من مخالفة علماء أهل المدينة لهم

الميم مع الهاء

(م هـ م هـ) قوله مه مه كلمة زجر مكررة وتقال مفردة قيل أصله ما هذا فاستخفت العرب طرح بعض الكلمتين وردوها واحدة ومثله به به بالباء أيضا وقال ابن السكيت هي لتعظيم الأمر بمعنى بخ بخ ويقال بسكون الهاء فيهما وتنوينه بالكسر فيهما وتنوين الأول وكسر الثاني دون تنوين كقوله مه أنكن صواحب يوسف زجروا سكات لهن وقوله فقالت الرحم مه هذا مقام العائذ بك قال بعضهم وظاهر الكلام مخاطبتها الله ولا يصح زجرها له

ويحمل على ردها لمن استعاذت منه وهو القاطع لا إلى المستعاذ به سبحانه وهو في الحقيقة ضرب مثل واستعارة إذ الرحم إنما هي معنى من المعاني وهو النسب والاتصال الذي بين ذوي الأرحام وإذا كان هذا لم يحتج إلى تأويل مه

وأما قوله في حديث ابن عمر فمه

ارابت إن عجز واستحمق فيحتمل ما تقدم أنها للزجر ثم استأنف الكلام ويحتمل أن تكون ما التي للاستفهام ثم وقف عليها بالهاء أي أي شي يكون حكمه إن عجز أو تحامق أي يلزمه الطلاق

وقوله في حديث موسى ثم مه فعلى الاستفهام أي ثم ما يكون

وفي حديث حنظلة نافق حنظلة قال مه أي ما تقول على الاستفهام ويحتمل الزجر عن قوله هذا

(م هـ ر) قوله الماهر بالقرآن أي الحادق وأصله من الحذق بالسباحة قوله ما هرها قال أمهرها نفسها أي جعل عتقها مهرها في النكاح لها والمهر الصداق يقال مهرت المرأة وأمهرتها أعطيتها صداقا وأنكر أبو حاتم أمهرت إلا في لغة ضعيفة وهذا الحديث يرد عليه وصححها أبو زيد وقال تميم تقول مهرت

(م هـ ل) قوله إنما هو للمهلة رويناه بضم الميم وكسرها وفتحها ورواية يحيى بالكسر وفي رواية ابن أبي صفرة عنه بالفتح قال الأصمعي المهلة بالفتح الصديد وحكى الخليل فيه الكسر وقال ابن هشام المهل بالضم صديد الجسد وكذا روى أبو عبيد هذا اللفظ إنما هو للمهل والتراب وفسره أبو عمرو وأبو عبيدة بالقيح والصديد وحكى عن الأصمعي المهلة في القيح قال وبعضهم يكسره وأنكر ابن الأنباري كسر ميم المهلة وقال أبو عمر الحافظ لا وجه لكسرة غير الصديد وقوله فانطلقوا على مهلتهم بفتح الميم والهاء أي على تؤدة وغير استعجاك لحفز العدول لهم وقيل على تقدمهم ورواه بعضهم بسكون الهاء وقوله مهلا أي رفقا وزعم بعضهم

إنه مه زيدت عليه لا

(م هـ ن) قوله ثوبي مهنته بفتح الميم وكسرها أي خدمته وتبذله وأصلها العمل باليد والمهنة بفتح الميم وكسرها الخدمة وأنكر شمر الفتح فيها والمهنة الصناع بأيديهم ومنه وكانوا مهنة أنفسهم أي لاخدم لهم ومنه قوله في الحديث الآخر في مهنة أهله

أي عمله وخدمتهم وما يصلحهم وكذلك قوله وأما المفطرون فبعثوا الركاب وامتهنوا وعالجوا أي خدموا

(م هـ ق) قوله ليس بالأبيض الأمهق ولا الأدم وهو الخالص البياض الذي لا تشوبه حمرة ولا صفرة ولا سمرة ولا إشراق قال الخليل الأمهق بياض في." (١)

"المضموم هو أول ارتفاعها والممدود حين حرها إلى قريب من نصف النهار وقيل المقصور حين تطلع الشمس والممدود إذا ارتفعت وقيل الضحو ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء إذا امتد النهار والضحاء بالمد والفتح الشمس وفي غزوة تبوك حتى يضحى النهار بفتح الياء والحاء وهي روايتنا عن ابن عتاب في الموطأ وبضم الياء وكسر الحاء لغيره وهذا هنا أولى والأول صحيح في **المعنى واللفظ** ضحى الشيء وضحى أصابه حر الشمس وضحى الشيء ظهر وبان وأضحى صار في ضحاء النهار وفعله فيه وقوله في ليلة قمراء اضحيان بكسر الهمزة وسكون الضاد وكسر الحاء معناه مضيئة كما قال قمراء أي ذات قمر وقيل هي التي لا يغيب فيها القمر ولا يستره غيم ويقال ضحيانة بالفتح وضحيانة بالكسر بمعناه واضحيانة قالوا ولم يأت في الصفات أفعلان إلا قوله أضحيان وقوله بضاحية ضاحية كل شيء جانبه الظاهر للشمس وقوله ونحن نتضحي مثل نتغدى وهو تفسيره كأنه من الأكل وقت الضحى والفعل كذلك فيه وقد جاء مفسرا في الحديث أي يتغدون وقوله في حديث البدن فأضحيت مثل قوله في الرواية الأخرى فأصبحت من وقت الضحى ووقت الصباح وذكر الأضحية مشددة الياء والضحايا والأضاحي والأضحات وكله صحيح فيها أربع لغات ضحية بفتح الضاد مشددة الياء غير مهموز وتجمع على ضحايا مثل هدية وهدايا واضحية بضم الهمزة وبكسرها والياء مشددة وتجمع أضاحي مشددة الياء أيضا ويقال أضحاة أيضا مثل أرطأة وتجمع أضحى منونا وأضاح مثل جوار.

فصل الاختلاف والوهم

قوله ما رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مستجمعا ضاحكا كذا الرواية والصواب ضحكا وفي باب الشمس والقمر ضحاها ضحوها كذا للأصيلي وفعيره ضوءها وهما صحيحان بمعنى

الضاد مع الخاء

(ض خ م) قوله إنك لضخم هو هنا عبارة عن الغباوة

الضاد مع الراء

(ض ر ب) قوله ضربها المخاض أي أصابها ونزل بها وقوله في موسى ضرب من الرجال بسكون الراء وهو ذو الجسم بين الجسمين لا بالناحل ولا بالمطهم وقال الخليل الضرب القليل اللحم ووقع عند الأصيلي بكسر الراء وسكونها معا ولا وجه للكسر وفي رواية أخرى مضطرب وهو الطويل غير الشديد وجاء في صفته في حديث ابن عمر في كتاب مسلم جسيم سبط ويحمل هذا على الطويلليوافق رواية مضطرب لا على كثرة اللحم وإنما جاء جسيم في صفة الدجال وقوله في المعتكف

---

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار القاضي عياض ٣٨٩/١

يضطرب بناء في المسجد أي يضربه ويقيمه فيه وأصله يضترب يفتعل وقوله كضرب المتقدم أي النوع والصنف والجنس وقوله جعل عليه ضريبة أي خرجا معلوما يؤديه ومنه وصف عنه من ضريبته قال صاحب العين الضريبة ما ضرب على العبد كل شهر ومنه ضرائب إلا ماء والمضاربة القراض والضرب في الأرض التجارة وطلب الحاجة فيها وقوله ضربت الملائكة بأجنحتها أي خفقت وانتفضت خشوعا لله تعالى كما جاء في الحديث أو فزعا وذعرا وقد يكون ضربت بأجنجتها أي كفت عن الطيران لاستماع الوحي وتعظيما لنزوله كما قيل في قوله أن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم على أحد التأويلات أي تكف عن الطيران قال الأزهري يقال ضربت عن الأمر وأضربت بمعنى وقوله اضطرب." (١)

"أي انقطع بعضها من بعض وبقيت بينهما فرجة

(ف رح) قوله أحب إلي من مفروح به أي مما يسر به المرء ولا يقال دون به ويقال من مفرح بضم الميم وكسر الراء من قولك أفرحني الشيء إذا سرني فهو مفرح وقوله فوثب إليه فرحا بفتح الراء عند ابن عيسى على المصدر وعند الجمهور بكسرها على الحال وهو أشهر في الرواية وهما صحيحان من جهة **المعنى واللفظ** وقوله لله أشد فرحا بتوبة عبده وأفرح بتوبة عبده في الرواية الأخرى معناه رضاه بذلك وإلا فالفرح الذي هو السرور وانبساط النفس لا يليق به لكن في طي ذلك الرضى عما يسر به المسرور فعبر عنه بالفرح مبالغة فيه

(ف رد) قوله سبق المفردون بفتح الفاء وكسر الراء كذا ضبطناه قال ابن الأعرابي يقال فرد الرجل مشدد الراء إذا تفقه واعتزل الناس وخلا بمراعاته الأمر والنهي قال ابن قتيبة هم الذين هلك لداتهم من الناس وبقواهم يذكرون الله وقال الأزهري هم المتخلون عن الناس بذكر الله وقيل المنفرد بذكر الله الذي لم يخلط به غيره وبعضها قريب من بعض راجعة إلى معنى الانعزال عن الناس لعبادة الله وقد جاء مفسرا في حديث قيل من المفردون فقال هم الذين اهتروا في ذكر الله يضع الذكر أثقالهم فيأتون خفافا وقيل اهتروا أصابهم خبال وقيل المفردون الموحدون الذين لا يرون إلا الله تعالى واعتقدوه واحدا فردا وأخلصوا له بكليتهم وهو من معنى ما قبله وقيل معناه مثل قولهم هرم فلان في طاعة الله أي لم يزل ملازما لها حتى هرم وقيل اهتروا واشتهروا وقيل أولعوا وقوله فرادى هو وفراد بمعنى جمع فرد وفرد وفريد وقوله حتى تنفرد سالفتي معناه اقتل أو أموت أي تبين عن جسدي بسيف أو تنقطع أوصاله في القبر والسالفة أعلى العنق وقيل حبله وقيل صفحته وقيل العرق الذي بين الكتد والعنق والأول أعرف وقيل حتى انفرد عن الناس بموتي في القبر والأول أولى وأشبه بذكر السالفة وقوله في الفردوس الأعلى قيل هو بالسريانية الكروم وقيل ربوة في الجنة هو أوسطها وأعلاها وأفضلها

(ف ر ط) قوله أنا فرطكم على الحوض وكان له فرطا واجعله لنا فرطا وتقدمين على فرط صدق والفرط بفتح الفاء والراء الذي يتقدم الواردة فيهيئ لهم ما يحتاجون إليه وهو في هذه الأحاديث المتقدم للثواب والشفاعة والجنة والنبي (صلى الله عليه وسلم) تقدم أمته ليشفع لهم وكذلك الولد لأبويه وللمؤمنين المصلين عليه أجرا لهم وثوابا يقال منه فرط مخففا وفارط والجمع

---

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار القاضي عياض ٢/٥٦

أفراط وقوله وتفارط الغزو وقيل معناه تأخر وقته وفات من أراده وهو من السبق أي سبق الغزاة فلم يلحقهم غيرهم وفرط في كذا والتفريط وغير مفرط كله من التقصير وترك الاهتبال به ويقال أفرطت الشيء نسيته وتركته وأفرط الإفراط أيضا هو التزيد في الشيء وإخراجه عن حده من قول أو فعل

(ف ر ك) قوله لا يفرك مؤمن مؤمنة بفتح الياء والراء وقد تضم الراء أصله في النساء يقال فركت المرأة زوجها تفركه بكسر الراء في الماضي وفتحها وضمها في المستقبل فركا وفركا وفروكا إذا أبغضته واستعماله في الرجال قليل وفي رواية العذرى لا يفرك مؤمن من مؤمنة ومن هنا زائدة وهما وأراها تكررت الميم والنون من مؤمن وقد حكى الفرك عاما في الرجال والنساء قال يعقوب الفرك البغض ومنه قولهم أنها حسناء فلا تفرك

(ف رص) قوله فرصة ممسكة بكسر الفاء هي القطعة من القطن أو الصوف وفرصت الشيء قطعته بالمفراص وهي حديدة يقطع بها ويكون معنى ممسكة أي." (١)

"الشاهد فيه

حذف علامة التأنيث مع التأخير ضرورة، كما حذفها مع التقديم، في المؤنث غير الحقيق، من قوله: "أبقلت"، لما كان الأرض في المعنى: المكان، فحمل على المعنى، فكأنه قال: ولا مكان أبقل إبقالها.

قال أبو علي: "حذف علامة التأنيث في التقديم، أحسن من حذفها مع التأخير، لأن الاسم إذا تقدم، فينبغي أن يكون العائد عليه من وفقه، في التذكير أو التأنيث، كما كان وفقه في التثنية والجمع، فكما أنه لو ثنى أو جمع الاسم مقدما، عاد الذكر على ذلك الحد، كذلك إذا ذكر أو أنث، وليس كذلك إذا تقدم الفعل، لأنه لم يسند إليه شيء، فقد أن يخالف لأنه يصلح أن يسند إلى أشياء كثيرة، فليس يلزم لذلك أن يكون وفقا لشيء.

ألا ترى أنهم قالوا: ما جاء إلا هند، فحملوا على المعنى، على أنه ما جاء أحد، وإن كان اللفظ غير ذلك، ولو قال: ما زيد إلا يجئني، لم يحتمل لتقدم زيد، أن يكون الفاعل ليجيء إلا واحدا في **اللفظ والمعنى**.

قال: فلهذا كان "ولا أرض أبقل إبقالها"، أقبح من قوله: أبقل الأرض، وقال غيره: إنما قبح ذلك، لاتصال الفاعل المضمر بفعله، وكونه كالجزء منه حتى لا يمكن الفصل بينهما، بما سد مسد علامة التأنيث.

وروى النحاس، عن أبي حاتم "أرض أبقلت أبقالها"، بتخفيف الهمزة،." (٢)

"وأما الثانية فقد جرت مجرى الأسماء، لدخول حرف الجر عليها، فحكمه حكم الأسماء، ولو سقطت "الكاف" الأولى لقال: "كما يؤثفين".

فكان يجب حينئذ، أن تكون"الكاف"، متعلقة بمحذوف صفة لمصدر مقدر محمول على معنى"الصاليات" لا على لفظها، لأن قوله "وصاليات" قد ناب مناب قوله: ومثفيات إثفاء مثل إثفائها حين نصبت للقدر، ولابد لك من هذا التقدير،

---

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار القاضي عياض ١٥١/٢

(٢) إيضاح شواهد الإيضاح أبو علي القيسي ٥٠٠/١

ليصح اللفظ والمعنى.

وأنشد أبو علي في الباب.

(٣٢٦)

فما أفجرت حتى أهب بسدفة ... علاجيم عين ابني صباح نثرها

هذا البيت لذي الرمة.

الشاهد فيه

قوله: "أفجرت"، والمعنى: صارت في وقت الفجر، أي: وافقت طلوع الفجر.

اللغة

أهب: أيقظ.

علاجيم: جمع علجوم، وهو ذكر الضفادع هنا. والعلجوم أيضا: ذكر البط.

والعلجوم: الظلمة المتراكمة. والعلجوم: الجمل الضخم.

وعين: يعني عين ماء.

وابنا صباح: رجلان من ضبة. وصباح: اسم رجل، وقيل: اسم امرأة. ومن جعله اسم امرأة لم يصرفه.." [١]

"وركب كأمثال الأسنة عرسوا ... على مثلها والليل تسطو غياهبه

لأمر عليهم أن تتم صدوره ... وليس عليهم أن تتم عواقبه

١١٩٤- وقال جحدر بن ربيعة العكلي: [من الطويل]

وركب تعادوا بالنعاس كأنما ... تساقوا عقارا خالطت كل مفصل

سريت بهم حتى مضى الليل كله ... ولاحت هوادي الصبح للمتأمل

وقالوا وقد مالت طلاهم من الكرى ... أنخ إنها نعمى علينا وأفضل

فطاوعتهم حتى أناخوا كلا ولا ... مهارى لهوا منها ولما تعقل

ومالوا على أعطافها وتوسدوا ... إلى الركب اليسرى سواعد أشمل

ولاثوا بأيديهم فضول أزمة ... تصور البرى أزرارها لم تحلل

غشاشا غرار العين ثم تنبهوا ... سراعا الى أكوار سدس وبزل

«١١٩٥» - وقال أبو النجم العجلي: [من الرجز]

---

(١) إيضاح شواهد الإيضاح أبو علي القيسي ٢/٨٨٥

وبلدة ما الإنس من أهالها ... ولا ضعيف القوم من رجالها

زوراء تبكي الجن من إمحالها ... قطعت بالعيس على كلالها

٣١- نعت البيان والمحاورة

«١١٩٦» - قال حسان بن ثابت: [من الطويل]

لساني وسيفي صارمان كلاهما ... ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودي

«١١٩٧» - وقال جرير فأخذ **اللفظ والمعنى**: [من الطويل]." [١]

"ويقول في مدح الملوك: [من الطويل]

ويقسم أمر الناس يوما وليلة ... وهم ساكتون والمنية تنطق

فأحسن وأبلغ ثم قصر وتأخر وأفحش فقال بعده: [من الطويل]

ويأمر لليحموم في كل ليلة ... بقت وتعليق فقد كاد يسنق

فانظر إلى هذا التباعد والفصال.

«١١٩٨» - ثم يقول في موضع الحكمة ومظنة تهذيب **اللفظ والمعنى**، فيأتي بما لا معنى فيه ولا لفظ له: [من المنسرح]

إن محلا وإن مرتحلا ... وإن للسفر ما مضى مهلا

قال نقاد الشعر: الشعر أربعة أضرب: ضرب حسن لفظه ومعناه، فإذا نثر لم يفقد حسنه، وذلك نحو: [من البسيط]

في كفه خيزران ريحه عبق ... من كف أروع في عرنينه شمم

يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم إلا حين يبتسم

وضرب حسن لفظه وخلا معناه نحو: [من الطويل]

ولما قضينا من منى كل حاجة ... ومسح بالأركان من هو ماسح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطي الأباطح

وضرب جاد معناه وقصر لفظه نحو: [من الطويل]

خطاطيف حجن في حبال متينة ... تمد بها أيد إليك نوازع

وضرب قصر معناه ولفظه نحو: [من المنسرح]." [٢]

"كذا، أو يأتي بالألف واللام فيخرج عن معنى التفضيل كقولهم الأقرب والأبعد.

«١٢٢٥» .- (٤) ومنه قوله: [من الطويل]

ألا إن أصناف السيوف كثيرة ... وأقطعها هنديها ويمانها

وإنما هو سيف يمان إذا خفف الياء، فأما نقله إلى ما يجري الاعراب عليه في حالة الرفع فما تكلمت به العرب.

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٩٨/٥

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢٨٤/٧

(٥) ومما أهمل قوافيه وأجرى منصوبه مجرى مرفوعه، ولم يرخص أحد في مثله، قوله: [من الطويل]

إذا سكر العسال من قطراتها ... سقيت حمياها أغر يماني

(٦) وقوله: [من الكامل]

كم من طويل العمر بعد وفاته ... بالذكر يصحب حاضرا أو بادي

على أن **المعنى واللفظ** لغيره وهو: [من الكامل]

كم من طويل العمر بعد مماته ... ويموت آخر وهو في الأحياء

وقول المتنبي:

ذكر الفتى عمره الثاني

والأصل قول الأول:

«إن الثناء هو الخلود»

(٧) ومما استعار فيه كلام المتقدمين ولم يراقب تصفح المتأملين قوله:." [1]

"قال «١»:

ليبك يزيد ضارع لخصومة ... وآخر ممن طوحته الطوائح

كأنه لما قال: (ليبك يزيد) قيل: من يبكيه؟ فقال: ضارع لخصومة؛

وفي الحديث «٢»: «كان علي يسبح في الركعتين الأخريين في الصلاة فيقول:

سبحان الله والحمد للاه ولا إله إلا الله والله أكبر»

قال أبو حنيفة: التسبيح جائز، والقراءة أفضل؛ وقال الشافعي: لا يجزئ التسبيح عن القراءة، والتسبيح للاه تعالى، ولا يجوز لغيره، لأنه أعلى منازل التنزيه والتعظيم الذي لا يستحقه إلا هو.

خ

[التسبيخ]: التخفيف، يقال: سبخ الله عنك الحمى: أي خففها،

وفي الحديث «٣» أن عائشة سمعها النبي عليه السلام تدعو على سارق سرق لها شيئا فقال صلى الله عليه وسلم: لا تسبخي عنه بدعائك عليه»

د

[التسبيد]: استئصال شعر الرأس.

ويقال: التسبيد: ترك التدهن والغسل،

---

(١) البيت مختلف في نسبته، فهو في الكتاب: (١/ ١٤٥) للحارث بن نهيك، وفي شرح شواهد الكتاب للبيد وهو في

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٠٥/٧

ديوانه: (٥٠) طبعة ليدن وفي باب ما ينسب إلى لبيد في ديوانه: (ط. دار صادر/ ٣) ونسب في شرح شواهد الكشاف: (٤/ ٣٦١) إلى ضرار بن نهشل في رثاء يزيد بن نهشل، وقال محققو أوضح المسالك: (١/ ٣٤٢) إن أكثر العلماء على أنه لنهشل بن حري. ورواية عجزه في هذه المراجع:

ومختبط مما تطيح الطوائح

(٢) انظر في هذا مفصلا عنه في مسند الإمام زيد: (٩١ - ٩٤) وفيه قول أبي حنيفة والأم للشافعي: (١/ ١٢٣ - ١٢٥).

(٣) هو بلفظه من حديث عطاء أخرجه أحمد في مسنده: (٦/ ٤٥، ١٣٦)؛ وورد في غريب الحديث لأبي عبيد: (١/ ٣٠) والفائق للزمخشري (ط. دار الفكر- بيروت ١٩٩٣): (٢. ١٤٥) والنهاية لابن الأثير: (٢/ ٣٣٢) وانظره **باللفظ والمعنى** في مقاييس ابن فارس: (٣/ ١٢٦) واللسان: (سبخ).." [(١)]

"راء مخفوضة أو مكسورة، فالمخفوضة كقوله: في النارار* «١» ودارار القرارار «٢» والمكسورة نحو: حضارار والوزن: اسما نجمين. ولم يميلوا مع الراء في الرفع والنصب. وقد أمالوا أشياء على غير قياس لم يستقص ذكرها، لأن الإمالة ليست بواجبة ولا عالية، وإنما الأصل في لغة العرب التفخيم، والإمالة طارئة، وقد اختلف القراء ففخم بعضهم وأمال بعضهم، ثم اختلف المميلون اختلافا متفاوتا. وقرأ كل منهم بلغته، والأولى القراءة بالأفصح وهو التفخيم الذي هو الأصل وإن كانت الإمالة جائزة، ولهذا اختار أبو عبيد وكثير من العلماء التفخيم. وقد قلت في ذلك على جهة الاختيار:

إن الإمالة لا تقرأ بها عوج ... باد وما في كتاب اللاه من عوج

النار في **اللفظ والمعنى** مخالفة ... للنير إلا لذي نعسان ذي هوج

يصيب حينا ويخطي في المقال كما ... يمشي على الحزن بعد السهل كل رجي

... التفعيل

ز

[التمييز]: ميز الشيء: إذا فرقه، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز الله الخبيث من الطيب «٣» وهو رأي أبي عبيد. وكذلك قوله: حتى يميز «٤».

والتمييز في العربية: تبيين الجنس.

والاسم المميز: منصوب، ولا يكون إلا نكرة يتم بها الكلام نحو تبيين ما بعد

---

(١) في عدة مواضع منها: الأعراف: ٧/ ٣٨ - التوبة: ٩/ ١٠٩ ...

(٢) غافر: ٤٠/ ٣٩.

---

(١) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم الحميري، نشوان ٥/٢٩٦٢

(٣) آل عمران: ٣/ ١٧٩.

(٤) آل عمران: ٣/ ١٧٩.." [(١)]

"وسوف يقوم؛ ومنها: تاء الضمير، وألفه وواوه؛ نحو: قمت، وقاما، وقاموا، ومنها تاء التأنيث الساكنة؛ نحو: قامت، وقعدت؛ ومنها أن الخفيفة المصدرية؛ نحو: أريد أن تفعل؛ ومنها إن الخفيفة الشرطية؛ نحو: إن تفعل أفعل؛ ومنها لم؛ نحو: لم يفعل، وما أشبه ذلك؛ ومنها التصرف؛ نحو: فعل يفعل وكل الأفعال تتصرف إلا ستة أفعال.

[الأفعال غير المتصرفة]

وهي: نعم، وبئس، وعسى، وليس، وفعل التعجب، وحبذا؛ وفيها كلها خلاف، ولها كلها أبواب نذكرها١ فيها إن شاء الله تعالى.

[سبب تسمية الحرف]

فإن قيل: لم سمي الحرف حرفا؟ قيل: لأن الحرف في اللغة هو الطرف؛ ومنه يقال: حرف الجبل؛ أي طرفه؛ فسمي حرفا؛ لأنه يأتي في طرف الكلام؛ فإن قيل: فما حده؟ قيل: ما جاء لمعنى في غيره، وقد حده النحويون -أيضا- بحدود كثيرة، لا يليق ذكرها بهذا المختصر؛ فإن قيل: فإلى كم ينقسم الحرف؟ قيل: إلى قسمين؛ معمل ومهمل.

[انقسام الحروف إلى معملة ومهملة]

فالمعمل: هو الحرف المختص؛ كحرف الجر، وحرف الجزم؛ والمهمل: غير المختص؛ كحرف الاستفهام، وحرف العطف.

[انقسام الحروف إلى ستة أقسام]

ثم الحروف المعملة، والمهملة كلها؛ تنقسم إلى ستة أقسام؛ فمنها: ما يغير **اللفظ والمعنى**؛ ومنها: ما يغير اللفظ دون المعنى؛ ومنها: ما يغير المعنى دون اللفظ؛ ومنها: ما يغير **اللفظ والمعنى**، ولا يغير الحكم؛ ومنها ما يغير الحكم، ولا يغير لا لفظا، ولا معنى؛ ومنها ما لا يغير لا لفظا، ولا معنى، ولا حكما.

فأما ما يغير **اللفظ والمعنى**؛ فنحو: "ليت" فتقول: ليت زيدا منطلق؛ فليت قد غيرت اللفظ، وغيرت المعنى، أما تغيير اللفظ؛ فلأنها نصبت الاسم، ورفعت الخبر، وأما تغيير المعنى؛ فلأنها أدخلت في الكلام معنى التمني. وأما

---

١ في "ط" نذكر ما فيها، والصواب ما أثبتناه من "س".." [(٢)]

"ما يغير اللفظ دون المعنى، فهو أن تقول: "إن زيدا قائم" فـ (إن) قد غيرت اللفظ؛ لأنها نصبت الاسم، ورفعت الخبر، ولم تغير المعنى؛ لأن معناها التأكيد والتحقيق؛ وتأكيد الشيء لا يغير معناه. وأما ما يغير المعنى دون اللفظ؛ فنحو: "هل زيد قائم"؟ فـ "هل" قد غيرت المعنى؛ لأنها نقلت الكلام من الخبر الذي يحتمل الصدق والكذب، إلى الاستخبار الذي لا يحتمل صدقا، ولا كذبا، ولم يغير اللفظ؛ لأن الاسم بعد دخولها مرفوع بالابتداء، كما كان يرتفع به قبل دخولها. وأما ما

---

(١) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم الحميري، نشوان ٩/٦٤٢٨

(٢) أسرار العربية أبو البركات الأنباري ص/٤٠

يغير **اللفظ والمعنى**، ولا يغير الحكم؛ فنحو ١: اللام في قولهم: "لا يدي لزيد" فاللام -ههنا- غيرت اللفظ؛ لجرها الاسم، وغيرت المعنى؛ لإدخال معنى الاختصاص، ولم تغير الحكم؛ لأن الحكم حذف النون للإضافة، وقد بقي الحذف بعد دخولها -كما كان قبل دخولها- فلم تغير الحكم، وأما ما يغير الحكم، ولا يغير (لا) ٢ لفظا، ولا معنى؛ فنحو اللام في قوله تعالى: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ ٣. فاللام -هنا- ما غيرت لا لفظا، ولا معنى، ولكن غيرت الحكم؛ لأنها علقت الفعل عن العمل؛ وأما ما لا يغير لا لفظا، ولا معنى، ولا حكما؛ فنحو "ما" في قوله تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ ٤. ف "ما" ههنا ما غيرت لا لفظا، ولا معنى، ولا حكما؛ لأن التقدير: فبرحمة من الله لنت لهم.

[اختلافهم في اسمية كيف]

فإن قيل: "كيف" اسم أو فعل أو حرف؟ قيل: اسم؛ والدليل على ذلك من وجهين؛ أحدهما: أنه قد جاء عن بعض العرب أنه قال: "على كيف تبيع الأحمرين"٥؟ ودخول حرف الجر إنما جاء شاذا؛ والوجه الصحيح هو الوجه

---

١ في "ط" نحو، والصواب ما ذكرنا من "س".

٢ سقطت من "س".

٣ س: ٦٣ "المنافقون: ١، مد".

موطن الشاهد: "لرسوله". وجه الاستشهاد: مجيء اللام في الآية الكريمة مغيرة للحكم، ولكنها لم تغير اللفظ، أو المعنى.

٤ س: ٣ "آل عمران، ن: ١٥٩، مد".

موطن الشاهد: "فبما" وجه الاستشهاد: مجيء ما زائدة، لم تغير شيئا يذكر كما جاء في المتن.

٥ موطن الشاهد: "على كيف" وجه الاستشهاد: مجيء كيف اسما؛ لدخول حرف الجر عليها؛ غير أن هذا دليل ضعيف؛ لأن دخول "على" على كيف شاذ، يحفظ، ولا يقاس عليه. والأحمران: اللحم والخمر.." (١)

"[علة وجوب تقديم منصوب الأحرف المشبهة على مرفوعها]

فإن قيل: فلم وجب تقديم المنصوب على المرفوع؟ قيل لوجهين:

أحدهما: أن هذه الحروف، تشبه الفعل لفظا ومعنى؛ فلو قدم المرفوع على المنصوب، لم يعلم هل هي حروف، أو أفعال؟ فإن قيل: الأفعال تتصرف، والحروف لا تتصرف، قيل: عدم التصرف، لا يدل على أنها حروف؛ لأنه قد يوجد أفعال لا تتصرف؛ وهي: نعم، وبئس، وعسى، وليس، وفعل التعجب، وحبذا، فلما كان ذلك يؤدي إلى الالتباس بالأفعال، وجب تقديم المنصوب على المرفوع رفعا لهذا الالتباس.

والوجه الثاني: أن هذه الحروف لما أشبهت الفعل الحقيقي لفظا ومعنى، حملت عليه في العمل، فكانت فرعا عليه في العمل، وتقديم١ المنصوب على المرفوع فرع؛ فألزموا الفرع الفرع، وتخرج على هذا "ما" فإنها ما أشبهت الفعل من جهة اللفظ، وإنما

---

(١) أسرار العربية أبو البركات الأنباري ص/٤١

أشبهته من جهة المعنى، ثم الفعل الذي أشبهته ليس فعلا حقيقيا وفي فعليته خلاف، بخلاف هذه الحروف، فإنها أشبهت الفعل الحقيقي من جهة **اللفظ والمعنى** من الخمسة الأوجه التي بيناها، فبان الفرق بينهما. وقد ذهب الكوفيون إلى أن "إن" وأخواتها /إنما/٢ تنصب الاسم، ولا ترفع الخبر وإنما الخبر يرتفع بما كان يرتفع به قبل دخولها؛ لأنها فرع على الفعل في العمل، فلا تعمل عمله؛ لأن الفرع -أبدا- أضعف من الأصل، فينبغي ألا تعمل في الخبر؛ وهذا ليس بصحيح؛ لأن كونه فرعا على الفعل في العمل، لا يوجب ألا يعمل عمله، فإن اسم الفاعل فرع على الفعل في العمل، ويعمل عمله، على أنا قد عملنا بمقتضى كونه فرعا، فإنا ألزمناه طريقة واحدة، وأوجبنا فيه تقديم المنصوب على المرفوع، ولم نجوز فيه الوجهين، كما جاز ذلك مع الفعل؛ لئلا٣ يجري مجرى الأصل، فلما أوجبنا فيه تقديم المنصوب على المرفوع، بان ضعف هذه الحروف (عن رتبة الفعل) ٤، وانحطاطها عن رتبة الفعل؛ فوقع الفرق بين الفرع والأصل؛ ثم لو كان الأمر كما زعموا، وأنه باق على رفعه؛ لكان الاسم المبتدأ أولى بذلك، فلما وجب نصب المبتدأ بها؛ وجب رفع

---

١ في "س" وتقدم.

٢ سقطت من "ط".

٣ في "س" لكيلا.

٤ سقطت من "س".." [1]

"باللفظ، وتارة بالتثنية اعتبارا بالمعنى؛ قال الله تعالى: ﴿كلتا الجنتين آتت أكلها﴾ ١ فرد /الضمير/٢ إلى اللفظ فأفرد، ثم قال الشاعر٣: [الطويل]

كلا أخوينا ذو رجال كأنهم ... أسود الشرى من كل أغلب ضيغم٤

وقال الآخر /وهو الفرزدق/٥: [البسيط]

كلاهما حين جد الجري بينهما ... قد أقلعا وكلا أنفيهما راب٦

فرد إلى **اللفظ والمعنى**؛ فقال: "أقلعا" اعتبارا بالمعنى، وقال: "راب" اعتبارا باللفظ، والذي يدل على أن الألف فيهما ليست للتثنية أنها لو كانت للتثنية؛ لانقلبت في النصب والجر إذا أضيفتا إلى المظهر؛ لأن الأصل هو المظهر؛ تقول: رأيت كلا الرجلين، ومررت بكلا الرجلين، ورأيت كلتا المرأتين /ومررت بكلتا المرأتين/٧ فلو كانت للتثنية؛ لوجب أن تنقلب مع المظهر، فلما لم تنقلب، دل على أنها الألف المقصورة، وليست للتثنية.

وذهب الكوفيون إلى أن الألف فيهما للتثنية، واستدلوا على ذلك بقول الشاعر٨: [الزجر]

في كلت رجليها سلامى واحدة ... كلتاهما مقرونة بزائده٩

---

١ س: ١٨ "الكهف، ن: ٣٣، مك".

---

(١) أسرار العربية أبو البركات الأنباري ص/١٢٣

٢ سقطت من "س".

٣ لم ينسب إلى قائل معين.

٤ المفردات الغريبة: الشرى: موضع تنسب إليه الأسود الشرسة. الضغم: العض الشديد؛ ومنه سمي الأسد ضيغما.

موطن الشاهد: "كلا أخوينا ذو".

وجه الاستشهاد: إفراد "ذو" في الإخبار عن "كلا" حملا على اللفظ، وهو الأفضل، والأرجح؛ ولو ثنى "ذو" حملا على المعنى لجاز.

٥ سقطت من "ط". والفرزدق: سبقت ترجمته.

٦ المفردات الغريبة: كلاهما: الضمير فيها عائد إلى فرسين تتاسابقان. أقلعا: توقفا. راب: منتفخ من الجري.

موطن الشاهد: "كلاهما ... أقلعا، كلا أنفيهما راب".

وجه الاستشهاد: تثنية الضمير العائد إلى "كلا" في الخبر "أقلعا" حملا على المعنى، وإفراده في "راب" حملا على اللفظ؛ وكلاهما صحيح، غير أن الحمل على اللفظ لغة القرآن؛ وهو الأرجح، كما أوضحنا.

٧ سقطت من "ط".

٨ لم ينسب إلى قائل معين.

٩ المفردات الغريبة: السلامى: عظام الأصابع؛ وهو اسم للواحد والجمع أيضا؛ وتجمع =." (١)

"والوجه الثالث: أنه جمع، ولا يمكن أن يكسر مرة ثانية، فأشبه الفعل؛ لأن الفعل لا يدخله التكسير١.

والوجه الرابع: أنه جمع لا نظير له في الأسماء العربية، فجرى مجرى الاسم الأعجمي؛ لأن الأعجمي يكون على غير وزن العربي؛ والوجهان الآخران يرجعان إلى الأولين. وأما ما كان معدولا عن العدد؛ نحو: "مثنى، وثلاث" فإنما منع الصرف في النكرة، وذلك للعدل، والوصف؛ وقيل: لأنه عدل عن **اللفظ والمعنى**؛ فأما عدله في اللفظ فظاهر، وأما عدله في المعنى؛ فلأن العدد يراد به قبل العدد الدلالة على قدر المعدود، ألا ترى أنك إذا قلت: "جاءني اثنان أو ثلاثة" أردت قدر ما جاءك، وإذا قلت: "جاءني مثنى وثلاث"، لم يجز حتى يتقدم قبله جمع لتدل٢ بذكر المعدود على الترتيب، فتقول: "جاءني القوم مثنى مثنى، وثلاث ثلاث"؛ أي: "اثنين اثنين، وثلاثة ثلاثة"، فدل على أنه معدول من جهة **اللفظ والمعنى**؛ فلذلك، لم ينصرف في النكرة.

[علة جر ما لا ينصرف في التعريف والإضافة]

فإن قيل: فلم دخل/ ... /٣ ما لا ينصرف الجر مع الألف واللام، أو الإضافة؟ قيل: لثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أنه٤ أمن فيه التنوين؛ لأن الألف واللام والإضافة لا تكون مع التنوين؛ فلما وجدت أمن فيه التنوين٥؛ فدخله الجر في موضع الجر.

والوجه الثاني: أن الألف واللام والإضافة قامت مقام التنوين، ولو كان التنوين فيه؛ لجاز فيه الجر، فكذلك /مع/٦ ما قام

---

(١) أسرار العربية أبو البركات الأنباري ص/٢١٠

مقامه.

والوجه الثالث: أنه بالألف واللام والإضافة بعد عن شبه الفعل، فلما بعد عن شبه الفعل، دخله الجر في موضع الجر؛ لأنه قد صار بمنزلة ما فيه علة واحدة؛ فلهذا المعنى، دخله الجر مع الألف واللام والإضافة؛ فاعرفه تصب، إن شاء الله تعالى.

---

١ في "ط" التنكير، والصواب ما أثبتناه من "س".

٢ في "س" ليدل.

٣ في "ط" زيادة جمع ولا مبرر لها، فلم نثبتها في المتن.

٤ في "س" لأنه.

٥ في "ط" فلما لا وجدت مع التنوين أمن فيه التنوين؛ والأفضل ما أثبتناه من "س".

٦ سقطت من "س".." (١)

"واد واحد؛ زادوا فيه الياء؛ لأنها١ أقرب إلى الألف من الواو. وإنما كانت ساكنة ثالثة؛ لأن ألف التكسير لا تكون إلا كذلك.

[علة حمل التصغير على التكسير]

فإن قيل: فلم حمل التصغير على التكسير، ومن أين زعمتم أنهما من واد واحد؟ قيل: إنما حمل التصغير على التكسير؛ لأنه يغير **اللفظ والمعنى**، كما أن التكسير يغير **اللفظ والمعنى**، ألا ترى أنك إذا قلت في تصغير "رجل: رجيل ... ٢ قد غيرت لفظه بضم أوله، وفتح ثانيه، وزيادة ياء ساكنة ثالثة، وغيرت معناه؛ لأنك نقلته من الكبر إلى الصغر، كما أنك إذا قلت في تكسيره: "رجال" غيرت لفظه بزيادة الألف، وفتح ما قبلها؛ وغيرت معناه؛ لأنك نقلته من الإفراد إلى الجمع؟ ولهذا٣ المعنى؛ قلنا: إنهما من واد واحد.

[علة إلزام التصغير طريقة واحدة]

فإن قيل: فلم ألزموا التصغير طريقة واحدة، ولم تختلف أبنيته كاختلاف أبنية التكسير؟ قيل: لأن التصغير أضعف من التكسير، ألا ترى أنك إذا قلت: "رجيل" فقد وصفته بالصغر٤، من غير أن تضم إليه غيره، وإذا قلت: "رجال" فقد ضممت إليه غيره، وصيرت الواحد جمعا؟ فلما كان التصغير أضعف من التكسير في التغير، (وكان المراد به معنى واحدا؛ ألزم طريقة واحدة، ولما كان التكسير أقوى من التصغير في التغيير) ٥ ويكون كثيرا وقليلا، وليس له نهاية ينتهي إليها؛ خص بأبنية تدل على القلة والكثرة؛ فلذلك٦ اختلفت٧ أبنيته.

[علة حذف آخر الاسم الخماسي في التصغير]

فإن قيل: فلم إذا كان الاسم خماسيا، يحذف آخر حروفه في التصغير؛ نحو: "سفرجل، وسفيرج"؟ قيل: إنما /وجب/٨ حذف آخر حروفه في التصغير؛ لطوله على ما بينا في /جمع/٩ التكسير؛ لأن التصغير يجري مجرى

---

(١) أسرار العربية أبو البركات الأنباري ص/٢٢٥

١ في "ط" لأنه.

٢ في "ط" زيادة "أنك" قبل قد، ولا ضرورة لها، فلم نثبتها.

٣ في "س" فلهذا.

٤ في "ط" بالصغير.

٥ سقطت من "س".

٦ في "ط" فكذلك.

٧ في "ط" اختلف، ولعله سهو من الناسخ أو الطابع.

٨ سقطت من "س".

٩ سقطت من "ط".." (١)

"وأنشد أبو دلامة لامرئ القيس:

بعزهم عززت، وإن يذلوا ... فذلهم أنالك ما أنالا

فقوله: أنالك ما أنالا إشارة إلى أشياء كثيرة.

ومنه للمسيب:

فلأشكرن غريب نعمته ... حتى أموت وفضله الفضل

أنت الشجاع إذا هم نزلوا ... عند المضيق، وفعلك الفعل

باب

التهجين

وهو أن يصحب **اللفظ والمعنى** لفظ آخر ومعنى آخر يزري به، ولا يقوم حسن أحدهما بقباحة الآخر، فيكون كمدح بعضهم لعبد الله البجلي، حيث قال:

يقال: عبد الله من بجيلة ... نعم الفتى، وبئست القبيلة

فقال عبد الله: ما مدح من هجي قومه.

ومن ذلك قول النابغة:

نظرت إليك بحاجة لم تقضها ... نظر العليل إلى وجوه العود

هجن البيت بذكر العلة.

---

(١) أسرار العربية أبو البركات الأنباري ص/٢٥٤

ومنه قول الآخر:

ما كان يعطي مثله من مثلها ... إلا كريم الخيم أو مجنون." (١)

"ومن قصيدة ابن خلصة:

والبيض تسقي ثراهم من دمائهم ... وبلا وتنشئ لمع البرق في القلل

يغرهم بك والآمال كاذبة ... ما جمعوا لك من خيل ومن خول

ومنها:

مكنت حزمك من حيزوم مكرهم ... وقد تصاد أسود الغيل بالغيل

لم تدر قبلك عين أنها بصرت ... بالبر والبحر والرئبال في رجل

ليث الضراب ولكن من ضرائبه ... دفع المخوف وأمن الخائف الوجل

أما قول مسلم فإنه في غاية الصنعة والإحكام والجودة والرفعة، فإنه طابق بين الخوف والأمن في **اللفظ والمعنى**، وقوله خوف المخيف في غاية الحسن. وأما ابن خلصة فقابل الدفع بالأمن وما بنيهما مقابلة، ودفع المخوف هو من الخائف.

ومن قصيدة ابن خلصة:

أيا حيا قبل الإمحال نائله ... ما لي أرى سبلا قد حاد عن سبلي

ومايقصر عن علمي ولا فهمي ... عن همتي فاختبر إن شئت أو فسل

خدمتكم ليكون الدهر من خدمي ... فما أحالته عن حالاته حيلي

إن لم تكن بك حالاتي مبدلة ... فما انتفاعي بعلم الحال والبدل

وقال يشير الى علمه بالنحو:

مليك إذا ألهى الملوك عن اللهى ... خمار وخمر فارق الدل والدنا

فلم تثنه الأوتار أوتار قينة ... إذا ما دعاه السيف لم يثنه المثنى

فلو جاد بالدنيا وعاد لضعفها ... لظن من استصغاره أنه ضنا

فلا عتب في إنعامه غير أنه ... إذا من لم يتبع مواهبه منا." (٢)

"له اليد البيضاء في استخراج جواهر الأفكار من بحار الخواطر، والقدم الراسخة في اختراع معان هي على فلك الفضل بمنزلة النجوم الزواهر. كلماته متوافقة **المعنى واللفظ**، مستوفية من الحسن أكمل الحظ.

بدر طالع من ديار بكر، وبحر طام على كل بحر. إن جال في مضمار القريض، وجرى في ميدانه الطويل العريض، أفحم أبا الطيب وأبا تمام، ورد عقودهم واهية النظام. ينسج على منوال أبي فراس، ويكنى بأبي فراس. قال في حقه بعض شعراء أصفهان من قطعة:

---

(١) البديع في نقد الشعر أسامة بن منقذ ص/١٥٦

(٢) خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء المغرب والأندلس جـ ٢ العماد الأصبهاني ص/٩٣

فأشعار الأمير أبي فراس ... كأشعار الأمير أبي فراس

هو في الطبع والمنشأ شامي، وفي النظم والنشيد تهامي، ومولده عراقي.

قدم في شهور سنة سبع وثلاثين وخمس مئة أصفهان، وكان مقيما بها الى سنة ثمان وأربعين، وانثالت التلامذة عليه، ومالت أعناق المستفيدين إليه، ومدح بقصائده الصدور، وشرح بفوائده الصدور. ضاع بها عرفه، ولكن ضاع فيها عرفه؛ فإنه غير مجدود بفضله، وكذا الزمان غدار بمثله، والحر فيه مضيع، والكريم مودع.

لقيته يوما بالجامع، في بعض المجامع، ضيق الصدر، متوزع الفكر، مطرقا رأسه، مصعدا أنفاسه. فسألته عن حاله، فأنشدني ما ذكر أنه من مقاله:

هجرت للعدم كل خدن ... وصرت للإنقباض خدنا

فلا أعزي ولا أعزى ... ولا أهني ولا أهنى

وكان أملى ديوان على الأخ الهمام، الأجل الإمام، فخر الدين نجيب الإسلام، محمد بن مسعود القسام، الذي هو باكورة العصر، في النظم والنثر. فكتبه، وجمعه، ورتبه. وقصائده التي أنشأها بالشام أجزل وأحسن مما أنشأه بالعراق. وقدما قيل: اللها تفتح اللها، والبقاع تغير الطباع.

وديوانه ضخم الحجم. لكني اخترت منه قصائد، وإن كان الكل فرائد.

ولما وصلت الى الشام، لقيته بالموصل، وقد غير زيه، وهو يلبس الأتراك، جليس الأملاك، قريبا من صاحبها بعيدا من مذهب النساك.

وآخر عهدي به سنة سبعين.

فمن شامياته: قال يمدح الأمير حسام الدين، تاج الدولة، قطب الملوك، أبا سعيد تمرتاش بن إيل غازي بن أرتق؛ ويذكر ظفره بالفرنج بعد عوده من الشام، وأنشدها إياه بماردين في شوال سنة أربع وثلاثين وخمس مئة:

أطاعك فيما ساء حاسدك الدهر ... ووالاك ما عادى معاديك العمر

ولا استعرت إلا بحملاتك الوغى ... ولا سار إلا تحت راياتك النصر

فأنت الذي أرضى عن الدهر قربه ... وجملت الأيام أيامه الغر

كرمت فمن كعب السماح وحاتم ... وصلت فمن زيد الفوارس أو عمرو

ملوك البرايا أنجم أنت شمسها ... إذا الشمس ذرت غابت الأنجم الزهر

هو من قول النابغة:

وإنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

حويت حسام الدين كل فضيلة ... سواك لها طي وأنت لها نشر

فما ينتهي إلا الى كفك الندى ... ولا يعزي إلا الى بيتك الفخر

سطا كلما تابعتها جزع الردى ... ونعمى متى فرقتها جمع الشكر

ونفس كأن من طبعها خلق السخا ... وبأس كأن من حره طبع الجمر

الأبيات الأربعة حقها أن تكتب بذوب التبر، على صفحة الدهر، وترقم بسويداء الفؤاد على سواد الحدق، وترتاح لها النفوس ارتياح الرياض للديمة الغدق.

مناقب لا الغوث الذي شمخت به ... على العرب طي يدعيها ولا النضر

أنالك ما أعيا سواك من العلى ... بهن الطعان الشزر والنائل الغمر

ومقربة شقر وماذية خضر ... وهندية حمر وخطية سمر

نصول إذا استمطرتها ذرت الطلا ... وخيل إذا استحضرتها أطلم الفجر

معودة ألا تجوس عمارة ... فترجل إلا وهي من سكنها قفر

هزمت بها جيش العدو مجاهدا ... فعز بك الإسلام وامتهن الكفر." (١)

"قلع الرواسي من عشيرته ... حرصا على التحويل والغرس

وفتى المعمر لا يجود لمن ... يرجو ندى كفيه بالفلس

يعني نقيب الطالبيين، والد النقيب الآن.

وله خوان، ما عليه من ال ... إدام غير الخل والدبس

والشنفقي، ثكلت طلعته، ... في غاية الإدبار والنحس

هو النقيب العمري ب سوراء.

فكأنه، في لبس ممطره ... والعمة الصفراء كالورس،

شيخ المثيبة في اليهود، وما ... بين النصارى موضع القس

وفتى معية لو بصرت به ... لوجدته ذئبا من الطلس

هو الشريف أبو منصور بن معية، وزير دبيس المزيدي.

هو في التذلل من سلول، وفي ال ... أطماع والغارات من عبس

متفنن في الخبث منه، فما ... كذب الذي سماه بالنمس

والأنكد المشؤوم طلعته ... أدهى من الضربان في الضرس

وأبو الحسين فكله ملق ... مبنى عقيدته بلا أس

هو جال الدين، بن عز الدين بن أبي نزار.

فكأنه دار مجصصة، ... بيضاء، خالية من الإنس

وأنشدني له في جارية، كانت تسكن في جوار الجامع، بديها:

نشدتك يا جارة الجامع ... أهل من قرى للفتى القانع؟

بعيشك لا تحرميه القرى، ... فما دون وصلك من مانع

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢٦/١

وعدت ثلاثا فأخلفتها، ... وحاشاك من موعد رابع

يجوز الخلاف لرب الخلاف، ... فما العذر للسامع الطائع؟

الشريف علم الدين بن الأقساسي من الكوفة.

أبو محمد، الحسن، بن علي، بن حمزة أبي الحسين، بن أبي يعلى محمد، بن أبي القاسم الحسن، بن كمال الشرف أبي الحسن محمد، بن الحسن بن محمد، بن علي، بن محمد، بن يحيى، بن الحسين، بن زيد، بن علي، بن الحسين، بن علي، بن أبي طالب – عليهم السلام.

استكتبت هذا النسب من أخيه الأكبر قطب الدين، أبي يعلى، محمد، بن الأقساسي. وكانا قد وصلا، في سنة ثمان وخمسين وخمس مئة، من الكوفة إلى ديوان الخلافة، يسألان إعادة الأملاك التي أخذت.

وسمعت ابن الأقساسي الأصغر، وهو كهل، ينشد الوزير عون الدين بن هبيرة، غير مرة، من قصائده التي نظم فيه.

وهو شاعر مجيد، حسن الأسلوب، متين النظم، سليم المغزى، قويم **اللفظ والمعنى**. ينطق شعره بحسبه، وشرف نسبه، وتعبر ألفاظه عن غزارة علمه وكمال أدبه.

وللشريف أبي محمد، بن الأقساسي، العلوي، الكوفي يرثي الإمام المستنجد بالله، ويهنيء الإمام المستضيء بالله بالخلافة:

رزء، تعاظم عن حد وعن أمد ... كادت تزول له الأفلاك من زؤد

عم الورى، فوهى حلم الحليم به، ... وظل مستضعفا عنه أخو الجلد

ومارت الأرض، إعظاما لموقعه، ... مورا غدا راجفا بالسهل والجلد

وأضحت الشمس منه وهي كاسفة ... كأنما طرفها مغض على رمد

بيوم أعظم خلق الله منزلة، ... وخير منفرد، بالعز متحد

من الرعان التي لولا شوامخها ... ما كان للأرض من صدف ولا وتد

القائمين بأمر الله، دأبهم ... حياطة الدين، كالحاني على الولد

الآخذين من الأيام ما احتكموا ... والنائلي أمدا يغنيك عن أمد

هم الأئمة، ما إن زال مدحهم ... دأبي، وحبهم ديني ومعتقدي

آها لداعي الردى، لو أم عقوته ... في جحفل حرج الأحشاء محتشد،

له وجيف على الثريا، يظللها ... بمثلها من صفيق النقع منعقد،

إذن للاقى طعانا دون بغيته ... مواشكا، وضرابا هاتك الزرد." (١)

"قلب وقلب في يد ... يك معذب ومنعم

ظمآن يطلب قطرة ... تشفي صداه ومفعم

هذان البيتان كنت استلمحتهما من بعض الكتب فاستملحتهما، فإنهما جمعا التجنيس والتطبيق والموازنة ولزوم ما لا يلزم

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ١١٢/١

واللطافة والرقة **والمعنى واللفظ** ولم أعرف قائلهما إلى أن طالعت المذيل فشعرت بالشاعر، وعرفت عرف عرفه العاطر، وسجلت له بخطر الفكر والخاطر.

ونسب أيضا إلى عبد الغالب هذين البيتين:

رأيت مرآتها تقابلها ... فقلت والقلب في تلهبه

كأنما الشمس عند مشرقها ... قابلها البدر عند مغربه

لقد أبدع في تشبيه المرأة والمرآة المتقابلين بالقمرين إذا تقابلا في المطلع والمغيب، محاكميين للمحب والحبيب.

وله:

جس الطبيب يدي وقال بنبضه ... معنى يدل على دم فليفصد

فأجبته يكفيك ما أبصرته ... متحدرا من دمعي المتورد

فأشار بالعناب فاهتاج الهوى ... إذ كان من شكواي عناب اليد

وأتى بورد في الصفات فزادني ... قلقا على قلقي وبان تجلدي

وأمر ما قاسيته ولقيته ... حجج ألفقها، حياء العود

وأنشدني أبو اليسر الكاتب له يرثي بعض بني سليمان:

لم يكف قلبي ما به من وجده ... وخروجه بعذابه عن حده

ومنها:

يا والد المدفون بين ضلوعنا ... فوض إلى معطيكه في فقده

أخوه القاضي أبو غانم

عبد الرزاق بن أبي حصين

أنشدني ابن أبي البيان ابنه، القاضي أبو غانم بالشام سنة سبعين وخمسمائة، قال أنشدني جدي أبو غانم بالشام لنفسه يصف الفقاع:

ومحبوس بلا جرم جناه ... له حبس بباب من رصاص

يضيق بابه خوفا عليه ... ويوثق بعد ذلك بالعفاص

إذا أطلقته خرج ارتقاصا ... وقبل فاك من فرح الخلاص

هذه الأبيات الحسنة، صقلتها الألسنة، وهي عروس في كنها، خندريس في دنها، مطبوعة في فنها، يعد هذا الأسلوب من النظم معمى، ويدل على أن لقائله فضلا جما.

وأنشدني القاضي أبو غانم قال أنشدني جدي أبو غانم لنفسه في حجر الرجل معمى:

وعجيبة أبصرتها فخبأتها ... لغزا لكل مساجل ومناضل

ما يستقر بكف ألكن ناقص ... حتى يجر برجل أروع فاضل

وقد أوردهما السمعاني في تاريخه منسوبين إلى أبي حصين والد أبي غانم.

أبو حصين عبد الله

له شعر، ونسب إليه السمعاني البيتين في حجر الرجل. وأنشدني له القاضي أبو اليسر وذكر أنه يرثي والده وقد مات في الحج:

دم فوق صدري وكف ... من الجفن لما ذرف

ومنها:

لفقدان من لا أرى ... يد الدهر منه خلف

ومنها:

لميت غدا ثاويا ... بطيبة بين السلف

أبو القاسم المحسن والد أبي حصين

ذكره السمعاني في تاريخه، المؤلف بين مشتريه ومريخه؛ وكتابه، الدال على وفور آدابه، فذكر أنه أنشده أبو البيان محمد بن أبي غانم عبد الرزاق، قال أنشدني أبي لجده:

وكل أداويه على حسب دائه ... سوى حاسدي فهي التي لا أنالها

وكيف يداوي المرء حاسد نعمة ... إذا كان لا يرضيه إلا زوالها

قال وأنشدنا أبو البيان قال أنشدني أبي لجده وذكر أنه أنشده لنفسه:

إذا ما رأيت امرأ كاسبا ... يخاف العواقب في كسبه

يريد الغنى ويخاف الردى ... فذره ولا تك من حزبه

فما يدرك المرء أمنية ... وخوف المنية في قلبه

أبو البيان محمد بن أبي غانم بن أبي حصين

كان قاضي حمص، وذكر لي القاضي أبو اليسر أن له ديوانا وشعرا حسنا، وقد ذكره السمعاني في تاريخه ولقيه وروى عنه.

أبو الرضا عبد الواحد بن الفرج بن النوت

المعري." (١)

"الملقب بشمس الدين، من المعاصرين، يعرف في الشام بابن المنجم، وتوفي بدمشق بعد العود إليها سنة ستين وخمسمائة، ذو البديهة المستجيبة، والقريحة العجيبة، والمنطق واللسن، والكلام الحسن، والقالة والحالة، والتحقيق والتدقيق،

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٣٧٧/٢

والمنظر الصبيح، والمقول الفصيح، اجتمعت له الصباحة والفصاحة، والبهجة واللهجة، مواعظه مبكية مضحكة، وكلماته بالوعيد منجية مهلكة، إذا وعظ كانت عباراته أرق من عبرات الباكين، وإذا انشد كانت غرره آنق من درر الناظمين، وثغور الضاحكين. حضرت ببغداد مجالسه وشهدت محاسنه فألفيته جوهري الوقت، جهوري الصوت، وهو كما قال الحريري: بزواجر وعظه يقرع الأسماع، وبجواهر لفظه يطبع الأسجاع، وبكلامه يأسو الكلوم، ويجلو الهموم، وبنكته ينكت العقول ويبهت الحلوم، فما رأيت في مجلسه إلا قلوبا ترق، ودموعا تترقرق، وجيوبا تشقق، ونفوسا تكاد من وجدها تزهق، وأنفاسا تتصاعد، وحرقا تتزايد، وأيديا إلى قابل التوب ترفع، وشعورا لقطع الحوب تقطع. قال يوما وقد قص شعر شاب، من التواب. شاب جفا، قص شعره بمقص الوفا، وألبسه قميصا كان عليه وقال: من وافق وفق، فقص بقصصه وأشعاره شعورا، فكأنه بنغماته داود يتلو زبورا، وخرج أعيان أهل من ثيابهم إليه، وخلعوها عليه، فقلت يجب أن نسميه المعري المعري، وأنا في حدود خمس عشرة سنة، وكان ذلك يوم عاشوراء بالمدرسة النظامية سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، ولم أزل إلى آخر سنة إحدى وخمسين ألقاه في محافل الأماثل، ومجالس الأفاضل، ولم يزل شحاذا أخاذا، فصالا قوالا، نتاشا حواشا، فاتقا راتقا، ماهرا حاذقا، لا يخلو يوما شركه من صيد، لو رآه الحريري لم يذكر أبا زيد، له في كل حادث حديث، وفي كل خطب خطبة، وفي كل نائب نوبة، وفي كل ملم إلمام، وفي كل جمعة جمع، وفي كل سبت وقت، وفي كل ناد نداء، وفي كل ناشئ إنشاء، وفي كل فصل فصل، وفي كل سهم نصل، وفي كل مدخل دخول، وإلى كل محفل وصول، وإلى كل مورد ورود، وفي كل مشهد شهود، وفي كل مأتم نياحة، وفي كل يم سباحة.

حضرت عند شيخ الشيوخ إسماعيل الصوفي ببغداد وهو قائم يورد فصلا، ويملأ الجمع فضلا، ومما أنشأه على البديهة وأنشده فيه بيتين علقا بالحفظ، لرقة **المعنى واللفظ**، وهما:

يا أخلائي وحقكم ... ما بقي من بعدكم فرح

أي صدر في الزمان لنا ... بعد صدر الدين ينشرح

وسمعته ينشد في سيدنا وأستاذنا شرف الدين يوسف الدمشقي المفتي ببغداذ:

من ذا يباهي أو يضا ... هي في الخليفة أو يلاسن

لفقيهها الشرف الذي ... جمع المكارم والمحاسن

وكان له على الواعظ علي الغزنوي، الملقب ببرهان الدين، رسم تعهد، فسمعته ينشده يوما:

يا من يطوف بكعبة ال ... إحسان منه المستميح

إن طاف طوفان بنا ... من عسرة فنداك نوح

أو ظل عازر قصدنا ... ميتا فجدواك المسيح

وأثرت ببغداد حاله، ونمى ماله، وحلت عيشته، وحليت معيشته، وكان مولعا بالاستكثار، من نكاح البكار، وهو ذو حظ من النسوان، وقبول عند الحسان، أنشدني له في بعضهن:

جارة قد أجارها ال ... حسن من كل جانب

فهي بين النساء كال ... بدر بين الكواكب

وأقام ببغداد حتى تبغدذ، وتمتع فيها وتلذذ، وكان نظيفا عفيفا، نظيفا ظريفا، غلب على نظمه الإكثار، واستوى في نظمه الصفر والنضار، قوة إيراده وحسن إنشاده يطرقان بين يدي الضعيف من شعره، وينفقان الزيف من نظمه ونثره، وربما سمحت بديهته بما تضن به روية الفضلاء، من نوادر تبهر خواطر الشعراء، وتفحم شقاشق البلغاء. ومما أنشدنيه لنفسه ببغداذ سنة خمسين وخمسمائة بيتين في الطبقة العليا، في ذم الدنيا وهما:

أف للدنيا وأف ... كل من فيها يلف

مثل خياط حريص ... كلما شل يكف

وآخران في وصف فرس أدهم:

وأدهم يستعير الليل منه ... وتطلع بين عينيه الثريا." (١)

"ثم طالعت مجموع عمارة الشاعر اليمني في ذكر شعراء اليمن فوجدته قد أثنى على أبي بكر العيدي من عدن وقال: ومنهم من جعلت ذكره فارس الأعقاب، وجمال ما مضى وما يأتي من الأحقاب، وزير الدولة الزريعية وصاحب ديوان الإنشاء بها ووصفه بصدق اللهجة، وحسن البهجة، والدين الحصين، والعقل الرصين، والؤدد العريض، والكرم المستفيض، والتواضع الذي لا يضع من رتبته العالية، ولا يرخص من قيمته الغالية، وأما البلاغة فهو إمامها، وبيده زمامها، ولخاطره هداية النجم الساري، وسلاسة العذب الجاري، وأما عبارته فلا يشوبها لبس، ولا يعوقها حبس، فسيح في الإطالة مجاله، موف علي الروية ارتجاله، يكاد نظمه أن يبتسم ثغره، ونثره أن ينتظم دره. وقال إن له بلاغة تشهد عذوبة مطبوعها، بكرم ينبوعها، وألفاظا تدل معانيها، على فضل معانيها.

وأما مولده فمن أهل أبين وهو أبين عدن، قال ولما ترعرع عني بنفسه، وكان ينزل إلى عدن وهي من وطنه على ليلة فيجتمع بالعلماء الواصلين من الآفاق إلى موسم عدنن ولازم الطلب، حتى تفقه وتأدب، ونظم ونثر، وكتب وحسب، ولم يزل في عدن وجمر فضله مستور بالرماد، وغمر معينه مغمور بالثماد، إلى أن مات محمد بن غزي كاتب الشيخ بلال بن جرير صاحب عدن، فتنبه بلال عليه، وأرشده رائد السعادة إليه، فجعله كاتبه، بل صاحبه.

وذكر أنه حكي له أنه كان محمد بن غزى إذا أراد أن يكتب عن بلال كتابا أو يرد جوابا لم يستقل بنفسه دون الحضور بين يديه حتى يملي عليه مقاصد الكتاب ثم لا يختمه حتى يلحق بلال بين سطوره بخطه ما وقع الإخلال به في **اللفظ والمعنى**، فلما كتب له الشيخ الأديب اعتقد بلال أن الأديب مثل ابن غزى في جمود طبعه، وخور نبعه، وثمد معينه، وعدم معينه ونبوة كلامه، وكبوة أقلامه، وقصر رشائه، وفقره من فقر إنشائه، وشتان بين عزة فارس القلم، وذلة راجل الجلم، فألقى بلال إلى الأديب كتبا وردت عليه، وقال قف عليها وتصفحها حتى نخلو من مجلس السلام فأملي عليك مقاصدها، فكتبها الشيخ الأديب في ذلك المجلس في لحظة ودفعها إليه وقد كتب عنوان كل كتاب منها، فلما وقف عليها بلال قال: لم تزد والله على ما في نفسي من الجواب شيئا ولم تنقص عنه، ففوض إليه واعتمد عليه.

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٣٨٤/٢

وذكر أنه استأذنه يوما على ما يجيب به عن كتب وصلت إليه، ويثيب به آخرين وفدوا عليه، فقال له يا مولاي الأديب، الدولة دولتك، والمال مالك، فأجب، وأثب، كيف شئت، وبما شئت.

وذكر أن الأديب أبا بكر كان من سؤدده أنه إذا سمع بقدوم قافلة إلى البلد خرج إلى الباب واستخبر عمن فيها من الأدباء والفقهاء، فإذا ظفر منهم بأحد بالغ في إكرامه واستخلاص بضاعته إن كان تاجرا، وإن كان باعه في الأدب قصيرا عمل له الشعر على لسانه واستنجز له الصلة، ثم أنزله مدة مقامه وزوده عند رحيله.

قال عمارة في مجموعه وهذه القصة جرت له معي، فإني قدمت عدن وأنا حينئذ لا أحسن الشعر، فعمل قصيدة على لساني، حتى فزت عند صاحب عدن بالأماني، فلما عزمت على السفر قال إنك قد اتسمت عند القوم بسمة شاعر، فانظر لنفسك وطالع كتب الأدب ولا تجمد على الفقه وحده، فإن فضيلة اللسان حلية الإنسان، ثم قدمت في العام الثاني وقد علمت شعرا أصلح من الأول ومعي إنسان جمال، فقال لي الأديب ما رأيك أن تنفع هذا الإنسان بشيء لا يضرنا، قلت: وما هو؟ قال نعمل قصيدة على لسانه، ففعل واستنجز له صلة من الداعي محمد بن سبأ. فلما انفض الجمع دعاني الداعي وقال إذا سألتك عن شيء تنصحني؟ قلت: نعم، قال أظن أن هذا الإنسان الذي أخذ له الأديب الدنانير جمالا، قلت: هو والله جمال وإنما فضل طباع الأديب ومعونتكم له على فعل الخير صيرت هذا ومن يجري مجراه شاعرا، فضحك الداعي وأعاد الجمال فزاده ذهبا.

قال ومن أخباره أن إنسانا يقال له أبو طالب بن الطرائفي مدح الداعي محمد بن سبأ في سنة ست وثلاثين بقصيدة أبي الصلت أمية التي مدح بها الأفضل وأولها:

نسخت غرائب مدحك التشبيبا ... وكفى به غزلا لنا ونسيبا

ومنها:

وأنا الغريب مكانه وبيانه ... فاجعل نوالك في الغريب غريبا." (١)

"فلا عناء له إذ كان صاحبه ... إليك مفتقرا عن جودك الهتن

مجرب في الوفا مملوك دولتكم ... وحسن سيرته في السر والعلن

هنئت بالفطر والفتح المبين وما ... أتى من اليمن والبشرى من اليمن

مقدم الملك المولى المعظم قد ... سرى السرور إلى الأفهام والفطن

علمت قومك تفريق الممالك في ال ... عبيد حتى غدت من جملة المؤن

فقد أتاك ومن أدنى سماحته ... تخويل خادمه ملك ابن ذي يزن

لا زلت في ذروة العلياء منفردا ... بالنصر ما غرد القمري في فنن

وذكر أنه لما تولى شاور مصر، وأخذ جماعة من آل رزيك، وحبسهم في بيت، دخل عليه ابن النحاس، وأنشده من قصيدة، يعرض فيها بآل رزيك، حسام وبدر وقصة:

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٥٣٢/٢

نزلت القرقرون ففر قوم ... ملكت عليهم بالبعد مصرا

حسمت بعضبك الماضي حساما ... فولى خاسئا وبدرت بدرا

وقص جناح قصة منك حزم ... يطير لبأسه شررا وجمرا

هم أسروا كمال الدين صبحا ... فها هم في يديه اليوم أسرى

فإن جاءوك واعتذروا بعذر ... فلا تقبل من الطاغين عذرا

قال أحد المحبوسين لابنه: ما الذي تسمع، فقال: واحد يرقق قلب السلطان علينا.

ومن شعره في طي بن شاور من قصيدة أولها:

غرد الطير حين لاح الصباح ... وطربنا فدارت الأقداح

ومنها:

يا ابن من خلص الخلائق من ظلم ... وعسف وفكهم فاستراحوا

وغزا في ديارهم آل رزيك ... فلم يغن جمعهم والسلاح

أين ورد وبائس وحسام ... رأوا الذل قد أحاط فراحوا

فر بدر في البحر خوفا وولى ... قل له لا أهتدي بك الملاح

أبو المظفر بن أحمد المصري الرفدلي

ذكره الفقيه عيسى بن محمد بن محمد، الحجازي المولد، الدندري الدار. وفد إلى الملك الناصر بالشام لاستماحته واجتداء جنى الإنعام في سنة إحدى وسبعين وقال: هذا شاب بمصر من زقاق القناديل، وهو ذو أدب وتحصيل، وله شعر.

وأنشدني له بعض المتصرفين في الديوان بمصر:

وقالوا الأمير أبو طاهر ... يلوط جهارا ولكنه

يحب الغلام إذا ما التحى ... وهذا دليل على أنه

شلعلع هو أبو الفضل جعفر بن المفضل

ابن زيد بن خلف بن محمد بن أبي حامد بن العباس القرشي من أهل عصرنا هذا، ويلقب بالمهذب وهو شيخ أثط. وله يهجو ابن الدباغ:

تعالت قرون ابن الدباغ فأصبحت ... تجل عن التحديد في اللفظ والمعنى

على بعضها ناجى النبي إلهه ... وقد كان منه قاب قوسين أو أدنى

ووصل إلي بالقاهرة وقد خصني بقصيدة أولها:

نظيرك معدوم وراجيه مخفق ... فلا تلزمنا روم ما ليس يخلق

لك المال والجاه اللذان هداهما ... يوافق رحمى من إليه يوفق

متى سئلا سالا على الخلق أنعما ... لها سحب بالمكرمات تدفق

يبل بها من قاتل العدم مدنف ... وينجو بها من زاخر الهم مغرق

ويضحى أسير الفقر فوزا بمنها ... يجرر أذيال الغنى وهو مطلق

فهل لي مما أسأر الفضل فضلة ... يرمق نفسي بردها حين يرمق

ويرجع لي غصن المنى بعد ما ذوى ... وجف ثراه وهو فينان مورق

فيا طود عز مد شامل ظله ... على كل ضاح بالحوادث يحرق

ويا من دعاه الدين حقا عماده ... موافق دعوى من برهماه يعلق." (١)

"هذه حروف ألفناها من كتاب الله عز وجل متفقة الألفاظ مختلفة المعاني متقاربة في القول مختلفة في الخبر على ما يوجد في كلام العرب لأن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين واختلاف **اللفظ والمعنى** واحد واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين قال المبرد فأما اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين نحو ذهب وجاء وقام وقعد ويد ورجل وفرس وحمار

وأما اختلاف اللفظين والمعنى واحد فكقولك ظننت وحسبت وقعدت وجلست وذراع وساعد وأنف ومرسن

وأما اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فنحو قولك وجدت شيئا إذا أردت وجدان الضالة ووجدت على الرجل من الموجدة ووجدت زيدا كريما أي علمت

ثم قال بعد ذلك فمما اتفق لفظه واختلف معناه قول الله عز وجل ﴿إلا أماني وإن هم إلا يظنون﴾ هذا لمن يشك ثم قال ﴿الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم﴾ فهذا يقين." (٢)

"– الغريب الشبائب جمع شبيبة المعنى يقول هم فى القلوب أحلى موقعا من الحياة فى النفوس إذا أعيدت وذكرهم على الألسنة أكثر من ذكر أيام الشباب ولقد أحسن

٢٥ – الغريب البواتر جمع باتر وهو السيف القاطع والمضارب جمع مضرب وهو نحو شبر من طرفه وكذلك مضرب السيف والمضرب أيضا العظم الذى فيه مخ يقال للشاة إذا كانت مهزولة ما برم منها مضرب أى إذا كسر عظم من عظامها لم يصب فيه مخ المعنى يريد أنه من أولاد على عليه السلام وأنه قد فعل مكارم دلت على كرم أبيه فكأنه نصره بأفعاله الحسنة فى الناس فكانت مثل النصير لأبيه واستعار البواتر للأفعال الحسنة

٢٦ – الغريب التهامى نسبة إلى تهامة وسميت تهامة لشدة حرها وانخفاض أرضها والتهم كذلك فى اللغة المعنى قال أبو الفتح قد أكثر الناس القول فى هذا البيت وهو فى الجملة شنيع الظاهر فأضربت عن ذكره وقد كان يتعسف فى الاحتجاج له والاعتذار بما لست أراه مقنعا ومع هذا فليست الاعتقادات والآراء فى الدين مما يقدح فى جودة الشعر ورداءته انتهى كلامه وقال الواحدى قال أبو الفضل العروضى فيما أملاه على هذا بين حسن المعنى مستقيم اللفظ حتى لو قلت إنه أمدح بيت فى الشعر لم أبعد عن الصواب ولا ذنب له إذا جهل الناس غرضه واشتبه عليهم وأما معناه فإن قريشا أعداء النبى

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٧٥٨/٢

(٢) اتفاق المباني وافتراق المعاني الدَّقِيقي ص/٨٥

يقولون إن محمدا صنبور أبتر لا عقب له الصنبور المنفرد فإذا مات استرحنا منه فأنزل الله تعالى ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ أى العدد الكثير ولست بالأبتر الذى قالوه ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ فقال المتنبى أنتم من معجزات النبي

وآية لتصديقه وتحقيق لقول الله تعالى وذلك أجدى بالجيم ما لكم من مناقب فإن قيل الأنساب تنعقد بالآباء والأبناء لا بالأمهات والبنات كما قال الشاعر

(بنونا بنو أبنائنا وبناتنا ... بنوهن أبناء الرجال الأباعد ...)

قلنا هذا خلاف حكم القرآن العزيز قال الله تعالى ﴿ومن ذريته داود وسليمان﴾ إلى قوله ﴿ويحي وعيسى﴾ فجعل عيسى من ذرية إبراهيم عليهم الصلاة والسلام ولا خلاف أن عيسى من غير أب وأما قوله التهامى فإن الله أنزل فى التوراة على موسى إنى باعث نبيا من تهامة من ولد إسماعيل عليه السلام فى آخر الزمان وأمر موسى عليه الصلاة والسلام أمته أن يؤمنوا به إذا بعث ودل عليه بعلامات أخر فأنكر اليهود نبوته فقال

" أنا النبى التهامى الأمى الأبطحى " فلا أدرى كيف نقموا على المتنبى لفظة افتخر النبي

بها ولما رووا إحدى ما لكم بالحاء اضطرب عليهم المعنى وأقرأنا أبو الحسن الرخجى أولا والشعرانى ثانيا والخوارزمى ثالثا وأجدى بالجيم فاستقام **المعنى واللفظ** وتشنيع أبي الفتح عليه وغيره باطل قال الواحدى وليس هذا المعنى فاسدا وإن روى بالحاء لأنه يقول كون النبى التهامى أبا لكم إحدى مناقبكم أى لكم مناقب كثيرة وإحداها أنكم تنسبون إليه وقال ابن فورجة روى بعضهم

(وأكبر آيات التهامى آية ... أبوك ... ...)

يعنى به على بن أبي طالب عليه السلام وكان آية من آيات رسول الله." (١)

"- الغريب الطريدة المطرودة وفعيل بمعنى مفعول كثير في الكلام نحو قتيل وأسير والخطى الرماح وأصل الرغم أن يلتصق الأنف بالتراب المعنى جعلها طريدة الدهر بأن سلط عليها الروم حتى أخربوها فأعاد بناءها سيف الدولة وردها على أهل الإسلام برغم الدهر حين خالفه فيما قصد فهو يخاطب سيف الدولة بقوله كانت هذه المدينة طريدة دهر أخرجها الدهر عن مدن الإسلام وأزعجها من بينهم لعدم العمران فرددتها على الإسلام بتعميرك لها واغتصبتها من الروم بدفعهم عنها وغالبت الدهر الذي ساعدهم عليها فغلبته وقارعته دونها فأرغمته

١٢ - الغريب تفيت تفعل من الفوت والغوا رم جمع غارمة المعنى قال الواحدى الليالي إذا أخذت شيئا ذهبت به فإن أخذت منك غرمت لأنك تلزمها الغرامة قال ويجوز أن يكون تفيت مخاطبة على رواية من روى أخذته بالتاء يقول إذا سلبت الليالي شيئا أفته عليها فلم تقدر على استرداده وهي إذا أخذت منك شيئا غرمت يعني أنت أقوى من الدهر فإنه لا يقدر على مخالفتك وهذا من قول الآخر

(فما أدرك الساعون فينا بوترهم ... ولا فاتنا من سائر الناس واتر)

وكقول الطرماح

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ١/١٥٤

(إن نأخذ الناس لا تدرك أخيذتنا ... أو نطلب نتعد الحق في الطلب)

وقال الخطيب وابن القطاع كلاهما اشتركا في **اللفظ والمعنى** قالا من رواه بالنون أفسد المعنى قال ابن القطاع قال لي شيخي محمد بن البراء التميمي قال لي صالح بن رشد قرأت على المتنبي أخذنه بالنون فقال صحفت يا أبا علي قلت وكيف قلت فقال قلت أخذته بالتاء لأني لو قلت بالنون لأفسدت المعنى والإعراب ونقضت قولي في آخر البيت وذلك أن تفيت يتعدى إلى مفعولين فإذا جعلت الليالي فاعله ونصبت كل شيء لم يكن مفعول ثان ففسد الإعراب وإذا قلت بالتاء جعلت الليالي مفعولا أول وكل شيء ثانيا وأما فساد المعنى فلو جعلت الليالي الفاعلة لجعلتها تفيت كل شيء ولا تغرمه ثم نقضته بقولي وهن لما يأخذن منك غوارم وإنما المعنى تفيت يا سيف الدولة الليالي كل شيء أخذته منها فلا تغرمه لها وهن غوارم لك ما يأخذن فصح المعنى

١٣ – الغريب الفعل المضارع ما كان فيه إحدى الزوائد الأربع الألف للمتكلم." (١)

"المعنى يقول هو أعظم من أن يشبه كفه بالبحر ورأيه بالسيف القاطع ونفسه بالأسد لأن كفه فوق البحر ورايه أنقذ من السيف فلا يشبه بشيء من ذلك

١٧ – الإعراب قال أبو الفتح عطف بلا في هذا البيت على مدخول لا في الذي قبله في ظاهر اللفظ لا في المعنى وذلك لأن قوله لا الكف لجة أي فيها ما في البحر وزيادة عليه ولا هو ضرغام أي فيه ما في الضرغام من الشجاعة وزاد عليه ولا الرأي مخدم لرأيه مضاء السيف وفوق ذلك وأما قوله ولا جرحه يوسي فليس يريد أنه يوسى ويزاد عليه وكذا ولا غوره ولا حده وليس يريد أنه يتثلم ويزيد كما أراد في البيت فهو في البيت الأول مثبت في المعنى لما نفاه في اللفظ وفي الثاني ناف في **اللفظ والمعنى** جميعا ألا ترى إلى إحسانه الصنعة وصحة نظمه وتوفيقه بين الأضداد المتباينة ونقله الواحدي كما نقلناه الغريب يوسى يداوي أسوت العليل أسوه أسوا والآسي الطبيب وينبو يرتفع عن الضريبة المعنى يقول جرحه أوسع من أن يعالج لأنه لا يبرأ بالعلاج ولا يرى غوره أي عمقه قال الواحدي ويجوز أن يكون المعنى ولا غور الممدوح يرى أي يعلم أي أنه بعيد الغور في الرأي والتدبير فلا يدرك غوره واستعار له حدا لمضائه ونفاذه في الأمور وجعل حده غير ناب ولا متثلم لحدته

١٨ – الإعراب أظهر التضعيف في حالل وهو من باب الضرورات ولو قال مكانه ناقض لسلم من الضرورة وربما فعل الشاعر هذا ليشعر أنه يعلم بالضرورات كقول قعنب

(مهلا أعاذل قد جربت من خلقي ... أني أجود لأقوام وإن ضننوا)

وكقول زهير

(لم يلقها إلا بشكة باسل ... يخشى الحوادث حازم مستعدد)

الغريب أبرمت الأمر وبرمته أحكمته وأصله من فتل الحبل المعنى يقول ليس للأمر الذي يحكمه ناقض ولا للذي نقضه مبرم والمعنى أنه لا يخالف فيما أراد

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٣/٣٨٢

١٩ – الغريب يرمح الأذيال يريد الخيلاء يقال للمختال إنه ليرمح الأذيال إذا كان يطيل ثوبه ولا يرفعه ويضربه برجله ومنه قول القحيف." (١)

"عليه السلام فأخبرت فقال له اقرأ فقرأ تلك القراءة، فقال النبي عليه السلام: هكذا نزلت، ثم قال لي اقرأ فقرأت فقال هكذا نزلت، ثم قال لي إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف " وأثوب محمل يحمل عليه قوله عليه السلام " على سبعة أحرف " ما حام حوله الإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة الهمذاني قدس الله روحه من أن المراد بسبعة الأحرف سبعة أنحاء من الاعتبار متفرقة في القرآن وحق تلك الأنحاء عندي أن ترد على **اللفظ والمعنى** دون صورة الكتابة لما أن النبي عليه السلام كان أميا ما عرف الكتابة ولا صور الكلم فيتأتى منه اعتبار صورتها راجعا على إثبات كلمة وإسقاطها وأنه نوعان: أحدهما أن لا يتفاوت المعنى مثل وما عملت أيديهم في موضع وما عملته لاستدعاء الموصول الراجع. وثانيهما أن يتفاوت مثل قراءة بعض أن الساعة آتية أكاد أخفيها من نفسي، وإما أن يكون راجعا على تغيير نفس الكلمة وأنه ثلاثة أنواع: أحدها أن يتغير الكلمتان، والمعنى واحد مثل ويأمرون الناس بالبخل وبالبخل برأس أخيه وبرأس وفنطرة على ميسرة وميسرة ومثل إن كانت الأزقية واحدة في موضع الأصيحة. وثانيها أن تتغير الكلمتان ويتضاد المعنى مثل إن الساعة آتية أكاد أخفيها بضم الهمزة بمعنى أكتمها وأخفيها بفتح الهمزة بمعنى أظهرها.." (٢)

"النوع الرابع: الاطلاع على المنظوم والمنثور

...

النوع الرابع: الاطلاع على من المنظوم والمنثور

وأما النوع الرابع: وهو الاطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والمنثور، فإن في ذلك فوائد جمة؛ لأنه يعلم منه أغراض الناس، ونتائج أفكارهم، ويعرف به مقاصد كل فريق منهم، وإلى أين ترامت به صنعته في ذلك، فإن هذه الأشياء مما تشحذ القريحة، وتذكي الفطنة، وإذا كان صاحب هذه الصناعة عارفا بها تصير المعاني التي ذكرت، وتعب في استخراجها، كالشيء الملقى بين يديه، يأخذ منه ما أراد ويترك ما أراد.

وأيضا، فإنه إذا كان مطلعا على المعاني المسبوق إليها قد ينقدح له من بينها معنى غريب لم يسبق إليه.

ومن المعلوم أن خواطر الناس وإن كانت متفاوتة في الجودة والرداءة، فإن بعضها لا يكون عاليا على بعض، أو منحطا عنه إلا بشيء يسير، وكثيرا ما تتساوى القرائح والأفكار في الإتيان بالمعاني، حتى إن بعض الناس قد يأتي بمعنى موضوع بلفظ، ثم يأتي الآخر بعده بذلك **المعنى واللفظ** بعينهما من غير علم منه بما جاء به الأول، وهذا الذي يسميه أرباب هذه الصناعة وقوع الحافر على الحافر، وسيأتي لذلك باب مفرد في آخر كتابنا هذا إن شاء الله تعالى.." (٣)

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٨٥/٤

(٢) مفتاح العلوم السكاكي ص/٥٩٤

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٥٩/١

"يستعمله جاهل بحقيقة الفصاحة، أو من ذوقه غير ذوق سليم، لا جرم أنه ذم وقدح فيه، ولم يلتفت إليه، وإن كان عربيا محضا من الجاهلية الأقدمين، فإن حقيقة الشيء إذا علمت وجب الوقوف عندها، ولم يعرج على ما خرج عنها.

وإذن ثبت أن الفصيح من الألفاظ هو الظاهر البين، وإنما كان ظاهرا بينا لأنه مألوف الاستعمال، وإنما كان مألوف الاستعمال لمكان حسنه، وحسنه مدرك بالسمع، والذي يدرك بالسمع إنما هو اللفظ، لأنه صوت يأتلف عن مخارج الحروف، فما استلذه السمع منه فهو الحسن، وما كرهه فهو القبيح، والحسن هو الموصوف بالفصاحة، والقبيح غير موصوف بفصاحة؛ لأنه ضدها لمكان قبحه، وقد مثلت ذلك في المثال المتقدم بلفظ "المزنة" و"الديمة" ولفظة "البعاق".

ولو كانت الفصاحة لأمر يرجع إلى المعنى لكانت هذه الألفاظ في الدلالة عليه سواء: ليس منها حسن ومنها قبيح، ولما لم يكن كذلك علمنا أنها تخص اللفظ دون المعنى.

وليس لقائل ههنا أن يقول: لا لفظ إلا بمعنى، فكيف فصلت أنت بين **اللفظ والمعنى؟** فإني لم أفصل بينهما، وإنما خصصت اللفظ بصفة هي له، والمعنى يجيء فيه ضمنا وتبعا.

الوجه الثاني: إن وزن "فعيل" هو اسم فاعل من "فعل" بفتح الفاء وضم العين نحو كرم فهو كريم، وشرف فهو شريف، ولطف فهو لطيف، وهذا مطرد في بابه، وعلى هذا فإن اللفظ الفصيح هو اسم فاعل من فصح فهو فصيح، واللفظ هو الفاعل للإبانة عن المعنى، فكانت الفصاحة مختصة به.

فإن قيل: إنك قلت: إن الفصيح من الألفاظ هو الظاهر البين، أي: المفهوم، ونرى من آيات القرآن الكريم ما لا يفهم ما تضمنه من المعنى إلا باستنباط وتفسير، وتلك الآيات فصيحة لا محالة، وهذا بخلاف ما ذكرته.

قلت: لأن الآيات التي تستنبط وتحتاج إلى تفسير ليس شيء منها إلا." (١)

"الذي لا يبصر، وأما قوله: "وأضاء منها كل شيء مظلم" أي: وضح لي منها ما كان مستترا عني من حبها إياي.

وكذلك ورد قول أبي عبادة البحتري في منهزم١:

إذا سار سهبا عاد ظهرا عدوه ... وكان الصديق بكرة ذلك السهب

فإن السير، والسهب والظهر، والعدو والصديق كل ذلك مفهوم المعنى، لكن البيت بمجموعه يحتاج معناه إلى استنباط، والمراد أن هذا المنهزم يرى ما بين يديه محبوبا إليه، وما خلفه مكروها عنده؛ لأنه يطلب النجاة فيؤثر البعد مما خلفه، والقرب مما أمامه، فإذا قطع سهبا، وخلفه وراءه صار عنده كالعدو، وقبل أن يقطعه كان له صديقا، أي: يطلب لقاءه ويحب الدنو منه.

فانظر أيها المتأمل إلى ما ذكرته من هذه الأمثلة حتى يثبت عندك ما أردت بيانه.

وأما البلاغة: فإن أصلها في وضع اللغة من الوصول والانتهاء، يقال: بلغت المكان، إذا انتهيت إليه، ومبلغ الشيء منتهاه، وسمي الكلام بليغا من ذلك، أي: إنه قد بلغ الأوصاف اللفظية والمعنوية.

والبلاغة شاملة للألفاظ والمعاني، وهي أخص من الفصاحة، كالإنسان من الحيوان، فكل إنسان حيوان، وليس كل حيوان

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٩٢/١

إنسانا، وكذلك يقال: كل كلام بليغ فصيح، وليس كل كلام فصيح بليغا.

ويفرق بينها وبين الفصاحة من وجه آخر غير الخاص والعام، وهو أنها لا تكون إلا في **اللفظ والمعنى** بشرط التركيب، فإن اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة، ويطلق عليها اسم الفصاحة، إذ يوجد فيها وصف المختص بالفصاحة، وهو الحسن، وأما وصف البلاغة فلا يوجد فيها، لخلوها من المعنى المفيد الذي ينتظم كلاما.

---

١ ديوان البحتري ٢/ ٧٨، ومعنى السهب هنا: الفلاة.." [(١)]

"ورأيت الغانمي قد ذكر في كتابه بابا، وسماه: "رد الأعجاز على الصدور" خارجا عن باب التجنيس، وهو ضرب منه، وقسم من جملة أقسامه، كالذي نحن بصدد ذكره ههنا، فمما روى الغانمي من الأمثلة في ذلك قول بعضهم:

ونشري بجميل الصنـ ... ـع ذكرا على طيب النشر

ونفري بسيوف الهنـ ... ـد من أسرف في النفر

وبحري في شرى الحمد ... على شاكلة البحر

وكذلك قول بعضهم في الشيب:

يا بياضا أذرى دموعي حتى ... عاد منها سواد عيني بياضا

وكذلك قول البحتري١:

وأغر في الزمن البهيم محجل ... قد رحت منه على أغر محجل

كالهيكل المبني إلا أنه ... في الحسن جاء كصورة في هيكل

وليس الأخذ على المعاني في ذلك مناقشة على الأسماء، وإنما المناقشة على أن ينصب نفسه لإيراد علم البيان وتفصيل أبوابه، ويكون أحد الأبواب التي ذكرناها داخلا في الآخر، فيذهب عليه ذلك، ويخفى عنه وهو أشهر من فلق الصباح.

وربما جهل بعض الناس، فأدخل في التجنيس ما ليس منه، نظرا إلى مساواة اللفظ دون اختلاف المعنى، فمن ذلك قول أبي تمام٢:

أظن الدمع في خدي سيبقي ... رسوما من بكائي في الرسوم

وهذا ليس من التجنيس في شيء، إذا حد التجنيس هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، وهذا البيت المشار إليه هو اتفاق **اللفظ والمعنى** معا.

وهذا مما ينبغي أن ينبه عليه ليعرف.

ومن علماء البيان من جعل له اسما سماه به، وهو "الترديد"، أي: إن اللفظة الواحدة

---

١ ديوان البحتري ٢/ ٢١٧ من قصيدة يمدح بها محمد بن علي بن عيسى القمي الكاتب، ومطلعها:

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ١/ ٩٤

أهلا بذلكم الخيال المقبل ... فعل الذي نهواه أو لم يفعل

٢ ديوان أبي تمام ٢٨٨ من قصيدة يمدح بها بعض بني عبد الكريم الطائيين، ومطلعها:

أرامة كنت مألف كل ريم ... لو استمتعت بالأنس المقيم." (١)

"المجلد الثالث

تابع المقالة الثانية في الصناعة المعنوية

النوع السابع عشر: في التكرار

مدخل

...

النوع السابع عشر: في التكرار

قد تقدم الكلام في صدر كتابي هذا على تكرار الحروف، وما [أشبه] ذلك مما يختلط بهذا النوع الذي هو "تكرار المعاني والألفاظ".

واعلم أن هذا النوع من مقاتل علم البيان، وهو دقيق المأخذ.

وحده هو: دلالة اللفظ على المعنى مرددا، وربما اشتبه على أكثر الناس بالإطناب مرة، وبالتطويل أخرى، وقد تقدم الكلام على الفرق بين هذه الأنواع الثلاثة في باب الإطناب١، فلا حاجة إلى إعادته ههنا.

وأما التكرير فقد عرفتكه، وهو ينقسم قسمين:

أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى.

والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ. فأما الذي يوجد في اللفظ والمعنى فكقولك لمن تستدعيه "أسرع أسرع" ومنه قول أبي الطيب المتنبي٢:

ولم أر مثل جيراني ومثلي ... لمثلي عند مثلهم مقام

وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ فكقولك: "أطعني ولا تعصني". فإن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية.

---

١ انظر صفحة ٣٥٧ من القسم الثاني من هذه الطبعة.

٢ ديوان المتنبي ٤/ ٧٩ من قصيدته في مدح المغيث بن علي العجلي، ومطلعها:

فؤاد ما تسليه المدام ... وعمر مثل ما تهب اللئام." (٢)

"التكرير في اللفظ والمعنى:

فأما الأول وهو الذي يوجد في اللفظ والمعنى، فإنه ينقسم إلى ضربين: مفيد وغير مفيد.

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٢٦٧/١

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٣/٣

فالأول المفيد، وهو فرعان:

الأول: إذا كان التكرير في **اللفظ والمعنى** يدل على معنى واحد، والمقصود به غرضان مختلفان:

كقوله تعالى: ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون﴾ ١.

هذا تكرير في **اللفظ والمعنى**، وهو قوله: "يحق الحق وليحق الحق" وإنما جيء به ههنا لاختلاف المراد، وذاك أن الأول تمييز بين الإرادتين، والثاني بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها، وأنه ما نصرهم وخذل أولئك إلا لهذا الغرض.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين، وأمرت لأن أكون أول المسلمين، قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم، قل الله أعبد مخلصا له ديني، فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ ٢.

فكرر قوله تعالى: ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين﴾ وقوله: ﴿قل الله أعبد مخلصا له ديني﴾ والمراد به غرضان مختلفان، وذلك أن

---

١ سورة الأنفال: الآيتان ٧ و٨.

٢ سورة الزمر: الآيات ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥.." (١)

"ومن هذا النحو قوله تعالى: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد، وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب، إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب﴾ ١.

وإنما كرر تكذيبهم ههنا؛ لأنه لم يأت به على أسلوب واحد، بل تنوع فيه بضروب من الصنعة، فذكره أولا في الجملة الخبرية على وجه الإبهام، ثم جاء بالجملة الاستثنائية، فأوضحه بأن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل؛ لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم، وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه، والتنوع في تكريره بالجملة الخبرية أولا، وبالاستثناء ثانيا، وما في الاستثناء من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق العذاب وأبلغه.

وهذا باب من تكرير **اللفظ والمعنى** حسن غامض، وبه تعرف مواقع التكرير، والفرق بينه وبين غيره، فافهمه إن شاء الله تعالى.

الفرع الثاني من الضرب الأول ٢:

إذا كان التكرير في **اللفظ والمعنى** يدل على معنى واحد، والمراد به غرض واحد، كقوله تعالى: ﴿فقتل كيف قدر، ثم قتل كيف قدر﴾ ٣.

والتكرير دلالة على التعجب من تقديره، وإصابته الغرض، وهذا كما يقال: "قتله الله ما أشجعه أو ما أشعره! "

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٣/٥

١ سورة ص: الآيات ١٢ و١٣ و١٤.

٢ أي: التكرير المفيد.

٣ سورة المدثر: الآيتان ١٩ و٢٠.." (١)

"وكذلك الآية الأخرى وهي: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾ .

ومن باب التكرير في اللفظ والمعنى الدال على معنى واحد عز وجل: ﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار﴾ ١.

فإنه إنما كرر نداء قومه ههنا لزيادة التنبيه لهم والإيقاظ عن سنة الغفلة؛ ولأنهم قومه وعشيرته، وهم فيما يوبقهم من الضلال، وهو يعلم وجه خلاصهم، ونصيحتهم عليه واجبة، فهو يتحزن لهم، ويتلطف بهم، ويستدعي بذلك ألا يتهموه، فإن سرورهم سروره، وغمهم غمه، وأن ينزلوا على نصيحته لهم.

وهذا من التكرير الذي هو أبلغ من الإيجاز، وأشد موقعا من الاختصار، فاعرفه إن شاء الله تعالى.

وعلى نحو منه جاء قوله تعالى في سورة القمر: ﴿فذوقوا عذابي ونذر، ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ ٢.

فإنه قد تكرر ذلك في السورة كثيرا، وفائدته أن يجددوا عند استماع كل نبإ من أنباء الأولين ادكارا وإيقاظا، وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا، إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث إليه، وأن تقرع لهم العصا مرات؛ لئلا يغلبهم السهو، وتستولي عليهم الغفلة.

---

١ سورة المؤمن: الآيتان ٣٨ و٣٩.

٢ سورة القمر: الآيتان ٣٩ و٤٠.." (٢)

"الضرب الثاني من التكرير في اللفظ والمعنى:

وهو غير المفيد، فمن ذلك قول مروان الأصغر١:

سقى الله نجدا والسلام على نجد ... ويا حبذا نجد على النأي والبعد

نظرت إلى نجد وبغداد دونها ... لعلي أرى نجدا وهيهات من نجد

وهذا من العي الضعيف، فإنه كرر ذكر "نجد" في البيت الأول ثلاثا،

---

١ هو أبو السمط مروان بن أبي الجنوب بن مروان بن أبي حفصة، وهو مروان الأصغر، ويقال لجده مروان بن أبي حفصة مروان الأكبر. كان شاعرا ساقط الشعر، عاصر الواثق والمتوكل، وله قصائد عدة في المتوكل وأحمد بن أبي دؤاد.." (٣)

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٩/٣

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ١٩/٣

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٢٣/٣

"وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم

وإن هم هووا غيي هويت لهم رشدا

فهذا من الخاص والعام، فإن كل لحم يؤكل للإنسان فهو تضييع لغيبه، وليس كل تضييع لغيبه أكلا للحمه.

ألا ترى أن أكل اللحم هو كناية عن الاغتياب، وأما تضييع الغيب فمنه الاغتياب ومنه التخلي عن النصرة والإعانة، ومنه إهمال السعي في كل ما يعود بالنفع كائنا ما كان.

وعلى هذا فإن هذين البيتين من الخاص والعام المشار إليه في الآية المتقدم ذكرها، وهو موضع يرد في الكلام البليغ ويظن أنه لا فائدة فيه.

الفرع الثاني: إذا كان التكرير في المعنى يدل على معنى واحد لا غير

وقد سبق مثال ذلك في أول هذا الباب، كقولك: "أطعني ولا تعصني"، فإن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية، والفائدة في ذلك تثبيت الطاعة في نفس المخاطب.

والكلام في هذا الموضع كالكلام في الموضع الذي قبله من تكرير **اللفظ والمعنى** إذا كان الغرض به شيئا واحدا، ولا نجد شيئا من ذلك يأتي في الكلام إلا لتأكيد الغرض المقصود به، كقوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾ ١.

---

١ سورة التغابن الآية ١٤.." (١)

"فآليت لا أرثي لها من كلالة ... ولا من وجى حتى تلاقي محمدا

فإن الوجى والكلالة معناهما سواء، وإنما حسن تكريره ههنا للإشعار ببعد المسافة.

الضرب الثاني من القسم الثاني في تكرير المعنى دون اللفظ:

وهو غير مفيد، فمن ذلك قول أبي تمام:

قسم الزمان ربوعها بين الصبا ... وقبولها ودبورها أثلاثا ١

وليس ذلك مثل التكرير في قوله تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ ٢ فيما يرجع إلى تكرير **اللفظ والمعنى**، ولا مثل التكرير في قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف﴾ ٣ فيما يرجع إلى تكرار المعنى دون اللفظ، وقول أبي تمام: الصبا والقبول لا يشتمل إلا على معنى واحد لا غير.

وهذا الضرب من التكرير قد خبط فيه علماء البيان خبطا كثيرا، والأكثر منهم أجازه، فقالوا: إذا كانت الألفاظ متغايرة والمعنى المعبر عنه واحدا فليس استعمال ذلك بمعيب، وهذا القول فيه نظر، والذي عندي

---

١ البيت من قصيدته في مدح مالك بن طوق ومطلعها:

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٢٩/٣

قف بالطول الدراسات علاثا ... أمست حبال قطينهن رثاثا

"ديوان أبي تمام ١/ ٣١٤". وفي القاموس المحيط: القبول ريح الصبا؛ لأنها تقابل الدبور أو لأنها تقابل باب الكعبة أو لأن النفس تقبلها "مادة قبل".

وفي شرح الحماسة للمرزوقي: قيل في القبول إنها الصبا، وقال النصر بن شميل: القبول ريح بين الصبا والجنوب.

وقال ابن الأعرابي: القبول كل ريح لينة طيبة المس تقبلها النفس، فليس للرد على أبي تمام وجه. وقال ابن المستوفي: الصحيح أن الصبا هي القبول، وما الذي منع أبا تمام أن يجعل موضع "قبولها" "جنوبها" فكان يسلم من التشنيع عليه "ديوان أبي تمام ١/ ٣١٥ وقد ذكر الخفاجي نقد البيت "سر الفصاحة ٢٢٥" وكذلك أبو هلال ذكره "الصناعتين ١٢١".

٢ البقرة ٣٨.

٣ آل عمران ١٠٤.." (١)

"النوع الرابع والعشرون: في التناسب بين المعاني

مدخل

...

النوع الرابع والعشرون: في التناسب بين المعاني

وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول في المطابقة وهذا النوع يسمى البديع أيضا، وهو في المعاني ضد التجنيس في الألفاظ؛ لأن التجنيس هو أن يتحد اللفظ مع اختلاف المعنى، وهذا هو أن يكون المعنيان ضدين.

وقد أجمع أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده، كالسواد والبياض، والليل والنهار.

وخالفهم في ذلك قدامة بن جعفر الكاتب فقال: المطابقة إيراد لفظين متساويين في البناء والصيغة مختلفين في المعنى.

وهذا الذي ذكره هو التجنيس بعينه، غير أن الأسماء لا مشاحة فيها، إلا إذا كانت مشتقة.

ولننظر نحن في ذلك، وهو أن نكشف عن أصل المطابقة في وضع اللغة، وقد وجدنا الطباق في اللغة من طابق البعير في سيره، إذا وضع رجله موضع يده، وهذا يؤيد ما ذكره قدامة؛ لأن اليد غير الرجل لا ضدها، والموضع الذي يقعان فيه واحد، وكذلك المعنيان يكونان مختلفين واللفظ الذي يجمعهما واحد، فقدامة سمى هذا النوع من الكلام مطابقا، حيث كان الاسم مشتقا مما سمي به، وذلك مناسب وواقع في موقعه، إلا أنه جعل للتجنيس اسما آخر، وهو المطابقة، ولا بأس به، إلا إن كان مثله بالضدين، كالسواد والبياض، فإنه يكون قد خالف الأصل الذي أصله بالمثال الذي مثله١.

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٣/٣٥

١ ذكر قدامة أن الناس يضعون من صفات الشعر المطابق والمجانس، وهما داخلان في باب ائتلاف **اللفظ والمعنى**. ومعناهما أن تكون في الشعر معان متغايرة قد اشتركت في لفظة=." (١)

"وأما غيره من أرباب هذه الصناعة فإنهم سموا هذا الضرب من الكلام مطابقا لغير اشتقاق ولا مناسبة بينه وبين مسماه، هذا الظاهر لنا من هذا القول، إلا أن يكونوا قد علموا لذلك مناسبة لطيفة لم نعلمها نحن.

ولنرجع إلى ذكر هذا القسم من التأليف وإيضاح حقيقته، فنقول: الأليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلة؛ لأنه لا يخلو الحال فيه من وجهين: إما أن يقابل الشيء بضده، أو يقابل بما ليس بضده، وليس لنا وجه ثالث.

فأما الأول وهو مقابلة الشيء بضده كالسواد والبياض، وما جرى مجراهما فإنه ينقسم قسمين: أحدهما مقابلة في **اللفظ والمعنى**، والآخر مقابلة في المعنى دون اللفظ.

المقابلة في **اللفظ والمعنى**:

أما المقابلة في **اللفظ والمعنى** فكقوله تعالى: ﴿فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا﴾ ١ فقابل بين الضحك والبكاء والقليل والكثير.

وكذلك قوله تعالى: ﴿لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ ٢ وهذا من أحسن ما يجيء في هذا الباب.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير المال عين ساهرة لعين نائمة".

= واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة. ثم عرف "المطابق" بأنه ما يشترك في لفظة واحدة بعينيها، وعرف "المجانس" بأن تكون المعاني اشتراكها في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق "نقد الشعر ٩٢ طبقة برل. ليدن".

وقد سبق الآمدي ابن الأثير إلى نقد قدامة في تصرفه في المصطلحات، قال الآمدي: وهذا باب -أعني المطابق- لقبه قدامة "المتكافي" وسمي ضربا من المتجانس "المطابق" وما علمت أن أحد فعل هذا غيره.. ولم أكن أحب له أن يخالف من تقدمه مثل عبد الله بن المعتز وغيره ممن تكلم في هذه الأنواع وألف فيها "الموازنة بين أبي تمام والبحتري ١/ ٢٧٥ طبعة دار المعارف".

١ التوبة ٨٢.

٢ الحديد ٢٣.." (٢)

"آخر غير ما ذكرته، وليس الغرض أن يؤتى على جميع ما جاء به هو ولا غيره من المعاني المبتدعة، بل الغرض أن يبين المعنى المبتدع من غيره. والذي عندي في السرقات أنه متى أورد الآخر شيئا من ألفاظ الأول في معنى من المعاني، ولو لفظة واحدة فإن ذلك من أدل الدليل على سرقته.

واعلم أن علماء البيان قد تكلموا في السرقات الشعرية فأكثروا، ١ وكنت ألفت فيها كتابا، وقسمته ثلاثة أقسام: نسخا،

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ١٤٣/٣

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ١٤٤/٣

وسلخا، ومسخا.

أما النسخ فهو: أخذ **اللفظ والمعنى** برمته، من غير زيادة عليه، مأخوذا ذلك من نسخ الكتاب.

وأما السلخ هو: أخذ بعض المعنى، مأخوذا ذلك من سلخ الجلد الذي هو بعض الجسم المسلوخ.

وأما المسخ فهو: إحالة المعنى إلى ما دونه، مأخوذا ذلك من مسخ الآدميين قردة.

وههنا قسمان آخران أخللت بذكرهما في الكتاب الذي ألفته، فأحدهما أخذ المعنى مع الزيادة عليه، والآخر عكس المعنى إلى ضده، وهذان القسمان ليسا بنسخ ولا سلخ ولا مسخ.

---

١ من العلماء والنقاد الذي درسوا السرقات القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني مؤلف الوساطة، فقد قسم المعاني ثلاثة أقسام: المعاني المشتركة التي لا يجوز ادعاء السرقة فيها، والمعاني المبتذلة التي كانت في أصلها مخترعة ثم استفاضت وتنوقلت فليس أحد أولى بها من أحد، والمعاني المختصة التي حازها المبتدئ فملكها، فصار المعتدي مختلسا سارقا "الوساطة ١٧٩".

وكذلك أبو هلال العسكري الذي أفاض في الكلام في السرقات وضروبها وتكلم في الأخذ الحسن ووسائله والقبيح وضروبه "الصناعتين ١٩٦".." (١)

""النسخ":

فأما النسخ فإنه لا يكون إلا في أخذ **المعنى واللفظ** جميعا، أو في أخذ المعنى وأكثر اللفظ؛ لأنه مأخوذ من نسخ الكتاب، وعلى ذلك فإنه ضربان:

الأول:

يسمى وقوع الحافر١ على الحافر، كقول امرئ القيس:

وقوفا بها صحبي على مطيهم ... يقولون لا تهلك أسى وتجمل٢

وكقول طرفة:

وقوفا بها صحبي علي مطيهم ... يقولون لا تهلك أسى وتجلد٣

وقد أكثر الفرزدق وجرير من هذا في شعرهما، فمنه ما وردا فيه مورد امرئ القيس وطرفة في تخالفهما في لفظة واحدة، كقول الفرزدق:

أتعدل أحسابا لئاما حماتها ... بأحسابنا إني إلى الله راجع٤

وكقول جرير:

أتعدل أحسابا كراما حماتها ... بأحسابكم إني إلى الله راجع٥

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٢٢٢/٣

١ ذكر أبو هلال البيتين الآتيين وغيرهما، على أنه مما أخذ بلفظه ومعناه، وادعى آخذه أو ادعى له أنه لم يأخذه، ولكن وقع له كما وقع للأول، ثم علق على ذلك بأنه معيب وإن ادعى الآخر أنه لم يسمع قول الأول، بل وقع لهذا كما وقع لذاك، فإن صحة ذلك لا يعلمها إلا الله عز وجل، والعيب لازم للآخر "الصناعتين ٢٢٩".

٢ من معلقته "الديوان ٩".

٣ من معلقته. جمهرة أشعار العرب ١٣٠.

٤ البيت بديوان الفرزدق:

أتعدل أحسابا لئاما أدقة ... بأحسابنا إني إلى الله راجع

"الديوان ٢/ ٥١٩".

٥ البيت كذلك في ديوانه ٣٧١.." (١)

"فهرس القسم الثالث من كتاب المثل السائر:

في أدب الكاتب والشاعر

لضياء الدين بن الأثير

النوع السابع عشر في التكرار

صفحة

"٣-٤٠"

حده. قسماه: تكرار في اللفظ والمعنى. تكرار في المعنى

٣ دون اللفظ

٤ وكل منها: تكرار مفيد، وتكرار غير مفيد

التكرير في اللفظ والمعنى

ينقسم إلى مفيد وغير مفيد:

٥ ١- المفيد فرعان: ١- مقصود به غرضان مختلفان. أمثلة له

٩ ٢- مقصود به غرض واحد. أمثلة له

١٢ فائدة تكرير "أن" في قوله: ﴿فلما أن أراد أن يبطش﴾

١٣ لوم النحاة في قولهم بزيادة الحروف

١٥ من هذا القسم الثاني إضافة المعنى إلى نفسه مع اختلاف اللفظ." (٢)

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٢٣٠/٣

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٢٩٣/٣

"الصفحة

"١٤٣- ١٧٧" النوع الرابع والعشرون في التناسب بين المعاني

أقسام هذا النوع:

"وأما النوع الرابع:

- وهو الاطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والمنثور- فإن في ذلك فوائد جمة؛ لأنه يعلم منه أغراض الناس، ونتائج أفكارهم، ويعرف به مقاصد كل فريق منهم، وإلى أين ترامت به صنعته في ذلك، فإن هذه الأشياء مما تشحذ القريحة، وتذكي الفطنة، وإذا كان صاحب هذه الصناعة عارفا بها تصير المعاني التي ذكرت وتعب في استخراجها كالشيء الملقى بين يديه يأخذ منه ما أراد ويترك ما أراد، وأيضا فإنه إذا كان مطلعا على المعاني المسبوق إليها قد ينقدح له من بينها معنى غريب لم يسبق إليه، ومن المعلوم أن خواطر الناس وإن كانت متفاوتة في الجودة والرداءة فإن بعضها لا يكون عاليا على بعض أو منحطا عنه إلا بشيء يسير، وكثيرا ما تتساوى القرائح والأفكار في الإتيان بالمعاني، حتى إن بعض الناس قد يأتي

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٣/٣٠٠

بمعنى موضوع بلفظ، ثم يأتي الآخر بعده بذلك المعنى واللفظ بعينهما من غير علم منه بما جاء به الأول، وهذا الذي يسميه أرباب هذه الصناعة وقوع الحافر على الحافر، وسيأتي لذلك باب مفرد في آخر كتابنا هذا؛ إن شاء الله تعالى.

وأما النوع الخامس:

– وهو معرفة الأحكام السلطانية من الإمامة والإمارة والقضاء والحسبة وغير ذلك– فإنما أوجبنا معرفتها والإحاطة بها لما يحتاج إليه الكاتب في تقليدات الملوك والأمراء والقضاة والمحتسبين ومن يجري مجراهم، وأيضا فإنه قد يحدث في الإمامة حادث في بعض الأوقات: بأن يموت الإمام القائم بأمر المسلمين، ثم يتولى من بعده من لم تكمل فيه شرائط الإمامة، أو يكون كامل الشرائط غير أن الإمام الذي كان قبله عهد بها إلى آخر غيره وهو ناقص الشرائط، أو يكون قد تنازع الإمامة اثنان، أو يكون أرباب الحل والعقد قد اختاروا إماما وهم غير كاملي الشرائط التي تجب أن توجد فيهم، أو يكون أمر غير ما ذكرناه، فتختلف الأطراف في ذلك، وينتصب ملك من الملوك له عناية بالإمام الذي قد قام للمسلمين، فيأمر كاتبه أن يكتب كتابا في أمره إلى الأطراف المخالفة له، وإذا لم يكن الكاتب عند ذلك عارفا بالحكم في هذه الحوادث، واختلاف أقوال العلماء فيها، وما هو رخصة في ذلك وما ليس برخصة؛ لا يكتب كتابا ينتفع به، ولسنا نعني بهذا القول أن يكون الكتاب مقصورا على فقه محض فقط؛ لأنا لو أردنا ذلك لما." (١)

"أنه ذم وقدح فيه، ولم يلتفت إليه، وإن كان عربيا محضا من الجاهلية الأقدمين؛ فإن حقيقة الشيء إذا علمت وجب الوقوف عندها، ولم يعرج على ما خرج عنها.

وإذن ثبت أن الفصيح من الألفاظ هو الظاهر البين، وإنما كان ظاهرا بينا لأنه مألوف الاستعمال، وإنما كان مألوف الاستعمال لمكان حسنه، وحسنه مدرك بالسمع، والذي يدرك بالسمع إنما هو اللفظ؛ لأنه صوت يأتلف عن مخارج الحروف، فما استلذه السمع منه فهو الحسن، وما كرهه فهو القبيح، والحسن هو الموصوف بالفصاحة، والقبيح غير موصوف بفصاحة؛ لأنه ضدها لمكان قبحه، وقد مثلت ذلك في المثال المتقدم بلفظة المزنة والديمة ولفظة البعاق، ولو كانت الفصاحة لأمر يرجع إلى المعنى لكانت هذه الألفاظ في الدلالة عليه سواء: ليس منها حسن ومنها قبيح، ولما لم يكن كذلك علمنا أنها تخص اللفظ دون المعنى.

وليس لقائل ههنا أن يقول: لا لفظ إلا بمعنى، فكيف فصلت أنت بين اللفظ والمعنى؟ فإن لم أفصل بينهما، وإنما خصصت اللفظ بصفة هي له، والمعنى يجيء فيه ضمنا وتبعا.

الوجه الثاني: أن وزن فعيل هو اسم فاعل من فعل– بفتح الفاء وضم العين– نحو كرم فهو كريم، وشرف فهو شريف، ولطف فهو لطيف، وهذا مطرد في بابه، وعلى هذا فإن اللفظ الفصيح هو اسم فاعل من فصح فهو فصيح، واللفظ هو الفاعل للإبانة عن المعنى، فكانت الفصاحة مختصة به.

فإن قيل: إنك قلت: «إن الفصيح من الألفاظ هو الظاهر البين، أي المفهوم» ، ونرى من آيات القرآن ما لا يفهم ما تضمنه من المعنى إلا باستنباط وتفسير، وتلك الآيات فصيحة لا محالة، وهذا بخلاف ما ذكرته.

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ٤٦/١

قلت: لأن الآيات التي تستنبط وتحتاج إلى تفسير ليس شيء منها إلا ومفردات ألفاظه كلها ظاهرة واضحة؛ وإنما التفسير يقع في غموض المعنى من جهة التركيب، لا من جهة ألفاظه المفردة، لأن معنى المفردة يتداخل بالتركيب، ويصير له هيئة تخصه، وهذا ليس قدحا في فصاحة تلك الألفاظ؛ لأنها إذا اعتبرت لفظة لفظة وجدت كلها فصيحة: أي ظاهرة واضحة.." (١)

"إلا في **اللفظ والمعنى** بشرط التركيب؛ فإن اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة، ويطلق عليها اسم الفصاحة؛ إذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة، وهو الحسن. وأما وصف البلاغة فلا يوجد فيها؛ لخلوها من المعنى المفيد الذي ينتظم كلاما.

مسألة تتعلق بهذا الفصل:

هل أخذ علم البيان من ضروب الفصاحة والبلاغة بالاستقراء من أشعار العرب أم بالنظر وقضية العقل؟.

الجواب عن ذلك أنا نقول؛ لم يؤخذ علم البيان بالاستقراء، فإن العرب الذين ألفوا الشعر والخطب لا يخلو أمرهم من حالين: إما أنهم ابتدعوا ما أتوا به من ضروب الفصاحة والبلاغة بالنظر وقضية العقل، أو أخذوه بالاستقراء ممن كان قبلهم.

فإن كانوا ابتدعوه عند وقوفهم على أسرار اللغة، ومعرفة جيدها من رديئها، وحسنها من قبيحها، فذلك هو الذي أذهب إليه.

وإن كانوا أخذوه بالاستقراء ممن كان قبلهم، فهذا يتسلسل إلى أول من ابتدعه ولم يستقره، فإن كل لغة من اللغات لا تخلو من وصفي الفصاحة والبلاغة المختصين بالألفاظ والمعاني، إلا أن للغة العربية مزية على غيرها؛ لما فيها من التوسعات التي لا توجد في لغة أخرى سواها.

مسألة أخرى تتعلق بهذا الفصل أيضا:

هل علم البيان من الفصاحة والبلاغة جار مجرى علم النحو أم لا؟.

الجواب عن ذلك أنا نقول: الفرق بينهما ظاهر، وذاك أن أقسام النحو أخذت من واضعها بالتقليد، حتى لو عكس القضية فيها لجاز له ذلك، ولما كان العقل يأباه ولا ينكره؛ فإنه لو جعل الفاعل منصوبا والمفعول مرفوعا قلد في ذلك كما قلد في رفع الفاعل ونصب المفعول؛ وأما علم البيان من الفصاحة والبلاغة فليس كذلك؛ لأنه استنبط بالنظر وقضية العقل، من غير واضح اللغة، ولم يفتقر فيه إلى التوقيف." (٢)

"المعنى، وهذا البيت المشار إليه هو اتفاق **اللفظ والمعنى** معا، وهذا مما ينبغي أن ينبه عليه ليعرف.

ومن علماء البيان من جعل له اسما سماه به، وهو الترديد: أي أن اللفظة الواحدة رددت فيه.

وحيث نبهت عليه ههنا فلا أحتاج أن أعقد له بابا أفرده بالذكر فيه.

وأما الأقسام الستة المشبهة بالتجنيس؛ فالقسم الأول منها: أن تكون الحروف متساوية في تركيبها مختلفة في وزنها، فمما

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ٨٢/١

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ٨٥/١

جاء من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم كما حسنت خلقي حسن خلقي» ألا ترى أن هاتين اللفظتين متساويتان في التركيب، مختلفتان في الوزن؛ لأن تركيب الخلق والخلق من ثلاثة أحرف، وهي الخاء واللام والقاف، إلا أنهما قد اختلفا في الوزن، إذ وزن الخلق فعل بفتح الفاء، ووزن الخلق فعل بضم الفاء.

ومن هذا القسم قول بعضهم: «لا تنال غرز المعالي إلا بركوب الغرر واهتبال الغرر» .

وقال البحتري «١» :

وفر الحائن المغرور يرجو ... أمانا أي ساعة ما أمان «٢»

يهاب الإلتفات وقد تهيا ... للحظة طرفه طرف السنان «٣»

وكذلك ورد قول الآخر:

قد ذبت بين حشاشة وذماء ... ما بين حر هوى وحر هواء." (١)

"أن تكون كلم من الجرح: أي جرح، ولها ثلاثي وهو كلم مخففا: أي جرح؛ فإذا وردت مخففة دلت على الجراحة مرة واحدة، وإذا وردت مثقلة دلت على التكثير.

وكذلك ورد قوله تعالى: ورتل القرآن ترتيلا

فإن لفظة «رتل» على وزن لفظة قتل، ومع هذا ليست دالة على كثرة القراءة، وإنما المراد بها أن تكون القراءة على هيئة التأني والتدبر، وسبب ذلك أن هذه اللفظة لا ثلاثي لها حتى تنقل عنه إلى رباعي، وإنما هي رباعية موضوعة لهذه الهيئة المخصوصة من القراءة؛ وعلى هذا فلا يستقيم معنى الكثرة والقوة في **اللفظ والمعنى** إلا بالنقل من وزن إلى وزن أعلى منه، فاعرف ذلك.

ومن ههنا شذ الصواب عمن شذ عنه في عالم وعليم؛ فإن جمهور علماء العربية يذهبون إلى أن عليما أبلغ في معنى العلم من عالم، وقد تأملت ذلك وأنعمت نظري فيه، فحصل عندي شك في الذي ذهبوا إليه، والذي أوجب ذلك الشك هو أن عالما وعليما على عدة واحدة؛ إذ كل منهما أربعة أحرف، وليس بينهما زيادة ينقل فيها الأدنى إلى الأعلى، والذي يوجبه النظر أن يكون الأمر على عكس ما ذكروه، وذاك أن يكون عالم أبلغ من عليم، وسببه أن عالما اسم فاعل من علم، وهو متعد، وأن عليما اسم فاعل من علم، إلا أنه أشبه وزن الفعل القاصر، نحو شرف فهو شريف، وكرم فهو كريم، وعظم فهو عظيم؛ فهذا الوزن لا يكون إلا في الفعل القاصر؛ فلما أشبهه عليم انحط عن رتبة عالم الذي هو متعد؛ ألا ترى أن فعل- بفتح الفاء وكسر العين- يكون متعديا نحو علم وحمد، ويكون قاصرا غير متعد نحو عضب وشبع، وأما فعل- بفتح الفاء وضم العين- فإنه لا يكون إلا قاصرا غير متعد، ولما كان فعل- بفتح الفاء وكسر العين- مترددا بين المتعدي والقاصر، وكان فعل- بفتح الفاء وضم العين- قاصرا غير متعد؛ صار القاصر أضعف مما يدور بين المتعدي والقاصر، وحيث كان الأمر كذلك، وأشبه وزن المتعدي وزن القاصر؛ حط ذلك من درجته، وجعله في الرتبة دون المتعدي الذي ليس بقاصر،

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ٢٤٨/١

هذا هو الذي أوجب لي التشكيك فيما ذهب إليه غيري من علماء العربية، ولربما كان ما ذهبوا إليه لأمر خفي عني ولم أطلع عليه.." (١)

"النوع السابع عشر في التكرير

قد تقدم الكلام في صدر كتابي هذا على تكرار الحروف، وما [أشبه] ذلك مما يختلط بهذا النوع الذي هو تكرار المعاني والألفاظ.

واعلم أن هذا النوع من مقاتل على البيان، وهو دقيق المأخذ.

وحده هو: دلالة اللفظ على المعنى مرددا، وربما اشتبه على أكثر الناس بالإطناب مرة، وبالتطويل أخرى، وقد تقدم الكلام على الفرق بين هذه الأنواع الثلاثة في باب الإطناب، فلا حاجة إلى إعادته ههنا، وأما التكرير فقد عرفته.

وهو ينقسم قسمين: أحدهما يوجد في **اللفظ والمعنى**، والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ.

فأما الذي يوجد في **اللفظ والمعنى** فكقولك لمن تستدعيه أسرع أسرع، ومنه قول أبي الطيب المتنبي «١» .

ولم أر مثل جيراني ومثلي ... لمثلي عند مثلهم مقام

وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ فكقولك: أطعني ولا تعصني، فإن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية.

وكل من هذين القسمين ينقسم إلى مفيد وغير مفيد، ولا أعني بالمفيد ههنا ما يعنيه النحاة، فإنه عندهم عبارة عن اللفظ المركب؛ إما من الاسم مع الاسم، بشرط أن يكون للأول بالثاني علاقة معنى يسع مكلفا جهله، وإما من الاسم مع." (٢)

"الفعل التام المتصرف، على هذا الشرط أيضا، وإما من حرف النداء مع الاسم؛ فهذا هو المفيد عند النحاة، وأنا لم أقصد ذلك ههنا، بل مقصودي من المفيد أن يأتي لمعنى، وغير المفيد أن يأتي لغير معنى.

واعلم أن المفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيدا له، وتشييدا من أمره، وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك؛ إما مبالغة في مدحه أو في ذمه، أو غير ذلك، ولا يأتي إلا في أحد طرفي الشيء المقصود بالذكر، والوسط عار منه؛ لأن أحد الطرفين هو المقصود بالمبالغة إما بمدح أو ذم أو غيرهما، والوسط ليس من شرط المبالغة؛ وغير المفيد لا يأتي في الكلام إلا عيا وخطلا من غير حاجة إليه.

فأما الأول- وهو الذي يوجد في **اللفظ والمعنى-**

فإنه ينقسم الى ضربين:

مفيد، وغير مفيد.

فالأول المفيد وهو فرعان:

الأول: إذا كان التكرير في **اللفظ والمعنى** يدل على معنى واحد، والمقصود به غرضان مختلفان،

كقوله تعالى: وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ٢/ ٦٠

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ٢/ ١٤٦

بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون

هذا تكرير في **اللفظ والمعنى**، وهو قوله: يحق الحق

وليحق الحق

، إنما جيء به ههنا لاختلاف المراد، وذاك أن الأول تمييز بين الإرادتين، والثاني بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها، وأنه ما نصرهم وخذل أولئك إلا لهذا الغرض.

ومن هذا الباب قوله تعالى: قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين. قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم.

قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه

فكرر قوله تعالى: قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين

وقوله: قل الله أعبد مخلصا له ديني

والمراد به غرضان مختلفان، وذلك أن الأول إخبار بأنه مأمور من جهة الله بالعبادة." (١)

"على وجه التوكيد والتخصيص المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأبلغه.

وهذا باب من تكرير **اللفظ والمعنى** حسن غامض، وبه تعريف موقع التكرير، والفرق بينه وبين غيره؛ فافهمه إن شاء الله تعالى.

الفرع الثاني من الضرب الأول:

إذا كان التكرير في **اللفظ والمعنى** يدل على معنى واحد، والمراد به غرض واحد؛ كقوله تعالى: فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر

والتكرير دلالة [على] التعجب من تقديره وإصابته الغرض، وهذا كما يقال:

قتله الله ما أشجعه! أو ما أشعره! وعليه ورد قوله الشاعر:

ألا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي «١»

وهذا مبالغة في الدعاء لها بالسلامة، وكل هذا يجاء به لتقرير المعنى المراد وإثباته.

وعليه ورد الحديث النبوي؛ وذاك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم عليا فلا آذن ثم لا آذن إلا أن يطلق علي ابنتي وينكح ابنتهم» فقوله: «لا آذن ثم لا آذن» من التكرير الذي هو أشد موقعا من الإيجاز؛ لانصباب العناية إلى تأكيد القول في منع علي رضي الله عنه من التزوج بابنة أبي جهل بن هشام.

وهذا مثل قوله تعالى: أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى

ومن أجل ذلك نقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ لأن قولنا: «لا إله إلا الله» مثل قولنا:

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ١٤٧/٢

«وحده لا شريك له» وهما في المعنى سواء، وإنما كررنا القول فيه لتقرير المعنى وإثباته، وذاك لأن من الناس من يخالف فيه كالنصارى والثنوية، والتكرير في مثل هذا المقام أبلغ من الإيجاز، وأحسن، وأسد موقعا.

ومما جاء في مثل هذا قوله تعالى: الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا." (١)

"قال إني رأيت

ثم طال الفصل كان الأحسن أن يعيد لفظ الرؤية فيقول رأيتهم لي ساجدين.

وكذلك جاءت الآية المذكورة ههنا قبل هذه، وهي قوله تعالى: لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا

فإنه لما طال الفصل أعاد قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب

فاعلم ذلك، وضع يدك عليه.

وكذلك الآية التي قبلها، وهي قوله تعالى: ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة.

وكذلك الآية الأخرى، وهي: ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا.

ومن باب التكرير في **اللفظ والمعنى** الدال على معنى واحد قوله عز وجل:

وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد. يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار

؛ فإنه إنما كرر نداء قومه ههنا لزيادة التنبيه لهم والإيقاظ عن سنة الغفلة، ولأنهم قومه وعشيرته، وهم فيما يوبقهم من الضلال، وهو يعلم وجه خلاصهم، ونصيحتهم عليه واجبة؛ فهو يتحزن لهم، ويتلطف بهم، ويستدعي بذلك ألا يتهموه؛ فإن سرورهم سروره، وغمهم غمه، وأن ينزلوا على نصيحته لهم، وهذا من التكرير الذي هو أبلغ من الإيجاز وأسد موقعا من الاختصار؛ فاعرفه إن شاء الله تعالى.

وعلى نحو منه جاء قوله تعالى في سورة القمر: فذوقوا عذابي ونذر. ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر

فإنه قد تكرر ذلك في السورة كثيرا، وفائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادكارا وإيقاظا، وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث إليه، وأن تقرع لهم العصا مرات لئلا يغلبهم السهو وتستولي عليهم الغفلة.

وهكذا حكم التكرير في قوله تعالى في سورة الرحمن: فبأي آلاء ربكما تكذبان*

وذلك عند كل نعمة عددها على عباده.." (٢)

"وكذا كل أخي حذلقة ... ما مشى في يابس إلا زلق

فترى أحدهم قد جمع نفسه وظن على جهله أنه عالم، فيسرع في وصف كلام بالإيجاز وكلام بالتطويل أو بالتكرير، وإذا طولب بأن يبدي سببا لما ذكره لم يوجد عنده من القول شيء إلا تحكما محضا صادرا عن جهل محض.

الضرب الثاني من التكرير في **اللفظ والمعنى**، وهو غير المفيد؛ فمن ذلك قول مروان الأصغر:

سقى الله نجدا والسلام على نجد ... ويا حبذا نجد على النأي والبعد

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ٢/١٥٠

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ٢/١٥٦

نظرت إلى نجد وبغداد دونها ... لعلي أرى نجدا وهيهات من نجد

وهذا من العي الضعيف، فإنه كرر ذكر نجد في البيت الأول ثلاثا، وفي البيت الثاني ثلاثا، ومراده في الأول الثناء على نجد، وفي الثاني أنه تلفت إليها ناظرا من بغداد، وذلك مرمى بعيد، وهذا المعنى لا يحتاج إلى مثل هذا التكرير؛ أما البيت الأول فيحمل على الجائز من التكرير؛ لأنه مقام تشوق وتحرق وموجدة بفراق نجد، ولما كان كذلك أجيز فيه التكرير، على أنه قد كان يمكنه أن يصوغ هذا المعنى الوارد في البيتين معا من غير أن يأتي بهذا التكرير المتتابع ست مرات.

وعلى هذا الأسلوب ورد قول أبي نواس:

أقمنا بها يوما ويوما وثالثا ... ويوما له يوم الترحل خامس

ومراده من ذلك أنهم أقاموا بها أربعة أيام، ويا عجبا له يأتي بمثل هذا البيت السخيف الدال على العي الفاحش في ضمن تلك الأبيات «١» العجيبة الحسن التي تقدم ذكرها في باب الإيجاز، وهي:

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا." (١)

"وإن الذي بيني وبين بني أبي ... بين بني عمي لمختلف جدا

إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم ... وإن هم هووا غي هويت لهم رشدا

فهذا من الخاص والعام؛ فإن كل لحم يؤكل للإنسان فهو تضييع لغيبه، وليس كل تضييع لغيبه أكلا للحمه، ألا ترى أن أكل اللحم هو كناية عن الاغتياب، وأما تضييع الغيب فمنه الاغتياب ومنه التخلي عن النصرة والإعانة ومنه إهمال السعي في كل ما يعود بالنفع كائنا ما كان، وعلى هذا فإن هذين البيتين من الخاص والعام المشار إليه في الآية المقدم ذكرها، وهو موضع يرد في الكلام البليغ ويظن أنه لا فائدة فيه.

الفرع الثاني:

إذا كان التكرير في المعنى يدل على معنى واحد لا غير، وقد سبق مثال ذلك في أول هذا الباب، كقولك: أطعني ولا تعصني؛ فإن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية، والفائدة في ذلك تثبيت الطاعة في نفس المخاطب.

والكلام في هذا الموضع كالكلام في الموضع الذي قبله من تكرير **اللفظ والمعنى** إذا كان الغرض به شيئا واحدا، ولا نجد شيئا من ذلك يأتي في الكلام إلا لتأكيد الغرض المقصود به؛ كقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم

فإنه إنما كرر العفو والصفح والمغفرة، والجميع بمعنى واحد؛ للزيادة في تحسين عفو الوالد عن ولده والزوج عن زوجته، وهذا وأمثاله ينظر في الغرض المقصود به، وهو موضع يكون التكرير فيه أوجز من لمحة الإيجاز وأولى بالاستعمال.

وقد ورد في القرآن الكريم كثيرا، كقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام:

إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ٢/١٥٩

فإن البث والحزن بمعنى واحد، وإنما ههنا لشدة الخطب النازل به، وتكاثر سهامه النافذة في قلبه، وهذا المعنى كالذي قبله.

وكذلك ورد قوله تعالى: تلك عشرة كاملة

بعد ثلاثة وسبعة تنوب مناب قوله ثلاثة وسبعة مرتين لأن عشرة هي ثلاثة وسبعة، ثم قال (كاملة) وذلك توكيد." (١)

"نزلت على آل المهلب شاتيا ... بعيدا عن الأوطان في زمن المحل «١»

فما زال بي إكرامهم وافتقادهم ... وإحسانهم حتى حسبتهم أهلي «٢»

فإن الإكرام والافتقاد داخلان تحت الإحسان، وإنما كرر ذلك للتنويه بذكر الصنيع، والإيجاب لحقه.

وعلى هذا ورد قول الأعشى في قصيدته المشهورة التي يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال منها «٣» :

فآليت لا أرثي لها من كلالة ... ولا من وجى حتى تلاقي محمدا

فإن الوجى والكلالة معناهما سواء، وإنما حسن تكريره ههنا للإشعار ببعد المسافة.

الضرب الثاني من القسم الثاني:

في تكرير المعنى دون اللفظ، وهو غير المفيد؛ فمن ذلك قول أبي تمام «٤» :

قسم الزمان ربوعها بين الصبا ... وقبولها ودبورها أثلاثا

فإن الصبا هي القبول، وليس ذلك مثل التكرير في قوله تعالى: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى

فيما يرجع إلى تكرير **اللفظ والمعنى**، ولا مثل التكرير في قوله تعالى: ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف

فيما يرجع إلى تكرير المعنى دون اللفظ، وقول أبي تمام الصبا والقبول لا يشتمل إلا على معنى واحد لا غير.

وهذا الضرب من التكرير قد خبط فيه علماء البيان خبطا كثيرا، والأكثر منهم." (٢)

"وأما غيره من أرباب هذه الصناعة فإنهم سموا هذا الضرب من الكلام مطابقا لغير اشتقاق ولا مناسبة بينه وبين مسماه، هذا الظاهر لنا من هذا القول، إلا أن يكونوا قد علموا لذلك مناسبة لطيفة لم نعلمها نحن.

ولنرجع إلى ذكر هذا القسم من التأليف وإيضاح حقيقته؛ فنقول:

الأليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلة؛ لأنه لا يخلو الحال فيه من وجهين: إما أن يقابل الشيء بضده، أو يقابل بما ليس بضده، وليس لنا وجه ثالث.

فأما الأول- وهو مقابلة الشيء بضده،

كالسواد والبياض، وما جرى مجراهما- فإنه ينقسم قسمين: أحدهما مقابلة في **اللفظ والمعنى**، والآخر مقابلة في المعنى دون اللفظ.

أما المقابلة في **اللفظ والمعنى** فكقوله تعالى: فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا

؛ فقابل بين الضحك والبكاء والقليل والكثير، وكذلك قوله تعالى: لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ٢/١٦٢

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ٢/١٦٦

؛ وهذا من أحسن ما يجيء في هذا الباب، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير المال عين ساهرة لعين نائمة» .
ومن الحسن المطبوع الذي ليس بمتكلف قول علي رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه: إن الحق ثقيل مرىء والباطل خفيف وبيء، وأنت رجل إن صدقت سخطت، وإن كذبت رضيت؛ فقابل الحق بالباطل، والثقيل المريء بالخفيف الوبيء، والصدق بالكذب، والسخط بالرضا. وهذه خمس مقابلات في هذه الكلمات القصار.
وكذلك ورد قوله رضي الله عنه لما قال الخوارج: لا حكم إلا لله تعالى: هذه كلمة حق أريد بها باطل.
وقال الحجاج بن يوسف لسعيد بن جبير رضي الله عنه وقد أحضره بين يديه ليقتله، فقال له: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير، قال: بل أنت شقي بن كسير،." (١)

"تشكو المحب وتلفى الدهر شاكية ... كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان «١»

فإن علماء البيان يزعمون أن هذا المعنى مبتدع لابن الرومي، وليس كذلك، ولكنه مأخوذ من المثل المضروب، وهو قولهم: يلدغ ويصي، ويضرب ذلك لمن يبتديء بالأذى ثم يشكو، وإنما ابن الرومي قد ابتدع معاني أخر غير ما ذكرته، وليس الغرض أن يؤتى على جميع ما جاء به هو ولا غيره من المعاني المبتدعة، بل الغرض أن يبين المعنى المبتدع من غيره.
والذي عندي في السرقات أنه متى أورد الآخر شيئا من ألفاظ الأول في معنى من المعاني، ولو لفظة واحدة؛ فإن ذلك من أدل الدليل على سرقته.
واعلم أن علماء البيان قد تكلموا في السرقات الشعرية فأكثروا، وكنت ألفت فيه كتابا، وقسمته ثلاثة أقسام: نسخا، وسلخا، ومسخا.
أما النسخ فهو: أخذ **اللفظ والمعنى** برمته، من غير زيادة عليه، مأخوذا ذلك من نسخ الكتاب.
أما السلخ فهو: أخذ بعض المعنى، مأخوذا ذلك من سلخ الجلد الذي هو بعض الجسم المسلوخ.
وأما المسخ فهو: إحالة المعنى إلى ما دونه، مأخوذا ذلك من مسخ الآدميين قردة.
وههنا قسمان آخرن أخللت بذكرهما في الكتاب الذي ألفته؛ فأحدهما: أخذ المعنى مع الزيادة عليه، والآخر عكس المعنى إلى ضده؛ وهذان القسمان ليسا بنسخ ولا سلخ ولا مسخ.." (٢)
"وجودها، ولو لم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرها، فإنها هي التي ألبسته لباس الملام، وجعلت عرضه شارة لسهام الأقوام.
ولسائل ههنا أن يسأل ويقول: لم عدلت إلى شعر هؤلاء الثلاثة دون غيرهم؟
فأقول: إني لم أعدل إليهم اتفاقا، وإنما عدلت إليهم نظرا واجتهادا، وذلك أني وقفت على أشعار الشعراء قديمها وحديثها حتى لم أترك ديوانا لشاعر مفلق يثبت شعره على المحل إلا وعرضته على نظري، فلم أجد أجمع من ديوان أبي تمام وأبي الطيب للمعاني الدقيقة، ولا أكثر استخراجا منهما للطيف الأغراض والمقاصد، ولم أجد أحسن تهذيبا للألفاظ من أبي

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ٢/٢٦٥
(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ٢/٣٤٥

عبادة، ولا أنقش ديباجة، ولا أبهج سبكا، فاخترت حينئذ دواوينهم، لاشتمالها على محاسن الطرفين من المعاني والألفاظ، ولما حفظتها ألغيت ما سواها مع ما بقي على خاطري من غيرها.

وقد أوردت في هذا الموضع من السرقات الشعرية ما لم يورده غيري، ونبهت على غوامض منها.

وكنت قدمت القول أني قسمتها ألى خمسة أقسام؛ منها الثلاثة الأول، وهي:

النسخ، والسلخ، والمسخ، ومنها القسمان الآخران، وها أنا أبين ما تنقسم إليه هذه الأقسام من تشعبها وتفريعها؛ فأقول:

فأما النسخ

فإنه لا يكون إلا في أخذ **المعنى واللفظ** جميعا، أو في أخذ المعنى وأكثر اللفظ؛ لأنه مأخوذ من نسخ الكتاب، وعلى ذلك فإنه ضربان:

الأول: يسمى وقوع الحافر على الحافر،

كقول امريء القيس «١» :

وقوفا بها صحبي علي مطيهم ... يقولون لا تهلك أسى وتحمل

وكقول طرفة «٢» :." (١)

"وضفته أضيفه ضيفا وضيافة: إذا نزلت عليه ضيفا. وكذلك ضافه الهم: أي نزل به، قال الراعي:

أخليد إن أباك ضاف وساده ... همان باتا جنبة ودخيلا

والضيف: فرس كان لبني تغلب من نسل الحرون، قال مقاتل بن حني:

مقابل للضيف والحرون ... محض وليس المحض كالهجين

والضيف: من أعلام الأناسي أيضا.

وأبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن ضيفون الرصافي - من رصافة قرطبة -: روى عن أبي سعيد بن الأعرابي وغيره.

والمضيفة - بفتح الميم - والمضيفة - بضمها -: الهم والحاجة، وينشد قول أبي جندب الهذلي:

وكنت إذا جاري دعا لمضيفة ... أشمر حتى ينصف الساق مئزري

بالوجهين، ويروى: " لمضوفة " وهي الرواية المشهورة، والباقيتان عن أبي سعيد.

والضيفن: الذي يجئ مع الضيف، والنون زائدة، ووزنه فعلن وليس بفيعل، قال:

إذا جاء ضيف جاء للضيف ضيفن ... فأودى بما تقرى الضيوف الضيافن

وضاف السهم عن الهدف وصاف: أي عدل.

وضافت الشمس للغروب: مالت له.

والضيف - بالكسر -: الجنب.

وأضفت الشيء إلى الشيء: أي أملته إليه، قال أمرؤ القيس:

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ٢/٣٥٠

فلما دخلناه أضفنا ظهورنا ... إلى كل حاري جديد مشطب

وأضفت من الأمر: أي أشفقت وحذرت، قال النابغة الجعدي رضي الله عنه:

أقامت ثلاثا بين يوم وليلة ... وكان النكير أن تضيف وتجأرا

وإنما غلب التأنيث لأنه لم يذكر الأيام، يقال: أقمت عنده ثلاثة أيام، فإذا قالوا: أقمنا عنده ثلاثا ما بين يوم وليلة غلبوا التأنيث.

وأضفته إلى كذا: أي ألجأته إليه، ومنه المضاف في الحرب: وهو الذي أحيط به، قال طرفة بن العبد:

وكري إذا نادى المضاف محنبا ... كسيد الغضا نبهته المتورد

والمضاف – أيضا –: الملزق بالقوم.

وقال ابن عباد: أضاف الرجل: عدا وأسرع. والمضيف: الفأر.

وقال العزيزي: أضاف على الشيء: أي أشرف عليه.

وإضافة الاسم إلى الاسم على ضربين: معنوية ولفظية. فالمعنوية ما أفاد تعريفا كقولك: دار عمرو؛ أو تخصيصا كقولك: غلام رجل، ولا تخلو في الأمر العام من أن تكون بمعنى اللام كقولك مال زيد وأرضه وأبوه وابنه وسيده وعبده؛ أو بمعنى " من "كقولك: خاتم فضة وسوار ذهب وباب ساج. واللفظية أن تضاف الصفة إلى مفعولها في قولك: هو ضارب زيد وراكب فرس؛ بمعنى ضارب زيد وراكب فرسا، أو إلى فاعلها كقولك: زيد حسن الوجه ومعمور الدار؛ وهند جائلة الوشاح؛ بمعنى حسن وجهه ومعمورة داره وجائل وشاحها. ولا تفيد إلا تخفيفا في **اللفظ والمعنى** كما هو قبل الإضافة. ولاستواء الحالين وصفت النكرة بهذه الصفة مضافة كما وصفت بها مفصولة في قولك: مررت برجل حسن الوجه وبرجل ضارب أخيه. ولما كان الغرض من الإضافة التعريف والتخصيص لم يجز أن يضاف الشيء إلى نفسه؛ لأنه لا يعرف نفسه، فلو عرفها لما احتيج إلى الإضافة.

وأضفته – أيضا: من الضيافة.

والمضاف: الدعي المسند إلى قوم ليس منهم.

والمضاف – أيضا –: الملجأ؛ ومنه حديث علي؟ رضي الله عنه – أن أبن الكواء وقيس بن عبادة؟ رضي اله عنه – جاءاه فقالا: أتيناك مضافين مثقلين. أي ملجأين، وقيل: خائفين.

وضيفت الرجل تضييفا: من الضيافة، كأضفته.

وضيفت الشمس للغروب: مالت له؛ كضافت، وكذلك تضيفت، ومنه قول عقبة بن عامر؟ رضي الله عنه –: ثلاث ساعات كان رسول الله؟ صلى الله عليه وسلم – ينهانا أن نصلي فيها وأن نقبر فيها موتانا: إذا طلعت الشمس حتى ترتفع وإذا تضيفت للغروب ونصف النهار.

وتضيفته: مثل ضفته أي كنت ضيفه، ومنه قول الفرزدق:

وجدت الثرى فينا إذا يبس الثرى ... ومن هو يرجو فضله المتضيف

وقال الأصمعي: تضايف الوادي: إذا تضايق، قال:

يتبعن عودا يشتكي الأظلا ... إذا تضايفن عليه انسلا

أي إذا صرن قريبا منه، والقاف فيه تصحيف.

وقال ابن عباد: المستضيف: المستغيث.." (١)

"قفا نبك من ذكري حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فرأى أن ابتداء امرئ القيس على تقدمه وكثرة معاني ابتداءاته متفاوت القسمين جدا، لأن صدر البيت جمع بين عذوبة اللفظ وسهولة السبك، وكثرة المعاني بالنسبة إلى العجز ما لم يجمع العجز، فإن ألفاظ العجز غريبة بالنسبة إلى ألفاظ الصدر، والعجز أقل معان من الصدر بخلاف بيت النابغة، فإنه لا تفاوت بين قسميه البتة، فبيت امرئ القيس وإن كان أكثر معان من بيت النابغة، فبيت النابغة أفضل، من جهة ملاءمة ألفاظه، ومساواة قسمية، ومثل بيت النابغة قول زهير طويل:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله ... وعرى أفراس الصبا ورواحله

فإن قسمي هذا البيت متلائمان، فإن لفظ كل واحد منهما متوسط بين الغرابة والابتذال، وفي كل قسم منهما استعارتان، فقد تساويا في اللفظ والمعنى كبيت النابغة، وهذا من قول امرئ القيس طويل:

خليلي مرا بي على أم جندب ... نقضي لبانات الفؤاد المعذب

وإنما عظم ابتداء معلقة امرئ القيس في النفوس الاقتصار على سماع صدر البيت، فإنه يشغل الفكر بحسنه عن النظر في ملاءمة عجزه أو عدم ملاءمته، وهو الذي قيل عند سماعه للمنشد: حسبك، فإن قائل هذا الكلام أشعر الناس، لأنه وقف واستوقف، وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في شطر بيت ولم يستنشد العجز منه شغلا بحسن." (٢)

"المناسبة أن يقول في العجز وأوفاهم، لا سيما وهي تعطي المعنى الذي يكمل به المدح، وقال: إذا عقدوا يمينا يريد الحالة التي هي أشد أحوال الحالف، فإنه لو قال: إذا حلفوا لم يعط من المعنى البليغ ما يعطيه عقدوا إذ الحالف قد يحلف لغوا، وتعقيد اليمين يدل على النية والتصميم، قال الله سبحانه: " لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان " فقد اقتضى صدر هذا البيت من جهة اللفظ والمعنى أن يكون تمامه ما ذكره والله أعلم.

ومن أمثلة هذا الباب للمحدثين قول البحتري، وهو مما جاءت دلالته لفظية أيضا طويل:

فليس الذي حللته بمحلل ... وليس الذي حرمته بحرام

وكقول الآخر خفيف:

من غصون كأنهن قدود ... وقدود كأنهن غصون

وهذا البيت لا يصلح أن يكون شاهدا للتسهيم، لكون أوله لا يقتضي آخره لأنه لو قال:

من غصون كأنهن قدود ... ذات نور مثل الثغور العذاب

---

(١) العباب الزاخر الصغاني ٤٦١/١

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ابن أبي الأصبع ص/١٦٩

أو ذات ورد كأنه الوجنات، حسن أن يكون تماما له، ومتى كان التقدير كذلك انخرم ضابط التسهيم، وإنما ذكرته سهوا كما سها من ذكره قبلي ثم فطنت لذلك بعد إثباته.." (١)

"هذا البيت فيه عدة وجوه: منها التلميع وهو الضاربين والمانعين، ومنها تجنيس اللفظ وهو البيض والبيض، وتجنيس المعنى وهو البيض يعني النساء، والأسياف جمع سيف في القلة، والأسياف البيض. فكأنه أراد أن يقول: والمانعين البيض بالبيض فلم يستو له فقال: والمانعين البيض بالأسياف. ومنه:

المجنس المطمع

وهو أن يأتي الشاعر بكلمة ثم يبدأ في أختها على وفق حروفها فيطمع في أنه يجيء بمثلها فيبدل في آخرها حرفا بحرف، وهو حسن في التجنيس. قال الحطيئة:

مطاعين في الهيجا مطاعيم في الدجى ... بنى لهم آباؤهم وبنى الجد

وقال مزرد:

تراوح سلمى دارها كل رعلة ... غرابيب كالهند الحوافي الحوافد

وقال أبو كدراء العجلي:

نهضت الى حديد مشرفي ... حديث الصقل مأثور حسام

وقال الخطيم المحرزي:

ليالي شهر ما أعرس ساعة ... وأيام شهر ما أعرج دائب

أطمع أنه يجنس أعرس فقال أعرج فأبدل الجيم من السين. فاللفظ تجنيس ممطمع، والمعنى تطبيق، لأن التعريس في آخر الليل والتعريج في آخر النهار. وقال أبو بكر بن حنظلة العنزي:

مفيد مفيت ما تجيء دراهمي ... إذا جئن إلا عابرات سبيل

هذا مجنس مطمع مطابق **المعنى واللفظ**، وذلك أن المفيد الجامع والمفيت المفرق، ومنه:

التجنيس المبذل

وهو قريب من المطمع. قال الزبرقان بن بدر:

فرسان صدق في الصباح إذا ... كثر الصياح ولج في النفر

أبدل الياء من الباء. وقال علقمة بن عبدة:

أطعت المشاة والوشاة بصرمها ... فقد وهنت أسبابها للتقضب

أبدل الواو من الميم. وقال العديل:

أخا شقة قد شفه دلج السرى ... يبيت يروم الهم كل مرام

أبدل الفاء من القاف. وقال خفاف بن ندبة:

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ابن أبي الأصبع ص/٢٦٦

بالضابط الضابع تقريبه ... إذ ونت الخيل وذو الشاهد

أبدل العين من الطاء. وقال جواس بن القعطل:

شهدت لها وغاب أبو بريد ... مجالس لو رآها الشيخ غارا

غاب وغار أبدل الراء من الباء. وقال عمرو بن شأس:

نحن الذين لحلمنا فضل ... قدما وعند خطيبنا فصل

أبدل الصاد من الضاد. وقال عمران بن حطان:

إن تقده تقد شديدا سديدا ... فهو يمشي كمشية المختال

أبدل السين من الشين. وقال كعب بن جعيل:

فتسمح لي بالدمع حزنا لذكره ... وتسفح منه لا بكيئا ولا نزرا

أبدل الفاء من الميم. وقال أبو حية النميري:

وكأنما جعلت لهن روادفا ... كثب رواجف من سماء جراد

جراد اسم رملة. أبدل الجيم في رواجف من الدال في روادف.

وقال المليح الهذلي:

أفي أربع فيهن للريح مدرج ... ومغدى على معروفهن ومدلج

أبدل اللام في مدلج من الراء في مدرج. وقال معن بن أوس:

وقد قلت إذ قامت وقالت فأعرضت ... تجر قشيبا من حبير ومجسدا

أبدل اللام في قالت من الميم في قامت.

والشعر في هذا الباب كثير وفيما نذكره من الأمثلة وفي غيره مقنع لمن أراد، إن شاء الله تعالى. ومنه:

المجنس المختلف

أنشدني اليزيدي:

بكروم وبدور وقنا ... تتثنى فوق كثبان النقا

قنا ونقا مجنس مختلف.

وقال الحارث بن خالد المخزومي:

وكلفت منهن الغدة بغادة ... ممكورة جدلت كجدل عنان

وقال أبو دهبل:

قد كان في آل موسى قبله جسد ... عجل إذا خار فيهم خورة سجدوا

وقال حميد بن ثور:

نضع الزيارة حيث لا يزري بنا ... شرف الملوك ولا يخيب الزور." (١)

"فزاد تشبيها هو من تمام المعنى، فتساويا؛ هذا بقدمته، وهذا بزيادته، ومثله كثير.

التاسع: المماثلة في الكلام حتى لا يفضل نظام على نظام. قال حسان بن ثابت:

يغشون حتى ما تهر كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبل

أخذه الحكمي فقال:

الى بيت حان لا تهر كلابه ... علي، ولا ينكرن طول ثوائي

لا فرق بين المعنيين ولا الكلامين فقد تماثلا.

العاشر: رجحان لفظ الآخذ على المأخوذ منه وتفضيل معناه على معنى أصدره عنه. قال النابغة:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه ... فتناولته واتقتنا باليد

أخذه أبو حية النميري فقال:

فألقت قناعا دونه الشمس واتقت ... بأحسن موصولين: كف ومعصم

فلم يزد النابغة على الإخبار باتقائها بيدها لما سقط نصيفها، فزاد عليه أبو حية بقوله: دونه الشمس، وخبر عن الاتقاء بأحسن خبر، من حسن كف وحسن معصم، فرجح كلامه وعلا نظامه.

وأما المذموم من السرقة فعشرة وجوه أيضا: الأول: نقل اللفظ القصير الى الطويل الكثير. قال الحكمي:

لا تسدين إلي عارفة ... حتى أقوم بشكر ما سلفا

أخذه دعبل فقال:

تركتك، لم أتركك كفرا لنعمة ... وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر

ولكنني لما رأيتك راغبا ... وأفرطت في بري عجزت عن الشكر

الشعر جيد **المعنى واللفظ**، ولكنه أتى به في تطويل وتضمين، فنقل القصير الى الطويل، وذلك مذموم في السرقة.

الثاني: نقل الرصين الجزل الى المستضعف الرذل. قال الأول:

ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت ... إن الكلاب طويلة الأعمار

ما زال ينبحني ليشرف جاهدا ... كالكلب ينبح كامل الأقمار

أخذه ابن طاهر فقال:

وقد قتلناك بالهجاء ... ولكنك كلب معقف ذنبه

فجمع بين قبح السرقة، وضعف العبارة، ولا وجه لذكر التعقيف في الذنب، لأنه غير دال على طول العمر، وهذا ظاهر ومثله كثير.

---

(١) نضرة الإغريض في نصرة القريض المظفر بن الفضل ص/١٤

الثالث: نقل ما حسن معناه ومبناه الى ما قبح مبناه ومعناه. قال الكندي:

ألم تر أني كلما جئت طارقا ... وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

أخذه بشار فقال:

وإذا أدنيت منها بصلا ... غلب المسك على ريح البصل

وهذا أنزل شعر في الرذالة، كما أن بيت الكندي أرفع بيت في الجودة والجزالة، وقد أخذ كثير المعنى، فطول وضمن وقصر، وزعم أنها إذا تبخرت كانت كالروضة في طيبها. ولا يعدم هذا في أسهك البشر جسما وأوضرهم حالا، وشعره معروف.

الرابع: عكس ما يصير بالعكس هجاء بعدما كان ثناء. قال حسان بن ثابت:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شم الأنوف من الطراز الأول

أخذه ابن أبي فنن فعكسه فقال:

سود الوجوه لئيمة أحسابهم ... فطس الأنوف من الطراز الآخر

الخامس: نقل ما حسنت أوزانه وقوافيه الى ما قبح وثقل على لسان راويه. قال الحكمي:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء ... وداوني بالتي كانت هي الداء

أخذه الطائي فقال:

قدك اتئب أربيت في الغلواء ... كم تعذلون وأنتم سجرائي

فالحكمي زجر عذوله زجرا لطيفا، أعلمه أن اللوم إغراء، وشغل عجز بيته بمعنى آخر، بكلام رطب، ومعنى عذب والطائي زجر عذوله بلفظ متعسف تصعب راويته، وتستكره قافيته.

السادس: حذف الشاعر من كلامه ما هو من تمامه. قال الكندي:

نظرت إليك بعين جازئة ... حوراء حانية على طفل

أخذه المسيب بن علس فقال:

نظرت إليك بعين جازئة ... في ظل فاردة من السدر." (١)

"هذا هو الممكن في التوارد، واتفاق الخواطر. وحكى القيرواني قال: ثم أمرنا للوقت أن نعمل فيه أيضا على حرف الذال فعملنا على القاعدة الأولى، فكان ما عملته أنا:

هل لك في موز إذا ... ذقناه قلنا حبذا

فيه شراب وغذا ... يريك كالماء القذا

لو مات من تلذذا ... به لقيل ذا بذا

وكان ما عمله ابن رشيق:

لله موز لذيذ ... يعيذه المستعيذ

---

(١) نضرة الإغريض في نصرة القريض المظفر بن الفضل ص/٣٦

فواكه وشراب ... به يفيق الوقيذ

يرى قذى العين فيه ... كما يريها النبيذ

الشعر ضعيف جدا، وما أردنا بإيراده إلا تمثيل الموارد كيف تكون، وفي هذا التمثيل كفاية.

٣١ – وأما النقد فإنه في الشعر يدل على فطنة العالم وضياء حسه وتوقد ذكائه. وللعلماء في ذلك أقوال حسنة وكلام مفيد، وهو كثير غزير، وإنما نذكر منه اليسير ونجعله دليلا على الكثير.

قيل: تنازع علقمة بن عبدة وامرؤ القيس في الشعر وأيهما أشعر من الآخر، فقال علقمة: قد رضيت بزوجتك أم جندب حكما بيني وبينك، فقالت أم جندب: قولا شعرا وصفا فيه فرسيكما على قافية واحدة وروي واحد. فقال امرؤ القيس:

خليلي مرا بي على أم جندب ... نقض لبانات الفؤاد المعذب

وقال علقمة:

ذهبت من الهجران في غير مذهب ... ولم يك حقا طول هذا التجنب

وأنشداها القصيدتين فقالت لامرئ القيس: علقمة أشعر منك، قال لها: وكيف ذاك؟ فقالت: لأنك قلت:

فللزجر ألهوب وللساق درة ... وللسوط منه وقع أخرج مهذب

الأخرج: الظليم وهو ذكر النعام، والأنثى خرجاء. والأخرج: الرماد، ومنه شبه، ومهذب أي مسرع في عدوه. قالت: فجهدت فرسك بزجرك ومريته فأتعبته بساقك وسوطك، وقال علقمة:

فأدركهن ثانيا من عنانه ... يمر كمر الرائح المتحلب

فأدرك فرسه ثانيا من عنانه ولم يضربه بسوط ولم يتعبه. فغضب عليها امرؤ القيس وطلقها، فتزوجها علقمة فسمي الفحل لميزته في باقي الشعراء كميزة الفحل على باقي الإبل.

وأنشد الأصمعي قول امرئ القيس:

رب رام من بني ثعل ... مخرج زنديه من ستره

فقال: أما علم أن الصائد أشد ختلا من أن يظهر شيئا منه! ثم قال: فكفيه، إن كان لابد، أصلح. فترك الرواة زنديه ورووا كفيه على ما فيه. وقيل: كان النابغة الذبياني تضرب له قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها. فأول من أنشده الأعشى ميمون بن قيس، ثم أنشده حسان بن ثابت الأنصاري قوله:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى ... وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرق ... فأكرم بنا خالا واكرم بنا ابنما

فقال له النابغة: أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيافك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك. هذا هو النقد الجليل الذي يدل عليه نقاء كلام النابغة. والمعنى أنه قال له: أقللت أسيافك، وأسياف جمع لأدنى العدد، والكثير سيوف، والجفنات لأدنى العدد، والكثير جفان. وقال: فخرت بمن ولدت؛ لأنه ترك الفخر بآبائه وفخر بمن ولد نساؤه. وقيل في رواية غير موثوق بها: إنه قال له: وقلت: لنا الجفنات الغر، والغرة لمعة بياض في الجفنة، ولو قلت: لنا الجفنات البيض، كان أحسن لكثرة الدسم عليها، ولو قلت: يلمعن بالدجى، لكان أبلغ، ولو قلت: وأسيافنا يجرين لكان أبلغ من يقطرن لأن الجري

أعظم من القطر. وأقول إن هذه الزيادة عليها اعتراض. والصحيح ما قاله النابغة أولا.

وذكر ابن عباد أبو القاسم رحمه الله تعالى ورضي عنه أن أبا الفضل بن العميد كان يتجاوز نقد الأبيات الى نقد الحروف والكلمات، ولا يرضى بتهذيب **المعنى واللفظ** حتى يطالب بتحبير القافية والوزن، وقال: أنشدت يوما بحضرته كلمة أبي تمام التي أولها:." (١)

"غلام فوق ما أصف ... كأن قوامه ألف

إذا ما مال يرعبني ... أخاف عليه ينقصف

ولما قال أبو الطيب:

دون التعانق ناحلين كشكلتي ... نصب أدقهما وضم الشاكل

عيب ذلك عليه لأنه خالف مذهب الشعراء فيه وجعل نفسه ومحبوبه في النحول سواء، والعادة أن يوصف العاشق بالنحول دون المعشوق، كقول ديك الجن:

كلانا غصن شطب ... فذا بال وذا رطب

إذا ما هبت الريح ... ومال المرط والإتب

أبانت منه ما طاب ... ومني ما برى الحب

وأما تشبيه نفسه وحبيبه بشكلتي نصب ولابد من خلل وافتراق بينهما، وعادة الشعراء في شدة الالتزام وتضايق العناق غير ذلك، كما قال ابن الجهم وابن المعتز وغيرهما، وقد استوفينا الكلام والإنشاد عليه في الرسالة العلوية، وبلغنا فيه الغاية. ونصب ناحلين على الحال كأنه قال: كم وقفة وقفنا دون التعانق ناحلين.

وينبغي للشاعر أن يحسن الاستعارة ويتجنب فيها المآخذ التي أنكرت على سواه، فالسعيد من وعظ بغيره، فمن ذلك قول أبي نواس:

لما بدا ثعلب الصدود لنا ... أرسلت كلب الوصال في طلبه

وقال أبو العذافر العمي:

باض الهوى في فؤادي ... وفرخ التذكار

وقال الآخر:

ضرام الحب عشش في فؤادي ... وحضن فوقه طير البعاد

وأنبذ للهوى في دن قلبي ... فعربدت الهموم على فؤادي

هذه استعارات كمن لبس ثياب حداد في عرس. وقال أبو تمام:

لا تسقني ماء الملام فإنني ... صب قد استعذبت ماء بكائي

ماء الملام من الاستعارات القبيحة. وقال أيضا:

---

(١) نضرة الإغريض في نصرة القريض المظفر بن الفضل ص/٣٩

لم تسق بعد الهوى ماء على ظمأ ... كماء كافية يسقيكه فهم

وقال أيضا:

فضربت الزمان في أخدعيه ... ضربة غادرته عودا ركوبا

ولأبي الطيب في هذا الباب أشعار تعد من العجب العجاب، منها قوله:

مسرة في قلوب الطيب مفرقها ... وحسرة في قلوب البيض واليلب

جعل للطيب والبيض واليلب قلوبا تسر وتتحسر. وقوله:

وقد ذقت حلواء البنين على الصبا ... فلا تحسبني قلت ما قلت عن جهل

وقوله:

فكأنه حسب الأسنة حلوة ... أو ظنها البرني والآزاذا

وقوله:

تستغرق الكف فوديه ومنكبه ... فتكتسي منه ريح الجورب العرق

وقوله:

خلوقية في خلوقيها ... سويداء من عنب الثعلب

وله من هذا أشعار كثيرة.

وقريب من هذه الأشعار حكاية أخبرني بها عبد الرحمن الدقاق بقراءتي عليه في سنة ثلاث عشرة وستمائة قال: أنبأني ابن خيرون عن الجوهري عن المرزباني قال: أخبرني الصولي قال: حدثني يموت بن المزرع قال: كان لمحمد بن الحسن الحصني ولد فقال له يوما: إني قد قلت شعرا، فقال الحصني: أنشدنيه يا بني لئلا يلعب بك شيطان الشعر، قال: فإن أجدت أتهب لي جارية أو غلاما؟ فقال: بل أجمعهما لك، فأنشده:

إن الديار بميفا ... هيجن حزنا قد عفا

أبكينني لشقاوتي ... وجعلن رأسي كالقفا

فقال الحصني: والله يا بني ما تستحق بهذا جارية ولا غلاما، ولكن أمك مني طالق ثلاثا إذا ولدت مثلك.

وينبغي للشاعر أن يتجنب الإغارة وقد قدمنا في أقسام السرقات المذمومة ذكرها وهي: ادعاء **اللفظ والمعنى** من غير أن يفكر الشاعر أن يتعنى، فما ذم شاعر في السرقات بأقبح منها، ومثال ذلك قال والبة بن الحباب:

يا شقيق النفس من أسد ... نمت عن ليلي ولم أكد

أخذه أبو نواس فقال:." (١)

"وإنما تكون متبعة"١. فمن يزعم أن الله هداه في هذا الفن إلى ابتداع أشياء لم يسبق بها، ورزقه فيها بلوغ درجة الاجتهاد التي يتبعها الناس، ولا تكون تابعة لأحد منهم، كيف يقول لا أدعي فيما ألفته فضيلة إلا وبلغتها؟.

---

(١) نضرة الإغريض في نصرة القريض المظفر بن الفضل ص/٨٦

٥- قال المصنف: "موضوع الحساب هو الأعداد من جهة ما يعرض لها من الضرب والقسمة ونحوهما، وموضوع الطب بدن الإنسان من جهة مايصح ويمرض، وموضوع النحو هو اللفظ من جهة الدلالة على المعنى من طريق الوضع اللغوي، وموضوع علم البيان هو **اللفظ والمعنى** من جهة الحسن والقبح. ثم قال: صاحب هذا العلم هو والنحوي يشتركان في النظر في دلالة الألفاظ على المعنى من جهة الوضع اللغوي، وتلك دلالة عامة، وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة، وهي دلالة خاصة"٢.

أقول أما موضوع علم النحو فغير ما ذكر، بل الذي ذكر موضوع علم اللغة؛ لأن اللغوي هو الذي ينظر في الألفاظ من حيث كانت دلالة بالوضع

---

١ المقدمة ١/ ٣٧.

٢ قال ابن الاثير: " ... وعلى هذا فموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة، وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية، وهو النحوي يشتركان في أن النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي، وتلك دلالة عامة وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة، وهي دلالة خاصة، والمراد بها أن تكون على هيئة مخصوصة من الحسن، وذلك أمر وراء النحو والإعراب، ألا ترى أن النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور، ويعلم مواقع إعرابه، ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة ١/ ٣٩.." (١)

"فجواب الشرط قد استوفاه في البيت الأول، فلا بد في البيت الثاني من تقدير لو دفعة ثانية، أي لو كنت منهم إذن لقام بنصري معشر خشن١.

أقول: إن هذه المسألة تنبني على أن العامل في البدل هو العامل في المبدل منه أم لا، فإن لم يثبت ذلك لم يصح هذا الكلام؛ لأنه جاز أن يكون قوله "إذن لقام بنصري" بدلا من قوله "لم تستبح إبلي" لأنه في معناه، والفعل يبدل من الفعل إذا كان في معناه، نحو ادن يا فتى أحسن إليك أعطك سالا، وإذا لم يحتج في البدل إلى تكرير العامل لم يحتج هنا إلى تكرير لو، وإن لم تثبت هذه القاعدة فإن ما ذكره صحيح لا ريب فيه.

١٢١- قال المصنف في باب التكرير: التكرير على قسمين تكرير في **اللفظ والمعنى** جميعا، وتكرير في المعنى فقط دون اللفظ، فالأول نحو قولك لمن تستدعيه أسرع أسرع، ونحو قوله تعالى: ﴿يريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون﴾ ومثل قول أبي الطيب المتنبي:

ولم أر مثل جيراني ومثلي ... لمثلي عند مثلهم مقام٢

أقول التمثيل باللفظة المذكورة وبالآية تمثيل جيد.

وأما التمثيل بالبيت فغير جيد؛ لأنه لم يتكرر فيه **اللفظ والمعنى** حسب

---

(١) الفلك الدائر على المثل السائر ابن أبي الحديد ٣٨/٤

١ المثل السائر: ٢/ ٣٢١.

٢ المثل السائر: ٣/ ٣.." (١)

"تكرره في الآية وفي اللفظة المذكورة؛ لأنه لم يذكر في صدر البيت إلا في نفي رؤية مثله ومثل جيرانه، ولم يبين في ماذا، ولا هذه المثلية والمشابهة في أي شيء، فمن الممكن أنه كان يعني أر مثلي ومثلهم في حب بعضنا لبعض، أو في بغض بعضنا لبعض، أو في جودنا لم أر مثلي، ومثلهم في حب بعضنا لبعض، أو في بغض بعضنا لبعض، أو في جودنا أو في شجاعتنا، أو في ديانتنا، فلما قال في عجز البيت "لمثلي عند مثلهم مقام" كشف ذلك الإجمال، وأزال ذلك الإبهام، وأبان عن أن مراده لم أر مثلي مقيما بين ظهراني مثلهم، يعني أنهم على غاية الإساءة لعشرته، وأنه على غاية الصبر عليهم، والاحتمال لهم، وأن مقامه عظيم لا يصلح أن يكون مثله مقيما بين هؤلاء الرعاع.

فالشاعر لم يكرر كما تكررت ألفاظ الآية، ولا وجد **اللفظ والمعنى** معا مرددين مكررين في هذا البيت، ولكن أول ألفاظه يعطي معنى مجملا، والثاني يعطي معنى مفصلا، وهو شرح ذلك المجمل، فلم يكن ذلك تكريرا مشتملا على إعادة **اللفظ والمعنى** معا، فلم يجز إدخاله في هذا القسم، وذكره في جملة أمثلته.

١٢٢- قال المصنف: فأما قوله تعالى: ﴿فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة﴾ فليس كما يتوهم من أنه تكرير فقط، بل المراد به إيجاب صوم الأيام السبعة عند الرجوع في الطريق على الفورلا عند الوصول إلى البلد، كما ذهب إليه بعض الفقهاء، وقال: لأن الأمر إذا صدر بلفظ التكرير مجردا عن قرينة تخرجه عن وصفه، ولم يكن مؤقتا بوقت معين،." (٢)

"٨- تنوير: فأما من يذهب إلى تفضيل المتقدمين على المتأخرين بمجرد تقدم الزمان فليس ممن تجب مخاطبته في هذه الصناعة، لأنه قد يتأخر أهل زمان عن أهل زمان ثم يكونون أشعر منهم لكون زمانهم يحوش عليهم من أقناص المعاني بسفوره لهم عن أشياء لم تكن في الزمان الأول، ولتوفر البواعث فيه على القول وتفرغ الناس له، كالحال في إجادة الشعراء الذين كانوا في زمان ملوك آل جفنة وملوك لخم، ومن كان في زمانهم من ملوك العرب وأجوادها، فإن تلك الحلبة تقدمت بالإحسان من تقدمها بالزمان، والسبب في ذلك ما ذكرته. وهذه الحلبة هي حلبة زهير والنابغة والأعشى ومن جرى مجراهم وانخرط في سلكهم.

وقد وقعت في المفاضلة بين الشعراء أقوال لا يعتد بها وآراء لا يحسن الاشتغال بذكرها والرد عليها عما هو أهم من ذلك. فإن تلك الآراء أظهر فسادا لمن له أدنى معرفة بهذه الصناعة من أن يحتاج في ذلك إلى تكلف حجة أو استدلال، وإنما الرأي الصحيح الذي عليه المعول من أن للشعر اعتبارات في الأزمنة والأمكنة والأحوال، فلا يجب أن يقطع بفضل شاعر على آخر بأنه ساواه في جميع ذلك، ثم فضله بالطبع والقريحة. وهذا أمر يتعذر تحري اليقين فيه، وإنما يمكن التقريب والترجيح بينهما بحسب ما يغلب على الظن.

---

(١) الفلك الدائر على المثل السائر ابن أبي الحديد ٢٨٤/٤

(٢) الفلك الدائر على المثل السائر ابن أبي الحديد ٢٨٥/٤

٩- إضاءة: فأما المفاضلة بين جماهير شعراء توفرت لهم الأسباب المهيئة لقول الشعر والأسباب الباعثة على ذلك، وقد أومأت إليها في صدر الكتاب، وبين جماهير شعراء لم تتوفر لهم الأسباب المهيئة ولا البواعث، فلا يجب أن نتوقف فيها بل نحكم حكما جزما أن الذين توفرت لهم الأسباب المهيئة والباعثة أشعر من الذين لم تتوفر لهم. وذلك كما تفضل شعراء العراق على شعراء مصر. ولا نتوقف في ذلك، إذ لا مناسبة بين الفريقين في الإحسان في ذلك، كما لا تناسب بينهم في توفر الأسباب، وإن كان أكثر تلك الأسباب أيضا في الصعق العراقي قد تغير عما كان عليه في الزمان المتقدم.

د- معرف دال على طرق المعرفة بمبلغ هذا الكتاب من أصول هذه الصناعة

قد تكلمنا من هذه النصاعة في جملة مقنعة. وبقيت أشياء لا يمكن تتبعها لكثرة تشعبها وتعذر استقصائها، وأشياء يمكن استقصاؤها أو استقصاء عامتها بعد طول.

فأما ما يعز استقصاؤه فذكر ما به يكون كمال الشعر أو تفضيل القول في مهيئات له والأدوات والبواعث عليه. ومن ذلك اعتبار كل نمط من أنماط اللفظ بكل نمط يوقع فيه من أنماط المعاني والنظام والأساليب والأوزان، واعتبار كل نمط من المعاني بكل نمط يصلح به من أنماط اللفظ والنظام والأساليب والأوزان، واعتبار كل نمط من النظم بما يصلح به من أنماط اللفظ والمعاني والأساليب والأوزان. واعتبار كل نمط من أنماط الأساليب بما يصلح به من أنماط الألفاظ والمعاني والنظام والأوزان واعتبار كل نمط من أنماط الأوزان بما يصلح به من أنماط **اللفظ والمعنى** والنظم والأسلوب، والتمييز بين ما يكون ملائما لم وضع بإزائه من جميع ذلك وما يكون منافرا لوضعه.." (١)

"ليضربوه؛ وقال:

أخذوا قسيهم بأيمنهم، ... يتعظلون تعظل النمل

ومن أيام العرب المعروفة يوم العظالى، وهو يوم بين بكر وتميم، ويقال أيضا يوم العظالى، سمي اليوم به لركوب الناس فيه بعضهم بعضا. وقال الأصمعي: ركب فيه الثلاثة والاثنان الدابة الواحدة؛ قال العوام بن شوذب الشيباني:

فإن يك في يوم العظالى ملامة، ... فيوم الغبيط كان أخزى وألوما

وقيل: سمي يوم العظالى لأنه تعاظل فيه على الرياسة بسطام بن قيس وهانئ بن قبيصة ومفروق بن عمرو والحوفزان. والعظال في القوافي: التضمين، يقال: فلان لا يعاظل بين القوافي. وعاظل الشاعر في القافية عظالا: ضمن. وروي

عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنه قال لقوم من العرب: أشعر شعرائكم من لم يعاظل الكلام ولم يتتبع حوشيه ؛ قوله: لم يعاظل الكلام أي لم يحمل بعضه على بعض ولم يتكلم بالرجيع من القول ولم يكرر **اللفظ والمعنى**، وحوشي الكلام: وحشيه وغريبه. وفي حديث

عمر، رضي الله عنه، أيضا أنه قال لابن عباس: أنشدنا لشاعر الشعراء، قال: ومن هو؟ قال: الذي لا يعاظل بين القول ولا يتتبع حوشي الكلام، قال: ومن هو؟ قال: زهير

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء القرطاجني ص/١٢١

، أي لا يعقده ولا يوالي بعضه فوق بعض. وكل شيء ركب شيئا فقد عاظله. والمعظل والمعظئل: الموضع الكثير الشجر؛ كلاهما عن كراع، وقد تقدم في الضاد اعضألت كثرت أغصانها.

عفل: قال المفضل بن سلمة في قول العرب رمتني بدائها وانسلت، قال: كان سبب ذلك أن سعد بن زيد مناة كان تزوج رهم بنت الخزرج بن تيم الله، وكانت من أجمل النساء، فولدت له مالك بن سعد، وكان ضرائرها إذا سابينها يقلن لها يا عفلاء فقالت لها أمها: إذا سابينك فابدئيهن بعفال، سبيت، فأرسلتها مثلا، فسابتها بعد ذلك امرأة من ضرائرها، فقالت لها رهم: يا عفلاء فقالت ضرتها: رمتني بدائها وانسلت. قال: وبنو مالك بن سعد رهط العجاج كان يقال لهم العفيلى «١» ابن الأعرابي: العفلة بظارة المرأة، وحكى الأزهري عن ابن الأعرابي قال: العفل نبات لحم ينبت في قبل المرأة وهو القرن؛ وأنشد:

ما في الدوائر من رجلي من عقل، ... عند الرهان، وما أكوى من العفل

قال أبو عمرو الشيباني: القرن بالناقة مثل العفل بالمرأة، فيؤخذ الرضف فيحمى ثم يكوى به ذلك القرن، قال: والعفل شيء مدور يخرج بالفرج، قال: والعفل لا يكون في الأبكار ولا يصيب المرأة إلا بعد ما تلد؛ وقال ابن دريد: العفل في الرجال غلظ يحدث في الدبر وفي النساء غلظ في الرحم، قال: وكذلك هو في الدواب، قال الليث: عفلت المرأة عفلا، فهي عفلاء، وعفلت الناقة، والعفلة الاسم. والعفل والعفلة، بالتحريك فيهما: شيء يخرج في قبل النساء وحياء الناقة شبه الأدرة التي للرجال في

(١). قوله [يقال لهم العفيلى] كذا في الأصل ونسخة من التهذيب، والذي في التكملة: بنو العفيل مضبوطا كزبير ومثله في القاموس." (١)

"أي هذا الجنس أفضل من هذا الجنس، فكذلك الآن، إذا رفعه جعله جنس هذا المستعمل في قولهم كنت الآن عنده، فهذا معنى كنت في هذا الوقت الحاضر بعضه، وقد تصرمت أجزاء منه عنده، وبنيت الآن لتضمنها معنى الحرف. وقال أبو عمرو: أتيته آئنة بعد آئنة بمعنى آونة. الجوهري: الآن اسم للوقت الذي أنت فيه، وهو ظرف غير متمكن، وقع معرفة ولم تدخل عليه الألف واللام للتعريف، لأنه ليس له ما يشركه، وربما فتحوا اللام وحذفوا الهمزتين؛ وأنشد الأخفش:

وقد كنت تخفي حب سمراء حقبة، ... فبح، لان منها، بالذي أنت بائح

قال ابن بري: قوله حذفوا الهمزتين يعني الهمزة التي بعد اللام نقل حركتها على اللام وحذفها، ولما تحركت اللام سقطت همزة الوصل الداخلة على اللام؛ وقال جرير:

ألان وقد نزعت إلى نمير، ... فهذا حين صرت لهم عذابا

. قال: ومثل البيت الأول قول الآخر:

ألا يا هند، هند بني عمير، ... أرث، لان، وصلك أم حديد؟

(١) لسان العرب ابن منظور ٤٥٧/١١

وقال أبو المنهال:

حدبدبى بدبدبى منكم، لان، ... إن بني فزارة بن ذبيان

قد طرقت ناقتهم بإنسان ... مشنإ، سبحان ربي الرحمن

أنا أبو المنهال بعض الأحيان، ... ليس علي حسبي بضؤلان

. التهذيب: الفراء الآن حرف بني على الألف واللام ولم يخلعا منه، وترك على مذهب الصفة لأنه صفة في **المعنى واللفظ** كما رأيتهم فعلوا بالذي والذين، فتركوهما على مذهب الأداة والألف واللام لهما غير مفارقة؛ ومنه قول الشاعر:

فإن الألاء يعلمونك منهم، ... كعلم مظنول ما دمت أشعرا «٢»

. فأدخل الألف واللام على أولاء، ثم تركها مخفوضة في موضع النصب كما كانت قبل أن تدخلها الألف واللام؛ ومثله قوله:

وإني حبست اليوم والأمس قبله ... ببابك، حتى كادت الشمس تغرب

فأدخل الألف واللام على أمس ثم تركه مخفوضا على جهة الألاء؛ ومثله قوله:

وجن الخازباز به جنونا

فمثل الآن بأنها كانت منصوبة قبل أن تدخل عليها الألف واللام، ثم أدخلتهما فلم يغيراها، قال: وأصل الآن إنما كان أوان، فحذفت منها الألف وغيرت واوها إلى الألف كما قالوا في الراح الرياح؛ قال أنشد أبو القمقام:

كأن مكاكي الجواء غدية، ... نشاوى تساقوا بالرياح المفلفل

فجعل الرياح والأوان مرة على جهة فعل، ومرة على جهة فعال، كما قالوا زمن وزمان، قالوا: وإن شئت جعلت الآن أصلها من قوله آن لك أن تفعل، أدخلت عليها الألف واللام ثم تركتها على مذهب فعل، فأتاها النصب من نصب فعل، وهو وجه

---

(٢). قوله [فان الألاء إلخ] هكذا في الأصل." (١)

"ويقال للناقة التي صرم خلف من أخلافها، وتحلب من ثلاثة أخلاف: ثلوث أيضا؛ وأنشد الهذلي:

ألا قولا لعبد الجهل: إن الصحيحة ... لا تحالبها الثلوث

وقال ابن الأعرابي: الصحيحة التي لها أربعة أخلاف؛ والثلوث: التي لها ثلاثة أخلاف. وقال ابن السكيت: ناقة ثلوث إذا أصاب أحد أخلافها شيء فيبس، وأنشد بيت الهذلي أيضا. والمثلث من الشراب: الذي طبخ حتى ذهب ثلثاه؛ وكذلك أيضا ثلث بناقته إذا صر منها ثلاثة أخلاف؛ فإن صر خلفين، قيل: شطر بها؛ فإن صر خلفا واحدا، قيل: خلف بها؛ فإن صر أخلافها جمع، قيل: أجمع بناقته وأكمش. التهذيب: الناقة إذا يبس ثلاثة أخلاف منها، فهي ثلوث. وناقة مثلثة: لها ثلاثة أخلاف؛ قال الشاعر:

---

(١) لسان العرب ابن منظور ١٣/٤٢

فتقنع بالقليل، تراه غنما، ... وتكفيك المثلثة الرغوث

ومزادة مثلوثة: من ثلاثة آدمة؛ الجوهري: المثلوثة مزادة تكون من ثلاثة جلود. ابن الأعرابي: إذا ملأت الناقة ثلاثة آنية، فهي ثلوث. وجاؤوا ثلاث ثلاث، ومثلث مثلث أي ثلاثة ثلاثة. والثلاثة، بالضم: الثلاثة؛ عن ابن الأعرابي؛ وأنشد:

فما حلبت إلا الثلاثة والثنى، ... ولا قيلت إلا قريبا مقالها

هكذا أنشده بضم الثاء: الثلاثة، وفسره بأنه ثلاثة آنية، وكذلك رواه قيلت، بضم القاف، ولم يفسره؛ وقال ثعلب: إنما هو قيلت، بفتحها، وفسره بأنها التي تقيل الناس أي تسقيهم لبن القيل، وهو شرب النهار فالمفعول، على هذا محذوف. وقال الزجاج في قوله تعالى: فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع

؛ معناه: اثنين اثنين، وثلاثا ثلاثا، إلا أنه لم ينصرف لجهتين، وذلك أنه اجتمع علتان: إحداهما أنه معدول عن اثنين اثنين، وثلاث ثلاث، والثانية أنه عدل عن تأنيث. الجوهري: وثلاث ومثلث غير مصروف للعدل والصفة، لأنه عدل من ثلاثة إلى ثلاث ومثلث، وهو صفة، لأنك تقول: مررت بقوم مثنى وثلاث. قال تعالى: أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع

؛ فوصف به؛ وهذا قول سيبويه. وقال غيره: إنما لم ينصرف لتكرر العدل فيه في **اللفظ والمعنى**، لأنه عدل عن لفظ اثنين إلى لفظ مثنى وثناء، عن معنى اثنين إلى معنى اثنين اثنين، إذا قلت جاءت الخيل مثنى؛ فالمعنى اثنين اثنين أي جاؤوا مزدوجين؛ وكذلك جميع معدول العدد، فإن صغرته صرفته فقلت: أحيد وثني وثليث وربيع، لأنه مثل حمير، فخرج إلى مثال ما ينصرف، وليس كذلك أحمد وأحسن، لأنه لا يخرج بالتصغير عن وزن الفعل، لأنهم قد قالوا في التعجب: ما أميلح زيدا وما أحيسنه وفي الحديث:

لكن اشربوا مثنى وثلاث، وسموا الله تعالى.

يقال: فعلت الشيء مثنى وثلاث ورباع، غير مصروفات، إذا فعلته مرتين مرتين، وثلاثا ثلاثا، وأربعا أربعا. والمثلث: الساعي بأخيه. وفي حديث

كعب أنه قال لعمر: أنبئني ما المثلث؟ فقال: وما المثلث؟ لا أبا لك فقال: شر الناس المثلث

؛." (١)

"ومأبد: موضع؛ قال ابن سيده: وعندي أنه مابد على فاعل، وستذكره في مبد. والأبيد: نبات مثل زرع الشعير سواء وله سنبلة كسنبلة الدخنة فيها حب صغير أصغر من الخردل وهي مسمنة للمال جدا.

أجد: الإجاد والأجاد: طاق قصير. وبناء مؤجد: مقوى وثيق محكم، وقد أجده وأجده. وناقة مؤجدة: موثقة الخلق، وأجد: متصلة الفقار تراها كأنها عظم واحد. وناقة أجد أي قوية موثقة الخلق. والأجد: اشتقاقه من الإجاد، والإجاد كالطاق القصير؛ يقال: عقد مؤجد وناقة مؤجدة القرى، وناقة أجد وهي التي فقار ظهرها متصل؛ وآجدها الله فهي مؤجدة القرى أي موثقة الظهر. وفي حديث

خالد بن سنان: وجدت أجدا تحثها

---

(١) لسان العرب ابن منظور ١٢٤/٢

؛ الأجد، بضم الهمزة والجيم: الناقة القوية الموثقة الخلق، ولا يقال للجمل أجد؛ ويقال: الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف أي قواني. وإجد، بالكسر: من زجر الخيل.

أحد: في أسماء الله تعالى: الأحد وهو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر، وهو اسم بني لنفي ما يذكر معه من العدد، تقول: ما جاءني أحد، والهمزة بدل من الواو وأصله وحد لأنه من الوحدة. والأحد: بمعنى الواحد وهو أول العدد، تقول أحد واثنان وأحد عشر وإحدى عشرة. وأما قوله تعالى: قل هو الله أحد

؛ فهو بدل من الله لأن النكرة قد تبدل من المعرفة كما قال الله تعالى: لنسفعا بالناصية ناصية؛ قال الكسائي: إذا أدخلت في العدد الألف واللام فأدخلهما في العدد كله، فتقول: ما فعلت الأحد عشر الألف الدرهم. والبصريون يدخلونهما في أوله فيقولون: ما فعلت الأحد عشر ألف درهم. وتقول لا أحد في الدار ولا تقول فيها أحد. وقولهم ما في الدار أحد فهو اسم لمن يصلح أن يخاطب يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر. وقال الله تعالى: لستن كأحد من النساء

؛ وقال: فما منكم من أحد عنه حاجزين

. وجاؤوا أحاد أحاد غير مصروفين لأنهما معدولان في **اللفظ والمعنى** جميعا. وحكي عن بعض الأعراب: معي عشرة فأحدهن أي صيرهن أحد عشر. وفي الحديث:

أنه قال لرجل أشار بسبابتيه في التشهد: أحد أحد.

وفي حديث

سعد في الدعاء: أنه قال لسعد وهو يشير في دعائه بإصبعين: أحد أحد

أي أشر بإصبع واحدة لأن الذي تدعو إليه واحد وهو الله تعالى. والأحد من الأيام، معروف، تقول مضى الأحد بما فيه؛ فيفرد ويذكر؛ عن اللحياني، والجمع آحاد وأحدان. واستأحد الرجل: انفرد. وما استأحد بهذا الأمر: لم يشعر به، يمانية. وأحد: جبل بالمدينة. وإحدى الإحد: الأمر المنكر الكبير؛ قال:

بعكاظ فعلوا إحدى الإحد

وفي حديث

ابن عباس: وسئل عن رجل تتابع عليه رمضانان فقال: إحدى من سبع

؛ يعني اشتد الأمر فيه ويريد به إحدى سني يوسف النبي، على نبينا محمد وعليه الصلاة والسلام، المجدبة فشبه حاله بها في الشدة أو من الليالي السبع التي أرسل الله تعالى العذاب فيها على عاد.

أخد: قال الأزهري: روى الليث في هذا الباب أخذ وقال المستأخد المستكين؛ قال: ومريض مستأخد أي مستكين لمرضه؛ قال أبو منصور: هذا حرف مصحف والصواب المستأخذ، بالذال، وهو الذي يسيل." (١)

"العناء لا على الهوى، وأودعت القلوب هيبة لم يشبها مقت، وودا لم يشبه كذب، وعممت القوت، ومنعت الفضول.
وقيل: إن أنوشروان كان يوقع في عهود الولاة: سس خيار الناس بالمحبة، وامزج للعامة الرغبة بالرهبة. ولما قدم سعد العشيرة

---

(١) لسان العرب ابن منظور ٧٠/٣

فى مائة من أولاده على ملك حمير سأله عن صلاح الملك؛ فقال: معدلة شائعة، وهيبة وازعة، ورعية طائعة؛ ففى المعدلة حياة الإمام، وفى الهيبة نفى للظلام وفى طاعة الرعية حسن التئام. وقال أبو معاذ للمتوكل: إذا كنتم للناس أهل سياسة فسوسوا كرام الناس بالرفق والبذل، وسوسوا لئام الناس بالذل يصلحوا على الذل، إن الذل يصلح النذل. وقال أنوشروان: الناس ثلاث طبقات، تسوسهم [١] ثلاث سياسات، طبقة هم خاصة الأشراف، تسوسهم باللين والعطف، وطبقة هم خاصة الأشرار، تسوسهم بالغلظة والعنف، وطبقة هم العامة، تسوسهم بالشدة واللين.

وقال معاوية بن أبى سفيان: إنى لا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى، [ولا أضع [٢]] سوطى حيث يكفينى لسانى، ولو أن بينى وبين العامة شعرة ما [٣] ما انقطعت؛ قيل له: وكيف ذلك؟ قال: كنت إذا جذبوها أرخيتها وإذا أرخوها جذبتها.

وقال المأمون: أسوس الملوك من ساس نفسه لرعيته، فأسقط مواقع حجتها عنه وقطع مواقع حجته عنها.

---

[١] فى الأصل «يسوسهم» بالياء وكذلك بقية الأفعال فى هذه الجملة، وظاهر أن الخطاب هو الذى يستقيم معه **اللفظ والمعنى**.

[٢] زيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ١٠) .

[٣] كذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ١٠) وعيون الأخبار (مجلد ١ ص ٩) . والكثير فى جواب «لم» المنفى بما عدم اقترانه باللام.." (١)

"..

= ومعرض حسن، ثم قال: وأما الفصاحة فقد اختلفوا فيها، فقال قوم: إنها مأخوذة من قولهم: أفصح فلان عما في نفسه إذا أظهره وعلى هذا ترجع الفصاحة والبلاغة إلى معنى واحد وإن اختلف أصلهما في اللغة، وقال بعضهم: الفصاحة تمام آلة البيان، وعلى هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفين، وذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى إلخ "٣٩ وما بعدها صناعتين".

وذكر ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ والبلاغة لاتكون إلاوصفا للألفاظ مع المعاني، فلا يقال في كلمة واحدة أنها بليغة وإن قيل أنها فصيحة إذا فضلت عن مثلها، وكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغا كالذي يقع فيه الإسهاب في غير موضعه، ثم قال: والفصاحة على ذلك شطر البلاغة وأحد جزءيها، ولها شروط إذا تكاملت في الألفاظ فلا مزيد على فصاحتها، وتلك الشروط: منها ما يتعلق باللفظة الواحدة، ومنها ما يوجد في الألفاظ المنظومة بعضها مع بضع.. وهذا كله هو خلاصة رأي القزويني أقتبسه من ابن سنان "راجع ص٥٥ وما بعدها من سر الفصاحة طبعة الرحمانية" وذكر ابن رشيق في العمدة: أن البلاغة والفصاحة راجعان إلى **اللفظ والمعنى** جميعا إلخ "ص٨٠ طبعة هندية".

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٤٤/٦

وذكر عبد القاهر: أن البلاغة والفصاحة وما يجري مجارها مما يفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة وينسب فيه الفضل والمزية إليه دون المعنى معناها حسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة ثم تبرجها في صورة هي أبهى، ولا جهة لذلك غير أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ويختار له اللفظ الذي هو أخص به وأكشف عنه وأحرى بأن يظهر مزية "ص٣٥ من دلائل الإعجاز"، وقال في أسرار البلاغة: أما رجوع الاستحسان "أي الوصف بالبلاغة والفصاحة" إلى اللفظ من غير شرك من المعنى فيه فلا يعدو نمطا واحدا، هو أن تكون اللفظ مما يتعارفه الناس في استعمالهم ويتداولونه في زمانهم، ولا يكون وحشيا غريبا أو عاميا سخيفا"ص٣ أسرار البلاغة"، فالبلاغة والفصاحة عنده مترادفان، وإن اختلف فهم كلامه فيهما وفي هل يرجعان عنده إلى اللفظ أو إلى المعنى. ويرى عبد القاهر أن الفصاحة تقال لكون اللفظ جاريا على القوانين المستنبطة من استقراء كلامهم كثير الاستعمال على ألسنة العرب الموثوق بعربيتهم "ص٣٥٣ دلائل الإعجاز" وهو كلام السكاكي أيضا "ص١٧٦ من المفتاح".

ويرى السكاكي أن البلاغة بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها، وأما الفصاحة فهي عنده قسمان: قسم يرجع إلى المعنى وهو خلوص الكلام من التعقيد المعنوي، وقسم يرجع إلى اللفظ وهو أن تكون الكلمة عربية أصلية جارية على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم، لا مما أحدثه المولدون، ولا مما أخطأت فيه العامة "وأن تكون" سليمة من التنافر "راجع ص١٧٦ من المفتاح".

ويرى ابن الأثير أنه يحتاج في تأليف الكلمات إلى ثلاثة أشياء: اختيار الألفاظ المفردة، ونظم كل كلمة مع أختها بحيث لا يكون هناك قلق ولا منافرة، والغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه ... والأول والثاني عنده هما المراد بالفصاحة، والثلاثة بجملتها هي المراد بالبلاغة. وتكلم في كتابة المثل السائر على الصناعة اللفظية "وهي عنده قسمان: قسم اللفظة المفردة، وقسم الألفاظ المركبة"، وعلى الصناعة المعنوية.." (١)

"وتنميقه إلى غير ذلك من شتى الآراء التي كتبها الجاحظ مستقلا بالتفكير فيها.

وإذا كان للجاحظ فخر التلمذة والرواية -في كتابه- عن شيوخ العربية وأدبائها كالأصمعي وأبي عبيدة وابن الأعرابي وابن سلام وأبي العاصي، وكإبراهيم بن السندي وعبد الكريم بن روح الغفاري ومحمد بن بشير الشاعر، وكثمامة والنظام، وسوى هؤلاء وهؤلاء، فيجب أن لا ننسى أنه قد كان لعلماء الأدب والبيان الذين جاءوا بعد عصر الجاحظ هذا الفخر نفسه بالتلمذة عليه وعلى كتابه "البيان".

فابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ تبع في كتابه "الشعر والشعراء" الجاحظ في مذهبه الأدبي من إيثار الطبع والرونق والماء والبعد عن التكلف والاستكراه والتعقيد.

ومؤلف نقد النثر يبدو في كتابه أثر الجاحظ، وهو وإن كان نقد "بيان" الجاحظ في أول كتابه إلا أنه قد تأثر به إلى حد كبير، فكلامه على أنواع البيان ونظره إليه نظرة واسعة أعم من البيان بالعبارة هو صنيع الجاحظ في كتابه، ويتكلم على اختيار مواقع الكلام وأوقاته ومناسبته للسامعين ومطابقة الكلام للمقام١ وتلك آراء الجاحظ، ويرى أن اللحن يستحسن

(١) الإيضاح في علوم البلاغة القزويني ، جلال الدين ١٨/١

من الجواري وأن من الصواب معرفة أوقات الكلام والسكوت وأقدار الألفاظ والمعاني بأنه يلبس المعنى ما يليق به من اللفظ، كما يرى أن من أوصاف البلاغة أن يتساوى فيها **المعنى واللفظ**، فلا يكون اللفظ إلى القلب أسبق من المعنى ولا المعنى أسبق من اللفظ، وتلك كلها آراء الجاحظ، إلى غير ذلك من كثير من مظاهر التأثر والاحتذاء.

وكذلك دعا الآمدي إلى المذهب الأدبي الذي دعا إليه الجاحظ في كتابه البيان.

---

١ ٩٦ نقد النثر.." (١)

"معناه الإفرادى إلى غيره أو لا والثانى هو الحرف والأول إما أن يكون اللفظ الدال عليه دالا على الزمان المعين لمعناه أولا يكون دالا فإن دل فهو الفعل وإن لم يدل فهو الاسم، ثم الاسم إن كان دالا على معنى جزئى فهو إن كان كناية فهو المضمر، وإن كان غير مكنى عنه فهو العلم، وإن كان دالا على معنى كلى فهو إما أن يكون اسما لنفى تلك الماهية فهو اسم الجنس كالرجل والسواد، وإن كان مفيدا لوصف من الأوصاف فهو الاسم المشتق كالضارب والقاتل فإنها أسماء تفيد هذه الأوصاف.

الوجه الثانى:

اللفظ المفرد والمعنى لا يخلو حالهما إما أن يتحدا جميعا أو يتكثرا أو يتكثر اللفظ ويتحد المعنى أو بالعكس، فإذا اتحد **اللفظ والمعنى** جميعا نظرت فى المسمى فإن كان نفس تصوره مانعا من الشركة فيه فهو الاسم العلم، وإن لم يكن مانعا فحصول ذلك المعنى من تلك الألفاظ إما أن يكون على جهة الاستواء من غير زيادة أم لا، فإن كان على جهة الاستواء لا غير فهو المتواطىء كإنسان ورجل، وإن كان مع الاستواء إفادة الشمول والإحاطة فهو المستغرق، وإن تكثرت الألفاظ والمعانى فتلك هى الألفاظ المتباينة كالسماء والأرض والفرس والإنسان، وسواء كانت المباينة باختلاف الحقائق كما أوضحناه أو كانت باختلاف الصفات كالصارم والمهند والسيف، وإن تكثرت الألفاظ واتحد المعنى فهى الألفاظ المترادفة كالعلم والمعرفة والدراية وغير ذلك، وإن اتحد اللفظ وتكثر المعنى فإن استوت تلك المعانى من غير ترجيح فهو المشترك، وإن ترجح سمى الراجح ظاهرا والمرجوح مؤولا.

الوجه الثالث

اللفظ الدال على معنى لا يخلو حاله، إما أن يكون مدلوله لفظا أو معنى، فإن كان مدلوله معنى فإما أن يحتمل غيره أو لا يحتمل سواه، فإن كان لا يحتمل سواه فهو النص، وإن كان محتملا لغيره فإما أن يكون المعنيان على جهة الاستواء أو يترجح أحدهما على الآخر، فإن كان أحدهما راجحا على الآخر كان اللفظ بالإضافة إلى المعنى الراجح ظاهرا وبالإضافة إلى المرجوح مؤولا، وإن كان يحتملها من غير ترجيح فهو المجمل، هذا إذا كان مدلوله معنى، وإن كان مدلول اللفظ لفظا فهو على أوجه ثلاثة، أولها لفظ مفرد." (٢)

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة القزويني ، جلال الدين ١/١٥٥

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المُؤَيَّد العلوي ١/٢٥

"وأما ثالثا: فربما كانت اللفظة المجازية جارية على الأقيسة الصحيحة فى تصريفها في بيانها، والحقيقة منحرفة عن ذلك فلهذا عدل إلى استعمال اللفظة المجازية من أجل ذلك.

المقصد الثانى ما يرجع إلى المعنى على الخصوص

وذلك من أوجه، أما أولا: فلأجل التعظيم كما يقال: سلام على الحضرة العالية والمجلس الكريم، فيعدل عن اللقب الصريح إلى المجاز تعظيما لحال المخاطب، وتشريفا لذكر اسمه عن أن يخاطب بلقبه فيقال: سلام على فلان.

وأما ثانيا: فلأجل التحقير كما يعبر عن قضاء الوطر من النساء بالوطء وعن الاستطابة بالغائط ويترك لفظ الحقيقة استحقارا له، وتنزها عن التلفظ به لما فيه من البشاعة والغلظ وقد نزه تعالى كتابه الكريم وخطابه الشريف عن مثل هذه الأمور، وعدل إلى المجازات الرشيقة لما ذكرناه فقال: أو لامستم النساء

[النساء: ٤٣] كناية عن الوطء وقال تعالى:

كانا يأكلان الطعام

[المائدة: ٤٣] كنى به عن قضاء الحاجة لما فى لفظ الحقيقة من الركة والسماجة.

وأما ثالثا: فلأجل تقوية حال المذكور فإذا قلت رأيت أسدا كان أقوى من قولك رأيت رجلا يشبه الأسد كما سنورد الفرق بين الاستعارة والتشبيه، فلا جرم عدل إلى المجاز لمكان هذه القوة.

وأما رابعا: فلما يحصل فى المجاز من التوكيد بخلاف الحقيقة، فأنت إذا قلت: رأيت أسدا فى سلاحه، وبحرا فى برديه، كان أكثر تأكيدا ووقعا فى النفوس من قولك: رأيت رجلا كريما أو شجاعا لما يحصل فى ذلك من المكانة والمبالغة بذكر المجاز دون الحقيقة.

المقصد الثالث ما يرجع إلى اللفظ والمعنى جميعا

لما يحصل فى المجاز من تلطيف الكلام وحسن الرشاقة فيه، وتقرير ذلك هو أن النفس إذا وقفت على كلام غير تام بالمقصود منه تشوقت إلى كماله فلو وقفت على تمام المقصود منه لم يبق لها هناك تشوق أصلا، لأن تحصيل الحاصل محال، وإن لم تقف على شيء منه فلا شوق لها هناك، فأما إذا عرفته من بعض الوجوه دون بعض فإن القدر المعلوم يحصل شوقا إلى ما ليس بمعلوم، فإذا عرفت هذا فنقول: إذا عبر عن المعنى باللفظ الدال على الحقيقة حصل كمال العلم به من جميع وجوهه، وإذا عبر عنه." (١)

"ورابعها: كلمة واحدة، واحد من أحرفها منقوط، والآخر معرى من النقط، ومثاله قوله أيضا: «أخلاق سيدنا تحب، وبعقوته يلب» .

التصرف الثانى: يرجع إلى الاتصال والانفصال فى الأحرف، وذلك يكون على وجهين، أحدهما أن تكون منفصلة، ومثاله ما قاله بعضهم:

وزر دار زرزور وزر دار زاره ودار رداح إن أردت دواء فترى هذه الأحرف حاصلة على جهة الانفصال.

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المُؤَيَّد العلوي ٤٥/١

وثانيها: أن تكون متصلة كلها وهذا كثير كقوله «فتنتنى فجننتنى» وقد سبق. ولنقتصر على هذا القدر من بلاغة الخط والكتابة. ولنرجع إلى مقصودنا من بيان مواقع البلاغة فى الألفاظ.

واعلم أن البلاغة مختصة بوقوعها فى الكلم المركبة، دون المفردة، فلا يوصف الكلام بكونه بليغا إلا إذا جمع الأمرين جميعا مع حسن اللفظ، وجودة المعنى، فمتى كان هكذا وصف بالبلاغة، فإن كان المعنى جزلا، واللفظ غير فصيح، أو كان اللفظ فصيحا، وكان معناه ركيكا نازلا، فإنه لا يوصف بالبلاغة أصلا، وهذا غير مستبعد.

وبيانه بالمثال، فإن من كان معه لآل، كل واحد منها فى نهاية النفاسة على انفرادها، ثم ألفها تأليفا نازل القدر فإنه يهون أمرها، حتى يقال: إن هذه ليست تلك من أجل قبح تأليفها. وعكسه من كانت معه لآل نازلة القدر فألفها تأليفا عجيبا، ونظمها نظما رشيقا يعظم فى المرأى موقعها حتى يخيل للناظر أنها غيرها لما يظهر من حسن التأليف، فهكذا حال الكلم المفردة بالإضافة إلى تأليفها ونظمها، فإن فاق **اللفظ والمعنى** فهو الموصوف بالبلاغة، فإن نقص أحدهما وبطل لم يكن موصوفا بالبلاغة فموقعها الأمران جميعا كما أشرنا إليه.

المبحث الثانى فى مراتب البلاغة

اعلم أن الألفاظ إذا كانت مركبة لإفادة المعانى، فإنه يحصل لها بمزية التركيب حظ لم يكن حاصلا مع الإفراد، كما أن الإنسان إذا حاول تركيب صورة مخصوصة من عدة أنواع مختلفة أو عقد مؤلف، من خرز ولآلىء، فالحسن فى تركيب الألفاظ غير خاف، ثم ذلك الحسن له طرفان، ووسائط:." (١)

"لا غير من غير حاجة إلى اللفظ لا على جهة القصد، ولا على جهة التبعية.

وثالثها: أن الفصاحة عبارة عن الألفاظ باعتبار دلالتها على مسمياتها المعنوية، وهذا شىء حكاه ابن الخطيب فى كتاب النهاية ولم يعزه إلى أحد من علماء البيان. وحاصل مذهبهم أن الفصاحة عبارة عن الأمرين جميعا، فلا هى من أوصاف اللفظ كما زعمه ابن الأثير على الخصوص، ولا هى من أوصاف المعانى على الخصوص كما حكيناه عن ابن الخطيب.

ورابعها: أن تكون الفصاحة مقولة على الأمرين جميعا، فتكون مفيدة لهما جميعا فيكون الأمران جميعا أعنى المعانى والألفاظ من مسمى قولنا: فصاحة، وهذا المذهب يخالف المذهب الثالث، فإن هؤلاء جعلوا **اللفظ والمعنى** من مدلول لفظ الفصاحة. والذين قبلهم جعلوا اللفظ هو مسمى الفصاحة، لكن اعتبار المعنى على جهة الضم والتبعية لا غير.

فهذا تقرير مذاهب العلماء فى مدلول لفظ الفصاحة، وفائدة إطلاقه.

والمختار عندنا تفصيل نشير إليه، وهو أن الفصاحة من عوارض الألفاظ، لكن ليس بالإضافة إلى مطلق الألفاظ فقط، ولكن بالإضافة إلى دلالتها على معانيها، فتكون الفصاحة عبارة عن الأمرين جميعا مطلق الألفاظ ودلالتها على ما تدل عليه من معانيها المفردة والمركبة، وهذا المذهب هو الذى حكاه ابن الخطيب عن بعض علماء البيان. ويدل على ما قلناه وجوه ثلاثة:

أولها: قوله صلى الله عليه وسلم: «إن من البيان لسحرا» والبيان هو الفصاحة، لأن البيان هو الظهور، وذلك لا يستعمل

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المُؤَيَّد العلوي ٦٨/١

إلا فى الألفاظ، ولا بد من اعتبار دلالتها على معانيها، لأنا لو لم نعتبر ذلك لكانت الألفاظ مما يمجها السمع، وينبو عنها الطبع، فضلا عن أن تكون سحرا. فإذن لا بد من اعتبار الأمرين فى كون الكلام فصيحا، ومراده عليه السلام بقوله «لسحرا» يعنى أنه يحير العقول فى حسنه ورونقه، ودقة معانيه، وعن هذا قال بعضهم:

فصاحة المنطق سحر الألباب.

وثانيها: أنهم يقولون فى الوصف كلام فصيح، ومعنى بليغ، ولا يقولون معنى فصيح، فدل ذلك على أن الفصاحة من متعلقات الألفاظ، وأن فصاحته إنما كانت باعتبار ما دل عليه من حسن المعنى ورشاقته. وفى هذا دلالة على وجوب اعتبار الأمرين فى فصيح الكلام كما قلناه.." (١)

"وثالثها: أنا نراهم فى أساليب كلامهم يفضلون لفظة على لفظة، ويؤثرون كلمة على كلمة، مع اتفاقهما فى المعنى، وما ذاك إلا لأن إحداهما أفصح من الأخرى، فدل ذلك على أن تعلق الفصاحة إنما هو بالألفاظ العذبة، والكلم الطيبة ألا ترى أنهم استحسنوا لفظ الديمة، والمزنة، واستقبحوا لفظ البعاق لما فى المزنة، والديمة، من الرقة واللطافة ولما فى البعاق، من الغلظ والبشاعة. ومما أغرق فى اللذة والسلاسة قوله تعالى فى وصف خروج القطر من السحاب: فترى الودق يخرج من خلاله

[النور: ٤٣] فأين هذا من قول امرىء القيس فى هذا المعنى:

فألقى بصحراء العبيط بعاعه

فانظر ما بين الودق والبعاع فاختصاص الودق بالرقة واللطافة عما تضمنه، البعاع، من الغلظ والبشاعة دلالة ظاهرة على ما قلناه من أن الفصاحة راجعة إلى اللفظ لأجل دلالته على معناه.

فأما من زعم أن الفصاحة متعلقها اللفظ لا غير، فقد أبعد، فإن الالفاظ لا ذوق لها ولا يمكن الإصغاء إلى سماعها إلا لأجل دلالتها على معانيها، فأما إذا خلت عن الدلالة عليها فلا وقع لها بحال، وغالب ظنى أنه لا بد له من اعتبار المعنى، خلا أنه يكون ضمنا وتبعا للألفاظ لا محالة.

وأبعد من هذا من زعم أن متعلق الفصاحة فى المعانى فقط، كما حكيناه عن ابن الخطيب فإن المعانى إنما توصف بالبلاغة، فأما الفصاحة فإنها من صفات الألفاظ كما مر بيانه. وعلى الجملة فإن أراد أنه لا بد من اعتبار الأمرين جميعا، **اللفظ والمعنى**، على أن إطلاق الفصاحة على أحدهما ويكون الثانى تبعا فالخلاف لفظى، وإن أراد أن إطلاق اسم الفصاحة إنما يكون على أحدهما على انفراده، فهو خطأ كما أسلفنا تقريره. فهذا ما أردنا ذكره فيما يخص كل واحد منهما.." (٢)

"اشتملت عليه من **اللفظ والمعنى** بما يخبر عن صنعته ويعلم من حال حرفته.

وأقول: إن أجمع عبارة فى وصف البلاغة والفصاحة، هو ما أجمعوا عليه من قولهم:

إن الكلام إذا أشرقت شمس لفظه، انكشف لبس معناه فإنها حاوية لمعانى البلاغة ومستولية على أسرار الفصاحة، فقوله:

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المُؤَيَّد العلوي ٧٠/١

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المُؤَيَّد العلوي ٧١/١

إذا أشرقت شمسه، يشير به إلى الفصاحة، لما فى الإشراق من الانكشاف والظهور، وقوله: انكشف لبسه، يشير به إلى ما تضمنه من البلاغة، لاشتمالها على إظهار المعانى. ولو قيل: هو الذى إذا طلع شمس لفظه، أضاء نهار معناه، لكان حسنا جيدا.

التقرير الثانى: فى بيان الشواهد على أسرار الفصاحة، وعجائب البلاغة

، وهما كما يردان فى المنظوم، يردان فى المنثور، وأحسن مواقعهما ما ورد فى المنثور، ولهذا لم يكن المعجز إلا نثرا وما ورد عن الله تعالى، وعن رسوله، وعن أمير المؤمنين كرم الله وجهه، وعن العرب، من النثر فى المحافل من الخطب أكثر من أن يعد ويحصى، فلا جرم رتبنا إيراد الشواهد على قسمين تمييزا لأحدهما عن الآخر.

القسم الأول: فى إيراد الشواهد المنثورة

وجملة ما نورده من ذلك ضروب ثلاثة.

الضرب الأول: الآى القرآنية

، والقرآن كله معجز لا تخص آية دون آية كما سنقرر إعجازه، ووجه إعجازه فى الفن الثالث بمعونة الله تعالى ولكنا نورد منه آيات ثلاثا، تنبيها بالأقل على الأكثر، لأنه قد بلغ الغاية فيما تضمنه من الغرائب واشتمل عليه من الأسرار والعجائب.

الآية الأولى، قوله تعالى: إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (٥٤)

[الأعراف: ٥٤] .

فلينظر المتأمل فى هذه الآية العجيبة مع اشتمالها على العذوبة فى ألفاظها المفردة، والسلاسة فى تراكيبها، والنظام العجيب، والتأليف الأنيق، والأسلوب البديع، حتى لا تكاد لفظة واحدة تخلو عن ملاحظة البلاغة، ومواقع الفصاحة، وكيف احتوت على التنبيه على أسرار عظيمة ومعان فخمة على أسهل نظام وأيسره، وأتم بيان وأكمله، ولنشر إلى شىء من ذلك من الأمور الظاهرة.." (١)

"[الزمر: ٦٦] ولم يقل: بل اعبد الله، لأجل الاختصاص، وعلى هذا يحمل قوله تعالى: إياك نعبد وإياك نستعين

[الفاتحة: ٥] فتقدمه من أجل الاختصاص، وهذا فيه نظر لقوله تعالى ليعبدوا رب هذا البيت

[قريش: ٣] وقوله تعالى: واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا

[النساء: ٣٦] وقوله تعالى: واعبد ربك

[الحجر: ٩٩] واعبدوا ربكم

[الحج: ٧٧] ولو كان التقديم من أجل الاختصاص لوجب تقديمه فى هذه الآيات كلها، فلما ورد مؤخرا عن الفعل والمعنى واحد بطل ما قاله.

المذهب الثانى أنه إنما قدم من أجل المشاكلة لرءوس الآى، ومراعاة حسن الانتظام، واتفاق أعجاز الكلم السجعية؛ لأن

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المُؤَيَّد العلوي ٧٤/١

قبله مالك يوم الدين

[الفاتحة: ٤] فلو قال: نعبدك، ونستعينك، لذهبت تلك الطلاوة، ولزالت تلك العذوبة، وهذا شيء يحكى عن بعض علماء البيان واختاره ابن الأثير، والمختار عندنا أنه لا منافاة بين الأمرين فيجوز أن يكون التقديم من أجل الاختصاص، والتشاكل، فيكون فى التقديم مراعاة لجانب **اللفظ والمعنى** جميعا، فالاختصاص أمر معنوى، والتشاكل أمر لفظى. وعلى هذا ورد قوله تعالى: فأوجس في نفسه خيفة موسى

[طه: ٦٧] وقوله تعالى: خذوه فغلوه (٣٠) ثم الجحيم صلوه (٣١)

[الحاقة: ٣٠- ٣١] ومنه قوله تعالى: فأما اليتيم فلا تقهر (٩) وأما السائل فلا تنهر (١٠)

[الضحى: ٩- ١٠] وقوله تعالى: والقمر قدرناه

[يس: ٣٩] ولم يقل وقدرنا القمر، ليطابق ما تقدم من الجمل الابتدائية فى قوله تعالى: وآية لهم الليل

[يس: ٣٧] وقوله والشمس تجري

[يس: ٣٨] فبالتقديم تحصل ملاحظة الأمرين جميعا.

الصورة الثانية [تقديم خبر المبتدأ عليه]

فى نحو قولك: قائم زيد، فى: زيد قائم، فإنك إذا أخرت الخبر فليس فيه إلا الإخبار بأن زيدا قائم لا غير من غير تعرض لمعنى من المعانى البليغة، بخلاف ما إذا قدمته وقلت: قائم زيد، فإنك تفيد بتقديمه أنه مختص بهذه الصفة من بين سائر صفاته من الأكل، والضحك وغيرها، أو تفيد تخصيصه بالقيام دون غيره من سائر أمثاله، وتفيد وجها آخر وهو أنه يكون كلاما مع من يعرف زيدا وينكر قيامه فتقول: قائم زيد، ردا لإنكار من ينكره، ومن هذا قوله تعالى: وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله

[الحشر: ٢] فإنما قدم قوله: مانعتهم حصونهم من الله

وهو خبر المبتدأ فى أحد وجهيه، ليدل بذلك على فرط اعتقادهم لحصانتها ومبالغة فى شدة وثوقهم بمنعها إياهم،." (١)

"الفصل الحادى عشر فى [التأكيد]

اعلم أن التأكيد تمكين الشيء فى النفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدده، وهو دقيق المأخذ، كثير الفوائد، وله مجريان.

«المجرى الأول» عام وهو ما يتعلق بالمعانى الإعرابية،

وينقسم إلى لفظى ومعنوى، وليس من همنا إيراده ههنا لأمرين، أما أولا فلانحراف ما يتعلق بمقاصد الإعراب عما يتعلق بمقاصد البلاغة، وما نحن فيه إنما هو كلام فى مقاصد البلاغة، وأما ثانيا فلأن كتابنا إنما يخوض فيه من له ذوق فى علم العربية وكانت له حظوة وافرة فيها.

«المجرى الثانى» خاص يتعلق بعلوم البيان،

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المُؤَيَّد العلوي ٢/٣٨

ويقال له التكرير أيضا، وليس يخفى موقعه البليغ ولا علو مكانه الرفيع، وكم من كلام هو عن التحقيق طريد، حتى يخالطه صفو التأكيد، فعند ذاك يصير قلادة فى الجيد، وقاعدة للتجويد، ثم ما يكون متعلقا بعلوم البيان قد يكون تأكيدا فى **اللفظ والمعنى**، وقد يتعلق بالمعنى دون اللفظ، فهذان قسمان

القسم الأول ما يكون تأكيدا فى **اللفظ والمعنى** جميعا

اعلم أن ما نورده فى هذا القسم ينبغى إمعان النظر فيه لغموضه ودقة مجاريه، ومن أجل ورود التأكيد من جهة **اللفظ والمعنى** والتكرير فى كتاب الله تعالى ظن بعض من ضاقت حوصلته، وضعفت بصيرته عن إدراك الحقائق، والتطلع إلى مآخذ الدقائق أنه خال عن الفائدة، وأنه لا معنى تحته إلا مجرد التكرير لا غير، وهذا خطأ وزلل، فإن كتاب الله تعالى لم يبلغ حد الإعجاز فى البلاغة والفصاحة سواه من بين سائر الكلمات، ولو كان فيه ما هو خال عن الفائدة بالتكرير لم يكن بالغا هذه الدرجة ولا كان مختصا بهذه المزية، وأيضا فإن سائر الكلمات التى هى دونه فى الرتبة قد يوجد فيه التكرير مع اشتمالها على الفائدة فكيف هو؟! ونحن الآن نعلو ذروة لا ينال حضيضها فى بيان معانى الألفاظ المكررة، فى لفظها ومعناها فى كتاب الله تعالى، ونظهر أنها مع أن تكريرها، إنما كان لمعان." (١)

"جزلة، ومقاصد سنية بمعونة الله تعالى، فمن ذلك قوله تعالى فى سورة الرحمن: فبأي آلاء ربكما تكذبان (١٣)

[الرحمن: ١٣] فهذا تكرير من جهة **اللفظ والمعنى**، ووجه ذلك أن الله تعالى إنما أوردها فى خطاب الثقلين الجن والإنس، فكل نعمة يذكرها، أو ما يئول إلى النعمة، فإنه يردفها بقوله: فبأي آلاء ربكما تكذبان (١٣)

تقريرا للآلاء، وإعظاما لحالها، ومن ذلك فى سورة القمر قوله: ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (١٧) كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر (١٨)

[القمر: ١٧- ١٨] وإنما كرره لما يحصل فيه من إيقاظ النفوس بذكر قصص الأولين، والاتعاظ بما أصابهم من المثلات، وحل بهم من أنواع العقوبات، فيكون بمنزلة قرع العصا، لئلا تستولى عليهم الغفلة، ويغلب عليهم الذهول والنسيان، وهكذا ما ورد فى سورة المرسلات وغيرها، وإنما كرر ذلك لأنه لما ذكر يوم القيامة وأنه كائن لا محالة، ثم عدد هذه الأمور كلها، وأنها كالدلالة عليه، وما من واحدة منها إلا ويعقبها بقوله: ويل يومئذ للمكذبين (١٩)

[المرسلات: ١٩] مبالغة فى الإنكار عليهم وتأكيدا لوقوع السخط والغضب لأجل تكذيبهم، وحذارا عن الإتيان بمثل ما أتوا به من إنكار هذا اليوم العظيم، وهكذا القول فيما ورد من الآيات المكررة، فإنها لم تتكرر إلا لمقصد عظيم فى الرمز إلى ذلك المعنى الذى سيقت من أجله، فليحك الناظر قلبه فى إدراك تلك اللطائف، وليجعلها منه على بال وخاطر، ولا يتساهل فى إحرازها فيلمحها بمؤخر عينه، فإنها مشتملة على أسرار ورموز، ومن أحاط بها فقد أوتى من البلاغة مفاتيح الكنوز، هذا كله فيما تكرر لفظه مرات كثيرة، من آى التنزيل، فأما ما كان تكريره مرتين فهو غير خال عن فائدة ظاهرة، وهذا كقوله تعالى: ويريد الله أن يحق الحق بكلماته

[الأنفال: ٧] ثم قال بعد ذلك ليحق الحق ويبطل الباطل

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المُؤَيَّد العلوي ٢/٩٤

[الأنفال: ٨] فهذا وإن تكرر لفظه ومعناه، فلا يخلو عن حال لأجله وقع التغاير، وذلك من وجهين، أما أولا فلأن الأول وارد على جهة الإنشاء، والثانى وارد على جهة الخبر، وأما ثانيا فلأن الأول وارد فى الإرادة، والثانى وارد فى الفعل نفسه، ولأن الأول الغرض به إظهار أمر الدين بنصرة الرسول بقتل من ناوأه، ولهذا قال بعده ويقطع دابر الكافرين (٧)

[الأنفال: ٧] والغرض بالثانى التمييز بين ما يدعو الرسول إليه من التوحيد، وإخلاص العبادة لله، وبين أمر الشرك وعبادة الأصنام، ولهذا قال بعده ولو كره المجرمون (٨)

[الأنفال: ٨] ومن ذلك قوله تعالى: إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله

[الحجرات: ١٥] ثم قال بعد ذلك إن." (١)

"النمط الثانى من أنواع البديع وأصنافه مما يتعلق بالفصاحة المعنوية

اعلم أنا قد اخترنا إيراد أنواع البديع على هذين النمطين وهما فى الحقيقة متقاربان، لأنه لا بد من اعتبار **اللفظ والمعنى** فيهما جميعا، خلا أن الأول الغرض فيه الاعتماد على فصاحة الألفاظ وعلى هذا يكون المعنى تابعا، النمط الثانى المقصود منه هو الاعتماد على بلاغة المعانى وتكون الألفاظ تابعة، وعلى هذا يعقل التغاير بين النمطين، وكل ما ذكرناه خوض فى علم البديع وبيان أنواعه،

ويشتمل هذا النمط على خمسة وثلاثين صنفا نوردها الأول فالأول.

الصنف الأول التفويف

وهو فى علم البديع فى الذروة العليا، وهو فى مصطلح علماء البيان ما يدل على معنى آخر بقرينة أخرى كما ستراه موضحا بالأمثلة، واشتقاقه من قولهم برد مفوف، وهو الذى يكون على لون ثم يخالطه لون أبيض، وقد يرد التفويف فيه تارة من جهة لفظه وتارة من جهة معناه، فهذان ضربان نذكر ما يتعلق بكل واحد منهما ونمثله بمعونة الله تعالى

الضرب الأول منهما راجع إلى المعنى،

وضابطه هو أن تصف الممدوح بما يدل على مدحه من صفات المكارم وسمات المحامد، ثم تورد صفات دالة على ذمه، لكن اقترن بها ما يرشد إلى كونها مدحا، فالتفويف داخل فى هذه الجهة، ومثاله قول جرير «١» :

هم الأخيار منسكة وهديا ... وفى الهيجاء كأنهم صقور

بهم حدب الكرام على المعالى ... وفيهم عن مساويهم فتور

خلائق بعضهم فيها كبعض ... يؤم كبيرهم فيها الصغير

عن النكراء كلهم غبى ... وبالمعروف كلهم بصير

فكل واحد من هذه الأبيات قد تضمن ما يرشد إلى الذم، لكنه اقترن به ما أخرجه إلى المدح فقوله «كأنهم صقور» صفة

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المُؤَيَّد العلوي ٩٥/٢

ذم لأن من شأن الصقور الخطف والبغى لكنه لما اقترن بقوله «الهيجا» كان مدحا لأن الإنسان إذا كان فى الحرب كالصقر يغلب غيره ويسلبه فهو." (١)

"البحث الثالث فى بيان موقعها من الفصاحة اللفظية

اعلم أن الفصاحة من عوارض الكلم اللفظية، وهى خلاصة علم البيان وصفوة جوهره، ويوصف به المفرد والمركب، وهى أخص من البلاغة، ولهذا يقال كل بليغ من الكلام فصيح، وليس كل فصيح بليغا، ولا يكون الكلام فصيحا إلا إذا كان مختصا بصفات ثلاث، الأولى منها أن يكون خالصا من تنافر الأحرف فى تأليف اللفظة ونظامها، فيسلم من مثل قولنا «عنجق» وعن مثل قولك «هعخع» فإن ما هذا حاله مجانب للفصاحة بمعزل عن أساليبها، ولهذا عيب على امرىء القيس قوله «غدائره مستشزرات إلى العلى» لما فى «مستشزرات» من التنافر المورث للثقل والبشاعة، الثانية أن يكون مجنبا عن الغرابة والعنجهانية، فما هذا حاله يكون عاريا عن الفصاحة، وهذا كقولك فى الخمر إنها «الزرحون» وإنها «القرقف» فيعد هذا من وحشى الكلام وغريبه، فما ألف كان أدخل فى الفصاحة. الثالثة أن يكون موافقا للأقيسة الإعرابية، فلا يخالفها فى تصريف ولا إعراب، فيجب إعلال الكلمة على القوانين الجارية فى علم الإعراب، فلا يقال فى «قام» قوم، ولا فى «قائم» قاوم، وإن كان أصلا، ولا يقال «الحمد لله العلى الأجلل» وإن كان هو الأصل، بل يجب إجراء ذلك على الإعلال والإدغام، وإلا كان خارجا عن الفصيح من الكلام، وقد قررنا شرح هذه القاعدة فى أول الكتاب فأغنى عن الإعادة، فإذا تمهدت هذه القاعدة، فإنك إذا تحققت الألفاظ الواردة فى هذه الآية وجدتها سالمة عن التنافر فى بنائها، عربية مألوفة جارية على الأقيسة المطردة فى الإعراب والتصريف، بعيدة عن الغرابة، سليمة عن العنجهانية، تشبه العسل فى الحلاوة، والماء فى الرقة والسلاسة، وكالنسيم فى السهولة، لا تنبو عن قبولها الأذهان، ولا تمجها الآذان.

البحث الرابع فى بيان موقعها من الفصاحة المعنوية

اعلم أن الفصاحة المعنوية هى غاية علم المعانى، والفصاحة المعنوية المراد بها البلاغة، وهى من عوارض المعانى، وهى متضمنة للفصاحة اللفظية، ولهذا فإن الكلام البليغ لا يكون بليغا إلا مع إحرازه للفصاحة، فهى فى الحقيقة راجعة إلى **المعنى واللفظ** جميعا، ولها." (٢)

"قال في الفصل الثامن في الفصاحة والبلاغة عند ذكر البلاغة، بعد أن قرر أن البلاغة للمعاني والفصاحة للألفاظ: البلاغة شاملة للألفاظ والمعاني، وهي أخص من الفصاحة، كالإنسان من الحيوان. فكل إنسان حيوان وليس كل حيوان إنسانا. وكذلك يقال: كل كلام بليغ فصيح، وليس كل كلام فصيح بليغا ويفرق بينها وبين الفصاحة من كل وجه آخر غير الخاص والعام، وهو أنها لا تكون إلا في **اللفظ والمعنى** بشرط التركيب، فإن اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة، ويطلق عليها اسم الفصاحة، إذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحسن. وأما البلاغة فلا يوجد فيها لخلوها من المعنى المفيد الذي ينتظم كلاما.

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المُؤَيَّد العلوي ٤٨/٣

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المُؤَيَّد العلوي ١٣٦/٣

أقول: قد ادعى أن هذا الفارق الثاني غير الأول، وهو هو بعينه ومينه. فإنه أراد أولا، كل كلام فصيح يطلق عليه أنه بليغ ولا ينعكس. ومعنى هذا، إذا قلنا: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل فإن هذا الكلام بليغ باعتبار أن معناه بلغ في صوغ تركيبه إلى حد له توفية بتمام المراد. وفصيح باعتبار بيان مفرداته وحسنها وعذوبتها في السمع. وإذا فككنا هذا التركيب وأخذنا كل فرد من ألفاظه، كان كل فرد فصيحا، ولا يكون بليغا لعدم التركيب في المعنى. فكانت الفصاحة أعم من البلاغة لأنها وجدت في الإفراد والتركيب. وكانت البلاغة أخص لكونها لا تتناول إلا المركب فقط. فحيث وجدت البلاغة مع عذوبة الألفاظ وجدت الفصاحة ولا ينعكس. فصح أن البلاغة كالإنسانية في خصوصها، والفصاحة كالحيوانية في عمومها. وهذا المعنى موجود بعينه في الفارق الثاني الذي أبداه. فإنه قال: إن البلاغة لا تكون إلا في **اللفظ والمعنى** بشرط التركيب.. إلى آخره فتأمل كلامه يظهر لك ما قلته.

تحديد معنى البلاغة والفصاحة

والذي أقوله أنا: هو أن بين البلاغة والفصاحة، عموما من وجه وخصوصا من وجه. بيان ذلك: أما عموم البلاغة، فلأنها تتناول الكلام الفصيح أعني الحسن المبين، وغير الفصيح أعني الغريب الوحشي. وعموم الفصاحة، فلأنها تتناول الألفاظ المركبة فقط، وخصوص الفصاحة، فلأنها لا تتناول إلا الألفاظ العذبة المستعملة فقط. فثبت أن بين البلاغة والفصاحة عموما من وجه، وخصوصا من وجه. ومثل هذا لا يتنبه له ابن الأثير.

أقسام علم البيان

قال في هذا الفصل: وأما أقسام علم البيان من الفصاحة والبلاغة، فليست كذلك لأنها استنبطت بالنظر وقضية العقل من غير واضع اللغة، ولم يفتقر فيها إلى التوقيف، بل أخذت ألفاظ ومعان على هيئة مخصوصة وحكم لها العقل بمزية الحسن لا يشاركها فيها غيرها. فإن كل عارف بأسرار الكلام من أي لغة كانت من اللغات، يعلم أن إخراج المعاني في ألفاظ حسنة رائقة يلذها السمع ولا ينبو عنها الطبع، خير من إخراجها في ألفاظ قبيحة مستكرهة ينبو عنها السمع. ولو أراد واضع اللغة خلاف ذلك ما قلدناه.

أقول: قد ادعى أن ذلك عقل صرف. فإن أراد بالبيان الذي اصطلح عليه أرباب البلاغة، وهو أحد أقسام علم البلاغة الذي يطلق على معرفة الحقيقة والمجاز والتشبيه والاستعارة والكناية، فإن من المجاز ما هو لغوي كالصلاة، استعملها الشارع في هذه الهيئة المخصوصة المشتملة على القيام والقراءة والركوع والسجود والذكر والسلام والدعاء. وهي في أصل اللغة إنما تطلق على الدعاء الذي هو جزء هذه الهيئة فسماها باسم جزئها، فقد توقفت معرفة هذا المجاز على حقيقته، وتلك الحقيقة لا تعرف إلا بالنقل لا بالعقل، والمتوقف على المتوقف على معرفة الشي متوقف على ذلك الشيء.

الاستعارة والكناية

وأما الاستعارة، فاختلف علماء البيان، هل هي مجاز لغوي أو عقلي. فذهب الأكثرون إلى أنها مجاز لغوي خلافا لصاحب المفتاح فإنه ذهب إلى أنها عقلية. ودليل الأكثرين أنك إذا قلت: عندي أسد شاكي السلاح، وأنت تريد الرجل الشجاع، كان لفظ الأسد عند التحقيق مستعملا في غير ما وضع له، لأنك تفهم أنه عنده رجل شبهه بالأسد. وإنما حذف أداة

التشبيه مبالغة، والألف والسين والدال فهم معناها متوقف على النقل.

وأما الكتابة فمن أقسامها قسم يتوقف على النقل. كقول الشاعر:

أخو لخم أعارك منه ثوبا ... هنيئا بالقميص المستجد

أراد أبوك أمك حين زفت ... فلم يوجد لأمك بنت سعد." (١)

"أيضا: وكذلك يقول أحدهم: أخفت، والصواب: خفت.

(ح) ويقولون لمن أتى الذنب متعمدا: أخطأ، فيحرفون **اللفظ والمعنى**، لأنه لا يقال أخطأ إلا لمن لم يتعمد الفعل، أو لمن اجتهد فلم يوافق الصواب، وإياه عنى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (إذا اجتهد الحاكم وأخطأ فله أجر) . وإنما أوجب له الأجر عن اجتهاده في إصابة الحق الذي هو نوع من أنواع العبادة، فأما المتعمد الشيء فيقال له: خطئ فهو خاطئ والمصدر الخطء بكسر الخاء وإسكان الطاء، كما قال تعالى: (إن قتلهم كان خطئا كبيرا) ، وقال الحريري رحمه الله تعالى:

لا تخطون الى خطء ولا خطأ ... من بعد ما الشيب في فوديك قد وخطا

وأي عذر لمن شابت مفارقه ... إذا جرى في ميادين الهوى وخطا

(وح) ويقولون عند الحرقة ولذع الحرارة الممضة: أخ، بالخاء المعجمة من فوق، والعرب تنطق بهذه اللفظة بالحاء المهملة، وعليه قول عبد الشارق:." (٢)

"(ح ي ض) : حاضت السمرة تحيض حيضا سال صمغها وحاضت المرأة حيضا ومحيضا وحيضتها نسبتها إلى الحيض والمرة حيضة والجمع حيض مثل: بدرة وبدر ومثله في المعتل ضيعة وضيع وحيدة وحيد وخيمة وخيم ومن بنات الواو دولة ودول والقياس حيضات مثل: بيضة وبيضات والحيضة بالكسر هيئة الحيض مثل: الجلسة لهيئة الجلوس وجمعها حيض أيضا مثل: سدرة وسدر والحيضة بالكسر أيضا خرقة الحيض.

وفي الحديث «خذي ثياب حيضتك» يروى بالفتح والكسر والمرأة حائض لأنه وصف خاص وجاء حائضة أيضا بناء له على حاضت وجمع الحائض حيض مثل: راكع وركع وجمع الحائضة حائضات مثل: قائمة وقائمات وقوله «لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار» ليس المراد من هي حائض حالة التلبس بالصلاة لأن الصلاة حرام عليها حينئذ وليس المراد المرأة البالغة أيضا فإنه يفهم أن الصغيرة تصح صلاتها مكشوفة الرأس وليس كذلك بل المراد مجاز **اللفظ والمعنى** جنس من تحيض بالغة كانت أو غير بالغة فكأنه قال لا يقبل الله صلاة أنثى وخرجت الأمة عن هذا العموم بدليل من خارج وتحيضت قعدت عن الصلاة أيام حيضها.

والاستحاضة دم غالب ليس بالحيض واستحيضت المرأة فهي مستحاضة مبنيا للمفعول.." (٣)

---

(١) نصرة الثائر على المثل السائر الصفدي ص/١٢

(٢) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف الصفدي ص/٨٧

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير الفيومي ١٥٩/١

"منكم في إمدادها وإنجادها المعنى واللفظ، وتوفر لها من اعتنايكم الكفل والحفظ وأننا بحسب هذا الاعتماد والاستمساك، والود المستقيم الأفلاك، والولا الذي يصرع نوره دياجي الأحلاك، نود أن لا يمر جزء من الزمان إلا عن رسالة تعمل، أو مخاطبة تتحمل، أو مكاتبة تحشر فيها حروف الهجا كهذه فلا تعمل، أو وجه تعريف يستقبل، أو استطلاع لما يسنيه لله من مزيد عناية ترجى لكم وتؤمل. وإن كنا لا نسوف الإمكان بهذا الغرض الحري بالتقديم، ولا نغفل صلة الحديث بالقديم، ولا نبرح عن التكميل له والتتميم، قد جعلنا ذلك شأنا، واستشعرناه سرا وإعلانا، وشغلنا به لسانا وجنانا، فودنا على الاستكثار حريص، وله مع العموم تنصيص، ومن بعد العموم تخصيص. وغرضنا لو نستنفد الأوقات في فروض بر تقضى، واغتنام ملاطفة ترضى، واستحثاث مراسلة تنفذ وتمضي. ولأجل ذلك رأينا أن أوفدنا على بابكم من يجدد عهدنا بأنباء ذلك المقام السعيد المطالع، الرفيع المصاعد والمصانع وينهى إلينا عنه إن شاء الله قرة العيون وسرور المسامع، وشافهنا بما يتأكد قبله من نعمة الله سابغة، ومنة منه سابقة، وموهبة بالغة، فيشاركه في الشكر على فضل الله المترادف، ويسره البادي والعاكف، ونسئله صلة ما عود من اللطائف، ونرى أن ما ينشأ بتلك السما من غيث، ففضله عائد على هذه الآفاق، وأن ما يرومه من تمهيد الأقطار، وتأمين الرفاق، ذريعة إلى الجهاد فيها، وتخليد الذكر الباق. هيأ الله من حلل العز ما يستأنف لباسه، ومن مصانع الصنع ما يمهد أساسه ويسنى به قومه الكرام وناسه، وأبقاه لفخر فاش، وحمد يشي حلته واش، وفضل لا يختلف." (١)

"وجياد مكارمه سابقة متلاحقة، وعناية الله بنودها عليه خافقة. مقام محل أخينا الذي من أنصاره القدر والقضاء، ومن خلاله السماحة والرجاحة والمضاء، ومن سجاياه الصفح والمنح والإغضاء، السلطان الكذا أبقاه الله، تسطر في ديوان المجد أخباره، وتروى على الأيام مآثره وآثاره. ويقضي في أعدائه وأوليائه اختياره، وتمهد أوطانه، وتيسر مآربه وأوطاره. معظم مجده الذي تعظيمه حكم لا يبدل، وإجلاله فرض لا يضيع ولا يهمل، المثنى على مكارمه التي غمر منها الفارض المسبل، وكرم الآخر منها والأول. الأمير عبد الله، فلان بن فلان. سلام عليكم [يخص مقامكم الأسنى، ومثابتكم التي تأسس من أصالتها البني، وتطابق منها اللفظ والمعنى] ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمد الله واصل أسباب المنن ومواليها، ومسدى الآلاء الرغاب، إلى من هو أحق بها من أهليها، وجامع كلمات الإسلام، ليرفع قواعده ويعليها، ومجازي من أخلص النية لعباده بالعناية التي تروق عيون مجتليها. والصلاة على سيدنا ومولانا محمد، رسوله، ذي الرسالة التي بهرت معاليها، والآيات التي لا يمل تاليها، على تعاقب العصور وتواليها، حافظ الأمة بما عقد من سياج العصمة وكاليها، ونبي الرحمة الذي لا يزال في حال الحياة والممات." (٢)

"وعظم جاهه وماله، ولما تغلبت الفتنة بدولته، وعجمت عود صولته آثر الرحيل، وفارق ربعه المحيل، واستقر بحضرة تونس يروم الوجهة الحجازية وقد تبرأ من قول الشاعر: " وما أنا إلا من غزية " فأتاه بها حمامة، وانقضت دون أمله أيامه، وله أدب غض الجنى، أنيق اللفظ والمعنى على قصر باعه، وقلة انتجاعه.

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ٣٩٥/١

(٢) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ٤٣٩/١

ومن ذلك في وصف أبي الحسن بن الصباغ

اللسن العارف، والناقد لجواهر المعاني كما تفعل بالسكة الصيارف، والأديب المجيد، الذي تحلى به للعصر النحر والجيد، إن أجال جياد براعته، فضح فرسان المهارق، وأخجل من بياض طرسه، وسواد نفسه الطرر تحت المهارق. وإن جلى أبكار أفكاره، وأثار طير البيان من أوكاره، سلب الرحيق المعدم فضل ابتكاره، إلى نفس لا يفارقها ظرف، وهمة لا يرتد إليها طرف وإباية له لا يفل لها غرب ولا جرف، وفي هذه الأيام دعاه شيخ الغزاة إلى كتابة سره، وقام بواجب بره، وله أدب غض وزهر على مجتنبه مرفض.

ومن ذلك في وصف أبي إسحق الطراز

روضة أدب وظرف، كما شئت من حسن وعرف، أشرقت ذكا ذكائه، وتضوعت آدابه تضوع الروض غب سمائه، إلى حلاوة الخلائق والضرائب، والشيم الحسنة والمعاني الغرايب، ترتاح إلى مجالسته المحاضر، ويرقب من أفنان فكاهته الزهر الناضر، فما شيت من توقيع رفيع، وتندير بالإصابة جدير، ولطافة الشمائل في كثير من الفضائل، وله نفس تطمح إلى بلوغ المعاني، وفكر يحدو حلل البدائع في الطراز العالي، وأدب كالروض باكرته السحائب، وحملت أرجه الصبا والجنائب وقد أثبت من شعره كل عطر النسيم، سافر المحيا الوسيم،

ومن ذلك في وصف أبي جعفر بن داود الوادي آشي

شيخ العمال المؤتمن على الجباية والمال، المستوفى شروط الفضل على الكمال،." (١)

"ومدح وانتفع، وشفع شعره للملوك فشفع، ولم يزل يتصرف في الأعمال، ويقابل بالإحسان والإجمال، وقد أثبت من شعره كل محكم العقد، شديد الوطأة على النقد.

ومن ذلك في وصف أبي القاسم بن مقاتل المالقي

من حسباء الطريقة وصدورها، والمحاسن لترايبها العاطلة ونحورها. كان رحمه الله هضبة وقار وسكينة، وذا مكانة في الفضل مكينة. إلى صدر سلم ومجد صميم، وخلق عظيم السهولة، وسمت خليق بسن الكهولة، ولسان مغرى بالذكر، متقلب بين الحمد والشكر، وإلى ذلك فكانت له دعابة صائبة السهم، ونادرة يتنافس فيها أولو الفهم، ومجالسة طيبة، وفكاهة غمامتها صيبة. واستعمل في الولايات النفيسة، فحمدت سيرته، وحسن أثره، وكرم خبره وخبره، وأنجب عقبا جاريا على سننه، ومتخلفا من السرور بأحسنه، وكان له أدب غض الجني، طيب **اللفظ والمعنى**، ومقطوعات حسنة المقاطع، سافرة عن الحسن الساطع.

ومن ذلك في وصف أبي زيد عبد الرحمن الينشتي

من شيوخ طريقة العمل، المتغلبين من أحوالها بين الصحو والثمل، المتعلقين برسومها حين اختلط المرعى بالهمل. وهو ناضم أرجاز، ومستعمل حقيقة ومجاز نظم بها مختصر السيرة في الألفاظ اليسيرة، ونظم جزءا في الرجز والفال، فبذ به تلك الطريقة بعد الإغفال.

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ٣٨٧/٢

ومن ذلك في وصف أبي جعفر المعروف بالبغيل من أهل المرية

بقية صالحة، وغرة في الزمن البهيم واضحة، أرخ وقيد وأحكم بنا العبارة وشيد، ورقم الرسائل البدائع، وحقق ببلده الأخبار وكتب الوقائع. فمجالسته عظيمة الإمتاع، ومحاضرته مقرطة الأذان والأسماع. وله شعر جزل، لا ينتكب لمعانيه غزل، وألفاظه صقيلة، ومعان تتبرج تبرج العقيلة، وأغراض لا تطيش." (١)

"فيقول:

ولقد أصاب غليلها من لم يصب ... وتصيرت فقدا لمن لم يفقد

وبين الكلامين في صحة النظم وعذوبة المنطق ما تراه. ثم قد كرر المعنى في المصراعين، ولم يزد على قول أبي العطاء: فعم مصابه، وبقية البيت فضل. ومن يأخذ قول ساعدة بن جؤية:

للمشرفية وقع في قلالهم ... نحت القيون رطاب الأثل بالقدم

فيقول:

للمشرفية وقع في قلالهم ... وقع القدوم بكف القين في الخشب

فيبدل تلك الألفاظ، والبيت نقلا ونسخا على هيئته لما كان هذا المعنى يعد مسروقا؛ لأنه من المبتذل العامي المشاهد في كل حال.

ومتى أحكمت هذا الباب حق الإحكام، وأوليته حسن التمييز فقد ألقيت عن نفسك ثقلا، وكفيتها مؤونة، ولم يبق عليك إلا أن تحترس من التفريط، كما احترست من الإفراط. فلا تكن كمن يرى السرق لا يتم إلا باجتماع **اللفظ والمعنى**، ونقل البيت جملة، والمصراع تاما؛ بل لا يعرف السارق إلا من يفعل فعل عبد الله بن الزبير بأبيات معن بن أوس. حكى أبو عبيدة وغيره أن عبد الله بن الزبير دخل على معاوية فأنشده لنفسه:

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته ... على طرف الهجران إن كان يعقل

ويركب حد السيف من أن تضيمه ... إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

فقال له معاوية: لقد شعرت بعدي يا أبا بكر! ولم يفارق عبد الله المجلس حتى دخل معن بن أوس المزني، فأنشده كلمته التي أولها:." (٢)

"ما عاب العلماء على أبي الطيب

فما أنكره عليه أهل العلم واستضعفوه قوله:

جللا كما بي فليك التبريح ... أغذاء ذا الرشإ الأغن الشيح

فقال أهل الإعراب: حذف النون من تكن إذا استقبلتها اللام خطأ؛ لأنها تتحرك الى الكسر، وإنما تحذف استخفافا إذا سكنت، فقال لهم المحتج عن أبي الطيب: لعمري إن وجه الكلام ما ذكرتم، لكن ضرورة الشعر تجيز حذف النون مع الألف

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ٣٩٠/٢

(٢) الوساطه بين المتنبي وخصومه ونقد شعره الجرجاني، الشريف ص/١٩٢

واللام، وقد حكاه أبو زيد عن العرب في كتابه المعروف بكتاب النوادر، وأنشد لحسيل بن عرفطة:

لم يك الحق سوى أن هاجه ... رسم دار قد تعفى بالسرر

غير الجدة عن عرفانها ... خرق الريح وطوفان المطر

وأبو زيد ثقة والرواية عن العرب حجة، وقد جاء مثله:

فلست بآتيه ولا أستطيعه ... ولاك اسقني إن كان ماؤك ذا فضل

كأنه حذف ثم جاء بالساكن منبعد فتركه على الحذف. وأنكر أصحاب المعاني قطع المصراع الثاني عن الأول في **اللفظ والمعنى**، فقال المحتج عنه إنما يسوغ الإنكار لو قطع قبل الإتمام، وابتدأ بالثاني وقد غادر من الأول بقية، فأما أن يستوفي مراده، ثم ينتقل الى غيره فليس بعيب، وإنما المصراعان كالبيتين، وه قد استوفى بقوله:

جللا كما بي فليك التبريح." (١)

"وجذيلها المحكك؛ فصغر وهو يريد التعظيم.

وقال آخر:

يا سلم أسقاك البريق الوامض ... والديم الغادية الفضافض

أما تصغير اللفظ على تكثير المعنى فغير منكر؛ وهو كثير في كلام العرب؛ لكن في احتجاج أبي الطيب خلل؛ من قبل أن دويهية في هذا الموضع تصغير في **المعنى واللفظ**، وكذلك جذيلها المحكك لأن هذا الجذل لا يكون إلا لطيف الجرم؛ وإنما هو جذم من النخلة تحتك به الإبل، وكما زاد تحكك الإبل به زاد لطفا وصغرا وضئولة. وإنما وجه القول في هذا أن من التصغير ما يكون جاريا على طريق الاستهانة والتحقير، ومنه ما يراد به الصغر واللطافة؛ فأنت إذ قلت: جاءني رجيل لم تبال بصغر جسمه، وتفاوت خلقه، وقصر قامته، إذا أردت تحقير شأنه والإهوان به، ومتى أردت الإخبار عن ضئولته. ودمامة خلقه لم تعرج على حاله، ولم تفكر في محله. وقد تقول ذلك للملك على هذا الوجه، وتقول للرجل العادي على الوجه الأول، وقد تفعل ذلك وأنت تريد ذمه؛ وإن كان قوي الخلق، عظيم الشأن. وذكر لبيد الدويهية على لفظ التصغير من باب اللطافة دون النكاية؛ وقول أبي الطيب ليبلتنا خارج مخرج الذم والهجو، ثم قد أزال الالتباس وأفصح عن المراد بقوله: المنوطة بالتناد، إذ قد بين أنه لم يرد قصر مدتها. ولا قرب انقضائها. فأما قول أبي الطيب: إني لم أرد بالتناد القيامة، وإنما أردت مصدر تنادى القوم، وعنيت أنها منوطة بما أهم منه فهو أعلم بقصده، وأعرب بنيته؛ غير أن نسق الكلام يشهد عليه. ومن تأمله عرف أنه بأن يراد به القيامة أشبه، ولا عيب فيه لو أراده؛ إنما هو ضرب من الإفراط قد استعمله الشعراء.

قال بشار:

أضل النهار المستنير طريقه ... أم الدهر ليل كله ليس يبرح

ومثله كثير موجود.." (٢)

---

(١) الوساطه بين المتنبي وخصومه ونقد شعره الجرجاني، الشريف ص/٤٤١

(٢) الوساطه بين المتنبي وخصومه ونقد شعره الجرجاني، الشريف ص/٤٥٩

"مشاركته للمعدومات، وهو تعطيل، بل هو واهب هذه الصفات ورب المتضادات.

الإشمام: تهيئة الشفتين للتلفظ بالضم، ولكن لا يتلفظ به، تنبيها على ضم ما قبلها، أو على ضمة الحرف الموقوف عليه، ولا يشعر به الأعمى.

الاشتياق: انجذاب باطن المحب إلى المحبوب حال الوصال؛ لنيل زيادة اللذة أو دوامها.

الأشربة: هي جمع شراب وهو كل مائع رقيق يشرب ولا يتأتى فيه المضغ حراما كان أو حلالا.

الإشارة: هو الثابت بنفس الصيغة من غير أن يسبق له الكلام.

إشارة النص: هو العمل بما ثبت بنظم الكلام لغة، لكنه غير مقصود، ولا سيق له النص، كقوله تعالى: ﴿وعلى المولود له رزقهن﴾ سيق؛ لإثبات النفقة، وفيه إشارة إلى أن النسب إلى الآباء.

الاشتقاق: نزع لفظ من آخر، بشرط مناسبتهما معنى وتركيبا، ومغايرتهما في الصيغة.

الاشتقاق الصغير: هو أن يكون بين اللفظين تناسب في الحروف والتركيب، نحو: ضرب، من: الضرب.

الاشتقاق الكبير: هو أن يكون بين اللفظين تناسب في **اللفظ والمعنى** دون الترتيب، نحو: جبذ، من: الجذب.

الاشتقاق الأكبر: هو أن يكون بين اللفظين تناسب في المخرج، نحو: نعق، من النهق.

الأشهر الحرم: أربعة: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، واحد فرد، وثلاثة سرد، أي متتابعة.." (١)

"عليه السلام الكيف: القطع.

وكيف ويقال: كي: اسم مبهم، غير متمكن، حرك آخره للساكنين، وبالفتح لمكان الياء، والغالب فيه أن يكون استفهاما إما حقيقيا:

ككيف زيد، أو غيره:

﴿كيف تكفرون بالله﴾ ، فإنه أخرج مخرج التعجب، و:

كيف يرجون سقاطي بعدما ... جلل الرأس مشيب وصلع

فإنه أخرج مخرج النفي، ويقع خبرا قبل ما لا يستغني عنه:

ككيف أنت، وكيف كنت،

وحالا: قبل ما يستغني عنه: ككيف جاء زيد، ومفعولا مطلقا:

﴿كيف فعل ربك﴾

﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ ، ويستعمل شرطا، فيقتضي فعلين متفقي **اللفظ والمعنى**، غير مجزومين:

ككيف تصنع أصنع، لا كيف تجلس أذهب.

سيبويه: كيف: ظرف.

الأخفش: لا يجوز ذلك.

---

(١) التعريفات الجرجاني، الشريف ص/٢٧

ابن مالك: صدق، إذ ليس زمانا ولا مكانا، نعم لما كان يفسر بقولك على أي حال، لكونه سؤالا عن الأحوال، سمي ظرفا مجازا، ولا تكون عاطفة كما زعم بعضهم محتجا بقوله:

إذا قل مال المرء لانت قناته ... وهان على الأدنى فكيف الأباعد

لاقترانه بالفاء، ولأنه هنا اسم مرفوع المحل على الخبرية.

والكيفة، بالكسر: الكسفة من الثوب، والخرقة ترقع ذيل القميص من قدام، وما كان من خلف: فحيفة، ويقال: كيف لي بفلان؟ فتقول: كل الكيف، والكيف، بالجر والنصب.

وحصن كيفى، كضيزى: بين آمد وجزيرة ابن عمر.

وكيفه: قطعه. وقول المتكلمين:

كيفته فتكيف: قياس لا سماع فيه.

وانكاف: انقطع.

وتكيفه: تنقصه.

فصل اللام

عليه السلام لأف الطعام، كمنع: أكله أكلا جيدا.

عليه السلام اللجف: الضرب الشديد زنة ومعنى، والحفر في أصل الكناس، وبالتحريك: الاسم منه، وسرة الوادي، وحفر في جانب البئر، وما أكل الماء من نواحي أصل الركية، ومحبس السيل، ج: ألجاف. وككتاب: الأسكفة، وما أشرف على الغار من صخرة وغيرها ناتئ في الجبل.

واللجيف، كأمير: سهم عريض النصل، أو الصواب: النجيف.

ولجيفتا الباب: جنبتاه.

والتلجيف: الحفر في جوانب البئر، وإدخال الذكر في نواحي الفرج.

وتلجفت البئر: انخسفت،

و. البئر: حفر في جوانبها، لازم متعد.

عليه السلام لحفه، كمنعه: غطاه باللحاف ونحوه، ولحسه.

والتحف به: تغطى. وككتاب: ما يلتحف به، وزوجة الرجل، واللباس فوق سائر اللباس من دثار البرد ونحوه، كالملحفة والملحف، بكسرهما. وكأمير أو زبير: فرس لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، كأنه كان يلحف الأرض بذنبه، أهداه له ربيعة بن أبي البراء.

ولحف في ماله، كعني، لحفة: ذهب منه شيء.

واللحف، بالكسر: أصل الجبل، وصقع في أصل جبال همذان ونهاوند، وواد بالحجاز عليه قريتان: جبلة والستار،

و. من الاست: شقها.

و"هو أفلس من ضارب لحف استه": لأنه لا يجد ما يلبسه، فتقع يده على شعب استه.

واللحفة: حالة الملتحف.

وألحف عليه: ألح،

و. به: أضر،

و. ظفره: استأصله، ومشى في لحف الجبل، وجر إزاره على الأرض خيلاء،

كلحف تلحيفا.

ولاحفه: كانفه ولازمه.

وتلحف: اتخذ لحافا.

عليه السلام اللخف: الزبد الرقيق، والضرب الشديد، وبهاء: الاست، وسمة.

ولخفه، كمنعه: أوسع وسمه.

واللخيفة: الخزيرة. وككتاب: حجارة بيض رقاق، واحدها: لخفة، بالفتح. وكأمير أو زبير: فرس للنبي، صلى الله عليه وسلم، أو هو بالحاء، وتقدم.

عليه السلام اللصف، محركة: الأصف، أو أذن الأرنب، ورقه كورق لسان الحمل، وأدق وأحسن، زهره أزرق فيه بياض، وله أصل ذو شعب، إذا قلع وحك به الوجه حمره وحسنه، وجنس من التمر، وبركة بين المغيثة والعقبة، ويبس الجلد ولزوقه. وكقطام وسحاب، ويكسر: جبل لتميم.

واللاصف: الإثمد.

واللصف: الرصف.

واللصيف: البريق.

وتلصف، كتنصر: تبرق.." (١)

"سعيد البصري «١» . حيث يقول:

النحو يبسط من لسان الألكن ... والمرء تكرمه إذا لم يلحن

وإذا طلبت من العلوم أجلها ... فأجلها عندي مقيم الألسن

قال صاحب «الريحان والريعان» : واللحن قبيح في كبراء الناس وسراتهم، كما أن الإعراب جمال لهم، وهو يرفع الساقط من

---

(١) القاموس المحيط الفيروزآبادي ص/٨٥٢

السفلة ويرتقي به إلى مرتبة تلحقه بمن كان فوق نمطه وصنفه. قال: وإذا لم يتجه الإعراب فسد المعنى؛ فإن اللحن يغير **المعنى واللفظ** ويقلبه عن المراد به إلى ضده حتى يفهم السامع خلاف المقصود منه. وقد روي أن أعرابيا سمع قارئا يقرأ أن الله بريء من المشركين ورسوله

«٢» بجر رسوله فتوهم عطفه على المشركين فقال: أو بريء الله من رسوله؟، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأمر أن لا يقرأ القرآن إلا من يحسن العربية. على أن الحسن «٣» قد قرأها بالجر على القسم وقد ذهب على الأعرابي فهم ذلك لخفائه. وقرأ آخر:

إنما يخشى الله من عباده العلماء

«٤» برفع الأول ونصب الثاني، فوقع في الكفر بنقل فتحة إلى ضمة وضمة إلى فتحة فقيل له: يا هذا إن الله تعالى لا يخشى أحدا! فتنبه لذلك وتفطن له. وسمع أعرابي رجلا يقول: أشهد أن محمدا رسول الله بفتح رسول الله فتوهم أنه نصبه على النعت فقال يفعل ماذا؟. وقال رجل لآخر ما شانك؟ بالنصب فظن أنه يسأله عن شين به فقال عظم في وجهي. وقال رجل لأعرابي: كيف أهلك؟ بكسر اللام وهو يريد السؤال عن أهله فتوهم أنه يسأل عن كيفية هلاك نفسه فقال صلبا. ودخل رجل." (١)

"نحمده فرادى ومثنى، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة كاملة **اللفظ والمعنى**، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي شيد الله به للدين خير مبنى، وأضحت الضلوع على محبته تحنى، وثمار الخير مما بين روضته ومنبره تجنى، وخصه الله بالشرع المستقيم والدين الأهنى، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة في الصدور لها سكنى، وسلم تسليما.

وبعد، فإن أم القرى، خير البلاد بلا مرا، قد جعل الله للناس إليها رحلة وسرى، وهجروا في قصدهم إليها لذيذ الكرى، ونصب فيها بيتا متين العرى، وأنبع فيها بئرا مأوها يشفي السقيم ويبريء الورى «١» ، وجعل فيها للشرف بيتا عالي الذرى، فأميرها المطاع، من أهل بيت النبوة لا يخيب ولا يضاع، ذو همة تخافها السباع، ويرهبها البطل الشجاع، يعد من الآباء أسلافا كراما، كمصابيح السماء تجلو ظلاما، وقد طيب الله مقامهم وأعلى مقامهم حين جاوروا مقاما.

ولما كان...... هو شريف العرب، المعرق في النسب، الطيب الحسب، المحيي من آثار آبائه ما ذهب، الشريف النفس: فلا يلتفت إلى العرض الأدنى من الرقة وأكد شكره الحرم وأهله، وأثنى على صفاء سيرته الصفا وعلى مروءته المروة إذ طاب أصله؛ قد اقتفى في الكرم أباه وجده، وأمن سبيل الحاج من جهة البر ومن جهة البحر من جدة.

فلذلك رسم أن يفوض إليه........... فليحل البلد الحرام حاكما وآمرا، وليستجلب له من العاكف والباد شاكرا، وليحسن للطائفين والعاكفين والركع السجود، وليتبع آثار آبائه أهل الكرم والجود، وليؤمن الخائف في تلك التهائم والنجود، وليردع الحائف عن حيفه فلا يعود، وليعلم أنه بواد غير ذي زرع ولكن فيه للبركات ظل ممدود، وخير مشهود؛ وبمكة مولد أشرف مولود، وجده الحسن رضي الله عنه فليكن حسن الفعال فكما ساد يسود." (٢)

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٠٦/١

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٣٢/١٢

"وقد قيل: من أخذ معنى بلفظه كان سارقا «١» ، ومن أخذ بعض لفظه كان سالخا، ومن أخذه فكساه لفظا من عنده كان أولى به ممن تقدمه، وأين من هو أولى بالشيء ممن سبقه إليه ممن يعد سارقا وسالخا؟ ويقال إن أبا عذرة «٢» الكلام من سبك لفظه على معناه، ومن أخذ معنى بلفظه فليس له فيه نصيب. هذا فيمن أخذ سجعة أو سجعتين في خطبة أو رسالة، أو بيتا أو بيتين في قصيدة وما قارب ذلك؛ أما من أخذ القصيدة بكمالها، أو الخطبة أو الرسالة برمتها، أو لفقها من خطب أو رسائل فذاك إنما يعد ناسخا إن أحسن النقل، أو ماسخا إن أفسده.

واعلم أن الناثر الماهر، والشاعر المفلق قد يأتي بكلام سبقه إليه غيره، فيأتي بالبيت من الشعر، أو القرينة من النثر، أو أكثر من ذلك بلفظ الأول من غير زيادة ولا نقصان، أو بتغيير لفظ يسير، وهذا هو الذي يسميه أهل هذه الصناعة وقوع الحافر على الحافر. وقد سئل أبو عمرو بن العلاء «٣» عن الشاعرين يتفقان على لفظ واحد ومعنى فقال: عقول رجال توافت على ألسنتها.

والواقع من ذلك في كلامهم على قسمين:

القسم الأول ما وقع الاتفاق فيه في **المعنى واللفظ** جميعا.

كقول الفرزدق:

وغر قد وسقت مشمرات ... طوالع لا تطيق لها جوابا." (١)

"ليبلغ عذرا أو ينال رغيبة ... ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

فعروة جعل اجتهاده في طلب الرزق عذرا يقوم مقام النجاح، وأبو تمام جعل الموت في الحرب الذي هو غاية اجتهاد المجتهد في لقاء العدو قائما مقام الانتصار؛ قال في «المثل السائر» : وكلا المعنيين واحد، غير أن اللفظ مختلف.

وأظهر من ذلك أخذا قول القائل:

وقد عزى ربيعة أن يوما ... عليها مثل يومك لا يعود

أخذه من قول ابن المقفع في باب المراثي من الحماسة:

وقد جر نفعا فقدنا لك أننا ... أمنا على كل الرزايا من الجزع

على أنه ربما وقع للمتأخر معنى سبقه إليه من تقدمه من غير أن يلم به المتأخر ولم يسمعه؛ ولا استبعاد في ذلك كما يستبعد اتفاق **اللفظ والمعنى** جميعا.

قال أبو هلال العسكري: وهذا أمر قد عرفته من نفسي فلا أمتري فيه، وذلك أني كنت عملت شيئا في صفة النساء فقلت:

سفرن بدورا وانتقبن أهلة

وظننت أني لم أسبق إلى جمع هذين التشبيهين حتى وجدت ذلك بعينه لبعض البغداديين فكثر تعجبي، وعزمت على ألا أحكم على المتأخر بالسرقة من المتقدم حكما حتما.

إذا تقرر ذلك فسرقة المعنى المجرد عن اللفظ لا تخرج عن اثني عشر «١» ضربا.

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣١٧/٢

الضرب الأول أن يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ولا يكون هو إياه

. قال في «المثل.» (١)

"الموضوع الصفحة الحالة الثانية– أن يزيد السجع على سجعتين ٣١١ الغرض السادس– فيما يكون فيه حسن السجع وقبحه ٣١٣ الأصل الخامس– حسن الاتباع والقدرة على الاختراع، ولكاتب الإنشاء مسلكان ٣١٥ المسلك الأول– طريقة الاتباع، وهي على صنفين ٣١٥ الصنف الأول– الاتباع في الألفاظ، والواقع من ذلك في كلامهم على قسمين ٣١٥ القسم الأول– ما وقع الاتفاق فيه في **المعنى واللفظ** جميعا ٣١٧ القسم الثاني– ما وقع الاتفاق فيه في المعنى وبعض اللفظ، وهو على ضربين ٣١٩ الضرب الأول– ما اتفق فيه المعنى وأكثر اللفظ ٣١٩ الضرب الثاني– ما اتفق فيه المعنى مع يسير اللفظ ٣٢١ الصنف الثاني– التقليد في المعاني، وضروبه اثنا عشر ٣٢١ الضرب الأول– أن يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ولا يكون هو إياه ٣٢٧ الضرب الثاني– أن يؤخذ المعنى فيعكس ٣٢٩ الضرب الثالث– أن يؤخذ بعض المعنى دون بعض ٣٣١ الضرب الرابع– أن يؤخذ المعنى فيزاد عليه معنى آخر ٣٣٢ الضرب الخامس– أن يؤخذ المعنى فيكسى عبارة أحسن من العبارة الأولى ٣٣٤ الضرب السادس– أن يؤخذ المعنى ويسبك سبكا موجزا ٣٣٦ الضرب السابع– زيادة البيان مع المساواة في المعنى ٣٣٧ الضرب الثامن– اتحاد الطريق واختلاف المقصود ٣٣٨ الضرب التاسع– بياض بالأصل ٣٣٩ الضرب العاشر– أن يكون المعنى عاما فيجعل خاصا أو خاصا فيجعل عاما ٣٤٠ الضرب الحادي عشر– قلب الصورة القبيحة إلى صورة حسنة ٣٤٠ الضرب الثاني عشر– قلب الصورة الحسنة إلى صورة قبيحة ٣٤١." (٢)

"في مدح أو ذم أو تعظيم أو تحقير أو توبيخ أو تقرير أو من تدله في الحب، وأنا أذكر أمثلة الجميع هنا، فمنه للمبالغة في الغزل قول الشاعر:

أجفون كحيلة أم صفاح ... وقدود مهزوزة أم رماح١

ومنه للمبالغة في الشوق وطول الليل:

وشوق ما أقاسي أم حريق ... وليل ما أكابد أم زمان٢

وللمبالغة في النحول:

وقفت وقد فقدت الصبر حتى ... تبين موقفي أني الفقيد

وشكك في عذالي فقالوا ... لرسم الدار أيكما العميد

ومنه للمبالغة في الغزل:

في الخيف من ظبيانه سمراء ... أقوامها أم صعدة سمراء٣

ومثله:

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣٢٧/٢

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٥٣٠/٢

أثغرك يا هند أبدى ابتساما ... أم البرق سل عليه حساما

ومثله قول شرف الدين راجح الحلي:

من أطلع البدر في ديجور طرته ... وأودع السحر في تكسير مقلته٤

ومن أدار يواقيت الشفاه على ... كأس من الدر يحمي خمر ريقته٥

ويعجبني من هذا القصيد قوله وإن كان من غير ما نحن فيه:

يحنو النسيم عليه من لطافته ... والدهر ألين منه عند قسوته

ومثله، في **اللفظ والمعنى**، قول ابن نباتة:

في مرشفيه سلاف الراح من عصره ... ومعطفيه قوام البان من هصره٦

وفي ابتسام ثناياه ومنطقه ... من نظم الدر أسلاكا ومن نثره

---

١ الصفاح: السيوف، وهي في الأصل وجه السيف وعرضه مفردها صفح.

٢ أكابد: أعاني.

٣ الصعدة: القناة المستوية التي لا تحتاج إلى تثقيف أو تقويم.

٤ الديجور: الظلام الشديد السواد، الطره: أول الشعر من مقدم الرأس.

٥ يواقيت: مفردها ياقوت وهو من الأحجار الكريمة الشفافة.

٦ المرشف: الشفة، السلاف: الخمر المعتقة، الهصر: التمايل.." (١)

"ذكر التكرار:

كررت مدحي حلا في الزائد الكرم ... ابن الزائد الكرم ابن الزائد الكرم

المديح للكريم مليح هنا. وقد تقدم قولي: إن التكرار، هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة **باللفظ والمعنى**، والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل، أو الوعيد أو الإنكار أو التوبيخ أو الاستبعاد أو الغرض من الأغراض.

فأما ما جاء منه للذم فكقول مهلهل بن ربيعة أخي كليب:

يا لبكر أنشروا لي كليبا ... يا لبكر أين أين الفرار١

وأما ما جاء منه للمدح فكقول كثير في عمر بن عبد العزيز:

فأربح بها من صفقة لمبايع ... وأعظم بها وأعظم بها ثم أعظم

وكقول أبي تمام:

بالصريح الصريح والأروع الأر ... وع منهم باللباب اللباب

وأما ما جاء منه للتهويل فكقوله تعالى: ﴿القارعة، ما القارعة، وما أدراك ما القارعة﴾ وكقول: ﴿الحاقة، ما الحاقة﴾ ٣.

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، ابن حجة ٢٧٥/١

١ انشروا: من النشر وهو الإحياء بعد الموت.

٢ القارعة: ١٠١/ ١، ٣

٣ الحاقة: ٦٩/ ١، ٢." (١)

"لمعشر شبهوا الهندي بالجلم، فإن ذكر في شرحه أنه ولده من قول أبي الطيب المتنبي:

فالعيس أعقل من قوم رأيتهم ... عما أراه من الإحسان عميانا١

ثم قال في الشرح: ما شبه السيف بالمقص إلا أعمى. قلت: ومن أين لنا أن تشبيه السيف بالجلم مولد من بيت المتنبي، وألفاظها ومعانيها ظاهرة للمتأمل.

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي، صلى الله عليه وسلم:

توليد نصرتهم يبدو بطلعته ... ما السبعة الشهب ما توليد رملهم

معنى هذا البيت ولدته من قول أبي تمام:

والنصر من شهب الأرماح لامعة ... بين الخميس علا في السبعة الشهب٢

ولكن ذكر التوليد هنا، وهو اسم النوع البديعي، مع النصرة لا تخفى محاسنه على حذاق الأدب، فإنه التوليد في التوليد، وذكر الرمل هنا توليد آخر، وقد جمعت في صدر هذا البيت وعجزه بين التوليد الذي هو المراد من التورية في تسمية النوع، وبين التذييل بقولي، بعد تتمة الفائدة: ما توليد رملهم، وبين مراعاة النظير، بذكر التوليد والرمل والسبعة الشهب والنصرة، وجمعت بين قسمي التوليد في اللفظ والمعنى، والذي بينهما من توليد المحاسن الظاهرة الزائدة على بيت أبي تمام غير خاف على المتأمل المنصف، والله أعلم.

---

١ العيس: الإبل جمع أعيس.

٢ الخميس: الجيش.." (٢)

"ذكر الائتلاف:

وهو أربعة أنواع هي:

١- ائتلاف اللفظ مع المعنى:

تألف اللفظ والمعنى بمدحته ... والجسم عندي بغير الروح لم يقم

هذا النوع ذكره قدامة -أعني ائتلاف اللفظ مع المعنى- وترجمه منفردا ولم يبين معناه وشرحه الآمدي وأطال، ولم توف عبارته بإيضاحه. وأوضحه ابن أبي الأصبع وقال: مختصر عبارة هذه التسمية أن تكون ألفاظ المعاني المطلوبة ليس فيها لفظة غير

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، ابن حجة ١/٣٦١

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، ابن حجة ٢/٢٦٢

لائقة بذلك المعنى، إن كان اللفظ جزلا كان المعنى فخما، أو رشيقا رقيقا كان المعنى غريبا، كقول زهير بن أبي سلمى:

أثافي سفعا في معرس مرجل ... ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم١

فلما عرفت الدار قلت لربعها ... ألا انعم صباحا أيها الربع واسلم

فإن زهيرا قصد تركيب البيت الأول من ألفاظ تدل على معنى غريب، لكن المعنى غير غريب، فركبه من ألفاظ متوسطة بين الغرابة والاستعمال، ولما جنح في البيت الثاني إلى معنى أبين من الأول وأغرب، ركبه من ألفاظ مستعملة معروفة.

وبيت الحلي في بديعيته قوله:

كأنما حلق السعدي منثرا ... على الثرى بين منقض ومنقصم

---

١ الإثاثي: حجارة الموقد. السفع: تغير اللون. المعرس: المنزل، أو مكان التعريس وهو التجمع، والمعرس: هو الدار أو مكان الخيمة، وهنا مكان القدر أو الموقد. والمرجل: القدر يطبخ به. النؤي: نهير صغير يحفر حول الخيمة ليمنع دخول ماء المطر إليها. الجذم: البقية والأثر. تثلم: تشقق وتكسر وخرب.." (١)

"والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي قوله:

تؤلف **اللفظ والمعنى** فصاحته ... تبارك الله منشي الدر في الكلم

بيت الشيخ عز الدين في هذا النوع عامر، وبيت الشيخ صفي الدين خراب؛ لأنه غير صالح للتجريد، ولم يظهر له معنى حتى يأتي بالمشبه به في البيت، وعلى هذا التقرير لم يحصل في بيته ائتلاف بين **اللفظ والمعنى**.

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم:

تآلف **اللفظ والمعنى** بمدحته ... والجسم عندي بغير الروح لم يقم

٢- ائتلاف اللفظ مع الوزن:

واللفظ والوزن في أوصافه ائتلفا ... فما يكون مديحي غير منسجم

هذا النوع، أعني ائتلاف اللفظ مع الوزن، قال قدامة: هو أن تكون الأسماء والأفعال تامة لم يضطر الشاعر في الوزن إلى نقصها في البنية، ولا إلى الزيادة، ولا إلى التقديم والتأخير. ومنهم من قال: هذا النوع لا مثال له بصورة معينة؛ لأنه عبارة عن أنه لا يضطر إلى ما لا يلزمه منه فساد صورة المعنى وذهاب رونق اللفظ، كقول الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا ملكا ... أبو أمه حي أبوه يقاربه

وفي رواية: أخو أمه: فإن اضطرار الوزن حمله على رداءة السبك، فحصل في الكلام تعقيد يمنع من فهم معناه بسرعة، ولو قال: ما مثله إلا مملك أبوه يقارب خاله، لسهل مأخذه وقرب تناوله.

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته قوله:

في ظل أبلج منصور اللواء له ... عدل يؤلف بين الذئب والغنم

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٢/٤٤٢

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي قوله:

أؤلف اللفظ مع وزن بمدحة مو ... لانا وذم عدو بين الثلم

قلت: ثقل الهمزة في اللفظة أؤلف، والوقوف لتحرير الوزن عند قوله: بمدحة مولانا، كان سببا في عدم ائتلاف اللفظ مع الوزن في بيت الشيخ عز الدين." (١)

"وبيت بديعيتي قلت فيه، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– بعد قولي فيه في ائتلاف اللفظ مع المعنى:

تألف **اللفظ والمعنى** بمدحته ... والجسم عندي بغير الروح لم يقم

وقلت بعده:

واللفظ والوزن في أوصافه ائتلفا ... فما يكون مديحي غير منسجم

٣– ائتلاف المعنى مع الوزن:

والوزن صح مع المعنى تألفه ... في مدحه فأتى بالدر في الكلم

هذا النوع –أعني ائتلاف المعنى مع الوزن– هو أن تأتي المعاني في الشعر صحيحة، لا يضطر الشاعر في الوزن إلى قلبها عن وجهها، ولا إلى خروجها عن صحتها، كقول عروة بن الورد:

فإني لو شهدت أبا سعاد ... غداة غد بمهجته يفوق١

فديت بنفسه نفسي ومالي ... وما آلوه إلا ما يطيق٢

فإنه أراد أن يقول: فديت نفسي بنفسي ومالي، فألجأته ضرورة الوزن إلى قلب المعنى. ومهما كان الشعر سليما من مثل هذا، كان الشعر الذي ائتلف معناه مع وزنه.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته قوله:

من مثله وذراع الشاة حذره ... عن سمه بلسان صادق الرتم٣

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله:

تؤلف **اللفظ والمعنى** مدائحه ... فللمعاني ترى الألفاظ كالخدم

قلت: بيت الشيخ صفي الدين، في هذا النوع، قاصر عن بيت الشيخ عز الدين فإن الشيخ عز الدين أتى أولا بالانسجام والسهولة مع التورية بتسمية النوع وتمكين القافية، فإن لفظة رتم، في بيت الشيخ صفي الدين غير ممكنة، وأيضا فإن الوزن والمعنى في بيت الموصلي في غاية الائتلاف.

وبيت بديعيتي قلت فيه:

واللفظ والوزن في أوصافه ائتلفا ... فما يكون مديحي غير منسجم

---

١ يفوق: يجود.

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، ابن حجة ٢/٤٤٣

٢ آلى: أقسم وحلف اليمين.

٣ الرتم: الكلام الخفي.." (١)

"يتكلم، فإن كان فصيحا عظم في صدري، وإن قصر سقط من عيني.

وقد اختلف الناس في الفصاحة، فمنهم من قال: إنها راجعة إلى الألفاظ دون المعاني، ومنهم من قال: إنها لا تخص الألفاظ وحدها. واحتج من خص الفصاحة بالألفاظ بأن قال: نرى الناس يقولون هذا لفظ فصيح، وهذه الألفاظ فصيحة، ولا نرى قائلا يقول: هذا معنى فصيح، فدل على أن الفصاحة من صفات الألفاظ دون المعاني.

وإن قلنا إنها تشمل **اللفظ والمعنى** لزم من ذلك تسمية المعنى بالفصيح، وذلك غير مألوف في كلام الناس، والذي أراه في ذلك أن الفصيح هو اللفظ الحسن المألوف في الاستعمال بشرط أن يكون معناه المفهوم منه صحيحا حسنا.

ومن المستحسن في الألفاظ تباعد مخارج الحروف، فإذا كانت بعيدة المخارج جاءت الحروف متمكنة في مواضعها غير قلقة ولا مكدودة، والمعيب من ذلك كقول القائل:

لو كنت كنت كتمت الحب كنت كما ... كنا وكنت ولكن ذاك لم يكن

وكقول بعضهم أيضا:

ولا الضعف حتى يبلغ الضعف ضعفه ... ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

وكقول الآخر:

وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر

قيل: إن هذا البيت لا يمكن إنشاده في الغالب عشر مرات متوالية إلا ويغلط المنشد فيه لأن القرب في المخارج يحدث ثقلا في النطق به.

وقيل: من عرف بفصاحة اللسان لحظته العيون بالوقار.

وبالفصاحة والبيان استولى يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام على مصر وملك زمام الأمور وأطلعه ملكها على الخفي من أمره والمستور.

قال الشاعر:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وسمع النبي صلى الله عليه وسلم من عمه العباس كلاما فصيحا فقال: بارك الله لك يا عم في جمالك. أي فصاحتك.

وعرضت على المتوكل جارية شاعرة، فقال أبو العيناء «١» يستجيزها: أحمد الله كثيرا. فقالت: حيث أنشاك ضريرا. فقال: يا أمير المؤمنين قد أحسنت في إساءتها فاشترها.

وقال فيلسوف: كما أن الآنية تمتحن بأطيانها، فيعرف صحيحها من مكسورها، فكذلك الإنسان يعرف حاله من منطقه.

وقال المبرد: قلت للمجنون: أجزني هذا البيت:

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٢/٤٤٤

أرى اليوم يوما قد تكاثف غيمه ... وإبراقه فاليوم لا شك ماطر

فقال:

وقد حجبت فيه السحائب شمسه ... كما حجبت ورد الخدود المحاجر

وقال عبد الملك لرجل: حدثني، فقال: يا أمير المؤمنين افتتح، فإن الحديث يفتح بعضه بعضا.

وقال الهيثم بن صالح لابنه: يا بني إذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب، قال: يا أبت فإن أنا أكثرت وأكثرت؟، يعني كلاما وصوابا، قال: يا بني، ما رأيت موعوظا أحق بأن يكون واعظا منك.

وقال الشعبي: كنت أحدث عبد الملك بن مروان وهو يأكل فيحبس اللقمة فأقول: أجزها أصلحك الله، فإن الحديث من وراء ذلك، فيقول: والله لحديثك أحب إلي منها.

وقال ابن عيينة: الصمت منام العلم، والنطق يقظته، ولا منام إلا بتيقظ ولا يقظة إلا بمنام.

قال ابن المبارك:

وهذا اللسان بريد الفؤاد ... يدل الرجال على عقله

ومر رجل بأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، ومعه ثوب، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: أتبيعه؟ فقال: لا، رحمك الله، فقال أبو بكر: لو تستقيمون لقومت ألسنتكم، هلا قلت: لا ورحمك الله.

ومنه: ما حكي أن المأمون سأل يحيى بن أكثم عن." (١)

"١٤ – في طريقه العرض قدم بعض الأحيان الشاهد على **اللفظ والمعنى** المستشهد به مثلا

أ – مادة سلل قال غبار ذيل المرأة الفاجرة يورث السل فقدم الشاهد من الحديث على المعنى المستشهد به

ب – مادة مهل قال ق ﴿بماء كالمهل﴾ قيل النحاس

ج – مادة نول قال وقول البيد جزعت وليس ذلك بالنوال أي بالصواب

١٥ – تبع الفيروز ابادي في ذكره للمسائل الطبية وهي أمور ليست من عمل المعجمي مثلا

أ – في مادة خردل قال والخردل واحدته بهاء وهو قالع للبلغم هاضم طلاؤه نافع للنفوس والنساء والبرص وماؤه يسلس البول ... الخ

ب – في مادة قرفل قال القرنفول ثمرة شجر بسفالة الهند أفضل الأفاوية الحارة مصف للقلب." (٢)

"الدين وأتباعه إلى الأول واستدلوا عليه بأن اللفظ يتغر بحسب تغير الصورة في الذهن فإن من رأى شبحا من بعيد وظنه حجرا أطلق عليه لفظ الحجر فإذا دنا منه وظنه شجرا أطلق عليه لفظ الشجر فإذا دنا وظنه فرسا أطلق عليه اسم الفرس فإذا تحقق أنه إنسان أطلق عليه لفظ الإنسان فبان بهذا أن إطلاق اللفظ دائر مع المعاني الذهنية دون الخارجية فدل على أن الوضع للمعنى الذهني لا الخارجي.

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٥١

(٢) الراموز على الصحاح محمد بن السيد حسن ص/١٤٢

وأجاب صاحب التحصيل عن هذا بأنه إنما دار مع المعاني الذهنية لاعتقاد أنها في الخارج كذلك لا لمجرد اختلافها في الذهن.

قال الأسنوي في شرح منهاج الإمام البيضاوي: وهو جواب ظاهر.

قال ويظهر أن يقال: إن اللفظ موضوع بإزاء المعنى من حيث هو مع قطع النظر عن كونه ذهنيا أو خارجيا فإن حصول المعنى في الخارج والذهن من الأوصاف الزائدة على **المعنى واللفظ** إنما وضع للمعنى من غير تقييده بوصف زائد.

ثم إن الموضوع له قد لا يوجد إلا في الذهن فقط كالعلم ونحوه. انتهى.

وقال ابو حيان في شرح التسهيل: العجب ممن يجيز تركيبا ما في لغة من اللغات من غير أن يسمع من ذلك التركيب نظائر وهل التراكيب العربية إلا كالمفردات اللغوية فكما لا يجوز إحداث لفظ مفرد كذلك لا يجوز في التراكيب لأن جميع ذلك أمور وضعية والأمور الوضعية تحتاج إلى سماع من أهل ذلك اللسان والفرق بين علم النحو وبين علم اللغة أن علم النحو موضوعه أمور كلية وموضوع علم اللغة أشياء جزئية وقد اشتركا معا في الوضع انتهى.

وقال الزركشي في البحر المحيط: لا خلاف أن المفردات موضوعة كوضع لفظ (إنسان) للحيوان الناطق وكوضع (قام) لحدوث القيام في زمن مخصوص وكوضع (لعل) للترجي ونحوها واختلفوا في المركبات نحو (قام زيد) و (عمرو منطلق) فقيل ليست موضوعة ولهذا لم يتكلم أهل اللغة في المركبات ولا في تأليفها وإنما تكلموا في وضع المفردات وما ذاك إلا لأن الأمر فيها موكول إلى المتكلم بها واختاره فخر الدين الرازي وهو ظاهر كلام ابن مالك حيث قال: إن." (١)

"قولك للشجاع: (إنه أسد) فإن ذلك مكابرة وعنادولكن هو دائر بين أمرين إما أن يدعي أن جميع الألفاظ حقائق ويكتفي في الحقيقة بالاستعمال وإن لم يكن بأصل الوضع وهذا مسلم ويعود البحث لفظياوإن أراد استواء الكل في أصل الوضع.

قال القاضي في مختصر التقريب: فهذه مراغمة للحقائقفإنا نعلم أن العرب ما وضعت اسم الحمار للبليد.

الثانية – قال الإمام وأتباعه: اللفظ يجوز خلوه عن الوصفينفيكون لا حقيقة ولا مجازا لغويافمن ذلك اللفظ في أول الوضع قبل استعماله فيما وضع له أو في غيره ليس بحقيقة ولا مجازلأن شرط تحقق كل واحد من الحقيقة والمجاز الاستعم الفحيث انتفى الاستعمال انتفيا ومنه الأعلام المتجددة بالنسبة إلى مسمياتهافإنها أيضا ليست بحقيقة لأن مستعملها لم يستعملها فيما وضعت له أولابل إما أنه اخترعها من غير سبق وضع كما في الأعلام المرتجلة أو نقلها عما وضعت له كالمنقولة وليست بمجازلأنها لم تنقل لعلاقة.

قال القاضي تاج الدين السبكي: وقد ظهر أن المراد بالأعلام هنا الأعلام المتجددة دون الموضوعة بوضع أهل اللغة فإنها حقائق لغوية كأسماء الأجناسوقد ألحق بعضهم بذلك اللفظ المستعمل في المشاكلة نحو: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ .

فذكر أنه واسطة بين الحقيقة والمجاز وهو ممنوع كما بينته في الإتقان وغيره.

الثالثة – قد يجتمع الوصفان في لفظ واحدفيكون حقيقة ومجازا إما بالنسبة إلى معنيين وهو ظاهر وإما بالنسبة إلى معنى

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها السيوطي ٣٧/١

واحد وذلك من وضعين كاللفظ الموضوع في اللغة لمعنى وفي الشرع أو العرف لمعنى آخر فيكون استعماله في أحد المعنيين حقيقة بالنسبة إلى ذلك الوضع مجازا بالنسبة إلى الوضع الآخر.

قال الإمام وأتباعه: ومن هذا يعرف أن الحقيقة قد تصير مجازا وبالعكس فالحقيقة متى قل استعمالها صارت مجازا عرفاوالمجاز متى كثر استعماله صار حقيقة عرفاوأما بالنسبة إلى معنى واحد من وضع واحد فمحال لاستحالة الجمع بين النفي والإثبات.

الرابعة - قال أهل الأصول: **اللفظ والمعنى** إما أن يتحدا فهو المفرد كلفظة." (١)

"الله فإنها واحدة ومدلولها واحد.

ويسمى هذا بالمفردلانفراد لفظه بمعناهأو يتعددا فهي الألفاظ المتباينة كالإنسان والفرس وغير ذلك من الألفاظ المختلفة الموضوعة لمعان مختلفة وحينئذ إما أن يمتنع اجتماعهما كالسواد والبياض وتسمى المتباينة المتفاضلة أو لا يمتنع كالاسم والصفة نحو السيف والصارم أو الصفة وصفة الصفة كالناطق والفصيح وتسمى المتباينة المتواصلة أو يتعدد **اللفظ والمعنى** واحد فهو الألفاظ المترادفة أو يتحد اللفظ ويتعدد المعنى فإن كان قد وضع للكل فهو المشترك وإلا فإن وضع لمعنى ثم نقل إلى غيره لا لعلاقة فهو المرتجل أو لعلاقة فإن اشتهر في الثاني كالصلاة سمي بالنسبة إلى الأول منقولا عنه وإلى الثاني منقولا إليهوإن لم يشتهر في الثاني كالأسد فهو حقيقة بالنسبة إلى الأول مجاز بالنسبة إلى الثاني.

النوع الخامس والعشرون

معرفة المشترك

قال ابن فارس في فقه اللغة: باب الأسماء كيف تقع على المسميات. يسمى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفينوذلك أكثر الكلامكرجل وفرس.

وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحدنحو عين الماء وعين المال وعين السحاب.

ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام.

انتهى.

والقسم الثاني مما ذكره هو المشترك الذي نحن فيه.

وقد حده أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة واختلف الناس فيهفالأكثرون على انه ممكن الوقوعلجواز أن يقع إما من واضعين بأن يضع أحدهما لفظا لمعنى ثم يضعه الآخر لمعنى آخر ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في إفادته المعنيينوهذا على أن اللغات غير توقيفية وإما من واضع واحد لغرض الإبهام على السامع حيث يكون التصريح سببا للمفسدة كما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه - وقد سأله رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم وقت ذهابهما إلى الغار: من هذاقال: هذا رجل يهديني السبيل.." (٢)

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها السيوطي ٢٩١/١

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها السيوطي ٢٩٢/١

"العينعين المال والعين التي يبصر بها وعين الماءوالعين من السحاب الذي يأتي من قبل القبلة وعين الشيء إذا أردت حقيقة وعين الميزان.

وهذا الضرب كثير جداومنه ما يقع على شيئين متضادين كقولهم: جلل للكبير والصغير وللعظيم أيضاوالجون للأسود والأبيض وهو في الأسود أكثروالقوي للقوي والضعيف والرجاء للرغبة والخوف وهو أيضا كثير.

انتهى.

وقال ابن فارس في فقه اللغة: باب أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق.

يكون ذلك على وجوه: فمنه اختلاف **اللفظ والمعنى** وهو الأكثر والأشهرمثل رجل وفرس وسيف ورمح.

ومنه اختلاف اللفظ واتفاق المعنى كقولنا: سيف وعضبوليث وأسد على مذهبنا في أن كل واحد منها فيه ما ليس في الآخر من معنى وفائدة.

ومنه اتفاق اللفظ واختلاف المعنى كقولنا: عين الماءوعين المال وعين الركبة وعين الميزان.

ومنه قضى بمعنى حتم وقضى بمعنى أمر وقضى بمعنى أعلم وقضى بمعنى صنع وقضى بمعنى فرغوهذه وإن اختلفت ألفاظها فالأصل واحد.

ومنه اتفاق اللفظين وتضاد المعنى وقد مضى الكلام عليه.

ومنه تقارب اللفظين والمعنيين كالحزم والحزن فالحزم من الأرض أرفع من الحزن وكالخضم وهو بالفم كله والقضم وهو بأطراف الأسنان.

ومنه اختلاف اللفظين وتقارب المعنيينكقولنا: مدحه إذا كان حياوأبنه إذا كان ميتا.

ومنه تقارب اللفظين واختلاف المعنيين وذلك قولنا: حرج إذا وقع في الحرج وتحرج إذا تباعد من الحرج.

وكذلك أثم وتأثم وفزع إذا أتاه الفزع وفزع عن قلبه إذا نحي عنه الفزع.

انتهى.

وقال أبو عبيد في الغريب المصنف: باب الأضداد:

سمعت أبا زيد سعيد بن أوس الأنصاري يقول: الناهل في كلام العرب:." (١)

"وفي الصحاح: قال أبو زيد: الوثاجة: كثرة اللحم، والوثارة: كثرة الشحم.

قال: وهو الضخم في الحرفين جميعا.

وفيه.

برحى كلمة تقال عند الخطأ في الرمي، ومرحى عند الإصابة.

وفي أدب الكاتب لابن قتيبة: باب، الحرفان يتقاربان في **اللفظ والمعنى** ويلتبسان، فربما وضع الناس أحدهما موضع الآخر.

قالوا: عظم الشيء: أكثره، وعظمه: نفسه.

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها السيوطي ٣٠٦/١

والجهد: الطاقة والجهد: المشقة.

والكره: المشقة.

والكره: الإكراه.

وعرض الشيء: إحدى نواحيه.

وعرضه: خلاف طوله.

وربض الشيء: وسطه.

وربضه: نواحيه.

والميل (بسكون الياء) ما كان فعلا، نحو: مال عن الحق ميلا.

والميل (بفتح الياء) : ما كان خلقة يقال: في عنقه ميل، وفي الشجرة ميل.

والغبن (بسكون الباء) : في الشراء والبيع، والغبن (بفتح الباء) : في الرأي.

والحمل (بفتح الحاء) : حمل كل أنثى وكل شجرة، والحمل (بالكسر) : ما كان على ظهر الإنسان.

وفلان قرن فلان (بفتح القاف) إذا كان مثله في السن وقرنه (بكسر القاف) إذا كان مثله في الشدة.

عدل الشيء (بفتح العين) : مثله.

وعدله (بالكسر) زنته.

والحرق (بسكون الراء) : أثر النار في الثوب وغيره، والحرق (بفتح الراء) : النار نفسها.

وجئت في عقب الشهر إذا جئت بعدما ينقضي وجئت في عقبه إذا جئت وقد بقيت منه بقية.

والقرح (بالضم) : وجع الجراحات، والقرح: الجراحات نفسها.

والضلع: الميل والضلع: الاعوجاج.

والسكن: أهل الدار، والسكن ما سكنت إليه.

والذبح: مصدر ذبحت، والذبح.

المذبوح.

والرعي: مصدر رعيت، والرعي: الكلأ.

والطحن: مصدر طحنت، والطحن: الدقيق.

والقسم: مصدر قسمت، والقسم: النصيب.

والسقي: مصدر سقيت، والسقي: النصيب.

والسمع: مصدر سمعت، والسمع: الذكر، ونحو منه الصوت: صوت الإنسان، والصيت: الذكر.

والغسل: مصدر غسلته، والغسل:." (١)

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها السيوطي ٢٥٧/٢

"برمانتين هما: الشهوة والغضب، أعني الحيوانيتين، فطلقني ونكحها، وجعل المهر محو الثبوت، فما كان لنفس أن ترى الله حتى تموت، فتزوجت بعده بالاشراق في صدر مريده، رجلا سريا، ركب من الصديقية السابقة شريا، واعتقل من حسن التبعية لطعن الخطوط خطيا، وأراح علي من فضائله الخلقية نعما ثريا، وأعطاني بصحة إدراك أنفاس الرحمانية، من كل رائحة زوجا عينيا وأثريا، وقال: كلي أم زرع واسرحي من جنان الفهوم حيث تريدي، وميري أهلك العاشقين، وعلى الطالبين جودي، فلو جمعت كل شيء أعطانيه، ما بلغ أصغر آنية أبي زرع، لأن قوة الأصل لا تدانيها قوة الفرع./

قال لعائشة رضي الله عنها صاحب الشرع: (كنت لك كأبي زرع لأم زرع) [١] ، صلى الله عليه وعلى آله بلا نهاية أبدا في مظهر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

[تم حديث النسوة التي أخبرن عن أحوال أزواجهن]

في التنوير لابن دحية

[٢] شهد أعرابي دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال [٣] : [البسيط]

هلا دفنتم رسول الله في سفط ... من الألوة ملبسا ذهبا

أو في سحيق من المسك الذكي ولم ... ترضوا لجنب رسول الله متربا

خير البرية أتقاها وأكرمها ... عند الإله إذا ما ينسبون أبا

فقال له أبو بكر: إني لأرجو أن يغفر الله لك بما قلت، إلا أن هذه سنتنا.

قال ابن دحية في التنوير، قال الهمداني [٤] في كتاب الإكليل: العرب على سبع

---

[١] صحيح البخاري ٣٥/٤، صحيح مسلم، فضائل الصحابة ب ١٤ رقم ٩٢، مجمع الزوائد ٣١٨/٤.

[٢] ابن دحية الكلبي: عمر بن الحسن بن علي بن محمد، أديب مؤرخ، حافظ للحديث، من أهل سبتة بالأندلس، رحل إلى مراكش والشام والعراق وخراسان، واستقر بمصر، وكان كثير الوقيعة في العلماء والأئمة، فأعرض بعض معاصريه عن كلامه، وكذبوه في انتسابه إلى (دحية) ، من تصانيفه: (المطرب من أشعار أهل المغرب) ، و (التنوير في مولد السراج المنير) ، و (نهاية السول في خصائص الرسول) ، و (النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس) ، وغيرها، توفي بالقاهرة سنة ٦٣٣ هـ. (نفح الطيب ٣٦٨/١، لسان الميزان ٢٩٢/٤، وفيات الأعيان ٣٨١/١، شذرات الذهب ١٦٠/٥) .

[٣] البيت الأول في اللسان: ألا، برواية: ألا جعلتم رسول الله. والألوة: العود الذي يتبخر به. ولحسان بن ثابت بهذا **المعنى والللفظ** (الزينة في الشعر الجاهلي ص ١٨٠، وديوان حسان ص ٦٠ ط صادر) :

ألا دفنتم رسول الله في سفط ... من الألوة والكافور منضود

[٤] الهمداني: الحسن بن أحمد بن يعقوب، مؤرخ عالم بالأنساب والفلك والفلسفة والأدب، شاعر مكثر، يعرف بابن

الحائك، وبالنسابة، من مصنفاته: (الإكليل) في أنساب حمير وأيام ملوكها، و (سرائر الحكمة) و (صفة جزيرة العرب) وغيرها، توفي سنة ٣٣٤ هـ. (معجم الأدباء ٩/٣، بغية الوعاة ٢١٧، الإكليل، مقدمة الناشر ص ٨- ١٠) .." [١]

"تكون في مجموعها الصورة الأدبية. يقول الجرجاني (الدلائل، ص ٣٧- طبعة المنار) : "... فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق، فأما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب، وأن يكون الفكر في النظم الذي يتواصفه البلغاء فكرا في نظم الألفاظ، أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني إلى فكر تستأنفه لأن تجيء بالألفاظ على نسقها، فباطل من الظن، ووهم يتخيل إلى من لا يوفي النظر حقه. وكيف تكون مفكرا في نظم الألفاظ وأنت لا تعقل لها أوصافا وأحوالا إذا عرفتها عرفت أن حقها أن تنظم على وجه كذا؟ ".

لقد شغلت قضية **اللفظ والمعنى** جهود النقاد العرب. وقد نصب الجرجاني همه لرفض الثنائية بينهما وتابعه في هذا الاتجاه ابن كمال. فاللفظ يعانق المعنى فإذا وجب للمعنى أن يكون أولا في النص وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله لا النطق. وهذا الاتجاه لا يخرج عما انتهى إليه الدرس الحديث، يقول طه حسين (خصام ونقد، ص ٨٧) : " إن من أعسر العسر أن تفصل بين صورة الأدب ومادته، فالأدب يوشك ألا يخضع لهذا النوع من التحليل الذي يعمد إليه العلماء وأصحاب الكيمياء منهم خاصة، فإذا عمد النقاد إلى تحليله فهم يقاربون ولا يحققون.. إن اللغة صورة الأدب وإن المعاني هي مادته وهذا كلام مقارب لا تحقيق فيه فكثير من النقاد القدماء خاصة، تصوروا أن المعاني تشبه الأجسام قبل أن تلبس الثياب، ونعرف الثياب قبل أن تسبغ على الأجسام ونستطيع أن نحقق الفصل بينهما، ولكننا لا نعرف المعاني المجردة التي تتخذ ثيابها من الألفاظ ولا نعرف الألفاظ الفارغة التي تنتظر المعاني لتلبسها، وإنما نعرف الألفاظ والمعاني ممتزجة متحدة، لا تستطيع أن تنفصل ولا أن تفترق ".

وفي الرسالة دعوة إلى وحدة علوم اللغة، فعلم المعاني بمعناه العام الذي يضم البيان وإن اشتهر ضمه إلى علوم البلاغة فهو ليس إلا دراسة لغوية تدخل في إطار النحو بمعناه الدقيق، لأن علم المعاني يعنى بدراسة الجملة وما يكون فيها من حذف أو ذكر، أو تعريف أو تنكير، أو تقديم أو تأخير، أو قصر أو وصل، أو إيجاز أو إطناب. ولابن كمال دراسة قائمة بذاتها لتأكيد هذه الصلة، يقول فيها:/مخطوط لدى الباحث/ ".. ويشارك النحوي في البحث عن المركبات إلا أن النحوي يبحث عنها من جهة هيئاتها التركيبية صحة وفسادا، ودلالة تلك الهيئات على معانيها الوضعية على وجه السداد. وصاحب المعاني." [٢]

"يبحث عنها من جهة حسن النظم المعبر عنه بالفصاحة في التركيب.. ومرجع تلك الفصاحة إلى الخلو من التعقيد. فما يبحث عنه في علم النحو من جهة الصحة والفساد يبحث عنه في علم المعاني من جهة الحسن والقبح، وهذا معنى كون علم المعاني تمام علم النحو ".

ولقد سبق أن أشرنا إلى أن ابن كمال مجدد لدعوة عبد القاهر الجرجاني في الدرس اللغوي المبينة على النظرة الشمولية...

---

(١) المحاضرات والمحاورات السيوطي ص/٣٩٠

(٢) رسالة في تحقيق معنى النظم والصياغة ابن كَمَال باشا ص/١٧٦

فهو- مثلا- يساوي بين مصطلحي الفصاحة والبلاغة. وتقوم نظرية النظم عند عبد القاهر على عدم المفاضلة بين **اللفظ والمعنى**، ومن ثم بين الفصاحة والبلاغة ففي دلائل الإعجاز (ص ١٨٣- طبعة المنار) نقرأ: "يصح التعبير عن المعنى بلفظين مختلفين، ثم يكون لأحدهما مزية على الآخر، وأن أحدهما فصيح، والآخر غير فصيح.. "، وإنما تتحقق الفصاحة عنده بعد التأليف وصوغ العبارة، لأن الكلمة في حال إفرادها لا تفضل غيرها وإنما يظهر التمايز في إطار السياق وحسن الأداء، وتمام المعنى. يقول/ الدلائل، ص ٣١/: " وهل تجد أحدا يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعنى جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا لفظة متمكنة ومقبولة، وفي خلافه: قلقة ونابية ومستكرهة، إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من معنييهما، وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تلق بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقا للتالية في مؤداها؟.. ".

وإذا كان علم النحو يعنى بالجمل من حيث صحة التراكيب لتحقيق الاتصال بين الناس فإنه- أي علم النحو- لا يقوم كيانه دون أن يرفد من علم الصرف بالمواد الأولية، والتي يمكن أن توصف بأنها خطوات ممهدة أو وسائل لتحقيق الغاية. فنحن نتعلم من علم الصرف حالات الاسم مفردا أو مثنى أو جمعا، ثم نوظف هذه المعرفة في تركيب العبارات والجمل وفق مقتضيات علم النحو دون إخلال بأساسيات العلوم الأخرى المساندة. وهكذا يبدو اعتماد العلمين على بعضهما كما لو كانا كلا متكاملا.

وابن كمال في معالجته هذه القضية يدرك الرابطة الوثيقة بين علوم اللغة، يقول في هذه الرسالة:/ س ٩٩ أ/: ".. وبهذا التفصيل تبين أن مرادهم من المعاني التي يضيفون إليها عبارة (الصياغة) المعاني الأول. وقد نبهت فيما سبق على صياغتها على نحوين: أحدهما ما يكون بالتصرف في النظم بلا اتساع وتجوز في الكلام. والآخر ما يكون بنحو من الاتساع والتجوز فيه مع قطع النظر عن حال النظم ".." (١)

"فجاوبته عفراء ألا أيها الركب هكذا بيتا فبيتا إلى أربعة والباقي لعفراء وهذا غير صحيح لأن القبر في طريقها قبل منازلهم. وفي هذه الرواية بدل قوله فلا لقي الفتيان، فلا هنيء الفتيان بعدك غادة. والأول ألطف وبدل فلا وضعت انثى. فقال للحبالى لا يرجين غائبا وفيه إضافة غير مناسبة إذ لا مناسبة بين الحمل والغيبة إلا بتأويل لا يليق بفصاحة العرب، ولما فرغت من شعرها ألق نفسها على القبر فحركت فوجدت ميتة وما قيل من أنها منعت المجيء إلى قبره ومن أنه كان في عهد عثمان أو معاوية وأن الذي شهده الحاكي أحدهما ومن أن عمر قال لو أدركتها لجمعت بينهما غير صحيح الرواية كما في النزهة نعم حمل قول عمر على الرؤية وتمسك من قال أن عفراء لم تزر قبره بقولها:

عداني أن أزورك يا خليلي ... معاشر كلهم واش حسود

أشاعوا ما علمت من الدواهي ... وعابونا وما فيهم رشيد

فأما إذ تويت اليوم لحدا ... فدور الناس كلهم اللحود

فلا طابت لي الدنيا فراقا ... لبعدك لا يطيب لي العديد

---

(١) رسالة في تحقيق معنى النظم والصياغة ابن كَمَال باشا ص/١٧٧

ولما قضت دفنت إلى جانبه فنبت من القبرين شجرتان حتى إذا صارتا على حد قامة التفتا فكانت المارة تنظر إليهما ولا يعرفان من أي ضرب من النبات وكثيرا ما أنشدت فيهما الناس فمن ذلك قول الشهاب محمود:

بالله يا سرحة الوادي إذا خطرت ... تلك المعاطف حيث الرند والغار

فعانقيهم عن الصب الكئيب فما ... على معانقة الأغصان انكار

وقول صاحب الأصل:

غصنان من دوحة طال ائتلافهما ... فيها فجالت صروف الدهر فافترقا

فصار ذا في يد تحويه ليس له ... منها براح وهذا في الغلاة لقا

حتى إذا ذويا يوما وضمهما ... بعد التفرق بطن الأرض واتفقا

حنا على العهد في أرجائها فحنا ... كل على ألفه في الترب واعتنقا

قلت وبين هذين خلاف في **اللفظ والمعنى** ويحتمل رجوعه إلى خصوص وعموم مطلق فإن الأول أرق وأعذب وألطف ولكنه قاصر عن المراد وغير دال على خصوص المقام وفيه التكرار الذي عدته البلاغة عيبا فإن الرند والغار مترادفان وفيه عيب خفي إلا على الناقد فإنه لم يجعل المتعانقين المتحابين بل أمر السرحة يعني الشجرة أن تعانق تلك المعاطف يعني معاطف المعشوقة نيابة عن العاشق وعلل ذلك بالانكار على تعانق المتحابين وقد تظافرت كلمات المحبين باستسهال الذم في قضاء الوطر.

وأما الثاني فقد تضمن حكاية الحال مع حسن الاستعارة المكنية ودل على المقام ولكنه غير رقيق ولا خال عن السماجة. وتوفي عروة بن حزام على ما ذكر الذهبي في تاريخه في غلافة عثمان سنة ثلاثين من الهجرة ورأيت في كتاب مجهول التأليف أن وفاته كانت لعشر يقين من شوال سنة ثمان وعشرين ومن محاسن شعره قصيدته التي على حرف النون فقد ضمنها حكاية حاله بألفاظ رقيقة ومعان أنيقة وهي هذه:

خليل من عليا هلال بن عامر ... بصنعاء عوجا اليوم وانتظراني

ولا تزهدا في الأجر عندي واجعلا ... فإنكما بي اليوم مبتليان

ألم تعلما أن ليس بالمرج كله ... أخ وصديق خالص فذراني

أفي كل يوم أنت رام بلادها ... بعيني إنسانا هما غرقان

وعيناي ما وافيت نشر فتنظرا ... بما فيهما إلا هما تكفان

ألا فاحملاني بارك الله فيكما ... إلى حاضر البلقاء ثم دعاني

على جسرة الأصلاب ناجية السرى ... تقطع عرض البيد بالوخدان

ألما على عفراء إنكما غدا ... بشحط النوى والبين مفترقان

فيا واشي عفراء ويحكما بمن ... وما والي من جئتما نشيان

بمن لو أراه غائبا لفديته ... ومن لو رآني عائبا لفداني

فيا واشي عفرا دعاني ونظرة ... تقر بها عيناي ثم زماني

أغركما مني قميص لبسته ... جديدا وبرد أيمنة زهياني

متى تكشفا عني القميص تبينا ... بي الضرر من عفراء يا فتيان." (١)

"ابن الرومي من أبيات

رأيت الدهر يرفع كل وغد ... ويخفض كل ذي زنة شريفه

كمثل البحر يغرق فيه در ... ولا ينفك يطفو فيه جيفه

وكالميزان يخفض كل واو ... ويرفع كل ذي زنة خفيفه

قال بعض الأماجد: ما رددت أحدا عن حاجة الا تبينت العزة في قفاها والذل في وجهي.

وقف أعرابي على قوم يسألهم، فقالوا: من أنت؟ فقال: إن سوء الإكتساب يمنعني من الإنتساب.

قال بعضهم: كان الناس يفعلون، ولا يقولون، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون واليوم لا يقولون ولا يفعلون.

من كلام الحكماء: من لم يستوحش من ذل السؤال، لم يأنف من لوم الرد.

من الكشاف في تفسير سورة التطفيف، الضمير في كالوهم أو وزنوهم، ضمير منصوب راجع إلى الناس، وفيه وجهان: أن يراد كالوا لهم أو وزنوا لهم، فحذف الجار واوصل الفعل كما قال:

ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا ... ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

والحريص يصيدك لا الجواد، بمعنى جنيت لك ويصيد لك، وأن تكون على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، والمضاف هو المكيل والموزون ولا يصح أن يكون ضميرا مرفوعا للمطففين، لأن الكلام يخرج به إلى نظم فاسد، وذلك أن المعنى اذا أخذوا من الناس، استوفوا، وإذا أعطوهم أخسروا، وإن جعلت الضمير للمطففين، انقلب إلى قولك اذا أخذوا من الناس استوفوا، واذا تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص أخسروا، وهو كلام متنافر، لأن الحديث واقع في الفعل، لا في المباشر، والتعلق في إبطاله بخط المصحف، وإن الألف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك، لأن خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على أني رأيت في الكتب المخطوطة بأيدي الأئمة المتقنين، هذا الألف مرفوضة لكونها غير ثابتة في **اللفظ والمعنى** جميعا؛ لأن الواو وحدها معطية معنى الجمع وإنما كتب هذه الألف تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك: هم لم يدعوا، وهو يدعو فمن لم يثبتها قال: إن المعنى كاف في التفرقة بينهما.

وعن عيسى بن عمرو وحمزة، أنهما كانا يرتكبان ذلك، أي يجعلان الضميرين للمطففين: ويقفان عند الواوين وقيفة يبنيان بها ما أرادا.." (٢)

"لو قلت للدنف الحزين فديته ... مما به لأغرته بفدائه

وهو أدق معنى من قول ابن الخياط.

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق داود الأنطاكي ص/٦٠

(٢) الكشكول البهاء العاملي ٢٤٢/٢

المقدمة الثانية: في السرقات الشعرية، والمحمود منها والمذموم، وهي على خمسة عشر ضربا: الضرب الأول: أن يأخذ الثاني من الأول **المعنى واللفظ** جميعا، كقول الفرزدق:

أتعدل أحسابا لئاما حماتها ... بأحسابنا؟ إني إلى الله راجع

وكقول جرير:

أتعدل أحسابا كراما حماتها ... بأحسابكم؟ إني إلى الله راجع." (١)

"أجريت مجرى الأسماء لدخول الجار عليها ولو سقطت الأولى وجب أن تكون الثانية متعلقة بمحذوف صفة لمصدر مقدر محمول)

على معنى الصاليات لأنها نابت مناب مثفيات فكأنه قال: ومثفيات إثفاء مثل إثفائها حين نصبت للقدر. ولا بد من هذا التقدير ليصح **اللفظ والمعنى**.

وأما قوله: يؤثفين فقد اختلف النحويون في وزنه: فقال قوم: وزنه يؤفعلن

والهمزة زائدة والثاء فيه ثاء الفعل فكان يجب أن يقول يثفين لكنه جاء على الأصل ضرورة كما قال الأخر: فإنه أهل لأن يؤكرما وعلى هذا فأثفية أفعولة. فأصلها أثفوية قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء وكسرت الفاء لتبقى الياء على حالها واستدلوا على زيادة الهمزة بقول العرب: ثفيت القدر إذا جعلتها على الأثافي. . وقال قوم: وزنه يفعلين فالهمزة أصل ووزن أثفية على هذا فعلية واستدلوا بقول النابغة:

(لا تقذفني بركن لا كفاء له ... وإن تأثفك الأعداء بالرفد)

فقوله: تأثفك وزنه تفعلك لا يصح فيه غيره ولو كان من ثفيت القدر لقال تثفاك. ومعناه صار أعدائي حولك كالأثافي تظافرا.

قال ابن جني في شرح تصريف المازني: ويفعلين أولى من يؤفعلن لنه لا ضرورة فيه.

وقوله: ومهمهين قذفين ... الخ هذا البيت من شواهد النحاة أنشده

الزجاج في باب ما جاء من المثنى بلفظ الجمع. وسيأتي إن شاء الله تعالى." (٢)

"ومعنى قوله: تكلموا بالآخر أي: تكلموا بالرفع في المستثنى.

وكذلك في شرح أبيات سيبويه للنحاس والأعلم: قال النحاس: قال محمد بن يزيد: أبدل الكواكب من المضمر في يحكي ولو أبدله من أحد لكان أجود لأن أحدا منفي في **اللفظ والمعنى** والذي في الفعل بعده منفي في المعنى.

قال: ومثل ذلك ما علمت أحدا دخل الدار إلا زيدا وإلا زيد النصب على البدل من أحد وعلى أصل الاستثناء والرفع على البدل من المضمر انتهى.

قال ابن هشام في المغني في القاعدة التي يعطى الشيء فيها حكم ما أشبهه في معناه من الباب الثامن: قولهم إن أحدا

---

(١) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي يوسف البديعي ١/٢٨٠

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٢/٣١٦

لايقول ذلك فأوقع أحد في الإثبات لأنه نفس الضمير المستتر في يقول والضمير في سياق النفي فكأن أحدا كذلك وقال: في ليلة لا نرى بها أحدا فرفع كواكبها بدلا من ضمير يحكي لأنه راجع إلى أحد وهو واقع في سياق غير الإيجاب فكان الضمير كذلك.

وقال أيضا في باب الاستثناء من الجهة الخامسة من الباب الخامس: إن قلت ما رأيت أحدا يقول ذلك إلا زيد إن رفع زيد فرفعه من وجه وهو كونه بدلا من ضمير يقول ومنه هذا البيت. وإن نصب فنصبه من وجهين على البدلية من أحد وعلى الاستثناء. فإن قلت: ما أحد يقول ذلك إلا زيد فرفعه من وجهين: كون زيد بدلا من أحد وهو المختار وكونه بدلا من ضميره ونصبه من جهة وهو على الاستثناء وسيأتي بيان هذا في الشرح قريبا.." (١)

"المعنى والله أعلم: ما جشموا بالصمان. فإن حملته على هذا كان لحنا لتقديم ما في الصلة)

على الموصول. لكن تجعله تبيينا فتعلقه بمحذوف يدل عليه الظاهر. وهو باب فاعرفه.

وقد تكلم على التبيين بأبسط من هذا في شرح تصريف المازني قال: إن كان على تقدير أن أجلد بالعصا فخطأ لأن الباء في صلة أن ومحال تقديم شيء من الصلة على الموصول ولكنه جعل الباء تبيينا ومثله قوله تعالى: وكانوا فيه من الزاهدين. فلما قدم جعل تبيينا فأخرج عن الصلة.

ومعنى التبيين أن تعلقه بما يدل عليه معنى الكلام ولا تقدره في الصلة لأن معنى البيت جلدي بالعصا. فإذا فعلت هذا سلم لك اللفظ والمعنى ولم تقدم شيئا عن موضعه الذي هو أخص ألا ترى أن معنى قولهم: أهلك والليل معناه الحق بأهلك قبل الليل وإنما تقديره في الإعراب: الحق بأهلك وسابق الليل. فكذلك أيضا يكون معنى الكلام كان جزائي أن أجلد بالعصا وتقديره في الإعراب غير ذلك.

وسيبويه كثيرا ما يميل في كلامه على المعنى فيتخيل من لا خبرة له أنه قد جاء بتقدير الإعراب فيحمله في الإعراب عليه وهو لا يدري فيكون مخطئا وعنده أنه مصيب فإذا نوزع في ذلك قال: هكذا قال سيبويه وغيره.

فإذا تفطنت لهذا الكتاب وجدته كثيرا. وأكثر ما يستعمله في المنصوبات في صدر الكتاب لأنه موضع مشكل وقلما يهتدى له. انتهى.." (٢)

"معتقدة للارتحال ولم يكن بيننا شر نصطلح من أجله ولم تدر ما جزع عليك جازعة أي: تركت صبية جازعة وإن لم تعرف الجزع أي: صورتها صورة الجازعة.

فإن قلت: فهل هناك أم غير باكية أو أخت غير مفتقدة قيل: ليس نفي الشيء عندنا إثباتا لضده. ألا ترى لو قلت: إن زيدا لم يعزني لم يكن في هذا دليل على أنه قد أهانك.

وقال أبو الحسن في قوله تعالى: يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين. قال: هو في اللفظ معطوف وفي المعنى جواب قال: وذلك أنهم إذا تمنوا الرد ولم يتمنوا ترك التكذيب ولا الإيمان بل أوجبوه على أنفسهم عند الرد فكان يجب

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣/٣٥٠

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٨/٤٣١

النصب أي: إن رددنا آمنا ولم نكذب.

قال: ولكنه جرى في اللفظ معطوفا والمعنى معنى الجواب. وشبهه في الحمل على **اللفظ والمعنى** مخالف لقراءة من قرأ:

وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم

بالجر. فهذا يقتضي مسح الرجلين.." (١)

"قال ابن جني في سر الصناعة: وأما قول الشاعر: فأصبحن لا يسألنه عن بما به فإنه أراد الباء وفصل بها بين عن وما جرته. وهذا من غريب مواضعها. انتهى.

وقال الفراء في آخر تفسير سورة الإنسان: قرأ عبد الله: وللظالمين أعد لهم فكرر اللام في الظالمين وفي لهم. وربما فعلت العرب ذلك.

(فأصبحن لا يسألنه عن بما به ... أصعد في علو الهوى أم تصوبا)

فكرر الباء مرتين. ولو قال: لا يسألنه عما به لكان أبين وأجود ولكن الشاعر ربما زاد أو نقص ليكمل الشعر. انتهى.

وعده ابن عصفور كالفراء من ضرائر الشعر قال: ومنها إدخال الحرف على

جهة التأكيد لاتفاقهما في **اللفظ والمعنى** أو في المعنى لا في اللفظ نحو قول بعض بني أسد: الوافر

(فلا والله لا يلفى لما بي ... ولا للما بهم أبدا دواء)

فزاد على لام الجر لاما أخرى للتأكيد. ونحوه قول الآخر وأنشده الفراء: الرمل

(فلئن قوم أصابوا عزة ... وأصبنا من زمان رنقا)

(للقد كنا لدى أزماننا ... لصنيعين لبأس وتقى)." (٢)

"لأن حذف إحداهما أو تخفيفها أخف من الإدغام إلا في باب (فعال) بالفتح والتشديد فإنه باب قيامي حوفظ عليه مع وجود المدة بعدها فكانت مسهلة لأمرهما]

وإذا اجتمعت همزة الاستفهام مع حرف العطف [نحو: (أو من كان ميتا)] فحينئذ تدخل همزة الاستفهام في المقدر لرعاية حقها

وإذا اجتمع اسمان من جنس واحد، وكان أحدهما أخف على أفواه القائلين غلبوه فسموا الآخر باسمه ك (العمرين)

[وإذا اجتمع سبب الإعلال وسبب الإدغام قدم الإعلال، لأن سببه موجب وسبب الإدغام مجوز يدل عليه امتناع الفتحة في (رضي) وجواز الفك في (حي)]

وإذا اجتمع فعلان متقاربان في المعنى، ولكل واحد متعلق على حدة، جاز ذكر أحدهما وعطف متعلق الآخر المتروك على [متعلق] المذكور، كقوله: (متقلدا سيفا ورمحا)

وإذا اجتمع طالبان نحو القسم والشرط فالجواب للأول

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٥٣٣/٨

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٥٢٨/٩

وإذا اجتمع ضميران: متكلم ومخاطب، روعي المتكلم نحو (قمنا)

وإذا اجتمع المخاطب والغائب: روعي المخاطب نحو (قمتما)

وإذا اجتمع المخاطب والغائب: روعي المخاطب نحو (قمتما)

وإذا اجتمع المعرفة والنكرة: روعي المعرفة

تقول: (هذا زيد ورجل منطلقين) على الحال؛ ولا يجوز الرفع والأعدل فيما إذا اجتمعا أن يكون المعرفة اسما والنكرة خبرا، ولا يجوز العكس إلا في ضرورة الشعر

واجتماع المعرفتين جائز إذا كان في أحدهما ما في الآخر وزيادة

وإذا اجتمع الواو والياء: روعي الياء نحو (طويت طيا) والأصل (طويا)

وإذا اجتمع في الضمائر مراعاة **اللفظ والمعنى** بدئ باللفظ ثم بالمعنى هذا هو الجادة في القرآن قال الله تعالى ﴿ومن الناس من يقول آمنا﴾ ثم قال: ﴿وما هم بمؤمنين﴾ أفرد أولا باعتبار اللفظ، ثم جمع باعتبار المعنى

وإذا اجتمع المباشر والمتسبب: أضيف الحكم إلى المباشر، فلا ضمان على حافر البئر تعديا بما تلف بإلقاء غيره، ولا من دل سارقا على مال إنسان فسرقه، إلا إذا تعذر الوقوف على المباشر، فحينئذ يعلق الحكم بالسبب الظاهر، كما إذا اجتمع القوم بالسيف وتفرقوا، فظهر في موضع الاجتماع قتيل حيث تجب الدية والقامة على أهل المحلة

وإذا اجتمع الحلال والحرام: غلب الحرام

وعلله الأصوليون بتقليل النسخ، لأنه لو قدم المبيح لزم تكرار النسخ، لأن الأصل في الأشياء الإباحة، فإذا جعل المبيح متأخرا كان المحرم ناسخا للإباحة الأصلية ثم يصير منسوخا؛ ولو جعل المحرم متأخرا لكان ناسخا للمبيح، وهو لم ينسخ شيئا لكونه وفق الأصل

وإذا اجتمع الحقان قدم حق العبد إلا في صورة صيد المحرم قدم حق الله تعالى." (١)

"وهو أعم من الإيغال باعتبار المحل، وأخص منه باعتبار النكتة

ومباين للتذييل مفهوما، إذ التذييل تأكيد والتأكيد يدفع التوهم والتكميل الذي يسمى احتراسا يدفع الإيهام، والإيهام غير التوهم

الإحاطة هي إدراك الشيء بكماله ظاهرا وباطنا، والاستدارة بالشيء من جميع جوانبه

قيل: الإحاطة بالشيء علما: أن يعلم وجوده، وجنسه، وقدره، وصفته، وكيفيته، وغرضه المقصود به، وما يكون به منه وعليه؛ وذلك لا يكون إلا الله تعالى وقوله تعالى: ﴿أحاطت به خطيئته﴾ أبلغ استعارة؛ فإن الإنسان إذا ارتكب ذنبا واستمر عليه استجره إلى معاودة ما هو أعظم منه، فلا يزال يرتقي حتى يطبع على قلبه فلا يمكنه أن يخرج عن تعاطيه؛ وقد يتعدى بعلى لتضمنها معنى الاشتمال

الاحتياط: هو فعل ما يتمكن به من إزالة الشك وقيل: التحفظ والاحتراز من الوجوه لئلا يقع في مكروه وقيل: استعمال

---

(١) الكليات أبو البقاء الكفوي ص/٤٧

ما فيه الحياطة أي الحفظ هو الأخذ بالأوثق من جميع الجهات ومنه قولهم: (افعل الأحوط) يعني افعل ما هو أجمع لأصول الأحكام وأبعد عن شوائب التأويل

الإحباب: أحب الشيء وحبه بمعنى: إلا أنهم اختاروا أن بنوا الفاعل من لفظ (أحب) والمفعول من لفظه (حب) فقالوا للفاعل (محب) وللمفعول (محبوب) ليعادلوا بين اللفظين في الاشتقاق؛ على أنه قد سمع في المفعول (محب)

وأحببت عليه: بمعنى آثرت عليه هذا هو الأصل، لكن في قوله تعالى: ﴿أحببت حب الخير عن ذكر ربي﴾ لما أنيب مناب (أنبت) عدي تعديته

والحب: بالضم المحب

و [الحب] بالكسر: المحبوب وقد وضعوا للمحبة حرفين مناسبين لها غاية المناسبة بين **اللفظ والمعنى**، حتى اعتبروا تلك المناسبة في الحركات خفة وثقلة وقد نظمت فيه:

(وأثقل يعطي للأخف كعكسه ... وما هو إلا من عدالة عادل)

(فما وجه ضم الحاء في الحب عاشقا ... وبالكسر في المحبوب عكس التعادل؟)

وإذا كان ما تعلق ب (أحب) فاعلا من حيث المعنى عدي إليه ب (إلى) تقول: (زيد أحب إلى عمرو من خالد) فالضمير في (أحب) مفعول من حيث المعنى، و (عمرو) هو المحب و (خالد) محبوب وإذا كان ما تعلق به معفولا عدي إليه ب (في) تقول: (زيد أحب في عمرو من خالد) فالضمير فاعل و (عمرو) هو المحبوب و (خالد) محب

و (أفعل من) لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه، والمذكور وما يقابله بخلاف أخواته، فإن الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف

الاحتقار: هو كالتحقير، لأن الافتعال قد يأتي." (١)

"(فصل الألف والشين)

[اشترى] : كل من ترك شيئا وتمسك بغيره فقد اشتراه

ومنه: ﴿اشتروا الضلالة بالهدى﴾

الاشتقاق: هو أخذ شق الشيء، والأخذ في الكلام وفي الخصومة يمينا وشمالا

وفي الاصطلاح: هو اقتطاع فرع من أصل يدور في تصاريفه حروف ذلك الأصل

وقيل: هو أخذ كلمة من أخرى بتغيير ما مع التناسب في المعنى

وقيل: هو رد كلمة إلى أخرى لتناسبهما في **اللفظ والمعنى**

وهو من أصل خواص كلام العرب، فإنهم أطبقوا على أن التفرقة بين اللفظ العربي والعجمي بصحة الاشتقاق

قال ابن عصفور: لا يدخل الاشتقاق في ستة أشياء وهي: الأسماء الأعجمية: ك (اسماعيل)

---

(١) الكليات أبو البقاء الكفوي ص/٥٦

والأصوات ك (غاق)

والأسماء المتوغلة في الإبهام ك (من) و (ما)

والبارزة ك (طوبى) اسم للنعمة

(واللغات المتقابلة ك (الجون) للأبيض والأسود

(والأسماء الخماسية ك (سفرجل)

وجاز الاشتقاق من الحروف وقد قالوا: (أنعم له بكذا) أي قال له: نعم

وسوفت: الرجل: أي قلت له: سوف أفعل

وسألتك الحاجة فلوليت لي أي: قلت لي: لولا

ولا ليت لي: أي قلت لي: لالا، وأشباه ذلك

ومحال أن يشتق الأعجمي من العربي أو بالعكس، لأن اللغات لا تشتق الواحدة منها من الأخرى، مواضعة كانت في الأصل أو إلهاما، وإنما يشتق في اللغة الواحدة بعضها من بعض، لأن الاشتقاق نتاج وتوليد، ومحال أن تنتج النوق إلا حورانا، وتلد المرأة إلا إنسانا؛ ومن اشتق الأعجمي من العربي كان كمن ادعى أن الطير من الحوت

والاشتقاق يعم الحقيقة والمجاز، ك (الناطق) المأخوذ من (النطق) بمعنى التكلم حقيقة، وبمعنى الدال مجازا؛ ومن قولهم: (الحال ناطقة بكذا) أي دالة عليه، فاستعمل النطق في الدلالة مجازا ثم اشتق منه اسم الفاعل

وقد لا يشتق من المجاز، كالأمر [أي لفظ الأمر] بمعنى الفعل مجازا لا يشتق منه اسم فاعل ولا اسم مفعول، ويشتقان من الأمر بمعنى القول حقيقة

وأركانه أربعة: المشتق والمشتق منه والمشاركة بينهما في المعنى والحروف، والتغيير؛ فإن فقدنا التغيير لفظا حكمنا بالتغيير تقديرا؛ وليس من شرط الاسم المشتق اتصاف الذات بالمشتق منه، بدليل أن المعلوم مشتق من العلم، والعلم ليس قائما بالمعلوم، وشرط صدق المشتق حصول المشتق منه في الحال

وجواز صدق المشتق مع انتفاء مأخذ الاشتقاق، كما يذهب إليه المعتزلة القائلة بأن الله تعالى عالم لا علم له فليس بمرضي عند المحققين، بدليل أن من كان كافرا ثم أسلم فإنه يصدق عليه أنه ليس بكافر، فدل على أن بقاء المشتق منه شرط في صدق الاسم المشتق، ووجود معنى المشتق منه." (١)

"كالضارب لمباشرة الضرب حقيقة اتفاقا

وقيل: وجوده – أعني في الاستقبال – كالضارب لمن لم يضرب وسيضرب مجاز اتفاقا، وبعد وجوده منه وانقضائه – أعني في الماضي – كالضارب لمن قد ضرب قبل وهو الآن لا يضرب، اختلف فيه؛ فعند الحنفية مجاز، وعند الشافعية حقيقة؛ وثمرة الخلاف تظهر في نحو قوله عليه الصلاة والسلام: " المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا " فلم يثبت أبو حنيفة خيار المجلس بعد انقطاع البيع، وحمل التفرق على التفرق بالأقوال، واثبته الشافعي وحمله [على التفرق] بالابدان

---

(١) الكليات أَبُو البَقاء الكفوي ص/١١٧

[الاشتقاق الصغير] : ثم الاشتقاق ان اعتبر فيه الحروف الأصول مع الترتيب وموافقة الفرع الأصل في المعنى فهو الصغير

[الاشتقاق الكبير] : وان اعتبر فيه الحروف الأصول مع عدم الترتيب فالكبير

ويشترط في كل منهما المناسبة بين المعنيين في الجملة والمشهور في المناسبة المعنوية أن يدخل معنى المشتق منه في المشتق، واختلاف الاسمين في المعنى بالخصوص والعموم لا يمنع اشتقاق أحدهما من الآخر، لأن ذلك مناسبة في المعنى، وهو شرط في الاشتقاق

وقال بعضهم: يكفي في الأكبر أن يكون بين الكلمتين تناسب في **اللفظ والمعنى**، ولا يكفي ذلك في الكبير، بل لا بد من الاشتراك في حروف الأصول بلا ترتيب

والاشتقاق عدل من **اللفظ والمعنى**، ك (ضارب) من (الضرب)

والعدل: اشتقاق من اللفظ دون المعنى وجاز اشتقاق الثلاثي من المتشعبة في الكبير لا في الصغير

وقد جعل صاحب " الكشاف " الرعد من الارتعاد، لأنه أشهر في معنى الاضطراب

واشتقاق الثلاثي من المزيد فيه شائع إذا كان المزيد فيه أشهر في المعنى الذي يشتركان فيه، وأقرب للفهم من الثلاثي لكثرة استعماله، كما في الدبر مع التدبير

والاشتقاق عند أهل البديع أن يشتق من الاسم العلم معنى في غرض قصده المتكلم من مدح أو هجاء أو غير ذلك مثاله في التنزيل: ﴿فأقم وجهك للدين القيم﴾ ﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات﴾

وفي الشعر:

(عممت الخلق بالنعماء حتى ... غدا الثقلان منها مثقلين)

الاشتراك: هو إما لفظي أو معنوي

فاللفظي: عبارة عن الذي وضع لمعان متعددة كالعين

والمعنوي: عبارة عن الذي كان وجودا في محال متعددة كالحيوان

والحاصل ان المعنوي يكفي فيه الوضع الواحد دون اللفظي، لأنه يقتضي الأوضاع المتعددة

واللفظ المشترك بين معنيين قد يطلق على أحدهما؛ ولا نزاع في صحته وفي كونه بطريق." (١)

"نحو: (ما جاءني إلا زيدا أحد) ، وما كان استثناؤه منقطعا نحو: (ما جاءني أحد إلا حمارا)

والثاني: جاز فيه البدل والنصب، وهو المستثنى من كلام غير موجب نحو: (ما جاءني أحد إلا زيد وإلا زيدا)

والثالث: جار على إعرابه قبل دخول (إلا) [والمختار مع الفصل الكثير بين المستثنى والمستثنى منه النصب على الاستثناء صرح به في " التسهيل " ووافقه الرضي]

و (إلا) يخرج ما بعدها مما أفاده الكلام الذي قبلها في الكلام التام الموجب، وكذا في غير الموجب، ومن ثمة كان تركيب مثل: (ما قام القوم إلا زيدا) مفيدا للحصر مع أنها للاستثناء أيضا لأن المذكور بعد (إلا) لا بد أن يكون مخرجا من شيء

---

(١) الكليات أبو البقاء الكفوي ص/١١٨

قبلها، فإن كان ما قبلها تاما لم يحتج إلى تقدير، وإلا فيتعين تقدير شيء قبل (إلا) ليحصل الإخراج منه، لكن إنما احتيج إلى هذا التقدير لتصحيح المعنى، فعلم منه أن المقصود في الكلام الذي ليس بتام إنما هو إثبات الحكم المنفي قبل (إلا) لما بعدها، وأن الاستثناء ليس بمقصود، ولهذا اتفق النحاة على أن المذكور بعد (إلا) في نحو: (ما قام إلا زيد) معمول للعامل الذي قبلها

وإلا: تنقل الكلام من العموم إلى الخصوص ويكتفى بها من ذكر المستثنى منه إذا قلت: (ما قام إلا زيد) فكانت هي الأصل في الاستثناء

والا الاستثنائية: قد تكون عاطفة بمنزلة الواو في التشريك كقوله تعالى: ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا﴾ أي: ولا الذين ظلموا

وتكون بمعنى (بل) نحو: ﴿إلا تذكرة لمن يخشى﴾

وبمعنى (لكن) نحو ﴿لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر﴾ ونحو: ﴿إلا ما اضطررتم﴾ وتكون صفة بمعنى (غير) فيوصف بها أو بتاليها جميعا جمع منكر أو شبه نحو: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ أو شبيهة والمراد بشبه الجمع المنكر الجمع المعرف بلام الجنس والمفرد غير المختص بواحد وكون (إلا) في هذه الآية للاستثناء غير صحيح من جهة **اللفظ والمعنى**، إذ المعنى حينئذ (لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا) وهو باطل باعتبار مفهومه، وأما اللفظ فلأن (آلهة) جمع منكر في الإثبات فلا عموم له فلا يصح الاستثناء منه، [وحكم ابن الحاجب بضعف (إلا) بمعنى (غير) غير ما إذا كانت تابعة بجمع منكور غير محصورة] وقد يجيء بمعنى (بدل) وعليه خرج ابن الصائغ أي (بدل الله) أو (عوضه) فلا إشكال حينئذ

وقد يذكر (إلا) ويراد به تأكيد الأول بتعليق الثاني بعدم الأول، كقول الإمام للمرتد: (تب وإلا قتلناك)

ويذكر ويراد به التخيير، كما يقال: (اركب هذه الدابة وإلا هذه الدابة)

ويجيء بمعنى (إما) كما في قولهم: (إما أن." [١]

"بالخنس؛ الجوار الكنس﴾ ﴿والليل وما وسق؛ والقمر إذا اتسق﴾ وفي الحديث: " اللهم بك أحاول وبك أوصاول " و " زر غبا تزدد حبا "

الإلغاء: هو حقيقة ترك العمل مع التسليط نحو: (زيد قائم ظننت)

ولا ينكر إلغاء معاني الألفاظ كما يتأول في الشيء ما لا يكون في أصله

وأما إلغاء العمل: فلا يكون إلا فيما لا يكون أصله العمل، وهو ثلاثة أقسام: إلغاء في **اللفظ والمعنى**: مثل (لا) في: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾

وإلغاء في اللفظ دون المعنى مثل: (كان فيما كان أحسن زيدا)

وبالعكس: نحو: ﴿كفى بالله شهيدا﴾ نقل ابن يعيش عن ابن السراج أنه قال: حق الملغى عندي أن لا يكون عاملا ولا معمولا فيه حتى يلغى من الجمع، ويكون دخوله كخروجه لا يحدث معنى غير التأكيد، واستغرب زيادة حروف الجر لأنها

---

(١) الكليات أَبُو البَقاء الكفوي ص/١٦٧

عاملة، قال: ودخلت لمعان غير التأكيد

الآلة: هي ما يعالج بها الفاعل المفعول كالمفتاح ونحوه، وليس المنبر بآلة، وإنما هو موضع العلو والارتفاع، والصحيح أن هذا ونحوه من الأسماء الموضوعة على هذه الصيغة ليست على القياس

الألم: الوجع، [والأليم: المؤلم من العذاب الذي يبلغ إيجاعه غاية البلوغ] وهو مصدر ألم يألم كعلم يعلم: إذا أصابه الوجع

والألم: إدراك المنافي من حيث هو مناف كما أن اللذة إدراك الملائم من حيث هو ملائم

وهذا لا يناسب فن البديع، لأن اللذة حالة تدركها عند عروض المنافي لإدراكها، ويدل عليه قولهم: (فلان يدرك اللذة والألم)

والمناسب لفن البديع أن يقال: الألم: الوجع، واللذة ضده

وسبب الألم عند الحكماء تفرق الاتصال

ورده الفخر بأن قطع العضو بسكين حادة بسرعة لا يحس معه الألم إلا بعد حين، بل تفرق الاتصال سبب المزاج الموجب للألم

الإلحاق: لحق به كسمع، ولحقه لحقا ولحاقا بالفتح: أدركه، كألحقه وألحق به غيره، ومنه: (ان عذابك بالكفار ملحق) أي: لاحق في القاموس: الفتح أحسن أو الصواب

والإلحاق: جعل مثال على مثال أزيد منه بزيادة حرف أو أكثر موازنا له في عدد الحروف وفي الحركات والسكنات

والملحق يجب أن يكون فيه ما يزيد للإلحاق دون الملحق به، وزيادة الحروف في المنشعبة لقصد زيادة معنى

وفي الملحق لقصد موافقة لفظ للفظ آخر ليعامل معاملته لا لزيادة معنى

[والإلحاق بما هو الأصل في نوعه أظهر من الإلحاق فيما هو الأصل في جنسه]." (١)

"(فاطمة) والراء في (شجرة) ، إلا أن يكون ألفا ك (قطاة) و (قناة) ؛ ولما كان ما قبل التاء في (بنت) و (أخت) ساكنا وليس بألف دل على أن التاء فيهما أصلية

والتاء تكتب طويلا في الجموع وقصيرا في المفردات؛ هذا في الأسماء، وأما في الأفعال فلا تكتب إلا طويلا

التعليق: هو مأخوذ من قولهم: (امرأة معلقة) أي: مفقودة الزوج، فتكون كالشيء المعلق، لا مع الزوج لفقدانه، ولا بلا زوج لتجويزها وجوده فلا تقدر على التزوج

والتعليق: ربط حصول مضمون جملة بحصول مضمون جملة أخرى

والشرط: تعليق حصول مضمون جملة بحصول مضمون جملة أخرى

وشرط صحة التعليق كون الشرط معدوما على خطر الوجود؛ فالتعليق بكائن تنجيز، وبالمستحيل باطل

[ووظيفة التعليق هي أن يكون الشيء الذي سيوجد بدلا عن ضده، لا أن يكون المراد حال اجتماعه مع ضده، كقولك: (إن دخلت الدار فأنت طالق) معناه: إن باشرت الدخول بدلا عن الخروج، كقولك: إن باشرت الدخول حالة الخروج، وكذا في كل تعليق]

---

(١) الكليات أَبُو البَقاء الكفوي ص/١٧٤

والتعليق النحوي: هو أن تقع الجملة موقع المفعولين معا وأما التعليق عن أحد المفعولين ففيه خلاف؛ وفي الرضي: إذا صدر المفعول الثاني بكلمة الاستفهام فالأولى أن يعلق فعل القلب عنه دون المفعول الأول نحو: (علمت زيدا من هو) وجوز بعضهم تعليقه عن المفعولين، لأن معنى الاستفهام يعم الجملة التي بعد (علمت) كأنه قيل: (علمت من زيد) وليس بقوي

والتعليق: إبطال عمل العامل لفظا لا تقديرا على سبيل الوجوب

والإلغاء: إبطال ذلك لفظا وتقديرا على سبيل الجواز؛ وإلغاء العمل بالتعليق لا يكون إلا في أفعال القلوب وأما قوله تعالى: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ فالقياس: (أيكم) بفتح الياء، وإنما علق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث إنه طريق إليه، كالنظر والاستماع، فإنهما طريقان إلى العلم فتقدير الكلام: (ليبلوكم فيعلم أيكم أحسن عملا) فوجد شرط التعليق، وهو عدم ذكر شيء من مفعوليه قبل الجملة

والإلغاء لا يجوز إلا بشرط التوسط والتأخير وأن لا يتعدى إلى مصدره، وأن يكون قلبيا، والتعليق يكون في ذلك وفي أشباهه والتعليق يكون مع لام الابتداء نحو: (علمت لزيد قائم) ومع (ما) النافية نحو (علمت ما زيد ذاهب) ومع الاستفهام سواء كان مع الهمزة أو أسماء الاستفهام نحو: (علمت أزيد أفضل أم عمرو)

والإلغاء في **اللفظ والمعنى** مثل (لا) في ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ ؛ وفي اللفظ دون المعنى نحو: (كان) في (ما كان أحسن زيدا) ؛ وفي المعنى دون اللفظ، وذلك حروف الجر الزوائد نحو: ﴿كفى بالله شهيدا﴾." [(١)]

"وصيانة الكلام عن الزوائد أولى

وعند أهل الكوفة تقديم الشرط أولى لأنه سابق في الوجود، فالأولى أن يكون سابقا في الذكر

والتقديم على نية التأخير تقديم معنوي، ولا على نية التأخير تقديم لفظي، قياس الإضافة المعنوية واللفظية؛ ولا بد في تقديم الشيء على الشيء من تقدمه على جميع أجزائه وأما في التأخير فإنه يكفي فيه تأخير جزء واحد عنه

ولا يجوز تقديم الصلة على الموصول، والمضمر على الظاهر في **اللفظ والمعنى** إلا ما جاز منه على شريطة التفسير

ولا يجوز تقديم الصفة وما اتصل بها على الموصوف، وجميع توابع الأسماء والمضاف إليه وما اتصل به على المضاف

وما عمل فيه حرف أو اتصل به لا يقدم على الحرف

وما أشبه من هذه الحروف بالفعل فنصب ورفع لا يقدم مرفوعها على منصوبها والأفعال التي لا تتصرف لا يقدم عليها ما بعدها

والصفات المشبهة بأسماء الفاعلين، والصفات التي لا تشبه بها لا يقدم عليها ما عملت فيه

والحروف التي لها صدر الكلام لا يقدم ما بعدها على ما قبلها

وما عمل فيه معنى الفعل لا يقدم المنصوب عليه

ومن سنن العرب تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخر، وتأخيره وهو في المعنى مقدم، كقوله: ما بال عينك منها الماء ينسكب وقوله تعالى: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى﴾

---

(١) الكليات أَبُو البَقاء الكفوي ص/٢٥٥

[قال العلامة في " فرائده " ما قدم لفظا لأمر النظم قد يعتبر مؤخرا في المعنى إلى آخر ما قال، فلما جوز اعتبار المقدم لفظا مؤخرا معنى إذا اتصل المقدم مؤخرا فيجوز بالعكس إذا اتصل المؤخر مقدمه معنى]

التفسير: الاستبانة والكشف والعبارة عن الشيء بلفظ أسهل وأيسر من لفظ الأصل

وهو اصطلاحا: علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التركيبية

وتفسير الشيء لاحق به ومتمم له وجار مجرى بعض أجزائه

قال أهل البيان: التفسير هو أن يكون في الكلام لبس وخفاء فيؤتى بما يزيله ويفسره

والتفسير الاسمي: يكون للماهية الاعتبارية

والتفسير الحقيقي: للماهية الحقيقية، ولا يشترط فيه الطرد، والعكس بقسميه

ويفهم منه قطعا جواز التفسير بالأعم والأخص، وكما لا يجوز تفسير الشيء بنفسه، كذلك لا يكون بمعناه إلا إذا كان لفظا مرادفا أجلى

وتفسير الإعراب من ملاحظة الصناعة النحوية." (١)

"والتقدير في الكلام: لتصحيح **اللفظ والمعنى**، وقد يكون لتوضيح المعنى كما قال عبد القاهر في تقدير اللام بين المضاف والمضاف إليه

وينبغي تقليل المقدر ما أمكن لتقل مخالفة الأصل، فالتقدير في (أنت مني فرسخان) (بعدك مني فرسخان) أولى من (أنت مني ذو مسافة فرسخين) والتقدير في ﴿أشربوا في قلوبهم العجل﴾ (الحب أولى من حب عبادة العجل) وإذا استدعى الكلام تقدير أسماء متضايقة أو موصوف وصفة مضافة أو جار ومجرور مضمر عائد على ما يحتاج الرابط إليه فلا يقدر أن ذلك حذف دفعة واحدة بل على التدريج، فيقدر في نحو (كالذي يغشى عليه) (كدوران عين الذي يغشى عليه) وفي نحو قوله تعالى: ﴿واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا﴾ (لا تجزي فيه) ثم حذف الضمير منصوبا لا مخفوضا قاله الأخفش

وينبغي أن يكون المقدر من لفظ المذكور مهما أمكن، فيقدر في (ضربي زيدا قائما) ضربه قائما، فإنه من لفظ المبتدأ دون (إذ كان) إن أريد المضي و (إذ كان) إن أريد المستقبل، ويقدر في (زيدا أضربه) (اضرب) دون (أهن) فإن منع من تقدير المذكور مانع معنوي نحو: (زيدا اضرب أخاه) أو صناعي نحو: (زيدا امرر به) قدر ما لا مانع له؛ فيقدر في الأولى (أهن) دون (اضرب) وفي الثانية (جاوز) دون (امرر) ، لأنه لا يتعد بنفسه

نعم إن كان العامل مما يتعدى تارة بنفسه وتارة بحرف الجر نحو: (نصح) في قولك: (زيدا نصحت له) جاز أن يقدر (نصحت زيدا) بل هو أولى من تقدير غير الملفوظ به

التخصيص: هو الحكم بثبوت المخصص لشيء ونفيه عما سواه [وكلاهما عبارتان عن معنى واحد] ويقال أيضا: تمييز أفراد بعض الجملة بحكم اختص به

وخصصت فلانا بالذكر: أي ذكرته دون غيره

---

(١) الكليات أبُو البَقاء الكفوي ص/٢٦٠

و ﴿الله يختص برحمته من يشاء﴾ أي يجعله منفردا بالرحمة لا يرحم سواه،

وتخصيص تقديم ما هو أولى بالتقديم يناسب فيما يعتبر فيه حال ما هو أعلى حالا وهو السائل

وتخصيص تأخير ما هو أولى بالتقديم يناسب فيما يعتبر فيه حال ما هو أعلى حالا أيضا، وهو المنكر

وتخصيص العام بالنية مقبول ديانة لا قضاء؛ وعند الخصاف: يصح قضاء أيضا

والتخصيص: قصر العام على بعض ما يتناوله عند الشافعية؛ وأما عند الحنيفة فهو القصر عليه بدليل مستقل لفظي مقارن احترز بمستقبل عن الصفة والاستثناء والشرط والغاية، وبلفظي عن المقتضى كقوله تعالى: ﴿خالق كل شيء﴾ فالله تعالى مخصوص منه وتخصيص العام بدليل العقل جائز عند عامة الفقهاء، وجاز ذلك عند العامة إلى أن يبقى منه واحد كاستثناء ما زاد على الواحد من لفظة العموم

وجاز ذلك أيضا في موضع الخبر، بدليل." (١)

"لفظ الحال، أعني لفظ المشتق مقام المصدر فيقولون: (قم قائما) ثم يعكسون الأمر نحو: (أتيته ركضا) ففي هذه الطريقة إشعار بما بين اللفظين من التشابه والتشابك

التعليل: هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه، لكون رتبة العلة متقدمة على المعلول كقوله تعالى: ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ فسبق الكتاب من الله علة النجاة من العذاب

ومن أحسن أمثلة التعليل قوله:

(سألت الأرض لم جعلت مصلى ... ولم كانت لنا طهرا وطيبا)

(فقالت غير ناطقة فإني ... حويت لكل إنسان حبيبا)

[والتعليل: تقرير ثبوت المؤثر لإثبات الأثر كما أن الاستدلال هو تقرير ثبوت الأثر لإثبات المؤثر

والاستدلال في عرف أهل العلم: هو تقرير الدليل لإثبات المدلول سواء كان ذلك من الأثر إلى المؤثر أو بالعكس أو من أحد الأمرين إلى الآخر]

التحويل: هو عبارة عن تبديل ذات إلى ذات أخرى مثل تحويل التراب إلى الطين

والتغيير: عبارة عن تبديل صفة إلى صفة أخرى مثل تغيير الأحمر إلى الأبيض

والتغيير إما في ذات الشيء أو جزئه أو الخارج عنه ومن الأول: تغيير الليل والنهار ومن الثاني: تغيير العناصر بتبديل صورها ومن الثالث: تغيير الأفلاك بتبديل أوضاعها والتحويل يتعدى ويلزم، والتغيير لا يكون إلا متعديا

والتحريف: تغيير اللفظ دون المعنى

والتصحيف: تغيير **اللفظ والمعنى**

---

(١) الكليات أَبُو البَقاء الكفوي ص/٢٨٤

التعديد: هو إيقاع أسماء مفردة على سياق واحد؛ فإن روعي في ذلك ازدواج أو مطابقة أو تجنيس أو مقابلة فذلك الغاية في الحسن مثاله قوله تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ وكقول الشاعر:

(الخيل والليل والبيداء تعرفني ... والطعن والضرب والقرطاس والقلم)

التعسف: هو ارتكاب ما لا يجوز عن المحققين، وإن جوزه البعض، ويطلق على ارتكاب ما لا ضرورة فيه والأصل عدمه وقيل: هو حمل الكلام على معنى لا تكون دلالته عليه ظاهرة، وهو أخف من البطلان

والتساهل: يستعمل في كلام لا خطأ فيه، ولكن يحتاج إلى نوع توجيه تحتمله العبارة

والتسامح: استعمال اللفظ في غير موضعه الأصلي، كالمجاز بلا قصد علاقة مقبولة، ولا نصب قرينة دالة عليه اعتمادا على ظهور الفهم من ذلك المقام

والتمحل: الاحتيال، وهو الطلب بحيلة

والتخيير: هو أن يأتي الشاعر ببيت يسوغ فيه أن يقفى بقواف شتى، فيتخير منها قافية مرجحة على سائرها يستدل بها بتخييره على حسن اختياره." (١)

"(واحذر من اللحن في الترتيل غايته ... قالوا من البدع ما سموه ترعيدا)

(تحزينه وكذا الترقيص بدعته ... كذاك تطريبه بالمد تمديدا)

التكرار: هو مصدر ثلاثي يفيد المبالغة ك (الترداد) مصدر (رد) عند سيبويه، أو مصدر مزيد أصله (التكرير) قلب الياء ألفا عند الكوفية، ويجوز كسر التاء فإنه اسم من (التكرر)

وفسر بعضهم التكرير بذكر الشيء مرتين وبعضهم بذكره مرة بعد أخرى، فهو على الأول: مجموع الذكرين؛ وعلى الثاني: الذكر الأخير وأيا ما كان لا يكون التفصيل بعد الإجمال تكريرا، بل هو بيان وتوضيح بالنسبة إلى الإجمال لا ذكر له ثانيا فالتفصيل بالنسبة إلى الإجمال إفادة، والتكرير إعادة

[وقال بعضهم: التكرار إنما يحصل بذكر الشيء مرتين مطابقة بعد ذكره مطابقة أو تضمنا لا بذكره مطابقة بعد ذكره التزاما ولا بالعكس؛ وأما إذا ذكر تضمنا مرتين أو ذكر تضمنا بعد ذكره مطابقة فهو تكرار ولا فيه تردد]

وتكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة، إلا إذا وقع ذلك لأجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك فعلى هذا ما معنى قوله تعالى: ﴿أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾ ؛ وما الفائدة في ترك ما هو أوجز وأشبه بالمذهب الأشرف في البلاغة وهو (فتذكرها) الأخرى، [لمراعاة الترصيع وتوازن الألفاظ في التركيب] فليتدبر

---

(١) الكليات أَبُو البَقاء الكفوي ص/٢٩٤

والتكرار في البديع: هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة **باللفظ والمعنى**؛ والمراد بذلك التهويل والوعيد، كقوله تعالى: ﴿القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة﴾ ، أو الإنكار والتوبيخ كتكرار قوله تعالى: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أو الاستبعاد كقوله تعالى: ﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾ أو لغرض من الأغراض

[ولا بد للمتكلم أن يلاحظ التحرز عن التكرير في المعنى أولا ثم في اللفظ، فيلاحظ التحرز عن انفكاك النظم أو الترتيب وتشويشه أولا ثم في المعنى

والتكرار إذا ورد جوابا لكلام خاص لم يكن له مفهوم كما في قوله تعالى: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ فإنه ورد جوابا لمن قال (ظلام)

التسبيح: إذا أريد به التنزيه والذكر المجرد لا يتعدى بحرف الجر، فلا تقول: (سبحت بالله)

وإذا أريد به المقرون بالفعل، وهو الصلاة فيتعدى بحرف الجر تنبيها على ذلك المراد

والتسبيح: بالطاعات والعبادات

والتقديس: بالمعارف والاعتقادات

والتسبيح: نفي ما لا يليق

والتقديس: إثبات ما يليق

والتسبيح حيث جاء في القرآن يقدم على التحميد." (١)

"مع عرفانهن الدخول في جمع الذكور، فأنزل الله هذه الآية لتطييب قلوبهن ولا خلاف في دخولهن في الجمع المكسر، وإنما الاختلاف في جمع المذكر السالم

والجمع في **اللفظ والمعنى** ك (رجال) و (زيدين)

وفي اللفظ دون المعنى، كما في ﴿فقد صغت قلوبكما﴾

وفي المعنى دون اللفظ ك (رهط) و (نفر) و (قوم) و (بشر) و (كل) في التأكيد ونحو ذلك مما ليس له واحد من لفظه من أسماء الجموع، وكذا (تمر) و (عسل) ونحو ذلك من أسماء الأجناس

والعام من الجمع جمع التكسير لعمومه للمذكر والمؤنث مطلقا؛ والخاص منه المذكر السالم؛ والمتوسط: الجمع المؤنث السالم، لأنه إن لم يسلم فيه نظم الواحد وبناؤه فهو مكسر، وإن سلم فهو إما مذكر أو مؤنث

ووزن صيغة منتهى الجموع سبعة ك (أقارب) و (أقاويل) و (مساجد) و (مصابيح) و (ضواريب) و (جداول) و (براهين) واسم الجمع يطلق على القليل والكثير ك (الماء) واسم الجنس لا يطلق عليهما، بل يطلق على كل منهما على سبيل البدل ك (رجل) فعلى هذا كل جنس هو اسم الجنس لا العكس، ومقابلة الجمع بالجمع تارة تقتضي مقابلة كل فرد من هذا كل فرد من هذا، خصوصا إذا تعذر مقابلة الجمع بالمفرد، وتارة تقتضي ثبوت الجمع لكل فرد من أفراد المحكوم عليه، وتارة يحتمل الأمرين فيحتاج إلى دليل يعين أحدهما وأما مقابلة الجمع بالمفرد فالغالب أنه لا تقتضي تعميم الفرد، وقد تقتضيه

---

(١) الكليات أبو البقاء الكفوي ص/٢٩٧

والاسم إذا كان جمعا ولا يكون مفرده من ذوي العقول ودخل عليه الألف واللام فلا يراد حينئذ الجمع، بل يراد به المفرد
والجمع المعرف باللام يستغرق جميع الأفراد بلا تفصيل، بخلاف لفظ (الكل) مضافا إلى نكرة، فإنه يفيد الاستغراق التفصيلي، ولهذا لو قال: (للرجال عندي درهم) لزمه درهم واحد، ولو قال: (لكل رجل عندي درهم) لزمه دراهم بعددهم
والجمع المعرف بحرف التعريف أو الإضافة أو اسم الجمع، وهو ما لا واحد له من لفظه ك (النساء) أصل تعريفها العهد، إذ به كمال التمييز الشخصي، فعند عدم العهد جنس حكما، فحكمه حكم الجنس وضعا، لأن بين حقيقي التعريف والجمصة منافاة، إذ مؤدى الجمع عند عدم العهد أفراد متعددة مبهمة، فالملحوظ فيه التعدد والإبهام وفي التعريف رفع تردد التعدد ورفع الإبهام فحمل على معنى الجنس الذي فيه العمل بالتعريف والجمعية من وجه لأن العمل بالدليلين ولو من وجه أولى من إهمال أحدهما، لأن الجنس هو المعرف من بين الأجناس الجامع لأفراده
وتوابع الجمع إذا لم تكن من الأعداد يلزم أن تكون مؤنثة، وإذا كانت من الأعداد فتذكيرها وتأنيثها تابعان لتذكير واحد ذلك الجمع وتأنيثه لا لنفس ذلك الجمع والقول بأن الألف واللام إذا دخلا في الجمع يكون معنى الجمع مضمحلا ومنسلخا قول مخصوص بموقع النفي، أو بما." (١)

"الزنادقة أربعة عشر ألف حديث يخالف المعقول تنفيرا للعقلاء عن شريعته، أو غلط من الراوي كأن يريد النطق بكلمة فيسبق لسانه إلى النطق بغيرها
أو غير ذلك، كوضع الخطابية أحاديث نصرة لآرائهم، وكوضع الكرامية أحاديث في الترغيب في الطاعة والترهيب عن المعصية، وكلاهما راجع إلى الافتراء وعدم شهرة الحديث فيما فيه [عموم] بلوى دليل الافتراء به أو دليل النسخ
والحديث المتعبد بلفظه، كالأذان والتشهد والتكبير والتسليم، وكذا الحديث المتشابه والذي هو من جوامع الكلم التي أوتيها نحو: " الخراج بالضمان " و " العجماء جبار " لا يجوز نقلها بغير ألفاظها إجماعا
واختلف فيما سوى ذلك والأكثر من العلماء ومنهم الأئمة الأربعة على جواز نقل الحديث بالمعنى للعارف بمدلولات الألفاظ ومواقع الكلام من الخبر والإنشاء فيأتي بلفظ بدل لفظ النبي مساو له في المعنى جلاء وخفاء من غير زيادة في المعنى ولا نقص، لأن المقصود هو **المعنى واللفظ** آلة له ومن أقوى حجتهم الإجماع على جواز شرح الشريعة للعجم بلسانهم للعارف به
وقال البرماوي: إن نسي اللفظ جاز، وإلا فلا
وقيل بجوازه بلفظ مرادف، وقيل بجوازه وإن كان موجبه عاما، وقيل يمنع مطلقا
(وقال بعضهم: جواز النقل بالمعنى فيما إذا كان اللفظ ظاهرا مفسرا، فأما إذا كان اللفظ مشتركا أو مجملا أو مشكلا فلا يجوز إقامة لفظ آخر مقامه بالإجماع، لأن فيه احتمال الاختلاف بالمعنى)
وقال القاضي عياض: ينبغي سد باب الرواية بالمعنى لئلا يتسلط من لا يحسن ممن يظن أنه يحسن، كما وقع لكثير من الرواة قديما وحديثا

---

(١) الكليات أَبُو البَقاء الكفوي ص/٣٣٦

ويحتج بقول الصحابي: " قال النبي كذا "، وهو الصحيح وكذا بقوله: " عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كذا "، على الأصح وكذا بقوله: " إن النبي قال كذا "

[وقول الصحابي فيما لا طريق إلى معرفته إلا خبر النبي عليه الصلاة والسلام في قوة الرفع إلى النبي عليه الصلاة والسلام]

واختلفوا في (إن) بالنسبة إلى غير الصحابي، والجمهور على أن (عن) و (إن) سواء إذا ثبت السماع واللقاء

وإيراد الحديث بلفظ (عن) من غير تصريح بالسماع يسمى عند المحدثين العنعنة

واشترط في نقل الحديث القراءة على الشيخ لخوف أن يدخل في الحديث ما ليس منه، أو يقول على النبي ما لم يقله، بخلاف القرآن فإنه محفوظ متلقى متداول ميسر فكل من يسمع من لفظ محدث يحدثه يقول: حدثني فلان؛ وإن كان معه أحد يقول: حدثنا فلان؛ ولو قرأ على المحدث بنفسه يقول: أخبرني؛ وإن قرئ على المحدث وهو حاضر يقول: أخبرنا

ولو عرض المستفيد كتابا أو جزءا على المحدث وروى المحدث عنه أنه سماعه أو قراءته أو تصنيفه فيقول للمستفيد: أجزت لك أن تروي عني ما في هذا الكتاب فإذا روى المستفيد ذلك الكتاب." (١)

"محال وأما في الرسوم فهو جائز، ولا بد أن يجتنب في الحدود من دخول الحمن لأن التصديق فرع التصور، والتصور فرع الحد، فيلزم الدور

والرسم التام: هو ما تركب من الجنس القريب والخاصة كتعريف الإنسان بالحيوان الضاحك

والرسم الناقص: ما يكون بالخاصه وحدها، أو بها وبالجنس البعيد كتعريف الإنسان بالضاحك، وبالجسم الضاحك وباقي الحيثيات تختص جملتها بحيقته وأحسن الحدود الرسمية ما وضع فيه الجنس الأقرب وأتم باللوازم المشهورة

والحد يشترط فيه الاضطراد والانعكاس نحو قولنا: كل ما دل على معنى مفرد فهو اسم، وما لم يدل على ذلك فليس باسم

والعلامة: يشترط فيها الاضطراد دون الانعكاس نحو قولك: كل ما دخل عليه الألف واللام فهو اسم، فهذا مضطرد في كل ما تدخله هذه الأداة ولا ينعكس فلا يقال: كل ما لم يدخله الألف واللام فليس باسم، لأن المضمرات أسماء ولا يدخلها الألف واللام، وكذا غالب الأعلام والمبهمات وكثير من الأسماء

ولا يذكر في الحد لفظ الكل لأن الحد للماهية من حيث هي هي، ولا يدخل في الماهية من حيث هي ما يفيد العموم والاستغراق ولأن الحد يجب صدقه وحمله على كل فرد من أفراد المحدود من حيث هو فرد له، ولا يصدق الحد بصفة العموم على كل فرد

قيل: أربعة لا يقام عليها برهان ولا تطلب بدليل وهي: الحدود والفوائد والإجماع والاعتقادات الكائنة في النفس فلا يقال: ما الدليل على صحتها في نفس الأمر؟ ولا يقال على صحة هذا الحد؟ وإنما يرد بالنقض والمعارضة

الحرف: هو من كل شيء طرفه وشفيره وحده، وواحد من حروف الهجاء، سميت حروف التهجي بذلك لأنها أطراف الكلمة، ويستعمل في معنى الكلمة يقال: (إذا) مثلا حرف أي: كلمة

الناقة الضامرة والمهزولة حرف أيضا

---

(١) الكليات أَبُو البَقاء الكفوي ص/٣٧٢

[ويجيء بمعنى الأصل والقاعدة]

﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ أي: على وجه واحد وفي " المفردات " قد فسر ذلك بقوله بعده: ﴿فإن أصابه خير﴾ وفي معناه: ﴿مذبذبين بين ذلك﴾ ونزل القرآن على سبعة أحرف أي: لغات من لغات العرب مفرقة في القرآن، وأصوب محمل يحمل عليه هو أن المراد سبعة أنحاء من الاعتبار متفرقة في القرآن، راجعة إلى **اللفظ والمعنى** دون صورة الكتابة ولا صورة الكلم لما أن النبي عليه الصلاة والسلام كان أميا، ولا قراءة السبعة فلا ينافي اختلاف القراءات على عشرة

وحرف لعياله: كسب

وحرف وجهه: صرف

والحرفة، بالكسر: الصناعة يرتزق منها

والحرف عند الأوائل: ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة، وربما يطلق على الكلمة أيضا تجوزا، وإطلاق الحرف على ما يقابل الاسم." (١)

"[الضمار] : كل ما لا تكون منه على ثقة فهو ضمار

[الضمان] : كل شيء جعلته في وعاء فقد ضمنته

[الضمير] : كل ضمير وقع بين اثنين مذكر ومؤنث هما عبارتان عن مدلول واحد جاز فيه التذكير والتأنيث كقولهم: (الكلام يسمى جملة)

وتقديم الضمير على المذكور لفظا ومعنى غير جائز عند النحويين، وقال ابن جني بجوازه وإن كان متأخرا عنه لفظا ومعنى فلا نزاع في صحته، وإن كان متقدما لفظا ومتأخرا معنى كما في قولك: (ضرب غلامه زيد) لأن المنصوب متأخر عن المرفوع في التقدير فلا جرم كان جائزا، وإن كان بالعكس كما في قوله تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه﴾ فلا جرم كان جائزا حسنا

وإلحاق ضمير المؤنث قبل ذكر الفاعل يجوز بالاتفاق ويحسن

وإلحاق ضمير الجمع قبله قبيح عند الأكثرين

وإذا اجتمع في الضمائر مراعاة **اللفظ والمعنى** بدئ باللفظ ثم بالمعنى

هذا هو الجادة في القرآن: [كقوله] ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾

والعائد ينبغي أن يساوي عدته المعود عليه في الإفراد والتثنية والجمع، ويوافقه في حاله من التذكير والتأنيث، ولا يعود الضمير غالبا على جمع العاقلات إلا بصيغة الجمع سواء كان للقلة أو للكثرة نحو: ﴿والوالدات يرضعن﴾

وورد الإفراد في قوله تعالى: ﴿وأزواج مطهرة﴾ وأما غير العاقل فالغالب في جمع الكثرة الإفراد، وفي جمع القلة الجمع وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا﴾ إلى أن قال ﴿منها أربعة حرم﴾ فأعاد منها بصيغة الإفراد على الشهور وهي للكثرة ﴿فلا تظلموا فيهن﴾ فأعاده جمعا على ﴿أربعة حرم﴾ وهي للقلة

ولا بد للضمير من مرجع يعود إليه ويكون ملفوظا به سابقا مطابقا نحو: ﴿وعصى آدم ربه﴾

---

(١) الكليات أبو البقاء الكفوي ص/٣٩٣

أو متضمنا له نحو: ﴿اعدلوا هو أقرب﴾ أو دالا عليه بالالتزام نحو: ﴿إنا أنزلناه﴾ أو متأخرا لفظا لا رتبة مطابقا نحو: ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾

أو رتبة أيضا، وذلك في باب ضمير الشأن والقصة ونعم وبئس والتنازع

أو متأخرا دالا بالالتزام نحو: ﴿حتى توارت بالحجاب﴾

وقد يدل عليه السياق فيضمر ثقة بفهم السامع نحو: ﴿كل من عليها فان﴾

وقد يعود على لفظ المذكور دون معناه نحو: ﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره﴾." (١)

"لنعلم﴾ أي لنميز أهل اليقين من أهل الشك والعلم بمعنى إدراك الشيء بحقيقته المتعلق بالذات يتعدى إلى واحد، أو بالنسبة يتعدى إلى اثنين، وثاني مفعولي (علم) عين الأول فيما صدقا عليه، وثاني مفعولي (أعطى) غير الأول

وعلم (بالتضعيف) منقول من (علم) الذي يتعدى إلى واحد فتعدى إلى اثنين والمنقول بالهمزة من (علم) الذي يتعدى إلى اثنين يتعدى إلى ثلاثة وقد نظمت فيه:

(وعلم بالتضعيف من علم الذي ... يتعدى إلى فرد فعدي لاثنين)

(وأعلم مما قد تعدى إليهما ... فزاد بفرد هكذا الفرق في البين)

والأفعال المتعدية إلى ثلاثة: مفعولها الأول كمفعول (أعطيت) في جواز الاقتصار عليه كقولك: (أعلمت زيدا) ، والاستغناء عنه كقولك: (أعلمت عمرا منطلقا) ، والثاني والثالث كمفعولي (علمت) في وجوب ذكر أحدهما عند الآخر وجواز تركهما معا

و (علمت) يستعمل ويراد به العلم القطعي، فلا يجوز وقوع (أن) الناصبة بعده

ويستعمل ويراد به النص القوي، فيجوز أن يعمل في أن يقال: (ما علمت إلا أن يقوم زيد)

واستعمال العلم بمعنى المعلوم شائع وواقع في الأحاديث كقوله عليه الصلاة والسلام: " تعلموا العلم " (فإن العلم ههنا بمعنى المعلوم)

وقد يكنى بالعلم عن العمل لأن العمل إذا كان نافعا قلما يتخلف عن علم

وقد يراد بالعلم الجزاء تقول: (أنا أعلم بمن قال كذا وكذا)

(والمعنى الحقيقي للفظ العلم هو الإدراك، ولهذا المعنى متعلق وهو المعلوم، وله تابع في الحصول يكون وسيلة إليه في البقاء وهو الملكة، فأطلق لفظ العلم على كل منها إما حقيقة عرفية، أو اصطلاحية أو مجازا مشهورا)

والعلم يقال لإدراك الكلي أو المركب والمعرفة تقال لإدراك الجزئي أو البسيط، ولهذا يقال (عرفت الله) دون (علمته) فمتعلق العلم في اصطلاح المنطق وهو المركب متعدد كذلك عند أهل اللغة وهو المفعولان، ومتعلق المعرفة وهو البسيط واحد كذلك

---

(١) الكليات أَبُو البَقاء الكفوي ص/٥٦٨

عند أهل اللغة وهو المفعول الواحد وإن اختلف وجه التعدد، والوحدة بينهم بحسب **اللفظ والمعنى**

وأيضا يستعمل العلم في المحل الذي يحصل العلم لا بواسطة

والعرفان يستعمل في المحل الذي يحصل العلم بواسطة الكسب، ولهذا يقال: (الله عالم) ولا يقال: (عارف) ، كما لا يقال: (عاقل) فكذا الدراية فإنها لا تطلق على الله لما فيها من معنى الحيلة وفي " النجاة ": كل معرفة وعلم فإما تصور وإما تصديق، فوحدة المحمول تدل على الترادف." (١)

"فروج﴾ [الفسطاط] : كل مدينة جامعة فهي فسطاط

[الفلذ] : كل جوهر من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس والرصاص فهو فلذ

[الفيء] : كل ما يحل أخذه من أموال الحرب فهو فيء

[الفاكهة] : كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة فهي فاكهة

[الفاحش] : كل شيء تجاوز قدره، وكل أمر لا يكون موافقا للحق فهو فاحش

وفي " المصباح ": كل شيء جاوز الحد فهو فاحش ومنه (غبن فاحش) إذا جاوز بما لا يعتاد مثله

[الفارق] : كل ما فرق بين الحق والباطل فهو فارق

[الفص] : كل ملتقى عظمين فهو فص

[الفوز] : كل من نجا من تهلكة ولقي ما يغتبط به فقد فاز، أي تباعد عن المكروه، ولقي ما يحبه

وقد يجيء الفوز بمعنى الهلاك يقال: فاز الرجل: إذا مات، وفاز به: ظفر، و [فاز] فيه: نجا

[الفضل] : كل عطية لا تلزم من يعطي يقال لها فضل

و [الفض] : في كل القرآن بالضاد إلا ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب﴾ فإنه بالظاء

[الفور] : فور كل شيء أوله

والفارض: هو الضخم من كل شيء

[الفرسخ] : كل ما تطاول وامتد بالفرجة فيه فهو فرسخ، ومنه: انتظرتك فرسخا من النهار

وقد نظم بعض الأدباء في تعيين الفرسخ والميل والبريد:

(إن البريد من الفراسخ أربع ... ولفرسخ فثلاث أميال ضعوا)

(والميل ألف أي من الباعات قل ... والباع أربع أذرع فتتبعوا)

(ثم الذراع من الأصابع أربع ... من بعدها العشرون ثم الإصبع)

(ست شعيرات فبطن شعيرة ... منها إلى ظهر لأخرى يوضع)

---

(١) الكليات أبُو البَقاء الكفوي ص/٦١١

(ثم الشعيرة ست شعرات غدت ... من شعر بغل ليس هذا يدفع)

[الفاعل] : كل اسم أسند إليه فعل أو اسم فهو فاعل

كل فعل يطلب مفعولين فإنه يكون الأول منهما فاعلا في المعنى، فمثل (قام زيد) فاعل في **اللفظ والمعنى**، ومثل (مات زيد) فاعل في اللفظ دون المعنى، ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ فاعل في المعنى دون اللفظ

والفاعل في القرآن بمعنى المفعول في ثلاثة مواضع ﴿في عيشة راضية﴾ ﴿﴾ (لا عاصم." [1]

"﴿وكان أمره فرطا﴾ : أي تقدما على الحق ونبذا لوراء ظهره، أو سرفا وتضييعا

﴿فرطنا فيها﴾ : قدمنا العجز فيها

﴿ما فرطنا في الكتاب﴾ : ما تركنا

﴿فرطتم في يوسف﴾ : قصرتم في أمره

﴿فتيان﴾ : مملوكان

﴿تراود فتاها﴾ : أي عبدها، والعرب تسمي المملوك شابا كان أو شيخا فتى

﴿الفزع الأكبر﴾ : قال علي رضي الله عنه هو إطباق باب النار حين تغلق على أهلها

﴿فكهين﴾ : يتفكهون.

﴿فاكهون﴾ : الذين عندهم فاكهة كثيرة ويقال: هما بمعنى (معجبون) ، وقيل فاكهون: ناعمون وفكهون: معجبون

﴿وما لها من فواق﴾ : أي ليس بعدها إفاقة ولا رجوع إلى الدنيا

﴿الفراش﴾ : شبيه البعوض بتهافت على النار

﴿فاجرا﴾ : مائلا عن الحق

﴿فزع في قلوبهم﴾ : خلي الفزع عن قلوبهم وفزع: خلى

﴿فراشا﴾ : مهادا

﴿فصاله﴾ : فطامه

﴿من كل فوج﴾ : من كل صنف

﴿بعد ما فتنوا﴾ : عذبوا

﴿فصلت آياته﴾ : ميزت باعتبار **اللفظ والمعنى**

﴿ولولا كلمة الفصل﴾ : أي القضاء السابق

﴿وفرشا﴾ : ما يفرش للذبح

---

(١) الكليات أبُو البَقاء الكفوي ص/٦٧٥

﴿لفسدتا﴾ : لبطلتا

﴿الفزع الأكبر﴾ : النفخة الأخيرة

﴿فراق﴾ : ترداد

﴿فراتا﴾ : عذبا

﴿وفاكهة﴾ : الثمار الرطبة

﴿بما فتح الله عليكم﴾ : بما أكرمكم به

﴿جاءكم الفتح﴾ : المدد

﴿فرقانا﴾ : نصيرا." (١)

"الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام

فالجنس كالحيوانية، والنوع كالإنسانية، والفصل كالناطقية، ولا يريدون بالناطقية ما يفهمه عوام الناس من أنه النطق بالكلام، وإنما يريدون بها القوة المفكرة، فعلى هذا دخل الأخرس والطفل في حد الإنسان، وخرج عنه الببغاء والناطق: هو فصل الإنسان عن سائر الحيوان والخاصة كالكتابة لأنها تخص ببعض النوع والعرض العام كالضاحكية لأنها عامة بجميع النوع، ولهذا كان التعريف في الحدود بالجنس القريب والخاصة مطردا غير منعكس

ثم الكلي إن كان مندرجا في حقيقة جزئياته يسمى ذاتيا كالحيوان بالنسبة إلى زيد وعمرو مثلا إذ هو جزء حقيقتهما، وإن لم يندرج بل كان خارجا عن الحقيقة يسمى عرضا كالكاتب مثلا فإنه ليس بداخل في حقيقة زيد وعمرو، وأيا ما كان فهو عبارة عن مجموع الحقيقة فلا يسمى ذاتيا ولا عرضيا بل واسطة ونوعا كالإنسان فإنه عبارة عن مجموع الحقيقة من جنس وفصل وهي الحيوانية والناطقية

والكلي إما أن يكون تمام ما تحته من الجزئيات أو مندرجا فيها أو خارجا عنها

فالأول: النوع وهو المقول على كثيرين مختلفين بالعدد في جواب أي نوع هو كالإنسان بالنسبة إلى الحيوان

والثاني: الجنس إن كان مقولا على كثيرين مختلفين بالحقيقة في جواب ما هو كالحيوان للإنسان، والفصل إن كان مقولا على كثيرين متفقين بالحقيقة كالناطق

والثالث: إن كان مقولا على متفقين بالحقيقة فالخاصة كالضحك وإن كان مقولا على مختلفين بالحقيقة فالعرض العام كالمتحرك

والكلي إن استوت أفراده فيه كالإنسان بالنسبة إلى أفراده فمتواطئ لتواطؤ أفراد معناه فيه، وإن كان بعض معانيه أولى به من البعض كالبياض في الثلج والعاج، أو أقدم من البعض كالوجود في الواجب والممكن فمشكك لتشكيك الناظر في أنه متواطئ نظرا إلى جهة اشتراك الأفراد في أصل المعنى، أو غير متواطئ نظرا إلى الاختلاف، وإن تعدد **اللفظ والمعنى** كالإنسان والفرس فمتباين أي: أحد اللفظين مباين للآخر لتباين معناهما وإن اتحد المعنى دون اللفظ كالإنسان والبشر فمترادف

---

(١) الكليات أبُو البَقاء الكفوي ص/٧٠٠

لترادفهما أي لتواليهما على معنى واحد، وان اتحد اللفظ دون المعنى كالعين فمشترك لاشتراك المعاني فيه

وقد يطلق الكلي على الصورة العقلية، ومعنى مطابقته لكثيرين هو أن الأمر العقلي إذا تشخص بتشخص جزئي معين كان ذلك الجزئي بعينه، وإن جرد ذلك الجزئي عن مشخصاته كان ذلك الأمر الكلي بعينه

وقد يطلق على الأمر الموجود في ضمن الشخص

أعني الجنس والفصل والنوع، فمعنى مطابقته لكثيرين وجوده في ضمن كل من جزئياته بواسطة تكرر الوجود في ضمن الجزئيات

والكلي قبل الكثرة: هو كالحقائق الكلية ثبوتا في العلم الأزلي، ومطابقته لكثيرين هي مطابقته لمجموع الجزئيات لأنه عينه، وإنما حصل التعدد والتكثر بسبب التكرر الشخصي نظير ذلك مطابقة الشمس لجميع الصور المرتسمة في المرايا المتجاذبة

والكلي مع الكثرة: هو الحقائق الكلية تحققا في الأعيان، ومطابقته لكثيرين هي مطابقته لكل واحد." (١)

"ولا يعمل في (كم) ما قبلها خبرية كانت أو استفهامية لحفظ صدارتها، إذ الاستفهام (يقتضي صدر الكلام ليعلم من أول الأمر أنه من أي نوع من أنواع الكلام، وكذا الخبرية لأنها لإنشاء للتكثير ولها أيضا صدر الكلام

وكم الاسفهامية) بمنزلة عدد منون، وكم الخبرية بمنزلة عدد حذف عنه التنوين

ومميز الاستفهامية منصوب، ومميز الخبرية مجرور، ويحسن حذف مميز الاستفهامية ولا يحسن حذف مميز الخبرية وإذا فصل بين كم الخبرية ومميزها نصب مميزها نحو: (كم في الدار رجلا) فإذا فصل بالمتعدي وجب زيادة (من) للفصل من المفعول نحو: ﴿وكم أهلكنا من قرية﴾ وقد كثر زيادته بلا فصل نحو: ﴿وكم من قرية﴾ ، (وكم من ملك) وجاز أن يقع بعد الخبرية الواحد والجمع كما يقال: ثلاثة عبيد، وألف عبد وبعد الاستفهامية لزم أن يقع الواحد كما يقع بعد أحد عشر إلى تسعة وتسعين، وامتنع أن يقع بعدها الجمع لأن العدد منصوب على التمييز، والمميز بعد المقادير لا يكون جمعا

كيف: هو اسم مبني على الفتح، والدليل على كونه اسما دخول حرف الجر عليه يقال: (على كيف تبيع) ، وإنما بني لأنه شابه الحرف شبها معنويا لأن معناه الاستفهام وأصل الاستفهام الهمزة وهي حرف، وإنما بني على الفتح طلبا للخفة، وكذا (أين) والغالب فيه أن يكون استفهاما إما حقيقيا نحو: (كيف زيد) أو غيره نحو: ﴿كيف تكفرون بالله﴾ فإنه أخرج مخرج التعجب

و (كيف) لها صدر الكلام وما له صدر الكلام لا يعمل فيه إلا حرف الجر أو المضاف، وهو سؤال تفويض لإطلاقه مثل: ﴿كيف تكفرون بالله﴾ ولا كذلك الهمزة فإنها سؤال حصر وتوقيت نقول: (أجاءك راكبا أم ماشيا) وإن كان بعد كيف اسم فهو في محل الرفع على الخبرية عنه مثل: (كيف زيد) وإن كان بعده فعل فهو في محل النصب على الحالية نحو: (كيف جاء زيد) ، ويقع مفعولا مطلقا نحو: ﴿كيف فعل ربك﴾

وقد يكون في حكم الظرف بمعنى في أي حال كقولك: (كيف جئت)

وترد للشرط فتقتضي فعلين متفقي **اللفظ والمعنى** غير مجزومين نحو: (كيف تصنع أصنع) [وكل ما أخبر الله بلفظة (كيف)

---

(١) الكليات أبو البقاء الكفوي ص/٧٤٦

عن نفسه فهو استخبار على طريق التنبيه للمخاطب أو التوبيخ نحو: ﴿كيف تكفرون بالله﴾ ﴿كيف ضربوا لك الأمثال﴾
والكيف: عرض لا يقبل القسمة لذاته ولا اللاقسمة أيضا، ولا يتوقف تصوره على تصور غير ذي الألوان
والكيفية: قد يراد بها ما يقابل الكم والنسب وهو." (١)

"كافرة﴾ ، و (ما أحسن زيدا) فإن (ما) مبتدأ، مع أنه نكرة عد سيبويه، وعند الأخفش أيضا في أحد قوليه و (أحسن) خبره، وفيه ضمير راجع إلى (ما) وهو فاعله، والمنصوب بعده مفعوله، وذلك لأن التعجب إنما يكون فيما يجهل سببه، فالتنكير يناسب معنى التعجب وكذا فيما إذا وقع في معرض التفصيل كقولك: (هو إما كذا وإما كذا) فأول (كذا) مبتدأ في **اللفظ والمعنى** نحو (زيد قائم) وفي اللفظ دون المعنى نحو (أقائم زيد) ، وفي المعنى دون اللفظ نحو: (تسمع بالمعيدي خير من أن تراه)

المفعول: كل اسم انتصب بعد ذكر الفاعل والفعل فهو المفعول وكل من المفعول به، وله، وفيه، يكون صريحا إذا لم يكن بحرف الجر، وغير صريح إذا كان بحرف الجر

والمفعول المطلق لا يكون إلا صريحا

والمفعول معه لا يكون إلا غير صريح

وكل ما نصب المفعول به نصب غيره من المفاعيل ولا ينعكس

والمفعول به: هو الفارق بين اللازم والمتعدي، ويكون واحدا إلى ثلاثة، وغيره لا يكون إلا واحدا، فإن جيء باثنين فعلى التبعية وأنه لا يتأول بغيره من المفاعيل وغيره يتأول به

والمفعول له غرض للفعل

والمفعول المطلق هو المصدر المنصوب للتأكيد، أو لعدد المرات، أو لبيان النوع، سمي مفعولا مطلقا لصحة إطلاق صيغة المفعول على كل فرد منه من غير تقييد بالجار بخلاف المفاعيل الباقية

والمفعول أعم من المفتعل، يقال لما لا يقصد الفاعل إلى إيجاده وإن تولد منه كحمرة اللون من الخجل

وكل ما دخله حرف الجر فهو المفعول به حتى المفعول فيه، وله عند ذكر (في) واللام سواء كان الحرف للتعدية كما في (ذهبت بزيد) ، أو للاستعانة كما في (كتبت بالقلم) ، ومنه (ضربت بالسوط)

والمفعول إذا كان ضميرا منفصلا والفعل متعد لواحد وجب تأخير الفعل نحو: ﴿إياك نعبد﴾ ولا يجوز أن يتقدم إلا في ضرورة، وقد يجوز نصب الفاعل ورفع المفعول عند عدم الالتباس نحو: (خرق الثوب المسمار) إذا كان مقدما على الفاعل، ولا يجوز ذلك إذا كان مؤخرا عنه

وقد يأتي المفعول بلفظ الفاعل نحو: (سر كاتم) ، (مكان عامر) وفي التنزيل: ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله﴾ ﴿و﴾ (حرما آمنا﴾ وقد يأتي بالعكس نحو: ﴿وعده مأتيا﴾ ﴿و﴾ (حجابا مستورا﴾

المتعدي: كل فعل كان فهمه موقوفا على فهم غير الفاعل فهو المتعدي ك (ضرب) بخلاف الزمان والمكان والغاية وهيئة

---

(١) الكليات أبو البقاء الكفوي ص/٧٥١

الفاعل والمفعول، لأن فهم الفعل وتعقله بدون هذه الأمور ممكن

غير المتعدي: وكل فعل لا يتوقف فهمه على فهم." (١)

"وضعها على العروض والانفكاك، فيجوز أن تحذف لفظا وتقدر معنى بخلاف الألف

والأسنان كلها مؤنثة إلا الأضراس والأنياب

والجمادات تؤنث من حيث إنها ضاهت الإناث لانفعالها

وتأنيث الحروف إنما يتصور في حروف المباني والمعاني لا في لفظ الحرف

قيل: حروف الهجاء والحروف المعنوية نحو: في، وعلى، وأشباههما مؤنثات سماعية

وقيل: تأنيث الحروف باعتبار تأويل اللفظة أو الكلمة

والتأنيث ثلاثة أقسام: لفظي ومعنوي معا كالمرأة، والناقة، وحبلى، وحمراء

ومعنوي فقط كهند، وزينب وهذان القسمان واجبا التأنيث في إرجاع الضمير وإسناد الفعل

ولفظي فقط مثل: كلمة، وظلمة، وحمرة، وطلحة، ورجل علامة، وحلة حمراء، وصخرة بيضاء، ودعوى، وذكرى، وبشرى

وهذا القسم يجوز فيه الوجهان باعتبار **اللفظ والمعنى**، ومن هذا القسم جميع المؤنثات السماعية مثل: الشمس، والنار، والدار، والنعل، والعقرب وغيرها فإن تأنيثها باعتبار ألفاظها فقط دون معانيها

والتفرقة بين المذكر والمؤنث في الأسماء غير الصفات نحو: حمار وحمارة غريب

ومتى اجتمع المذكر والمؤنث غلب حكم المذكر إلا في موضعين: أحدهما: (ضبعان) حيث أجريت التثنية على لفظ المؤنث الذي هو (ضبع) لا على لفظ المذكر

والثاني: التاريخ فإنه بالليالي دون الأيام مراعاة للأسبق

وتغليب المذكر على المؤنث إنما يكون في التثنية والجمع، وفي عود الضمير، وفي الوصف، وفي العدد

والتذكير والتأنيث معنيان من المعاني لا يتحققان معا إلا في الأسماء وأما الأفعال فإنها مذكرة، لان مدلولها الحدث، والحدث جنس، والجنس مذكر

والأسماء قبل الاطلاع على تأنيثها وتذكيرها يعبر عنها بلفظ مذكر نحو: شيء، وحيوان، وإنسان، فإذا علم تأنيثها ركب عليها العلامة

وتذكير المؤنث أسهل من تأنيث المذكر لأن التذكير أصل والتأنيث فرع، فتذكير المؤنث على تأويله بمذكر نحو: ﴿فمن جاءه موعظة من ربه﴾ أي: وعظ

﴿وأحيينا به بلدة ميتا﴾ : أي مكانا

﴿فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي﴾ أي: هذا الشخص، أو الجرم، أو الطالع

﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ أي: إحسان الله، [والقول بأن تأنيثه غير حقيقي ليس بجيد إلا مع تقديم الفعل، وفي

(١) الكليات أَبُو البَقاء الكفوي ص/٨٠٨

التأخير لا يجوز إلا التأنيث، وقيل لاكتساب المضاف تذكيرا من المضاف إليه، ويبعده ﴿لعل الساعة قريب﴾] (ولأن تأنيثها غير حقيقي)." [1]

"يكون مثنى أو مجموعا من الأعلام إلا وفيه الألف واللام، هذا إذا كان في **اللفظ والمعنى** مثنى أو مجموعا وأما إذا كان في اللفظ مثنى أو مجموعا وفي المعنى مفردا لم يدخل فيه الألف واللام كما في أبانين وغيره

وحق المثنى أن تكون صيغة المفرد فيه محفوظة إلا فيما آخره ألف، وذلك أنها إذا كانت ثالثة ردت إلى أصلها نحو: عصوان، ورحيان وإن كانت رابعة فصاعدا لم تقلب إلا ياء نحو: حبليان، وأوليان وأخريان

وإن كانت ممدودة للتأنيث كحمراء وصحراء قلبت واوا، وما عداها باق على حاله

ويجوز إفراد المضاف المثنى معنى إذا كان جزء ما أضيف إليه نحو: (أكلت رأس شاتين) ، وجمعه أجود كما في: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ والتثنية مع أصالتها قليلة

وإن لم يكن المضاف جزأه فالأكثر مجيئه بلفظ التثنية نحو: (سل الزيدان سيفيهما) وإن أمن اللبس جاز جعل المضاف بلفظ الجمع

وما وحد من خلق الإنسان فتثنيته بلفظ التثنية، وكذا ما كان اثنين من واحد ك (الكعبين) ، وأما (ما كان واحدا من واحد فتثنيته بلفظ الجمع ك (المرافق) والعرب تجعل الاثنين على لفظ الجمع إذا كانا متصلين ولا تقول منفصلين مثل: (أفراسهما وغلمانهما)

والمثنى: ما دل على اثنين بزيادة في آخره صالح للتجريد وعطف مثله عليه مثلا إذا قلت: الزيدان، فقد دل على اثنين بزيادة في آخره وهي الألف والنون، ويصلح أن يجرد من الزيادة فيعود زيدا، وعلى أن أحدهما عطف على مثله لأن الأصل فيه زيد وزيد

وأما التثنية فهي ضم واحد إلى مثله بشرط اتفاق اللفظين والمعنيين أو المعنى الموجب للتثنية، هكذا فرق النحاة بينهما

والمثنى له إعراب يخصه، فيعرب بالألف في حالة الرفع وفتح ما قبل الألف، وبالياء في حالتي النصب والجر وفتح ما قبلها، ونون مكسورة في الأحوال الثلاثة

المبني: كل مبني حقه أن يبنى على السكون إلا أن تعرض علة توجب له الحركة والتي تعرض أمور: أحدها اجتماع الساكنين مثل: (كيف وأين)

ثانيها: كونه على حرف واحد مثل الباء الزائدة

ثالثها: الفرق بينه وبين غيره مثل: الفعل الماضي بني على الفتح لأنه ضارع بعض المضارعة، ففرق بالحركة بينه وبين ما لم يضارع وهو فعل الأمر المواجه به وبناء بالأصالة كبناء الحرف والفعل الماضي والأمر بغير اللام على أفصح القول، وبناء بالمطابقة كالأسماء المبنية، وبناء بالتبعية كالتوابع

---

(١) الكليات أبُو البَقاء الكفوي ص/٨٢٠

والمنادى في قولك: يا رجل ظريف، ويا زيد عمرو وإعراب بالأصالة كإعراب الاسم، وإعراب بالتبعية كإعراب التوابع والمبني ما لزم وجها واحدا وهو جميع الحروف وأكثر الأفعال وهو الماضي وأمر المخاطب وبعض." (١)

"الأول: ما يقابل اللفظ سواء كان عينا أو عرضا

والثاني: ما يقابل العين الذي هو قائم بنفسه، ويقال: هذا معنى أي: ليس بعين سواء كان ما يستفاد من اللفظ أو كان لفظا

والمراد بالكلام النفسي هو هذا المعنى الثاني وهو القائم بالغير أعم من أن يكون لفظا أو معنى لا مدلول اللفظ كما فهم أصحاب الأشعري من كلامه: " الكلام هو المعنى النفسي "

والمعنى مطلقا: هو ما يقصد بشيء، وأما ما يتعلق به القصد باللفظ فهو معنى اللفظ ولا يطلقون المعنى على شيء إلا إذا كان مقصودا، وأما إذا فهم الشيء على سبيل التبعية فهو يسمى معنى بالعرض لا بالذات

والمعنى: هو المفهوم من ظاهر اللفظ [وانفهامه منه صفة للمعنى دون اللفظ فلا اتحاد في الموضوع] والذي تصل إليه بغير واسطة

ومعنى المعنى: هو أن يعقل من اللفظ معنى ثم يفضي لك ذلك المعنى إلى معنى آخر

والمعنى: ما يفهم من اللفظ

والفحوى مطلق المفهوم، وقيل: فحوى الكلام ما فهم منه خارجا عن أصل معناه

وقد يخص بما يعلم من الكلام بطريق القطع كتحريم الضرب من قوله تعالى: ﴿فلا تقل لهما أف﴾ أو من خلال التراكيب وإن لم يكن بالمطابقة

واللفظ إذا وضع بإزاء الشيء فذلك الشيء من حيث يدل عليه اللفظ يسمى مدلولا، ومن حيث يعنى باللفظ يسمى معنى، ومن حيث يحصل منه يسمى مفهوما، ومن حيث كون الموضوع له اسما يسمى مسمى والمسمى أعم من المعنى في الاستعمال لتناوله الأفراد

والمعنى قد يختص بنفس المفهوم، مثلا: يقال لكل من زيد وبكر وعمرو: مسمى للفظ الرجل، ولا يقال: معناه

والمدلول قد يعم من المسمى لتناوله المدلول التضمني والالتزامي دون المسمى

والمسمى يطلق ويراد به المفهوم الإجمالي الحاصل في الذهن عند وضع الاسم، ويطلق ويراد به اصدق عليه هذا المفهوم فإذا أضيف إلى الاسم يراد به الأول فالإضافة بمعنى اللام، وإذا أضيف إلى العلم يراد به الثاني فالإضافة بيانية والمنطوق هو الملفوظ وقد يراد به مدلول اللفظ وبالمفهوم ما يلزم من المدلول

والمعنى ما قام بغيره، والعين ما يقابله هذا هو المصطلح النحوي

وأما اسم المعنى الذي هو ما دل على شيء فهو باعتبار أي صفة عارضة له سواء كان قائما بنفسه أو بغيره كالمكتوب والمضمر، وحاصله المشتق وما في معناه

---

(١) الكليات أَبُو البَقاء الكفوي ص/٨٣٠

واسم العين: هو الذي ليس كذلك كالدار والعلم فإضافة اسم المعنى يفيد الاختصاص باعتبار الصفة الداخلة في مفهوم المضاف تقول (مكتوب زيد) والمراد اختصاصه به بمكتوبيته له

وإضافة اسم العين تفيد الاختصاص مطلقا أي: غير مقيدة بصفة داخلة في مسمى المضاف

ثم إن **اللفظ والمعنى** إما أن يتحدا فهو المفرد." (١)

"ورأيت في معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي: نسبة كلام صالح بن حسان الذي قال للهيثم بن عدي في بيت جميل للرشيد أنه قال للمفضل الضبي، وهو سهو منه واشتباه عليه بحكاية أخرى، وهي: ما حكاه المفضل الضبي، إن الرشيد قال له: دلني على بيت أوله أكثم بن صيفي في أصالة الرأي، وجودة الموعظة، وآخره بقراط في معرفة الدواء. فقال له يا أمير المؤمنين: لقد هولت علي. فقال هذا قول أبي نؤاس:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء ... وداوني بالتي كانت هي الداء

ومن لطيف الانتقاد في المناسبة بين الشطرين ما حكي: إن الشيخ نور الدين علي بن سعيد الأندلسي الأديب المشهور الذي من نظمه قوله:

وأطول شوقاه إلى ثغور ... ملأى من الشهد والرحيق

عنها أخذت الذي تراه ... يعذب من شعري الرقيق

لما ورد إلى الديار الشامية، اجتمع بالصاحب بهاء الدين زهير وتطفل على موائد طريقته الغرامية، وسأله الإرشاد إلى سلوكها، فقال: طالع ديواني الحاجري والتلعفري، وأكثر المطالعة فيهما، وراجعني بعد ذلك. فغاب عنه مدة، وأكثر من مطالعة الديوانين حتى علق بحفظه غالبهما، ثم اجتمع به بعد ذلك، وتذاكر في الغراميات، فأنشده الصاحب بهاء الدين في غضون المحاضرة: (يا بان وادي الأعرج) ، وقال له: أجز هذا. فأفكر قليلا وقال: (سقيت غيث الأدمع) ، فقال: والله حسن، ولكن الأقرب إلى الطريقة الغرامية أن تقول: (هل ملت من شوق معي) . ومثل هذه المناسبة لا يدركها إلا مثل بهاء الدين زهير.

قال أبو منصور الثعالبي في اليتيمة: ولأبي الطيب ابتداءات ليست هي لعمر من أحرار الكلام وغرره، بل هي كما نعاها عليه العائبون مستبشعة لا يرفع السمع لها حجابه ولا يفتح له بابه كقوله:

هذي برزت لنا فهجت رسيسا ... ثم انصرفت وما شفيت نسيسا

فإنه لم يرض بحذف علامة النداء من (هذي) وهو غير جائز عند النحويين، حتى ذكر الرسيس والنسيس فأخذ بطرفي الثقل والبرد.

قلت: أجيب عن حذف علامة النداء من (هذي) : بأن (هذي) مفعول مطلق، لا منادى أي برزت لنا هذي البرزة. وعلى كل تقدير، فهذا المطلع من مستهجنات المطالع.

قال: ومن مطالعه التي تكلف لها اللفظ المعقد، والترتيب المتعسف لغير معنى بديع يفي ترفه وغرابته بالتعب في استخراجه،

---

(١) الكليات أَبُو البَقاء الكفوي ص/٨٤٢

وتقوم فائدة الانتفاع به بإزاء التأذي بسماعه، قوله:

وفائكما كالربع أشجاء طاسمه ... بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

قال الصاحب ابن عبد رحمه الله تعالى: ومن عنوان قصائده الذي يحير الإفهام، ويجمع من الحساب ما لا يدرك بالاريثماطيقي وبالأعداد الموضوعة للموسيقى قوله:

أحاد أم سداس في أحاد ... لييلتنا المنوطة بالتناد

وهذا كلام الحكل ورطانة الزط وما ظنك بممدوح قد تشمر للسماع من مادحه فصلك سمعه بهذه الألفاظ والمعاني المنبوذة، أي هزة تبقى هناك، وأي أريحية تثبت هنا. وقد خطأه في **اللفظ والمعنى** كثير من أهل اللغة وأصحاب المعاني، حتى احتيج في الاعتذار له والتصفح عنه إلى كلام لا يستأهله هذا البيت، ولا يتسع له هذا الباب.

قال: ومن افتتاحاته العجيبة، قوله لسيف الدولة في التسلية عن المصيبة:

لا يحزن الله الأمير فإنني ... لآخذ من حالاته بنصيب

لا أدري ما يحزن سيف الدولة إذا أخذ المتنبي بنصيب من القلق.

قال الثعالبي: ومن ابتداءاته الشنيعة التي تنكرها الأسماع قوله:

ملث القطر أعطشها ربوعا ... وإلا فاسقها السم النقيعا

وقوله:

إثلث فأنا أيها الطلل ... نبكي وترزم تحتنا الإبل

ومن مطالع أبي تمام التي استهجنها أبو الطيب المتنبي قوله:

خشنت عليه أخت بني خشين ... وأنجح فيك قول العاذلين

ومن المطالع التي لم تجمع الشروط المتقدمة، قول أبي تمام أيضا:

أما أنه لولا الخليط المودع ... وربع عفا عن مصيف ومربع

فإنه ليس مستقلا بنفسه بل متعلق بالبيت الذي يليه؛ لأنه لم يأت بجواب (لولا) إلا فيه حيث قال:

لو أن دهرا رد رجع جوابي ... أو كف من شأويه طول عتاب

فإنه يتعلق بما بعده أيضا، لمكان جواب (لو) وهو قوله:

لعذلته في دمنتين بأمرة ... ممحوتين لزينب ورباب

ومثل ذلك قول أبي عبادة البحتري:." (١)

"وتعجب الحاضرون من هجو صار وسيلة إلى المهجو، وصار ذلك غرة في جبين كرمه، وطرازا على كم فضله. انتهى. فهم من التفاؤل بهذه المثابة.

وكان) صلى الله عليه وآله وسلم (يحب الفال الصالح، والاسم الحسن ويكره الطيرة - بكسر الطاء وفتح الياء - وهي

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/١٠

التشاؤم. وقال) صلى الله عليه وآله وسلم (: ليس منا من تطير أو تطير له. ونزل) صلى الله عليه وآله وسلم (، على كلثوم بن الهدم، فصاح بغلام: يا نجيح؛ فقال) صلى الله عليه وآله وسلم (: أنجحت يا كلثوم. وقال) صلى الله عليه وآله وسلم (لتاجر أراد الخروج وفي القمر محاق: (تريد أن تمحق تجارتك؟ استقبل هذا الشهر بالخروج) . وسمع) صلى الله عليه وآله وسلم (رجلا يقول: يا حسن، فقال: (أخذنا فالك من فيك) .

تنبيه: قال الدميري في حياة الحيوان: إنما أحب النبي) صلى الله عليه وآله وسلم (الفال، لأن الإنسان إذا أمل فضل الله كان على خير، وإن قطع رجاءه من الله كان على شر، والطيرة فيها سوء ظن وتوقع للبلاء. قالوا: يا رسول الله، لا يسلم أحد منا من الطيرة، والحسد؛ والظن؛ فما تصنع: قال: (إذا تطيرت فامض، وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا ظننت فلا تتحقق) .

واعلم أن التطير إنما يضر من أشفق منه وخاف. وأما من لا يبال به لم يعبأ به فلا يضره البتة، لا سيما أن قال عند رؤية ما يتطير منه، أو سماعه؛ ما روي عن النبي) صلى الله عليه وآله وسلم (: (اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك، اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) . وأما من كان معنيا بها فهي أسرع إليه من السيل إلى منحدره، تفتح له أبواب الوسواس فيما يسمعه ويراه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة. في **اللفظ والمعنى**، ما يفسد عليه دينه، وينكد عليه معيشته. فليتوكل الإنسان على الله في جميع أموره، ولا يتكل على سواء. وذلك لأن الناس في التوكل على أحوال شتى. متوكل على نفسه أو على ماله. أو على جاهه أو على سلطانه، أو على غلته، أو على الناس؛ أو على ذاهب يوشك أن ينقطع وكل مستند إلى حي يموت. فنزه الله نبيه عن ذلك، وأمره أن يتوكل على الحي الذي لا يموت.

ومن غريب ما يحكى من أمر التطير: ما حكاه محمد بن راشد. قال أخبرني إبراهيم بن المهدي، أنه كان مع الأمين بمدينة المنصور، قال: فطلبني ليلة فأتيت، فقال: ما ترى طيب هذه الليلة وحسن القمر وضوئه في الماء، فهل لك في الشراب؟ قلت: شأنك، فشربنا، ثم دعا بجارية اسمها ضعف؛ فتطيرت من اسمها؛ فأمرها أن تغني، فغنت بشعر النابغة الجعدي.

كليب لعمري كان أكثر ناصرا ... وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم

فتطير بذلك وقال: غني غير هذا، فغنت:

أبكي فراقك عيني فأرقها ... إن التفرق للأحباب بكاء

ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم ... حتى تفانوا وريب الدهر عداء

فاليوم أبكيهم جهدي وأندبهم ... حتى أأوب وما في مقلتي ماء

فقال لها: لعنك الله، أما تعرفين غير هذه، فقالت: ظننت أنك تحب هذا. ثم غنت:

أما ورب السكون والحرك ... إن المنايا كثيرة الشرك

ما اختلف الليل والنهار ولا ... دارت نجوم السماء في الفلك

ألا لنقل السلطان عن ملك ... قد زال سلطانه إلى ملك

وملك ذي العرش دائم أبدا ... ليس بفان ولا بمشترك

فقال لها: قومي لعنك الله، فقامت فلتت في قدح بلور له قيمة فكسرته. فقال: ويحك يا إبراهيم، أما ترى، والله ما أظن أمري إلا قرب. فقلت: بل يطيل الله عمرك، ويعز ملكك فسمعت صوتا من دجلة قضي الأمر الذي فيه تستفتيان فوثب محمد مغتما، وقتل بعد ليلة أو ليلتين.

وحكى صاحب كتاب الهفوات: إن أرطاة بن سهية دخل على عبد الملك بن مروان، وكان قد أدرك الجاهلية والإسلام، فرآه عبد الملك شيخا كبيرا، فاستنشده فيما قاله في طول عمره فأنشده:

رأيت المرء تأكله الليالي ... كأكل الأرض ساقطة الحديد

وما تبقي المنية حين تأتي ... على سن ابن آدم من مزيد

وأعلم أنها ستكر حتى ... توفي نذرها بأبي الوليد." (١)

"وبيت بديعية الشيخ عبد القادر الطبري جمع فيه مع الاكتفاء عتاب المرء نفسه، ورد العجز على الصدر، وهو من النوع الأول من الاكتفاء، ولم يلتزم التورية وهو قوله:

لم ترعو النفس عتبا ويحك أتته عن ... تصدير غيك كيما نكتفي بلم

ما أحق هذا البيت بكلام ابن حجة الذي تكلم به على بيت الصفي الحلي.

وبيت بديعيتي من النوع الثاني من الاكتفاء، وهو الذي يكون ببعض الكلمة مع زيادة التورية والتلميح، وهو قولي:

لم يكتفوا بي عميدا في محبتهم ... بل كل ذي نظر فيهم أراه عمي (دا)

أردت بقولي (عمي) عميدا، وهذا هو الاكتفاء ببعض الكلمة. وفي الظاهر أن المراد بعمي: اسم فاعل من عمي يعمى، وهذا هو التورية، ويرشحها لذلك قولي (كل ذي نظر) وفيه تلميح لقوله عليه وآله السلام: حبك لشيء يعمي ويصم، وهذا هو التلميح.

وبيت بديعية الشيخ شرف الدين المقري من النوع الأول من الاكتفاء والتزم فيه التورية، وهو قوله:

ألم أقل لك أن اللوم آلمني ... وزاد في لوعتي يوم النوى ألم

قال ناظمه في شرحه: الاكتفاء بقوله (ألم) لأن صدر البيت (ألم أقل لك) فلا يخفى أن مراده: ألم أقل لك، فاكتفى بذلك. وفيه أيضا التورية فإنه يحتمل أنه أراد: ألمي، من الألم، فإن لفظة (آلمني) رشحتها لذلك، فيكون معناه: ألمي ما للوم زاد في لوعتي. وفيه أيضا رد العجز على الصدر.

رد العجز على الصدر

بهجرهم كم وكم فل الهوى أمما ... ورد عجزا على صدر بهجرهم

هذا النوع سماه بعضهم بالتصدير، والأول أولى، لأنه مطابق لمسماه، وخير الأسماء ما طابق المسمى. وهو في النثر: أن يجعل

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/١٣

أحد اللفظين المكررين، أعني المتفقين في **اللفظ والمعنى** أو المتجانسين وهما المتشابهان في اللفظ دون المعنى، أو الملحقين بالمتجانسين، وهما اللفظان اللذان يجمعهما الاشتقاق أو شبهه، في أول الفقرة، واللفظ الآخر في آخرها فيكون أربعة أقسام.

الأول: أن يكونا مكررين، كقوله تعالى: (تخشى الناس والله أحق أن تخشاه) .

والثاني: أن يكونا متجانسين، نحو قولهم: سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل.

والثالث: أن يجمع اللفظين الاشتقاق، نحو قوله تعالى: (استغفروا ربكم إنه كان غفارا) .

والرابع: أن يجمعهما شبه الاشتقاق، نحو قوله تعالى: (قال إني لعملكم من القالين) .

وفي النظم: على أربعة أقسام وهو: أن يقع أحد اللفظين في آخر البيت، والآخر في صدر المصراع الأول، أو حشوه، أو عجزه، أو صدر المصراع الثاني؛ فهذه أربعة أقسام.

وعلى كل تقدير، فاللفظان إما مكرران، أو متجانسان، أو ملحقان بهما، فتصير الأقسام اثني عشر، حاصلة من ضرب أربعة في ثلاثة، وباعتبار أن الملحقين قسمان، لأنه إما أن يجمعهما الاشتقاق، أو شبه الاشتقاق تصير الأقسام ستة عشر، حاصلة من ضرب أربعة في أربعة.

فالأول، وهو وقوع أحد اللفظين في آخر البيت، والآخر في صدر المصراع الأول، واللفظان مكرران، مثاله قول الشاعر:

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه ... وليس إلى داعي الندى بسريع

وقول أبي نواس:

وحياة رأسك لا أعود ... لمثلها وحياة رأسك

وقول البستي:

سحبان من غير مال باقل حصر ... وباقل في ثراء المال سحبان

وقول ابن جابر الأندلسي:

جمال هذا الغزال سحر ... يا حبذا ذلك الجمال

هلال خديه لم يغب ... عني وإن غيب الهلال

غزال أنس يصيد أسدا ... فأعجب لما يصنع الغزال

دلاله دل دل شوق ... علي إذ زانه الذلال

كماله لا يخاف نقصا ... دام له الحسن والكمال

نباله قد رمت فؤادي ... لا أخطأت تلكم النبال

حلال وصلي له حرام ... وحكم قتلي له حلال

زلال ذاك اللمى حلالي ... وأين لي ذلك الزلال

قتاله لا يطاق لكن ... يعجبني ذلك القتال

والثاني، وهو وقوع أحد اللفظين المكررين في آخر البيت، والثاني في حشو المصراع الأول، مثاله قول الشاعر:

تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار

وقول جرير:

سقى الرمل جون مستهل غمامه ... وما ذاك إلا حب من حل بالرمل

وقول زهير:

كذلك خيمهم ولكل قوم ... إذا مستهم الضراء خيم

وقول أبي تمام:." (١)

"ورمل كأوراك العذارى قطعته ... إذا لبسته المظلمات الحنادس

أفلا ترى ذا الرمة كيف جعل الأصل فرعا، والفرع أصلا؟ وذاك أن العادة والعرف في نحو هذا أن تشبه أعجاز النساء بكثبان الانقاء، ألا ترى إلى قوله:

ليلى قضيب تحته كثيب ... وفي القلاد رشأ ربيب

فقلب ذو الرمة العرف والعادة في هذا، فشبه كثبات الانقاء بإعجاز النساء، وهذا كأنه يخرج مخرج المبالغة، أي قد ثبت هذا الموضع، وهذا المعنى لإعجاز النساء، وصار كأنه الأصل، فشبه به كثبان الانقاء.

مثله للطائي الصغير - يعين أبا عبادة البحتري -:

في طلعة البدر شيء من ملاحتها ... وللقضيب نصيب من تثنيها

وآخر من جاء به شاعرنا - يعني أبا الطيب المتنبي - فقال:

نحن ركب ملجن في زي ناس ... فوق طير لها شخوص الجمال

فجعل كونهم جنا أصلا، وكونهم ناسا فرعا، وجعل كون مطاياهم طيرا أصلا، وكونها جمالا فرعا. انتهى ملخصا.

فقولي (إلا غصونا شبهت بهم) من هذا الباب، لأن العرف والعادة تشبيه القدود بالغصون فقلبت ذلك، وجعلت الغصون مشبهة بقدودهم مبالغة.

ومنه أيضا قولي من قطعة تقدم إنشادها في نوع الافتنان وهو:

في ليلة مدت غياهبها ... من فرعها كالفاحم الجعد

فإن العرف تشبيه الشعر الفاحم بالظلمة، فقلبت ذلك وشبهت الظلمة به.

إذا عرفت ذلك، فالتكميل في بيت بديعيتي باشتماله على هذين المعنيين أكمل منه في بيت ابن حجة والله أعلم.

وبيت بديعية الشرف المقري قوله:

أهوى حياتي إلا حيث لم أرهم ... وأكره الموت إلا في جوارهم

فالمعنى الزائد على معنى الاستثناء في هذا البيت أظهر من أن ينبه عليه.

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/١٨٨

مراعاة النظير

وقد قصدت مراعاة النظير لهم ... من جلنار ومن ورد ومن عنم

هذا النوع أعني مراعاة النظير، سماه قوم بالتوفيق، وآخرون بالتناسب وجماعة بالائتلاف، وبعضهم بالمواخاة.

قالوا: وهو عبارة عن أن يجمع المتكلم بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد سواء كانت المناسبة لفظا لمعنى، أو لفظا للفظ، أو معنى لمعنى، إذ القصد جمع شيء وما يناسبه من نوعه، أو ملائمة من إحدى الوجوه. انتهى.

ولا يخفى أن هذا التفسير يدخل فيه ائتلاف اللفظ مع المعنى، وائتلاف اللفظ مع اللفظ، وائتلاف المعنى مع المعنى، وكل من هذه الأقسام عده أرباب البديعيات نوعا برأسه، ونظموا له شاهدا مستقلا، وجعلوه مغايرا لهذا النوع، مع أنهم مثلوا لائتلاف اللفظ بما مثلوا به لمراعاة النظير بعينه ولا وجه لذلك، بل كان الصواب تنويع هذا النوع إلى هذه الأنواع الثلاثة كما فعل صاحب التبيان، حيث قال: مراعاة النظير هو أن يجمع بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد، وهو أصناف: الأول – ائتلاف **اللفظ والمعنى**. والثاني – ائتلاف اللفظ مع اللفظ. والثالث – ائتلاف المعنى مع المعنى. وهذا كتنويعهم اللف والنشر إلى أنواعه المذكورة، والالتفات إلى أنواعه الستة، وغير ذلك من أنواع البديع التي هي تتنوع إلى أنواع. وإذ قد اصطلح أرباب البديعيات على جعل مراعاة النظير نوعا برأسه، وكل من ائتلاف **اللفظ والمعنى**، وائتلاف اللفظ مع اللفظ، وائتلاف المعنى مع المعنى، نوعا برأسه، فينبغي أن يحد كل منها بحد لا يشمل الآخر.

فيحد مراعاة النظير: بأنه عبارة عن أن يجمع المتكلم بين لفظين أو ألفاظ متناسبة المعاني، أما حقيقة أو ظاهرا. فالأول كقوله تعالى: (الشمس والقمر بحسبان) . فالشمس والقمر متناسبا المعنى حقيقة، من حيث اشتراكهما في وصف مشهور، وهو الإضاءة.

والثاني كقول مهيار الديلمي:

ومدير سيان عنياه والإبريق فتكا ولحظه والمدام

فمعنى الإبريق مناسب لمعنى المدام، إذ الإبريق يطلق على إناء الخمر، لكن هذه المناسبة ظاهرية، إذ ليس مقصوده بالإبريق هذا المعنى، بل مقصوده به السيف، سمي بذلك لبريقه، فخرج عن هذا الحد لمراعاة النظير؛ ائتلاف اللفظ مع المعنى، وائتلاف المعنى مع المعنى، وسيأتي كل منهما في محله إن شاء الله تعالى.." (١)

"يقول صحبي وقد جدوا على عجل ... والخيل تستن بالركبان في اللجم

أمغرب الشمس تنوى أن تؤم بنا ... فقلت كلا ولكن مطلع الكرم

قال الصفدي: وهذا في غاية الحسن التي تكبو الفحول دون بلوغها وتعجز الشعراء عن الظفر بصونها والتحلي بمصوغها.

وقد أخذه أبو تمام فأغار على **اللفظ والمعنى**، وقال في مخلص قصيدة يمدح بها عبد الله بن طاهر ذي اليمينين الخزاعي:

يقول في قومس صحبي وقد أخذت ... منا السرى وخطا المهرية القود

أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا ... فقلت كلا ولكن مطلع الجود

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/١٩٤

وأخذه أبو إسحاق الغزي أيضا وسبكه لما قال:

تقول إذا حثثناها وظلت ... تناجينا بألسنة الكلال

إلى أفق الهلال مسير ركبي ... فقلنا بل إلى أفق النوال

فأين معالي الشمس ممن يحاول، وأين الثريا من يد المتناول

ومن محاسنها أيضا قول أبي نواس:

وإذا جلست إلى المدام وشربها ... فاجعل حديثك كله في الكأس

وإذا نزعت عن الغواية فليكن ... لله ذاك النزع لا للناس

وإذا أردت مديح قوم لم تمن ... في مدحهم فامدح بني العباس

وقوله في مخلص قصيدة يمدح بها الخصيب بن عبد الحميد صاحب الخراج بمصر، أولها:

أجارة بيتينا أبوك غيور ... وميسور ما يرجى لديك عسير

فإن كنت لا خلما ولا أنت زوجة ... فلا برحت دوني عليك ستور

وجاورت قوما لا تزاور بينهم ... ولا وصل لا أن يكون نشور

فما أنا بالمشغوف ضربة لازب ... ولا كل سلطان علي قدير

وإني لطرف العين بالعين زاجر ... وقد كدت لا يخفى علي ضمير

يقول: أزجر بعيني عيون الناس فاعلم ما في ضمائرهم. وبعده:

تقول التي من بيتها خف محملي ... عزيز علينا أن نراك تسير

أما دون مصر للغنى متطلب ... بلى إن أسباب الغنى لكثير

فقلت لها واستعجلتها بوادر ... جرت فجرى من جريهن عبير

ذريني أكثر حاسديك برحلة ... إلى بلد فيه الخصيب أمير

إذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا ... فأي فتى بعد الخصيب تزور

فتى يشتري حسن الثناء بماله ... ويعلم أن الدائرات تدور

وهي قصيدة طويلة بليغة أحسن فيها كل الإحسان.

يروى: أنه لما قدم أبو نواس على الخصيب بمصر صادر في مجلسه جماعة من الشعراء ينشدون مدائح لهم فيه، فلما فرغوا قال الخصيب: ألا تنشدنا أبا علي؟ فقال: أنشدك أيها الأمير قصيدة هي بمنزلة عصى موسى تلقف ما يأفكون. فأنشده هذه القصيدة، فلما فرغ من إنشادها أمر أن يملأ فمه جوهرا.

وفي كتاب آداب الغرباء: أن أبا نواس كان عائدا من الشام إلى بغداد قال: فإني على ظهر فرسي إذ ترنمت بهذه الأبيات (تقول التي من بيتها خف محملي- الأبيات) قال: فسمعت من ورائي شهقة، فالتفت فإذا شيخ عليه أطمار رثة يقود فرسا أعجف، فقال لي: أعد يا أبا نواس هذه الأبيات، فأعدتها، قال: فيمن هذه؟ قلت امتدحت بها الخصيب أمير مصر، قال: ما أرفدك؟ قلت أنه ملأ فمي جوهرا بعته بمائة ألف درهم، قال: أتعرفه؟ قلت: نعم، قال: إني والله الخصيب. فلما عرفته

نزلت عن دابتي وقبلت يده ورجله، فقال: لا تفعل. ثم سألته عن سبب تغير أمره فقال لي: قولك (الدائرات تدور) . قال: فدفعت إليه جميع ما معي من مركوب ونفقة وثياب، وسألته قبولها، فأبى وقال: والله لا أخذت من يد أرفدتها. ثم ركب دابته وتركني ومضى. انتهى.

ومن محاسن التخلص للمولدين أيضا قول ابن المعتز:

قايست بين جمالها وفعالها ... فإذا الملاحة بالقباحة لا تفي

والله لا كلمتها ولو أنها ... كالشمس أو كالبدر أو كالمكتفي

وقول علي بن الجهم:

وليلة كحلت بالنفس مقلتها ... ألقت قناع الدجى في كل أخدود

قد كاد يغرقني أمواج ظلمتها ... لولا اقتباسي سنى من وجه داود

وقوله أيضا يذكر سحابة:

أتتنا بها ريح الصبا فكأنها ... فتاة تزجيها عجوز تقودها

فما برحت بغداد حتى تفجرت ... بأودية ما تستفيق مدودها

فلما قضت حق العراق وأهله ... أتاها من الريح الشمال بريدها

فمرت تفوت الطرف سعيا كأنها ... جنود عبيد الله ولت بنودها." (١)

"هذا البيت مستوف لشروط حسن التخلص لفظا ومعنى مع التصريح بذكر حسن التخلص في أثناء الشطر الأول، فلا عبرة بقول ابن حجة: جل القصد أن يكون التصريح به في الشطر الثاني، إذ لا يظهر لهذا الشرط فائدة. نعم التصريح به في أول البيت كما فعل الموصلي لا يتأتى معه الانتقال من الكلام الأول إلى المدح في بيت واحد.

ومخلص بديعية الشيخ شرف الدين المقري قوله:

تزداد حسنا وتزهو كلما وضعت ... في جيد أوصاف خير الخلق كلهم

هذا البيت أيضا غير صالح للتجريد، لتعلقه بما قبله، وهو بيت القسم وبيت الاستعارة وهما:

لا أسفرت لي وجوه المشكلات ولا ... حللت عقدة معنى غير منفهم

إن لم أصغ ناظما عقدا فرائده ... وسائط كلها من جوهر الكلم

تزداد حسنا وتزهو كلما وضعت ... في جيد أوصاف خير الخلق كلهم

وكل من هذه الأبيات غير صالح للتجريد

الإطراد

محمد أحمد الهادي البشير ابن ... عبد الله فخر نزار باطرادهم

الإطراد في اللغة، مصدر أطرد الشيء: إذا تبع بعضه بعضا وجرى والأنهار تطرد أي تجري، وفي الاصطلاح، هو أن يجيء

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٢٣٠

الشاعر باسم الممدوح ولقبه وكنيته وصفته وأبيه وجده وقبيلته غالبا، أو ما أمكن من ذلك مطردا متواليا في بيت واحد، من غير تعسف ولا تكلف، ولا انقطاع بألفاظ أجنبية لأنه مشتق من إطراد الماء.

كقول أبي تمام:

عبد المليك بن صالح بن علي بن قسيم النبي في نسبه

وأحسن ما قيل من ذلك، قول بعض المتأخرين في الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي:

مؤيد الدين أبو جعفر ... محمد بن العلقمي الوزير

هكذا حده الشيخ صفي الدين الحلي، ومثل له في شرح بديعيته، وهو أعم من حد الجمهور له، بأنه عبارة عن الإتيان باسم الممدوح أو غيره وأسماء آبائه على ترتيب الولادة من غير تكلف في السبك، حتى تكون الأسماء في تحدرها كالماء الجاري في إطراده، وسهولة انسجامه.

كقول الشاعر:

أن يقتلوك فقد ثللت عروشهم ... بعتيبة بن الحارث بن شهاب

لكن قد تقدم أن الشيخ صفي الدين الحلي لخص بديعيته من سبعين كتابا في هذا الفن، اجتنى من ثمرات أوراقها ما شاء، فقوله عمدة في هذا الباب.

قال الشيخ بهاء الدين السبكي في عروس الأفراح: ومنهم من سمى الإطراد ذكر الأسماء مطلقا.

وكذلك صنع ابن رشيق في العمدة، فإنه جعل الإطراد في قول المتنبي:

وحمدان حمدون وحمدون حارث ... وحارث لقمان ولقمان راشد

انتهى. وأخذ الصاحب بن عباد رحمه الله تعالى على المتنبي في هذا البيت فقال: لم نزل مستحسنين لجمع الأسامي في الشعر.

كقول دريد بن الصمة:

قتلنا بعبد الله خير لداته ... ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

واحتذى هذا الفاضل على طرقهم فقال:

وأنت أبو الهيجا بن حمدان يا ابنه ... تشابه مولود كريم ووالد

وحمدان حمدون وحمدون حارث ... وحارث لقمان ولقمان راشد

وهذا من الحكمة التي ادخرها أرسطاليس وأفلاطون لهذا الخلف الصالح. انتهى.

وأجاب عنه ابن فورجة فقال: أما سبك البيت، فأحسن سبك، يريد أنت تشبه أباك، وأبوك كان يشبه أباه، وأبوه كان يشبه أباه، إلى آخر الآباء. فليت شعري ما الذي استقبحه؟ فإن استقبح قوله: وحمدان حمدون وحمدون حارث، فليس في حمدان ما يستقبح من حيث **اللفظ والمعنى**، بل كيف يصنع والرجل اسمه هذا، والذنب في ذلك للآباء لا للمتنبي.

وهذا على نحو ما قال أبو تمام:

عبد المليك بن صالح بن علي بن قسيم النبي في نسبه

والبحتري حيث يقول:

علي بن عيسى بن موسى بن طلحة ... بن سائب بن مالك حين ينطق

انتهى. وهذا من ابن فورجة دفع بالضد، وتجاف عن الحق، فإن الصاحب إنما استقبح من هذا البيت غلق تركيبه، وثقله على السمع، ونبو الطبع عن سماعه، كما يشهد به الذوق. وقوله: إن سبكه أحسن سبك ليس بصحيح، والطبع السليم أعدل حكم في ذلك. وأغرب من ذلك تشبيهه ببيتي أبي تمام والبحتري، وأين هو منهما؟ ولكن حبك الشيء يعمي ويصم كما أن عين السخط تبدي المساويا.." (١)

"نوادر المدح في أوصافه نشقت ... منها الصبا وأتتنا وهي في شمم

قال في شرحه: الشمم للنسيم نادرة، بل نكتة لم أسبق إليها.

وبيت المقري قوله:

فصدره البحر بر القلب من كرم ... وقبله البر صدر البحر في عظم

ولم ينظم السيوطي هذا النوع.

وبيت بديعية العلوي قوله:

بحر له ساحل يغني الأنام إذا ... جاءوه قبل دخول البحر من عدم

وبيت بديعية الطبري قوله:

نوادر المدح فاحت غير آونة ... ريح الصبا شممت أكرم بذي الشمم

قال في شرحه: النادرة فيه نسبة الشمم إلى الريح. انتهى. وهي نادرة بيت ابن حجة بعينها.

وبيت بديعيتي قولي:

فهل نوادر قولي إذ أتت علمت ... بأنها مدح خير العرب والعجم

النادرة فيه التعجب الذي أفهمه الاستفهام من مجيء نوادر الكلام حتى كأنها علمت أنها مدح أشرف الأنام عليه الصلاة والسلام.

التطريز

تطريز مدحي في علياه منتظم ... في خير منتظم في خير منتظم

التطريز في اللغة: مصدر طرزت الثوب إذا جعلت له طرازا أي علما، وهو معرب، وثوب مطرز بالذهب وغيره، أي معلم. وفي الاصطلاح يطلق علي معنيين: أحدهما: أن يؤتى في الكلام بمواضع متقابلة كأنها طراز.

هكذا عرفه الطيبي في البيان، ومثله بقول أبي تمام:

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٢٥٠

أعوام وصل كاد ينسى طولها ... ذكر النوى فكأنها أيام

ثم انبرت أيام هجر أعقبت ... بأسى فخلنا أنها أعوام

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام

الثاني: أن يبتدي المتكلم من ذوات غير مفصلة، ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب العدد الذي قدره في تلك الجمل الأول، فتكون الذوات في كل جملة متعددة تقديرا، والجمل متعددة لفظا، وعدد الجمل التي وصفت بها الذوات (لا عدد الذوات) عدد تكرار واتحاد لا تعداد تغاير، هكذا قرره الشيخ صفي الدين الحلي في شرح بديعيته.

ومثله بقول ابن الرومي:

أموركم بني خاقان عندي ... عجاب في عجاب في عجاب

قرون في رؤوس في وجوه ... صلاب في صلاب في صلاب

ومنه قول عضد الدولة:

طربت إلى الصبوح مع الصباح ... وشرب الكأس والغرور الملاح

وقد حبس الدجي عنا براح ... تسل نفوسها فوق الجسوم

شموعك والكؤوس مع الندامى ... نجوم في نجوم في نجوم

وبيت بديعية الصفي قوله:

فالجيش والنقع تحت الجو مرتكم ... في ظل مرتكم في ظل مرتكم

قال ابن حجة: هذا البيت لا يخلو من أن يكون للعقادة فيه بعض تركم. انتهى. والعقادة في لفظه لا في معناه.

ولم ينظم ابن جابر هذا النوع في بديعيته.

وبيت بديعية الموصلي قوله:

للدين والنقع تطريز لمحترم ... في نظم محترم في نظم محترم

قال ابن حجة في وصف هذا البيت: لم أفهم منه غير لفظة التطريز.

وبيت بديعية ابن حجة قوله:

شملي بتطريز مدحي فيه منتظم ... يا طيب منتظم يا طيب منتظم

وبيت بديعية المقري قوله:

شعري ونائله والخلق منسجم ... في أي منسجم في أي منسجم

ولم ينظم السيوطي، ولا الطبري هذا النوع.

وبيت بديعية العلوي قوله:

فالوصل والقرب في التمكين منتظم ... في ضمن منتظم في خير منتظم

وبيت بديعيتي قولي:

تطريز مدحي في علياه منتظم ... في خير منتظم في خير منتظم

التكرار

تكرار قولي حلا في الباذخ العلم اب ... ن الباذخ العلم ابن الباذخ العلم

التكرار، وقد يقال: التكرير، فالأول اسم، والثاني مصدر من كررت الشيء: إذا أعدته مرارا، وهو عبارة من تكرير كلمة فأكثر **باللفظ والمعنى** لنكتة، ونكتة كثيرة:." (١)

"وأنا أذكر هنا فصلا من كتاب الوساطة للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني - ويليق ذكره بهذا النوع - وهو قوله (لا آمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرى واحدا، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه، بل أرى لك أن تقسم الألفاظ على مراتب المعاني، فلا يكون غزلك كافتخارك، ولا مديحك كوعيدك ولا هجاؤك كاستبطائك، ولا هزلك بمنزلة جدك، ولا تعريضك مثل تصريحك. بل ترتب كلا مرتبته وتوفيه حقه، فتتلطف إذا تغزلت، وتفخم إذا افتخرت، وتتصرف للمديح تصرف مواقعه. فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والندام، ولكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به، وطريق لا يشاركه الآخر فيه. وليس ما رسمته لك في هذا الباب بمقصور على الشعر دون الكتابة، ولا يختص بالنظم دون النثر، بل يجب أن يكون كتابك في الفتح أو الوعيد خلاف كتابك في الشوق أو التهنية، وخطابك إذا حذرت وزجرت أفخم منه إذا وعدت ومنيت. انتهى.

وبيت بديعية الصفي قوله:

كأنما حلق السعدي منتشرا ... على الثرى بين منفض ومنفصم

ولم ينظم ابن جابر هذا النوع في بديعيته.

وبيت بديعية الموصلي قوله:

تؤلف **اللفظ والمعنى** فصاحته ... تبارك الله منشي الدر في الكلم

وبيت بديعية ابن حجة قوله:

تألف **اللفظ والمعنى** بمدحته ... والجسم عندي بغير الروح لم يقم

قوله: عندي من الحشو القبيح.

وبيت بديعية المقري قوله:

بر رحيم ومن عاداه معترف ... يقر بالفضل عيني كل محتكم

وبيت بديعية السيوطي قوله:

سهل رفيق رحيم لين رؤوف ... تألف اللفظ في معناه بالحكم

وبيت بديعية العلوي قوله:

وإن عدا ذو عناد غص ساعته ... بالموت عادا غدا أو كان من إرم

وبيت بديعية الطبري تقدم في أنواع المشاكلة.

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٤٣٣

وبيت بديعيتي قولي:

لفظي ومعناي قد صح ائتلافهما ... بمدح أروع ماضي السيف والقلم

المـوازنة

موازن مازن مستحسن حسن ... معاون صائن مستكمن شهم.

هذا النوع عبارة عن أن يقفي الشاعر جميع أجزاء البيت العروضية على قافية واحدة، أو روي واحد بخلاف روي البيت من غير حشو بلفظ أجنبي يفرق بين أجزائه وبين الأخر.

كقول امرئ القيس:

أفاد فساد وقاد فذاذ ... وشاد فجاد وعاد فافضل

وجعل ابن أبي الإصبع هذا النوع قسما من التسميط وسماه تسميط التقطيع، وقد مرت الإشارة إلى ذلك في نوع التسميط، ولا مشاحة في الاصطلاح.

ومنه قول ابن هاني المغربي:

يا دار أشبهت المها فيك المها ... والسرب إلا آتهن عوا طل.

إذ ذلك الوادي قنا وأسنة ... وإذ الديار مشاهد ومحافل.

وعوابس وقوابس وفوارس ... وكوانس وأوانس وعقائل.

وقوله أيضا:

ملأوا البلد رغائبا وكتائبا ... وقواضبا وشوازبا إن ساروا.

وجداولا وأجادلا ومقاولا ... وعواملا وذوابلا واختاروا.

وبيت بديعية الشيخ صفي الدين قوله:

مستقل قاتل مسترسل عجل ... مستأصل صائل مسنحفل خصم.

ولم ابن جابر ولا المعز الموصلي ولا ابن حجة ولا السيوطي ولا الطبري هذا النوع في بديعياتهم.

وبيت بديعية المقري قوله:

مصدق صادق مدفق غدق ... موافق أفق مغدودق الديم.

وبيت بديعية العلوي قوله:

مستكمل كامل مستنفصل فصل ... مستفضل فاضل مستوصل الرحم.

وبيت بديعيتي قولي:

موازن مازن مستحسن حسن ... معاون صائن مستكمن شهم.

الموازن اسم فاعل من الموازنة بمعنى المكافأة، قال في القاموس: وإن فلانا: كافاه على فعاله. مازن اسم فاعل من مزن بمعنى أضاء وجهه، والشهم: الذكي المتوقد الفؤاد، والسيد النافذ الحكم، والله أعلم.

ائتلاف اللفظ مع الوزن.

تألف اللفظ والوزن البسيط به ... فاطرب له من بديع النظم منسجم.

هذا النوع عبارة عن تكون كلمات البيت صحيحة الترتيب واللغة والإعراب، بحيث لا يضطر الشاعر لأجل إقامة الوزن إلى تقديم بعض الألفاظ وتأخير بعضها فيفسد تصور المعنى ويذهب رونق اللفظ، وإلى فصل ما حقه الاتصال، وإلى إفساد اللغة بزيادة في الكلمة أو نقصان، أو إلى إفساد الإعراب.." (١)

"وعصفور فتقول فيها عميد وعصيفر بالقلب. وإذا كان الاسم على خمسة أحرف حذفت الخامس كقولك في سفرجل سفيرج. وإن شئت حذفت رابعه فقلت سفيرل وإن شئت عوضت الياء بدل الجيم أو اللام فقلت سفيريل وإن شئت قلت سفيرجي.

التصريف: في اللغة التحويل مطلقا أي تحويل أي شيء كان لفظا أو غيره. من حال إلى حال. وفي اصطلاح علماء الصرف تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة ليحصل بنفس تلك الأمثلة معان متفاوتة لا تحصل تلك المعاني إلا بتلك الأمثلة والمراد بالأصل الواحد المصدر عند البصريين والفعل عند الكوفيين والمراد بالأمثلة الصيغ وبين المعنيين عموم وخصوص مطلقا. (ف (٢٦)) .

التصرف: الزيادة في العمل والمشقة فيه والقدرة عليه. قال أصحاب التصريف أن باب الافتعال للتصرف يعني لإفادة أن الفاعل حصل الفعل بزيادة العمل والمشقة فيه نحو اكتسب. ومعنى الكسب تحصيل الشيء على أي وجه كان ومعنى الاكتساب المبالغة والاعتمال فيه ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ . وفيه تنبيه على لطف الله تعالى بخلقه فأثبت لهم ثواب الفعل على أي وجه كان ولم يثبت عليهم عقاب الفعل إلا على وجه مبالغة واعتمال فيه.

التصحيح: إزالة السقم من المريض. وعند علماء الفرائض إزالة الكسر الواقع بين السهام والرؤوس. وبعبارة أخرى هو أن يؤخذ السهام من أقل عدد يمكن على وجه لا يقع الكسر على واحد من الورثة بأن يجعل الأجزاء المكسورة أعدادا صحيحة لا كسر فيها وهذا معنى تصحيح الكسور. ومتى يخرج الحساب من الأقل لم يخرج من الأكثر فإن خرج من ثلاثة لم يخرج من ستة.

التصحيف: تغيير **اللفظ والمعنى.**

تصور الملزوم يستلزم تصور اللازم: في اللازم البين بالمعنى الأخص. فإن قيل لا نسلم الاستلزام لجواز أن يكون لذلك اللازم لازم آخر وهلم جرا فيلزم عند تصور الملزوم تصور أمور كثيرة وليس كذلك قلنا إن تصور الملزوم إنما يستلزم تصور اللازم المذكور إذا كان تصور الملزوم بطريق الأخطار أي بالقصد والذات لا مطلقا يعني إذا تصور الملزوم قصدا فعند ذلك يكون اللازم متصورا كما إذا تصور النار قصدا تكون الحرارة متصورة والحرارة أيضا ملزومة للإحراق هوو ملزوم للهلاك لكن لا يكون كل واحد من الإحراق والهلاك متصور الآن الملزوم أعني الإحراق والهلاك غير متصور قصدا ولو كان ذلك الاستلزام

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٤٨٦

مطلقا للزم انتقال الذهن من ملزوم واحد إلى لازمه وإلى لازم لازمه بالغا وابلغ فافهم ففيه ما فيه.

التصور والتصديق: وإنما قدمنا التصور على التصديق لأن التصور إما شرط." (١)

"ومراد النحاة بحروف الزيادة الحروف التي من أقسام الكلمة حذفها لا يخل بأصل المقصود وإنما تزاد لفائدة في **اللفظ والمعنى** كما بينت في كتب النحو ما هو المشهور أن حروف الزيادة حروف نأيت أو أتين أو تأتي ليس المراد به جميع الحروف التي تزاد بل الحروف التي تزاد على المضارع.

حروف المد: قد مر ذكرها الآن في حروف العلة وإن أردت معرفة أقسام المد في تلاوة القرآن المجيد فارجع في المد تصل إلى المقصود إن شاء الله تعالى.

حروف اللين: في حروف العلة وإنما سميت بها لأن فيها لينا وضعفا.

الحرف الأصلي: حرف يثبت في تصاريف الكلمة لفظا أو تقديرا.

الحرف الزائد: حرف يسقط في بعض تصاريف الكلمة لفظا أو تقديرا.

الحروف عند الصوفية: الحقائق البسيطة من الأعيان.

الحرص: طلب شيء باجتهاد في إصابته.

الحروف الشمسية والقمرية: في اللام.

حروف الجر: ما وضع لإيصال معنى الفعل أو شبهه إلى اسم بدخوله على ذلك الاسم سواء كان اسما صريحا مثل مررت بزيد وأنا مار بزيد أو كان في تأويل الاسم كقوله تعالى: ﴿وضاقت عليهم الأرض بما رحبت أي برحبها﴾ .

الحروف المشبهة بالفعل: حروف اعتبر شبهها بالفعل للأعمال لفظا ومعنى. أما لفظا فلانقسامها باعتبار تمام حروفها إلى الثلاثي – والرباعي – والخماسي – والسداسي – كانقسام الفعل إليها باعتبار تمام حروفها أصلية أو زائدة وكون الاسم منقسما إلى تلك الأقسام لا يضر في تلك المشابهة إذ غاية ما في الباب إنها مشابهة للاسم أيضا لكنه لم تعتبر تلك المشابهة لعدم ثمرتها ولبنائها على الفتح كالفعل لاستثقالها بسبب تشديد الأواخر والتاء وهي جهة مشابهتها بالماضي. وأما شبهها بالفعل في الوزن (فإن) كفر و (أن) كذب (وكأن) كقطعن و (لكن) كضاربن و (ليت) كليس و (لعل) في بعض لغاتها وهي لعن كقطعن وأما معنى فلأن معاني الأفعال لاشتمالها على النسبة إلى فاعل معين كما أنها جزئية كذلك معاني تلك الحروف لاشتمالها على النسبة إلى متعلق خاص معاني جزئية.

حروف الشرط هي الحروف الدالة على تعليق حصول مضمون جملة بحصول مضمون جملة أخرى.

الحر: بالضم آزاد. في المحيط سأل بعض التجار محمدا رحمه الله عن بيع الحر بسبب استهلاك النفس للقحط فأجاب محمد رحمه الله بيع الحر بسبب الاستهلاك." (٢)

---

(١) دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون الأحمد نكري ٢٠٤/١

(٢) دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون الأحمد نكري ٢٣/٢

"ذلك تربط فوق الأكفان فوق الثديين ويجمر الأكفان قبل أن يدرج فيها وترا مرة أو ثلاثا أو خمسا. ولا يزاد على هذا.

وجميع ما يجمر فيه الميت ثلاثة مواضع عند خروج روحه لإزالة الرائحة الكريهة وعند غسله – وعند تكفينه. ولو مات رجل بين النساء تيممه ذات رحم محرم منه أو زوجته أو أمته بغير ثوب وغيرها بثوب. ولو ماتت امرأة بين الرجال ييممها ذو رحم منها وإن لم يكن فالأجنبي يلف على يديه خرقة ثم ييممها.

(باب الكاف مع اللام)

الكلب: بسكون اللام (سكك) وبفتحها (سكك ديوانه) . وأيضا يشبه الجنون يحدث للإنسان من عض الكلب الكلب وهو الكلب الذي يأكل لحوم الناس ويأخذه من ذلك شبه جنون ولا يعض إنسانا إلا كلب ولا دواء له أنجع من شرب دم ملك أي سيد صحيح النسب من ولد علي وفاطمة رضي الله تعالى عنهما وطريقة شرب الدم أن يشد الأصبع من الرجل اليسرى من السيد الأصيل النجيب الصحيح النسب فيؤخذ من دمه قطرة على تمرة يطعم بها المعضوض فيبرأ بإذن الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾ إذا قرئ حين الملاقات بالكلب الكلب أو تحفظ مكتوبة لا يؤذيه بإذن الله تعالى وقال القرطبي في التذكار في أفضل الأذكار بلغنا عن من تقدم أن في سورة الرحمن آية تقرأ على الكلب إذا حمل على الإنسان وهي قوله تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾ فإنه لا يؤذيه بإذن الله تعالى.

الكلم: بفتح الأول وكسر الثاني جنس مما الفارق بينه وبين واحده التاء كتمر وتمرة فوزانه تمر بالنسبة إلى تمرة فلفظه مفرد – وإنما سمي جمعا نظرا إلى معناه الجنسي فهو باعتبار لفظه مفرد وباعتبار معناه الجنسي جمع ولاعتبار جانبي **اللفظ والمعنى** يجوز في وصفه التذكير والتأنيث ثم لما غلب استعمال الكلم على ثلاثة وما فوقها بحيث لا يستعمل في الواحد والاثنين أصلا توهم بعضهم أنها جمع كلمة وليس." (١)

"مقدر كأنه قيل إنا نختار الإشارة إلى كون الكلام أول ما يجب ولا يلزم حينئذ ضياع قوله ثم خص به إلى آخره لأنه يجوز أن يكون لدفع احتمال أن يسمى غير الكلام بهذا الاسم لغير هذا الوجه فأجاب المحشي رحمه الله بأن هذا الاحتمال قائم في باقي الوجوه المذكورة أيضا فافهم هذا ما ذكرنا في الحواشي على الحواشي الخيالية.

وفي خزانة المفتين في الروضة: ويمنع الصلاة خلف من يخوض في علم الكلام وإن تكلم بحق. وروي عن الشافعي رحمه الله أن رجلا إذا أوصى بكتب العلم لشخص لا تدخل كتب الكلام في الوصية لأن الكلام ليس بعلم. وقال مالك رضي الله عنه لا يجوز شهادة أهل البدع والأهواء وقال أصحابه إنه رضي الله عنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أي مذهب كانوا. وقال أبو يوسف رحمه الله تعالى: من طلب العلم بالكلام تزندق. وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه: علماء الكلام زنادقة.

---

(١) دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون الأحمد نكري ٣/٩١

واعلم أن أكابر المتكلمين لم يثبتوا ولم يصححوا عقائد بالدلائل الكلامية إذ ليس الغرض من الكلام إلا إفحام الجاحد وإلزام المعاند فمأخذ أنوار عقائدهم مشكوة النبوة لا غير.

(علم دين فقه است وتفسير وحديث ... هركه خواند غير ازين كردد خبيث)

واعلم أن الكلام من صفاته تعالى الأزلية القديمة وأن أرباب الملل لما رأوا اجتماع النتيجتين المتنافيتين الحاصلتين من قولهم الكلام صفة الله تعالى وكل ما هو صفته تعالى فهو قديم فالكلام قديم والكلام مرتب الأجزاء مقدم بعضها على بعض وكل ما هو كذلك فهو حادث فالكلام حادث. منع كل طائفة مقدمة فيها كالمعتزلة للاولى والكرامية للثانية والأشاعرة للثالثة والحنابلة للرابعة. والحق أن الكلام يطلق على معنيين على الكلام النفسي وعلى الكلام اللفظي اللساني وقد يقسم الأخير إلى حالتين ما للمتكلم بالفعل وما للمتكلم بالقوة ويتبين الكل بالضد كالنسيان للأول والسكوت للثاني والخرس للثالث. والمعنى يطلق على معنيين المعنى الذي هو مدلول **اللفظ والمعنى** الذي هو القائم بالغير. فالشيخ الأشعري لما قال الكلام هو المعنى النفسي فهم الأصحاب منه أن المراد منه مدلول اللفظ حتى قالوا بحدوث الألفاظ وله لوازم كثيرة فاسدة. كعدم التكفير لمنكري كلامه تعالى ما بين الدفتين لكنه علم بالضرورة من الدين أنه كلام الله تعالى. وكلزوم عدم المعارضة والتحدي بالكلام. بل نقول المراد به الكلام النفسي بالمعنى الثاني شاملا للفظ والمعنى قائما بذات الله تعالى وهو مكتوب في المصاحف مقروء بالألسنة محفوظ في الصدور وهو غير القراءة والكتابة والحفظ الحادثة كما هو المشهور من أن القراءة غير المقروء. وقولهم إنه مترتب الأجزاء قلنا. لا نسلم." (١)

"المتعة: في اللغة التمتع والانتفاع. والمراد بها في قول الفقهاء وتجب المتعة إن طلقها قبل الوطئ درع – وخمار – وملحفة – يعني بيرهن ودامني وردا – وصورة نكاح المتعة فيه.

المتحيرة: في الكواكب.

(باب الميم مع الثاء المثلثة)

المثل: والمثال بالفارسية مانند – والفرق بينهما أن المثل هو المشارك في جميع الأوصاف – والمثال هو المشارك في أحد الأوصاف سواء كان مشاركا في جميع الأوصاف أو لا – ولهذا قال الله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ فلا يقال ليس مثله شيء. ولا بأس بأن يقال له تعالى مثال كما يقال إن العقل مثال الشمس لأنه كما ينكشف المحسوسات بالشمس ينكشف المعقولات بالعقل. فالعقل يشارك الشمس في الانكشاف ولا يقال إن العقل مثل الشمس.

واعلم أن صاحب البداية من الأشعرية يقول لا مماثلة إلا بالمساواة من جميع الوجوه – وقال أبو المعين من الماتريدية في التبصرة وما يقوله الأشعرية من أنه لا مماثلة إلا بالمساواة من جميع الوجوه فاسد لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " الحنطة بالحنطة مثلا بمثل ". وأراد الاستواء في الكيل لا غير وإن تفاوت الوزن وعدد الحبات والصلابة والرخاوة كيف.

---

(١) دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون الأحمد نكري ٩٥/٣

فإن اشتراك الشيئين في جميع الأوصاف ومساواتهما من جميع الوجوه يرفع التعدد فكيف يتصور التماثل – والحق أن النزاع لفظي. ومراد الكل المساواة من جميع الوجوه فيما به المماثلة كالكيل مثلا فافهم واحفظ واستقم ولا تكن من الغافلين.

والفرق بين المثال والنظير أن المثال يكون جزئيا للمثل بخلاف النظير – والفرق بين الأمثلة والشواهد أن الأمثلة أعم من الشواهد لأن الشواهد تستعمل في كلام الله تعالى وكلام النبي عليه الصلاة والسلام وكلام الفصحاء – والأمثلة فيها وفي الكلام الذي يؤلفه المعلم مثلا للتمثيل والتفهيم. والمثل بالضمتين جمع المثال.

ف (٩٩) :

ثم اعلم أنه قد جرت عادة أصحاب الحديث أن الحديث إذا روي بإسنادين أو أكثر وساقوا الحديث بإسناد واحد أولا – ثم ساقوا إسنادا آخر يقولون في آخره مثله ونحوه اختصارا – والمثل يستعمل بحسب الاصطلاح فيما إذا كانت الموافقة بين الحديثين في **اللفظ والمعنى** والنحو يستعمل فيما إذا كانت الموافقة في المعنى فقط – هذا هو المشهور فيما بينهم وقد يستعمل كل واحد منهما مقام الآخر. والمثال في اصطلاح الصرف المعتل الفاء وتفصيله في المعتل.." [١]

"مفعول ما لم يسم فاعله: أي مفعول فعل أو شبهه لم يذكر فاعله فمعنى لم يسم لم يذكر. من باب ذكر الملزوم وإرادة اللازم وحده. كل مفعول حذف فاعله وأقيم هو مقامه. وشرطه أن تغير صيغة المعلوم إلى المجهول.

المفعول المطلق: اسم ما فعله فاعل فعل مذكور بمعناه مثل ضربت ضربا وإنما سمي به لكونه غير مقيد بأمر وإما تقييده بالمطلق فلبيان الإطلاق لا التقييد. وتفصيل هذا المجمل في كتابنا جامع الغموض.

المفعول به: هو اسم ما وقع عليه فعل الفاعل مثل ضربت زيدا. وعرفه الجمهور بأنه ما كان أولا ووقع عليه الفعل ثانيا ونقض بقولنا خلق الله العالم فإن العالم ها هنا مفعول به بالإجماع وما كان العالم قبل الخلق شيئا.

وعليك تقرير النقض بأن المفعول به سواء عرف بما هو المشهور أو بما ذكره الجمهور لا بد وأن يكون موجودا إلا في ظرف إيقاع الفعل عليه ثم يوقع الفعل عليه والعالم في خلق الله العالم ليس كذلك. والجواب بمنع كلية لزوم أولية وجوده في ظرف الإيقاع. والحاصل أن المراد بوجود المفعول به أولا إما وجوده مطلقا أي سواء كان له وجود علمي أو خارجي فمسلم ولا شك أن العالم موجود في علمه تعالى وإن أريد به وجوده في ظرف الإيقاع أولا فممنوع ومن أحاط بتحقيق الجعل فالأمر عليه هين.

المفعول له: هو اسم ما فعل لقصد تحصيله أو لوجوده فعل مذكور. الأول: مثل ضربته تأديبا. والثاني: مثل قعد هو عن الحرب جبنا.

المفعول معه: هو الاسم المذكور بعد الواو لمصاحبة معمول فعل لفظا أو معنى مثل استوى الماء والخشبة وما شأنك وزيدا. وإن أردت تحقيق هذه الحدود لهذه المفاعيل فارجع إلى كتابنا جامع الغموض منبع الفيوض.

المفرغ: في الموجب إن شاء الله تعالى.

المفرد: يقع صفة **اللفظ والمعنى** ولكن اللفظ المفرد هو اللفظ الذي لا يدل جزؤه على جزء معناه – والمعنى المفرد هو المعنى

---

(١) دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون الأحمد نكري ١٤٨/٣

الذي لا يدل جزء لفظه على جزئه. والمشهور أن الإفراد صفة اللفظ بالذات عند النحاة لكن كلام نجم الأئمة فاضل الأمة الشيخ الرضي الاسترآبادي رحمه الله تعالى ينادي بأن الإفراد صفة اللفظ عند المنطقيين وصفة المعنى عند النحاة - والمفرد عند أهل الحساب في المركب.

واعلم أن المفرد بالمعنى الذي ذكرنا أعني اللفظ الذي لا يدل جزؤه إلى آخره هو المفرد المقابل للمركب. وقد يطلق المفرد ويراد به ما يقابل المضاف فيقال هذا مفرد أي ليس بمضاف. وقد يطلق ويراد به ما يقابل الجملة فيقال هذا مفرد أي ليس بجملة -." (١)

"جزئيات ذلك الكلام ويصدق هو عليه صدق الكلي على الجزئي مثلا يصدق على أن زيدا قائم أنه كلام مؤكد. وعلى زيد قائم أنه كلام ذكر فيه المسند إليه. وعلى قولنا الهلال والله أنه كلام حذف فيه المسند إليه. وما ذكرنا مراد من قال معنى مطابقة الكلام لمقتضى الحال أن الحال إن اقتضى التأكيد كان الكلام مؤكدا. وإن اقتضى الإطلاق كان عاريا عن التأكيد. وهكذا إن اقتضى حذف المسند إليه يحذف. وإن اقتضى ذكره إلى غير ذلك من التفاصيل المشتمل عليها علم المعاني.

المقترنات: في المفردات.

المقدمة: بكسر الدال المهملة أو فتحها كما سيجيء تحقيقه في مقدمة الدليل في اللغة هي مقدمة الجيش وهي الجماعة المتقدمة من الجيش بالفارسية (بيشواي لشكر) (وللجيش) جماعات خمس مقدمة، وقلب، وميمنة، وميسرة، وساقة، وقد تستعار لأول كل شيء فيقال مقدمة العلم ومقدمة الكتاب ومقدمة القياس ومقدمة الحجة ومقدمة الدليل أما

مقدمة العلم: فهي ما يتوقف عليه الشروع في مسائله. سواء توقف نفس الشروع عليه كتصوره بوجه ما - والتصديق بفائدة ما. أو الشروع على وجه البصيرة كمعرفته برسمه والتصديق بفائدته المترتبة عليه المعتدة بها بالقياس إلى المشقة عند الشارع. والتصديق بموضوعية موضوعه وغير ذلك من الروس الثمانية المذكورة في آخر تهذيب المنطق وأما.

مقدمة الكتاب: فهي طائفة من الكلام تذكر قبل الشروع في المقاصد لارتباطها به ونفعها فيها سواء توقف عليه الشروع أو لا -

والكتاب إما عبارة عن الألفاظ أو المعاني أو المجموع منهما فمقدمة الكتاب إما طائفة من الألفاظ أو المعاني أو المجموع منهما. والذكر ليس بمختص باللفظ كما وهم فإن كلا من **اللفظ والمعنى** يوصف بالذكر. وفي الكتاب احتمالات أخر لكنها لا تخلو عن تكلف وارتكاب مجاز وإنما ذكر مقدمة الكتاب العلامة التفتازاني في المطول - ولهذا قال السيد السند رحمه الله تعالى هذا اصطلاح جديد أي غير مذكور في كلام المصنفين لا صراحة ولا إشارة بأن يفهم من إطلاقاتهم.

ولما أثبت مقدمة الكتاب اندفع الإشكال عن كلام المصنفين في أوائل كتبهم مقدمة في تعريف العلم وغايته وموضوعه. وتحرير الإشكال أن الأمور الثلاثة المذكورة." (٢)

---

(١) دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون الأحمد نكري ٢١١/٣

(٢) دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون الأحمد نكري ٢١٧/٣

"أحدت إليه، أي عهدت. وأنشد الفراء:

سار الأحبة بالأحد الذي أحدوا

يريد بالعهد الذي عهدوا، كما في (اللسان) في وحد. قال الصاغاني: قلبوا العين همزة والهاء حاء، وحروف الحلق قد يقام بعضها مقام بعض.

(وأحد، بضمتين) ، وقال الزمخشري: رأيت بخط المبرد: أحد، بسكون الحاء منون (جبل بالمدينة) ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وفيه ورد (أحد جبل يحبنا ونحبه) قال شيخنا: وأنكره جماعة وقالوا إنه لا يسكن إلا في الضرورة، ولعل الذي رآه كذالك.

(و) أحد، (محركة: ع) نجدي، أو هو كزفر، كما ضبطه البكري.

وسوق الأحد: موضع، منه أبو الحسين أحمد بن الحسين الطرسوسي، روى عنه ابن الأكفاني، توفي سنة ٤٦ (أو هو مشدد الدال) جبل، (فيذكر في حدد) إن شاء الله تعالى.

(﴿واستأحد) الرجل (واتحد: انفرد) .

(و) قول النحويين (جاءوا أحاد أحاد﴾ أحاد، ممنوعين للعدل) في **اللفظ والمعنى** جميعا، (أي واحدا واحدا) .

(و) يقال: (ما ﴿استأحد به) أي بهاذا الأمر: (لم يشعر) به، يمانية.

(وأحد العشرة تأحيدا، أي صيرها أحد عشر) ، حكى الفراء عن بعض العرب: معي عشرة فأحدهن، أي صيرهن أحد عشر (و) أحد (الاثنين، أي) صيرهما (واحدة) ، وفي الحديث: (أنه قال لرجل أشار بسبابتيه في التشهد:﴾ أحد أحد) ، أي أشر بإصبع واحدة.

(ويقال: ليس للواح تثنية ولا للاثنين واحد من) لفظه و (جنسه) ، كما أنه ليس للأحد جمع. هو من بقية قول أبي العباس أحمد بن يحي ثعلب، وقد نقله الشهاب في (شرح الشفاء) . قال شيخنا: وهو قد." [١]

"فإنه أخرج مخرج النفي أي: لا ترجوا مني ذلك. ويقع خبرا قبل ما لا يستغني عنه، ككيف أنت وكيف كنت. ويكون حالا لا سؤال معه، كقولك: لأكرمنك كيف كنت، أي: على أي حال كنت، وحالا قبل ما يستغني عنه، ككيف جاء زيد. ويقع مفعولا مطلقا مثل: كيف فعل ربك. وأما قوله تعالى: ﴿فكيف إذا جئنا من كلش أمة بشهيد فهو توكيد لما تقدم من خبر، وتحقيق لما بعده، على تأويل إن الله لا يظرم مثقال ذرة في الدنيا، فكيف في الآخرة وقيل: كيف يستعمل على وجهين: أحدهما: أن يكون شرطا، فيقتضي فعلين متفقي **اللفظ والمعنى**، غير مجزومين، ككيف تصنع أصنع ولا يجوز كيف تجلس أذهب باتفاق. والثاني: وهو الغالب أن يكون استفهاما، وقد ذكره المصنف قريبا. وفي الارتشاف: كيف: يكون استفهاما، وهي لتعميم الأحوال، وإذا تعلقت بجملتين، فقالوا: يكون للمجازاة من حيث المعنى لا من حيث العمل، وقصرت عن أدوات الشرط بكونها لا يكون الفعلان معها إلا متفقين نحو: كيف تجلس أجلس. وقال شيخنا: كيف: إنما تستعمل شرطا عند الكوفيين، ولم يذكروا لها مثالا، واشترطوا لها مع ما ذكر المصنف أن يقترن بها ما فيقال:﴾ كيفما، وأما مجردة فلم

---

(١) تاج العروس الزبيدي، مرتضى ٣٧٩/٧

يقل أحد بشرطيتها، ومن قال بشرطيتها وهم الكوفيون يجزمون بها، كما في مبادئ العربية، ففي كلام) المصنف نظر من وجوه. قلت: وهذا الذي أشار له شيخنا فقد ذكره الجوهري حيث قال: وإذا." [1]

"وقيل: سمي يوم العظالى، لأنه تعاظل فيه على الرياسة بسطام بن قيس، وهانئ بن قبيصة، ومفروق بن عمرو، والحوفزان. وعاظل في القافية عظالا: ضمن، يقال: فلان لا يعاظل بين) القوافي، ومنه قول عمر رضي الله تعالى عنه: أشعر شعرائكم من لم يعاظل الكلام ولم يتتبع حوشيه، قوله: لم يعاظل، أي لم يحمل بعضه على بعض ولم يتكلم بالرجيع من القول، ولم يكرر **اللفظ والمعنى**، وحوشي الكلام: وحشيه وغريبه، وقيل: معنى لم يعاظل: لا يعقده ولا يوالي بعضه فوق بعض، وكل شيء ركب شيئا فقد عاظله، قاله الآمدي في الموازنة، وفي العباب: يريد أنه فصل القول وأوضحه ولم يعقده، وقال أبو حيان: عاظل الشاعر: إذا ضمن في شعره، أي جعل بعض أبياته مفتقرا في بيان معناه إلى غيره. والعظل، بضمتين: المجبوسون، وهم المأبونون، عن ابن الأعرابي، مأخوذ من المعاظلة، وقال أبو حيان: هم المفعول بهم فعل قوم لوط. والمعظل، كمحسن، والمعظئل، كمشمعل: الموضع الكثير الشجر، كلاهما عن كراع. وقد تقدم في الضاد: اعضألت: كثرت أغصانها، كما في اللسان، وقال ابن خالويه: اعظأل الشجر: كثرت أغصانه. ومما يستدرك عليه: قال ابن شميل: يقال: رأيت الجراد ردافى وركابى وعظالى: إذا اعتظلت، وذلك أن ترى أربعة وخمسة قد ارتدفت.

والتعظل: أن يتتبع الشيء قد فاته، يقال: ظل يتعظل في أثره منذ اليوم.." [2]

"لأنه صفة في **المعنى واللفظ**، قال: وأصل الآن أوان حذف منها الألف وغيرت واوها إلى الألف كما قالوا في الراح الرياح؛ فجعل الراح والآن مرة على جهة فعل، ومرة على جهة فعال، كما قالوا زمن وزمان، قالوا: وإن شئت جعلت الآن أصلها من قولك آن لك أن تفعل، أدخلت عليها الألف واللام ثم تركتها على مذهب فعل، فأتاها النصب من نصب فعل؛ قال: وهو وجه جيد.

ومما يستدرك عليه:

قال أبو عمرو: أتيته ﴿آنئة بعد آنئة بمعنى آونة، ذكره المصنف في أون.

وقال ابن شميل: وهذا أوان الآن تعلم، وما جئتا إلا أوان الآن، بنصب الآن فيهما.

وفي حديث ابن عمر، رضي الله عنهما: (ثم قال: اذهب بهذه﴾ تلآن معك) .

قال أبو عبيد: قال الأموي: يريد الآن وهي لغة معروفة تزاد التاء في الآن وفي حين ويحذفون الهمزة الأولى، يقال: ﴿تلان وتحين، وسيأتي للمصنف، رحمه الله في ت ل ن؛ وأما قول حميد بن ثور:

وأسماء ما أسماء ليلة أدلجت إلي وأصحابي﴾ بأين ﴿وأينما فإنه جعل أين علما للبقعة مجردا عن معنى الاستفام، فمنعها الصرف للتأنيث والتعريف.

---

(١) تاج العروس الزبيدي، مرتضى ٣٥٠/٢٤

(٢) تاج العروس الزبيدي، مرتضى ١٤/٣٠

﴾ والأين: شجر حجازي؛ قالت الخنساء:

تذكرت صخرا أن تغنت حمامة هتوف على غصن من ﴿الأين تسجع﴾ وأيون، كتنور: قرية بالري، منها: سهل بن الحسن بن محمد الأيوني.

! والأين: ناحية من نواحي المدينة." (١)

"تنبيه من المؤلف

الحمد لله الموفق إلى السداد والملهم إلى الرشاد. وبعد فإن جميع ما أودعته في هذا الكتاب فإنما هو مبني على أمرين أحدهما إبراز غرائب اللغة ونوادرها فيندرج تحت جنس الغريب نوع المترادف والمتجانس وقد ضمنت منهما هنا أشهر ما تلزم معرفته وأهم ما تمس الحاجة إليه عن نمط بديع ولو ذكر على أسلوب كتب اللغة مقتضبا على العلائق لجاء مملا وقد راعيت سرده مرة على ترتيب حروف المعجم ومرة نسقته بفقر مسجعة وعبارات مرصعة. ومن ذلك القلب والأبدال كما في التورور والثورور والتوثور والترتور وتمطي وتمتي وتمطط وتمدد. ومنه إيراد ألفاظ كثيرة متقاربة **اللفظ والمعنى** من حرف واحد منحروف المعجم نحو الغطش والغمش والبهز والبحز والبغز والحفز تنبيها على إن كل حرف يختص بمعنى من المعاني دون غيره وهو من أسرار اللغة العربية التي قل من تنبه لها. وقد وضعت لهذا كتابا مخصوصا سميته منتهى العجب في خصائص لغة العرب. فمن خصائص حرف الحاء السعة والانبساط نحو الابتحاج والبداح والبراح والأبطح والأبلنداح والجح والرحرح والمرتدح والروح والتركح والتسطيح والمسفوح والمسمح في قولهم أن فيه لمسمحا أي متسعا والساحة والانسياح والشدحة والشرح والصفيحة والصلدح والاصلنطاح والمصلفح والطح والمفرطح والفشح والفطح والفلطحة إلى آخر الباب. ويلحق به ألفاظ كثيرة خفية الاتصال لا تدرك إلا بإمعان النظر نحو الأسجاع والتسريح والسماحة والسنح. ومن خصائص حرف الدال اللين والنعومة والغضاضة نحو البراخدة والتيد والثأد والثعد والمثمعد والمثمغد والثوهد والثهمد والخبنداة والخود والرادة والرخودة والرهادة والعبرد والفرهد والأملود والفلهود والقرهد والقشدة والمأد والمرد والمغد والملد إلى آخر الباب. ويلحق به من الأمور المعنوية الرغد والسرهدة والمجد وغير ذلك. وربما عادلوا في بعض الحروف أي راعوا فيها الإكثار من النقيض فإن حرف الدال يشتمل أيضا على ألفاظ كثيرة تدل على الصلابة والقوة والشدة. وذلك نحو التأدد والتأكيد والتأييد والجلعد والجلمد والجمد والحديد والسحدد والسخدود والسمهد والتشدد والصفد والصلد والصلخد والصمغد والعجرد والتعجلد والعرد والعربد والعرقدة والعصلد والعطود والعطرد والعلد إلى آخره. ومن خصائص حرف الميم القطع والاستئصال والكسر نحو أرم وأزم وثرم وثلم وجذم وجرم وجزم وجلم وحزلم وحسم وحطم وحلقم وخذم وخرم وخزم وخضم إلى آخر الباب. ويلحق به من الأمور المعنوية حم الأمر أي قضي وحرم وحتم وحزم فإن معنى القطع ملحوظ فيها. ويكثر في هذا الحرف أيضا معنى الظلام والسواد. ومن حرف الهاء الحمق والغفلة والرثء أي قلة الفطنة نحو أله وأمه وبله والبوهة وتفه والتوه والدله والسبه وشده لغة في دهش أو مقلوب منه وعته وعله وغمه ونمه ووره. وقس على ذلك سائر الحروف. ومن هذا الغريب أيضا كون بعض الصيغ يختص بمعنى من المعاني نحو أجرهد وأسمهر وكل ذلك مشار إليه في هذا الكتاب فينبغي التفطن له.

---

(١) تاج العروس الزبيدي، مرتضى ٣٤/٢٢٦

وقد طالعت كتاب المزهر في اللغة للإمام السيوطي رحمه الله مما ذكر فيه خصائص اللغة نقلا عن الإمام اللغوي إبن فارس فلم أجده تعرض لهذا النوع بل ربما أورد من الخصائص أحيانا ما لا ينبغي إيراده كجعله مثلا إطلاق لفظة الحمار على البليد منها. ومن ذلك الغريب النوادر من الألفاظ وذلك نحو قولي أكهى في صفة الرجل المتقرقف من البرد قال في القاموس أكهى سخن أطراف أصابعه بنفس. ونحو العنقاش للذي يطوف في القرى يبيع الأشياء. والضوطار وهو من يدخل السوق بلا راس مال فيحتال للكسب والذئابة أي بقية الدين. وثرمل يقال ثرمل الطعام لم يحسن أكله فأنتثر على لحيته وفمه.." (١)

"نعم وتعريتها وتمذيتها وتمريتها وتنديتها وتنفيتها وتسميتها وتنجيتها. قالت نعم كل هذا وأكثر حالة كونها أسيرة بيته طول النهار قائمة بخدمته متعهدة لأموره. وهو يطوف في البلد من مكان إلى مكان وينتقل من سوق إلى سوق. حتى إذا جاء منزله انطرح كالمغشي عليه وقال أن الشغل جهده والجهد شغله وإنه عرض له كذا وجرى عليه كذا. مع أنه هو الذي تعرض لذلك الكذا وجرى على ذلك الكذا. مع أنه هو الذي تعرض لذلك الكذا وجرى على ذلك الكذا. ومنها رقة فؤاد المرأة والشفقة التي فطرها عليها الباري تعالى. فلا يمكن لها أن تقابل رجلا عن مودته لها إلا بالوداد أو عن تملقه إليها إلا بالميل إليه والإقبال عليه. وناهيك ما في الرحم والرحمة من الاشتقاق والمجانسة. قلت وأعجب من احتجاجك بهذا الاشتقاق التناسب بين معاني الكيس. قال في القاموس الكيس خلاف الحمق والجماع والطب والجود والعقل والغلبة بالكياسة. وبين السر والسرور والبسط والشرح والبضع والشعور والمشاعرة واللمج والقمط. وخصوصا بين أبي ادراس وأبي إدريس دامت الفتهما في **اللفظ والمعنى**. فقهقهت وقالت شرف الله لغتنا الجامعة بين كل متناسبين ومتجانسين. قلت ولكن قد يلازم ذلك أحيانا ما يسوء أو ما لا يليق. نحو أر فإنه بمعنى جامع ورمى بالسلح. وجنح رمى ببوله ومسح جاريته. ومعط جامع ونتف الشعر وحبق. وجلخ جامع وبطنه سحجه وفلانا بالسيف بضع من لحمه. بضعة. ومتخ جامع وبسلحه رمى. وملخ جامع وجذب الشيء قبضا أو عضا وتردد في الباطل. وملق جامع وضرب بالعصا وجظ جامع وطرد وصرع وبالغصة كظة. وحج جامع وبسلحه رمى. ولخب جامع وفلانا لطمه. ومتر جامع وبسلحه رمى. وجلد جامع وفلانا ضربه بالسوط وأصاب جلده. وعصد جامع ولوى وفلانا أكرهه على الأمر. وضفن جامع وبغائطه رمى. ومحن جامع وضرب. ومشن جامع وخدش. وأسوى احدث وخزى وفي المرأة أوعب. وكذا حشأ وحطأ وحلأ وخجأ ورطأ وزكأ ولتأ وغير ذلك مما لا يحصى. قالت كل صعب في جنب ذلك يهون. ولا بد لجاني العسل من أن تأبره النحل. ثم إني فهمت من فحوى كلامك أن هذه الأفعال في لغتنا الشريفة أكثر من أن تعد. وإن أكثر المعاني قد وضع له فيها ألفاظا كثيرة تسميها العلماء إردافية على ما ذكرت ليسابقا. قلت لم اقل لك هذا وإنما قلت مترادفة. وإن هذا الفعل بخصوصه له أكثر من مائتي لفظة. فكل لفظ دل على دفع أو نهز أو ضغط أو إدخال دل عليه أيضا. قالت فهل تستطيع أن تذكر لي حرفا يدل بالخصوص على الامتناع عن النساء عفة وتقوى. قلت لم يمر بي حرف بهذا المعنى وإلا لحفظته فإني مولع بحب الحروف النسائية. والظاهر أن العرب لم تكن تعرف ذلك. غير إن تبتل وبكم يدلان عليه في أحد معانيهما. قالت في أحد لا يغني شيئا. ثم استمرت تقول ومنها

---

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق الشدياق ص/١

وهو مستفيض عند اكثر النساء إن المرأة إذا أحست بإعراض زوجها عنها أو بفدوره أو بالجفوة لها مع تحببها إليه وإقبالها عليه وحالة كونها له عطيفا هلوبا بعيجا عروبا متبعلة رعبليبا آنسة باهشة متبشبشة متهشهشة ذات رشرشة ومشمشة ونشنشة ووشوشة مدربخة وازكة منصعة واكعة مصوصا حارقة إن لم أقل علوقا وغير عازمة مالت إلى غيره لتغيره وترده إلى قديم محبتها. فإن من الرجال الحمقى من لا يعرف قدر امرأته إلا إذا رأى الناس يحبونها. فتكون محبتها لغيره علاجا لمحبته هو. وهذا يسمى عندنا دغدغة وزغزغة وسغسغة. فأما عيوب الرجل فهي لعمري اكثر من عيوب المرأة ولو لم يكن به غير الزمالقية لكفى. وهل والحالة هذه يجب حل عقدهما أو يجوز أو يمتنع أقوال. فالنصارى على منعه مع إنهم يقولون إن المقصود من الزواج بالذات الإنتاج وحفظ النسل. والطبائعيون والفلاسفة على وجوبه أخذا بهذا القول عينه ومراعاة لأداء حق المرأة الواجب على الرجل وهو أمر طبيعي لا بد منه ولا محيص عنه. وبقي الجواز في عهده غريمي الزواج. إن شاء بقيا على ما هما عليه وإلا افترقا وهو الأصلح. ولعمري إن المرأة التي ترتضي بأن تقيم مع زوجها من دون قضاء حقها لجديرة بأن يعيد لها عيد في رأس كل سنة. أليس أن أستاذك صاحب القاموس الذين تستشهد بكلامه في كل مشكل نسواني قد قال الرجل م والكثير الجماع. فإذا كان الزوج غير رجل فأنى يحل له أن يجوز عنده امرأة لا يؤدي لها حقها. أيحل لرجل أن يقني دابة إذا لم يقدر على علفها.." (١)

"يستحق القتل أو من يشتمون يستحق الشتم أو من يحتقرون يستحق الاحتقار، بل كثيرا ما تكون الحقيقة على العكس من ذلك عندما يكون قائد تلك الجماعة من أشرار الناس، وأدنيائهم.

الاندفاع:

ليس انضمام فرد من أذكياء الناس وعقلائهم إلى جماعة من الجماعات دليلا على فضل تلك الجماعة أو شرف مقاصدها أو صحة مبادئها؛ لأنه لا يجتاز عتبة مجتمعها إلا بعد أن يخلع عقله ومواهبه مع ردائه وعصاه خارج بابه.

الشقاء:

السبب في شقاء الإنسان أنه دائما يزهد في سعادة يومه ويلهو عنها بما يتطلع إليه من سعادة غده، فإذا جاء غده اعتقد أن أمسه كان خيرا من يومه، فهو لا ينفك شقيا في حاضره وماضيه.

اللفظ والمعنى:

لم أر فيما رأيت من الآراء في قديم الأدب وحديثه أغرب من رأي الذين يفرقون في أحكامهم بين **اللفظ والمعنى**، ويصفون كلا منهما بصفة تختلف عن صفة الآخر فيقولون: ما أجمل أسلوب هذه القصيدة لولا أن معانيها رديئة، أو ما أبدع معاني هذه القطعة وإن كان أسلوبها قبيحا كأنما يخيل إليهم أن اللفظ." (٢)

"صفحة

٢٣٨ سياحة في كتاب

---

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق الشدياق ص/٢٠٢

(٢) النظرات المنفلوطي ٣٤٨/٢

"تم الفهرست"." (١)

"**اللفظ والمعنى**:

لم أر فيما رأيت من الآراء في قديم الأدب وحديثه أغرب من رأي أولئك القوم الذين يفرقون في أحكامهم بين **اللفظ والمعنى**، ويصفون كلا منهما بصفة تختلف عن صفة الآخر، فيقولون: ما أجمل أسلوب هذه القصيدة لولا أن معانيها ساقطة مرذولة، أو ما أبدع معاني هذه القطعة لولا أن أسلوبها قبيح مضطرب، كأنما يخيل إليهم أن اللفظ وعاء، وأن المعنى سائل من السوائل يملأ ذلك الوعاء، فتارة يكون خمرا، وتارة يكون خلا، ويكون حينا صافيا، وأخرى كدرا، والوعاء باق على صورته لا يتغير، وما علموا أنهما متحدان ممتزجان امتزاج الشمس بشعاعها والخمر بنشوتها، فكما لا يجوز أن نقول: ما أجمل الشمس وأقبح شعاعها، ولا ما أعذب الخمرة وأمر نشوتها، كذلك لا يجوز أن نصف اللفظ بالجمال والمعنى بالقبح، أو نعكس ذلك، فليعلم الناشئ المتأدب أنه ليس للفظ كيان مستقل بنفسه، فجماله جمال معناه وقبحه قبحه، وأن القطع الأدبية التي نصف أسلوبها بالجمال إنما." (٢)

"نصف بذلك معانيها وأغراضها، وأن الذين يزعمون من الشعراء أو الكتاب أن أساليبهم الغامضة الركيكة المضطربة تشتمل على معان شريفة عالية كاذبون في زعمهم، أو واهمون.

لا يضطرب اللفظ إلا لأن معناه مضطرب في نفس صاحبه، ولا يغمض إلا لأن معناه غامض في نفسه، ومحال أن يعجز الفاهم عن الإفهام، ولا المتأثر عن التأثير، ولا المقتنع عن الإقناع، وما البيان إلا المرآة التي ترتسم فيها صورة النفس، فحيث تكون النفس جميلة فهو جميل، أو قبيحة فهو قبيح، أو مضيئة فهو مضيء، أو مظلمة فهو مظلم، فإذا استطعنا أن نتصور مرآة تكذب في تمثيل الصورة الماثلة أمامها، استطعنا أن نتصور بيانا يختلف في وصفه عن وصف نفس صاحبه.

يقول القائلون بمذهب التفريق بين **اللفظ والمعنى** عن مثل هذه القطعة:

---

(١) النظرات المنفلوطي ٣٥١/٢

(٢) النظرات المنفلوطي ١٤٨/٣

ولما قضينا من منى كل حاجة ... ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهارى رحالنا ... ولم يعلم الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطي الأباطح." (١)

"فهرست الجزء الثالث من النظرات:

---

(١) النظرات المنفلوطي ٣/١٤٩

١٧٠ في أكواخ الفقراء

١٨١ الشيخ محمد عبده

١٨٧ عواطف البنين

١٩٠ الرشوة

١٩٥ "القضية المصرية"

١٩٥ من مايو سنة ١٩٢١ إلى مارس سنة ١٩٢٢

١٩٦ العاصفة

٢٠١ حكم القوة

٢٠٨، ٢١٦، ٢٢٤، ٢٣١، ٢٤٣ إلى خصوم سعد باشا

٢٥٥ عبرة الدهر

٢٥٩ إلى أعدائنا

٢٦٣ إلى أعدائنا

٢٦٩ إلى سعد باشا في منفاه

٢٧٩ "منتخبات من شعر المؤلف"

٢٨٠ وصف القلم

٢٨٣ على لسان عامل فقير

٢٨٧ الفوضويون

٢٨٩ في الوجديات

٢٩٣ القصر والكوخ

٢٩٨ في الحكم

٢٩٨ تهنئة

٣٠٠ أسماء

٣٠٢ الشيب

٣٠٢ الكلب بيل

٣٠٥ في الوجديات

٣١٢ بول وفرجين." (١)

---

(١) النظرات المنفلوطي ٣١٩/٣

"والمرء مجزي بأعماله ... فشأنه يوم تقام الحدود

وإنما طوبى لمن قد قضى ... دنياه بالخير وسعد السعود

كالبارع اسكاروس في فضله ... باهي الحجا والجد غيظ الحسود

فقل لراجي شأوه أرخوا ... يكفى ثوى اسكاروس دار الخلود (١٨٦٠م) .

وقد عرف في مصر غير هؤلاء ممن ورد ذكرهم في كتب الأدباء كالأستاذ الشيخ أحمد عبد الرحيم والشيخ مصطفى سلامة وكان كلاهما محررا للوقائع المصرية في هذا الوقت. مدحهما صاحب كنز الرغائب في منتخبات الجوائب (ص١٢١ و١٢٩) . وكذلك في مصنفا الشيخ ناصيف اليازجي مراسلات دارت بينه وبين أدباء مصر من المسلمين كالشيخ محمد عاقل أفندي كاشف زاده الإسكندري والشيخ حمد محمود أفندي الإسكندري. ولكلهم قصائد جيدة أثبتها الشيخ ناصيف في مجموع شعره لكننا لا نعرف من تاريخ أصحابها شيئا. فمتا روى للشيخ محمد عاقل قوله يصف الهواء الأصفر:

دهانا بوادي النيل كالسيل حادث ... له تذهل الألباب حين يحيف

دعوه بريح أصفر شاع ذكره ... وما هو إلا هيضة ونزيف

به احتارت الأفكار والعقل والنهى ... وكل طبيب شأنه العلم موصوف

فلم يبق دارا لم يزرها ولم يذر ... جنانا به ركب السرور يطوف

ثكلنا رجالا للزمان نعدهم ... طروسا وهم للمعضلات سيوف

تراهم ليوم اليأس والبأس عدة ... وجاههم القاصدين منيف

وكم فيهم من أهل ذوق وفطنة ... وفيهم لطيف ألمعي أو ظريف

لقد أقشبت أقطار مصر لفقدهم ... وكان بهم روح الكمال قطيف

نأوا وأقاموا بارح الحزن في الحشا ... فليس بديلا تالد وطريف

فشيعهم عقلي وفكري وفطنتي ... ولم يبقى من لبي لدي طفيف

وناقص أمثالي صحيح مضاعف ... ومهموز حزني أجوف ولفيف

وقال يمدح بيروت وأدباءها وخصوصا الشيخ ناصيف اليازجي:

لقد قصدوا بيروت دار أعزة ... لهم تنتمي الآلاء في اللفظ والمعنى

نزيلهم قد شك في أصل داره ... وصار يقين الأمر في علمه ظنا

مدينة ظرف ما بها غير فاضل ... بسيم وسيم قد حوى الحسن والحسنى

تشد له الألباب كل مطية ... مجربة الإسعاف في كل ما عنا." (١)

"كواكب سعد يسطع اليوم نورهم ... ويهدي الذي في الجهل ضل إلى الهدى

وقد ألبسوا بيروت حلة سؤدد ... تتيه بها إذا أصبحت منبع الندى

(١) تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين لويس شيخو ١/٨٨

فكل لسان في ثناهم لاهج ... يصيغ به لفظا لدر منضدا

وكل جنان حمدهم فيه راسخ ... وكل مديح في سواهم تفندا

فلا زال مسعاهم بذلك ناجحا ... ونالوا المنى ما الطير في الغصن غردا

ومن نظم شاكر قوله من قصيدة في رثاء نقولا نقاش:

من كان بالأمس نقاش الصحاف هدى ... ينسيك حسان أو يزري بسبحان

من كل نثر أنيق الوصف مندمج ... وكل شعر رشيق النظم طنان

كم حرر **اللفظ والمعنى** تصوره ... بما استرق له أحرار تبيان

إذا انبرى لا يباري في مناظرة ... وإن جرى لا يجاري بين أقران

وختمها بقوله:

مضى إلى الله حيث الدار خالدة ... مستوفيا أجر أعمال وإيمان

لا يبرح العفو فيه فوق مضجعة ... تحت الأكلة من آس وريحان

أمين شميل

أسرة شميل هي فرع آخر من دوحة الآداب التي نمت في كفرشيما. يقال أن أصلهم من حوران فاستوطنوا كفرشيما في مبادئ القرن التاسع عشر. وكان مولد أمين بن إبراهيم شميل في ١٤ شباط سنة ١٨٢٨ وتلقى مبادئ العلوم واللغة الإنكليزية في مدرسة الأميركان في بيروت فامتاز بين أقرانه. ثم سار إلى رومية في بعض شؤون طائفته فأصاب فيها نجاحا. ثم رحل إلى إنكلترة وتعاطى فيها التجارة فاتسعت أشغاله وفتح محلا في الإسكندرية فلم يزل في تقدم ونجاح إلى أن دار دولاب الدهر فأباد ثروته. إلا إن تلك الأحوال المشؤومة لم تقل شباة عزمه. فصفى أشغاله وقصد مصر سنة ١٨٧٥ ليتعاطى فن المحاماة فيبرز فيه واشتغل بالآداب وأنشأ مجلة الحقوق فكانت باكورة المجلات الشرعية. ونشر في تلك الأثناء بعض التآليف القانونية كالمباحث القضائية ونظام الحكومة الإنكليزية والتآليف السياسية الدقيقة النظر أخصها كتابه الوافي في المسألة الشرقية طبعه في مطبعة الأهرام سنة ١٨٧٩ وهو كتاب ضخم في جزأين ضمنه ملخص تواريخ العرب من أول الإسلام." (١)

"سالم من المناقضة. خال من المعارضة. حاكم يقطع الخلاف. مؤد إلى الإنصاف والانتصاف. وبه حفظ الأعمال. ونظام الأموال. وقوام أمور الملوك والتجار. وثبات قوانين البلاد والأمصار. قيل: فالعروض. قال: ميزان الشعر وعيار النظم. ورائض الطبع وسائس الفهم. وبه يعرف الصحيح من المريض. وفلك عليه مدار القريض. قيل: فالخط. قال: لسان اليد ولهجة الضمير. ووحي الفكر وناقل الخبر. وحافظ الأثر. وعمدة الدين والدنيا. ولقاح **اللفظ والمعنى**. فهذا آخر ما حكي عن الجاحظ في مدح العلوم (طرائف اللطائف) .

---

(١) تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين لويس شيخو ٢٨٣/١

أبو تمام والمتنبي وأبو عبادة البحتري

قال ابن الأثير: لقد وقفت من الشعر على كل ديوان ومجموع. وأنفدت شطرا من العمر في المحفوظ منه والمسموع. فألفيته بحر لا يوقف على ساحله. وكيف ينتهي إحصاء قول لم تحص أسماء قائله. فعند ذلك اقتصرت منه على ما تكثر فوائده. وتتشعب مقاصده. ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم. في إتباع من قصر نظره على الشعر القديم. إذ المراد من الشعر إنما هو إبداع المعنى الشريف. في اللفظ الجزل اللطيف. فمتى وجدت ذلك فكل مكان خيمت فهو بابل. وقد اكتفيت من هذا بشعر أبي تمام حبيب بن أوس وأبي عبادة الوليد وأبي الطيب المتنبئ. وهؤلاء الثلاثة عن لات الشعر وعزاه ومناته. الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته. وقد حوت أشعارهم." (١)

"قالت سلامة جارية سهيل بن عبد الرحمن المغنية، الحاذقة الظريفة، الجميلة الفاتنة، الشاعرة القارئة، المؤرخة المتحدثة، التي لم يجتمع في امرأة مثلها حسن وجهها، وحسن غنائها، وحسن شعرها، قالت: واشتراني أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك بعشرين ألف دينار "عشرة آلاف جنيه" وكان يقول: ما يقر عيني ما أوتيت من الخلافة حتى أشتري سلامة؛ ثم قال حين ملكني: ما شاء بعد من أمر الدنيا فليفتني! قالت: فلما عرضت عليه أمرني أن أغنيه، وكنت كالمخبولة من حب عبد الرحمن القس، حبا أراه فالقا كبدي، آتيا على حشاشتي. فذهب عني والله كل ما أحفظه من أصوات الغناء، كما يمسح اللوح مما كتب فيه، وأنسيت الخليفة وأنا بين يديه، ولم أر إلا عبد الرحمن ومجلسه مني يوم سألني أن أغنيه بشعره في، وقولي له يومئذ: حبا وكرامة وعزاة لوجهك الجميل. وتناولت العود وجسسته بقلبي قبل يدي، وضربت عليه كأني أضرب لعبد الرحمن، بيد أرى فيها عقلا يحتال حيلة امرأة عاشقة. ثم اندفعت أغني بشعر حبيبي:

إن التي طرقتك بين ركائب ... تمشي بمزهرها وأنت حرام

لتصيد قلبك، أو جزاء مودة ... إن الرفيق له عليك ذمام

باتت تعللنا وتحسب أننا ... في ذاك أيقاظ، ونحن نيام

وغنيته والله غناء والهة ذاهبة العقل كاسفة البال، ورددته كما رددته لعبد الرحمن، وأنا إذ ذاك بين يديه كالوردة أول ما تتفتح. وأنا أنظر إليه وأتبين لصوتي في مسمعيه صوتا آخر. وقطعته ذلك التقطيع، ومددته ذلك التمديد، وصحت فيه صيحة قلبي وجوارحي كلها كما غنيت عبد الرحمن لكيما أؤدي إلى قلبه المعنى الذي في **اللفظ والمعنى** الذي في النفس جميعا، ولكيما أسكره –وهو الزاهد العابد– سكر الخمر بشيء غير الخمر!

وما أفقت من هذه إلا حين قطعت الصوت، فإذا الخليفة كأنما يسمع من قلبي لا من فمي وقد زلزله الطرب، وما خفي علي أنه رجل قد ألم بشأن امرأة، وخشيت أن أكون قد افتضحت عنده؛ ولكن غلبته شهوته، وكان جسدا بما فيه يريد جسدا لما فيه، فمن ثم لم ينكر ولم يتغير.

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١٥٤/٤

واشتراني وصرت إليه، فلما خلونا سألني أن أغني، فلم أشعر إلا وأنا أغنيه بشعر عبد الرحمن:

ألا قل لهذا القلب: هل أنت مبصر ... وهل أنت عن سلامة اليوم مقصر." (١)

"أمس وأول منه وما خلا من قبل، لطرده من العتبة! إن المسجد يا بني إنما يقول لداخله: ادخل في زمني ودع زمنك، وتعال إلي أيها الإنسان الأرضي، لتتحقق أن فيك حاسة من السماء، وجئني بقلبك وفكرك، ليشعرا ساعة أنهما في لا فيك١.

ولسنا الآن يا بني في متحدث كندي القوم يتطارحون فيه أخبارهم، بل نحن في مجلس عالم تكلمت فيه رقبة هذا ورقبة هذا بما سمعت؛ فقم أنت فاذكر علم قلبك وقص علينا خبر طيش الحب والشباب الذي يشبه الكلام فيه أن يكون كلاما عن الصعود إلى القمر والقبض من هناك على البرق!

قال المسيب: فانتهض الفتى، ورأيت مجاهدا يتنهد كأنما انصدعت كبده، فقلت: ما بالك؟ قال: إن شبابي قد مر علي الساعة فنسمت منه في بردة هذا الفتى، ثم فقدته فقدا ثانيا فهرمت هرما ثانيا، وجاءني الحزن من إحساسي بأني شيخ، حزن من هم أن يدخل باب حبيب ثم رد!

وتحدث الفتى، فإذا هو يدير بين فكيه لسان شاعر عظيم، يتكلم كلامه بنفسين: إحداهما بشرية تصنع **المعنى واللفظ**، والأخرى علوية فيها النار والنور.

قال: إن لي قصة أيها الشيخ، لم يبق منها إلا الكلام الذي دفنت فيه معانيها؛ وقد تأتي القصة من أخبار القلب مفعمة بالآلام والأحزان، ولا يراد بآلامها وأحزانها إلا إيجاد أخلاق للقلب يعيش بها ويتبدل. والذي قدر عليه الحب لا يكون قد أحب غيره أكثر مما يكون قد تعلم كيف ينسى نفسه في غيره، وهذه كما هي أعلى درجات الحب؛ فهي أعلى مراتب الإحسان.

ومتى صدق المرء في حبه كانت فكرته فكرتين: إحدهما فكرة، والأخرى عقيدة تجعل هذه الفكرة ثابتة لا تتغير؛ وهذه كما هي طبيعة الحب فهي طبيعة الدين.

ولا شيء في الدنيا غير الحب يستطيع أن ينقل إلى الدنيا نارا صغيرة وجنة صغيرة، بقدر ما يكفي عذاب نفس واحدة أو نعيمها، وهذه حالة فوق البشرية.

والفضائل عامتها تعمل في نقل الإنسان من حيوانيته، وقد لا تنقل إلا أقله ويبقى في الحيوانية أكثره: ولكن الحب الصادق يقتلع الإنسان من حيوانيته بمرة واحدة، بيد أنه لا يكون كذلك إلا إذا قتله بآلامه؛ فهو كأعلى النسك والعبادة.

---

١ ستأتي فلسفة المسجد في مقالات أخرى مما يجمع هذا الكتاب، وانظر مقالة "الله أكبر".." (٢)

---

(١) وحي القلم الرافعي ، مصطفى صادق ١/٩٨

(٢) وحي القلم الرافعي ، مصطفى صادق ٢/١٠٦

"الرومي في هذا المعنى لص لا أكثر ولا أقل، فلم يحس شيئا ولا ابتدع ولا اخترع.

قال الجاحظ: يقال في الخصب "أي الربيع": نفشت العنز لأختها؛ وخلفت أرضا تظالم معزاها "أي تتظالم"؛ قال: لأنها تنفش شعرها وتنصب روقيها في أحد شقيها فتنطح أختها، وإنما ذاك من الأثر، "أي حين سمنت وأخصبت وأعجبتها نفسها".

فأنت ترى أن ابن الرومي لم يصنع شيئا إلا أنه سرق **المعنى واللفظ** جميعا، ثم جاء للقافية بهذه الزيادة السخيفة التي قاس فيها الحمام على الظباء والمعزى.. فاستكره الحمام على أن يختصم في زمن بعينه وهو يختصم في كل يوم؛ وإنما شرط الزيادة في السرقة الشعرية أن تضاف إلى المعنى فتجعله كالمنفرد بنفسه أو كالمخترع.

ولعمري لو كان للطبيعة مائة صورة في الخيال الشعري، ثم قدم شوقي للناس تسعا وتسعين منها، لقال ذلك الناقد المتعنت: لا، إلا الصورة التي لم يقدمها..

وكان شعر شوقي في جزالته وسلاسته كأنما يحمل العصا لبعض الشعراء يردهم بها عن السفسفة والتخليط والاضطراب في اللفظ والتركيب؛ فكثر الاختلال في الناشئين من بعده، وجاءوا بالكلام المخلط الذي تبعث عليه رخاوة الطبع وضعف السليقة، فتراه مكشوفا سهلا ولكن سهولته أقبح في الذوق من جفوة الإعراب على كلامهم الوحشي المتروك.

والآفة أن أصحاب هذا المذهب يفرضون مذهبهم فرضا على الشعر العربي، كأنهم يقولون للناس: دعوا اللغة وخذونا نحن! وليس في أذهانهم إلا ما اختلط عليهم من تقليد الأدب الأوروبي، فكل منهم عابد الحياة، مندمج في وحدة الكون، يأخذ الطبيعة من يد الله ويجاري اللانهاية، ويفنى في اللذة، ويعانق الفضاء، ويغني على قيثارته للنجوم؛ وبالاختصار: فكل منهم مجنون لغوي..

وأنا فلست أرى أكثر هذا الشعر إلا كالجيف، غير أنهم يقولون: إن الجيفة لا تعد كذلك في الوجود الأعظم، بل هي فيه عمل تحليلي علمي دقيق؛ لقد صدقوا؛ ولكن هل يكذب من يقول: إن الجيفة هي فساد ونتن وقذر في اعتبار." (١)

"مقدار ذلك في الاحتجاج لضعفه، وألهم من الشواهد والحجج ما لو ألهم بعدده من المعاني والخواطر لكان عسى

...

فإذا نافرت المعاني ألفاظها واختلفت الألفاظ على معانيها قال: إن هذا في الفن.. هو الاستواء والاطراد والملاءمة وقوة الحبك؛ وإذا عوض وخانه **اللفظ والمعنى** جميعا وأساء ليتكلف وتساقط ليتحذلق وجاءك بشعره وتفسير شعره والطريقة لفهم شعره قال: إنه أعلى من إدراك معاصريه، وإن عجرفة معانيه هذه آتية من أن شعره من وراء اللغة، من وراء الحالة النفسية، من وراء العصر، من وراء الغيب: كأن الموجود في الدنيا بين الناس هو ظل شخصه لا شخصه، والظل بطبيعته مطموس مبهم لا يبين إبانة الشخص. وإذا أهلك الشاعر الاستعارة وأمرض التشبيه وخنق المجاز بحبل –قال لك: إنه على الطريقة العصرية وإنما سدد وقارب وأصاب وأحكم، وإذا سمى المقالة قصيدة.. وخلط فيها خلطه وجاء في أسوأ معرض وأقبحه وخرج إلى ما لا يطاق من الركاكة والغثاثة– قال لك: هذه هي وحدة القصيدة، فهي كل واحد أفرغ إفراغ الجسم الحي:

---

(١) وحي القلم الرافعي ، مصطفى صادق ٣/٢٨٤

رأسه لا يكون إلا في موضع رأسه ورجلاه لا تكون إلا في موضع رجليه..

تلك طبقات من الضعف تظاهرت الحجج من أصحابها على أنها طبقات من القوة، غير أن مصداق الشهادة للأقوياء عظامهم المشبوحة، وعضلاتهم المفتولة، وقلوبهم الجريئة، أما الألسنة فهي شهود الزور في هذه القضية خاصة.

هناك ميزان للشاعر الصحيح وللآخر المتشاعر: فالأول تأخذ من طريقته ومجموع شعره أنه ما نظم إلا ليثبت أنه قد وضع شعرا، والثاني تأخذ من شعره وطريقته أنه إنما نظم ليثبت أنه قرأ شعرا ... وهذا الثاني يشعرك بضعفه وتلفيقه أنه يخدم الشعر؛ ليكون شاعرا، ولكن الأول يريك بقوته وعبقريته إلى الشعر نفسه يخدمه؛ ليكون هو شاعره.

أما فريق المتشاعرين فليمثل له القارئ بما شاء وهو في سعة.. وأما فريق الشعراء ففي أوائل أمثلته عندي الشاعر المهندس علي محمود طه. أشهد: أني أكتب عنه الآن بنوع من الإعجاب الذي كتبت به في "المقتطف" عن أصدقائي القدماء: محمود باشا البارودي، وإسماعيل باشا صبري، وحافظ، وشوقي –رحمهم الله وأطال بقاء صاحبنا– فهذا الشاب المهندس أوتي من هندسة البناء قوة التمييز ودقة المحاسبة، ووهب ملكة الفصل بين الحسن والقبح في الأشكال مما." (١)

"١٠٦ النوع الخامس: لثغات في لغة العرب

١٠٨ عيوب المنطق العربي

التمتمة والفأفأة وأخواتها، لغات العرب واللهجات العامية المعروفة، رأى في ميراث أهل العامية من لغات العرب القبائل، مناقشة هذا الرأي، العامية لا ترجع إلى قاعدة مضبوطة، أثر التقليد في اللغات العامية، مثال من اختلاف اللغات العامية في كلمة "عليه".

١١١ البقايا الأثرية في اللغة

الألفاظ ومدلولاتها، زوال مدلولات بعض الألفاظ، التطور في معاني الألفاظ، لاتين العربية، الغريب والمنكر والمتروك والممات، أسماء الشهور العربية المماتة، ومن الممات لغات التصريف، الممات من أسماء العادات بتطور الحضارة، ضمير المعظم نفسه.

١١٤ نمو العربية: وطرق الوضع فيها

سعة اللغة العربية، سبيل اللغات إلى الفناء، اللغة صورة الأمة الناطقة بها.

١١٥ طرق الوضع: استمداد اللغة

١١٥ الارتجال: المناسبة بين **اللفظ والمعنى**. معاني الأصوات

١١٦ الاشتقاق

الاشتقاق هو الوضع الثاني، أصالة المقاطع الثنائية في حروف العربية وتسلسل اللغة منها، رأي ابن جني في المناسبة بين الألفاظ والمعاني، أمثلة لبيان هذه المناسبة، أسرار الوضع.

١١٩ المجاز

المجاز هو الوضع الأخير في اللغة، تنوع الحقيقة الواحدة إلى أجزاء، المجاز من مظاهر التمدن اللغوي، الوضع بالمجاز هو

---

(١) وحي القلم الرافعي ، مصطفى صادق ٣/٣٢٦

اشتقاق معنوي، صور من التوسع في اللغة بالمجاز، كلمة ومعانيها "ك ف ف". رأي: اللغة كلها حقيقة!

١٢٢ أنواع النمو في اللغة

١٢٢ الإبدال

نوعا الإبدال، ترادف الألفاظ المتقاربة على المعاني المتقاربة.

١٢٣ القلب

١٢٤ النحت

آراء في النحت، أحرف المضارعة، أصل باء الجر في اللغات السامية.." (١)

"وتوفيق من الله، فإنه في الحقيقة سر من أسرار الأدب العبراني، جرى القرآن عليه في أكثر خطابهم خاصة ليعلموا أنه وضع غير إنساني، وليحسوا معنى من معاني إعجازه فيما هو بسبيله، كما أحس العرب فيما هو من أمرهم؛ إذ كان أبلغ البلاغة في الشعر العبراني القديم أن تجتمع له: رشاقة العبارة، وحسن المعرض، ووضوح اللفظ، وفصاحة التركيب، وإبانة المعنى، وتكرار الكلام لكل ما يفيده التكرار وتوكيدا ومبالغة وإبانة وتحقيقا ونحوها، ثم استعمال الترادف في **اللفظ والمعنى**، ومقابلة الأضداد وغيرها، مما هو في نفسه تكرار آخر للمحسنات اللفظية، وتحسين للتكرار المعنوي.

وإنا لنظن أن تهمة النبي صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر لم تكن ابتداء إلا من قبل بعض اليهود، ثم تعلق بها بعض العرب مكابرة، فإنهم ليعرفون أن القرآن ليس بشعر من شعرهم، ولا هو في أوزانه، وأعاريضه وفنونه وطرقه ولكنهم تجوزوا إلى ذلك ببراعة العبارة، وسمو التركيب، وتصوير الإحساس اللغوي بألوان من المجاز والاستعارة والكناية وغيرها مما يكون القليل من جيده خاصا بالفحل من شعرائهم. ويكون مع ذلك حقيقة الإحساس اللغوي في شعره، وأن هذا الوجه البعيد الذي لا يستقيم في الرأي إلا بعد التمحل له، والتجوز فيه من قولهم إنه "شاعر"؟ ولفظ الشاعر عندهم متعين المعنى متحقق الدلالة ليس فيه لبس ولا إبهام ولا تجوز١؟

على أن كلامنا آنفا في عجز العرب من معارضة السورة القصيرة من القرآن، وعدم تأتيهم لذلك بالسبب الذي بيناه، لا يؤخذ من أن غير العرب المحدثين والمولدين وسائر من يكونون عربا في اللسان دون الفطرة، يستطيعون ما لم يأت لأولئك؛ إذ كانوا دونهم، ليس لهم إحساس لغوي تستبد به روعة الكلام وتصرفه بالكثير عن القليل لتمثل الأصل اللغوي الذي ينبغي أن يكون عليه الوضع والبناء، والذي هو في نفسه حقيقة الإعجاز؛ لأنه سر التركيب والنظم. فيقال من ذلك إن المولدين ومن في حكمهم تتهيأ لهم معارضة السور القصار والآيات القليلة، ويتأتون إلى ذلك بالصنعة وما ألفوه من إحكام الرصف وإدماج الكلام والتغلغل في طرائق الإنشاء والتوفر على تحسين بهجته وتزيين ديباجته، فإنهم مع هذه الوسائل كلها أبعد من العرب في أسباب العجز، وأدنى إلى التقصير، وأقرب إلى الهجنة

---

١ سنكشف عند الكلام على البلاغة النبوية عن السبب الصحيح الذي من أجله لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم شاعرا،

---

(١) تاريخ آداب العرب الرافعي ، مصطفى صادق ٢٧٣/١

وما ينبغي له الشعر ولا يلتئم على لسانه، وهو الذي خبط فيه العلماء والمفسرون.
وقد أراد الجاحظ أن يقابل معاني التسمية الشعرية فيما عند العرب بما في القرآن فقال: سمى الله تعالى كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كلامهم على الجملة والتفصيل: سمى جملته قرآنا كما سموا ديوانا، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضه آيات كالبيت، وآخرها فاصلة كقافية ا. هـ. ولا ندري ما وجه هذه المقابلة وليس من شبه في كل ما ذكره إلا في الوضع ولا في الموضوع، إلا أن يكون الجاحظ مأخوذا بقول العرب إنه شعر، يحسب ذلك من عندهم وأنهم يحققونه فأراد أن يدل على أن الأمر بالخلاف حتى في التسمية. وليس ذلك من الشأن والمنزلة في خلاف ولا موافقة.
على أن هذه التسمية اختراع لم يكن يعرفه العرب، فهي من هذه الجهة دليل من الأدلة الكثيرة على أن الأمر بجملته فوق القوة والطاقة ومن وراء المألوف.." [1]

"تمهيد

لما وضع «علم الصرف» للنظر في أبنية الألفاظ

ووضع علم النحو للنظر في إعراب ما تركب منها

وضع «البيان (١) » للنظر في أمر هذا التركيب، وهو ثلاثة علوم:

(العلم الأول) ما يحترز به عن الخطأ في تأديه المعنى الذي يريده المتكلم لإيصاله إلى ذهن السامع، ويسمى «علم المعاني» .

(العلم الثاني) ما يحترز به عن التعقيد المعنوي . أي عن أن يكون الكلام غير واضح الدلالة على المعنى المراد، ويسمى «علم البيان» (العلم الثالث) ما يراد به تحسين الكلام ويسمى (علم البديع) فعلم البديع تابع لهما إذ بهما يعرف التحسين الذاتي، وبه يعرف التحسين العرضي.

والكلام باعتبار «المعاني والبيان» يقال إنه:

«فصيح» من حيث اللفظ . لأن النظر في الفصاحة إلى مجرد اللفظ دون المعنى.

«وبليغ» من حيث **اللفظ والمعنى** جميعا . لأن البلاغة ينظر فيها إلى الجانبين (٢) .

---

(١) . علم البيان في اصطلاح المتقدمين من ائمة البلاغة يطلق على فنونها الثلاثة من باب التسمية الكل باسم البعض . وخصه المتاخرون بالعلم الباحث عن المجاز والاستعارة. والتشبية والكناية . والغرض منه صوغ الكلام بطريقة تبين ما في نفس المتكلم من المقاصد، وتوصل الاثر الذي يريده إلى نفس السامع.

(٢) . وبيان ذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى . فإذن هي كمال لفظي توصف به الكلمة والكلام. والبلاغة إنما هي انهاء المعنى في القلب فكأنها مقصورة على المعنى، ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ. والبلاغة تتناول المعنى. أن الببغاء يسمى فصيحا ولا يسمى بليغا، إذ هو مقيم الحروف وليس لها قصد إلى المعنى الذي يؤديه . وقد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحا بليغا إذا كان واضح المعنى سهل اللفظ

---

[1] تاريخ آداب العرب الرافعي ، مصطفى صادق ١٣٠/٢

جيد السبك غير مستكره فج، ولا متكلف وخم، ولا يمنعه من أحد الاسمين شيء لما فيه من ايضاح المعنى وتقويم الحروف.
واعلم أن الفصيح من الألفاظ هو الظاهر البين، وإنما كان ظاهرا بينا لأنه مألوف الاستعمال، وإنما كان مألوف الاستعمال بين النابهين من الكتاب والشعراء لمكان حسنه، وحسنه مدرك بالسمع، والذي يدرك بالسمع انما هو اللفظ لانه صوت يتألف من مخارج الحروف. فما استلذه السمع منه فهو الحسن، وما كرهه فهو القبيح. والحسن هو الموصوف بالفصاحة. والقبيح غير موصوف بالفصاحة، لأنه ضدها لمكان قبحه.." (١)

"خاتمة

في السرقات الشعرية وما يتبعها

السرقة – هي أن يأخذ الشخص كلام الغير، وينسبه لنفسه وهي ثلاثة أنواع: نسخ، ومسخ، وسلخ.

(أ) النسخ: ويسمى انتحالا أيضا – هو أن يأخذ السارق **اللفظ والمعنى** معا، بلا تغيير ولا تبديل، أو بتبديل الألفامظ كلها، أو بعضها بمرادفها، وهذا مذموم، وسرقة محضة – كما فعل عبد الله بن الزبير بقول معن بن أوس (١)

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل

ويركب حد السف من أن تضميه إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

وأما تبديل الألفاظ بمرادفها – كما فعل بقول الحطيئة

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

فقال الآخر:

زرا المآثر لا تذهب لمطلبها واجلس فانك أنت الآكل اللابس

وقريب منه: تبدل الألفاظ بضدها، مع رعاية النظم والترتيب كما فعل بقول حسان رضي الله عنه.

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

فقال غيره:

سود الوجوه لئيمة أحسابهم فطس الأنوف من الطراز الآخر

(ب) والمسخ – أو الإغارة: هو أن يأخذ بعض اللفظ، أو يغير بعض النظم، فان امتاز الثاني بحسن السبك فممدوح، نحو قول الآخر:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

مع قول غيره:

من راقب الناس مات هما وفاز باللذات الجسور

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع أحمد الهاشمي ص/١٦

(١) الزبير بفتح فكسر في هذا – ويوجد اسم آخر بضم ففتح – ومعن بضم وفتح – ومعن بن زائدة بفتح فسكون.." [١]

"طلبت لأنفسها ألفاظا تليق بها فيحسن **اللفظ والمعنى** جميعا. وأما جعل الألفاظ متكلفة والمعاني تابعة لها فهو شأن من لهم شغف بإيراد شيء من المحسنات اللفظية فيصرفون العناية إليها ويجعلون الكلام كأنه غير مسوق لإفادة المعنى. فلا يبالون بخفاء الدلالات وركاكة المعنى ومن أعظم ما يليق بمن يتعاطى الإنشاء أن يكتب ما يراد لا ما يريد كما قيل في الصاحب والصابئ: أن الصابئ يكتب ما يراد والصاحب يكتب ما يريد.

(عن آداب المنشئ ببعض تصرف)

فصاحة الألفاظ ومطابقتها للمعاني

فصاحة الألفاظ تكون بثلاثة أوجه: الأول مجانبة الغريب الوحشي حتى لا يمجه سمع ولا ينفر منه طبع. والثاني تنكب اللفظ المبتذل والعدول عن الكلام المسترذل حتى لا يستسقطه خاصي ولا ينبو عنه فهم عامي كما قال الجاحظ في "كتاب البيان": أما أنا فلم أر قوما أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب وذلك أنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا عاميا.

والثالث أن يكون بين الألفاظ ومعانيها مناسبة ومطابقة. أما المطابقة فهي أن تكون الألفاظ كالقوالب لمعانيها فلا تزيد عليها ولا تنقص عنها. وأما المناسبة فهي أن يكون المعنى يليق ببعض الألفاظ إما لعرف مستعمل أو لاتفاق مستحسن حتى إذا ذكرت تلك المعاني بغير تلك." [٢]

"وكتب لي أيضا

وزائرة والبدر يتبعها وهنا ... ونور سناها من سنى نوره أسنى

رداح لها في الحسن أعظم آية ... تراها إذا ما أقبلت تخجل الغصنا

لها تصميم القلب خافي مودة ... وسر وداد أظهر الاسم أو كنى

حليف غرام في هواها مولع ... بها دائم الأسقام من هجرها مضنى

يذكرها عهد المحبة والهوى ... فتعرض عما قال مصغية ظنا

وإن لاح برق من نواحي ديارها ... أحل بقلب المستهام بها حزنا

فيا ليت شعري كم يقاسي صدودها ... فتى لم يجد صبرا ويوشك أن يفنى

فو الله رب العرش حلفة صادق ... لقد ضقت ذرعا من زماني وما سنا

زمان إذا ما رحت فيه مطالبا ... لنيل سرور زادني وهنه وهنا

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع أحمد الهاشمي ص/٣٣٧

(٢) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ٢٩/١

أسائله تجيد عهد بقربها ... وهيهات منه أيمن وما منا

وما كل من يعطى النوال ينيله ... ولا كل من أغناه خالقه أغنى

نعم في بلاد الله طردا ممجد ... إذا قال قولا صدق الخبر المعنى

علي أخي البر الذي ما قصدته ... لدى شدة إلا وصادفته وكنا

فتى قط مالا قيت منه حزونة ... على أنني صاحبته السهل والحزنا

فلا زال محروس اجناب مؤيدا ... برب الورى طرا وأسماءه الحسنى

فكتبت إليه بهذين البيتين:

أياما جدا قد أحكم **اللفظ والمعنى** ... ومعه من الإبداع ما لم يكن معنا

إليك فقد صيرت سحبان مفحما ... وأخجلت بالإفضال يا سيدي معنا

وممن نقل عنه صاحب ((السلافة)) محمد بن عبد الطبري من أهل القرن الحادي عشر، قال في حقه: هو أحد أولئك الجلة، وواحد تلك البدور والأهلة، الضارب في كل فن بسهم، والفارغ صفاة كل قريحة وفهم، ضاع نشر أدبه وما ضاع، ورضع ثدي الفضل فشب على حب ذلك الرضاع، وله قريض يزري بقراضة الذهب، ثبت في صفحات الصحائف حسنه وما ذهب، وقفت على كافية هي في الشهادة بفضلة كافية، وقافية راحت الباب أولي الأدب لاثرها قافية وهي:

أسير العيون العج ليس له فك ... لأن سيوف اللحظ من شأنها الفتك

حذار خلي القلب من علق الهوى ... فأوله سقم وآخره سفك

ورح سالما قبل الغرام ولا تقس ... علي فإني هالك فيه لا شك

ألم تربي ودعت يوم فراقهم ... حشاي لعلمي أن ما دونه الهلك

وكيف خلاصي من يدي شادن إذا ... بدا ابيض في الديجور من نوره الحلك

يقولون ترك الحب أسلم للفتى ... نعم صدقوا لو كان يمكنه الترك

دعوني وذكرى بين بانات لعلع ... غريبا فهم عند المواقف لي نسك

وإن رمتم إرشاد قلبي فكرروا ... أحاديث عشق طاب في نظمها السبك

أما والخدود العند ميات لم أخل ... وكل الذي عني روى عاذلي إفك

وما بمصون الثغر من ماء كوثر ... وكأس عقيق ختمه حاله المسك

لقد لذ لي خلع العذار وطاب في ... هوى الخرد البيض الدمى عندي الهتك

شعر العمري

وممن نقل عنه صاحب ((السلافة)) الشيخ عبد الرحمن العمري من أهل القرن الحادي عشر، قال في حقه: هو علامة القطر الحجازي ومفتيه، وولي معروف المعارف ومواتيه، وبحر العلم الذي لا يدرك ساحله وبره، الذي لا تطوى مواحله، أشرقت في سماء الفضائل ذكاء ذكائه، وأخرس به ناطق الجهل بعد تصديه ومكائه حتى طار صيته في الآفاق وانعقد على فضله

الوفاق، وانتهت إليه رياسة العلم في البلد الأمين، فتصدر وهو منجع الوافدين والآمين منه تقتبس أنواع الفنون، وعنه تؤخذ أحكام المفروض والمسنون، وتشد الرحال إلى لقائه، وتصانيفه في أقسام العلم صنوف، وتآليفه في مسامع الدهر أقراط وشنوف، إن نثر فما أزهار الرياض غب المزن الهاطل، وإن نظم فما جواهر العقود تحلت به الغيد العواطل.

وأطال في ترجمته، وأستقصى سيرته، وأثبت شيئا من نثره ونظمه، وأطال في ذلك، فأحببت الاختصار، لأن كتاب السلافة كثير الوجود، فمن أراد الوقوف على ذلك فاليراجعه، فمن شعره ما مدح به السيد ثقبة مهنئا لهى عافية ابنه قتادة، ومتشكرا من أنعام أنعمه عليه:

أقبل أرضا حفها الله بالسعد ... وألثم تربا عرفها فائق الند

وأهدي سلاما عبق الكون نشره ... وفاق شذا النسرين والآس والورد

صحيب ثناء فصلت در عقده ... وفضله الرائي على الجواهر الفرد." (١)

"لكنه عبر عنه بإن توبيخا لهم وإشارة إلى أنهم لو تأملوا الآيات الظاهرة لصار الإسراف كأنه محال الحصول إذ هو لا يصدر عن عاقل في مثل هذه الحال.

٤- تغليب غير من اتصف بالشرط على من اتصف به، نحو: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾ ١، فقد غلب من لم يرتب من لمخاطبين على من ارتاب وكان يعرف الحق وينكره عنادا، كما تستعمل أيضا في المستحيل المجزوم بنفيه على سبيل المساهلة وإرخاء للعنان لإلزام الخصم وتبكيته نحو: ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ ٢.

وتستعمل "إذا" في مواضع الشك لأغراض، أهمها:

١- الإشارة إلى أن مثل ذلك الشرط لا ينبغي أن كون مشكوكا فيه، نحو قولك لمن قال: لا أدري أيتفضل علي الأمير بالنوال، إذا تفضل عليك فكيف يكون شكرك.

٢- عدم شك المخاطب.

٣- تنزيل المخاطب منزلة الجازم الذي لا شك عنده.

٤- تغليب الجازم على غير الجازم.

ولما كانت الأداتان لتعليق الجزاء بالشرط في الاستقبال التزم في جملتيهما الفعلية والاستقبال، ذاك أن الشرط مفروض الحصول في المستقبل فيمتنع ثبوته ومضيه والجزاء معلق عليه، ولا يعدل عن الاستقبال في **اللفظ والمعنى** إلى المعنى فقط، إلا لنكتة، كإبراز غير الحاصل في معرض ما هو حاصل، وذلك إما:

١- للتفاؤل نحو: إن عشت نفعت أمتي وبلادي.

٢- لقوة الأسباب وتوافرها، كأن تقول حين انعقاد الشراء: إن اشتريت كان كذا.

٣ لإظهار الرغبة في وقوعه، فيكثر تصور المتكلم إياه، حتى يخيل إليه ما ليس بالحاصل حاصلا، كما تقول: إن ظفرت

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/١٨٠

بحسن العاقبة فذاك ما أبغي،

---

١ سورة البقرة الآية: ٢٣.

٢ سورة الزخرف الآية: ٨١.." (١)

"وقول البحتري:

إذا ما رياح جودك هبت ... صار قول العذول فيها هباء

قال في "أسرار البلاغة": لا يحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنيهما من العقل موقعا حميدا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا، أتراك استضعفت تجنيس أبي تمام في قوله:

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت ... فيه الظنون أمذهب أم مذهب

واستحسنت تجنيس القائل: حتى نجا من خوفه وما نجا١. وقول المحدث:

ناظراه فيما جنى ناظراه ... أودعاني أمت بما أودعاني

لأمر يرجع إلى اللفظ أم لأنك رأيت الفائدة ضعفت في الأول، وقويت في الثاني ورأيتك لم يزدك بمذهب ومذهب على أن أسمعك حروفا مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكرة، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ويوهمك كأنه لم يزدك، وقد أحسن الزيادة ووفاها، فبهذه السريرة صار التجنيس، وخصوصا المستوفى منه، المتفق في الصورة من حلى الشعر، ومذكورا في أقسام البديع، ا. هـ.

وقال ابن رشيق في "العمدة": التجنيس من أنواع الفراغ وقلة الفائدة، ومما لا يشك في تكلفه، وقد أكثر منه الساقة المتعقبون في نظمهم ونثرهم، حتى برد ورك، ا. هـ.

وقال ابن حجة الحموي في "خزانة الأدب": أما الجناس فإنه غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله من أهل الأدب.

رد العجز على الصدر - التصدير:

هو في النثر جعل أحد اللفظين المكررين٢ أو المتجانسين٣ أو ملحقين٤ بهما اشتقاقا أو شبه اشتقاق في أول الفقرة، والآخر في آخرها، فالمكرران نحو:

---

١ نجا الأولى أحدث، والثانية خلص.

٢ أي: المتفقين في **اللفظ والمعنى**.

٣ أي: المتفقين في اللفظ دون المعنى.

٤ أي: اللذين يجمعهما الاشتقاق أو شبهه.." (٢)

---

(١) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع المراغي، أحمد بن مصطفى ص/١٣٦

(٢) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع المراغي، أحمد بن مصطفى ص/٣٥٨

"السوقات الشعرية وما يتصل بها

مدخل

...

السرقات الشعرية وما يتصل بها:

إذا توافق الشاعر أن على **اللفظ والمعنى**، أو المعنى وحده، فإن لم يعلم أخذ الثاني من الأول، جاز أن يكون من قبيل اتفاق القرائح وتوارد الأفكار من غير قصد إلى سرقة وأخذ، ويسمى ذلك مواردة، ويرشد إلى ذلك ابن ميادة لما أنشد ابن الأعرابي قوله لنفسه:

مفيد ومتلاف إذا ما أتيته ... تهلل واهتز اهتزاز المهند

قيل له: أين يذهب بك، هذا للحطيئة، قال: الآن علمت أني شاعر إذ وافقته على قوله ولم أسمعه إلا الساعة.

ولذا لا ينبغي لأحد أن يحكم على شاعر بالسرقة ما لم يعلم جلية أمره بأن يتيقن أنه كان يحفظ قول من سبقه حينما نظم أو بأن يخبر عن نفسه بأنه أخذ ممن تقدمه فإن لم يعرف ذلك فالواجب أن يقال: قال فلان كذا وقد سبقه إليه فلان فقال كذا، حتى يتباعد عن دعوى العلم بالغيب ويسلم من انتقاص غيره ويكون صادقا فيما حكم وقال:

واعلم أن اتفاق القائلين إن كان في الغرض، كالوصف بالشجاعة، والسخاء، والذكاء، أو في وجه الدلالة على الغرض كوصف الرجل حال الحرب بالابتسام وسكون الجوارح، وقلة الفكر، ووصف الجواب بالتهلل عند ورود العفاة والارتياح لرؤيتهم، لا يعد هذا سرقة ولا استعانة؛ لأن تلك أمور اشتركت فيها العقول وتقررت بحكم العادات واستوى فيها الفصيح والأعجم، كقولهم في الغزل: إن اللطيف يجود بما يبخل به صاحبه، وفي الممدوح: إن الممدوح يجود ابتداء من غير مسألة، وفي الرثاء، إن هذا الرزء أول حادث، وإن هذا الذاهب لم يكن واحدا وإنما كان قبيلة، إلى أشباه ذلك مما يجري هذا المجرى.

أما إذا احتاج المعنى إلى كد الفكر فذاك هو الذي يدعى فيه الاختصاص." (١)

"وهذا قول يبدو سليم المنطق، ولكنك ما تكاد تمعن النظر حتى تحس بوهنه؛ وذلك لأن كل حكم قيمي لا بد راجع إلى حكم واقعي، فالناقد الذي يحتمي وراء ما يسميه ذوقه الخاص إنما يحيلك في حقيقة الأمر على مجموعة من الآراء السابقة المقررة، التي تبلورت في نفسه بوعي منه أو على غير وعي، بحيث نستطيع أن نقول: إن الذوق ما هو إلا راسب من رواسب العقل الخفية.

يقسم ابن قتيبة الشعر -مثلا- إلى أربعة أضرب: ضرب حسن لفظه وجاد معناه، وضرب حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى، وضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه، وضرب تأخر معناه وتأخر لفظه. وفي تلك التقاسيم والألفاظ ما يدل على أحكامه قيمية، بدليل قوله "حسن" "جاد" "وحلا" و"قصر" "وتأخر"، وهي أحكام مطلقة إذا لم يعلقها على توافق بين لفظ ومعنى أو بين قائل ومقول أو بين الشاعر وعصره، فهو إذن ناقد ذاتي.

ومع ذلك ما تكاد تمعن البصر حتى ترى أن أحكامه القيمية هذه تستند إلى حكمين تقريرين سابقين هما اللذان أملياها:

---

(١) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع المراغي، أحمد بن مصطفى ص/٣٦٧

١-أولهما أن اللفظ في خدمة المعنى، وأن المعنى الواحد يمكن أن يعبر عنه بألفاظ مختلفة يحلو بعضها ويقصر الآخر.

٢- ثانيهما أنه لا بد لكل بيت من الشعر من معنى.

ولنناقش هذين الرأيين.

فأما اللفظ في خدمة المعنى أو للعبارة عنه فنظر جزئي هو الذي تلف ذوق ابن قتيبة على غير وعي منه، بل هو إحدى تلك المسلمات التي أفسدت الكثير من أدبنا العربي ومن نقد نقادنا؛ وذلك لوجوب التمييز بين نوعين من الأساليب:

١- الأسلوب العقلي الذي نستخدمه في العلم والتاريخ والفلسفة وأدب الفكرة إن صح أن يسمى ذلك أدبا. وعلى هذا الأسلوب تصدق وجهة نظر ابن قتيبة؛ إذ اللفظ عندئذ لا يقصد منه إلى غير العبارة عن المعنى، بل نحن نذهب إلى أبعد مما ذهب إليه العرب، فنقول: إن المعنى الواحد لا يمكن أن يعبر عنه إلا بلفظ واحد، فاللغات لا تعرف -ولا يجب أن تعرف- الترادف. وأمر الألفاظ كأمر الجمل، فالكاتب الحق هو الذي لا يطمئن حتى يقع على الجملة الدقيقة التي تحمل ما في نفسه حملا أمينا كاملا، بحيث تصبح العبارة كجسم حتى لا يمكن أن ينتقص منه أو يزداد عليه شيء. والتحدث عندئذ عن العلاقة بين **اللفظ والمعنى** كالتحدث عن شفرتي مقص، والتساؤل عن جودة أحدهما." (١)

"مشكلة المعنى:

وكما يرجع ذوق ابن قتيبة إلى رأي في العلاقة بين **اللفظ والمعنى**، كذلك يستند إلى إحدى المسلمات الأخرى، وهي ضرورة حمل البيت لمعنى من المعاني. وبمراجعة الأمثلة التي أوردها يخيل إلي أنه يقصد بالمعنى أحد أمرين:

١- فكرة.

٢- معنى أخلاقيا.

فأما الفكرة فبدليل أنه ينتقد الأبيات الآتية لخلوها فيما يقول من كل معنى مفيد:

ولما قضينا من منى كل حاجة ... ومسح بالأركان من هو ماسح

وشدت على حدب المطايا رحالنا ... ولا ينظر الغادي الذي هو رائح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطي الأباطح

إذ من الواضح أن هذه الأبيات الجميلة التي نثرها ابن قتيبة بقوله: "ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الأركان وعالينا إبلنا الانضاء، ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح، ابتدأنا في الحديث، وسارت المطي في الأباطح" لا تحمل أية فكرة، وإنما هي قصص فني رائع، سبقنا الجرجاني في "دلائل الإعجاز" إلى إظهار ما بها من صور أخاذة، وخصوصا في الشطر الأخير "وسالت بأعناق المطي الأباطح".

ونستطيع أن نضيف إلى ذلك أن الآداب الأوربية الحديثة قد شهدت مذهبا قويا في أواخر القرن التاسع عشر، مذهب أمثال Hreedia هرديا وGoutier جوتييه ممن يقولون بالفن للفن، ويجعلون من أسس مذهبهم نظرتهم إلى اللغة نظرة المثالين إلى مقاطع الرخام، أولئك ينتزعون من اللغة صورا وهؤلاء تماثيل، مع ذلك لم يجرؤ أحد أن يقدح في أدبهم أو يخرجه

---

(١) في الميزان الجديد محمد مندور ص/٩٩

من فنون الشعر لخلوه من المعاني، وقد رأينا أي دور تلعبه الصور في حياتنا النفسية التي تعذيها كل الفنون، كما رأينا في الأمثلة التي سقناها من الأعشى وغيره تفاهة ما بها من معنى تفاهة لم تنل مما بها من قيم فنية.

وأما تطلبه لمعنى أخلاقي فواضح من إعجابه بأمثال قول القائل:

والنفس راغبة إذا رغبتها ... وإذا ترد إلى قليل تقنع." (١)

"هذه النظرة –نظرة الفقيه ابن قتيبة– بدورها نظرة ضيقة؛ إذ من الواضح أن مادة الشعر ليست المعاني الأخلاقية، كما أنها ليست الأفكار، وأن من أجوده ما يمكن أن يكون مجرد تصوير فني، كما أن منه ما لا يعدو مجرد الرمز لحالة نفسية رمزا بالغ الأثر قوي الإيحاء؛ لأنه عميق الصدق على شخصيته، ولعلني لا أعرف لذلك مثلا خيرا من قول شاعرنا العربي الدقيق الحس ذي الرمة، وقد حط رحاله بمنزل الحبيبة وتفقدها فلم يجدها:

عشية ما لي حيلة غير أنني ... بلقط الحصى والخط في الترب مولع

أخط وأمحو الخط ثم أعيده ... بكفي والغربان في الدار وقع

فأي معنى يريد ابن قتيبة من هذه الصور الجميلة الصادقة، صورة شاعر أصابه الحزن بالذهول، فجلس إلى الأرض منهكا يائسا يخط ويمحو الخط بأصابع شرد عنها اللب، فأخذت تعبث بالرمال، وفي الغربان الواقعة بالدار ما يملأ الجو أسى ولوعة. وهل أصدق من هذا وصفا؟ وهل أقوى منه على إيحاء؟ ولعله صدقه في تناهي بساطته.

وهكذا يظهر لنا ما في نظرة ابن قتيبة من ضيق عندما يتطلب معنى في كل بيت من الشعر. كما ظهر لنا فساد رأيه في العلاقة بين **اللفظ والمعنى**، وفي هذا تفسير لضعف ما يسمونه ذوق هذا الناقد.

والأمر عند ابن قتيبة كالأمر عند غيره ممن نسمي منهجهم بالمنهج الذاتي، فأحكامهم القيمية تستند دائما إلى أحكام واقعية؛ بحيث نستطيع أن نخلص من هذا المقال بالنتيجة التي سبق أن عبرنا بأن الذوق ليس في الحقيقة إلا راسبا من رواسب العقل الخفية، وأن كل نقد ذاتي هو في حقيقته نقد تقريري.." (٢)

"ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام١، إلى غير ذلك، كما سيأتي تفصيل الجميع.

وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول٢: بمطابقته للاعتبار المناسب، وانحطاطه: بعدم مطابقته له، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب٣.

وهذا –أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال– هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم٤؛ حيث يقول: "النظم تأخي٥ معاني النحو٦ فيما بين الكلم على

---

(١) في الميزان الجديد محمد مندور ص/١٠٣

(٢) في الميزان الجديد محمد مندور ص/١٠٤

١ هذا كالفعل الذي يقترن بالشرط، فله مع "إن" مقام ليس له مع "إذا" وهكذا ...

ومن ذلك ما روي أن رجلا أنشد ابن هرمة قوله "من الكامل":

بالله ربك إن دخلت فقل لها ... هذا ابن هرمة قائما بالباب

فقال له: "ما هكذا قلت، أكنت أتصدق؟! قال: فقاعدا. قال: أكنت أبول؟! قال: فماذا؟ قال: واقفا، ليتك علمت ما بين هذين من قدر **اللفظ والمعنى"**. ولعل ابن هرمة يعني من ذلك أن القيام يقتضي الدوام والثبوت بخلاف الوقوف، تقول: وقف الحاج بعرفة، ولا تقول: قام.

وتحقيق هذا أن الألفاظ المركبة فيها جمال وقبح كالألفاظ المفردة؛ حتى إنه قد يحدث أن يتألف الكلام من ألفاظ جميلة في ذاتها، قبيحة في تركيبها؛ لفقدها ما يسمى جمال الانسجام، وهذا هو ما يعنون بقولهم: "ولكل كلمة مع صاحبتها مقام".

٢ عطف القبول على الحسن؛ ليدل على أن المراد الحسن الذاتي الداخل في البلاغة، لا الحسن العرضي الحاصل بالمحسنات البديعية.

٣ أي: الأمر الذي اعتبره المتكلم مناسبا بحسب السليقة، أو بحسب ما عرفه من أساليب البلغاء.

٤ دلائل الإعجاز ص٥٥.

٥ تأخيت الشيء: تحريته وتتبعته.

٦ يريد بمعاني النحو الخصوصيات التي هي مقتضى الحال من التقديم والتأخير وغيرهما، والأغراض في قوله: "على حسب الأغراض" هي الأحوال الداعية إليها، أو المعاني الثانوية التي يقصد من الخصوصيات إفادتها، وقيل: إن عبد القاهر لا يقف في هذا بالنحو عند وظيفته التي قصر أخيرا عليها، وهي الحكم بالصحة والخطأ في المعاني الأصلية، بل يجعل له حكما أيضا في المعاني الثانوية، ولهذا عرفه ابن جني بأنه "انتحاء كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره؛ ليلتحق من ليس من أهل العربية بأهلها من الفصاحة".." (١)

"يقدر الكلام من الأصل مبنيا على المبتدأ والخبر، ولم يقدر تقديم وتأخير، أو انتفى الأول بأن يكون المبتدأ اسما ظاهرا١ فإنه لا يفيد إلا تقوي الحكم.

واستثنى المنكر٢ كما في نحو: "رجل جاءني" بأن قدر أصله: "جاءني رجل" لا على أن "رجل" فاعل "جاءني"، بل على أنه بدل من الفاعل الذي هو الضمير المستتر في "جاءني"، كما قيل في قوله تعالى: ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ [الأنبياء: ٣] : إن ﴿الذين ظلموا﴾ بدل من الواو في "أسروا"، وفرق بينه وبين المعرف بأنه لو لم يقدر ذلك فيه انتفى تخصيصه؛ إذ لا سبب لتخصيصه سواه، ولو انتفى تخصيصه لم يقع مبتدأ٣، بخلاف المعرف؛ لوجود شرط الابتداء فيه، وهو التعريف.

ثم قال: "وشرطه٤ ألا يمنع من التخصيص مانع٥ كقولنا: "رجل جاءني" أي: لا امرأة أو لا رجلان، دون قولهم: "شر أهر ذا ناب" أما على التقدير الأول٦ فلامتناع أن يراد "المهر شر لا خير"٧، وأما على الثاني٨ فلكونه نابيا عن مكان

---

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة عبد المتعال الصعيدي ٢٥/١

استعماله٩، وإذ قد صرح الأئمة بتخصيصه حيث تأولوه بـ " ما أهر ذا ناب إلا

١ نحو: "زيد قام"، فإنه إذا قدر تأخيره يكون فاعلا في اللفظ والمعنى، لا في المعنى فقط.

٢ أي: من ذلك الشرط؛ فلم يشترطه فيه.

٣ لأنه لا يجوز الابتداء بالنكرة إلا إذا خصصت، فإذا كان لها مخصص غير ذلك من وصف أو نحوه لم يجب جعل التقديم للتخصيص.

٤ أي: شرط تقدير ذلك في المنكر ليفيد التخصيص.

٥ يريد بالمانع انتفاء فائدة التخصيص من رد اعتقاد المخاطب في قيد الحكم مع تسليم أصله.

٦ هو أن يكون لتخصيص الجنس.

٧ لأنه لا يوجد من يتوهم أن الخير يهر الكلب حتى يرد عليه بذلك.

٨ هو أن يكون لتخصيص الواحد.

٩ لأنه مثل يقال في مقام الحث على شدة الحزم لدفع هذا الشر لعظمه، فإذا أريد أن الذي أهره شر لا شران نافى القصد منه؛ لأنه مما يوجب التساهل في دفعه.." (١)

"وربما لا يكون في هذه الأمثلة تعسف في التطبيق وإيغال في التعليل، ولكن التعسف يظهر أشد ما يكون بعدا عن المنطق في مثل قول ابن جني: "نعم وتجاوزوا ذلك إلى أن ضارعوا بالأصول الثلاثة الفاء والعين واللام، فقالوا: عصر الشيء، وقالوا: أزاله إذا حبسه، والعصر ضرب من الحبس، وذلك من "ع ص ر"، وهذا من "أزل" والعين أخت الهمزة، والصاد أخت الزاي، والراء أخت اللام، وقالوا: الأزم: المنع، والعصب: الشد، فالمعنيان متقاربان، والهمزة أخت العين، والزاي أخت الصاد، والميم أخت الباء، وذاك من "أز م"، وهذا من "ع ص ب"، وقالوا: السلب والصرف، وإذا سلب الشيء فقد صرف عن وجهه، فذاك من " س ل ب"، وهذا من "ص ر ف"، والسين أخت الصاد، واللام أخت الراء، والباء أخت الفاء، قالوا: الغدر كما قالوا: الختل، والمعنيان متقاربان، واللفظان متراسلان، فذاك من "غ د ر" وهذا من "خ ت ل" فالغين أخت الخاء، والدال أخت التاء، والراء أخت اللام، وقالوا: زأر، كما قالوا: سعل، لتقارب اللفظ والمعنى... إلخ"١

وإذا كان الاشتقاق الكبير يقوم على القلب، فمن الواضح أن الاشتقاق الأكبر يقوم على الإبدال، ولقد أدرك لغويو العرب إمكان وقوع الإبدال مثلما تصوروا إمكان وقوع القلب، وأنشئوا يلتمسون الشواهد على تماثل المعنى بين الصورتين المبدلة والمبدل منها، وانطلقوا يؤكدون أن "من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، ويقولون: مدحه ومدهه، وفرس رفل ورفن، وهو تكير مشهور قد ألف فيه العلماء"٢.

وإن أدنى ملابسة لتكفي ليربط القدماء بين الصورتين، إذا بدل لهم أنهما اشتركتا في معنى متقارب، مع أن كثيرا من هذا التقارب لا يزيد

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة عبد المتعال الصعيدي ١١٨/١

١ المصدر نفسه ١/ ٥٤١.

٢ الصاحبي ١٧٣.." (١)

""سبط" والصورة الجديدة التي اتخذتها في "سبطر"، بل أقحمت إقحاما مقصودا على طريقة النحت؛ إذ كانت الحرف التعويضي الرامز إلى مادة ثلاثية مختزلة يتصاقب معناها مع "سبط" التي عينها سيبويه.

ولعل هذا الاستنباط يتبين صوابه من مقارنة نص سيبويه السابق بنص آخر لعبقري اللغويين ابن جني عندما قال في مطالع فصله المشهور حول "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني": "هذا غور من العربية لا ينتصف منه ولا يكاد يحاط به. وأكثر كلام العرب عليه وإن كان غفلا مسهوا عنه. وهو على أضرب: منها اقتراب الأصلين الثلاثيين: كضياط وضيطار ... ١، ومنها اقتراب الأصليين، ثلاثيا أحدهما ورباعيا صاحبه: كدمث ودمثر، وسبط وسبطر ... ٢".

فقد صرح في المثل نفسه بتصاقب "السبطر" الرباعي مع "السبط" الثلاثي، ورأى أن أكثر كلام العرب على مثل هذا، وإن كان لم يعن هنا بتقرير ظاهرة النحت عنايته بتقرير ظاهرة التقارب في **اللفظ والمعنى**. على أننا لو سألناه رأيه في هذه الراء المزيدة على "السبط" لما كان له أن يعدها حشوا من غير فائدة وهو في طليعة القائلين بالقيمة التعبيرية للحرف العربي، بل الذي نرجحه أنه يعد هذه الراء الحرف الأبرز الأقوى في مادة ثلاثية مختزلة. أما الاختلاف حول تقدير هذه المادة المختزلة التي فيها الراء ليس بذي بال. ولقد رأينا إمام أصحاب النحت ابن فارس يقنع غالبا، لبيان وقوع النحت، بحرف واحد يعوض المادة كلها ويقوم مقامها.

ولقد كان للنحت أنصار من أئمة اللغة في جميع العصور، وكلما امتد الزمان بالناس ازداد شعورهم بالحاجة إلى التوسع في اللغة عن طريق هذا

١ الضخم الجنبين.

٢ الخصائص ١/ ٥٣٧.." (٢)

"الفصل الخامس: النحت أو "الاشتقاق الكبار" "٢٤٣ - ٢٧٤": مراعاة معنى الاشتقاق تنصر جعل النحت نوعا منه ٢٤٣ - مذهب ابن فارس في أن ما زاد على الثلاثي أكثره منحوت ٢٤٤ - للنحت أصل أصله الخليل ٢٤٥ - النحت قليل في مذهب النحاة، والقليل لا يقاس عليه! ٢٤٦ - الرباعي على ضربين: منحوت، وموضوع وضعا ٢٤٦ - التصدير والحشو والكسع بقايا كلمات قديمة مستعملة ٢٤٧ - الحرف التعبيري التعويضي عند ابن فارس ٢٤٧ - النحت فعلي، ووصفي، واسمي، ونسبي ٢٤٩ - أمثلة على الأفعال المنحوتة تصديرا ثم حشوا ثم كسعا ٢٥٠ - ٢٥١ - أمثلة على الأسماء المنحوتة في الأحوال الثلاث ٢٥١ - أمثلة على الصفات المنحوتة في الأحوال الثلاث أيضا ٢٥٢ - نحت

(١) دراسات في فقه اللغة صبحي الصالح ص/٢١٢

(٢) دراسات في فقه اللغة صبحي الصالح ص/٢٦٤

الرباعي من ثلاثيين كل منهما محفوظ ٢٥٢ – أمثلة على هذا النوع من النحت في الأفعال والأسماء والصفات ٢٥٣ – ٢٥٧ – الحرف المزيد نحتا يعوض المادة المختزلة، ويقع أولا ووسطا وآخرا ٢٥٧ – استخراج أكثر من ثلاثمائة كلمة منحوتة من أبواب مزيدات الثلاثي في "المقاييس" ٢٥٨ – ما وضع وضعا ولا يكاد يكون له قياس ٢٥٩ – إنما قلل العلماء من شأن النحت لتعويلهم فيه على المسموع المحفوظ ٢٥٩ – ما من حرف إلا وقد اختزل مادة على طريقة النحت ولو نادرا ٢٦١ – مثال واحد على كل حرف من حروف الهجاء يختزل مادة ويعوضها نحتا ٢٦١ – ٢٦٣ – إشارة سيبويه إلى النحت ٢٦٣ – ابن جني بين ظاهرة النحت وظاهرة التقارب في **اللفظ والمعنى** ٢٦٤ – كان للنحت أنصار في جميع العصور ٢٦٤ – كتاب في النحت يمليه الظهير بن الخطير من حفظه ٢٦٥ – معرفة النحت من اللوازم في رأي السيوطي ٢٦٥ – هل العربية لا تقبل النحت حقا؟ ٢٦٦ – القول بالنحت إطلاقا يفسد أمر هذه اللغة ٢٦٦ – الدكتور مصطفى جواد وإطلاقه القول بتشويه النحت للكلم العربي ٢٦٦ – لا نكران في وقوع النحت إذا صنفنا كتب اللغة تصنيفا جديدا ٢٦٧ – تكلف ابن فارس في بعض ما ادعى فيه النحت ٢٦٧ – الفرق بين المنحوت والمشتق ٢٦٨ – خلط ابن فارس المنحوت بالأعجمي المعرب ٢٧٠ – كان ابن فارس، مع ذلك، دقيق الحس في التمييز بين المنحوت والمشتق ٢٧٠ – وبين المنحوت والمولد ٢٧١ – تكلف ابن فارس ليس ذريعة للحكم بفساد النحت ٢٧١ – شبهة في النحت ما تزال قائمة: تعريب المصطلحات ٢٧٢ – لا نستعمل النحت إلا وسيلة إضافية متممة للاشتقاق القياسي القديم ٢٧٢ – قرار." (١)

"تكون غدا فيمن لا نعرفه، ونحن نرد على هذا وعلى هذا برد سواء لا جهلنا من نجهله بلطف منه ولا معرفتنا من نعرفه تبالغ فيه. فإن كان في أسلوبنا من الشدة والعنف أو القول المؤلم أو التهكم فما ذلك أردنا ولكنا كالذي يصف الرجل الضال ليمنع المهتدي أن يضل، فما به زجر الأول بل عظة الثاني.

٧– محمد أحمد الغمراوي ١:

جرى الناس على رد التفاصيل في الأدب إلى أصلين: **اللفظ والمعنى،** وبدءوا في ذلك وأعادوا وأسرفوا في الاختلاف بينهم. أي هذين الأصلين يقدم على الآخر في تقديم أديب على أديب واختلافهم في هذا شيء عجيب. فإن **اللفظ والمعنى** ركنان متلازمان لا ينبغي التقصير في أدهما للأديب المكتمل.

إن امتلاك ناصية اللغة أمر لا بد منه لكل أديب يريد أن يبلغ في الأدب مرتبة الخلود وليس معنى هذا أن امتلاك ناحية اللغة وحدة كاف للخلود. فليس في الأدب مكانة لخلود المعنى الخسيس في اللفظ الأنيق.

وإذا تساءل متساءل: أي الأديبين أدل على امتلاك لناصية اللغة واقتدار على التفنن والتصرف في التعبير بها أدب الرافعي أم أدب العقاد؟ كان الجواب الذي يسرع إلى الإنسان في غير تكلف ولا تحيز؛ أدب الرافعي؛ كان أملك لناصية اللغة من شك أو أكثر افتنانا فيها وتصرفا بها. ولا نظن أن العقاديين يمارون في هذا فأكبر ما ادعاه العقاد مفتونهم به هو الأسلوب الفخم والتعبير الجيد غير بعيدين عن شعر العقاد.

بقيت ناحية المعنى ولم تر أحدا ظلم في معانيه مثل ما ظلم الرافعي ومعاني الرافعي يكثر من بينها الطريق كثرة تدعو إلى

---

(١) دراسات في فقه اللغة صبحي الصالح ص/٣٩٤

العجب، كثرة لا تظن أحدا من المحدثين يفضله فيها أو يزحمه.

---

١ الرسالة ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٨.." [١]

"فقر لم تعرفه أمة غيرها. صحراء قفراء، قليل من الماء يثير الحرب والدماء.

جهاد وكفاح لا ينقطعان في سبيل العيش والحياة. أمة لاقت الحرمان وجها لوجه، وما عرفت طيب الثمار وجري الأنهار ورغد العيش ومعنى اللذة إلا في السير والأخبار، كل تفكير العرب وكل فن العرب في لذة الحس والمادة، لذة سريعة مفهومة مختطفة اختطافا لأن كل شيء عند العرب سرعة ونهب واختطاف، وعند الإغريق الحركة، أي الحياة، وعند العرب السرعة، أي اللذة، لم تفتح أمة العالم بأسرع من العرب، ومر العرب بحضارات مختلفة فاختطفوا من أطايبها اختطافا راكضا على ظهور الجياد. كل شيء قد يحسونه إلا عاطفة الاستقرار وكيف يعرفون الاستقرار وليس لهم أرض ولا ماض ولا عمران لهذا السبب لم يعرف العرب البناء، سواء في العمارة التي عرفها تاريخ الفن. وإذا عاش لليوم فإنه يعيش بالزخرف، فن الزخرف العربي أنقذ العمارة العربية.

أما فن الزخرف العربي فهو في الحق أجمل وأعجب فن للزخرف خلده التاريخ، والزخرف عند العرب وليد ذل الحلم باللذة والترف. كل شيء عند العرب زخرف. الأدب نثر وشعر لا يقوم على البناء، فلا ملاحم ولا قصص ولا تمثيل، إنما هو شيء مرصع جميل يلذ الحس. فسيفساء **اللفظ والمعنى** وأرابسك العبارات والجمل، كل مقامة للحريري كأنها باب لجامع المؤيد. تقطيع هندسي بديع، وتطعيم بالذهب والفضة، لا يكاد الإنسان يقف عليه حتى يترنح مأخوذا بالبهرج الخلاب.

قد يكون للطين دخل في النحت والتصوير عند العرب، غير أني أعتقد براءة الدين، إن العرب كانوا دائما ضد الدين كلما وقف الدين دون." [٢]

"ش ك ل

٢٨٧١ – ش ك ل

شكل١ [مفرد]: ج أشكال (لغير المصدر) وشكول (لغير المصدر):

١ – مصدر شكل٢ ° الشكل والمضمون: **اللفظ والمعنى** فالشكل يتمثل في صياغة العمل الفني وبنائه اللفظي، أما المعنى فهو أفكاره ومعانيه ومغزاه.

٢ – صورة الشيء، هيئته "شكل خارجي– اعرض رأيك بشكل واضح" ° بشكل عام: بإيجاز، باختصار– بشكل واضح/ بشكل ملموس: بصورة مفهومة– شكل الأرض: تضاريسها ومعالمها– فلان حسن الشكل: حسن المظهر والهندام.

٣ – شبيه، نمط "إن الطيور على أشكالها تقع– ﴿وءاخر من شكله أزواج﴾ ".

---

(١) المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٢٨٦

(٢) المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٥٨٨

٤ – طريقة، أسلوب "لا تتكلم بهذا الشكل".

٥ – (عر) حذف الحرف الثاني والسابع من (فاعلاتن) ليبقى (فعلات).

٦ – (هس) هيئة للجسم أو السطح محدودة بحد واحد كالكرة، أو بحدود مختلفة كالمثلث والمربع.

عليه السلام علم الشكل:

١ – (جو) علم يعنى بدراسة شكل سطح الأرض.

٢ – (حي) علم يتناول دراسة الشكل الخارجي للنبات أو الحيوان.." (١)

"ض م ن

٣١٤٤ – ض م ن

مضمون [مفرد]: ج مضمونون (للعاقل) ومضامين (لغير العاقل):

١ – اسم مفعول من ضمن ° شيء مضمون: مؤكد أو في متناول اليد.

٢ – محتوى "فهم مضمون البيان" ° الشكل والمضمون: **اللفظ والمعنى–** فارغ المضمون: لا معنى له– مضمون الكتاب: ما في طيه– مضمون الكلام/ مضمون الجملة: فحواه وما يفهم منه.." (٢)

"ك ي ف م ا

٤٤٨٥ – ك ي ف م ا

كيفما [كلمة وظيفية]: كلمة مركبة من (كيف)،و (ما): اسم مبهم فيه معنى الشرط، يجزم فعلين متفقي **اللفظ والمعنى** "كيفما تكن يكن قرينك" ° كيفما اتفق: على أية شاكلة– كيفما كان الحال: على أية حال، على كل حال.." (٣)

"ن س خ

٥١٠٧ – ن س خ

نسخ ينسخ، نسخا، فهو ناسخ، والمفعول منسوخ

عليه السلام نسخ الكتاب: نقله وكتبه حرفا بحرف "نسخ كتابا/ نصا/ وثيقة/ مخطوطة/ الخطاب بحذافيره/ الأشكال– نسخ فلان الشعر: أخذ **اللفظ والمعنى** من غيره".

عليه السلام نسخ الشيء:

١ – صوره "نسخ الوثائق/ لوحة".

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة أحمد مختار عمر ١٢٢٨/٢

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة أحمد مختار عمر ١٣٧١/٢

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة أحمد مختار عمر ١٩٧٩/٣

٢ – أزاله "نسخت الشمس الظل: أزالته– نسخ الشيب الشباب– ﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله ءاياته﴾ ".
٣ – أبطل حكمه، غير حكمه وبدله "نسخ قانونا– نسخ الله آية– ﴿ما ننسخ من ءاية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾ "..". (١)

"٢– الترتيب المعجمي عند العرب:

لا تعرف أمة من الأمم في تاريخها القديم أو الحديث قد تفننت في أشكال معاجمها، وفي طرق تبويبها وترتيبها كما فعل العرب. وقد تعددت طرق وضع المعجم العربي حتى كادت تستنفد كل الاحتمالات الممكنة. وقد كان العرب منطقيين حينما لاحظوا جانبي الكلمة، وهما **اللفظ والمعنى**، فرتبوا معاجمهم –إجمالا– إما على اللفظ، وإما على المعنى، وبهذا وجد قسمان رئيسيان هما:

أ– معاجم الألفاظ:

ب– معاجم المعاني:

وقد كان مجال تنافسهم واضحا بالنسبة للقسم الأول حيث وجدت في داخله طرق متعددة بخلاف القسم الثاني حيث لم يوجد فيه إلا طريقة واحدة. وما أظنهم كانوا سيكتفون بهذه الطريقة الواحدة لو أمكن –عقلا– الاهتداء إلى طريقة أخرى.
وبالنسبة لمعاجم الألفاظ كان هناك عدة أشكال لترتيب الأحرف الهجائية هي:

أ– الترتيب الصوتي الذي يراعي التشابه الصوتي للأحرف وتدرج المخارج.

ب– الترتيب الألفبائي الذي يراعي التشابه الكتابي للأحرف فيضع الثلاثيات متجاورة ثم الثنائيات وينتهي بالأحرف المفردة.." (٢)

"والكتاب مقسم إلى قسمين. فالقسم الأول مخصص للنحو المقارن، وأما القسم الثاني فيضم معجما مرتبا ألفبائيا لجذور الكلمات الواردة في الكتاب المقدس والتي لها مقابل عربي.

وتبعا لعهده رتب ابن بارون القسم المعجمي "التالي لقسم النحو" ألفبائيا.

وقد بدأه بقوله: "إن الجزء الأول من هذا الكتاب إذا كان قد خصص لمناقشة "رتبة التشارك" بين اللغتين من نواحي "النحو" "وتصرف الأفعال"، وما اتصل بهما، فإن الجزء الثاني سوف يحوي معجما يجمع كل الجذور التي نطقها ومعناها يتفقان في كلتا اللغتين١.

وذكر ابن بارون أن هناك "ضروبا متقاربة بين اللغتين تشمل:

١ – التشابه في الخط **واللفظ والمعنى**.

٢– التشابه نتيجة لتعاور الحروف المتشابهة المخارج.

٣– التشابه نتيجة لتعاور الحروف المتجاورة.

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة أحمد مختار عمر ٣/٢٢٠١

(٢) البحث اللغوي عند العرب أحمد مختار عمر ص/١٧٥

٤ التشابه نتيجة التصحيف"٢.

إلخ ... إلخ ...

وقد أشار ابن بارون إلى بعض المعجميين العرب ومؤلفاتهم مثل العين للخليل بن أحمد، والجمهرة لابن دريد، والمجرد لكراع.

كما أشار إلى بعض النحاة العرب مثل المبرد، والزجاج، وابن الأنباري.

ومن أمثلة المقارنة في القسم النحوي ذكره:

---

١ المرجع السابق، ص ٥٤.

٢ المرجع السابق، ص ٥٤ – ٥٦.." [١]

"ما أتم ... ما أوضحاما أورقا ما أنم

لا جرم ... من لحاقد عشقا قد حرم أو في قول الآخر:

قل هل علم أو هل عهد ... أو كان كالمعتصم والمعتضد ملكان وهناك ظاهرة أخرى جعلت الموشح كالعبارات المنثورة وهي عدم استقلال أجزائه بل تسلسلها وترابطها في **اللفظ والمعنى** رغم وجود الوقفات (١) :

أنت المليك الرئيس ... أنت العقد النفيس

الواهب ... الجياد الحاليات السروج مع أبناء العلوج فهذا إذا قرأته معا: " أنت العقد النفيس الواهب الجياد الحاليات السروج ".

على ان هذا لا يعني ان الموشح قد تخلص من اثر الشعر، فهناك الموشح الشعري، وهناك هذه التقفية في داخل الاقفال والغصون، والتقفية تجعل الموشح شكلا من أشكال الفسيفساء التي يعجبك ظاهرها فإذا فتشتها وجدت تكرارا في الوحدات الصغيرة. وهناك الاستقلال في الاشطار حتى في اجمل الموشحات وأرقها مثل موشحة الأعمى:

ضاحك عن جمان ... سافر عن بدر

ضاق عنه الزمان ... وحواه صدري

---

(١) دار الطراز: ٨٣.." [٢]

"انتهى الأمر إلى ابن الأثير قبل الشعراء الثلاثة أبا تمام والبحتري والمتنبي – على إدراك للتفاوت بينهم – ليتخلص من الشعر القديم جملة؛ ولكن من يقرا " منهاج البلغاء " لحازم يحس انه يضع قواعده النقدية وضعا جديدا وفي ذهنه أن " المثل الأعلى " للشعر هو المتنبي؛ ولسنا ندري هل كان من حسن حظ النقد الأدبي عند العرب أو من سوء حظه أن جميع المشكلات الهامة التي أثارت كبريات القضايا النقدية قد انطلقت في دور مبكر قصير المدى، واعني بالمشكلات: مسالة

---

(١) البحث اللغوي عند العرب أحمد مختار عمر ص/٣٣٤

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) إحسان عباس ص/٢٤٥

الأصالة والانتحال والقدم والحداثة والخصوصة حول طريقتين في الشعر، ومحاولة حل مسألة الأعجاز؟ الخ حتى أصبحت الإجابة على القضايا مجتمعة (مثل قضية **اللفظ والمعنى** والمطبوع والمصنوع وقواعد الموازنة؟ الخ) من نصيب النقاد في القرن الثالث، وما كان نصيب القرن الرابع إلا زيادة التمرس بها. بحيث أن القاضي الجرجاني عندما أراد ان يشارك في الميدان النقدي وجد جميع الأدوات جاهزة لديه فلم يكن دوره في الحقيقة سوى أن يحسن استخدامها؛ أقول لا ندري بعد المتنبي لم يعد يستطيع إلا تفسيرا جديدا لجزئيات صغيرة أو وقفة مطولة عند قضية دون أخرى، وكثيرا ما أصبحت حيوية النقد بعد ذلك تعتمد على شخصية الناقد نفسه (وأبرز مثل على ذلك ابن رشيق وابن الأثير) باستثناء حازم الذي عاد يستعمل أدوات متباينة مختلفة في منطلق جديد، إلا انه كما قلنا كان قد جعل من المتنبي محورا لفهم طبيعة الشعر ولم يستطع معاصروه ولا من جاء بعدهم أن يدركوا خطورة حركته الإصلاحية لتباعد الشقة بين القاعدة والأمثلة التي كانوا يمارسونها. وقد يكون المتنبي رسم فعلا خطا فاصلا في الشعر العربي ووقف وحده وقفة شاهرة. ولكنه في الوقت نفسه اثبت عجز النقد ودورانه حول نفسه لا لان الأدوات النقدية عجزت عن ان تفسر كنه تفوقه، وحسب، بل لان هذا النقد نفسه لم يستطع أن يقيم أية علاقة بينه وبين مختلف المستويات الشعرية بعد المتنبي (قبولا أو رفضا) .." (١)

"قضية النقد كثيرا كما خدم مستوى البلاغة وتحولاتها؛ ويجب ألا يغيب عن الذهن ان الصلة بين النقد وكتاب الشعر لارسطو قد أدخلت مصطلحا من نوع آخر مثل " الأقاويل الشعرية " و " المحاكاة " و " التخييل "، وان محاولة محو الفارق بين الشعر والخطابة قد جعلت المصطلحات المتصلة بالخطابة تنتقل إلى حيز الحديث عن الشعر أيضا. يستفاد من ذلك كله أن المصطلح النقدي جمع بين مسميات البداوة، وألفاظ المنطق والفلسفة، وتسميات الأزياء الحضارية، في نطاق واحد. ومثلما كانت المشكلات التي أثارت النقد مزدوجة في الغالب ذات حدين، كانت القضايا النقدية قائمة على الازدواج أيضا – في أغلب الأحيان – وإليك أهم القضايا التي دار حولها النقد:

(١) قضية **اللفظ والمعنى**.

(٢) قضية المطبوع والمصنوع أو الطبع والصنعة.

(٣) قضية الوحدة والكثرة في القصيدة.

(٤) قضية الصدق والكذب في الشعر.

(٥) قضية المفاضلة أو الموازنة بين شعرين أو شاعرين.

(٦) قضية السرقات الشعرية.

(٧) قضية عمود الشعر.

(٨) قضية العلاقة بين الشعر والأخلاق أو الشعر والدين.

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/١٧

وفي أثناء الحديث عن هذه القضايا كان لابد للنقاد من ان يتناولوا قضايا أخرى، ولهذا نجدهم تحدثوا عن تعريف الشعر، ووضعوا تعريفات." (١)

"نثري ينسج شعرا في تدرج صناعي خالص، كما ينسج الثوب، مع الحذق في الربط عند الانتقال في داخل القصيدة من موضوع إلى موضوع؛ وتستغرق هذه الوحدة من الشاعر جهدا مضنيا في التصور أولا، ثم في تأمل الأجزاء، ونقل بعضها هنا وبعضها هناك، وتغيير الألفاظ وتنقيح التعبيرات، واستبعاد ما لا يلتئم في هذا السياق؛ فالوحدة هنا نتاج عمل ذهني منطقي؛ ولعل تصور ابن طباطبا للوحدة هو الذي أخذ به النقاد من بعده لأنهم لجأوا دائما إلى التمثيل، فشبهوا القصيدة بالنسيج أو شبهوها بعمل الصائغ للخاتم أو السوار (وقد اكثر عبد القاهر من هذه التمثيلات) .

ولم يخرج تصور الوحدة لدى النقاد العرب عن صورة التكامل والتناسب معا؛ وكانت أقصى درجات التعبير عن هذا النوع من الوحدة هي الإشارة إلى انه العلاقة بين **اللفظ والمعنى** هي علاقة الجسد بالروح؛ وقد نقل الحاتمي هذه الوحدة القائمة على التكامل والتناسب إلى صورة الجسد نفسه: " فإن القصيدة مثلها خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض فمتى انفصل واحد عن الآخر أو باينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهة تتحيف محاسنه وتعفى معالم جلاله "، وقد استعار ابن رشيق هذه الفكرة من الحاتمي، ورددها من تأثروا بابن رشيق من بعد؛ ولم تتجسد قضية الوحدة في ذهن حازم من غير الطرق الشكلية والحيل الشعرية، لأنه كان مشغول الذهن بالتأثير في نفس السامع حين تحدث عن التنويع في انتقال الشاعر أثناء قصيدته من فصل إلى فصل: " أن الحذاق من الشعراء؟ لما وجدوا النفوس تسأم من التمادي على حال واحدة وتأثر الانتقال من حال إلى حال، ووجدوها تستريح إلى استئناف الأمر بعد الأمر واستجداء الشيء بعد الشيء، ووجدوها تنفر من الشيء الذي لم يتناه في الكثرة إذا أخذ مأخذا واحدا ساذجا ولم يتحيل فيما يستجد نشاط النفس بقبوله بتنويعه والافتنان في أنحاء الاعتماد به وتسكن إلى الشيء وغن كان متناهيا في الكثرة إذا أخذ من شيء مأخذه؟. اعتمدوا في القصائد أن يقسموا الكلام فيها إلى فصول ينحى بكل فصل منها." (٢)

"الكلامي، ولهذا كان بعض علماء المعتزلة " معلمي " بلاغة، كما كان سفسطائي يونان، وعلى هذا النحو يجب ان نفهم دور بشر بن المعتمر وغاية صحيفته، بل أن نفهم دور المتكلمين " لان كبار المتكلمين ورؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء وابلغ من كثير من البلغاء " (١) وقد شهد الجاحظ لثمامة بن أشرس المعتزلي بقوله: " وما علمت أنه كان في زمانه قروي ولا بلدي كان بلغ من حسن الإفهام مع قلة عدد الحروف، ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما قد بلغه. وكان لفظه في وزن إشارته، ومعناه في طبقة لفظه، ولم يكن لفظه إلى سمعك بأسرع من معناه إلى قلبك " (٢) .

وقد قررت صحيفة بشر أشياء ستصبح مشتركة بين نقد الخطابة ونقد الشعر، منها اعتبار اللحظات التي يسمح فيها القول والابتعاد عن الكد والاستكراه، والملاءمة بين **اللفظ والمعنى**، فالمعنى الكريم يحتاج لفظا كريما؛ وليس ذلك بان يكون المعنى من معاني الخالصة وغنما " مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة "، والبليغ التام من استطاع ان يفهم

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٢٤

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٢٧

العامة معاني الخاصة. ثم لابد من الملاءمة بين المعنى والمستعمين، فلكل طبقة كلام ولكل حالة مقام (٣) .
وغدا التناسب بين المعاني والمستمعين هو مدار القول في البلاغة الخطابية، ومنه استمد تعريف البلاغة وإنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال. وهذا المبدأ نفسه هو مدار الصحيفة الهندية: " لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة؟ ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم " (٤) وكذلك ألحت الصحيفة الهندية على

(١) البيان ١: ١٣٩.

(٢) البيان ١: ١١١.

(٣) انظر صحيفة بشر في البيان ١: ١٣٥ – ١٣٩.

(٤) البيان ١: ٩٢ – ٩٣.." [1]

"تأثير الاعتزال في النقاد من غير المعتزلة

وقد كانت هذه الموجة الاعتزالية – من جميع أطرافها – اكبر قوة فاعلة في تطور النقد الأدبي أثناء القرن الثالث، لا بأشخاص وحسب بل من خلالا المتأثرين بها، فقد تناول ابن قتيبة مبادئ صحيفة بشر والصحيفة الهندية من حديث حول **اللفظ والمعنى**، ومراعاة نفسية السامعين، والانقياد إلى اللحظات التي لا يوجد فيها ما يعترض الغريزة أي الحالة النفسية للمنشيء. والتكلف واسماح الطبع. وطبقها جميعا على الشعر، ولكنه لم يقف منها موقف الناقل بل منحها من التحليل والبسط ما رفعها فوق مستوى النصائح الموجزة. وكذلك أخذ المبرد مفهوماته عن الاستعانة والتشبيه والإيماء من المدرسة الاعتزالية ومبادئها البلاغية. وأقبل ابن المعتز على بيان الجاحظ، فاستخرج منه مبحثه في البديع واستعار مصطلحه عن المذهب الكلامي. وهو نوع من البديع نشأ في جو اعتزالي. فإذا أضفت إلى ذلك جهود الجاحظ والناشئ، استبانت لك حقيقة القوة الدافعة الكبرى في نقد القرن الثالث. في تقرير أبعاده وفي تثبيت مصطلحه.

كذلك فإن إلحاح المتأدبين من المعتزلة على اتخاذ الشعر وعاء للمعرفة، كان ذا اثر في توجيه النقد الأدبي، ولكن بطريقة سلبية، إذ صادف ذلك انكسارا في الذوق الأدبي بين الأجيال. وأصبحت الحاجة ماسة إلى نقد يعتمد تبيان الجمال لا المنفعة الثقافية في الشعر. ومن ثم وجدت تلك التلمسات النقدية لتحديد حقيقة الشعر " الجيد ". إذ ليس كل شعر " يعلم " الناس يستحق هذه الصفة، وليس كل شعر " يتعمق " المعاني يصلح أن يسمى شعرا.

وأيا كان الأمر فقد تعددت المحاولات النقدية في القرن الثالث. وتدل الآثار التي وصتنا كاملة أو على شكل نقول متناثرة – أو ذكرت لنا أسماؤها دون أن تصلنا – على إنها تقع تحت فئات متباينة، نميز فيها خمسا:." [2]

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٦٧

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٦٩

"نظرته إلى قضية **اللفظ والمعنى**

وقد ألمح المبرد أثناء اختياره للأشعار إلى موقفه من قضية **اللفظ والمعنى**، غير أنه لم يتناول تلك القضية بشيء من التفسير، فالشعر لديه مستحسن أحيانا لصحة معناه وجزالة لفظه وكثرة ورود معناه بين الناس أو لقرب مأخذه أو لسهولته وحسنه أو لغرابة معناه وجودة لفظه أو لخلوصه من التكلف وسلامته من التزيد. أما الضرورات اللفظية والالتواء في المعاني واستعمال الكلمات الهجينة فذلك هو ما ينكره ويمقته. وواضح من هذا أن المبرد يدور في الفلك النقدي العام في عصره، دون أن يكون ذا بصر نافذ يميزه بين النقاد، ولكنه ابن العصر ومصطلحه هو مصطلح عصره.

عمرو بن بحر الجاحظ (- ٢٥٥)

الشعر مصدر للمعرفة

من الغريب أن الجاحظ وهو يعد أصناف الرواة واستغلالهم للشعر في خدمة أهدافهم من نحو وغريب وشاهد ومثل (١) ، لم يحس أنه وقع في مثل ما وقعوا فيه فاستغل الشعر مصدرا لمعارفه العامة، إذ استمد منه تصوره للخطابة وبعض معلوماته عن الحيوان، بل إنه جاء بأشعار وشرحها لان شرحها يعينه على استخراج ما فيها من معرة علمية، وهو إذا روى الشعر بمعزل هم الاستشهاد فإنما يريده للمذاكرة أو للترويح عن النفس كغيره من نقاد عصره؛ ومع ذلك كله يتميز الجاحظ عن جميع الرواة بل يتميز عن جميع من ألموا بالنقد في القرن الثالث، ومرد هذا إلى طبيعته الذاتية وملكاته وسعة ثقافته. ويأسف الدارس لان الجاحظ لم يفرد للنقد كتابا خاصا أو رسائل، وانه أورد ما أورده من نظرات عرضا في تضاعيف كتبه كالحيوان والبيان والتبيين؛

---

(١) انظر ما سبق ص: ٥٧.." (١)

"الجاحظ، فالناقدان يشتركان في المذهب التوفيقي الذي يريد أن يجعل الجودة مقياسا للشعر دون اعتبار للقدم والحداثة، وفي هذا الصدد يقول أبن قتيبة (١) :

" ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقمه، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل على الفريقين وأعطيت كلا حظه، ووفرت عليه حقه. فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله، ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوما دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثا في عصره وكل شرف خارجية في أوله، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدون محدثين وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: لقد كثر هذا المحدث وحسن، حتى لقد هممت بروايته، ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد عنهم، وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا كالخريمي والعتابي والحسن بن هانئ وأشباههم. فكل من أتى بحسم من قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا به عليه. ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله أو حداثة سنه، كما أن الرديء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٩٤

يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه ". أ. هـ.

أقول: يتفق الناقدان – أبن قتيبة والجاحظ – في هذا الموقف، وأبن قتيبة أبين في التعبير عنه وأكثر إسهابا، ثم يفترقان في مواقف أخرى، لأن الاعتدال عند أبن قتيبة قد بسط ظله على نظرته عامة، ومن أبين الفروق بينهما اختلافهما في النظر إلى مشكلة **اللفظ والمعنى**، فبينا انحاز الجاحظ إلى جانب اللفظ، ذهب أبن قتيبة مذهب التسوية.

---

(١) الشعر والشعراء: ١٠ – ١١.." [١]

"مشكلة **اللفظ والمعنى**

ولهذه القضية ركنان (اللفظ – المعنى) ومميزان (الجودة – الرداءة) ولا بأس أن يتجه أبن قتيبة في هذا نحو المنطق – وإن يكرهه علما – فيجد أن الشعر أربعة أضرب، لا تسمح العلاقة المنطقية – في نظره – بأكثر منها: (أ) لفظ جيد ومعنى جيد (ب) لفظ جيد ومعنى رديء (ج) لفظ رديء ومعنى جيد (د) لفظ رديء ومعنى رديء. وقد استعملنا هنا لفظتي " الجودة والرداءة " وإن كان أبن قتيبة لم يستعملهما وإنما استعمل أحيانا: " ضرب حسن لفظه فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى " أو " ضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه "، ولم يستعمل لفظتين حاسمتين في دلالتهما؛ وإنما فعل ذلك ليكون أبعد عن الحدة التي قد تستشف من قولنا " جيد ورديء " وآثرنا إلزامه بلفظتين لكي لا تضطرب عليه القسمة المنطقية، فالمسألة إذن مسألة صلة بين **المعنى واللفظ**، وعلاقة الجودة في كليهما معا هي المفضلة، وهذا يعني أن المعاني نفسها تتفاوت، وإنها ليست كما زعم الجاحظ " مطروحة في الطريق "، ويستشف من أمثلة أبن قتيبة أن المعنى عنده قد يعني الصورة الشعرية مثلما يعني الحكمة. ولكن هذه الأمثلة نفسها تشير إلى أنه يستمد حكمه من بيت واحد أو بيتين أو ثلاثة في الأكثر. إن قضية " **اللفظ والمعنى** " لم تتناول العمل الأدبي كله بحيث تتطور إلى ما نسميه " الشكل والمضمون "، ولا هي استطاعت أن تقترب مما قد يسمى " الصلة الداخلية " بين هذين، ولعلها كانت ذات أثر بعيد في صرف النقد عن تبين وحدة الأثر الفني في مبناه الكلي، غير أنها رغم ذلك، أسلم من الانحياز السافر إلى جانب اللفظ.." [٢]

"ثنائية الطبع والتكلف

إلى جانب معادلة **اللفظ والمعنى** وقف أبن قتيبة عند قسمة ثنائية في النظرية الشعرية، فقد كثر الحديث في عصره عن الطبع والتكلف، دون تحديد لهذين المصطلحين، فتناولهما أبن قتيبة بالتفسير والتمثيل. وقد خفي على الدارسين المحدثين أن قلة " المصطلح النقدي " لدى أبن قتيبة جعلته يستعمل اللفظتين بمدلولات مختلفة، فالتكلف حين يكون وصفا للشاعر مختلف عن " التكلف " حين يكون وصفا للشعر، تقول شاعر " متكلف " – بكسر اللام – وتعني ما نعنيه حين نقول إنه " صانع " ولهذا يقول أبن قتيبة: " فالمتكلف (من الشعراء) هو الذي قوم شعره بالثقاف ونقحه بطول التفتيش وأعاد فيه النظر بعد النظر كزهير والحطيئة؟ " (١) . ولا نظن أن أبن قتيبة يستر ذل شعر زهير والحطيئة أو يراهما دون من يسميهم "

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/١٠٧

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/١٠٨

الشعراء المطبوعين "، وتقول " شاعر مطبوع " وتعني في ذلك ما نعنيه اليوم بعفوية القول وتدفقه – يقول أبن قتيبة " والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه وفي فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة وإذا أمتحن لم يتلعثم ولم يتزحر " (٢) ؛ وهذا يعني أن الطبع يشمل القول على البداهة مثلما يشمل " الصنعة الخفية " التي لا تظهر على وجه الأثر الفني. فإذا قلت " شعر متكلف " – بفتح اللام المشددة – عنيت ظهور " التفكر وشدة العناء ورشح الجبين وكثرة الضرورات وحذف ما بالمعاني إليه حاجة وزيادة ما بالمعاني غنى عنه " (٣) ، وهذا يقابل ما نسميه " رداءة الصنعة " وليس كذلك شعر المنقحين أمثال زهير والحطيئة، على أن بعض المتكلف من الشعر قد يكون جيدا محكما – في رأي أبن قتيبة – ولكن لا أظنه يعني: ما تكثر

---

(١) الشعر والشعراء: ٢٢.

(٢) نفسه: ٣٤.

(٣) نفسه: ٣٢.." [(١)]

"خلاصة في مميزات أبن قتيبة في النقد

وعلى الرغم من فقر المصطلح النقدي لدى أبن قتيبة فقد تمرس في مقدمته بأكبر المشكلات النقدية التي سيكثر حولها الحديث من بعده، فتحدث عن الشعر من خلال قضية **اللفظ والمعنى**، والتكلف وجودة الصنعة، وعن ضرورة التناسب بين الموضوعات في القصيدة الواحدة وتلاحقها في سياق، واعتمادها على وحدة معنوية تقيم التلاحم و " القران " بين أبياتها، وعن أسباب خارجة عن الشعر أحيانا تمنحه في نفوس الناس منعزلة وقيمة، وعن العيوب الشكلية التي تعتري العلاقات الإعرابية والنغمات الموسيقية والقوافي. وألمح إلى أهمية التأثير في نفسيات الجماهير بالتناسب والمشاركة العاطفية، وتحدث عن الشاعر متكلفا ومطبوعا، وعن المؤثرات والحوافز التي تفعل فعلها في نفسه، وعن علاقة الشاعرية بالأزمنة والأمكنة وعن ثقافة الشاعر، وتفاوت الشعراء في " الطاقة الشعرية "؛ وبذلك كان من أوائل النقاد اللذين لم يتهيبوا الوقوف عند القضايا النقدية الكبرى، كما كان من أبرزهم التفاتا إلى العوامل النفسية والمبنى الفني الكلي؛ وبينا ذهب الجاحظ إلى وضع نظريات لم ينضجها البحث والدرس، وضع أبن قتيبة استنتاجات تدل على خاطر ذوقي نقدي أصيل، كانت كفاء بنقل النقد إلى مرحلة جديدة.

أبو العباس عبد الله بن المعتز (– ٢٩٦)

ناقد انطباعي

لعل ابن المعتز خير مثل الناقد الذي كان يؤمن بقول القائل " أشعر الناس من أنت في شعره حتى تفرغ منه " (١) ، وهو قول كان يعجب ابن قتيبة، لأنه يريح الناقد من المفاضلة أو البحث عن تداول المعنى، ويعبر عن لحظات التحول والتردد في أذواق الناس، ونشوء الميل الآني إلى الشيء، وتجربة صدمة الإعجاب الأول لدى الكشف المفاجئ. " أشعر الناس من

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/١٠٩

(١) الشعر والشعراء: ٢٦.." (١)

"التي عهد عليها واظهر الصباغ ما صبغه على غير الذي عهد قبل، التبس الأمر في المصوغ وفي المصبوغ.. " (١) .

صورة العلاقة بين **اللفظ والمعنى**

وقد يقف النقد المعاصر موقف المخالفة الصريحة والمباينة التامة لرأي ابن طباطبا هذا، ولكنه لابد ان يكبر فيه – من هذه الناحية – شيئين: أولهما هذا التصور الذي لا يختل أبدا لصورة القصيدة في نفسه، وثانيهما هذا الإلحاح الشديد على نوع من الوحدة لا نجده كثيرا عند غيره من النقاد. وحين قلنا إنها وحدة لا تنبعث فيها حركة من نمو كنا نشير إلى هذا المجاز " المعدني " أو " الصباغي " الذي قد استولى على خياله، حتى اضعف لديه صورة مجاز آخر قائم على الحياة النابضة. وذلك هو تصوره للعلاقة بين **المعنى واللفظ** في القصيدة على نحو العلاقة بين الروح والجسد، وهو ينسب هذا الرأي لبعض الحكماء: " والكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه كما قال بعض الحكماء: الكلام جسد وروح، فجسده النطق وروحه معناه " (٢) وذلك تصور يجعل الصلة بين **اللفظ والمعنى** عند ابن طباطبا أوضح مما رسمه ابن قتيبة، على أنه ربما لم يقتصر في العلاقة بينهما على الوجوه الأربعة التي عدها القتبي، لأنه لا يريد ان يلتزم بقسمة منطقية. فهناك أشعار مستوفاة المعاني سلسلة الألفاظ، وأشعار غثة الألفاظ باردة المعنى، وأشعار حسنة الألفاظ واهية تحصيلا ومعنى، وأشعار صحيحة المعنى رثة الصياغة، وأشعار بارعة المعنى قد أبرزت في أحسن معرض وأبهى كسوة وارق لفظ، وأشعار مستكرهة الألفاظ قلقة القوافي رديئة النسج (دون إشارة ما تتضمنه من المعاني) ، مما يشير إلى أن ابن طباطبا يصدر في حديثه عن مستويات مختلفة، وعن تذوق خالص لا علاقة له بالتقسيم المنطقي.

(١) عيار الشعر: ٧٨.

(٢) نفسه: ١١، ١٢١.." (٢)

"عنها ولسانه غير مدرك لها حتى يعتمد دقيق المعاني من فلسفة يونان أو حكمة الهند أو أدب الفرس ويكون أكثر ما يورده منها بألفاظ متعسفة ونسج مضطرب، وإن أتفق في تضاعيف ذلك شيء من صحيح الوصف وسليم النظر – قلنا له: قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة فإن شئت دعوناك حكيما أو سميناك فيلسوفا، ولكن لا نسميك شاعرا ولا ندعوك بليغا، لأن طريقتك ليست على طريقة العرب ولا على مذهبهم، فإن سميناك بذلك لم نلحقك بدرجة البلغاء ولا المحسنين الفصحاء؟ " (١) ؛ فهذا التصوير لا ينطبق على شعر أبي تمام، والمتعسف منه في **اللفظ والمعنى** لا يشمل إلا أبياتا معدودة بشهادة الآمدي نفسه، ولو صح أن أبا تمام كان فيلسوفا أو حكيما لما جازت الموازنة بينه وبين البحتري، ولكانت محاولة الآمدي من أساسها منقوضة لأنها مبنية على الموازنة بين شاعر وفيلسوف.

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/١١٥

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/١٤٠

عمود الشعر نظرية خدمة للبحتري وأنصاره فأبعدت الموازنة عن الإنصاف

وليس من شك في أن الآمدي كان يؤثر طريقة البحتري ويميل إليها. ومن اجل ذلك جعلها " عمود الشعر " ونسبها إلى الأوائل وصرح بأنه من هذا الفريق دون مواربة: " والمطبوعون وأهل البلاغة لا يكون الفضل عندهم من جهة استقصاء المعاني والإغراق في الوصف، وغنما يكون الفضل عندهم في الإلمام بالمعاني واخذ العفو منها كما كانت الأوائل تفعل مع جودة السبك وقرب الماتى، والقول في هذا قولهم وإليه أذهب " (٢) ، وهذا يستتبع أن نسأل: هل يستطيع الموازنة المنصفة من كان لديه مثل هذا الميل ابتداء؟ لقد أتهم الآمدي في القديم بأنه تحامل على أبي تمام، قال أبو الفرج منصور بن بشر النصراني الكاتب: "كان الآمدي النحوي صاحب كتاب الموازنة يدعي (هذه) المبالغات على أبي تمام

---

(١) الموازنة ١: ٤٠١ – ٤٠٢.

(٢) الموازنة ١: ٤٩٦.." [١]

"خضوع الآمدي الذي يحتكم إلى طريقة العرب لمؤثرات أجنبية دون أن يفهمها

ومن غريب أمر الآمدي الذي يبني أكثر نقده على الاحتكام إلى طريقة العرب يستأنس أحيانا بثقافة فلسفية في الحديث عن صناعة الشعر، وهو إنما يعتمد ذلك ليسند مذهبه في إيثار حسن التأليف، قال: " وأنا أجمع لك معاني هذا الباب في كلمات سمعتها من شيوخ أهل العلم بالشعر: زعموا أن صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود وتستحكم إلا بأربعة أشياء وهي: جودة الآلة وإصابة الغرض المقصود وصحة التأليف، والانتهاء إلى تمام الصنعة من غير نقص فيها ولا زيادة عليها، وهذه الخلال الأربع ليست في الصناعات وحدها بل هي موجودة في جميع الحيوان والنبات " (١) ؛ ثم يذكر أن كل محدث مصنوع يحتاج إلى أربع علل: علة هيولانية وعلة صورية وعلة فاعلة وعلة تمامية، فإذا طبقنا هذا على الشعر: كانت العلة الهيولانية هي الآلة أو المادة (أي الألفاظ) ثم تكون إصابة الغرض هي العلة الصورية، ثم تكون صحة التأليف مقابلة للعلة الفاعلة، فإذا انتهى الصانع إلى تمام صحته من غير نقص منها ولا زيادة عليها فتلك علة تمامية، وعلى هذا " فصحة التأليف في الشعر وفي كل صناعة هي أقوى دعائمه (بعد صحة المعنى) ، فكل من كان أصح تأليفا كان أقوم بتلك الصناعة ممن أضطرب تأليفه " (٢) ، وغير خاف أننا لا نستطيع مناقشة الآمدي في هذا التشبيه الذي استمده من الفلسفة، لأنه لم يفهمه، فالعلتان الأولى والثانية (الهيولانية والصورية) تقابلان في الشعر ما أطلق عليه نقاد العرب أسمي (**اللفظ والمعنى**) أما العلة الفاعلة فهي " قوة الخلق " التي تجعل من الاتصال بين الهيولي والصورة تفردا يميز بين قوام وقوام، وأما العلة التمامية، فهي إن صدقنا الآمدي في استعمال المصطلح تساوي العلة الغائية.

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/١٦٢

(١) الموازنة ١: ٤٠٢.

(٢) الموازنة ١: ٤٠٥.." (١)

"بوصف النثر في المنزلة الثالثة من الكتاب (١) ، روى أبو حيان عن علي بن عيسى الوزير أنه قال: " عرض على قدامة كتابه سنة عشرين وثلاثمائة، واختبرته فوجدته قد بالغ وأحسن وتفرد في وصف فنون البلاغة في المنزلة الثالثة بما لم يشركه فيه أحد من طريق **اللفظ والمعنى**، مما يدل على المختار المجتبى والمعيب المجتنب، ولقد شاكه فيه الخليل بن أحمد في وضع العروض، ولكني وجدته هجين اللفظ ركيك البلاغة في وصف البلاغة حتى كأن ما يصفه ليس ما يعرفه، وكأن ما يدل به غير ما يدل عليه " (٢)

وهذه الثقافة نفسها هي التي جعلته يشارك في النقد الأدبي، إذ لا تكاد تشك في أن المنزلة الثالثة من كتاب الخراج إنما كتاب صدى لكتاب أرسطو في الخطابة، وإن استكماله لمراحل المنطق الأرسطاليسي (وكتاب الشعر مرحلة أخيرة فيه) هو الذي جعله يقوم بتأليف كتابه " نقد الشعر "، وأنه بحكم هذه الثقافة نفسها كان منحازا إلى تقدير " المعنى "، ولذا ألف كتابه " الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام " (٣) ؛ ولكن يجب ألا ننسى أن صلته بثعلب وأمثاله من علماء القرن الثالث، هي التي وضعت في يديه المادة الأدبية الصالحة لسند آرائه النظرية.

عدم إطلاع قدامة على نقد القرن الثالث

ويبدو أن قدامة لم يعرف شيئا عن كتاب " نقد الشعر " للناشئ، ولم يطلع على كتاب " عيار الشعر " لأبن طباطبا، لأنه يصرح بأنه لم يجد " أحدا وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتابا " (٤) ثم يقول: " فأما علم جيد الشعر من رديئه فإن الناس يخبطون في ذلك منذ تفقهوا في العلم، فقليلا ما يصيبون؛ ولما وجدت الأمر على ذلك وتبينت أن الكلام في هذا

---

(١) الإمتاع ٢: ١٤٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ياقوت ١٧: ١٣.

(٤) نقد الشعر: الصفحة الأولى.." (٢)

"على المنطق. ولذا فإن قدامة وقع حيرة من أمرها. حين أراد أن يستكشف ائتلافها مع هذه العناصر. لأنها ليست وحدة قائمة بذاتها، ثم وجد – على سبيل التسامح – إنها يمكن أن تقع مؤتلفة مع المعنى. ومن ثم يتجه الحديث في الشعر إلى عناصره البسيطة (اللفظ – المعنى – الوزن – القافية) – ثم ينجه إلى المركبات (**اللفظ والمعنى** – اللفظ والوزن – المعنى والوزن – المعنى والقافية) فهذه ثماني وحدات: قسمة منطقية (أسعف فيها شيء من التساهل في أمر القافية) إلا أنها يجب

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/١٧١

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/١٩٠

أن تعتمد أساسا ثنائيا، لأن كلا من العناصر البسيطة والمركبة قد يكون جيدا وقد يكون رديئا، ولهذا كانت هذه الوحدات في حالتي الإيجاب والسلب ست عشرة.

صورة موجزة لكتاب نقد الشعر

ويظل الحديث عن عناصر: اللفظ، والوزن، والقافية، وعن ائتلاف اللفظ والوزن وائتلاف المعنى والقافية (وهو مفتعل) أمرا سهلا ليس فيه تعقيد في حلي الوجوب والسلب أو الجودة والرداءة.

١ – فاللفظ يجب أن يكون سمحا سهل مخارج الحروف من مواضعها. عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة (١) وعيوبه أن يكون ملحونا وجاريا على غير سبيل الإعراب واللغة وحشيا قائما على المعاظلة.

٢ – والوزن يكون سهل العروض. فيه ترصيع. وعيوبه الخروج عن العروض والتخليع.

٣ – والقافية تكون عذبة الحرف سلسة المخرج فيها ترصيع، وعيوبها هي العيوب القديمة من إقواء وتخميع وإبطاء وسناد.

٤ – وائتلاف اللفظ والوزن أن تكون الأسماء والأفعال في الشعر

---

(١) نقد الشعر: ١٠.." (١)

"الأنباري فجمع أبياتا اختارها من شعر أبي الطيب واقترح عقد جلسة ثالثة، حضرها – فيما زعم الحاتمي – السيرافي والرماني وأبو الفتح المراغي وأبو الحسن الأنصاري المتكلم وغيرهم من أعلام أهل العلم والأدب، وكان علي بن هارون فيهم من أنصار الحاتمي. ثم كان المجلس الرابع باقتراح المهلبي نفسه ليتم التفاوض بين الحاتمي وأبي الطيب في شعر الطائيين.

التفاوت بين المجالس الأربعة

ومع أن الكشف عن السرقات هو الظاهرة المشتركة بين جميع المجالس، فإن هناك تفاوتا واضحا فيما بينها، يدل على تصميم مدروس تقتضيه طبيعة التأليف، وتبعد عن الواقعية التاريخية؛ حتى الجلسة العفوية الأولى لم تظل كذلك، بل عاد عليها الحاتمي بالترتيب والتنسيق، والتقديم والتأخير، وحشد الآراء في تضاعيف الهجوم، ومما يدل على هذا، ذلك الاختلاف بين نص الموضحة في شكلها الأخير وبين النص الذي أورده ياقوت، وهو قد نقله كما وجده.

ويتميز المجلس الأول بوضع القواعد النقدية وشرحها وإيراد الأمثلة عليها ومدى مباينة أبي الطيب في بعض شعره لها. هنالك يضع الحاتمي حد الشعر: " حدود الشعر أربعة وهي اللفظ والمعنى والوزن والتقفيه. ويجب أن يكون ألفاظه عذبة مصطحبة ومعانيه لطيفة واستعاراته واقعة وتشبيهاته سليمة وأن يكون سهل العروض رشيق الوزير متخير القافية، رائع الابتداء بديع الانتهاء " (١) . ويوضح الحاتمي ان التفاوت بين الأبيات عيب كبير يشبه ما عابه النقاد القدامى من انعدام القران؛ فهو يقر لأبي الطيب بأنه يحسن في الصياغة والمعاني إحسانا لا يجهله نقاد الكلام وأرباب البيان " إيجازا في عبارته وإبداعا في نظمه وصوابا في معناه وسلامة في لفظه " ولكنه يشفع ذلك بأبيات

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/١٩٢

(١) الموضحة: ٢٥.." (١)

"أكل الدهر حل وارتحال ... أما يبقي علي ولا يقيني (١) أما المجلس الثاني – وهو قصير نسبيا – فقد تضمن إلى جانب الحديث في السرقة حديثا عن الخطأ في المعاني، ومن المضحك أن يقول الحاتمي على لسان أبي الطيب: " من أبو تمام والبحتري؟ ما اعلم أني سمعت بذكرهما إلا من هذه الحاضرة " فيكون المجلس الرابع محاولة لإثبات مدى اعتماده في السرقات على شعر هذين الشاعرين. أما الثالث فيثبت قدرة الحاتمي على تزييف ما يعده أصحاب المتنبي من أبكار معانيه وعلى رده إلى المصادر التي سرق منها؛ وهنا يبلغ الحذق في تبيان السرقة ذروته، ولذا اقتضى المقام شرح نظرية الحاتمي في السرقات ومن ثم جعل المتنبي يحتج عليه بان "كلام العرب آخذ بعضه برقاب بعض. وآخذ بعضه من بعض والمعاني تعتلج في الصدور وتخطر للمتقدم تارة وللمتأخر تارة أخرى. والألفاظ مشتركة مباحة. وهذا أبو عمرو ابن العلاء سئل عن الشاعرين يتفقان في **اللفظ والمعنى** مع تباين ما بينهما وتقاذف المسافة بين بلادهما فقال: تلك عقول رجال توافت على ألسنتها، وبعد فمن هذا الذي تعرى من الاتباع، وتفرد بالاختراع والابتداع " (٢) فيرد عليه الحاتمي بقوله: " أما قولك عن المعنى يعتلج في الصدر فيخطر للمتقدم تارة وللمتأخر أخرى وان الألفاظ مشتركة فليس الأمر كما تخيلته ولا الكلام كله مشترك، ولا أن الأول ليس بأولى به من الآخر، ولو كان كذلك لسقطت فضيلة السابق ولبطلت مهلة المتقدم ولما قدمت شعراء الجاهلية على شعراء الإسلام، وقدم الصدر الأول من الإسلاميين على الصدر الأول من المحدثين؛ وإنما حكم لهم بالفضل وسلم إليهم خصله من اجل ما ابتدعوه من المعاني وسبقوا إليه من الاستعارات وابتكروه من التشبيهات الواقعة والأمثال الشاردة. وذللوه من طرق الشعر

---

(١) الموضحة ٩٤ – ٩٥.

(٢) نفسه: ١٤٣.." (٢)

"وقال ابن جني في شرح البيت:

وترى الفضيلة لا ترد فضيلة ... الشمس تشرق والسحاب كنهورا " أي إذا رأتك هذه المرأة رأت منك الفضيلة مقبولة غير مردودة، كالشمس إذا كانت مشرقة والسحاب إذا كان كنهورا، وهي القطع من السحاب العظام، يرد وضوح أمره وسعة جوده " (١) .

ويرد عليه أبو القاسم الأصفهاني صاحب كتاب " الواضح في مشكلات شعر المتنبي " بقوله: " وأية أبي الفتح بضم التاء ولا يصح للبيت معنى على هذا، وإنما الرواية الصحيحة التي قالها المتنبي " لا ترد " – بفتح التاء – ومعنى البيت: أن فضيلتك في علوم العرب لا ترد فضلك في علوم العجم لتناسب الفضائل كما أن الشمس تشرق في أفق من السماء والسحاب في

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٢٦٥

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٢٦٨

أفق آخر؟ " (٢) ، وهو تفسير أنسب للسياق من تفسير أبن جني، وكما أخذ الشراح على أبن جني انصرافه عن إدراك بعض المعاني أخذوا عليه أيضا إسرافه أحيانا في إيراده مسائل نحوية يستهلك فيها جهده ويغفل عن شرح **اللفظ والمعنى**، وكذلك شكوا في قوله عند بعض المسائل المحيرة " بهذا أجابني المتنبي عند الاجتماع (به) " (٣) .

---

(١) لم يرد هذا الشرح كذلك في الفسر الموجز وإنما فيه " وترى فضائل مثل الشمس والسحاب أي نيرة مشرقة بارزة؟ الخ " وإنما النقل هنا عن شرح ابن جني لأبيات المعاني.

(٢) الواضح في مشكلات شعر المتنبي، الورقة: ١٦؛ (ص: ٥٣) وخلاصة رأي أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني في المتنبي انه " سريع الهجوم على المعاني، ونعت الخيل والحرب من خصائصه، وما كان يراد طبعه في شيء مما يسمح به، يقبل الساقط الرد كما يقبل النادر البدع، وفي متن شعره وهي وفي ألفاظه تعقيد وتعويص (ص: ٢٧ - ٢٨) وهو يقيم نظرته إلى الشعر عامة على إيمانه بان (المعاني مطروحة نصب العين وتجاه الخاطر يعرفها نازلة الوبر وساكنة المدر " مرددا فكرة الجاحظ.

(٣) الواضح، الورقة: ١١ (ص: ٣٦ - ٣٧) وأنظر أيضا ص: ٧٨.." [1]

"كتاب المنصف لابن وكيع فقد رجحنا أن يكون مما ألف بعد سنة ٣٨٠ وإذا كان الجرجاني قد أطلع عليه، فيكون تاريخ الوساطة مما تأخر تأليفه، وهنا قد يجوز لنا أن نفترض أنه ألف بعد وفاة الصاحب، ولدينا في المنصف نص يكاد يتكرر في الوساطة، ففي المنصف عند قول المتنبي:

جللا كما بي فليك التبريح ... أغذاء ذا الرشأ الأغن الشيح " هذا بيت فيه عيوب منها: حذف النون من يكن لأنها قوية بالحركة اللازمة لالتقاء الساكنين، وعيب آخر أنه حذفها مع الإدغام وهذا غير معروف، لأنه قيل في بني الحارث بلحارث ولم يقل في بني النجار بلنجار، وها هو قد قال: فليك التبريح فحذف مع الإدغام، ولم يكن علمه بالعربية طائلا؟ وفي البيت عيب ثالث: وهو تباعد نصفه من نصفه حتى لا جوار بينهما فضلا عن المناسبة ولا تعلق لهما بشيء غير المقارنة " (١) وقال الجرجاني: " فمما أنكره عليه أهل العلم واستضعفوه قوله (جللا كما بي؟ البيت) فقال أهل الإعراب: حذف النون من تكن إذا استقبلها اللام خطأ؟ وأنكر أصحاب المعاني قطع المصراع الثاني عن الأول في **اللفظ والمعنى؟** " (٢) فإذا لم يكن هذا محصولا عاما للنقد الذي دار حول المتنبي في دور مبكر ثم أخذه الجرجاني وأبن وكيع، كل على حدة، فإن أحد الرجلين قد أخذ من الآخر، وليس القول بأسبقية المنصف أحق بالقبول من القول بأسبقية الوساطة في الزمن.

---

(١) المنصف: ١٦٠/ب - ١٦١ كى أ.

(٢) الوساطة: ٤٤١.." [2]

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٢٨٦

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٣١٤

"بأنه لا يسمح لنفسه ولا لغيره البت في الحكم بالسرقة، فربما قيل إن هذا الشاعر أخذ هذا المعنى من فلان، ولم يكن سمع بفلان هذا ولا معناه؛ وكان حقيقا بهذين الناقدين الكبيرين ان يطرحا هذا الموضوع من أبواب النقد، ولكنهما انساقا وراء العرف الجاري، وما كانا يدركان أن السرقة ستصبح على يد ابن وكيع والعميدي وأضرابهما هي المحك الأكبر الذي يرتفع به الشاعر أو يسقط.

ولهذا الانسياق وراء العرف وجدنا القاضي الجرجاني يجعل الاهتداء إلى السرقة وتمييز صنوفها من عمل جهابذة الكلام ونقاد الشعر الذين يستطيعون (أن يميزوا بين السرق والغصب والإغارة والاختلاس والإلمام والملاحظة، والمشترك الذي لا يجوز ادعاء السرق فيه، والمبتذل الذي ليس أحد أولى به، وبين المختص الذي حازه المبتدئ فملكه، وأحياه السابق فاقتطعه، فصار المعتدي مختلسا سارقا والمشارك له محتذيا تابعا؟ " (١) .

فأما المعاني المشتركة التي لا تجوز نسبة السرق إلى صاحبها فمثل التشبيهات المتداولة المبتذلة كتشبيه الجواد بالغيث والبحر والبليد البطيء بالحجر والحمار، ومثل ما كثر تداول من تشبيهات القدماء كتشبيه الطلل المحيل بالخط الدارس. والظعن المتحملة بالنخل، وعلى هذا فالمشترك نوعان: (١) نوع عام يعرفه كل إنسان معرفة بديهة (٢) ونوع عم بعد تخصيص، سبق إليه شاعر قديم (كتشبيه آثار الدار بالخط الدارس) ثم كثر تداوله نفسه بلفظ أعذب من لفظ، وترتيب احسن من ترتيب، وزيادة اهتدى إليها واحد دون الآخر، فيقع التفاضل حتى في هذه المعاني.

وقد يكون السرق باجتماع **اللفظ والمعنى** ونقل البيت أو المصراع وهذا

---

(١) الوساطة: ١٨٣.." [(١)]

"وواقعا حيث وقع من البخل، أن يقف على طلب خاتمه، والخاتم أيضا ليس مما يخفى في الترب إذا طلب ولا يعسر وجوده إذا فتش " ثم قال: " وقد ذهب المحتجون عنه في الاعتذار له مذاهب لا أرضى أكثرها، وأقرب ما يقال في الإنصاف ما أقوله عن شاء الله تعالى: أقول عن التشبيه والتمثيل قد يقع تارة بالصورة وتارة بالصفة وأخرى بالحال والطريقة، فإذا قال الشاعر – وهو يريد إطالة وقوفه – إني اقف وقوف شحيح ضاع خاتمه لم يرد التسوية بين الوقوفين في القدر والزمان والصورة، وإنما يريد لأقفن وقوفا زائدا على القدر المعتاد خارجا عن حد الاعتدال، كما ان وقوف الشحيح يزيد على ما يعرف من أمثاله، وعلى ما جرت به العادة في إضرابه " (١) .

كتاب الوساطة يرمز إلى اكتمال القضايا النقدية

ذلك هو " الوساطة " مثل فذ على نزاهة الحكم، وقد أصبح لاعتداله مصدرا جامعا لعيوب المتنبي ومحاسنه؛ ويبدو من حشد المؤلف لأهم الآراء النقدية السابقة أن القضايا النقدية الكبرى قد استدارت واكتملت؛ صحيح عن الجرجاني لم يتعرض لبعض القضايا الهامة مثل العلاقة بين **اللفظ والمعنى**، ولا استطاع أن يضع مقاييس إيجابية للجودة كالتي وضعها ابن طباطبا وقدامة، ولكن وقفته أمام القضايا التي عرض لها تدل على أن النقد العربي أصبح بحاجة إلى منافذ جديدة، فغن

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٣٢٥

لم يستطع الاهتداء إليها أخذ يدور على نفسه.

لماذا لم يحل كتاب الوساطة المشكلات حول المتنبي

ومع أن الموازنة استطاعت – على نحو تقريبي – أن يختم الصراع حول أبي تمام والبحتري، فإن الوساطة عجزت عن أن تكون الجواب الشافي في موقف الخصوم والأنصار من المتنبي، وليس السر في الكتابين وإنما هو في الظروف، فبعد ظهور كتاب الآمدي ظهر المتنبي فشغل الناس عن المعركة الأولى وحول أنظار النقاد إلى معركة جديدة، ولكن لم يظهر بعد

---

(١) الوساطة: ٤٧١.." (١)

"تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها من الوجيب والقلق وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها؟ " (١) ؛ إلا ان الخطابي يلمح تنوع هذا الأثر وتردده بين إثارة البهجة وإثارة الخوف والفزع عن طريق الائتلاف بين الثلاثة: **المعنى واللفظ** والرباط الناظم، وليس هو تأثيرا مستمدا من التشبيه أو الاستعارة أو ما أشبه من نكت بلاغية.

الباقلاني والإعجاز

وتعد جهود الرماني والخطابي على هامش النقد الأدبي إذا هي قيست بجهد الباقلاني (– ٤٠٣) لأنه الوحيد الذي استطاع أن يفيد إفادة تفصيلية من جهود النقاد السابقين، وأن يطور أثناء بحثه لقضية الإعجاز بعض النواحي النقدية.

فبعد أن أطلع على الجاحظ وابن قتيبة وابن المعتز وقدامة والآمدي اتضح لديه أن فكرة الإعجاز لدى نقاد الأدب قد سارت في طريقين (وتعددت تعليلات الإعجاز من طرق أخرى غير الطريقة الأدبية) : إحداهما الطريق التي سار فيها ابن المعتز وقدامة وتبعهما فيها الرماني وهي تعليل الإعجاز عن طريق البديع، أو دراسة الصور البيانية في القرآن، وكان ابن قتيبة قد ألم بأطراف هذه الطريقة في كتابه " مشكل القرآن "، وأما الطريقة النقدية الثانية فهي مذهب القائلين بالنظم والتأليف وهي طريقة الجاحظ والآمدي وفيها سار الخطابي عندما تحدث عن الإعجاز، وكان الجاحظ قد ألف في فكرة الإعجاز كتابا سماه " نظم القرآن ".

---

(١) ثلاث رسائل: ٦٤.." (٢)

"تسرق، وزاد قوله إنه يجب ألا يحكم الناقد لمعنى من المعاني بالسبق والتفرد لأنه لا يأمن أن يكون هذا المعنى قد ورد في شعر لم يبلغه " فإن الخواطر لا تضبط ولا تحصر، ومن ذا الذي يحيط علما بكل ما قيل وسط وذكر " (١) .

وإذ نجد نقادا مثل ابن شرف يلتمسون كل وسيلة لإلصاق الخطأ بالشاعر نجد الشريف المرتضى ميالا إلى التساهل لان الشاعر لا يبني كلامه على التحقيق والتحديد " وكلام القوم مبني على التجوز والتوسع والإشارات الخفية والإيماء على

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٣٣٥

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٣٤٥

المعاني تارة من بعد وتارة من قرب، لأنهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة وأصحاب المنطق، وإنما خاطبوا من يعرف أوضاعهم ويفهم أغراضهم " (٢) .

الاختلاف حول مشكلة اللفظ والمعنى

ومع أن اكثر نقاد القرن الخامس يميلون إلى التوفيق بين اللفظ والمعنى فإنك تجدهم في حيرة شديدة من أمرهم لأنهم لم يهتدوا إلى قاعدة صحيحة تنجيهم من التردد، فالمرتضى يقول: " وحظ اللفظ في الشعر أقوى من حظ المعنى " (٣) ، وأخوه الرضي يقول: " إن الألفاظ خدم للمعاني لأنها تعمل في تحسين معارضها وتنميق مطالعها " (٤) ، والمرزوقي ينادي بائتلافهما، وابن رشيق يدرك انقسام الناس حولهما، ثم تجده يقول: " وأما ابن الرومي فأولى الناس باسم شاعر لكثرة اختراعه وحسن افتنانه " (٥) ، حتى إذا أخذ في النقد كان ميله إلى ناحية الشكل أظهر؛ ويمثل ابن الرومي مشكلة يتباين حولها الرأي، فبينا يعتبر ابن رشيق من المعجبين به لكثرة اختراعه

---

(١) طيف الخيال: ٨٩.

(٢) أمالي المرتضى ٢: ٩٥.

(٣) الشهاب: ٧٩.

(٤) التلخيص: ٢٤٤.

(٥) العمدة ١: ١٩٤.." [1]

"نجد المرتضى يعد أن طريقته مخالفة للطريقة الصحيحة لأنه " يورد المعنى ثم يأخذ في شرحه في بيت آخر وإيضاحه وتشعيبه وتفريعه، فربما اخفق واكدى وربما أصاب فأصمى، لأن الشعر إنما تحمد فيه الإشارة والاختصار والإيماء إلى الأغراض وحذف فضول القول " (١) ، ويمكن القول بأن نقاد القرن الخامس قد أكدوا استكشاف ابن الرومي بعد أن نسيه الناس لانشغالهم بالحديث عن البحتري وأبي تمام والمتنبي (٢) . وعلى الجملة تغلب أنصار نظرية الائتلاف بين اللفظ والمعنى، وفي ظل فكرة الإعجاز دفع عبد القاهر بنظرية الائتلاف إلى نهايتها تحت اسم " النظم ".

استقواء التيار الأخلاقي

ونجم عن اللامسئولية العابثة في ميدان الشعر استقواء تيار أخلاقي في النقد، وبخاصة حيث اقترن الشعر بالفقه أو اقترن بالفلسفة الأفلاطونية في الأندلس. وفي مثل هذا الجو النقدي يتجلى لنا أن محاولة ابن سينا في توضيح "كتاب الشعر " لأرسطو، ما كان في إمكانها أن تثير شيئا جديدا، حتى ولو فهمت آراء ارسطو فهما مقاربا للأصل؛ لقد كان يمكن لابن حزم الأندلسي أن يفيد من هذا الكتاب، لو وصله أو لم فهمه، ولكن يبدو انه لم ير هذا الكتاب، أو انه رآه فاستبعد انطباقه على الشعر العربي.

اتساع المجال الجغرافي في نقد القرن الخامس

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٣٧٠

وأيا كان الأمر فإن الناظر إلى النقد الأدبي في القرن الخامس يجد ان المجال الجغرافي أمامه قد اتسع، غذ شاركت فيه الأندلس والقيروان بنصيب؛ وأنه شهد قالبا قد نعده جديدا - إذا استثنينا المقامة الجاحظية للبديع - وهذا هو " المقامة النقدية " - وهي شكل يدل على الضيق بالتحليل ويحاول إيجاز النظرات العامة وترسيخها في نفوس الدارسين؛ ولا ريب في أن بعض

---

(١) الشهاب: ٣٩.

(٢) قد اعتنى الخالديان بشعر ابن الرومي واختيراه في القرن الرابع.." (١)

"- ٢ -

نظرية عمود الشعر في صورتها المكتملة

حين كتب المرزوقي (- ٤٢١) مقدمة على شرحه لحماسة أبي تمام كانت القضايا التي يود أن يعالجها واضحة تمام الوضوح أمام عينيه، مثلما كان تمثله للنظريات النقدية التي تصدى لها نقاد القرن الثالث والرابع تمثيلا دقيقا سليما، ولذلك كتب في النقد الأدبي مقالة عن نظيرها، تنم عن ذكاء فذ وفكر منظم.

المشكلات النقدية الكبرى

لقد رأى المرزوقي أن المشكلات التي تسمح له بالخوض فيها مقدمة موجزة على شرح مجموعة من الشعر لا تتعدى ثلاثا كبرى، تتفرع عن كل منها فروع: الأولى: مشكلة **اللفظ والمعنى** وأنصار كل منهما، والثانية: مشكلة الاختيار، والثالثة: مشكلة العلاقة بين النظم والنثر. وكان قد أطلع على مشكلة العلاقة بين النظم والنثر. وكان قد اطلع على آراء ابن قتيبة وابن طباطبا وقدامة والجرجاني (وربما الآمدي) ، ولا استبعد ان يكون قد قرا الصاحبي لابن فارس، ولكنه لم يأخذ من آرائهم إلا ما تفرضه حدود موضوعه، وتجنب كثيرا من آرائهم القيمة لأنه لا يريد أن يتجاوز ما رسمه لنفسه.

وربما بدا لأول وهلة أن المرزوقي عاد يكرر الثنائيات السابقة: من مثل **اللفظ والمعنى** والصدق والكذب والطبع والتكلف، وما اشبه، ولكن هذه الثنائيات كانت تقتضيها طبيعة مقدمته أولا، ثم إنه لم يمض عنها حيث تركها." (٢)

"أنصار المعنى

أما أصحاب المعاني فهم الذين يفضلون أن ينقلوا آثار عقولهم أكثر من اهتمامهم بالشكل، ليستفيد المتأمل، ولذلك " طلبوا المعاني المعجمة من خواص أماكنها، وانتزعوها جزلة عذبة حكيمة ظريفة أو رائقة بارعة فاضلة كاملة لطيفة شريفة زاهرة فاخرة، وجعلوا رسومها ان تكون قريبة التشبيه لائقة الاستعارة صادقة الأوصاف لائحة الأوضاع خلابة في الاستعطاف عطافة لدى الاستنفار مستوفية لحظوظها عند الإسهام من أبواب التصريح والتعريض والإطناب والتقصير والجد والهزل والخشونة والليان والإباء والإسماح، من غير تفاوت يظهر في خلال أطباقها ولا قصور ينبع من أثناء أعماقها؟ الخ " (١) ؛ ومحصل موقف المرزوقي انه لا بد من الائتلاف بين **اللفظ والمعنى** ائتلافا تاما. ولكن الشعر - دون النثر - ليس معنى

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٣٧١

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٣٩٨

ولفظا وحسب، بل هو كما قال قدامة " لفظ موزون مقفى يدل على معنى " وإذن ففيه عنصران آخران يجعلان الكلف فيه أشد ولابد من مراعاتهما عند النقد كما يراعى جانب **اللفظ والمعنى**.

وواضح من هذا التصوير لجانبي **اللفظ والمعنى** ان المرزوقي في قسمته لمراتب النظم لم ينتبه إلى أن كل معنى قد يمكن التعبير عنه في ثلاثة أنواع من المبنى، وأنه لو سئل هذه المباني أشد وفاء بالمعنى لم يستطع الإجابة أو لتهرب منها باللجوء إلى اختلاف الأذواق.

عمود الشعر

وإذا كان الحال كذلك رأيناه يسرع إلى تحديد عمود الشعر " ليتميز تليد الصنعة من الطريف "، وقديم نظام القريض من الحديث؟ ويعلم فرق ما بين المصنوع والمطبوع " (٢) ؛ وقد عاد إلى العناصر التي عدها الآمدي

---

(١) شرح الحماسة ١: ٧.

(٢) شرح الحماسة١: ٨ – ٩.." [١]

"حملته على المنحازين إلى اللفظ

كانت الرواقد النقدية التي التقت في ذهن الجرجاني متعددة ولعلها كانت تبدو له متضاربة، كما تعددت وتضاربت الآراء حول فكرة الإعجاز نفسها، فقد أزعجه أولا أن يرى ذلك التقدير للألفاظ وتقديمها على المعاني عند من سبقه من النقاد، حتى إنهم جعلوا للفظة المفردة مميزات وصفات لم يستطع أن يتقبلها ذهنه المتمرس بتفاوت الدلالات، وقيمة التعبير عن ذلك التفاوت، وكان يحس بوعي نقدي فذ أن ثنائية **اللفظ والمعنى** التي تبلورت عند ابن قتيبة قد أصبحت خطرا على النقد والبلاغة معا: أما على المستوى النقدي فإن الانحياز إلى اللفظ قتل " الفكر " الذي يعتقد الجرجاني انه وراء عملية أدق من الوقوف عند ميزة لفظة دون أخرى؛ وأما على المستوى البلاغي فإن الجرجاني لم يستطع أن يتصور الفصاحة في اللفظة وإنما هي في تلك العملية الفكرية التي تصنع تركيبا من عدة ألفاظ (١) ؛ وقد يجد الجرجاني عذرا للقدماء الذين أقاموا تلك الثنائية ففخموا شأن اللفظ وعظموه وتبعهم في ذلك من بعدهم حتى قالوا: المعاني لا تتزايد وغنما تتزايد الالفاظ، وعذرهم في ذلك أن المعاني تتبين بالألفاظ ولا سبيل لمن يرتبها إلى أن يدلنا على ما صنع في ترتيبها إلا بترتيب الألفاظ، لهذا تجوز القدماء فكنوا عن ترتيب المعاني بترتيب الألفاظ نفسها، ثم تحدثوا عن الألفاظ وحذفوا كلمة " ترتيب " ثم اسبغوا على الألفاظ صفات فارقة فقالوا: لفظ متمكن ولفظ قلق؟ الخ وإنما مقصودهم المعنى (٢) ؛ ورغم هذا العذر الذي يجده للأقدمين فإنه يرى ان النقاد قد تورطوا في الجهل الفاحش حين لجأوا إلى هذه القسمة أو حين احتموا بذلك التصور، وأصبح اقتلاعه من نفوسهم أمرا عسيرا، وعاب ابن قتيبة – دون أن يسميه – لأنه قسم الشعر في أنواع: منه ما حسن لفظه ومعناه ومنه ما حسن لفظه دون معناه ومنه ما حسن معناه دون لفظه،

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٤٠٤

(١) دلائل الأعجاز: ٤٢ - ٥٣.

(٢) المصدر نفسه: ٥٢.." (١)

"صنعته وجودتها نظرت إلى الخاتم من حيث انه خاتم، ولم تنظر إلى الفضة أو الذهب الذي صنع منه، فهذه المادة الأولية تشبه المعنى المطروح وليس فيها تفاضل عن شئت أن تحكم على جودة الصنعة نفسها، ولهذا قال الجاحظ بعد أن أورد رأيه في شيوع المعاني (وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وصحة الطبع وكثرة الماء وجودة السبك، وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير " (١) ؛ وإنما الذي دعا الجاحظ وإضرابه إلى تبني هذا المذهب خوفهم على فكرة الإعجاز: فلو أن الفضل كان قاصرا على تلك " المادة الأولية " التي سميت " معنى " بطل أن يكون " لنظم " فضل تتفاوت به المنازل " وإذا بطل ذلك فقد بطل أن يكون في الكلام معجز وصار الأمر إلى ما يقوله اليهود " (٢) . أي أصبح الإعجاز أن يحتوي الكلام على حكمة وأدب واستخراج معنى غريب أو تشبيه نادر، وفي هذا تسوية بين القرآن وأية مهارة ذهنية إنسانية.

وعلى أساس هذا التفسير يكون الناس الذين ظنوا أن " المعنى " في نظرية الجاحظ يشير إلى عدم التفاوت في " العملية الفكرية " القائمة وراء البناء الفني، قوما مخطئين في تصورهم، فهم قد أساءوا فهم ما رمى إليه الجاحظ، لانهلم يتجاوز بما يعنيه " المادة الاولية " التي تتولاها " الروية " بالصياغة، فخلطوا - بذلك - بين تلك المادة الضرورية المشاعة وبين " الروية " الفكرية التي تؤسس " وحدة كاملة " من **اللفظ والمعنى** تأسيسا متفاوتا في القدرة على التأثير، فرجعوا الفضيلة إلى اللفظ وحده " ولما أقروا هذا في نفوسهم حملوا كلام العلماء في كل ما نسبوا فيه الفضيلة إلى اللفظ على ظاهره، وأبوا ان ينظروا في الأوصاف التي اتبعوها نسبتهم الفضيلة إلى اللفظ؟.. ولكن جعلوا كالمواصفة بينهم ان يقولوا اللفظ وهم يريدون

(١) دلائل الإعجاز: ١٨١.

(٢) المصدر نفسه: ١٨٢.." (٢)

"الصورة التي تحدث في المعنى والخاصة التي حدثت فيه، ويعنون الذي عناه الجاحظ حيث قال: وذهب الشيخ إلى استحسان المعاني والمعاني مطروحة وسط الطريق؟ الخ " (١) فالذي يعنيه الجاحظ وأمثاله هو تلك " الصورة " لا مجرد اللفظ نفسه.

إلى أي مدى يصح تصور الشعر كالصياغة أو إلا برسيم

لقد لجا عبد القاهر كثيرا، وهو يشرح هذه الفكرة حول " الصورة " المجتمعة من **اللفظ والمعنى**، إلى التمثيل عليها ومقايستها بعملية الصياغة أو بالوشي والابرسيم ولكنه كان في كل مرة متنبها إلى ما تجره هذه المقايسة من تضليل، فالذي يتصور الشعر صياغة قد يرستم في ذهنه أن الصائغين يصنعان سوارين لا يكون الفرق بينهما واضحا، فهل يمكن أن يحدث مثل

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٤٢٢

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٤٢٤

ذلك في " النظم "؟ ويجيب عبد القاهر على هذا التساؤل بتقرير مبدأ التفاوت دائما، ولكن الناس درجوا على ان يقولوا هذا شاعر قد أتى بالمعنى بعينه، على طريق التساهل والتجوز، ولا يمكن لشاعر آخر أن يأتي بالمعنى بعينه، إلا كان ذلك تكرارا تاما لعبارات الشاعر الأول، وفي هذا نفسه ما يدل على ميزة النظم لأنها هي التي تحقق ذلك التفاوت (٢) . أما التشبيه بالابريسم فإنه أيضا قاصر لأنه قد يوحي أن " النظم " ضم للكلمات بعضها إلى بعض كما يحدث في ضم الألفاظ يتبع نسقا قرره النحو، فإذا ضمت الألفاظ إلى بعضها البعض دون ان تتوخى فيها معاني النحو لم يكن ذلك نظما، فالفرق إذن بين النظم والابريسم هو فرق في " العامل العمدي " في إنشاء سياق ما (٣) .

---

(١) دلائل الإعجاز: ٣٣٨.

(٢) انظر الدلائل: ١٨٤ – ١٨٥ وكذلك ص: ٢٥٢.

(٣) انظر الدلائل: ٢٥٩ – ٢٦٠.." [1]

"قراره الطبع. وسمكه الرواية، ودعائمه العلم، وبابه الدربة، وساكنه المعنى، ولا خير في بيت غير مسكون " (١) .
وهذه الصورة تحوير تصويري لرأي الجرجاني، ومن صنفها قوله في الشاعر: " وغنما سمي الشاعر شاعرا لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه، أو استظراف لفظ وابتداعه، أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني، أو نقص مما أطاله سواه من الألفاظ. أو صرف معنى إلى وجه عن وجه آخر كان اسم الشاعر عليه مجازا لا حقيقة، ولم يكن له إلا فضل الوزن وليس بفضل عندي مع التقصير " (٢) ؛ وليس في القول من جدة فكرية، ولكنه جامع للآراء السابقة في عبارة موجزة، ولست على يقين من ان هذه العبارة نفسها لابن رشيق.

ثنائية **اللفظ والمعنى**

فإذا تناول ثنائية **اللفظ والمعنى** أورد بارة ابن طباطبا " اللفظ جسم وروحه المعنى " وبسطها على طريقة الحاتمي – دون أن يذكر الحاتمي في هذا الموضع غير انه سيعيد قولته في موضع آخر مقترنة بذكر اسمه (٣) – ثم زاد على الحاتمي شيئا جديدا تفصيليا في تحليل الفكرة: فمرض اللفظ كالتشويه في الجسم أما اختلال المعنى كله (وهو الروح) فإنه يبقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه، ثم يمثل على الاحتفال باللفظ وحده بقعاقع ابن هانئ الأندلسي ويعلق عليها بقوله: " وليس تحت هذا كله إلا الفساد وخلاف المراد " (٤) ، ومع هذا فإن موقفه غير واضح، وإن كان قد يستشف من تفضيله لابن الرومي وإيثاره له باسم (الشاعر " انه أتميل إلى جانب المعنى؛ وقد توصل في هذا المبحث من كتابه إلى القول بوجود ألفاظ شعرية لا ينبغي للشاعر أن يعدوها

---

(١) العمدة ١: ٧٨.

(٢) العمدة ١: ٧٤.

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٤٢٥

(٣) العمدة ٢: ٩٤.

(٤) العمدة ١: ٨١.." (١)

"وعاشا معا جنبا إلى جنب، ولكن الذوق العام كان أميل إلى الاتجاه المحدث. ولما رثى الرباحي أحمد بن موسى بن حدير بقصيدة بناها على " مذاهب العرب " وخرج فيها عن " مذاهب المحدثين ". لم يرضها العامة (١) .

بدايات نقدية ساذجة

ولم يستطع النقد الأدبي في الأندلس قبل القرن الخامس ان يرتفع إلى مستوى المشكلات الكبرى التي دارت في النقد المشرقي من حديث عن الطبع والصنعة، **واللفظ والمعنى**، والنظم، والصدق والكذب، وما أشبه، بل ظل بسيطا في مجالي المستوى والتطبيق، لا ينفك عن التمرس ببعض الأخطاء اللغوية والنحوية، إذ كان القائمون على تدريس الشعر من طبقات المؤدبين لا يتجاوزون – في أحسن حال – التوفر على علم معاني الشعر، وبعض الدراسات اللغوية والنحوية.

ابن عبد ربه ينقل في العقد حصيلة آراء المشارقة في عصر الرواة

وقد نجد وقفات نقدية عند ابن ربه في العقد، ولكنها جميعا مقتبسة مما عرفه عند المشارقة من حديث عن عيوب الشعر وعدم تفضيل القدماء على المحدثين وتوفر الملكة والدربة، وهو يقول للشاعر انه لا يفيده أخذ ألفاظ الناس وكلامهم " فإن ذلك غير مثمر لك ولا مجد عليك ما لم تكن الصناعة ممازجة لذهنك وملقحة بطبعك " ويسمي السرقة باسم " الاستعارة " ويرى أن أخفاها وأدقها ما كان ينقل المنثور إلى المنظوم أو العكس (٢) . وكل هذه الأمور قد مرت بنا عند الحديث عن النقد المشرقي وتكاد تكون منقولة دون تصرف أو تحوير.

---

(١) طبقات الزبيدي: ٣٣٩.

(٢) محاضرات الموسم الثقافي (الكويت) ٥: ١٧٦.." (٢)

"تباين الألوان أوقع من تقاربها في النفس

وقد شرح أولا نقد الألفاظ المفردة (أي الفصاحة) فوضع لها سبعة شروط منها " أن يكون تأليف اللفظ من حروف متباعدة المخارج متباينة في الأسماع، وعلة ذلك أن الحروف التي هي أصوات تجري من السمع مجرى الألوان التي هي أصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر، ولا شك ان الألوان المتباينة إذا جمعت كانت في النظر أحسن من الألوان المتقاربة؟ ولا ريب أن الأزهار الربيعية المتفننة الألوان، وصناعة الديباج أجمل من البساط الأغبر أو الأخضر أو من الثوب الناصع المصمت، وهذه علة يقع لكل أحد فهمها وحجة لا يمكن منازعا جحدها " (١) والشرط الذي ذكره المواعيني قد أورده البلاغيون المشارقة، ولكن التمثيل عله هو الشيء الجديد عنده.

ومن الشروط (في فصاحة اللفظة أيضا) " أن تجد لتأليف اللفظة في السمع حسنا ومزية على غيرها وإن تساويا في التأليف

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٤٤٩

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٤٧١

من الحروف المتاعدة، كما انك تجد لبعض النغم والالوام حسنا يتصور في النفس ويدرك بالبصر والسمع والحس، مثال ذلك من الحروف ع ذ ب فغن قدمت بعض هذه الحروف على بعض ذهبت حلاوة الكلمة ولم تجد حسنها على الصفة؛ فإن قالوا فاتونا بكلام يتبين موقع حسنه بلفظ يشف رونقه على غيره، فمثال ذلك مما يختار قول أبي القاسم ابن المغربي من رسالة: فرعوا جميعا قد تأنفت روضته ورادوا مسرحا مسحوا عن أعطاف نباته قطر نداه، ونشروا من لباته عقد طله، ف " تأنفت "كلمة لاخفاء بموقعها وحسن موضعها؟ " (٢) ويؤكد المواعيني هنا التلاؤم بين اللفظ والمعنى، ولكنك تجده يخرج إلى استطرادات لافتة مثل قوله في أعقاب ذلك: " ولما لم تجد الصوفية كلاما أهز للنفوس البشرية وأبعث لإطرابها وأبث لأشواقها من أشعار في النسيب ووصف

---

(١) الريحان والريعان، الورقة ٤٧ – ٤٨.

(٢) الورقة: ٤٨/ أ.." (١)

"هو أجاد في تصوير ما لم يألفه، فإن إجادته في هذه الناحية يجب ان تكفل له التفضيل على شاعر آخر يحسن تصوير ما هو مألوف لديه. أما النقاد الذين جعلوا الزمن عاملا في تفضيل شاعر على آخر فإنهم خارجون عن صناعة " النقد " جملة؛ وقد جرت في تاريخ النقد مفاضلات ينبغي ان نمر عنها عابرين لأنها أقل من أن تستحق التوقف عندها. فإذا كانت البواعث والأسباب المهيئة لدى شعراء أكثر من غيرها لدى آخرين فحينئذ نقيم المفاضلة بينهم على هذا الأساس "كما نفضل شعراء العراق على شعراء مصر " – إذ لا تناسب في توفير الأسباب المهيئة لقول الشر " (١) .

هل يمكن الحكم بكمال الشعر

وأخيرا هل يمكن للناقد أن يحكم " بكمال " شعر ما؟ ذلك أمر يعز القول فيه لان الناقد يجب أن يتصدى عند الحكم لكل ما تحدثنا عنه من أنماط المعاني والنظام والأساليب والأوزان، واعتبار كل نمط من المعاني يصلح به نمط من اللفظ والنظام والأساليب والأوزان. واعتبار كل نمط من النظم بما يصلح به من أنماط اللفظ والمعاني والأساليب والأوزان، واعتبار كل نمط من أنماط الأساليب بما يصلح به من أنماط الألفاظ والمعاني والنظام والأوزان، واعتبار كل نمط من أنماط الأوزان بما يصلح به من أنماط اللفظ والمعنى والنظم والأسلوب؟ الخ " (٢) أي ان مهمة الناقد هي فحص جميع الصور التي وضعها حازم – من حيث علاقتها جميعا – للخروج بحكم في ذلك، وهذا ما لا يمكن بلوغه في النقد الأدبي.

خاتمة

كان من الضروري أن نتبع هذا السياق في عرض آراء حازم في النقد لأسباب عديدة منها أن أسلوب حازم صعب. ولذلك كان في هذا العرض شيء من التبسيط، ومنها ان هناك مسائل عالجها حازم في مواطن متفرقة من

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٥١٤

(١) منهاج: ٣٧٩ - ٣٨٠.

(٢) منهاج: ١٤٣.." (١)

"اللفظ (٢) ومنها السلخ وقسمه في ١٢ ضربا (٣) ومنها المسخ وهو قلب الصورة الحسنة إلى صورة قبيحة؛ ومجموع أنواع الأخذ على هذا الاعتبار ستة عشر نوعا (١) ؛ وقد حصرها ابن الأثير في موضع آخر في خمسة أقسام: أخذ **اللفظ والمعنى** جميعا (توارد الخواطر) ، واخذ المعنى دون اللفظ، واخذ المعنى مع بعض اللفظ وخلطه بألفاظ أخرى، واخذ بعض المعنى وبعض اللفظ، وأخذ بعض المعاني والإتيان بألفاظ جديدة؛ على أن القسم الثاني وهو أخذ المعنى دون اللفظ ينقسم عنده إلى عشرة أقسام، أغربها وأحسنها ابتكر له ابن الأثير اسما من عنده حين دعاه " شبكة المعاني " لارتباط المعاني فيه بعضها ببعض على خفاء في الارتباط، ومن أمثلته قول أبي تمام:

رعته الفيافي بعدما كان حقبة ... رعاها وماء الروض ينهل ساكبه وقول البحتري:

شيخان قد ثقل السلاح عليهما ... وعداهما رأي السميع المبصر

ركبا القنا من بعد ما حمل القنا ... في عسكر متحامل في عسكر فأبو تمام وصف الجمل بأنه بعد ان كان يرعى منابت الأرض رعته الأرض فهزل، من كثرة السير، والبحتري يريد انهما كانا يحملان الرمح فلما كبرا حملتهما العصا (٢) ؛ ومدار الأمر في كل ذلك على الأخذ المتقن، ولا نستطيع ان نتوقع شيئا غير ذلك من رجل يقيم نثره على التصرف بالمعاني الجيدة الواردة في التراث الشعري، ولهذا يرى أن السبق إلى معنى من المعاني لا يمثل إلا حقيقة التقدم في الزمن، ولو تقدم المتأخرون لسبقوا إلى المعاني كما سبق الأوائل (٣) .

---

(١) أنظر المثل السائر ٣: ٢٢٥ - ٢٩٤، ٤: ٣ - ٤ وراجع بعض هذا المصطلح في السرقات عند المرزوقي، إلا ان ابن الأثير لا يشير إليه أبدا.

(٢) انظر الاستدراك ٦١ - ٧٠، وبخاصة ص: ٦٣ - ٦٤.

(٣) الاستدراك: ٦.." (٢)

"ويعلق عليه بقوله " ولقد صدق في قوله هذا وما قال إلا حقا " (١) .

التعلق بالمعنى لم يستطع إخفاء التعبد للفظ

ولم يكن احتفاله الكثير بالمعنى ليخفي حقيقة هامة، وهي أن مارته - من حيث هو أديب - تعتمد على شيء كبير من البراعة اللفظية، ولهذا فإن جميع ما عبر به عن إعجابه بالمعنى لا يبلغ مستوى تعبيره الذي صور به شغفه باللفظ حين قال: " وكنت إذا مررت بنظري في ديوان من الدواوين ويلوح لي فيه مثل هذه الألفاظ أجد لها نشوة كنشوة الخمر وطربا كطرب الألحان " (٢) . والعلاقة بين ابن الأثير الناقد والألفاظ تحتاج تحديدا ادق، فقد كانت الألفاظ تتمثل في نفسه مخلوقات

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٥٦٨

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٥٩٥

وتماثيل " فالألفاظ الجزلة تتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار، والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذوي دماثة ولين أخلاق ولطف مزاج، ولهذا ترى ألفاظ أبي تمام كأنها رجال قد ركبوا خيولهم، واستلأموا سلاحهم وتأهبوا لطراد، وترى الألفاظ البحتري كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات وقد تحلين بأصناف الحلي " (٣) : ومن الأنصاف أن نقول هنا، أن ابن الأثير لا ينفك – في هذا المقام – يرى المعنى مجسدا من خلال اللفظ، فيسبغ صورته على اللفظ، وإلا فإن الألفاظ لا يمكن أن تتصور كما وصفها، وإنما هذه صورة عامة مستمدة من التآلف بين **المعنى واللفظ** لدى أبي تمام والبحتري، صورة مستمدة من الموسيقى ومن الكيان الكلي للمنهج العام الذي يؤثره الشاعر في فنه. غير أن هذا لا ينفي ان أبن الأثير ذو حساسية تبلغ حد المرض نحو طبيعة اللفظة نفسها – كان حضري المزاج يكره " وحشي الألفاظ وشظف العبارات " (٤) ، وكان " متنوفا " في هذا الذوق، شديد الوسواس إذا

---

(١) الاستدراك: ٥٧.

(٢) المثل السائر ١: ٩٨.

(٣) المثل السائر ١: ٢٥٢.

(٤) المثل السائر ١: ٢٤٨.." [1]

"الأصل هو الفظ

ويعود بناء إلى مشكلة **اللفظ والمعنى** فيرى – وهذا اغرب ما يمكن أن يقوله كاتب مفكر مثله – أن الأصل في صناعة النظم والنثر إنما هو اللفظ، والمعاني تابعة للفظ؛ " لأن المعاني موجودة عند كل واحد، وفي طوق كل فكر منها ما يشاء ويرضى فلا تحتاج إلى صناعة " (١) ، ويورد تشبيها على ذلك ماء البحر، فقد يغترف بآنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف، بينما الماء واحد في نفسه، وإنما الاختلاف قائم بين الأواني؛ مرة أخرى نلتقي بنظرية " المعاني المطروحة " – تلك الفكرة التي بدأت عند شخص من أشد الناس تنويعا في موضوعاته وافكاره، وانتهت عند شخص من اعمق الدارسين فكرا في شئون الحياة والمجتمع؛ هل مرد ذلك إلى أن كلاص من هذين المفكرين، كان ينظر إلى ما يملك نظرته إلى شيء لا ينفق عناء في سبيل الحصول عليه؟ قد يكون الباعث على ذلك الثقة النفسية لدى كل منهما، وإذا كان الجاحظ قد أوجد تلك النظرية خدمة لفكرة الإعجاز، فإن ابن خلدون لم يكن له تلك الغاية؛ ولكن حين تفهم المعاني بأنها " الحقائق العامة في الحياة "، فغن الالتفات إلى اللفظ (أو إلى الصياغة) يمكن قبوله على نحو ما.

حديث عن المطبوع والمصنوع

وبعد أن عرفنا ابن خلدون بطبيعة الشعر في عصره وما وصل إليه من تكلف وصنعة، نكاد نستغرب إيراده القول في " المطبوع والمصنوع "؛ ذلك لأن المطبوع قد فات زمنه، ولم يعد له وجود؛ ولكن ابن خلدون كان ينظر إلى المشكلة نظرة ولكن ابن خلدون كان ينظر إلى المشكلة نظرة تاريخية ويحاول أن يفيد من كتاب العمدة؛ ويستوقفنا حديثه هنا عن لذة

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٦٠٤

الذهن في انتقاله بين درجات الدلالات في التركيب، وهذه اللذة هي " الظفر " بالمدلول من دليله " والظفر من أسباب

---

(١) المقدمة: ١٣٠٢.." (١)

"قبولها واستحسانها، لأداء المعاني التي يعبر بها عنها، مع ملاحظة الشعور بالتلاؤم بين **اللفظ والمعنى** في كثير من الكلمات، في المجتمع البشري الذي درجت على ألسنة أفراده.

وتعزل في الغالب الكلمات القاسية الصعبة، والكلمات المستقبحة المستغلظة، والتي تتقزز منها النفوس، إلا ما كان منها مقصودا لبيان قبح المعنى، أو ما كان منها مقصودا للشتائم، ونحو ذلك.

وينتقي أصحاب الأذواق الرفيعة من الكلمات ألينها في النطق، وأحلاها في الأسماع، أو أوفقها وأكثرها ملاءمة للمعاني التي تدل عليها، ويخصون بها أقوالهم ذوات الشأن، من خطب، ورسائل، ومقالات، وشعر، وقصة وغير ذلك من موضوعات الكلام المحرر المنتقى، الذي صار يسمى فيما بعد "أدبا" لأنه في الكلام يشبه أدب السلوك في الأعمال.

وتظل كلمات مستقبحات شائعات، لدى من لهم هوى في أن يستخدموا ألفاظا قاسية خشنة، تنفر منها الأسماع، إذ يرونها نافعة لهم في إزعاج الآخرين بها، أو لفت أنظار الناس إليهم عن طريقها، كما يفعلون مثل ذلك في ألبستهم، وما يحملون من أسلحة مستهجنة، وما يمارسون من حركات وأعمال، إلى غير ذلك من أمور يبتعد عنها المتأدبون من الناس بالآداب الحسنة، وذوو الأذواق الرفيعة، والسلوك الجميل الفاضل بين الناس.

وقد تتدخل عوامل أخرى في بقاء كلمات صعبة ثقيلة في النطق ضمن الكلام الدارج المستعمل في اللغة، وهذه العوامل يصعب تحديدها، وتبقى هذه الكلمات حية في الاستعمال بحكم الإلف والتقليد والمحافظة على المواريث اللغوية.

ومن هذه العوامل تفاخر الأمة بقدرة ألسنتها على الانفراد بالنطق ببعض الحروف أو الكلمات، ومنها المحافظة على إحدى الصفات القومية للأمة.." (٢)

"فمن الأمثلة على الكلام المتصف بالمساواة ما يلي:

المثال الأول:

قول الله عز وجل في سورة (فاطر / ٣٥ مصحف / ٤٣ نزول) على ما أورد القزويني في التلخيص:

﴿ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله ... ﴾ [الآية: ٤٢] .

يحيق: أي: يحيط. الحوق: الإطار المحيط بالشيء المستدير حوله.

المكر السيئ: أي: التدبير الخفي الموصوف بأنه سيئ لأنه استخدم في الشر لا في الخير، فليس كل مكر سيئا، إذ من المكر ما هو مكر في الخير، وهو عندئذ يكون مكرا حسنا لا سيئا.

إلا بأهله: أي: إلا بأصحابه المدبرين له، أو إلا بالمستحقين له.

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٦٢٧

(٢) البلاغة العربية الميداني، عبد الرحمن حبنكة ١٥/١

دلت هذه العبارة القرآنية على أن إحاطة المكر السيئ إحاطة تامة لا تكون إلا بأصحابه المدبرين له، أو المستحقين له.

لكن هذا المثال قابل للمناقشة من وجهين:

الوجه الأول: أن كلمة [يحيق] في اللغة تدل على معنى الإحاطة، وقد فهم المفسرون منها مع معنى الإحاطة معنى الإصابة والنزول، وهذه الزيادة إنما فهموها من دلالات لزومية فكرية، خارجة عن المعنى المطابقي لفعل "يحيق" وبناء على هذا يكون المثال مما يندرج تحت عنوان: "الإيجاز" الذي اعتمد فيه على الدلالة اللزومية، ولا يندرج تحت عنوان: "المساواة" التي فيها تطابق تام بين **اللفظ والمعنى** بحسب الأوضاع اللغوية.

الوجه الثاني: أن عبارة [بأهله] ذات احتمالين:

* فهل المراد منها أصحاب المكر المدبرون له؟." (١)

"تنقسم الدلالة اللفظية الوضعية إلى ثلاثة أقسام، وهي:

القسم الأول: دلالة المطابقة.

القسم الثاني: دلالة التضمن.

القسم الثالث: دلالة الالتزام.

وذلك لأن الكلام:

* إما أن يساق ليدل على تمام معناه الحقيقي أو المجازي، فتكون دلالته دلالة مطابقة تامة بين **اللفظ والمعنى**.

فإذا قلنا مثلا: "نزل المطر" قاصدين فعلا نزول المطر من السماء في الواقع، كانت هذه الدلالة دلالة مطابقة بين **اللفظ والمعنى**.

* وإما أن يساق ليدل على بعض معناه الحقيقي أو المجازي، لا ليدل على كل معناه، لأن العناصر الأخرى من معناه غير مطلوبة أو غير محتاج إليها، فتكون دلالته دلالة تضمن.

ومن أمثلة دلالة التضمن أن يسأل الطبيب المريض: هل تناولت اليوم في طعامك ملحا كثيرا حتى ارتفع ضغطك؟.

فأجابه المريض بقوله: دعانا صديقنا فلان وأطعمنا طعاما وضعت له الملح أولا زوجته، ثم وضعت له الملح مرة ثانية أمه ظانة أنه لم يضف إليه الملح بعد، ثم وضعت له الملح ثالثا أخته، فكان الطعام مالحا جدا.

لقد ذكر كل هذا الكلام الذي لا مصلحة للطبيب فيه ليدل على أنه تناول ملحا كثيرا.

هذا الكلام دل على بعض معناه لا على كل معناه، لأن غرض الطبيب معرفة تناول مريضه الملح الكثير فقط، ولا مصلحة له بكل جوانب القصة التي ذكرها المريض، وهو في الغالب قد أهملها ولم يعرها انتباهه.." (٢)

"وهكذا رأينا أن من حسن الاختيار في نظم الكلام اختيار الألفاظ المتلائمة في الغرابة، توخيا لحسن الجوار كما يجمع في الحفل من الناس كل صنف من صنفه.

---

(١) البلاغة العربية الميداني، عبد الرحمن حبنكة ٢١/٢

(٢) البلاغة العربية الميداني، عبد الرحمن حبنكة ١٣٠/٢

المثال الثاني: قول الله عز وجل في سورة (النحل/ ١٦ مصحف/ ٧٠ نزول) :

﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولاكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [الآية: ٣٨] .

ألفاظ هذه الآية كلها متداولة لا غرابة في كلمة منها، فكانت متلائمة حسنة التجاور.

المثال الثالث: قول الله عز وجل في سورة (هود/ ١١ مصحف/ ٥٢ نزول) :

﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾ [الآية: ١١٣] .

في هذا النص تلاؤم بديع بين **اللفظ والمعنى** المراد، وبيانه أن الركون إلى الذين ظلمو نوع من الميل إليهم والاعتماد عليهم، دون انغماس معهم في الظلم، فلاءم هذا المعنى أن يختار في بيان العقاب لفظ ﴿فتمسكم النار﴾ لأن المس فيه معنى ملاصقة النار دون الانغماس فيها.

أي: فعذاب من يركن إلى الظالمين هو من نوع عذاب الظالمين، لكنه دونه في الكيف والكم، إنه للراكنين مس، لكنه للظالمين انغماس وحريق.

المثال الرابع: قول الله عز وجل في سورة (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول) :

﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ... ﴾ [الآية: ٢٨٦] .

جاء في هذا النص تلاؤم بين اللفظ المختار والمعنى المراد به، إذ جاء فيه التفريق بين ما يدل على فعل الحسنات وما يدل على فعل السيئات، فاختير فيه فعل." (١)

"مثل هذا قد يحدث على سبيل الندرة، ولكن الشعراء والكتاب كثيرا ما يسرق بعضهم من بعض، ويدعون لأنفسهم أنهم مبتكرو الأفكار، ومبتكرو الصياغة الرفيعة، وليسوا ناقلين ولا مقلدين ولا سارقين.

ونظير هذا يحدث في كل الإبداعات والابتكارات، كالألحان الموسيقية، والمكتشفات العلمية والصناعية، والمؤلفات في الكتب.

وقد اهتم علماء البلاغة بهذا الموضوع، فدونوا في علوم البلاغة بحثا يتعلق بالسرقات الشعرية وتواطؤ القرائح واتفاقها، ورأوا أن التوافق له حالات ثلاث:

الحالة الأولى: "المواردة":

وهي أن يتفق المتكلمان في **اللفظ والمعنى**، أو في المعنى وحده، ولا يعلم أخذ أحدهما من الآخر.

قالوا: إن مثل هذا يمكن أن يكون من اتفاق القرائح وتوارد الأفكار من غير أن يسرق أحد من الآخر، ولو كان أحدهما متأخرا زمنا.

ومن أمثلة هذه الحالة أن ابن الأعرابي أنشد لنفسه قوله:

مفيد ومتلاف إذا ما أتيته ... تهلل واهتز اهتزاز المهند

فقيل له: أين يذهب بك؟ هذا للحطيئة.

---

(١) البلاغة العربية الميداني، عبد الرحمن حبنكة ٥٢٢/٢

فقال ابن الأعرابي: الآن علمت أني شاعر، إذ وافقته على قوله ولم أسمعه إلا الساعة، أي: لم يسمع قول الحطيئة إلا في هذه الساعة.

قالوا: وحين لا يعلم أخذ اللاحق من السابق فالعبارة المهذبة التي لا اتهام فيها أن يقال: قال فلان كذا، وقد سبقه إلى هذا المعنى أو إلى نحوه فلان، فقال كذا.

الحالة الثانية: "الاشتراك العام":

وهي التوافق في الأغراض وفي الأفكار والمعاني المتداولة، التي يشترك معظم الناس بإدراكها، سواء تناقلها بعضهم عن بعض أو لم يتناقلوها.." (١)

"أي ضرب من ضروب الرطانة الأعجمية، فالعربية -عنده- تحتفظ بمشخصاتها وأصولها، وأوضاعها في النحو والصرف، والاشتقاق والتركيب، بينما تتمثل معاني الثقافات الأجنبية تمثلا دقيقا في ألفاظ مألوفة بينة واضحة، مع حرصه على الدقة والإيجاز، ومع بعده عن التوعر والتعقيد، ومع النسج المحكم الدقيق.

ووطد المتكلمون دعائم هذا الأسلوب العباسي المولد الجديد، بما ملكوا من أزمة العربية، وكنوز الفلسفة والثقافات الأجنبية، وقد أثاروا مباحث كثيرة في علم الكلام، وفي الطبيعة والأخلاق، ولم يكونوا يصنفون فحسب، بل كانوا أيضا يناظرون، ويجادلون الدهرية والزنادقة، والملحدين بهذا الأسلوب الجديد الذي يموج بالألفاظ الجزلة المونقة، والمعاني الغزيرة المرتبة في مقدمات منطقية دقيقة، ومقاييس عقلية سديدة. وكانوا يفحصون مواد تعبيرهم ويمتحنونها ويختبرونها، حتى يضعوا دقائق معانيهم في الألفاظ الطلية التي توائمها، ودفعهم ذلك إلى أن يسجلوا ملاحظات مختلفة، فهم على صحة مخارج الحروف وجمال الألفاظ، ووضوح المعاني ومواطن الإيجاز والإطناب، ومحاسن التعبير، وحاولوا الوقوف على ماسبقهم إليه اليونان، وغير اليونان من آراء وملاحظات في هذه الجوانب، وبذلك كانوا المؤسسين لأصول البلاغة العربية، وقد انتهى عندهم الأسلوب العباسي المولد إلى كل ما كان ينتظره من روعة، وجمال في **اللفظ والمعنى**.

وكل ما زدته في هذه الطبعة أو صححته، أو نقحته إنما دفعني إليه تحري الدقة، ومن رأيي دائما أن يعيد المؤلف النظر في مؤلفاته حين يعدها للطبع من جديد. وبذلك تنمو الدراسة الأدبية، ويستوفي الدارس حقوقها بقدر ما يستطيع، فتكثر الفائدة منها ويزداد النفع. والله أسأل أن يلهمني السداد في القول، والإخلاص في الفكر والعمل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

القاهرة في ١٥ من يناير سنة ١٩٦٠م.

شوقي ضيف.." (٢)

"وإحكام تحبيرها ما جعل الناقد العباسي يحس أن المعاني إذا سبكت سبكا جيدا تتحول عن مقادير صورها، وتربى على حقائق أقدارها.

والبحتري هو أبرع شاعر عباسي صور هذا الجانب وما بلغ الشعراء من إحسانه وتحبيره؛ فقد عرف بمهارة واسعة فيه، ويقول

---

(١) البلاغة العربية الميداني، عبد الرحمن حبنكة ٥٤٨/٢

(٢) الفن ومذاهبه في النثر العربي شوقي ضيف ص/٦

الباقلاني: "إنه كان يتتبع الألفاظ وينقدها نقدا شديدا"١ ولا يزال يتتبعها وينقدها حتى يؤلف منها ألفاظا عذبة جميلة يحس ابن الأثير إزاءها "كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات وقد تحلين بأصناف الحلي"٢ فألفاظه عليها رشاقة وأناقة، ولها صوت جميل كوسوسة الحلي، بل قد يكون لها خشخشة الحصى؛ ولكنه حصى هذا النوع الذي يقول فيه بعض الشعراء.

يروع حصاة حالية العذارى ... فتلمس جانب العقد النظيم

وأما الجانب الثاني وهو "المشاكلة بين **اللفظ والمعنى**"، فقد كان الأدباء والنقاد وعلي رأسهم الجاحظ يتواصون به كثيرا٣، وكان البحتري يستوفيه استيفاء غريبا، حتى ليرتفع في بعض مقطوعاته إلى هذا الأفق الذي عرف به بعض الشعراء الغربيين من أمثال تنيسون وفرجيل. ويجد الباحث في كتاب: "أسس النقد" للامبورون بحثا واسعا في هذا الجانب إذ حلله تحليلا دقيقا؛ غير أنه تحليل خاص بموسيقى الشعر الانجليزي، وما تعتمد عليه من مقاطع وضغوط وحركات طويلة وقصيرة، ومن العسير أن نطبق ذلك على شعر البحتري، فإن الشعر العربي لا يعتمد كالشعر الانجليزي على المقاطع والضغوط والنبرات والحركات الطويلة والقصيرة، ومع ذلك نستطيع أن نلاحظ في وضوح أن البحتري كان يشاكل بين ألفاظه ومعانيه مشاكلة دقيقة، واقرأ له رثاءه للمتوكل إذ يقول:

محل على القاطول أخلق داثره ... وعادت صروف الدهر جيشا تغاوره٤

---

١ إعجاز القرآن "طبع مطبعة الإسلام" ص١٠٦.

٢ المثل السائر "طبعة بولاق" ص١٠٦.

٣ البيان والتبيين ١/ ٨٣، ٨٨، ٩٢، ١١٤، ١٣٥ وما بعدها.

٤ القاطول: موضع على دجلة كان به قصر المتوكل المسمى الجعفري. أخلق: بلي. الدائر: الدارس. صروف الدهر: نوازله. تغاوره: تحاربه.." (١)

"وكأن العذار في حمرة الخد ... على حسن خدك المنعوت

صولجان من الزمرد معطو ... ف على أكرة من الياقوت

ألا تحس أن هذه صورة مجتلبة، فقد ربطت مخيلة الشاعر بين شيئين متباعدين، ونحن نجد في الخريدة لمحمد بن هانئ قصيدة كلها صفوف من التشبيهات والصور إذ تمضي على هذا الشكل١:

كأن ثغور العامريات كلما ... تبسمن نور الأقحوان الذي رفا

كأن شذا الخيري سر محدث ... تخوف أن تصغي له الشمس فاستخفى

كأن غصون الآس تحت اخضرارها ... قدود مها يحملن من سندس لحفا

ومهما يكن فقد كان هذا ذوق العصر الفاطمي إذ نرى الشعراء -فيما سوى ابن الكيزاني- غارقين إلى آذانهم في ضروب

---

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي شوقي ضيف ص/٨١

من التصنع والتلفيق، وبلغ بهم ذلك مبلغا كبيرا بحيث كادوا لا يتركون شيئا من هذه الضروب للعصور التالية، وماذا تريد؟ هل تريد الاقتباس من القرآن الذي شاع في العصر الأيوبي؟ لقد بدءوا به، وانظر إلى قول الشاعر الفكه شلعلع في ابن الدباغ٢:

تعالت قرون ابن الدباغ فأصبحت ... تجل عن التحديد في **اللفظ والمعنى**

على بعضها ناجى النبي إلهه ... وقد كان منه "قاب قوسين أو أدنى"

ويقول شاعر آخر في مغن يسمى مرتضى٣:

لمرتضى معبد عبد إذا صدرت ... أصواته عنه في النادي بتغريد

قد غاض طوفان همي حين أسمعني ... ألحانه فاستوى قلبي على "الجودي"

وأنت ترى الشاعر الأول اقتبس من القرآن كلمة "قاب قوسين أو أدنى" واقتبس الثاني كلمة "استوت على الجودي" بعد تحريف بسيط. واترك لون الاقتباس فإنك ترى عندهم لون التضمين الذي شاع بعد ذلك كقول:

---

١ الخريدة ١/ ٢٧٤.

٢ الخريدة ٢/ ١٢٤.

٣ الخريدة ٢/ ١٥٢. والجودي: جبل.." [(١)]

"الأنبياء وما أنكره ابن تيمية على المتنبي، كما تحدث عن موقف الرواة والنقاد من شعر أبي العلاء في صباه مما يحمل انحرافا عقديا، كما تعرض لموقف ابن بسام من شعراء الأندلس، ويستعرض الأدلة والآراء ويناقشها بما يفضي إلى رأي مقبول.

وأما الباب الرابع: فهو بعنوان: "مرويات شعرية وقيم جمالية، بدأه بتمهيد أشار فيه إلى أول من أدرك الجمال في الإلف بين **اللفظ والمعنى**، ومناط الشرف الذي جرى ذكره عند الأوائل وأبعاده ومعاييره، وفطانة أصحاب المنتخبات الشعرية إلى ذلك مع اختلاف أهدافهم، وتنوع هذه المرويات بين القصائد الأفراد والأبيات المفردة، ودلالتها ودورها في ترسيخ نظرية القيم الخلقية والجمالية التي هي من صميم التصوير الإسلامي، وقد ضم الباب أربعة فصول.

تناول الفصل الأول: "مرويات أولي الأمر والسيادة": كعمر بن الخطاب في روايته قصيدة لبيد بن ربيعة، ومناط الإحسان في روايتها، ويناقش ما جاء في ذلك من آراء مما جعل الباحث يقف على أهم جوانب الشخصية الإسلامية عند لبيد متخذا من المحور النفسي والفكري في أجزاء القصيدة مدخلا إلى ذلك، كما عرض لطلب عبد الملك بن مروان إنشاد قصيدة ذي الأصبع العدواني لما جمعت من قيم خلقية وكونية وجمالية، ويبين مضامين القصيدة وما فيها من جوانب بوأتها هذه المنزلة، كما عرض لطلب الرشيد من يروي له قصيدة الأسود بن يعفر النهشلي مما رواه "الأغاني" بسنده، ويتناول القصيدة بما يكشف عن جوانبها الفنية وما فيها من دلالات تكشف عن مناط الجودة، كما يربط بين إيقاعها والإحساس النفسي،

---

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي شوقي ضيف ص/٤٨١

كما يكشف عن خصاص مرويات ذوي السيادة.

والفصل الثاني: "مرويات اللغويين ورواة الشعر": تحدث فيه عن مرويات." (١)

"مفهوم المقالة عند النقاد:

عرفها الدكتور محمد يوسف نجم بأنها "قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق، وشرطها الأول أن تكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب"١.

وعرفها الأستاذ سيد قطب بأنها "فكرة قبل كل شيء وموضوع؛ فكرة داعية وموضوع معين يحتوي قضية يراد بحثها، قضية تجمع عناصرها وترتب بحيث تؤدي إلى نتيجة معينة، وغاية مرسومة من أول الأمر، وليس الانفعال الوجداني هو غايتها، ولكنه الاقتناع الفكري"٢.

وعرفها الدكتور عبد الرازق الطويل بأنها "تتناول الموضوعات التي يمتزج فيها الفكر بالعاطفة، في عبارة واضحة منتقاه مع ملاءمة بين **اللفظ والمعنى**، وما يشيعه من إيحاءات"٣.

ويصفها الأستاذ أنيس المقدسي بأنها "لا تختلف كثيرا عن الشعر الوجداني المعبر عن اختيارات الشاعر الخاصة، فالقصيدة لا تعد من الشعر الجيد إذا خلت من طلاوة التعبير وجمال التصوير، أو إذا جفت فجاءت بلا ماء أو رواء، كذلك المقالة، على أن جمال التعبير والتصوير فيها لا يعني تكلف البدائع البيانية، والتوهجات العاطفية، بل يراد بها الاستعراض السوي الشائق الذي يجمع بين الإيجاز ودقة الملاحظة وخفة الروح"٤.

---

١ د. محمد يوسف نجم: فن المقالة، ط٤، دار الثقافة، بيروت، د. ت، ص٥٩.

٢ سيد قطب: النقد الأدبي: أصوله ومناهجه، ط٤، بيروت ١٩٦٦، ص ٩٢.

٣ د. عبد الرازق الطويل: المقالة في أدب العقاد، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٧٨، ص١٠٧.

٤ أنيس المقدسي: الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤، ص٢٣٠، ٢٣١.." (٢)

"طويلة، وانقسموا حيالها قسمين: مؤيد للحديث، ومتعصب للقديم رافض لكل ما عداه، وقد تعصب معظم النقاد في عصره للقديم، وصور ذلك ابن قتيبة في مقدمته فقال: "فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه في متخيره، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه، أو أنه رأى قائله".

وابن سلام عرض للمحدثين، ولكنه لم يذكرهم في طبقاته، ووقف ابن قتيبة موقفا جريئا من قضية القدم والحداثة، حين أعلن أنه لا يتعصب للقديم لقدمه ولا للحديث لحداثته، وإنما يتعصب للجيد من الأدب وإن كان حديثا، فهو ينحي عنصر الزمان جانبا عند الحكم على الشعر بالجودة أو الرداءة، وينظر إلى القيمة الفنية في النص ذاته، وأورد نماذج كثيرة لشعراء

---

(١) التحرير الأدبي حسين على محمد ص/١٤٦

(٢) التحرير الأدبي حسين على محمد ص/١٦٠

محدثين، ودافع عنهم وأبدى إعجابه بهم.

قضية أخرى: وهي قضية البناء الفني للقصيدة العربية، من حيث البداية والنهاية، وما بين البداية والنهاية، بحيث ذكر أن الشاعر كان يبدأ بالأطلال أو النسيب، ثم وصف الرحلة ثم الانتقال إلى وصف المطية، ثم الغرض الأساسي من القصيدة، وعرض ابن قتيبة وجهة نظره في ذلك البناء، وقدم تفسيرا له يسبق زمانه بكثير، تفسيرا جيدا، وجعل هذا الالتزام البنائي للقصيدة عند الشاعر الجاهلي مقياسا من مقاييس الجودة، ولابد للشاعر أن يلتزم به، فقال: "وليس لمتأخري الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام"، يعني جعله مقياسا يحكم من خلاله على الجودة بالنسبة للشاعر، وله وجهة نظره وحلله وعلله تعليلا نفسيا رائعا.

أيضا تناول ابن قتيبة في المقدمة أقسام الشعر من حيث **اللفظ والمعنى**، وحصره في أربعة أضرب: ضرب حسن لفظه وجاد معناه، وضرب حسن لفظه، وإذا." [١]

"وأراده بسوء وفي التنزيل العزيز ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ والقوم حاربهم والشيء عالجه

(كايده) كاده

(اكتاده) كاده

(تكايد) الرجلان تماكرا ويقال في فلان تكايد تشدد

(الكيد) إرادة مضرة الغير خفية وهو من الخلق الحيلة السيئة ومن الله التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق وفي التنزيل العزيز ﴿إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا﴾ والحرب يقال غزا فلان فلم يلق كيدا (ج) كيود

(الكياد) الكثير الكيد

(المكيدة) الخديعة (ج) مكايد

(كار)

الفرس كيارا جرى رافعا ذنبه في جريه فهو كير

(أكار) عليه يضربه أقبل

(تكاير) الرجلان تضاربا

(الكير) جهاز من جلد أو نحوه يستخدمه الحداد وغيره للنفخ في النار لإشعالها (ج) أكيار وكيرة

(الكيروسين) سائل قابل للاشتعال يستقطر من البترول وهو أقل كثافة من السولار (مج)

(كاس)

الولد كيسا وكياسة عقل وظرف وفطن فهو كيس وكيس (ج) أكياس وكيسة وكيسى وهو الأكيس وهي الكوسى والكيسى وهن الكوسى والكوسيات وفلانا غلبه بالكياسة

(أكاس وأكيس) الإنسان ولد له أولاد كيسى فهو مكيس وهي مكيسة

---

(١) أصول البحث الأدبي ومصادره – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٦٢

(كايسه) غالبه بالكيس ويقال كايسه في البيع
(كيسه) جعله كيسا
(تكيس) فلان تظرف وأظهر الكيس وتفطن
(الكوسى) الكيس مثل الحسنى بمعنى الحسن
(الكياسة) تمكن النفوس من استنباط ما هو أنفع
(الكيس) الجود والظرف والعقل (ج) كيوس
(الكيس) وعاء معروف يكون للدراهم والدنانير والدر والياقوت وصرة مقدرة من المال كانت متداولة في التعامل تقول اشتريت هذا بخمسة أكياس مثلا (ج) أكياس وكيسة وغشاء يكون فيه الولد وهو المشيمة
(كيسان) اسم للغدر وكنيته أبو كيسان وأم كيسان لقب للركبة واسم للضرب على مؤخر الإنسان بظهر القدم
(المكياس) امرأة مكياس تلد الأكياس من البنين (ج) مكاييس
(كاص)
الرجل كيصانا وكيوصا جبن عن الشيء وعجز عنه ومشى سريعا ويقال مر يكيص يعجل ومن الطعام والشراب أكثر منهما ويقال كاص عند فلان من الطعام ما شاء أكل وطعامه أكله وحده
(كايصه) مارسه
(الكيص) البخل التام
(الكيص) الضيق الخلق واللئيم الشحيح والأشر
(كاف)
الشيء كيفا قطعه
(كيف) الشيء قطعه وجعل له كيفية معلومة (مو) والهواء غير درجة حرارته أو برودته في مكان بوساطة مكيف الهواء (مو)
(انكاف) الشيء انقطع
(تكيف) الشيء صار على كيفية من الكيفيات (مو) والهواء تغيرت درجة حرارته لتلائم الجو الخارجي انخفضت في الصيف وارتفعت في الشتاء والشيء تنقصه
(كيف) اسم مبني على الفتح والغالب فيه أن يكون استفهاما إما حقيقيا نحو (كيف زيد) أو غيره نحو قوله سبحانه في التنزيل العزيز ﴿كيف تكفرون بالله﴾ فإنه أخرج مخرج التعجب وإن كان بعد كيف اسم فهي في محل رفع على الخبرية عنه مثل كيف زيد وإن كان بعد فعل فهي في محل نصب على الحالية أو المفعولية المطلقة مثل كيف جاء زيد وترد للشرط فتقتضي فعلين متفقي **اللفظ والمعنى** غير مجزومين كقولك كيف تصنع أصنع أو كيفما
(الكيفة) القطعة من الأديم ونحوه والخرقة التي يرقع بها ذيل القميص من قدام (ج) كيف
(الكيفية) مصدر صناعي من لفظ كيف زيد عليها ياء النسب وتاء للنقل من الاسمية إلى المصدرية وكيفية الشيء حاله

وصفته والكيفية إن اختصت بذوات الأنفس تسمى كيفية نفسانية كالعلم والحياة وإن كانت راسخة في موضعها تسمى ملكة وإلا سميت حالا كالكتابة فإنها في ابتدائها تكون حالا فإذا استحكمت صارت ملكة

(مكيف الهواء) جهاز يثبت في الحجرات أو السيارات ونحوها تديره القوة الكهربية لخفض الحرارة صيفا أو رفعها شتاء (مو) (كال)

الزند كيلا ومكالا لم يخرج نارا والبر وغيره حدد مقداره بوساطة آلة معدة لذلك وهو يتعدى إلى مفعولين فيقال كلت فلانا الطعام وقد تدخل اللام." (١)

"وقول بعض الصحابة: إن الكنايات رواجع.

أي: نظرنا إلى الدليل، فوجدنا فيه شبهة الحكم بالحل.

لا حقيقته، لكون دليل الحل عارضه مانع.

شبهة الملك عند الحنفية: هي شبهة كون النحل مملوكا له.

كمن يطأ امرأة يظنها زوجته.

المتشابه: المتماثل.

المتشابه في الفقه: الالفاظ المشتركه.

كالقرء، فهو متردد بين الحيض، والطهر.

المتشابه في القرآن الكريم: المتماثل.

ومنه قول الله تعالى: (وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) (الانعام: ١٤١)

أي: متشابه في المنظر، وغير متشابه في المطعم.

-: هو الذي يقابل المحكم، وهو ما أشكل تفسيره لمشابهته غيره.

إما من حيث اللفظ، أو من حيث المعنى، أو من حيث **اللفظ والمعنى** معا.

ومنه قول الله تعالى: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم اكلتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الالباب) (ال عمران: ٧) - عند الحنابلة: ما ورد في صفات الله تعالى مما يجب الايمان به، ويحرم التعرض لتأويله.

كقوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى) (طه: ٥) وقوله: (بل يداه مبسوطتان) (المائدة: ٦٤) وهذا هو القول الصحيح.

و: المجمل.

و: الحروف المقطعة في أوائل السور.

---

(١) المعجم الوسيط مجموعة من المؤلفين ٢/٨٠٧

و: القصص، والامثال.

- عند الزيدية: مالا يعلمه إلا الله تعالى.

المشتبه من الامور: المشكل.

وفي الحديث الشريف: " الحلال بين، والحرام بين.

وبينهما أمور مشتبهة.

فمن ترك ما شبه عليه من الاثم

كان لما استبان أترك.

ومن اجترأ على ما يشك فيه من الاثم أو شك أن يواقع ما استبه، والماصي حمى الله، من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه ".

قال الحافظ ابن حجر: المشتبه ما ليس بواضح الحل، أو الحرمة، مما تنازعته الادلة، وتجاذبته المعاني والاسباب، فبعضها يعضده دليل الحرام، وبعضها يعضده دليل الحلال.

شخص الشئ - شخوصا: ارتفع.

-: بدا من بعيد.

- السهم: جاوز الهدف من أعلاه.

- فلان ببصره: فتح عينيه، ولم يطرف بهما متأملا، أو منزعجا.

وفي القرآن الكريم: (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار، مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء) (إبراهيم: ٤٢ - ٤٣) - فلان من بلد إلى بلد: ذهب.

الشخص: كل جسم له ارتفاع، وظهور.

وقد غلب استعماله في الانسان.." (١)

"الترقيم: وضع رموز مخصصة أثناء الكتابة، بغرض تعيين مواضع الفصل والوقف والابتداء، وأنواع النبرات الصوتية، والأغراض الكلامية أثناء القراءة.

أنواعها:

١ . الفاصلة (الشولة) وعلامتها "، ":

تكون في الوقف الناقص: وهو الوقف الذي يكون بسكوت المتكلم، أو القارئ سكوتا قليلا جدا، لا يحسن معه التنفس.

موضعها:

أ. بين الجمل المتصلة المعنى:

مثل: أوحد العراق في البلاغة، ومن به تثنى الخناصر في الكتابة، وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية، من البراعة والصناعة

---

(١) القاموس الفقهي سعدي أبو حبيب ص/١٩٠

﴿١﴾ .

ب ـ بين المفردات المعطوفة إذا قصرت عباراتها، وأفادت تقسيما أو تنويعا.

---

١ ـ من كتاب يتيمة الدهر للثعالبي (بتصرف) .

مثل: ينقسم الكلام إلى أقسام ثلاثة: اسم، وفعل، وحرف.

وكقوله تعالى: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم، وبناتكم، وأخواتكم﴾ ٢٣ النساء.

ج ـ بين الجمل المعطوفة القصيرة، ولو كان كل منها لغرض خاص.

مثل: المعروف قروض، والأيام دول.

الشمس طالعة، والنسيم عليل، والطيور مغردة، والأزهار ضاحكة.

الجو شديد الحرارة، والرياح سموم، والرؤية منعدمة.

د ـ بين جملة الشرط وجوابها، أو القسم وجوابه.

مثل: إذا حضر الماء، بطل التيمم.

لئن أنكر المرء من غيره ما لا ينكر من نفسه، لهو أحمق.

هـ ـ بين جملتين مرتبطتين في **اللفظ والمعنى**، كأن تكون الثانية صفة، أو حالا، أو ظرفا للأولى، وكان في الأولى بعض الطول.

مثل: رأيت شابا ممسكا بيد رجل، يخيل لي أنه عاجز.

التقيت بصديقي محمد، وهو يبتسم.

ذهبت إلى مكة لأداء العمرة، يوم الجمعة الماضية.

٢ ـ الفاصلة المنقوطة: وعلامتها "؛ ":

تكون في الوقف الكافي، وهو الوقف الذي يكون بسكوت المتكلم، أو القارئ سكوتا يجوز معه التنفس.

موضعها:

ا. بين جملتين إحداهما سبب في حدوث الأخرى.

مثل: خير الكلام ما قل ودل؛ ولم يطل فيمل.." (١)

"١- الاعتباطية١ ويستخدم هذا المصطلح هنا بمعنى خاص إلى حد ما ليعني شيئا ما مثل "تعذر التفسير من خلال بعض المبادئ الأكثر عمومية" وأكثر الأمثلة وضوحا على الاعتباطية في اللغة -والمثال الذي يذكر بشكل أكثر تكرارا- يتصل بالعلاقة التي تربط بين المعنى والشكل، بين الإشارة والرسالة، وهناك أمثلة متفرقة في كل اللغات لما يعرف تقليديا بظاهرة التسمية بالمحاكاة الصوتية: لاحظ العلاقة غير الاعتباطية بين الشكل والمعنى في الكلمات الآتية المسماة بالمحاكاة الصوتية مثل 2"crash" "peewit" "cuckoo" في اللغة الإنجليزية، غير أن الأغلبية العظمى من الكلمات في كل

---

(١) قاموس الإملاء مسعد محمد زياد ص/٩٦

اللغات غير مسماة بالمحاكاة الصوتية فالعلاقة بين ألفاظها ومعانيها اعتباطية فلفظ كلمة ما لا يمكن أن ينبأ عن معناها كما أن معنى كلمة ما لا يمكن أن ينبأ عن لفظها.

ومن الواضح أن العرفية –بهذا المعنى– تزيد من مرونة نظام الاتصال وتعدد استعمالاته فاتساع المعجم ليس مقيدا بضرورة التوافق بين الشكل والمعنى من خلال بعض المبادئ الأكثر عمومية، ومن الناحية الأخرى فحقيقة أن حلقة الوصل بين الشكل والمعنى على مستوى الوحدات المعجمية للنظم اللغوية –بشكل عام– اعتباطية لها أثرها في العبء الكبير الذي يقع على الذاكرة في عملية اكتساب اللغة، وارتباط صيغة معينة بمعنى معين يجب أن نعرفه في كل وحدة معجمية بشكل مستقل، إذن الاعتباطية التي من هذا

---

١ أو العشوائية أو العرفية "arbitrariness" وتفقد بموجبها الصيغ اللغوية أي تناظر فيزيائي مع الموجودات التي تشير إليها في العالم فعلى سبيل المثال ليس هناك شيء في كلمة كرسي تعكس هيئة ذلك الشيء المسمى بها فالعلاقة بين **اللفظ والمعنى** علاقة عشوائية باستثناء كلمات قليلة تفصح ألفاظها عن معانيها.

٢ المقابل الدلالي لهذه الكلمات الوقوفة، والبويت، ويحطم على الترتيب.." (١)

"الاشتقاق:

لاحظ علماء اللغة أن ارتباطا معينا يوجد بين الكلمات من جهة **اللفظ والمعنى**، فقالوا بوجود ارتباط وضعي بين هذه الكلمات، ولقد جذب انتباههم من هذا ما يأتي:-

١- أن الكلمة العربية ذات أصول ثلاثة، يعبر عنها في الميزان الصرفي بفاء الكلمة وعينها ولامها، وأنها تأتي مرتبة بهذا الترتيب.

٢- أن الكلمات العربية تأتي على هيئات صرفية تسمى الصيغ، وأن الخلاف بين الكلمات من الناحية التركيبية، هو في الواقع اختلاف بين هذه الصيغ.

والارتباط الذي قال به النحويون، والصرفيون بين الكلمات المتحدة الأصل المختلفة الصيغة، ارتباط لفظي أولا، ومعنوي ثانيا. أما لفظي؛ فلأن حروف الأصل توجد في الصيغتين المترابطتين بنفس الترتيب، وإن اختلف الهيكل العلي في كلمة عنه في الأخرى، فلا بد إذا أن ترد الكلمتان إلى أصل واحد، وأما معنوي؛ فلأن الملاحظ أن الكلمتين اللتين توصفان هذا الوصف، تعبران عن معنى عام واحد تختلفان في دائرته، كما تختلف الصيغتان، لا كما تختلف المادتان المعجميتان، فلا بد إذا أن ترد هاتان الكلمتان إلى مادة واحدة.

ويلاحظ هنا أن الاختلاف اللفظي صرفي، وأن الاختلاف المعنوي معجمي، فإذا اغتفر استعمال علم المعجم في تحديد المفهومات الصرفية، أمكن القول بأن الاشتقاق، "رد لفظ إلى آخر لموافقته إياه في حروفه الأصلية، ومناسبته له في المعنى". ويرى بعض العلماء تقسيم الاشتقاق إلى صغير، وكبير، أو أكبر، ويقول ابن جني: إن الصغير "ما في أيدي الناس وكتبه

---

(١) اللغة وعلم اللغة جون ليونز ص/٢٦

كأن تأخذ أصلا من الأصول فتقرأه، فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغه ومبانيه، وذلك كتركيب "س ل م"، فإنك تأخذ منه معنى السلامة، في تصرفه نحو سلم ويسلم، وسالم وسلمان وسلمى

والسلامة، والسليم اللديغ أطلق عليه تفاؤلا بالسلامة، وعلى ذلك بقية الباب إذا تأولته"١، فذلك هو الاشتقاق الذي نريده في دراستنا الصرفية هذه.

ولذلك سنكتفي به عن الكبير والأكبر؛ لأن أحدهما لا يعترف بالترتيب في حروف المادة، كشرط من شروط الاشتقاق؛ ولأن الآخر يعتمد في دعوى الاشتقاق على التشابه في المخرج بين أي حرفين، يحل أحدهما محل الآخر كنعق ونهق، وإنما اخترنا الصغير لدراستنا هذه؛ لأنه أكبر خطرا وأكثر استعمالا في الناحية التطبيقية في اللغة.

---

١ الخصائص ص ٦٢٥.." (١)

"بتلك الأصول من حيث **اللفظ والمعنى** معا، على نحو ما يجري في تلك الأبواب المعروفة بالاشتقاق الكبير والاشتقاق الأكبر، وهي أبواب برع فيها جماعة من اللغويين نستطيع أن نطلق عليهم اسم "المدرسة الاشتقاقية" التي من رادوها ابن دريد وابن فارس وابن جني، وهذا النوع هو الأساس لبحوث أوسع وأشمل، أطلق عليها أيضا اسم آخر هو "فقه اللغة"١ وفقه اللغة وقرينه من اللغة يمثلان جوانب معينة من البحث يعتد بها علم اللغة الحديث.

وليس المقصود "بالخط" في البيتين فن الخط، بمعنى تحسين الكتابة وتجويدها، وإنما المراد به الرسم والإملاء وكلاهما يمثل نقطة مهمة من نقاط المباحث الصوتية في العرف الحاضر.

---

١ الذي أسماها هذا الاسم هو أحمد بن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ، حيث وضع عنوان كتابه "الصاحبي في فقه لغة وسنن العرب في كلامها انظر الوجيز في فقه اللغة لمحمد الأنطاكي ص٣٦، ودراسات في فقه اللغة صبحي الصالح ص٩، وعلم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة د. محمود حجازي ص٧.." (٢)

"ويبدو أن أبا القاسم الراغب قد عرف أيضا لونا آخر من ألوان الاشتقاق:

ولتوضيح ما نقول نوضح أولا هذه الألوان المختلفة في الاشتقاق.

فالاشتقاق "هو أخذ كلمة من كلمة أو أكثر مع تناسب بينهما **فاللفظ والمعنى**"١، وأشمل تقسيم لأنواع الاشتقاق ما قسمه أحد الباحثين وهو:

١- الاشتقاق الصغير، ومنه المشتقات السبع المشهورة: كاسم الفاعل، اسم المفعول واسم المرة، والهيئة، والزمان، والمكان، واسم التفضيل.

٢- الاشتقاق الكبير، وهو انتزاع كلمة من أخرى بتغيير في بعض أحرفها مع تشابه بينهما في المعنى، واتفاق الأحرف الثابتة

---

(١) مناهج البحث في اللغة تمام حسان ص/١٧٨

(٢) دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة إبراهيم محمد أبو سكين ص/٥٠

وفي مخارج الحروف المتغيرة، وذلك نحو جثا وحذا، وبعثر وبحثر.

٣- الاشتقاق الكبار، وهو ما أسماه ابن جني الكبير أو الأكبر مثل ملك وتقلباتها.

٤- الاشتقاق الكبار، بتشديد الباء، وهو المعروف عند اللغويين بالنحت كالدمعزة من دام عزك٢.

وعن الاشتقاق الكبار يقول ابن جني:

"وأما الاشتقاق الأكبر: فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، فإن تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد (مثل أصل كلم الذي يؤخذ منه كمل وملك وكلم ولمك) "٣.

ويمثل هذا اللغوي الكبير على ما يقول بمادة (جبر) التي تعني أصلا القوة والشدة وما يظل قريبا من معناها هذا من تقاليبها الستة: الجبر والبرج والجراب والمجرب.

وهذا اللون من الاشتقاق الذي شهر به ابن جني وأستاذه أبو علي الفارسي، والذي يقول أحد الباحثين إنه يدل على تطور لغوي جيد، هو الذي قلنا إن الراغب قد عرفه.

ففي مادة (فكر) في المفردات يقول:

---

١ المرجع السابق والصفحة.

٢ المرجع السابق والصفحة وهو يعني (بأحد الباحثين) الدكتور عبد الله أمين.

٣ المرجع السابق.." (١)

"وكان كاتبا ملتزما "أكتب للناس لا لأعجبهم، بل لأنفعهم، ولا لأسمع منهم: أنت أحسنت، بل لأجد في نفوسهم أثرا مما كتبت".

وقد بين أنه لا يكتب للخاصة فلا أفرح برضاهم، ولا أجزع لسخطهم"، وإنما يكتب للعامة ولا سيما الذكي منهم الذي قد وهبه الله الفطرة السليمة وصفاء القلب وسلامة الوجدان، ما يعده لاستماع القول واتباع أحسنه".

ولم يكن المنفلوطي يفرق في الأهمية بين **اللفظ والمعنى** فهما ممتزجان في رأيه امتزاج الشمس بشعاعها، وليس للفظ كيان مستقل، فجماله من جمال معناه، بل يميل أحيانا إلى تفصيل المعنى على اللفظ، ويرى أن اللفظ خادم المعنى، وأن المعاني هي جوهر الكلام ولبه، ومزاجه وقوامه "فما شغل الكاتب من همته بغيرها أزرى بها حتى تفلت من يده، فيفلت من يده كل شيء، ولا يضطرب اللفظ إلا؛ لأن معناه مضطرب في نفس صاحبه، ومحال أن يعجز الفاهم عن الأفهام، ولا المتأثر عن التأثير، والتعبير صدى لنفس الأديب، فإذا كانت مظلمة أو قبيحة انعكس ذلك في عمله؛ لأن النص لديه كالمرآة لا تكذب في نقل مرئياتها!

وهذا كلام غريب من أديب كانت شهرته معتمدة على براعة في أسلوبه وانتقاء ألفاظه وجودة صياغتها، ومعانيه ليست

---

(١) الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة عمر عبد الرحمن الساريسي ص/٢٣٨

عميقة الغور نتيجة لدراسة واعية مستفيضة، وإنما مقالاتها في معظمها سطيحة المعاني، تأتي استجابة لوحي عاطفيته، أو قراءته في الصحف والمجلات.

وما الفرق إذا بين الحديث العادي والمقال الأدبي، أو الاجتماعي الذي يرمي صاحبه به إلى التأثير في النفوس، وليس بصحيح أنه يخاطب العامة بمقالاته، وإلا لاصطنع اللغة العامية التي يفهمونها.

أو ليس مما يؤثر في نفس السامع ذلك الأسلوب الطلي، والصياغة الجيدة، والسلاسة العذبة حتى تهتز نفسه، وتتأثر بما يقرأ أو تسمع، ألم يجعل المفلوطي المقياس الذي يقاس به العمل الأدبي هو مدى تأثيره في قارئه أو سماعه، ويقول: "إذا سمعت بيتا من الشعر فأطربك أو أحزنك، أو أقنعك أو أرضاك أو هاجك ... فاعلم أنه من بيوت المعاني، وإن مررت من بيت آخر فاستغلق عليك فهمه وثقل." (١)

"عليك ظله فاعلم أنه لا معنى له، ولا حياة فيه، فإن وجدت صاحبه واقفا بجانبه يحاول أن يوسوس لك أن وراء هذه الظلمة الحالكة المتكاثفة نورا متوهجا يكمن في طياتها، فكذبه، وفر بنفسك وأدبك وذوقك منه فرارا لا عودة لك من بعده.

وهذا النص يؤكد أن المنفلوطي لم يفهم قضية **اللفظ والمعنى** على حقيقتها، فلو

كان المهم هو المعنى يؤدي بأي لفظ كان لراقه ذلك البيت المستغلق؛ لأن الاستغلاق جاءه من ناحية اللفظ لا من ناحية المعنى الذي هو نور متوهج يكمن في طيات تلك الظلمة الحالكة.

إنها كما قال توأمان، متناظرات، متساويان في الأهمية، ومع هذا نرى المنفلوطي يناقض نفسه في هذه القضية فيقول: يقول القائلون بمذهب التفريق بين **اللفظ والمعنى** عن مثل هذه القطعة:

ولما قضينا من منى كل حاجة ... ومسح بالأركان من هو ماسح

وشدت على حدب المهارى رحالنا ... ولم يعلم الغادي الذي هو رائح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطي الأباطح

إنها جميلة الأسلوب، ولكنها تافهة المعنى، لا تشتمل على أكثر من الوصف والتصوير، كأنهم لا يعملون أن التصوير نفسه أجمل المعاني وأبدعها، بل هو رأس المعاني وسيدها، والغاية الأخيرة منها".

وفاته أن التصوير ليس هو المعنى، وإنما هو محاولة لتوضيح المعنى، ولا يمنع هنا أن يكون المعنى تافها، وإن صوره صورة جميلة بأسلوب عذب، ومن ثم راقت الأبيات، واستعذبتها الآذان على الرغم من تفاهة معناها.

وما بال المنفلوطي يحاول بنثره هذا أن يحشر نفسه في زمرة الشعراء، ويعد نثره هذا شعرا بلا وزن ولا قافية، أليس ذلك فرض تقدير منه لأسلوبه وطلاوته وعذوبته، وما فيه من رنات موسيقية.

---

(١) نشأة النثر الحديث وتطوره عمر الدسوقي ص/٢٢٤

لقد ابتدأ المنفلوطي حياته الأدبية شاعرا، ثم انصرف عنه إلى النثر حين وجد المزاحمة القوية من شعراء فحول، فاتخذ الكتابة قالبا لصب أفكاره، موشاة بالخيال." (١)

"ومع ذلك نراه يرجع عن هذه الفكرة حين قرر فيما بعد أن "الشعر نغمة موسيقية قبل كل شيء، ثم يأتي بعد ذلك جمال الوصف وحسن التصوير، وتمثيل الحقيقة، واكتناه أسرار الكون، وتحليل مشاعر النفس وأمثال ذلك من الأغراض والمقاصد، على أن تكون النغمة الموسيقية أساسها والروح السارية فيها، ليتحقق الفرق بين الشعر والفلسفة، فالفلسفة غذاء العقل برزانتها وهدوئها وحججها وبراهينها، والشعر غذاء النفس برناته ونغماته، وأهازيجه ونبراته".

ونفهم من هذا أنه ممن يؤثرون الشكل على المضمون، أو اللفظ على المعنى، وإن حاول من قبل أن يسوي بينهما، بل حاول أن يفضل المعنى على اللفظ، ثم نراه يقول: "إن القطع الأدبية الشعرية أو النثرية التي نصف أسلوبها بالجمال إنما نصف بذلك معانيها وأغراضها، وأن الذين يزعمون من الشعراء، أو الكتاب أن أساليبهم الغامضة الركيكة المضطربة تشمل على معان شريفة عالية كاذبون أو واهمون في زعمهم".

لقد اضطرب المنفلوطي في فكرته عن **اللفظ والمعنى** كما رأينا، ولم يستطع أن يرى القفضية كما يدافع عنها من يؤثرون المعنى على اللفظ، بل جنح إلى إيثار اللفظ على المعنى من غير أن يدري.." (٢)

"الباب الثاني: مدرسة التجديد المحافظ

الفصل الأول: الخصائص الفنية لمدرسة التجديد المحافظ

...

الباب الثاني: مدرسة النتجديد المحافظ

الفصل الأول: الخصائص الفنية لمدرسة التجديد المحافظ

أصول المحافظين على عمود الشعر العربي:

عمود الشعر العربي له قواعد وأصول اصطلح عليها النقدالعربي القديم، إذا ما توفرت في قصيدة أطلق عليها النقاد أنها عمودية، وإذا التزم الشاعر المحدث بهذه القواعد والأصول أطلق عليها النقاد شاعرا محافظا؛ لأنه حافظ على عمود الشعر العربي في شعره، ولهذا كان لا بد أن نعرف هذه الأصول في عرف النقد القديم:

فالأصول في عمود الشعر هي تلك التقاليد الفنية الموروثة في استخدام **اللفظ والمعنى** والخيال والصور والوزن والقافية، ومنهج القصيدة عند الشعراء الجاهليين والإسلاميين في القصيدة العربية، حتى صارت هذه التقاليد الفنية الموروثة عرفا متبعا، ومنهجا متوارثا لا يحيد عنه الشاعر، وأصبح عمود الشعر مصطلحا نقديا مشهورا ومتداولا، وخاصة عند النقاد العرب في القرن الرابع الهجري، فقد نضج على أيديهم.

يقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي مقررا عمود الشعر: "هو كل التقاليد الفنية التي التزمها القصاد في قصائدهم من

---

(١) نشأة النثر الحديث وتطوره عمر الدسوقي ص/٢٢٥

(٢) نشأة النثر الحديث وتطوره عمر الدسوقي ص/٢٢٧

الأفكار والمعاني والأخيلة والأوزان والقوافي والألفاظ والأساليب والصور وغيرها، فهذه التقاليد جميعها هي عمود الشعر"١.
وأصول التقاليد الفنية تقوم على خصائص فنية لكل من اللفظ، والمعنى، والصور، والأسلوب، والوزن والقافية، والمنهج في القصيدة.
أما اللفظ فيقتضي الجزالة والاستقامة والمشاكلة للمعنى وشدة اقتضائه للقافية، ومعنى جزالة اللفظ ألا يكون غريبا ولا سوقيا مبتذلا٢، ومعنى استقامة اللفظ هو تناسق حروفه في جرس متساوق، وإيقاع رتيب، فيسلم حينئذ من تنافر الحروف، ومعاناة الثقل في اللسان وعلى السمع، واستقامته أيضا تكون بدلالة اللفظ على أصله ومعناه في اللغة٣.
ومعنى مشاكلة اللفظ لمعناه، حيث لا يزيد على معناه أو ينقص عنه، وشدة اقتضائه للقافية هي أن تقع الكلمة في موطنها من القافية والوزن، فلا يقبل غيرها؛ لأنها هي الموعود المنتظر٤.

---

١ فصول في الأدب والنقد: ص٨١.

٢ الصناعتين: أبو هلال العسكري ص٤٩.

٣ المرجع السابق: ص٨٢، وشرح ديوان الحماسة: المرزوقي ص٩.

٤ الصناعتين: أبو هلال العسكري: ص١٢٨.." [1]

"٢- والشبه كبير بين الشعرين العربي الجاهلي والهومري في الصفات العامة للتعبير الشعري، فهما يتسمان بالنضارة والغضارة والبساطة، وبالفتنة التي نعزوها إلى "طفولة العالم" عند اليونان، و"سذاجة البداوة" عند العرب. ومع ذلك فما أشبه الشعر الجاهلي العربي بالشعر الهومري الذي "تعالى عن خشونة الشكل، وتجنب الصراع الناشب بين **المعنى واللفظ**، وارتفع عن الحوشي المبتذل من أساليب القول، واستطاع أن يحتفظ بمستواه الرفيع حفظا متزنا، وبذلك تجنب هذه الخصائص التي يتصف بها الأدب في عصره البدائي. وهذه الميزات العامة هي التي يصفها ماثيو أرنولد -في محاضراته الممتازة عن ترجمة هومر- حيث يقول: إن لأسلوب هومر أربع مزايا كبرى: فهو منساب متدفق، سهل ميسور في فكرته، واضح في خياله، ونبيل سام"١.
٣- ولقد اختلف العلماء من دارسي الأدب في تدوين هذين الشعرين:
الجاهلي العربي والهومري الإغريقي. فذهب فريق منهم إلى أنهما لم يكتبا منذ أن نظما، بل بقيا محفوظين في صدور الرجال ترويهما الأجيال المتعاقبة وينشدهما الأفراد في المجالس والمحافل قرونا طوالا قاربت الثلاثة عند العرب وأربت على ذلك عند الإغريق. وذهب فريق آخر منهم إلى أن هذا الشعر قد كتب منذ أن قاله شعراء العرب في الجاهلية وهومر عند اليونان. أما تفصيل هذا الأمر عند العرب فقد بسطنا فيه القول في الفصول المتقدمة وسنعود إليه في مواطن متفرقة فيما سيلقانا من صفحات. وأما تفصيله عند اليونان فهو ما سنوضحه بعد قليل.

---

(١) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية علي علي صبح ص/٦٩

١ Jebb. Homer p. 12.." (١)

"ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن "المقياس المركب" فيقول١ : "يجب أن ننبه من الآن إلى أننا لم نوفق بعد لمقياس علمي نستطيع أن نطمئن إليه حقا، ولكننا مع ذلك لم نيأس من الوصول إلى مقياس أو مقاييس، إلا تفد اليقين، فقد تفيد الظن، وقد تنتهي أحيانا إلى الترجيح الذي يقرب إلى اليقين. نحن لا نعتمد على اللفظ وحده، ولا نعتمد على **اللفظ والمعنى** ليس غير، وإنما نعتمد على **اللفظ والمعنى** وعلى أشياء أخرى فنية وتاريخية". وهو لا يكتفي **باللفظ والمعنى** لأنهما وحدهما لا يمنعان "إمكان التقليد والتزييف". أما هذه الأشياء الأخرى التي ذكرها فهي "الخصائص الفنية. وهذه الخصائص الفنية يمكن أن تلتمس عند شاعر واحد، عند زهير مثلا، ويمكن أن تلتمس عند طائفة من الشعراء ... " ثم يتحدث عن أن هذه الخصائص الفنية إذا اجتمعت لطائفة من الشعراء أصبحت هذه الطائفة "مدرسة شعرية" ثم يفصل القول في إحدى هذه المدارس وهي المدرسة التي تتألف من: أوس بن حجر وزهير والحطيئة وكعب بن زهير.

٣

وكان لكتاب "في الشعر الجاهلي" أثر كبير، ودوي شديد؛ فأشرع كثير من العلماء والأدباء أقلامهم وتناولوا الكتاب وما فيه بالنقد والنقض، وتفاوت نقدهم واختلفت طرائقهم: فاعتدل بعضهم والتزم حدود الموضوع، ومضوا ينقدون في أسلوب هادئ ولفظ عف، وغلا بعضهم فاشتد واشتط، وتجاوزوا الكتاب إلى صاحب الكتاب. ونشر أكثر ذلك في صحف ذلك العهد، ثم جمع بعضه في كتب هي: كتاب "نقد كتاب الشعر الجاهلي" للأستاذ محمد فريد وجدي، وكتاب "الشهاب الراصد" للأستاذ محمد لطفي جمعة، وكتاب "نقض كتاب في الشعر الجاهلي" للسيد محمد الخضر حسين، وكتاب

١ ص٢٩٦-٢٩٧.." (٢)

"وفي أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم السابقة - بما تحمل من توجيهات وإرشادات - نقدات أدبية غاية في الأهمية، فهي تدعو إلى الصدق في القول، وعدم التكلف والغلو فيه كما تدعو إلى ترك التظاهر بالبلاغة والتشادق بالفصاحة، وترك السجع المتكلف؛ لأن هذه الأمور الأخيرة المنهي عنها، قد تبهم المعنى، وتضيع الحقيقة، وقد تلبس الباطل ثوب الحق. هذه النقدات الأدبية بشقيها: الفعلي والتوجيهي، التي وجهها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشعراء والأدباء، والتي وقفنا على طرف منها فيما أوردنا من أمثلة - هذه النقدات تمثل تطورا لتلك المحاولات النقدية التي بدأت منذ العصر الجاهلي، وهي محاولات تعتمد على الذوق والفطرة والطبع وصحة الفهم وسعة الرواية، والخبرة المستفادة من المعارف العامة، مستظلة بروح الدين وتعاليمه وآدابه، متجهة إلى **اللفظ والمعنى** والأسلوب والغرض.

كما يلاحظ - أيضا - من نقد الرسول الكريم استعمال المصطلحات النقدية؛ فلأول مرة تستعمل في محيط النقد الأدبي

(١) مصادر الشعر الجاهلي ناصر الدين الأسد ص/٢٩٠

(٢) مصادر الشعر الجاهلي ناصر الدين الأسد ص/٤٠٢

ألفاظ تتصل بهذا الفن، لتدل على سير هذا الفن خطوات إلى الأمام، فاستعمل لأول مرة لفظ (البيان) في قوله صلى الله عليه وسلم: "إن من البيان لسحرا"، ولفظ البلاغة مشتقا منه لفظ (البليغ) في قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى يبغض البليغ من الرجال، الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها" ١، والرسول يعني بالبليغ: الذي يتقن الصنعة بقصد تزوير القول.

ونظرة إلى الأحكام النقدية التي وجهها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشعر والشعراء نرى أنها أحكام اتسمت بالعموم والإيجاز، كإعجابه بقول لبيد، وطربه لشعر النابغة الجعدي، واستحسانه لبيان عمرو بن الأهتم، وتعديله للمعاني التي أتى بها كل من كعب بن زهير، وكعب بن مالك، من تلك النقدات التي عرضناها من قبل.

كما يلاحظ القارئ أنها أحكام اتسمت بالجزئية، فنقده صلى الله عليه وسلم كان متجها إلى اللفظ أو المعنى دون غيرهما من الجوانب النقدية الأخرى، فإعجابه بقول لبيد كان متجها للمعنى، فالمعنى عند لبيد جميل وشريف لانسجامه مع الروح الإسلامية، وكذلك طربه لمعنى النابغة يجري مع غاية ما يطمح إليه المؤمن، حينما جعل نهاية مطمحه الجنة.

---

١ الباقرة: البقرة، والمعنى: أن الله يبغض البليغ الذي يفخم لسانه بالكلام ويلفه كما يلف البقرة الكلأ بلسانها لفا.." [(١)]

"القلب" بأستاذه أوثق من علاقة "الابن من الصلب بأبيه"، يهدي "حديث الأربعاء" إلى "الأستاذ الصديق أحمد لطفي السيد، تحلة تلميذ وتحية صديق"١، ولعل في ذلك تلخيصا مكثفا لعلاقة طه حسين بلطفي السيد.

التوجيه الفكري في صلة طه حسين بلطفي السيد:

أما جانب التوجيه الفكري في هذه الصلة، فإن آثاره ستبين بوضوح عندما نتحدث عن موقفه من البيئة العامة للمقال الصحفي، واتصاله "بالجريدة" التي تعددت على صفحاتها ألوان نتاجه الفكري والصحفي في مرحلة التكوين، وأغلب الظن أن لطفي السيد هو الذي رشح طه حسين للعمل في صحيفة السياسة مع زميله في مدرسة الجريدة: الدكتور محمد حسين هيكل، وهي صحيفة حزب الأحرار الدستوريين، لينهض تلامذته بدفع رسالته الصحفية والسياسية والاستمرار بها في الحياة العامة.

ويشخص طه حسين هذا الجانب الفكري الذي تمثله من فلسفة لطفي السيد في هذه الخصال٢:

الأولى: أنها فلسفة تجديد وإصلاح، لا يقومان على هدم القديم، بل يقومان على تنقيته وتصفيته وتقويته وإزالة ما فيه من أسباب الانحلال والضعف.

الثانية: إنها فلسفة حرية وصراحة، ولكن بأوسع معاني الحرية والصراحة العقلية.

الثالثة: إنها فلسفة ذوق وقصد في **اللفظ والمعنى** والسيرة معا.

الرابعة: إنها فلسفة كرامة وعزة واعتراف بالشخصية الإنسانية، وحمل الناس على أن يعترفوا بهذه الشخصية.

ويبين تمثل طه حسين وزملائه من تلاميذ لطفي السيد وأصفيائه، من أخذهم "بحظهم من هذه الخصال، فهم مصلحون

---

(١) النقد الأدبي ومقاييسه خلال عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعصر الخلافة الراشدة محمد عارف محمود حسين ص/٢٨٠

ودعاة إلى التجديد؛ وهم أحرار ودعاة إلى الحرية، وهم محبون للذوق حين يفكرون وحين يعملون، وهم أباة حريصون على الكرامة الفردية والاجتماعية، لهم لون خاص يمتازون به ويعرفون بين الطبقات المختلفة والأصناف المتباينة من الناس، يتخذهم خصومهم أحيانا هزؤا وسخرية، ولكنهم على ذلك كله يقدرونهم ويتأثرون خطاهم ويحسدونهم على ما يسخرون منهم من أجله٣".

---

١ حديث الأربعاء جـ٢ ص٤٩، جـ١ ص١٧ يناير ١٩٢٥.

٢ المرجع السابق جـ٣ ص٥٠، ٥١.

٣ المرجع السابق جـ٣ ص٥١.." (١)

"براعة استهلال:

السفح الدموع لذكر السفح والعلم ... أبدى البراعة في استهلاله بدم

التورية:

وكم بكيت عقيقا والبكاء ... بدر، وتوريتي كانت لبدرهم

الجناس التام:

أقمار تم تعالوا في منازلهم ... فالصب مدمعه صب لبعدهم

وأن الشعر عنده -كما كان عند معاصريه- مهارة لفظية، وصناعة خالية من الروح والشعور، ومقدرة على صياغة منظومة، فمن ذلك قوله موريا:

قالوا: اتخذ لك خادما، فأجبتهم: ... أنى يكون لناظم الشعر الرقيق؟

قالوا: التمس لك طيب عيش، قلت: لا ... يرجى لرب **اللفظ والمعنى** الدقيق

وقوله في الجناس، وكل القصيدة على هذا المنوال:

أيا من به صار الزمان سعيدا ... ومن كل وفاه آنس عيدا

أما التأريخ الشعري، والألغاز فكثيرة.

هذا، وقد شغل الساعاتي عدة مناصب في الدولة، فمن موظف بالمعية، إلى موظف في مجلس الأحكام المصرية "وكان بمثابة هيئة الاستئناف العليا في عهدنا"، وكان يرأسه الأمير إسماعيل في عهد سعيد، ومدح من حكام مصر في العهد السابق سعيدا، وإسماعيل، وتوفيقا، ومات في سنة ١٢٩٨هـ-١٨٨٠م، قبل أن تندلع الثورة العرابية.

٤- عبد الله فكري:

---

(١) فن المقال الصحفي في أدب طه حسين عبد العزيز شرف ص/٥٧

وهو يمثل المدرسة الثالثة من المقلدين، تلك المدرسة التي قلد أربابها بلغاء القرن الرابع؛ كالصاحب بن عباد، وابن العميد، وقلدوا كذلك في حياتهم وأسلوبهم وتنميق رسائلهم القاضي الفاضل، وابن مطروح، واستطاعوا بما أوتوا." (١)

"المئات والألوف والملايين تحصد حصدا، والمدن تدمر تدميرا، فصارت لا تؤمن بالمثل العليا، والقيم الأخلاقية، ولا يبقى على شيء من الفضائل، إذ لا فائدة من هذا كله والحرب تحطم كل شيء فالأولى لهذه البشرية أن تقبل عن اللذات بنهم، وتتزود منها ما استطاعت قبل أن تذهب إلى جحيم الحرب، وأخذ الأدباء –للأسف– في أوربا يتملقون تلك النزعات، ويغذونها بأدب رخيص كله شهوة عارمة، ولذة تافهة.

تأثير بعض نقادنا بكبار الأباء الأوربيين الذين لم يشاهدوا تلك الحركات الهداية لمعنويات البشرية وحضارتها، ورجعوا يدعون قومهم إلى أن يجددوا في أدبهم، وأن يجعلوه ممثلا لعصرهم وبيئتهم والحضارة التي يتقلبون في أحضانها. دعوا إلى الثورة في الأدب شعرا ونثرا، والذي يعنينا الآن هو الشعر، فلم تكن الثورة على الغرض وحده كما رأيت عند محمد فريد، ولكن الثورة كانت على لغته، وعلى أسلوبه، وعلى معانيه، وعلى أغراضه، وأن نقتفي في شعرنا آثار الشعر الغربي في كل هذا.

وقد حاول الشيخ نجيب الحداد١ أن يوازن بين الشعرالعربي والغرب في اللفظ، والقافية، والمعنى، وليضع أمام المجددين حقائق عن الشعر الغربي يسيرون على هديها وبين أن وزن الشعر عندنا يختلف عن وزنه عندهم، فالشعر العربي يعتمد على التفاعيل، والشعر الغربي يعتمد على "الأهجية اللفظية" وهي كل نبرة صوتية تعتمد على حرف من حروف المد، سواء كل ذلك الحرف وحده، أو مقترنا بحرف صحيح، ويسمون هذه الأهجية "أقداما" وأطو لها ما تركب من اثني عشر هجاء، وأقصرها من هجاء واحد، ويجوز للشاعر أن ينظم القطعة بحيث يكون أول أبياتها اثني عشر هجاء واحد، وينزل بها تدريجا إلى هجاء واحد، كالحال في بعض الموشحات، وثمة فرق آخر وهو أنهم يصلون بين البيتين في **المعنى واللفظ**، وقد كان هذا عيبا عند العرب، ولقد عابوا النابغة الذبياني لقوله:

---

١ أديب سوري استوطن مصر منذ طفولته، ولد سنة ١٨٦٧، وهاجر إلى مصر مع أهله سنة ١٨٧٣، وتعلم في الفرير؛ ثم عاد إلى بيروت وتخرج على خاليه إبراهيم وخليل اليازجي واشتغل بالصحافة والأدب فكان محررا بالأهرام، ثم تحولت أسبوعية واشتهر بالتعريب، وتأليف الروايات، وهو شاعر عصري مجدد ممتاز، ومن رواياته المترجمة "غصن البان"، ورواية "الفرسان الثلاثة" توفي سنة ١٨٩٩، وقد طبع ديوانه مرتين.." (٢)

"وعثرات، ووهن هنا وسقوط هنا، أو إسفاف أو خمولة أو قصور أو تقصير أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى ويلحق به"١.

ولعله في نقده لحافظ إبراهيم يبين لنا بعض اتجاهاته النقدية ورأيه في الشعر فهو يدعو إلا الإقلاع عن التقليد في الأدب فإن ذلك يفقده فضيلة الصدق، ومزية النظر، وهما عماد الأديب وقوام الشعر والكتابة، ولكن على الأديب أن يستفيد من

---

(١) في الأدب الحديث عمر الدسوقي ١/١٤٤

(٢) في الأدب الحديث عمر الدسوقي ٢/٢٣٥

آثار القدماء في أدبهم ويدرس في فهم الأصول الأدبية العامة التي لا ينبغي لأديب أن يحيد عنها أو يغفلها بحال من الأحوال -كالصدق والإخلاص في العبارة عن الرأي أو الإحساس، وهنا وحده كفيل بالقضاء على فكرة التقليد، والتقليد على كل حال دليل على ضعف الخيال، وعدم القدرة على الابتداع، وفقدان الشخصية.

ويرى إباحة التصرف في اللغة تصرف الوارث في إرثه، فلا يجمد أمامها بل ينبغي أن يجعلها تساير التطور والحاجة، ولكنه كان لا ينادي بالعامية والتساهل في معجم اللغة كما رأينا من قبل.

والأدب الحق عنده هو الذي يصور الوجدان والأحاسيس في صدق ويعطي صورة صادقة للناس وللحياة، ولا يقيم وزنا للزخرف اللفظي إنما يوجه كل عنايته للمعنى، وكل معنى صادق مهما كان موضوعه أو هدفه وغايته فهو خليق بأن يكون موضوعا للأدب.

ولعلك ترى من هذا أنه يلتقي مع شكري والعقاد وأنهم جميعا يصدرون عن فكرة واحدة في قضية **اللفظ والمعنى**، وموضوع الأدب.

ويرى أن الناقد يجب أن ينظر إلى غرض الشاعر الذي يهدف إليه في القصيدة جملة حتى ندرك ما يرمى إليه كاملا، وعليه في ذلك النظر إلى جزء منها دون سواها"٢.

---

١ مجلة الكتاب عدد نوفمبر ١٩٤٥ ص٧٩- ٩٠.

٢ راجع شعر حافظ ص٢ وما بعدها.." [(١)]

"وهو ممن قال بأن القصيدة العربية القديمة فيها وحدة معنوية١، واستنكر ما رمى به الشعر القديم من خلوه من هذه الوحدة، وعلل هذا الزعم بأن أصحابه لم يطلعوا على الشعر القديم كاملا، وضرب مثلا بمعلقة "لبيد"؛ وأخذ يبين ما فيها من وحدة معنوية٢، وتنسيقها وملاءمتها الشديدة للموسيقى التي تجمع بين جمال **اللفظ والمعنى** والوزن والقافية، ووضح أن هذه النغمة المتصلة هي التي كونت وحدة القصيدة المعنوية.

وأثر الدكتور طه حسين في الشعر يرجع إلى ما تناوله من قصائده بالنقد كما فعل في قصيدة شوقي التي قالها في مصطفى كمال والتي مطلعها:

الله أكبر كم في الفتح من عجب ... يا خالد الترك جدد خالد العرب

ووازن بينها وبين قصيدة أبي تمام في فتح عمورية:

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

وكما فعل في قصيدة شوقي:

قفي يا أخت يوشع خبرينا ... أحاديث القرون الغابرينا

وبتأريخه للأدب على طريقة جديدة تأثر فيها بأستاذه "نللينور" وطبق فيها طريقة الغربيين في البحث الأدبي، وكانت باكورة

---

(١) في الأدب الحديث عمر الدسوقي ٢/ ٢٨٠

هذه الأبحاث "ذكرى أبي العلاء" الذي نال عليه شهادة الدكتوراه من الجامعة المصرية القديمة وصار نموذجا لمن أتى بعده من مؤرخي الأدب، وكذلك بما ترجمه من الأدب الفرنسي شعرا ونثرا، ليضربه نماذج وأمثلة لشعرائنا كي يحتذوه.

والدكتور طه لا يقيس الأدب بمقياس جمالي أو سيكلوجي أو لغوي معين، وإن كان ينتفع في نقده بنتائج هذه الدراسات انتفاعا واضحا كما رأيت في الشمول الذي يريده لمنهجه، وليست له نظرية واضحة المعالم في فلسفة الفن والجمال. ولكنه يصدر في نقده عن ذوق ومعرفة٣. ونقده في مجمله ذاتي،

---

١ حديث الأربعاء ج٢ ص٨٣.

٢ الأدب الجاهلي ص٣٥٨ وحديث الأربعاء ج١ ص٣٠.

٣ من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده لمحمد خلف الله ص١٣٥ وما بعدها.." [1]

"الذوق، فإن صبري يريد التهنئة –وليس من المناسب في مقام التهنئة إيراد مثل هذه الصورة الحزينة، ولا ذلك اللون القائم، أين هذه الصورة من قول أبي نواس الثائر على وصف الأطلال والدمن حين يقول:

ألا لا أرى مثلي امترى اليوم في رسم تغص به عيني ويلفظه وهمي أتت صور الأشياء بيني وبينه فظني كلا ظن وعلمي كلا علم وقول أبي تمام:

على مثلها من أربع وملاعب ... أذيلت مصوغات الدموع السواكب

أو قوله:

أدار البؤس حببك التصابي ... إلى فصرت جنات النعيم

لئن أصبحت ميدان السوافي ... لقد أصبحت ميدان الهموم

أظن الدمع في خدي سيبقى ... رسوما من بكائي في الرسوم

وإذا تتبعنا أبياته في المدح من تلك القصيدة القافية التي اشتهرت؛ لأنه أثنى فيها على عباس ثناء عاطرا لعفوه عن سجناء حادثة دنشواي؛ ولأنه استطرد إلى وصف تلك الحادثة وجدناه مقلدا في كل بيت من أبياتها، وناظرا إلى بيت من الشعر القديم، تارة يأخذ **اللفظ والمعنى** وتارة يكتفي بالمعنى وحده، من غير توليد أو إضافة جديدة على الصورة، ولنضرب على ذلك مثلا بقوله:

أحرزت يا عباس كل فضيلة ... وبلغت شأوا في العلى لا يلحق

من ذا يجاري أخمصيك إلى مدى ... وهواك سباق وعزمك أسبق

فالثناء على الممدوح بأنه حاز كل الفضائل، وبأنه بلغ في العلا شأوا لا يلحق، كلام قديم جدا، وطالما ردده الشعراء، هذا هو مهيار الديلمي يقول:

لا أدعي لأبي العلاء فضيلة ... حتى يسلمها إليه عداه

---

(١) في الأدب الحديث عمر الدسوقي ٢/٢٩١

وما أشبه الشطر الثاني من البيت الأول بقول أبي تمام:

هيهات تطلب شأو من لا يلحق." (١)

"تناول هؤلاء النقاد قضايا النقد الأدبي في فنون الأدب المختلفة، لتوضيح القيم الخلقية والفنية في **اللفظ والمعنى**، والمضمون والشكل، والأسلوب والنظم والصورة الأدبية، والموسيقى والإيقاع، والعاطفة والخيال، والذوق الأدبي، والدربة، وقضية عمود الشعر، وقضية الجمال والحلاوة والجلال، وقضية السرقات الأدبية، ومن خلال هذه القضايا النقدية تعددت المدارس الأدبية والنقدية، فكانت مدرسة المحافظين على عمود الشعر العربي، ومدارس التجديد، والمولدين، والبديع، والصنعة، والتصنيع وغيرها.

واتخذ النثر الفني أيضا اتجاهات مختلفة، ومدارس أدبية متنوعة، تأسست على يد عبد الحميد الكاتب، وابن المقفع، ومدرسة الترسل على يد الجاحظ، ومدرسة ابن العميد، ومدرسة المقامات، ومدرسة الفاضل، وغير ذلك من الاتجاهات النقدية في النثر الأدبي.

أصبح هذا التراث النقدي العربي الأصيل بروافده المتنوعة، واتجاهاته الكثيرة ومدارسه النقدية المختلفة، مصادر النقد الأدبي الحديث، يقوم في تجديده على الأصول النقدية القديمة، والمقومات الفنية، والمدارس النقدية، ينبض بها في جميع اتجاهاته الحديثة، ومدارسه النقدية المعاصرة في المحافظة والتجديد، مثل: مدرسة البعث والإحياء ومدرسة المحافظين المجددين، وجماعة أبولو، وجماعة الديوان، حتى أصبح النقد العربي الحديث مرحلة تاريخية جديدة، تعاقبت بعد مراحله الأصلية والعريقة في العصور القديمة.

نسأل الله –عز وجل– أن ينفع به إنه نعم المولى ونعم النصير.

٣٠ رمضان المبارك ١٤٢٠ هـ

٧ من يناير ٢٠٠٠م

علي علي صبح." (٢)

"القسم الثاني: قضايا **المعنى واللفظ** والأسلوب والنظم والصورة والموسيقى

الفصل الأول: القضايا النقدية في صحيفة بشر بن المعتمد

...

خفاء على ذوي العلوم، لتبينهم ما نزل بصاحبه فيه: من طول التفكر، وشدة العناء، ... بأن ترى البيت مقرونا بغير جاره، ومضموما إلى غير لفقه ... والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر، واقتدر على القوافي، وأراك في صدر البيت عجزه، وفي فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع، ووشي الغريزة" ١.

ويوضح المرزوقي [م ٤٢١ هـ] المطبوع والمصنوع أيضا فيقول: "متى رفض التكلف والتعمل، وخلى الطبع المهذب بالرواية،

---

(١) في الأدب الحديث عمر الدسوقي ٢/٣٥٢

(٢) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/٤

المدرب في الدراسة لاختياره.... أدى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكون صفوا بلا كدر، عفوا بلا جهد، وذلك هو الذي يسمى: المطبوع، ومتى جعل زمام الاختيار التعمل والتكلف عاد الطبع مستخدما متملكا، وأقبلت الأفكار تستحمله أثقالها ... مطالبة له بالإغراب في الصنعة.... وذلك هو المصنوع" ٢.

ويرى أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجاني [م ٣٩٢ هـ] أن الشعر يعتمد أول ما يعتمد على الطبع، لأن

---

١ الشعر والشعراء: ١٢.

٢ شرح ديوان الحماسة: ١٢.." (١)

"الاختلاف بين جزالة أدب البدو والأعراب، ورقة أهل الحضر، وسهولة ألفاظها ومعانيها، وبخاصة بعد الإسلام حين "اتسعت ممالك العرب، وكثرت الحواضر، ونزحت البوادي إلى القرى، ونشأ التأدب والتظرف فاختار الناس من الكلام ألينه وأسهله ٢.

ونلاحظ أن أول من نبه إلى أثر البيئة في الشعر هو ابن سلام الجمحي في طبقاته، فقد علل لين الشعر عند عدي بن زيد، بأنه كان يسكن الحيرة ومراكز الريف وفي قلة الشعر في الطائف ومكة لقلة الحروب؛ لأن الشعر إنما يكثر بالحروب كحرب الأوس والخزرج. ولذا قل الشعر بين قريش إذ لم يكن بينهم ثأرة ولم يحاربوا٢.

ومبدأ تأثير البيئة في ذاته صحيح، ولكن ابن سلام لم يستطع أن يفيد منه كمبدأ من مبادئ النقد الأدبي، وأن يكن قد حاول به أن يعلل تعليلا موضوعيا للظواهر الأدبية.

وبعد هذه الاتجاهات النظرية العامة علينا أن نفصل القول في مختلف الاتجاهات في النقد العربي مع تقويمها تقويما حديثا.

ويمكن تقسيمها إلى اتجاهين كبيرين:

ما يخص وحدة العمل الأدبي من حيث أجناس الأدب من شعر ونثر، ثم من حيث ترتيب أجزاء القول والأهداف الإنسانية للأدب.

والاتجاه الكبير الآن الذي يتحدث النقاد فيه عن القيم الجمالية للوحدة البلاغية وأزمة التجديد فيها. ثم فيما سموه **اللفظ والمعنى**، أو الشكل والمضمون.." (٢)

"٢- قدامة بن جعفر "٣٢٨ هـ":١

يوجب تألف **اللفظ والمعنى**، وكذلك الوزن والقافية، ولكنه مع ذلك يخصص بالدرجة الأولى وحدة البيت، ويشترط أن يكون لكل بيت معنى تام مستقل.

وعقده أن الشاعر إذا أتى بالمعنى الذي يريد في بيت واحد، كأن ذلك أشعر من الذي أتى بذلك في بيتين كقول الشاعر:

إذا أنت لم تستبق أخا لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب

---

(١) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/١٥

(٢) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/٤٦

مع قول الآخر:

إذا أنت في كل الأمور معا ... تبا صديقك لم تلق الذي لا تعانيه

فعش واحدا أو صل أخاك ... فإنه مقارف ذنبا تراه ومجانبه

ومن العيب الواضح عند قدامة الناقد احتياج البيت إلى آخر ليتم معناه، فالمعنى يطول عن أن تحتمل العروض تمامه في بيت واحد فيقطعه الشاعر بالقافية ويتمه في البيت الذي يليه.

وقد سئل حماد الراوية:

بم تقدم النابغة؟

فأجابه باكتفائك بالبيت الواحد من شعره. لا بل بنصف بيت. لا: بل بربع بيت مثل قولي:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب

وقوله كل نصف بيت يغنيك عن صاحبه.

وقوله: أي الرجال المهذب.

وقوله: وربع بيت يغنيك عن غيره.." (١)

"٣ - "أبو هلال العسكري١ "٣٩٥ هـ":

وأبو هلال يكتفي من المعنى أن يكون صوابا. ويشترط جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهاءه وصحة السبك والتركيب. والخلو من إعوجاج النظم والتأليف إذ يقول:

"وليس الشأن في إيراد المعنى، لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبادي، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه، ونزاهته ونقائه، وكثرة طلاوته ومائه، من صحة السبك والتركيب والخلو من أود النظم والتأليف".

"وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صوابا. ولا يقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفناه من نعوته التي تقدمت. وذهب أبو هلال إلى أن الكلام إذا كان لفظه حلوا عذبا، وسلسا سهلا، ومعناه وسطا دخل في جملة الشعر الجيد، وجرى في صفته مع النادر، واستشهد الناقد البلاغي على صحة مذهبه هذا بقول الشاعر:

ولما قضينا من منى كل حاجة ... ومسح بالأركان من هو ماسح

وشدت على حدب المهاري رحالنا ... ولم ينظر الغادي الذي هو رائح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطي الأباطح

يقول العسكري: "وليس تحت هذه الألفاظ كبير معنى وهي رايقة معجبة".

٤- ابن طباطبا٢ "٣٣٢".

---

(١) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/٤٨

أما ابن طباطبا فذكر في كتابه عيار الشعر أن الشعر صناعة وأن الصناعة تقتضي الفصل بين **اللفظ والمعنى** مما قال في ذلك:." (١)

"عمود الشعر عند الآمدي:

وفي كتاب١ الموازنة بين أبي تمام والبحتري نجد أبا القاسم للحسين بن بشر الآمدي ينحاز إلى جانب اللفظ كثيرا، وذلك عندما يقف بين **اللفظ والمعنى** أو يطبق نظرية في عمود الشعر على الشاعرين السالفين.

وتراه ينوه بشعر البحتري ويشيد به فيقول:

ودقيق المعاني موجود في كل أمة. وكل لغة. وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأتي، وقرب المأخذ، واختيار الكلام، ووضع الألفاظ في مواضعها، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه. المستعمل في مثله، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة. وغير منافرة لمعناه. فإن الكلام لا يكتسى البهاء والرونق إلا إذا كان بهذا الوصف وتلك طريقة البحتري.

قالوا: وهذا أصل يحتاج إليه الشاعر والخطيب صاحب النثر. لأن الشعر أجوده أبلغه، والبلاغة إنما هي إصابة المعنى. وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة، مستعملة سليمة من التكلف، لا تبلغ الهزر الزائد، على قدر الحاجة، ولا تنقص نقصانا يقف دون الغاية، وذلك كما قال البحتري:

والشعر لمح تكفي إشارته ... وليس بالهذر طولت خطبه

وقال أيضا:

ومعان لو فصلتها القوافي ... هجنت شعر جرول ولبيد

حزن مستعمل الكلام اختيارا ... وتجنبن ظلمة التعقيد

وركن اللفظ الغريب فأدركه ... به غاية المرام البعيد." (٢)

"القسم الثاني: قضايا **المعنى واللفظ** والأسلوب والنظم والصورة والموسيقى:

الفصل الأول: القضايا النقدية في صحيفة بشر بن المعتمد

صحيفة بشر بن المعتمر وأثرها في النقد الأدبي:

بشر بن المعتمر:

هو أبو سهل بشر بن المعتمر المتوفى عام ٢١٠ هـ، من طبقة الكتاب والنقاد والمتكلمين، عاش في القرن الثاني الهجري، وعاصر الشاعر أبا تمام "١٧٢ - ٢٣١ هـ] وكذلك الأديب الناقد ابن سلام الجمحي [م ٢٣١ هـ] .

ولد أبو سهل في الكوفة، ثم تحول عنها إلى البصرة، واستقر في بغداد، وطار ذكره فيها، وتوثقت صلته بالرشيد وبالفضل بن يحيى البرمكي، ويعد بشر شيخ فرقة البشرية التي سميت باسمه، تسمو بالعقل، وتعتد بمقاييسه في جوانب الفكر والكلام، ومن شعره الذي يذم فيه التقليد:١

---

(١) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/٤٩

(٢) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/٥٥

١ الحيوان: الجاحظ: تحقيق عبد السلام هارون ٦، ٢٨٦.." (١)

"النظم والتصوير الأدبي:

تنبه بشر بن المعتمر قبل غيره من النقاد إلى قضية النظم، فهو لا يرتفع باللفظ وحده، ولا بالمعنى وحده، ولكن يقصدهما معا، ممهدا لنظرية النظم يقول: "إياك والتوعر، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك، فالتعقيد من سمات **اللفظ والمعنى** معا، وهو يفسد الصورة الأدبية، ويخل بالتعبير، ويفقد روح التاثير فيها ويقول بعد ذلك: "ومن أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما".

فموطن الجمال عند بشر في العمل الأدبي يرجع إلى ارتباط اللفظ بالمعنى فلا بد للمعنى الشريف من لفظ شريف ويريد بذلك أن يفصح عن العلاقة بينهما، فليست في اللفظ وحده ولا في المعنى وحده، ولكن في العلاقة بينهما، وهي محل الصورة الأدبية، التي توضح المعنى، وتسمو بالصياغة والتعبير، وليسمها بشر علاقة، أو اهتمام **باللفظ والمعنى** كما يشاء، لمناسبة التسمية مع ذوق أدباء.." (٢)

"عصره. فقد نشأ النقد الأدبي قبل أن يعرف مصطلحاته الحديثة.

وهذا الاتجاه قريب من مفهوم الصورة الأدبية، التي تحددت معالمها فيما بعد، بل أضاف لما سبق معالم جديدة في مفهومها، منها التلاؤم بين **اللفظ والمعنى**، وقوة العاطفة، والوحدة الفنية، وتلاؤم الصورة مع العاطفة والمقام والغرض التي ذكرت من أجله.

يقول بشر في مناسبة اللفظ للمعنى والتلاؤم بينهما:

ومن أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ... إلى قوله: إن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا١.

ويأتي الجاحظ بعد بشر ليرد الجمال والبلاغة إلى الألفاظ، لأنها محصورة محدودة، بينما المعاني عنده ممتدة مبسوطة، لكنه بعد ذلك يربط بين **اللفظ والمعنى** فهو يجعل

---

١ البيان والتبيين: الجاحظ ١٣٥،١.." (٣)

"الشأن للصياغة، والشعر ضرب من التصوير، والصياغة والتصوير يرتبط فيها اللفظ بالمعنى يقول: "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء،

---

(١) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/٩٥

(٢) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/١٣٦

(٣) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/١٣٧

وفي صحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير ١.

ويتفق أبو هلال العسكري مع الجاحظ في تأثرهما بصحيفة بشر بن المعتمر. ويرى ابن قتيبة أن القصيد يعلو ويهبط حسب قيمة **اللفظ والمعنى** فيه، فقسمه إلى أربعة أضرب: ضرب حسن لفظه وجاد معناه، وضرب حسن لفظه وعلا فإذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى، وضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه، وضرب تأخر معناه وتأخر لفظه ٢.

ويسير ابن طباطبا بما جاء به بشر بن المعتمر فيقول: "إذا أراد الشاعر بناء قصيدة، فأحضر المعاني الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا، أو أعد له مما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي تواققه ... فإذا اتفق له

---

١ الحيوان ٤٠,٣.

٢ الشعر والشعراء: ٧.." (١)

"بيت يشاكل المعنى الذي يرومه ابتدأ وعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسيق للشعر، وترتيب لفنون القول فيه، بل يعلق كل بيت يتفق له نظمه على ما بينه وبين ما قبله " ١.

هذا هو العمل الفني في القصيدة الشعرية، يحضر الشاعر المعاني، وينتقي لها من الألفاظ والقالب الموسيقي ما يتناسب معها، حتى يستقيم البيت من الشعر، وهكذا بقية الأبيات، فهو يربط بين اللفظ وإيقاعه وبين المعنى، ويشير بذلك إلى قضية النظم التي تتبني عليها الصورة الأدبية.

ويهتم الآمدي "م ٣٧٠ هـ " **باللفظ والمعنى** في النظم والتصوير فيقول: "وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأني، وقرب المأخذ، واختيار الكلام، ووضع الألفاظ في مواضعها، وأن يورد المعنى اللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله ... والبلاغة إنما هي إصابة المعنى، وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف، لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة.... وينبغي

---

١ عيار الشعر: ٢٣.." (٢)

"أن تعلم أن سوء التأليف ورديء اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعميه حتى يحتاج مستمعه إلى تأمل ... وحسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنا ورونقا، حتى كأنه أحدث فيه غربة لم تكن وزيادة لم تعهد"١.

ويكاد يتفق علي بن عبد العزيز الجرجاني مع الآمدي في فهمه للنظم والصورة الأدبية، وتأثرهما بالناقد الأدبي بشر بن المعتمر. ويعقد ابن رشيق باب **اللفظ والمعنى**، ليربط بينهما كما ربط بشر بن المعتمر، يقول ابن رشيق: أن الجمال لا يكون إلا في النظم، لا في اللفظ وحده ولا في المعنى وحده، ويترتب على ذلك أن تكون الصورة الشعرية في العلاقة التي تتم بين الألفاظ

---

(١) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/١٣٨

(٢) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/١٣٩

وتكشف عن المعنى٢.

وهذا ما قرره عبد القاهر الجرجاني "م ٤٧١ هـ" واكتمل على يديه، حيث انتهى إليه الحديث عن النظم والصورة الأدبية، بعد أن بدأه بشر بن المعتمر، ليبلغ عبد

---

١ الموازنة بين أبي تمام والبحتري ١٧٣.

٢ العمدة: ١٢٤،١.." (١)

"وليس من المعقول أن نفصل الصورة قديما عن قضية **اللفظ والمعنى** وهي جوهرها ولبها وما اللفظ إلا الشكل؟ وما المعنى إلا المضمون؟ - وهما اللذان أثارهما النقاد المحدثين. وكيف لا يتناول النقد الأساس الأول الذي قامت عليه المذاهب الأدبية في العصر العباسي فوجدنا منه شعرا مطبوعا، وآخر مصنوعا، شعرا يهتم بالمعنى، وآخر يهتم باللفظ. يقول نقادنا عن الشعر: إنما هو عواطف الشاعر وشعوره بركبها خيال وملكات قادرة ومقدرة فنية موهوبة في صور من الألفاظ والأساليب١.

ولا مبرر لدعوة الذين يغمضون أعينهم عن هذه القضية، مدعين أنها دراسة عميقة لا قيمة لها في الصورة، وتبدأ القيمة عندهم من ابن رشيق وعبد القاهر بل هما أيضا كانت نظرتهما قاصرة، لم توف بالغرض المنشود.

وهذا بعد عن الصواب، ونكران للحقيقة، وهم أشبه في ذلك بالذي سقط فجأة على ثمرة ناضجة، فقطفها، وأعمل أضراسه فيها، ولم يوجه أنتباها لكيفية وجودها عندما كانت بذرة، ثم تحولت إلى جذور وجذوع، وسيقان وفروع، وأوراق وأزهار، ثم مضى على ذلك وقت طويل، ونشط إليها من تعهدها ورعاها لقصير ثمرة شهية، تسيل لعاب المتذوق ويتلفظ بها فم الآكل.

وهكذا فلندعهم سادرين في غيهم، مخدوعين بما سمعوا وقرءوا، فهم أناس ألفوا الراحة، واكتفوا بما تحت أيديهم من غير جهد ولا تعب، أو تعقب للمراحل السابقة، قبل الوصول إلى نهاية الطريق، ثم يدعون باطلا أن المراحل السابقة لا قيمة ولها ولا وزن، ولا أهمية ولا اعتبار إلا للنتيجة النهائية في مفهوم الصورة الأدبية التي انتهى إليها النقاد في العصر الحديث.

---

١ دراسات في تاريخ الأدب العربي في أزهى عصوره: د. محمد عبد المنعم خفاجي، د. عبد الرحمن عثمان - القسم الأول ص ١٢٣ مطبعة المدني ١٩٧٢.." (٢)

"كما تعجب الكميت من تصوير ذي الرمة حينما أنشد قوله:

دعاني ما دعاني الهوى من بلادها ... إذا ما نأت خرقاء عني بغافل

فقال الكميت: لله بلاء هذا الغلام، ما أحسن قوله وأجود وصفه يقول: الأستاذ الدكتور خفاجي: "وهذا يدل على إنصاف الكميت في النقد وتمييز الجيد من الرديء في الشعر"١.

---

(١) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/١٤٠

(٢) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/١٤٨

بشر بن المعتمر والصورة الأدبية:

أول من تنبه من النقاد العرب القدامى إلى النظم، وهو بشر بن المعتمر٢ في ضحيفته المشهورة٣، فهو لا يرتفع باللفظ وحده، ولا بالمعنى وحده، ولكن بقصدهما معا وفي نفس واحد، ولا يفصل أحدهما عن الآخر، ويشيد بهما معا ممهدا لنظرية النظم يقول:

"إياك والتوعر، فإن التوعر يسلمك إلى التقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك ممانيك ويشين ألفاظك".

فالتعقيد من سمات **اللفظ والمعنى** معا وهو يفسد الصورة ويخل التعبير ويفقد روح التأثير فيها، ويقول بعد ذلك:

"ومن أراد معنى كريما فيلتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حتهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما".

---

١ دراسات في النقد الأدبي: د. محمد عبد المنعم خفاجي ص ١٠٠ طبعة أولى.

٢ هو أبو سهل بشر بن المتعمر المتوفي عام ٢١٠ هـ زعيم فرقة من المعتزلة تدعى "البشرية" تنسب إليه وكان شاعرا.

٣ البيان والتبيينك الجاحظ: تحقيق السندوبي جـ ١ ص ٨٢ وما بعدها، وتحقيق عبد السلام هارون جـ ١ ص ١٣٤ وما بعدها.." (١)

"فموطن الجمال عنده في العمل الأدبي، يرجع إلى ارتباط اللفظ بالمعنى، فلا بد للمعنى الشريف من لفظ شريف، ويريد بذلك أن يفصح عن العلاقة بينهما، فليس في اللفظ وحده، ولا في المعنى وحده، ولكن في العلاقة بينهما، وهي محل الصورة الأدبية التي توضح المعنى، وتسمو بالصياغة والتعبير، وليسمها بشر علاقة، أو اهتمام **باللفظ والمعنى** كما يشاء، لمناسبة التسمية مع ذوق أدباء عصره، ونشأة النقد الأدبي قبل أن يعرف المصطلحات الأدبية.

وهذا الاتجاه قريب من مفهوم الصورة التي تحددت معالمها فيما بعد، بل أضاف لما سبق معالم جديدة في مفهومها، منها التلاؤم بين **اللفظ والمعنى**، وقوة العاطفة، والوحدة الفنية، وتلاؤم الصورة مع العاطفة والمقام والغرض التي ذكرت من أجله.

يقول أبو سهل بشر بن المعتمر في مناسبة اللفظ للمعنى والتلاؤم بينهما "ومن أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف.. إلى قوله: أن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا".

أما قوة العاطفة في الأسلوب والصورة يقول فيها: "خذ من نفسك ساعة نشاطك" وفراغ بالك، وإجابتها إياك، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرا، وأشرف حسبا وأحسن في الأسماع، وأحلى في الصدور من فاحش الخطأ، وأجلب لكل عين وقوة من لفظ شريف، ومعنى بديع، وأعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطاولة والمجاهدة، وبالتكلف والمماودة".

---

(١) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/١٥٢

أليس هذا حديث العاطفة في الكلام؟ فإنها لا تتولد إلا ساعة النشاط والحيوية والحرارة والانفعال، وعند ذلك تعطى الكثير في وقت قليل، كما وكيفا في النظم والتصوير، وتتوافر لديها المعاني البكر والألفاظ الغرر.." (١)

"والجاحظ في اتجاهه يفصل بين **اللفظ والمعنى** "وينظر إلى اللفظة والجملة ١ "، وهذا حديث المضمون والشكل، والمحتوى والصورة، وأن المعنى قد يكون واحدا، ولكنه يعرض في صورة متعددة وصياغات مختلفة، لأن الشأن في الصياغة والشعر ضرب من التصوير، ونطاق الصياغة والتصوير ضيق صعب، لا يليان إلا لمن وهب القدرة والموهبة. بخلاف المعنى فهو ممتد ميسور يقع للغبي والذكي ويقصد الجاحظ بالصورة في حديثه الأسلوب والصياغة، وإحكام النسج في العبارات وتخير الالفاظ والأوزان، لأن الحديث عنده نبع من الهجوم على أبي عمرو الشيباني نصير المعنى، ونعى عليه اتجاهه، وأقر بأن اللفظ هو مقياس الجمال وحده.

وهذا الرأي ردده كثير ممن أتى بعده من أنصار اللفظ، الذين انتصروا له وأيدوا الصورة، بينما كان هناك من اهتم بالمعنى بجوار اللفظ، وانتصر كل على حدة، حتى جاء بعد ذلك من انتصر لهما معا بدعوة النظم، ورأى أن الصورة إنما تسكون في النظم، لا في اللفظ المفرد، ولا في المعنى المفرد.

موقف ابن قتيبة من الصورة الأدبية:

كان ابن قتيبة من أنصار المعنى الذي شايعوه، ولم يعتبروا اللفظ إلا بشرف معناه، ولم يرفعوا الشكل إلا بنبل مغزاه، فلا قيمة للصورة عندهم إلا بشرف مضمونها، ولكنهم تفاوتوا في النظرة إلى درجة الجودة في **اللفظ والمعنى**، فمنهم من سوى بينهما في الشرق والجودة، ومنهم من رجح المعنى على اللفظ.

---

١ أبو عثمان الجاحظ: د. عبد المنعم خفاجي ص ٢٢٩ – طبعة أولى –. المطبعة المحمدية بالقاهرة.." (٢)

"ويرى ابن قتيبة١ أن القصيد يعلو ويهبط، ويسمو ويقبح حسب قيمة **اللفظ والمعنى** فيه، ولكنه رجح جانب في الشعر على جانب اللفظ حينما قسمه على أربعة أضرب:

أولا: ضرب حسن لفظه وجاد معناه:

ثانيا: ضرب حسن لفظه وحلا، فإذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى.

ثالثا: ضرب جاد معناه، وقصرت ألفاظه عنه.

رابعا: ضرب تأخر معناه، وتأخر لفظه ٢.

ويظهر ترجيحه للمعنى حينما يفقد أبيات كثير المشهورة التي يقول فيها:

ولما قضينا من منى كل حاجة ... ومسح بالأركان من هو ماسح

وشدت على حدب المهاري رحالنا ... ولم ينظر الغادي الذي هو رائح

---

(١) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/١٥٣

(٢) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/١٥٩

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطى الأباطح

فهي عنده خالية من كل معنى مفيد، على أنه يجب بمثل قول أبي ذؤيب:

والنفس راغبة إذا رغبتها ... وإذا ترد إلى قليل تقنع

وذلك لتضمنه معنى أخلاقيا٣، ومن هنا يظهر "باد$$ رأيه في العلاقة بين **اللفظ والمعنى٤**" وهذا الاتجاه يوضح عدم اعتداده بالصورة الأدبية إلا إذا صور الشاعر بها معنى لطيفا ومغزى شريفا، أما التي تحمل معنى وسطا أو ساقطا – وإن اكتملت عناصرها وتلاءمت أجزاؤها، فلا تعد صورة عنده، ولا يقيم لها ورنا كأبيات كثير السابقة، لأن الأساس عنده في الشعر هو شرف المضمون.

---

١ هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفي سنة ٢٧٦ هـ.

٢ الشعر والشعراء: ص ٧ وما يليها.

٣ الشعر والشعراء: ابن قتيبة ص ١٠، ١١.

٤ دراسات في النقد الأدبي: د. محمد عبد المنعم خفاجي ص ١٣٠.." (١)

"معالم الصورة عنده زادت وضوحا أكثر من القاضي، كما سيظهر من خلال اهتمامه **باللفظ والمعنى** "أي النظم" والصورة التي تقوم عليها معا، وسنعرض اتجاهه على النحو التالي:

أولا: رجع الآمدي البحتري على أبي تمام في شعره، وذكر أدلة قوية تؤيد اتجاهه حيث فرق فيها بين العلم والشعر، فلكل منهما طابعه وخصائصه فالشعر عنده غير العلم، والعلم حكمة وفلسفة، والشاعر مصور، وليس حكيما أو فيلسوفا، والصورة الأدبية تكون من **اللفظ والمعنى**، في حسن تأن، وقرب مأخذ، واختيار الوضع المناسب لكل لفظ، الذي يطابق المعنى في الاستعمال المعتاد، من غير كلفة ولا صنعة، مع اللياقة في الاستعارة والتمثيل للمعنى، حتى لا يقع بينهما تأثر، وبذلك يكتسي النظم رونقا وبهاء، وهذا هو الأصل في بلاغة الصورة، من إصابة المعنى بألفاظ سهلة بعيدة عن التكلف، لا تزيد عن الغرض، فإن اتفق للنظم معنى لطيف، زاد من روعته، وإلا – فالصورة غنية في نفسها ودلالاتها يقول وليس الشعر عند أهل العلم به، إلا حسن التأتي، وقرب المأخذ، واختيار الكلام، ووضع الألفاظ في مواضعها، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له، وغير مغافرة لمعناه، فإن الكلام لا يكتسى بالبهاء والرونق، إلا إذا كان بهذا الوصف، وتلك طريقة للبحتري.... والبلاغة إنما هي إصابة المبنى، وإدراك الغرض، بألفاظ سهلة عذبة، مستعملة سليمة من التكلف لا تبلغ الهذر الزائد، على قدر الحاجة ... فإن اتفق مع هذا معنى لطيف، أو حكمة غريبة، أو أدب حسن، فذلك رائد في بهاء الكلام، وإن لم يتفق، فقد قام الكلام بنفسه واستغنى عما سواه.... قالوا:." (٢)

---

(١) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/١٦٠

(٢) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/١٦٨

"صحة المعنى، وكلما كان أصبح تأليفا كان أقوم بتلك الصناعة مما اضطرب تأليفه".

ويؤكد النص الأخير عنايته التامة بالتأليف والنظم، كالشأن في كل صناعة تتألف من مادة وصورة، فقيمة التأليف له المنزلة الأولى ما دام المعنى صحيحا، وأما اضطراب التأليف فلا مدخل له في الشعر، كالشأن في سوء التشكيل لمادة من المواد المعدنية وغيرها.

خامسا:

ويكاد الآمدي يبلغ الغاية في توضيح الصورة التي فضل بها البحتري أستاذه أبا تمام وهو يتحدث في باب العلاقة بين **اللفظ والمعنى**، فقد فسر التأليف وهو النظم في الصورة، حينما عقد موازنة بين صناعة الشعر وبين غيرها من الأشياء في سائر للصناعات الأخرى، فيبنى الشعر الجيد المحكم وكذا الصناعات الأخرى، على دعائم أربع:

أولا: جودة الآلة.

ثانيا: إصابة الغرض.

ثالثا: صحة التأليف.

رابعا: بلوغ الغاية في التأليف بدون نقصان لولا زيادة.

وكذلك الأمر في كل محدث مصنوع في الخلق والإيجاد، يحتاج إلى أربعة أشياء:

أولا: علة هيولانية، وهي الأصل.

ثانيا: علة تصويرية.." (١)

"من غير انتقاص منها وكذلك الصانع المخلوق في مصنوعاته التي علمه الله -عز وجل- إياها، لا تستقيم له وتجود إلا بهذه الأربعة.

وهي آلة يستجيدها ويتخيرها مثل خشب النجار ... وألفاظ الشاعر والخطيب وهي العلة الهيولانية، التي قدموا ذكرها وجعلوها الأصل، ثم إصابة للغرض فيما يقصد الصانع صنعته، وهي العلة الفاعلة، ثم أن ينتهي الصانع إلى تمام صنعته، من غير نقص منها ولا زيادة عليها، وهي العلة التمامية فهذا قول جامع لكل الصناعات والمخلوقات، فإن اتفق الآن لكل صانع بعد هذه الدعائم الأربع أن يحدث في صنعته معنى لطيفا مستنريا، كما قلنا في الشعر من حيث لا يخرج عن الغرض فذلك رائد في حسن صنعته وجودتها، وإلا فالصنعة قائمة بنفسها مستغنية عما سواها".

وهكذا يوضح الآمدي، ما يعتمد عليه الشعر وغيره من سائر الصناعات والصور التي يسببها الشعر في التركيب والبناء، وينص أيضا على الصورة الشعرية نصا واضحا، ولا يكتفي بالنظم والتأليف والصياغة كالسابقين، الذين اكتفوا بمجرد الذكر أو بإشارات مهمة وهم يقصدون الصورة، ولكنه قطع شوطا في توضيح الصورة وذكر معالمها لمرحلة نامية دافعة في أطوار مفهومها.

فاقترن الشعر عنده -كصناعة- بسائر الفنون والصناعات، وتناول الصورة -باستقامة ذوقه ودقة فهمه، وحددها بحدود

---

(١) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/١٧١

ينبغي مراعاتها في التصوير، ومن أخل بشيء منها اختلت هي كذلك، وهذه الحدود هي:

١ حسن التأتي وقرب المأخذ في اللفظ والمعنى.

٢ انتقاء الألفاظ، واختيار الكلام الجيد الحسن.." (١)

"الباقلاني والصورة الأدبية:

يربط الباقلاني ١ بين اللفظ والمعنى في الظاهر ولكنه في الحقيقة يفضل المعنى على اللفظ، لأن مقياس الجمال عنده: أن المعنى البارع، إذا جاء في لفظ بارع فهو أفضل من وقوع المعنى المألوف في لفظ بارع.

ومثل هذا يلحقه بأنصار المعنى، وإن كان يرجع الفضل في إشارته إلى علاقة اللفظ بالمعنى، وإن لم يوضحها، ويعمق جوانبها، ويبين مدى الترابط التام بينهما لكن عبد القاهر الجرجاني أفاد منه كما أفاد من غيره.

وعلى ذلك فمجال الصورة الأدبية لا يتحقق إلا في اللفظ البارع، الذي يحمل معنى لطيفا، يقول الباقلاني:

"إن تخير الألفاظ للمعاني المتداولة المألوفة، أسهل وأقرب من تخير الألفاظ لمعان مبتكرة، ولكن إذا برع اللفظ في المعنى البارع، كان ألطف وأعجب، من أن يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول المتكرر" ٣.

والعبارة الأخيرة تدل على عدم الدقة في فهمه لقضية النظم، لأن الألفاظ البارعة في المعنى تجعله شريفا لطيفا.

ابن رشيق:

والحسن بن رشيق ٣ يذكر في باب "اللفظ والمعنى" آراء السابقين عليه بعد ذكر رأيه فيهما فيقول:

---

١ صاحب إعجاز القرآن المتوفى ٤٠٣ هـ.

٢ إعجاز القرآن: الباقلاني ص ٦٣.

٣ هو أبو على الحسن بن رشيق القيرواني المتوفي عام ٤٥٦ هـ - ١٠٦٤ م.." (٢)

"وليست هذه الآراء هنا محل مناقشة فقد توقشت قل ذلك، والذي يعنينا منذ هو اتجاه ابن رشيق: والآراء السابقة في النص تحدد اتجاهه عن طريق النفي والسلب، فهو يستعرض مذاهب العرب في اللفظ والمعنى، لينفيها عن "جهته"، ويبني رأيه على نقائضها، فيكون من أنصار اللفظ والمعنى معا: "النظم".

ويرى أن الصورة في الشعر أو للنظم، تقوم على العلاقة بين اللفظ والمعنى، فلا اللفظ ينهض بالصورة والجمال، ولا المعنى كذلك، كالإنسان الحي، فكلاهما يسقط بسقوط الآخرن ويسمو بسموه يقول:

"اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه ويقوى بقوته"١.

ولو اختل التركيب في الشعر بعض الخلل، واستقام المعنى، هوى ركن من أركانه لا يقوى إلا به، كالعرج والشلل الذي يغض من تمام الخلقة وكمال الجسم، ويظل صاحبه حيا يتحرك هنا وهناك، وكذلك الأمر في ضعف المعنى، ينال من جمال اللفظ،

---

(١) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/١٧٣

(٢) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/١٨٨

ويكون النظم أشبه بالجسم الأجوف الفارغ الذي لا روح فيه، يقول ابن رشيق:

فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ، كان نقصا للشعر، وهجنه علية، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور، وما أشبه ذلك، من غير أن تذهب الروح – وكذلك إن ضعف المعنى، واختل بعضه، كان اللفظ من ذلك أوفر حظا، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح" ٢.

ويقرد ابن شيق أساسا قويا، لم يسبق إليه، في فهمه للنظم، وتقديره للصورة

---

١ المرجع السابق جـ ١ ص ١٢٤.

٢ العمدة: ابن رشيق جـ ١ ص ١٢٤.." (١)

"ابن شرف القيرواني والصورة الأدبية:

يفضل ابن شرف المعنى على اللفظ، ويقدمه عليه، فمرجع الجمال في العبارة، ومجال الروعة في الصياغة، يكون في المعنى، ثم يأتي بعد ذلك اللفظ، فهو دونه في المرتبة والدرجة، فإن كان المتفي رائقا، فلا عليه أن يقع في لفظ رائق بارع. ولا يعتمد إلا بالمعنى الذي يسكن اللفظ، أي: لفظ يقول:

فإن كان "أي المعنى" في البيت ساكنا، فتلك المحاسن، وإن كان خاليا فاعدده جسما باليا" ١

الإمام عبد القاهر الجرجاني ٢:

وبعد الشوط الطويل يأتي فارس الميدان، وأستاذ النقد العربي القديم الإمام القاهر، ويصلنا وهو في القرن الخامس الهجري بما انتهى إليه النقد الحديث في القرن الخامس عشر، في توضيح معالم الصورة الأدبية.

ولا يظن القارئ الكريم أن من ذكرتهم قبل الإمام من النقاد العرب ليسوا هم وحدهم الذين تكلموا في **اللفظ والمعنى**، وما تفرع عن ذلك من النظم والصورة. بل هناك غيرهم كثيرون منهم الصاحب بن عباد، والمرزوقي وغيرهما، وكذلك فعل جار الله الزمخشري بعده، وغيره مما سار على نهج ما ذكرت من فهمهم للصورة وتحليلها ونقدها. مما جعلني أستقصي في نمو وتحليل، وتفصيل وموازنة واستنتاج كل المراحل التي مر بها مفهوم الصورة الأدبية، وذلك ما دعاني إلى الاكتفاء بأشهر الأعلام في النقد القديم. على أن الإمام عبد القاهر، يكفي عمن ذكرتهم، ومن لم أذكرهم، لسعة ثقافته، وفرط ذكائه، فقد أفاد من هؤلاء جميعا حتى انتهى إليه القول في النظم والتصوير الأدبي قديما.

---

١ أعلام الكلام: ابن شرف القيرواني ص ٢٧.

٢ المتوفى ٤٧١.." (٢)

---

(١) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/١٩٠

(٢) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/١٩٤

"أولا النظم:

وقف الإمام قبل أن يرسي قواعد النظم ويحدد معالم الصورة موقف الباحث الدقيق، والناقد الذواقة الأديب، من أنصار اللفظ، وأنصار المعنى، ليضع الأساس الثالث وهو النظم ويفند ما انتهى إليه السابقون حيث قالوا: "إنه ليس إلا **المعنى واللفظ** ولا ثالث ١ نبين موقفه من المعنى على حدة، ثم اللفظ على حدة، ليسلم له الأساس الفني الدقيق في الصورة وهو النظم. وما تلجلج الإمام في موقفه من كل من **اللفظ والمعنى**، قبل أن يستقر في النهاية إلى قضيته كما زعم بعض المعاصرين ٢. ولكن الرجل على عادته، كان يهدم جزءا جزءا وقبل أن يهدم يحدد الخصائص اللازمة للفظ على انفراد، وكذلك المعنى، فيحدد صفات اللفظ البليغ، ويتخير منه ويعلي من قدره منفردا على المعنى ثم في موطن آخر يبرز سمات المعنى ويعلي من شأنه منفردا فإذا انتهى إلى النظم، لم يعط الميزة للفظ وحده حتى يفضل المعنى، ولا يمنح الدرجة للمعنى حتى يسمو على اللفظ، فلا هذا ولا ذاك، وإنما الفضل الحق أن يكون للثالث وهو النظم وكفى٣ فالإمام أعطى لكل حقه على انفراد، ولا قيمة لكل منهما وحده في الصورة وإنا يستحقان هذه القيمة، بل أكثر منها، إذا ارتبطا بالنظم وهو وحده له القيمة الكبرى في الصورة الأدبية. فأما سمات اللفظ عنده، والخصائص التي ينبغي أن تكون فيه هي كما يقول: "أن اللفظة مما يتعارفه الناس واستعمالهم، ويتدا$$ ولونه في زمانهم، ولا يكون وحشيا غريبا، أو عاميا سخيفا

---

١ دلائل الإعجاز: عبد القاهر ص ٤٢٥ تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي.

٢ د. محمد خلف الله أحمد في كتابه "الوجهة النفسية" ض ١١٣، وعز الدين إسماعيل في الاسس الجمالية في النقد العربي.

٣ أسرار البلاغة: عبد القاهر الفاتحة ص ٣ تحقيق السيد محمد رشيد رضا.." (١)

"والنقاد العرب قطعوا شوطا كبيرا في توضيح مفهوم الصورة الأدبية، بعد أن مرت هي كذلك بمراحل النمو والتدرج الطبيعي للأشياء، وإن اتجهت عنايتهم التامة بالصورة الجزئية، مغفلين أمر الصورة الكلية إلا نادرا، وهذا لا يضر بمفهومها في ذاته.

ولا يصح أن نفرض مفهوما حديثا، ونطبقه على المفهوم القديم، لنتهمهم بالتنصير لعدم المطابقة بين المفهومين، ليس هذا بمعقول، لأن النقد القديم كان يمثل مرحلة تاريخية في بناء الفهم للصورة الأدبية، ولذلك كان النقاد غالبا ما يستعملون الشعر والكلام مكان الصورة كالآمدي، أو النظم والتأليف - والصياغة كما هو الشأن عند معظمهم، حتى من فطن منهم إلى التعبير بالصورة كان يمر بها خاطفا كالبرق، ولعل فن التصوير والرسم لم يبلغوا فيه درجة ما بلغناه في عصرنا، حتى أصبح هذا اللفظ على كل لسان حديثا، فاستخدموه في التجارب العملية، وفي معامل العلوم الحديثة. وكذلك يرجع الإقلال من التعامل بالصورة قديما، وإحلال النظم أو الصياغة إلى غير ذلك محلها، إلى حداثة الامتزاج بالأعاجم وشيوع اللحن في اللغة العربية توجد النقاد والأدباء أن الأنسب في مواجهة هذا التيار المشوب باللكنة والعجرمة، والتعبير **باللفظ والمعنى** والنظم والتأليف للصياغة والكلام مما يدل بالنص والتصريح على اللغة وخصائصها، لأن الصورة تعبير غير مباشر، لبيان المراد في اللغة، وإن

---

(١) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/١٩٧

ترددت على ألسنتهم متأثرين بما ترجموه من الاعاجم، فما زالت الصورة غير مختمرة بعقولهم ولا ممتزجة بعواطفهم، لذلك تجنبوا التعبير بها إلا قليلا، حتى يتخمر وتمتزج بنفوسهم ليعبروا بها عن أصالة وإحساس صادق وقد نبعت من حياتهم ولغتهم وأدبهم.." (١)

"الإبداع الفني للشاعر، الذي به يستحق المعنى وينفرد بالصورة ولو كان المعنى قد ملت منه الأسماع، وتلاقت عنده العقول.

والاطمئنان الإمام لما وصل إليه، وهو غاية ما وصل إليه النقاد العرب، أخذ بعض قضية التأثر في كتابه دلائل الإعجاز بصورة أوسع وأبعد عمقا، وقد بناها على فكرة النظم وعلاقات الألفاظ التي اعتمد عليه الكتاب كل الاعتماد.

ويربط التأثر بمشكلة النظم، وضحت أنواع التأثر وانكشفت معالمه وظهر الفرق بين السرقة والأخذ وبين الاحتذاء والتوليد والتأثر.

وأساس الاختلاف في مفاهيم أنواع التأثر، يرجع عند المتقدمين على الإمام إلى قضية **اللفظ والمعنى**، فمن نصر اللفظ منهم جعل السرقة في التصوير والتعبير، ما لم يولد الشاعر في المعنى أو يستوحي أو يتأثر بالاتجاه العام فقط، فإن فعل واحدة منها، لا يتهم بالسرقة، ويحكم على تصويره بقدر درجة جودته، ومدى التباعد بين السابق واللاحق، والمعنى عندهم يستوي فيه كل الناس فالمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ فالشعر صياغة وضرب من التصوير كما قال الجاحظ في رده على أبي عمرو الشيباني نصر المعنى١.

ومن نصر المعنى جعله مجال السرقة والتأثر فيه وإن فرق أنصاره بين المعنى المشترك العام والمعنى الخاص إلا أن المعنى عنده هو أساس الشاعرين أو اختلافهما فيه وانفراد أحدهما به عن الآخر وإن اختلف التصوير، وتباينت التراكيب وتغاير النظم، ومن أنصار المعنى أبو عمرو الشيباني وابن قتيبة ٢.

وبانتصار عبد القاهر لفكرة النظم، وصل إلى الغاية في تحديد أنواع التأثر والسرقات وقرب فيها إلى الكمال، ورد على أنصار المعنى وكشف عن أخطائهم في انتصارهم للمعنى وحده، الذي اختنق بسببه النقد لفترة طويلة وانحط شأن التصوير والنظم والجمال والتأليف ولهذا فهو يؤيد الجاحظ الذي انتصر للفظ والصياغة، لأن المعاني في الطريقة تعرفها الناس جميعا، لا فرق بين حضري وبدوي، وعربي وعجمي.

---

١ الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون جـ ١ ص ٤٠.

٢ الشعر والشعراء أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ص٧ وما بعدها.." (٢)

"القديمة قولهم ... "حرا أخاف على جاني كمأة لأقرأ ١ ويضرب مثلا للذي يخاف من شيء فيسلم منه ويصيبه غيره ما لم يخفه فأخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال ٢:

---

(١) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/٢٢٥

(٢) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/٢٣٥

وحذرت من أمر فمر بجانبي ... لم ينكني٣ ولقيت ما لم أحذر٤

وسر الخلط عند الفريقين كما يراه الإمام أنهم بنوا قاعدتهم على أساس اللفظ أو المعنى ولا ثالث عندهما، وليس الأمر مجرد لفظ أو مجرد معنى، إنما هو أمر ثالث جهلوه وهو الصباغة والتصوير والنظم والتأليف، فمن شأن المعاني أن تختلف عليها الصورة، ومن شأن الألفاظ أن تنتظم بمعاني النحو وأحكامه.

مثل ذلك الحاذق في الصناعة حينما يصنع خاتما أو سوارا من ذهب، فالذهب في ذاته وحجمه لا ميزة فيه ولا تفاضل بين قطعة، وإنما الميزة والتفاضل يكون في صناعتها وصقلها، وتنسيق أجزائها، ووضع كل جزء في مكانه المناسب، فتروق النظر وتستهوي اللهب، وتأخذ من النفس مأخذا كبيرا. يقول الإمام:

وقد علنا أن أصل الفساد وسبب الآفة هو ذهابهم من أن شأن المعاني أن تختلف عليها الصور، وتحدث فيها خواص ومزايا من بعد ألا تكون، فإنك ترى الشاعر قد عمد إلى معنى مبتذل، فصنع فيه ما يصنع الصانع الحاذقن إذا هو أغرب في صنعة خاتم، وعمل شنف وغيرهما من أصناف الحلي، فإن جهلهم بذلك من حالها هو الذي أغواهم واستهواهم وورطهم فيها تورطوا فيها من الجهالات، وأداهم إلى التعلق بالمحالات، وذلك أنهم لما جهلوا شأن الصورة وضعوا لأنفسهم أساسا، وبنوا على قاعدة، فقالوا ليس إلا **المعنى واللفظ** ولا ثالث٥ ".

وجملة الأمر أنه كما لا تكون الفضة خاتما، أو الذهب أسوارا أوغيرهما من أصناف الحلي بأنفسهما، ولكن يحدث فيهما من الصورة، وكذلك لا تكون الكلمة المفردة التي هي أسماء وأفعال وحروف كلاما وشعرا من غير أن يحدث فيها النظم الذي هو حقيقة توخي معاني النحو وأحكامه " ٦.

---

١ كمأة: نبات يمطر في فصل الربيع وهو ما يسميه العامة بعش الغراب.

٢ يقول الدكتور خفاجي في تحقيقه الدلائل هو عبد الله بن يزيد الهلالي.

٣ نكي: بكسر الكاف ينكي: أضر يضر.

٤ دلائل الإعجاز: عبد القاهر ٤٢٦: ٤٢٨.

٥ المرجع السابق ٤٢٥

٦ المرجع السابق ٤٣٠.." (١)

"الموضوع الصفحة

---

(١) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/٢٣٨

(١) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/٢٤٢

محتويات الكتاب ٢٤١.

خاتمة الكتاب ٢٤٤.

ثم بحمد الله تعالى وتوفيقه." (١)

"والجدة"، ولكنه في الوقت ذاته يميل إلى الشك في الشعر الذي يسرف صاحبه في الغريب، والشعر الذي يسرف صاحبه في السهولة واللين.

ويعرض للذين اتخذوا مبدأ البداوة في المعنى مذهبا لالتماس أسباب الصحة والنحل في المعنى دون اللفظ، ثم يعقب عليه بأن "هذا المذهب ليس أقرب إلى الحق من المذهب الذي سبقه"؛ لأن العرب لم يكونوا كلهم أهل بادية؛ فقد كانت هناك حضارة في اليمن، وفي مدن الشماليين كمكة والمدينة والطائف، ويستمر فيقول، بأنه تبعا لهذا المذهب كان "يجب أن يكون الفرق ظاهرا بين ألفاظ الشعراء الذين نشئوا وعاشوا في المدن ومعانيهم، وألفاظ الشعراء الذين عاشوا في البادية ومعانيهم، ولكنا لا نجد هذا الفرق، فشعر المكيين والمدنيين موافق كل الموافقة لشعر البدويين من أهل الحجاز ونجد في الخيال والتصور والأغراض والمعاني بوجه عام، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لا نستطيع أن نعتمد على هذا المذهب؛ لأن العرب لم يتحضروا كلهم بعد الإسلام، وإنما ظلت كثرتهم بادية في الحجاز ونجد، وظلت تقول الشعر، كما كانت تقوله في البادية، ونحلت الشعر، فكيف تستطيع أن تقطع بأن التصور البدوي والخيال البدوي والمعنى البدوي تكفي ليكون الشعر جاهليا؟ " ويرى أنه ليس هناك ما يمنع مهرة الرواة والشعراء المتحضرين أن يتقنوا الحياة البدوية إتقانا تاما، ويحسنوا تقليد شعراء البادية في ألفاظهم ومعانيهم وأغراضهم، ثم ينتهي إلى أن "تزييف المعنى ليس أشد عسرا من تزييف اللفظ، وليس من الفطنة أن تتخذ بدوية المعنى مقياسا لصحة الشعر الجاهلي، كما أنه ليس من الفطنة أن نتخذ غرابة اللفظ مقياسا لصحة هذا الشعر أيضا".

بعد هذا يقترح جديدا، فيقول: "إننا لا ينبغي أن نعتمد على اللفظ وحده، ولا على المعنى وحده، ولا على **المعنى واللفظ** فقط، وإنما نعتمد على **اللفظ والمعنى** وعلى أشياء أخرى فنية وتاريخية. ومن مجموع هذه الأشياء كلها نستخلص لأنفسنا مقياسا يقرب إلينا صواب الرأي في هذا الشعر الجاهلي". وبعد شرحه لهذا المقياس، يقول: إنه يصل إلى ذلك عن طريق المدارس الشعرية في العصر الجاهلي، فقد كانت مدارس شعرية، وكل مدرسة كانت لها قواعد فنية تقوم عليها وخصائص فنية مشتركة بين جميع أبنائها، فيرى "أنه لا ينبغي أن نبحث عن الشعر الجاهلي الآن من حيث شخصية الشعراء الذين يضاف إليهم، بل من حيث المدارس التي أنشأت هؤلاء الشعراء"، ومن نماذج المدارس التي ذكرها: مدرسة أوس بن حجر، وزهير، والحطيئة، وكعب بن زهير، والنابغة.." (٢)

"ومن شعراء هذيل: أبو ذؤيب، وأبو خراش، وساعدة بن جؤية، وأبو العيال، وأبو قلابة، وأبو المثلم، وأبو جندب، ومالك بن خالد، وبدر بن عامر، والمتنخل، وأبو كبير، ومعقل بن خويلد، والبريق، وأمية بن أبي عائذ، وصخر الغي، وعمرو

---

(١) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/٢٤٤

(٢) في تاريخ الأدب الجاهلي علي الجندي ص/٢٤٤

ذو الكلب، وحبيب الأعلم، وعبد مناف بن ربع، والمعطل، وقيس بن عيزارة، وأسامة بن الحارث، وساعدة بن العجلان، وجنادة بن عامر، وأبو بثينة، والعجلان بن خالد، وحذيفة بن أنس، وخالد بن زهير، ومالك بن الحارث، وعمرو بن الداخل، وأسامة بن الحارث.

٤- ويجعل ابن سلام شعراء المدينة الفحول خمسة: ثلاثة من الخزرج، واثنان من الأوس. فمن الخزرج من بني النجار: حسان بن ثابت، ومن بني سلمة: كعب بن مالك، ومن بني الحارث بن الخزرج: عبد الله بن رواحة، ومن الأوس: قيس بن الخطيم من بني ظفر، وأبو قيس بن الأسلت من بني عمرو بن عوف، وأشعرهم حسان١. ومما يدل على انتشار الشعر في يثرب، ما يرويه ابن عبد ربه عن أنس بن مالك، أنه قال: "قدم علينا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وما في الأنصار بيت إلا وهو يقول الشعر، قيل له: وأنت يا أبا حمزة؟ قال: وأنا". ويقول: وفي يهود المدينة وأكنافها شعر جيد٢.

ويقول: وبالطائف شعراء وشعرهم ليس بالكثير، وإنما يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء، نحو حرب الأوس والخزرج، والذي قلل شعر قريش كذلك أنه لم يكن بينهم ثائرة ولم يحاربوا٣.

٥- وللشعر الحجازي خصائصه الواضحة في الأسلوب **واللفظ والمعنى** والخيال والغرض. ويلاحظ اشتماله على كثير من الحكمة وقصص الأنبياء، واحتواؤه على

---

١ ٨٤ طبقات الشعراء.

٢ ١١٥ طبقات الشعراء.

٣ ١٠٧ المرجع السابق.." (١)

"أساليب الفن الواحد، شخصية الشاعر وتأثيرها في ذلك، مظاهر هذا الاختلاف، الانفعالات النفسية والفنون الشعرية، أساليب الحماسة، والنسيب، والرثاء والمدح والهجاء والوصف.

٩٣ الفصل الرابع: في اختلاف أساليب النثر

النثر العلمي ومقوماته، أساليب المقالة، والتاريخ والسيرة، والمناظرة، والجدل، والتأليف، أساليب النثر الأدبي: الوصف، والرواية، والمقامة، والرسالة، والخطابة.

الفصل الرابع: الأسلوب والأديب

١٢١ الفصل الأول: تمهيد

الأسلوب هو الموضوع، الأسلوب هو الكاتب، الشخصية والأسلوب، الشخصية الفردية والاجتماعية في الأسلوب.

١٢٦ الفصل الثاني: الأسلوب والشخصية

التعريف بالشخصية، مظهرها في أساليب القدامى والمحدثين،

---

(١) قصة الأدب في الحجاز عبد الله عبد الجبار ص/٣٤١

مقومات الشخصية، وآثارها الأسلوبية، الأصالة والتقليد.

١٣٧ الفصل الثالث: دلالة الأسلوب على الشخصية

في الشعر، في الخطابة، في الكتابة، في التأليف، شواهد تحليلية للقدامى والمعاصرين.

١٥٧ الفصل الرابع: أثر الشخصية في اختلاف الأساليب

نواحي هذه الدراسة: في العبارة، في مقدار الملاءمة بين **اللفظ والمعنى** في الصنعة البديعية، شواهد تحليلية شعرا ونثرا.." (١)

"الذي يعد أنسب الفنون لقوة الإرادة، ولذلك تعد فنا عمليا، وهي تجمع بين قوتي الإقناع والتأثير الذين يدفعان الإرادة إلى العمل الحاسم.

وهنا نرى أن معنى المطابقة البلاغية قد اتسع فتناول مظاهر النفس الإنسانية ومواهبها المختلفة، كما اشتمل على الفنون الأدبية جميعا، ولاحظ فوق ذلك الزمان، والمكان، والنوع الذي نتحدث إليه، وإذا تقدمنا قليلا فلاحظنا الفرد ومواهبه الخاصة، والأساليب وعناصرها التفصيلية، وأنواعها المتعددة تراءى لنا هذا المدى الواسع الذي تنبسط فيه الناحية التطبيقية لفن البلاغة، وأدركنا إدراكا صحيحا، ما قيل إن المتكلم مع المخاطب كالطبيب مع المريض يجب أن يفحصه فحصا دقيقا، وأن يفرض له من الدواء –أو الكلام– ما يلائمه وإلا أضر به، ونقول إن البليغ مع المخاطبين كالقائد أمام الحصن يجب أن يهاجمه من حيث ينتظر الظفر، وبالسلاح الذي به يفوز.

وإتماما لهذه المسألة نقول: من المقرر الثابت في علم النفس أن هذه القوى المعنوية ليست منفصلة إحداها عن الباقي في الطبيعة النفسية، بل هي خاضعة لنظرية الوحدة الروحية؛ فهي مظاهر تتوارد على نفس الإنسان حسب الدواعي والمؤثرات، فالإنسان مرة يفكر بنفسه، وأخرى منفعل بها، وثالثة مريد معتزم والنفس هي هي، إلا أنها تلبس لكل حال ثوبا يناسبها، وهي مع ذلك متواصلة متعاونة، فالفكر يشد أزر العاطفة، وهي توقظه، وهما يبعثان الإرادة، ويندر أن توجد فكرة لا تثير عاطفة ولا تحرك إرادة، ومثل ذلك يقال عن الفنون الأدبية التي تغذي هذه المواهب النفسية، وهذا بيان ما تريد:

١ – فليست هذه الفنون متضادة بحيث لا يلتقي فن بالآخر ولا يصل إليه بسبب، كلا، فكل فن منهما يتصل بالباقي أشد الاتصال؛ إذ تتألف من عناصر واحدة هي **اللفظ والمعنى** الذي ينحل إلى العاطفة والخيال والفكرة، وإن كانت تتفاوت في مقدار ما يحويه كل منهما من هذه العناصر تفاوتا يقوم على طبيعتها." (٢)

"الباب الثالث: الأسلوب والموضوع

مدخل

...

الباب الثالث: الأسلوب والموضوع

(١) الأسلوب أحمد الشايب ص/٧

(٢) الأسلوب أحمد الشايب ص/٢٣

نذكر في هذا الباب وما يليه أسباب اختلاف الأساليب، ومظاهر هذا الاختلاف، ونعني بالأساليب هنا هذه العبارات اللفظية التي هي المظهر لطريقتي التفكير والتصوير كما سبق، وإنما يرجع اختلاف الأساليب إلى سببين رئيسين:

الأول: الموضوع.

الثاني: الأديب.

وهناك أشياء أخرى يذكرها بعض الباحثين كاختلاف الصنعة، ومقدار الملائمة بين **اللفظ والمعنى** وغير ذلك، ولكنها في الواقع مظاهر تطبيقية لأحد هذين السببين أو لكليهما كما يتضح ذلك أثناء الكلام الآتي.

فالموضوع هو السبب الأول الذي يقوم عليه اختلاف الأساليب، ويراد بالموضوع الفن الذي يختاره الكاتب ليعبر به عما في نفسه، علما أو أدبا، نظما أو نثرا مقالة أو قصة أو رسالة أو خطابة ... فلكل فن منها أسلوبه الخاص الذي يلائم طبيعته.

وأما الأديب فإن اختلاف الأساليب بالنسبة له راجع إلى اختلاف شخصيات الأدباء من حيث أذواقهم ومواهبهم العقلية ودرجة انفعالهم، وطبعائهم الخشنة أو الرقيقة، وطريقة تفكيرهم وتصويرهم؛ إذ كان لكل ذلك معنى خاصا." (١)

"ولولا أن عبارات اللغة كلمات موضوعة لمعان فكرية محدودة، لكانت العبارات غناء وألحانا كما كانت قديما، أو كانت موسيقى مجلجلة، أو جميلة مؤثرة، أو متنوعة. ومع ذلك –أو على الرغم من ذلك– نجد العبارات الأدبية تحتال دائما –مع تأثرها بالمعاني العقلية– لتكون صورة لموسيقى النفس إلى درجة محمودة.

فالكلمات رشيقة ذات جرس خاص، تحكي صوت الطبيعة التي تصفها، والألوان التي تصورها، والجمل موجزة مقسمة حرة في تكوين عناصرها تخضع لشيئين: الصحة النحوية، والموسيقى الأدبية، وعن ذلك نشأت البحور في الشعر، والقافية فيه وفي النثر.. وعن ذلك ينشأ الأسلوب المثالي الذي يختصر في هذه الكلمة القديمة: ائتلاف **اللفظ والمعنى**.

والنتيجة الطبعية لكل ما سبق من:

١– اختلاف درجة الانفعال في القوة.

٢– وصدق التعبير عنها باللغة، أن الأسلوب نفسه يختلف باختلاف معناه الوجداني، فالعبارة التي تصور الغضب أو السخط أقوى من تلك التي تعبر عن الحزن أو الخوف أو الوله أو الخذلان.

ومعنى هذا أيضا أن أسلوب الحماسة أو الوعيد أقوى من أسلوب النسيب أو الاعتذار أو الرثاء؛ ونجد وصف الطبيعة أو المدح أو الخمريات أو الحكمة متوسطا، كما أن الوصف العام الذي يتناول كل شيء مختلف حسبما يتناول من قائع حربية، أو أصوات طبعية، أو حوادث هامة، فهو صادق على كل هذه الفنون.

هذا هو القانون العام الذي تخضع له الأساليب الأدبية عامة، وأساليب الشعر خاصة، ولنسرع فنذكر هنا مثالا يوضح ما ذكر. قال بشار بن برد مفتخرا:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية ... هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما." (٢)

---

(١) الأسلوب أحمد الشايب ص/٥٤

(٢) الأسلوب أحمد الشايب ص/٧٥

"ولطرفه وميض. ولأرساغه نقيض١ كأنما يخبط هشيما، أو يطأ صريما٢، وإذا هامة كالمجن٣، وخد كالمسن٤، وعينان سجراوان٥ كأنهما سراجان يتقدان"٦ ولا يظن أن ذلك إغراب في اللفظ وإنما هي الدقة في تحديد الأفكار، وتصوير العواطف، وحكاية الحوادث.

٤- يجب أن تكون التراكيب والعبارات ذات نغمة عامة ملائمة لما يوصف سواء أكان منظرا رائعا يبعث الإعجاب، أم معركة حامية تثير الرهبة أو حوادث متتابعة تملك العقل، أو يأسا قاتلا أم أملا عريضا، بحيث يكون الأسلوب اللفظي حكاية الأسلوب المعنوي، ويتحقق بذلك ائتلاف **اللفظ والمعنى** كما بينا ذلك في فنون الشعر ولذلك تجد الوصف النثري مختلف العبارات قوة ولينا باختلاف الموضوعات كما رأيت في الموضعين السابقين. روعة في الأول. ورهبة في الثاني. وقد أورد ابن الأثير٧ في هذا المعرض مثال لقوة الأسلوب وجزالته وقوله تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ وقوله تعالى: ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى

---

١ صوت شديد.

٢ الأرض المحصود زرعها.

٣ المجن: الترس.

٤ ما يسن عليه من حجر ونحوه.

٥ السجن في العين أن يخالط بياضها حمرة.

٦ مهذب الأغاني ج١ ص٩.

٧ المثل السائر ص٦٥.." (١)

"الفصل الرابع: أثر الشخصية في اختلاف الأساليب

الناحية الأولى

...

الفصل الرابع: أثر الشخصية في اختلاف الأساليب

وأما في هذا الفصل فالمراد بيان آثار هذه الشخصية في الأسلوب. ومعنى ذلك أننا نفرض معرفتنا شخصيات جماعة من الأدباء كتابا وشعراء وخطباء، ثم نلتمس مظاهر هذه الميزات الفردية فيما ينشئون من نصوص أدبية، ونقصر الكلام في هذا على نواح ثلاثة:

الأولى: من حيث الألفاظ حين يختلف الأدباء في الألفاظ والجمل، والفقر والعبارات.

الثانية: من حيث المعاني، كالمطابقة بين **اللفظ والمعنى**، أو ترجيح جانب اللفظ على جانب المعنى، وعكس ذلك.

---

(١) الأسلوب أحمد الشايب ص/١٠٦

الثالثة: من حيث الصنعة حيث يعمد الأدباء إلى الأسلوب الطبعي أو المصنوع صنعة بديعية، قوامها السجع، والجناس، والمطابقة، ونحو ذلك.

وسنحرص هنا على الإيجاز مكتفين بالإشارة إلى بعض الأمثلة ومحيلين على ما سبق ذكره في الفصول السابقة.

الناحية الأولى:

وتتناول الاختلاف في الألفاظ، والجمل، والفقر، والعبارات. والمراد بالألفاظ الكلمات المفردة التي تتألف منها الجمل، وهي أسماء، وأفعال،." (١)

"الناحية الثانية:

وهناك مظهر ثان لآثار الشخصية في الأسلوب، وهو مقدار الصلة بين **اللفظ والمعنى**، فمن الأدباء من يطابق بين **اللفظ والمعنى**، ومنهم من يعنى بأحدهما أكثر من الآخر.

١- والأصل الذي يتصل به هذا المظهر هو أن الغرض من التعبير والبيان إظهار ما في النفس من الحقائق والعواطف والأخيلة، وإيصالها إلى القراء والسامعين، ووسيلة ذلك هي الأسلوب -أو العبارات اللفظية- إذ كانت غايته الإفهام أو التأثير أو هما معا. ومعنى هذا أن الواجب على الأسلوب تحقيق هذه الغاية تحقيقا كاملا، فلا بد أن يكون صادق الأداء، مساويا للمعنى المراد، لا يزيد ولا ينقص. وقبل ذلك يكون الأديب المنشئ فاهما ما يريد أداءه، صادق الشعور به١. وعنده الوسائل اللغوية والتصويرية اللازمة، فإذا ما توافر له ذلك استطاع البليغ أن يحقق المطابقة بين **اللفظ والمعنى**، وأن يجعل كلا منهما كفئا للآخر.

وأما القاعدة النفسية أو العلمية لهذه الظاهرة فهي أن ما يتوافر في نفس الأديب من فكرة واضحة أو انفعال صادق يجذب إليه من الألفاظ، والعبارات، والصور ما يلائمه بطريقة تكاد تكون آلية لا تكلف فيها ولا صنعة، وهذا هو المثال الطبيعي للأسلوب، بل هناك هذا الرأي القائل بأنه لا توجد فكرة في الذهن دون لفظ يحددها. ولا توجد عاطفة بغير صورة تمثلها. وفي هذا المعنى يقول ابن رشيق٢:

"اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه، ويقوى بقوته. فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر. وهجنة عليه كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور. وما أشبه ذلك غير أن تذهب الروح. وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظا كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح. ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب قياسا على ما قدمت

---

١ العمدة، ج١،ص٢٨.

٢ نفس المرجع ص٨٢.." (٢)

---

(١) الأسلوب أحمد الشايب ص/١٥٧

(٢) الأسلوب أحمد الشايب ص/١٦٥

"من أدواء الجسوم والأرواح. فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه. وإن كان حسن الطلاوة في السمع. كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين إلا أنه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة. وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى لأنا لا نجد روحا في جسم ألبته".

وهذا الذي ذكره ابن رشيق كما يجري في الشعر ينطبق على النثر تماما: "وبعضهم وأظنه ابن وكيع مثل المعنى بالصورة واللفظ بالكسوة. فإن لم تقابل الصورة الحسناء بما يشاكلها ويليق بها من اللباس. فقد بخست حقها وتضاءلت في عين مبصرها"١.

ويقول ابن الأثير٢:

"اعلم أن العرب كما كانت تعتني بالألفاظ فتصلحها وتهذبها فإن المعاني أقوى عندها. وأكرم عليها. وأشرف قدرا في نفوسها، فأول ذلك عنايتها بالألفاظ لأنها لما كانت عنوان معانيها. وطريقا إلى إظهار أغراضها أصلحوها وزينوها، وبالغوا في تحسينها ليكون ذلك أوقع لها في النفس وأذهب بها في الدلالة على القصد. فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم وحسنوها. ورققوا حواشيها وصقلوا أطرافها فلا تظن أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ فقط. بل هي خدمة منهم للمعاني. ونظير ذلك إبراز الصور الحسناء في الحلل الموشية والأثواب المحبرة. فإنا قد نجد من المعاني الفاهرة ما يشوه من حسنه بذاذة لفظه وسوء العبارة عنه".

والمطابقة بين **اللفظ والمعنى** تتحقق بالتعبير الطبيعي الذي يترك فيه الأديب نفسه على سجيتها السمحة دون أن يعمد إلى صنعة شاذة أو تكليف ممقوت.

فيكون من ذلك المساواة وصدق الأداء وتنوع العبارة حسب الموضوع والشخصية كما سبق ذلك فلا حاجة إلى إعادته أو تمثيله.

---

١ نفس المرجع، ص٨٢.

٢ المثل السائر، ص١٣٧.." (١)

"وقال علي بن عيسى الرماني: "أسباب الإشكال ثلاثة: التغيير عن الأغلب كالتقديم والتأخير وما أشبهه، وسلوك الطريق الأبعد، وإيقاع المشترك. وكل ذلك اجتمع في بيت الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا مملكا ... أبو أمه حي، أبوه يقاربه

فالتغيير عن الأغلب سوء الترتيب؛ لأن التقدير: وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه يريد بالملك هشام بن عبد الملك، والممدوح هو إبراهيم بن هشام خال بن عبد الملك.

وأما سلوك الطريق الأبعد فقوله: أبو أمه أبوه، وكان يجزئه أن يقول خاله. وأما إيقاع المشترك فقوله: حي يقاربه؛ لأنها لفظة تشترك فيها القبيلة والحي من سائر الحيوان بالحياة.

قال: وإذا تفقدت أبيات المعاني رأيتها لا تخرج عن هذه الأسباب الثلاثة"١.

---

(١) الأسلوب أحمد الشايب ص/١٦٦

وكتب النقد والبلاغة ملأى بهذه النماذج، وأما ابن خلدون فقد مضى فصل من كلامه.

٥- ومما يتصل **باللفظ والمعنى** مسألة الإيجاز والإطناب والمساواة، وقد وردت هذه الألفاظ في كتب البلاغة أوصافا للعبارة، وعناصرها، من حيث ما تؤدي من معان، فإذا قصر اللفظ عن المعنى كان إيجازا، وإن طال لفائدة كان إطنابا، وإن تساويا كان مساواة أو تقديرا، ولرجال البلاغة كلام كثير في هذه الأقسام، وفيما يدخل تحتها من فروع لا حاجة بنا إلى تكرارها هنا.

ويمكن الرجوع إليها في المثل السابق لابن الأثير٢ وسواه، وقد تناولتها كتب البلاغة -غالبا- في سياق الجمل والفقر، فمن ذلك في المساواة قوله تعالى:

---

١ العمدة ج٢ ص٢٥٦.

٢ ص٩١ وما بعدها.." (١)

"والتكلف الممقوت، ولاءم بذلك بين **اللفظ والمعنى**، فكان لشعره موسيقى قوية جميلة، كقوله يهجو دعبل الخزاعي:

أما الهجاء فقد عرضك دونه ... والمدح عنك كما علمت جليل

فاذهب، فأنت طليق عرضك إنه ... عرض عززت به وأنت ذليل

فقد طابق بين المدح والهجاء وبين الدقة والجلالة، وبين العز والذلة، مع جدة المعنى، وإحكام التراكيب وحسن تقسيمها، فكان بذلك من عبيد الشعر.

وأما في النثر فقد عرفت مما سبق أن هذه الصنعة البديعية فقد انتهت إلى غايتها المقبولة على يد كتاب القرن الرابع الهجري، أمثال بديع الزمان، والخوارزمي، والصاحب بن عباد، وابن العميد، هؤلاء الذين عرفوا بالسجع والجناس والطباق، واقتباس لغة الشعر أو تضمين معانيه، وقد استطاعوا لإحاطتهم اللغوية وقدرتهم الأدبية أن يجعلوا أساليبهم مقبولة ويحققوا آثار هذه الصناعة، إلا أن كثيرا ممن خلفهم على هذا الفن -وبخاصة بعد سقوط بغداد وفي عصر المماليك- لم يظفروا بمكانة السابقين في اللغة والادب، ثم غلوا في البديع فأضافوا إلى ما سبق التورية والاستخدام والتلميح للحوادث الشهيرة، ثم التصحيف الذي كان مجال البراعة عند المتكلفين. وقد نشأ عن ذلك فساد الأساليب، وركاكتها، والتضحية بالمعاني في سبيل الألفاظ.

ويمكن إرجاع ما كان بين كتاب الصنعة، من خلاف في الأساليب إلى أصلين:

الأول:

موضوعي حين انتقل بها بعضهم من الرسائل الخاصة، والديوانية، والعامة، إلى كتب العلم أو مخاطبة الملوك في الشئون الدولية، في حين أن هاتين الناحيتين مظهر عقلي أو مصلحي يلائمه الأسلوب البسيط الواضح، ومن ذلك أن." (٢)

---

(١) الأسلوب أحمد الشايب ص/١٧٦

(٢) الأسلوب أحمد الشايب ص/١٨٢

"٨- حافظ وشوقي "نقد نشر بصحيفة الجامعة المصرية" ص٤٩٥-٥٠٤.

٩- الأدب ما هو؟ "صحيفة دار العلوم السنة ٢ عدد ٣".

١٠- بين اللفظ والمعنى "صحيفة دار العلوم سنة ٢ عدد ٣".

١١- العبارة في الأدب "صحيفة دار العلوم سنة ٥ عدد ٣".

١٢- الجارم الشاعر "تحت الطبع".." (١)

"الأوصاف معناها المباشر، إلى جانب المعنى الذي يدرك منها لمحا وإيحاء، أما أن يراد وحده فذاك ما يأباه السياق.

الحديث عن علاقة الكناية والفرق بينها وبين المجاز يحتاج إلى وقفة؛ ذلك أن استخدام اللفظ في غير معناه الذي وضع له لا يتم إلا عند وجود علاقة تربط بين المعنيين: المعنى الكنائي الذي استخدم فيه اللفظ والمعنى الأصلي الذي كنى به المتكلم كما هو الحال في المجاز.

والعلاقة هنا في الكناية هي علاقة الردف والتبعية، أو بمعنى آخر التلازم بين المعنى الذي يدل عليه ظاهر اللفظ وبين المعنى المراد منه، ففي قول الله -عز وجل-: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا﴾ (الفرقان: ٢٧) عبر عن الشعور بالتحسر والندم على ما فات بالعض على اليدين.

وكذا في قوله تعالى: ﴿وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها﴾ (الكهف: ٤٢) عبر عن نفس المعنى وهو الندم والحسرة بتقليب الإنسان كفيه، والعلاقة بين الندم والتحسر وبين عض اليدين أو تقليب الكفين، هي التلازم الذي يرجع إلى ما عرف عن الإنسان وطباعه، فقد عرف عنه أنه إذا ندم عض على يديه أو قلب كفيه؛ متحسرا على ما فات، كما أن من طباعه حمرة الوجه عند الخجل وتقضيبه عند الغضب، وفي قول الشاعر:

يذكون نار القرى في كل شاهقة ... يلقى بها المندل الهندي محطوما

المندل الهندي: هو عود طيب طيب الرائحة، يستجلب من بلاد الهند، والمحطوم أي: المكسر، فهنا كنى عن الكرم بإذكاء النيران في الأماكن العالية؛ لإرشاد الضيوف، والعلاقة بين المعنيين التلازم الذي يرجع إلى ما عرف عن العرب، فمن عاداتهم إيقاد النيران في الأماكن المرتفعة يرشدون بها القادم إليهم.

وفي قول المتنبي يمدح سيف الدولة ويشيد بشجاعته:." (٢)

"ونلحظ أنه يستمد من الجاحظ في بيانه كما يستمد من ابن قتيبة في حديثه عن حسن اللفظ بمقدمة كتابه (الشعر والشعراء).

ثم بعد ذلك انتقل يتحدث عن نعت المعاني، ولاحظ أن أغراض الشعر كثيرة، من ثم اكتفى منها ببيان الأغراض المهمة، وهي المدح والهجاء والمراثي والتشبيه والوصف والنسيب، ثم راح يقول: إن هذه الأغراض التي ذكرها إنما هي وجوه من جملة معاني الشعر، أما ما يعم جميع تلك المعاني فإنه سيعنى بذكره وبيانه، وأول ما يعنى به من ذلك صحة التقسيم، وهو أن

---

(١) الأسلوب أحمد الشايب ص/٢٠٦

(٢) البلاغة ١ - البيان والبديع - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٢٥١

يستوفي الشاعر جميع الأقسام لما ابتدأ به، ثم بعد ذلك تكلم عن صحة المقابلات، وتحدث فيما بعد عن صحة التقسيم، هو أن يذكر الشاعر في بيت معنيين متقابلين في إجمال، ويفسرهما ويستوفي شرحهما، إما في الشطر الثاني المقابل، وإما في بيت لاحق.

تحدث بعد ذلك في نعوت الجودة عن عناصر الشعر الأربعة: **اللفظ والمعنى** والوزن والتقفية، واستطاع من خلال ذلك أن يصل إلى ثمانية عشر محسنا، هي على الترتيب: الترصيع والغلو وصحة التقسيم وصحة المقابلات وصحة التفسير والتتميم، وقد ضمنه ما سماه ابن المعتز بالاعتراض والمبالغة والإشارة والإرداف والتمثيل، وقد سمي بعده باسم المماثلة، والمطابق وسمي بعده باسم التعطف، والتوشيح، وقد وسع معناه بالقياس إلى ما سماه ابن المعتز باسم رد الأعجاز على ما تقدمها، والإيغال والتكافؤ، إلى غير ذلك حتى بلغ هذه الثمانية عشر.

وكما قلنا: اقتفى أثره في ذلك أبو هلال العسكري الذي جمع في كتابه (الصناعتين) وغاية ما جمعه سبعة وثلاثين نوعا، ثم جاء ابن رشيق القيرواني فأضاف إلى ذلك في كتابه (العمدة) ثلاثة وثلاثين بابا من فضائل الشعر وصفاته وأغراضه وعيوبه، وغير ذلك من أنساب الشعراء وأحوالهم.." (١)

"المأمور به، أو يكونا منفيين كما في قوله تعالى: ﴿لا يموت فيها ولا يحيا﴾ (طه: ٧٤) فنفى عنه الموت كما قلنا؛ لأنه ليس بموت مريح ونفى عنه الحياة؛ لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة.

هذا كله يدخل في الحقيقة في طباق السلب؛ لأن المعاني المجتمعة متضادة، وهي في الوقت نفسه منفية، فسواء دخل النفي أحد الضدين أو دخلهما معا فهو من طباق السلب، وقد سبق أن ذكرنا ترجيح رأي الجمهور الذي يرى أن طباق السلب شأنه شأن طباق الإيجاب، كما يكون بين الفعلين يكون بين الاسمين، حيث يثبت الاسم مرة وينفى مرة أخرى، وقد يكون بين فعل واسم من مادة واحدة، إحداهما مثبتة والأخرى منفية كما رأينا في الشواهد.

على أننا فيما مضى أشرنا إلى صورة واحدة مما يلحق بالطباق، وهي تلك التي افتقدت التضاد في المعنى.

وهناك فيما يلحق بالتضاد صورتان أخريان:

الأولى: أن يفتقد التضاد في **اللفظ والمعنى** جميعا في الكلمات المذكورة، ولكن يكون هناك نوع تعلق بين إحداهما وما يضاد الأخرى، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (الفتح: ٢٩)، فالمذكور هنا الشدة والرحمة، وهما لا يتضادان لا لفظا ولا معنى، ولكن الرحمة تتعلق بما يضاد الشدة، وهو اللين تعلق سببي، فالرحمة مسببة عن اللين، واختيرت الرحمة على اللين؛ لأنها محببة إلى النفوس، والمرء يتعلق بها ويرجوها دائما، أما اللين فإنه يوحي بالضعف والرخاوة، وهذا أمر مستكره في المسلم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل﴾ (التوبة: ٥٠) فالذي معنا هنا الحسنة والمصيبة، ومن الواضح أنهما لا." (٢)

---

(١) البلاغة ١ - البيان والبديع - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٣١٤

(٢) البلاغة ١ - البيان والبديع - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٣٦٠

"المعاني هي المالكة سياستها والمستحقة طاعتها، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته، وأحاله عن طبيعته، وذلك مظنة الاستكراه، وفيه فتح أبواب العيب والتعرض للشيء". والحاصل: أن الجناس محسن لفظي وإن كان التحسين فيه شاملا لكل من **اللفظ والمعنى**، إلا أن التحسين فيه لما كان راجعا إلى اللفظ أولا وبالذات عد ضمن المحسنات اللفظية.

أقسام الجناس

هذا، وللجناس أقسام كثيرة ومتفرعة، وصور عديدة ومتنوعة، وأساس هذه الأقسام هو اللفظ، أما المعنى فلا مدخل فيها؛ لأنه مختلف في كل قسم من أقسامه. والأقسام الرئيسة التي ارتضاها البلاغيون للجناس هي التام وغير التام. فالجناس التام: هو ما كان طرفاه متفقين في أربعة أمور: نوع الحروف بأن تكون الكلمتان مكونتين من حروف متحدة، مثل:

للسود في السود آثار تركن بها ... وقعا من البيض يثني أعين البيض

ب- عدد الحروف بأن تكون الكلمتان مكونتين من حروف متساوية من حيث العدد بعد الاتفاق في الجنس، ولا يعتد بـ"أل" التعريفية؛ لأنها طارئة على الكلمة.

جـ- هيئة الحروف بأن تكون الحروف المتجانسة المتساوية في العدد متحدة الضبط في الكلمتين: الرفع يقابله رفع، والنصب نصب، وهكذا في كل حروفها، ولا يعتد بحركة الحرف الأخير؛ لأنه خاضع لعوامل الإعراب.

د- ترتيب الحروف: بأن تكون الحروف المتجانسة المتساوية العدد، المتحدة الضبط، متحدة الموضع، الأول يقابله الأول، والثاني والثالث كذلك وهكذا.." (١)

"في علم المعاني، وطبيعة البحث في علم النحو. فالبحث النحوي بحث تحليلي، يسعى للكشف عن الوظائف، والبحث البلاغي -وخاصة في علم المعاني- بحث تركيبي يسعى إلى إيضاح الدلالات والكشف عن خصوصيات التراكيب، فعلم النحو يبحث هذه الأحوال من حيث الصحة والفساد، أما علم المعاني فيبحث في سر بلاغتها ومطابقتها لمقتضى الحال.

وإذا تأملنا في تعريف علم المعاني السابق، فإننا نلاحظ الشبه القوي بينه وبين تعريف البلاغة التي عرفناه آنفا، فالبلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، ومع ذلك انفرد علم واحد من علومها، وهو المعاني بالبحث في هذه المطابقة، فهل تقتصر المطابقة بمقتضى الحال على تلك المباحث الثمانية، التي حصروا فيها علم المعاني؟ أم أنها تتعدى إلى علم البيان والبديع؟ هذا أمر يحتاج إلى إعادة نظر، والصواب في ذلك أن علوم البلاغة الثلاثة تقوم بصفة أساسية على تحقيق مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وليس علم المعاني وحده، فالمطابقة مطلوبة في كل فن من فنون البلاغة بين **اللفظ والمعنى**، والتركيب والغرض الذي يصاغ له، ومطابقة ذلك كله لعقول السامعين ونفسياتهم، وبدون هذه المطابقة يفقد الكلام بلاغته وتأثيره في نفوس السامعين.

---

(١) البلاغة ١ - البيان والبديع - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٤٩٢

ومثل هذه التراكيب ذات الخصائص المستحسنة لا تصدر إلا عن متكلم بليغ يخاطب إنسانا ذا فهم سليم وذوق رفيع؛ ولذلك يقول سعد الدين التفتازاني في (المطول): "ومما يتم به أمر البلاغة، ويظهر كون كل من المتكلم والسامع كامل المعرفة بجهات حسن الكلام ولطائف اعتباراته، وعندئذ يحدث الأثر المطلوب للكلام البليغ، فيصل إلى أعماق النفوس، ويقنع العقول، ويمتع العواطف بما يحمل من معان جليلة، وصور ساحرة ذات تأثير خلاب". فلا يكفي أن يكون." (١)

"الأول: أنه يجوز تقدير كون المسند إليه في الأصل مؤخرا على أنه فاعل معنى فقط لا لفظا ومعنى؛ ذلك أنه عند التأخير يعرب توكيدا للفاعل الاصطلاحي؛ أو بدلا منه، نحو: أنا قمت، فإنه يجوز أن يكون أصله: قمت أنا، فيكون أنا توكيدا أو بدلا من الضمير في قمت الذي هو الفاعل، والتوكيد والبدل كلاهما فاعل في المعنى إذا كان المبدل فاعلا اصطلاحيا كما هنا.

الشرط الثاني: أن يقدر كونه كذلك؛ أي: أن يعتبر المتكلم المسند إليه مؤخرا على أنه فاعل في المعنى قبل النطق به، ثم يقدمه عند التلفظ قاصدا التخصيص، وعند انتفاء الشرط الأول بأن كان المسند إليه اسما ظاهرا كقولنا: محمد قام لا يفيد التقديم إلا تقوية الحكم؛ لأننا لو قدرنا أن لفظ محمد مؤخر في الأصل، وأن الكلام قام محمد لكان فاعلا في **اللفظ والمعنى** لا في المعنى فقط كما يريد السكاكي، والأمر كذلك حين ينتفي الشرط الثاني بأن قدر الكلام في مثل: أنا قمت، على الابتداء من أول الأمر بدون تقدير تقديم أو تأخير؛ فإن التقديم حينئذ لا يفيد إلا التقوي، ومثل ذلك: ما أنا قمت وما زيد قام، وقياسا على الاسم المعرفة المظهر بحيث انتفاء الشرط الأول فيه يكون حال المسند إليه النكرة في نحو: رجل جاءني، أنه لا يفيد التخصيص؛ إذ لا يجوز تقدير كونه في الأصل مؤخرا على أنه فاعل في المعنى؛ لأنك إذا قلت: جاءني رجل، فهو فاعل لفظا ومعنى مثل: قام محمد، فيجب ألا يفيد إلا التقوي.

لكن السكاكي استثنى مثل هذا التركيب فجعله مفيدا للتخصيص قطعا، واعتبر وجود شرطي التخصيص فيه وقدر جوازا أن أصل: رجل جاءني، جاءني رجل، على أن يكون رجل بدلا من الضمير المستتر في الفعل؛ ليكون فاعلا في." (٢)

"وقول أبي العتاهية:

ما كل رأي الفتى يدعو إلى رشد ... إذا بدا لك رأي مشكل فقف

يريد الشاعر أن يقول: ليس كل ذي رأي على حق فقد يصيب وقد يخطئ، فإذا ما أشكل عليك رأي فتريث في الأمر حتى تستشير فيه، فرأيان خير من رأي، ونحو قولك: ما نجح الطلاب كلهم، وما نجح كل الطلاب، ومثل قولك: لم أطالع الصفحات كلها، ولم أطالع كل الصفحات؛ ففي كل هذه الأمثلة وقعت أداة العموم بعد أداة النفي لفظا ورتبة ، غير أنها في المثال الأول والثاني -يعني: بيتي المتنبي وأبي العتاهية- معمولة للنفي إذا جعلنا "ما" حجازية وللابتداء إن جعلت تميمية، وهي في المثال الثالث والرابع والخامس والسادس معمولة للفعل المنفي كما تراه واضحا.

وإذا وقعت أداة العموم بعد النفي رتبة فقط مثل قولهم: كل الصفحات لم أطالع، والصفحات كلها لم أطالع؛ بنصب كل

---

(١) البلاغة ٢ - المعاني - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٦٩

(٢) البلاغة ٢ - المعاني - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٢٥٧

فيهما باعتبارها معمولا للفعل المعمول متأخرا في الرتبة عن عامله؛ فإن النفي هنا يتوجه إلى الشمول خاصة ، وهو ما يسمى بسلب العموم.

كما يفيد الكلام ثبوت الحكم لبعض ما أضيف إليه كل إن كانت كل فاعلا لفظا ومعنى، مثل: ما نجح كل الطلاب، أو فاعلا معنى فقط بأن كان التوكيد للفاعل مثل: ما نجح كلهم، أو أفاد تعلقه بهذا البعض إن كانت كل معمولا في **المعنى واللفظ** مثل: لم أطالع كل الصفحات، أو معمولا في المعنى فقط مثل: لم أطالع الصفحات كلها، وعلة إفادة سلب العموم؛ أي: عدم الشمول عند تقدم النفي على أداة العموم أنك إذا بدأت بالنفي كنت قد بنيت الكلية عليه، وسلطت النفي عليها وأعملته فيها؛ وذلك يقتضي أن يخرج البعض عن الحكم.." (١)

"ونبدأ بكمال الاتصال. هو أن تتفق الجملتان في الإنشائية أو الخبرية -لفظا ومعنى أو معنى فقط- ويكون بينهما من الاتصال والاتحاد والتلاحم ما يمنع العطف بالواو؛ لأن العطف وصل خارجي، وهذه الجمل قد صار ما بينها من التلاحم والاتصال والترابط أقوى وأشد من الربط الخارجي، وترجع قوة اتصال تلك الجمل وشدة ترابطها إلى أمور ثلاثة:

الأول: أن تكون الجملة الثانية مؤكدة للأولى تأكيدا لفظيا أو معنويا، انظر إلى قول الله تعالى: ﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويدا﴾ (الطارق: ١٧) تجد أن الجملة الثانية ﴿أمهلهم رويدا﴾ توافق الجملة الأولى في **اللفظ والمعنى**، وأنها توكيد لفظي لها؛ ولذا صارت الصلة قوية بين الجملتين، فلا تحتاج إلى ربط بالواو؛ لأن التوكيد والمؤكد كالشيء الواحد، ومن ثم ترك العطف لعدم صحة عطف الشيء على نفسه، وتأمل قوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ (البقرة: ٢) تجد أن الجملة الأولى ﴿ذلك الكتاب﴾ أفادت أن القرآن الكريم هو الكتاب الكامل، الذي بلغ الغاية القصوى في كمال الهداية، وترجع هذه الإفادة إلى تعريف الطرفين؛ تعريف المسند إليه باسم الإشارة الدال على البعيد ﴿ذلك﴾، إشارة إلى بعد المنزلة وعلو المكانة، وتعريف المسند بالألف واللام ﴿الكتاب﴾، وجملة ﴿لا ريب فيه﴾ تفيد نفي الريب عنه، وأنه لا يتطرق إليه شك، وهذا تقرير وتأكيد لمعنى الجملة الأولى؛ إذ يلزم من بلوغ القرآن الكريم درجة الكمال ألا يكون محلا للريب والشك، فجاءت جملة ﴿لا ريب فيه﴾ مقررة لهذا المعنى ومؤكدة له.." (٢)

"ومن أقوالهم في هذا قول المتنبي:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي ... إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

فالشطر الأول لم يعطف على الشطر الثاني؛ لأنهما قد اتحدا في **المعنى واللفظ**، ومن ثم فلا حاجة إلى وصلهما بالواو لقوة الرابطة وشدة الاتصال بينهما. الصورة الثانية: أن تكون الجملة الثانية منزلة من الأولى منزلة بدل الكل أو البعض أو بدل الاشتمال. من ذلك قوله تعالى: ﴿واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون * أمدكم بأنعام وبنين * وجنات وعيون﴾ (الشعراء: ١٣٢ - ١٣٤) فقد فصلت الجملة الثانية ﴿أمدكم بأنعام﴾ عن الأولى ﴿أمدكم بما تعلمون﴾؛ لأن الثانية بمثابة بدل البعض من الأولى؛ حيث إن النعم الأربع المذكورة بعض من النعم التي يعلمونها، فبين الجملتين ترابط قوي وكمال اتصال لا تحتاج معه

---

(١) البلاغة ٢ - المعاني - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٢٦٢

(٢) البلاغة ٢ - المعاني - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٤٥٨

إلى ربط بالواو، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ (الرعد: ٢) فقوله: ﴿يفصل الآيات﴾ بدل بعض من قوله: ﴿يدبر الأمر﴾؛ لأن تدبير الأمر يشمل تفصيل الآيات وغيره.

وخذ قوله تعالى: ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون * قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾ (المؤمنون: ٨١، ٨٢) تجد أن الجملة الثانية بمثابة بدل الكل من الجملة الأولى، وقوله عز وجل: ﴿قال يا قوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون﴾ (يس: ٢٠، ٢١) فصلت فيه الجملة الثانية: ﴿اتبعوا من لا يسألكم أجرا﴾ (يس: ٢١) عن الأولى: ﴿اتبعوا المرسلين﴾ لأن الثانية بمنزلة بدل الاشتمال من الأولى؛ إذ المراد من الأولى حمل المخاطبين على اتباع الرسل، والجملة الثانية أوفى بهذا لأن معناها: لا." (١)

"وليس من المعقول أن نفصل الصورة قديما عن قضية **اللفظ والمعنى**، وهي جوهرها ولبها وما اللفظ إلا الشكل؟ وما المعنى إلا المضمون؟ وهما اللذان أثارهما النقاد المحدثين. وكيف لا يتناول النقد الأساس الأول الذي قامت عليه المذاهب الأدبية في العصر العباسي فوجدنا منه شعرا مطبوعا، وآخر مصنوعا، شعرا يهتم بالمعنى، وآخر يهتم باللفظ. يقول نقادنا عن الشعر: إنما هو عواطف الشاعر وشعوره يركبها خيال وملكات قادرة ومقدرة فنية موهوبة في صور من الألفاظ والأساليب١.

ولا مبرر لدعوة الذين يغمضون أعينهم عن هذه القضية، مدعين أنها دراسة عميقة لا قيمة لها في الصورة، وتبدأ القيمة عندهم من ابن رشيق وعبد القاهر، بل هما أيضا كانت نظرتهما قاصرة، لم توف بالغرض المنشود.

وهذا بعد عن الصواب، ونكران للحقيقة، وهم أشبه في ذلك بالذي سقط فجأة على ثمرة ناضجة، فقطفها، وأعمل أضراسه فيها، ولم يوجه انتباها لكيفية وجودها عندما كانت بذرة، ثم تحولت إلى جذور وجذوع، وسيقان، وفروع، وأوراق وأزهار، ثم مضى على ذلك وقت طويل، ونشط إليها من تعهدها ورعاها لتصير ثمرة شهية، تسيل لعاب المتذوق ويتلفظ بها في الآكل.

وهكذا فلندعهم سادرين في غيهم، مخدوعين بما سمعوا وقرأوا، فهم أناس ألفوا الراحة، واكتفوا بما تحت أيديهم من غير جهد ولا تعب، أو تعقب للمراحل السابقة، قبل الوصول إلى نهاية الطريق، ثم يدعون باطلا أن المراحل السابقة لا قيمة لها ولا وزن، ولا أهمية ولا اعتبار إلا للنتيجة النهائية في مفهوم الصورة الأدبية التي انتهى إليها النقاد في العصر الحديث.

---

١ دراسات في تاريخ الأدب العربي في أزهى عصوره: د. محمد عبد المنعم خفاجي، د. عبد الرحمن عثمان –القسم الأول ص ١٢٣ مطبعة المدني ١٩٧٢.." (٢)

"كما تعجب الكميت من تصوير ذي الرمة حينما أنشد قوله:

دعاني ما دعاني الهوى من بلادها ... إذا ما نأت خرقاء عني بغافل

---

(١) البلاغة ٢ – المعاني – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٤٦١

(٢) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/١٠

فقال الكميت: لله بلاء هذا الغلام، ما أحسن قوله وأجود وصفه يقول: الأستاذ الدكتور خفاجي: "وهذا يدل على إنصاف الكميت في النقد وتمييز الجيد من الرديء في الشعر"١.

بشر بن المعتمر والصورة الأدبية:

أول من تنبه من النقاد العرب القدامى إلى النظم، وهو بشر بن المعتمر٢ في صحيفته المشهورة٣، فهو لا يرتفع باللفظ وحده، ولا بالمعنى وحده، ولكن يقصدهما معا وفي نفس واحد، ولا يفصل أحدهما عن الآخر، ويشهد بهما معا ممهدا لنظرية النظم يقول:

"إياك والتوعر، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك".

فالتعقيد من سمات اللفظ والمعنى معا وهو يفسد الصورة ويخل التعبير بفقد روح التأثير فيها، ويقول بعد ذلك:

"ومن أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما".

---

١ دراسات في النقد الأدبي: د. محمد عبد المنعم خفاجي من ١٠٠ طبعة أولى.

٢ هو أبو سهل بشر بن المعتمر المتوفى عام ٢١٠هـ زعيم فرقة من المعتزلة تدعى "البشرية" تنسب إليه وكان شاعرا.

٣ البيان والتبيين: الجاحظ تحقيق السندوبي ج١ ص٨٢ وما بعدها، وتحقيق عبد السلام هارون ج١ ص١٣٤ وما بعدها.."

(١)

"فموطن الجمال عنده في العمل الأدبي، يرجع إلى ارتباط اللفظ بالمعنى، فلا بد للمعنى الشريف من لفظ شريف، ويريد بذلك أن يفصح عن العلاقة بينهما، فليس في اللفظ وحده، ولا في المعنى وحده، ولكن في العلاقة بينهما، وهي محل الصورة الأدبية التي توضح المعنى، وتسمو بالصياغة والتعبير، وليسمها بشر علاقة، أو اهتمام باللفظ والمعنى كما يشاء، لمناسبة التسمية مع ذوق أدباء عصره، ونشأة النقد الأدبي قبل أن يعرف المصطلحات الأدبية.

وهذا الاتجاه قريب من مفهوم الصورة التي تحددت معالمها فيما بعد، بل أضاف لما سبق معالم جديدة في مفهومها، منها التلاؤم بين اللفظ والمعنى، وقوة العاطفة، والوحدة الفنية، وتلاؤم الصورة مع العاطفة والمقام والغرض التي ذكرت من أجله. يقول أبو سهل بشر بن المعتمر في مناسبة اللفظ للمعنى والتلاؤم بينهما: "ومن أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف. إلى قوله: أن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا".

أما قوة العاطفة في الأسلوب والصورة يقول فيها: "خذ من نفسك ساعة نشاطك" وفراغ بالك، وإجابتها إياك، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرا، وأشرف حسبا وأحسن في الأسماع، وأحلى في الصدور، من فاحش الخطأ، وأجاب لكل عين وفرة من لفظ شريف، ومعنى بديع، وأعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطاولة والمجاهدة،

---

(١) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/١٤

وبالتكلف والمعاودة".

أليس هذا حديث العاطفة في الكلام؟ فإنها لا تتولد إلا ساعة النشاط والحيوية والحرارة والانفعال، وعند ذلك تعطي الكثير في وقت قليل كما وكيفا في النظم والتصوير، وتتوافر لديها المعاني البكر والألفاظ الغرر.." (١)

"والجاحظ في اتجاهه يفصل بين **اللفظ والمعنى** "وينظر إلى اللفظة والجملة"١، هذا حديث المضمون والشكل، والمحتوى والصورة، وأن المعنى قد يكون واحدا، ولكنه يعرض في صور مشددة، وصياغات مختلفة؛ لأن الشأن في الصياغة، والشعر ضرب من التصوير، ونطاق الصياغة والتصوير ضيق صعب، لا يليه، إلا لمن وهب القدرة والموهبة، بخلاف المعنى فهو ممتد ميسور، يقع للغبي والذكي.

ويقصد الجاحظ بالصورة في حديثه الأسلوب والصياغة، وإحكام النسخ في العبارات وتخير الألفاظ والأوزان؛ لأن الحديث عنده نبع من الهجوم على أبي عمرو الشيباني نصير المعنى، ونعى عليه اتجاهه، وأقر بأن اللفظ هو مقياس الجمال وحده.

وهذا الرأي ردده كثير ممن أتى بعده من أنصار اللفظ، الذين انتصروا له وأيدوا الصورة، بينما كان هناك من اهتم بالمعنى بجوار اللفظ، وانتصر لكل على حدة، حتى جاء بعد ذلك من انتصر لهما معا بدعوة النظم، ورأى أن الصورة إنما تكون في النظم، لا في اللفظ المفرد، ولا في المعنى المفرد.

موقف ابن قتيبة من الصورة الأدبية:

كان ابن قتيبة من أنصار المعنى الذي شايعوه، ولم يعتبروا اللفظ إلا بشرف معناه، ولم يرفعوا الشكل إلا بنبل مغزاه، فلا قيمة للصورة عندهم إلا بشرف مضمونها، ولكنهم تفاوتوا في النظرة إلى درجة الجودة في **اللفظ والمعنى**، فمنهم من سوى بينهما في الشرف والجودة، ومنهم من رجح المعنى على اللفظ.

---

١ أبو عثمان الجاحظ: د. عبد المنعم خفاجي ص ٢٢٩ –طبعة أولى– المطبعة المحمدية بالقاهرة.." (٢)

"ويرى ابن قتيبة١ أن القصيد يعلو ويهبط، ويسمو ويقبح حسب قيمة **اللفظ والمعنى** فيه، ولكنه رجح جانب المعنى في الشعر على جانب اللفظ حينما قسمه على أربعة أضرب:

أولا: ضرب حسن لفظه وجاد معناه.

ثانيا: ضرب حسن لفظه وحلا، فإذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى.

ثالثا: ضرب جاد معناه، وقصرت ألفاظه عنه.

رابعا: ضرب تأخر معناه، وتأخر لفظه٢.

ويظهر ترجيحه للمعنى حينما ينقد أبيات كثير المشهورة التي يقول فيها:

ولما قضينا من منى كل حاجة ... ومسح بالأركان من هو ماسح

---

(١) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/١٥

(٢) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/٢١

وشدت على حدب المهارى رحالنا ... ولم ينظر الغادي الذي هو رائح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطي الأباطح

فهي عنده خالية من كل معنى مفيد، على أنه يعجب بمثل قول أبي ذؤيب:

والنفس راغبة إذا رغبتها ... وإذا ترد إلى قليل تقنع

وذلك لتضمنه معنى أخلاقيا٣، ومن هنا يظهر "فساد رأيه في العلاقة بين **اللفظ والمعنى**"٤. وهذا الاتجاه يوضح عدم اعتداده بالصورة الأدبية إلا إذا صور الشاعر بها معنى لطيفا ومغزى شريفا، ما التي تحمل معنى وسطا أو ساقطا –وإن اكتملت عناصرها وتلاءمت أجزاؤها– فلا تعد صورة عنده، ولا يقيم لها وزنا كأبيات كثير السابقة؛ لأن الأساس عنده في الشعر هو شرف المضمون.

---

١ هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦هـ.

٢ الشعر والشعراء: ص٧ وما يليها.

٣ الشعر والشعراء: ابن قتيبة ص١٠، ١١.

٤ دراسات في النقد الأدبي: د. محمد عبد المنعم خفاجي ص١٣٠.." (١)

"معالم الصورة عنده زادت وضوحا أكثر من القاضي، كما سيظهر من خلال اهتمامه **باللفظ والمعنى** "أي النظم والصورة التي تقوم عليها معا، وسنعرض اتجاهه على النحو التالي:

أولا: رجح الآمدى البحتري على أبي تمام في شعره، وذكر أدلة قوية تؤيد اتجاهه حيث فرق فيها بين العلم والشعر، فلكل منهما طابعه وخصائصه فالشعر عنده غير العلم، والعلم حكمة وفلسفة، والشاعر مصور، وليس حكيما أو فيلسوفا، والصورة الأدبية تكون من **اللفظ والمعنى**، في حسن تأن، وقرب مأخذ، واختيار الموضع المناسب لكل لفظ، الذي يطابق المعنى في الاستعمال المعتاد، من غير كلفة ولا صنعة، مع اللياقة في الاستعارة والتمثيل للمعنى، حتى لا يقع بينهما تنافر، وبذلك يكتسي النظم رونقا وبهاء، وهذا هو الأصل في بلاغة الصورة، من إصابة المعنى بألفاظ سهلة بعيدة عن التكلف. لا تزيد عن الغرض، فإن اتفق للنظم معنى لطيف، زاد من روعته، وإلا –فالصورة غنية في نفسها ودلالتها يقول: وليس الشعر عند أهل العلم به، إلا حسن التأتي، وقرب المأخذ، واختيار الكلام، ووضع الألفاظ في مواضعها، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له، وغير منافرة لمعناه، فإن الكلام لا يكتسى بالبهاء والرونق، إلا إذا كان بهذا الوصف، وتلك طريقة البحتري، والبلاغة إنما هي إصابة المعنى، وإدراك الغرض، بألفاظ سهلة عذبة، مستعملة سليمة من التكلف لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة. فإن اتفق مع هذا معنى لطيف، أو

---

(١) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/٢٢

حكمة غريبة، أو أدب حسن، فذلك زائد في بهاء الكلام، وإن لم يتفق، فقد قام الكلام بنفسه واستغنى عما سواه. قالوا:." (١)

"صحة المعنى، وكلما كان أصبح تأليفا كان أقوم بتلك الصناعة مما اضطرب تأليفه".

ويؤكد النص الأخير عنايته التامة بالتأليف والنظم، كالشأن في كل صناعة تتألف من مادة وصورة، فقيمة التأليف له المنزلة الأولى ما دام المعنى صحيحا، وأما اضطراب التأليف فلا مدخل له في الشعر، كالشأن في سوء التشكيل لمادة من المواد المعدنية وغيرها.

خامسا:

ويكاد الآمدى يبلغ الغاية في توضيح الصورة التي فضل بها البحتري أستاذه أبا تمام وهو يتحدث في باب العلاقة بين **اللفظ والمعنى**، فقد فسر التأليف وهو النظم في الصورة، حينما عقد موازنة بين صناعة الشعر وبين غيرها من الأشياء في سائر الصناعات الأخرى، فيبنى الشعر الجيد المحكم وكذا الصناعات الأخرى، على دعائم أربع:

أولا: جودة الآلة.

ثانيا: إصابة الغرض.

ثالثا: صحة التأليف.

رابعا: بلوغ الغاية في التأليف بدون نقصان ولا زيادة.

وكذلك الأمر في كل محدث مصنوع في الخلق والإيجاد، يحتاج إلى أربعة أشياء:

أولا: علة هيولانية: هي الأصل.

ثانيا: علة تصويرية.." (٢)

"من غير انتقاص منها وكذلك الصانع المخلوق في مصنوعاته التي علمه الله عز وجل إياها، لا تستقيم له وتجود إلا بهذه الأربعة.

وهي آلة يستجيدها ويتخيرها مثل خشب النجار ... وألفاظ الشاعر والخطيب وهي العلة الهيولانية، التي قدموا ذكرها وجعلوها الأصل، ثم إصابة الغرض فيما يقصد الصانع صنعته، وهي العلة الفاعلة، ثم أن ينتهي الصانع إلى تمام صنعته من غير نقص منها ولا زيادة عليها وهي العلة التمامية، فهذا قول جامع لكل الصناعات والمخلوقات، فإن اتفق الآن لكل صانع بعد هذه الدعائم الأربع أن يحدث في صنعته مبنى لطيفا مستنيرا، كما قلنا في الشعر من حيث لا يخرج عن الغرض فذلك زائد في حسن صنعته وجودتها، وإلا فالصنعة قائمة بنفسها مستغنية عما سواها".

وهكذا يوضح الآمدى، ما يعتمد عليه الشعر وغيره من سائر الصناعات والصور التي يسببها الشعر في التركيب والبناء، وينص أيضا على الصورة الشعرية نصا واضحا، ولا يكتفي بالنظم والتأليف والصياغة كالسابقين، الذين اكتفوا بمجرد الذكر

---

(١) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/٣٠

(٢) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/٣٣

أو بإشارات مبهمة وهم يقصدون الصورة، ولكنه قطع شوطا في توضيح الصورة وذكر معالمها لمرحلة نامية دافعة في أطوار مفهومها.

فاقترن الشعر عنده –كصناعة– بسائر الفنون والصناعات، وتناول الصورة –باستقامة ذوقه ودقة فهمه، وحددها بحدود ينبغي مراعاتها في التصوير، ومن أخل بشيء منها اختلت هي كذلك، وهذه الحدود هي:

١– حسن التأني وقرب المأخذ في **اللفظ والمعنى**.

٢– انتقاء الألفاظ، واختيار الكلام الجيد الحسن.." (١)

"الباقلاني والصورة الأدبية:

يربط الباقلاني١ بين **اللفظ والمعنى** في الظاهر، ولكنه في الحقيقة يفضل المعنى على اللفظ؛ لأن مقياس الجمال عنده: أن المعنى البارع، إذا جاء في لفظ بارع، فهو أفضل من وقوع المعنى المألوف في لفظ بارع.

ومثل هذا يلحقه بأنصار المعنى، وإن كان يرجع الفضل في إشارته إلى علاقة اللفظ بالمعنى، وإن لم يوضحها، ويعمق جوانبها، ويبين مدى الترابط التام بينهما لكن عبد القاهر الجرجاني أفاد منه كما أفاد من غيره.

وعلى ذلك فمجال الصورة الأدبية لا يتحقق إلا في اللفظ البارع، الذي يحمل معنى لطيفا، يقول الباقلاني:

"إن تخير الألفاظ للمعاني المتداولة المألوفة، أسهل وأقرب من تخير الألفاظ لمعان مبتكرة، ولكن إذا برع اللفظ في المعنى البارع، كان ألطف وأعجب، من أن يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول المتكرر"٢.

والعبارة الأخيرة تدل على عدم الدقة في فهمه لقضية النظم؛ لأن الألفاظ البارعة في المعنى تجعله شريفا لطيفا.

ابن رشيق:

والحسن بن رشيق٣ يذكر في باب "**اللفظ والمعنى**" آراء السابقين عليه بعد ذكر رأيه فيهما فيقول:

---

١ صاحب إعجاز القرآن المتوفى ٤٠٣هـ.

٢ إعجاز القرآن: الباقلاني ص٦٣.

٣ هو أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني المتوفى عام ٤٥٦هـ–١٠٦٤م.." (٢)

"وليست هذه الآراء هنا محل مناقشة فقد نوقشت قبل ذلك، والذي يعنينا هنا هو اتجاه ابن رشيق، والآراء السابقة في النص تحدد اتجاهه عن طريق النفي والسلب؛ فهو يستعرض مذاهب العرب في **اللفظ والمعنى**، لينفيها عن وجهته، ويبني رأيه على نقائضها، فيكون من أنصار **اللفظ والمعنى** معا: "النظم".

ويرى أن الصورة في الشعر أو النظم تقوم على العلاقة بين **اللفظ والمعنى**، فلا اللفظ ينهض بالصورة والجمال، ولا المعنى كذلك، كالإنسان الحي، فكلاهما يسقط بسقوط الآخر، ويسمو بسموه. يقول:

---

(١) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/٣٥

(٢) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/٥٠

"اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه ويقوى بقوته"١.

ولو اختل التركيب "في الشعر بعض الخلل، واستقام المعنى، هوى ركن من أركانه لا يقوى إلا به، كالعرج والشلل، الذي يغض من تمام الخلقة، وكمال الجسم، ويظل صاحبه حيا يتحرك هنا وهناك، وكذلك الأمر في ضعف المعنى، ينال من جمال اللفظ. ويكون النظم أشبه بالجسم الأجوف الفارغ، الذي لا روح فيه، يقول ابن رشيق:

فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ، كان نقصا للشعر، وهجنة علية، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور، وما أشبه ذلك، من غير أن تذهب الروح –وكذلك إن ضعف المعنى، واختل بعضه، كان اللفظ من ذلك أوفر حظا، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح"٢.

ويقرر ابن رشيق أساسا قويا، لم يسبق إليه، في فهمه للنظم، وتقديره للصورة

---

١ المرجع السابق ج١ ص١٢٤.

٢ العمدة: ابن رشيق ج١ ص١٢٤.." (١)

"ابن شرف القيرواني والصورة الأدبية:

يفضل ابن شرف المعنى على اللفظ، ويقدمه عليه، فمرجع الجمال في العبارة، ومجال الروعة في الصياغة، يكون في المعنى، ثم يأتي بعد ذلك اللفظ، فهو دونه في المرتبة والدرجة، فإن كان المعنى رائقا، فلا عليه أن يقع في لفظ رائق بارع.

ولا يعتد إلا بالمعنى الذي يسكن اللفظ، أي لفظ يقول:

فإن كان "أي المعنى" في البيت ساكنا، فتلك المحاسن، وإن كان خاليا فاعدده جسما باليا"١.

الإمام عبد القاهر الجرجاني ٢:

وبعد الشوط الطويل يأتي فارس الميدان، وأستاذ النقد العربي القديم الإمام القاهر، ويصلنا وهو في القرن الخامس الهجري بما انتهى إليه النقد الحديث في القرن الخامس عشر، في توضيح معالم الصورة الأدبية.

ولا يظن القارئ الكريم أن من ذكرتهم قبل الإمام من النقاد العرب ليسوا هم وحدهم الذين تكلموا في **اللفظ والمعنى**، وما تفرع عن ذلك من النظم والصورة. بل هناك غيرهم كثيرون منهم الصاحب بن عباد، والمرزوقي وغيرهما، وكذلك فعل جار الله الزمخشري بعده، وغيره مما سار على نهج ما ذكرت من فهمهم للصورة وتحليلها ونقدها مما جعلني أستقصي في نمو وتحليل، وتفصيل وموازنة واستنتاج كل المراحل التي مر بها مفهوم الصورة الأدبية، وذلك ما دعاني إلى الاكتفاء بأشهر الأعلام في النقد القديم، على أن الإمام عبد القاهر، يكفي عمن ذكرتهم، ومن لم أذكرهم، لسعة ثقافته، وفرط ذكائه، فقد أفاد من هؤلاء جميعا حتى انتهى إليه القول في النظم والتصوير الأدبي قديما.

---

(١) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/٥٢

١ أعلام الكلام: ابن شرف القيرواني ص٢٧.

٢ المتوفى ٤٧١.." [(١)]

"أولا النظم:

وقف الإمام قبل أن يرسي قواعد النظم ويحدد معالم الصورة موقف الباحث الدقيق، والناقد الذواقة الأديب، من أنصار اللفظ، وأنصار المعنى ليضع الأساس الثالث وهو النظم ويفند ما انتهى إليه السابقون حيث قالوا: "إنه ليس إلا **المعنى واللفظ** ولا ثالث١ فبين موقف من المعنى على حدة، ثم اللفظ على حدة، ليسلم له الأساس الفني الدقيق في الصورة وهو النظم. وما تلجلج الإمام في موقفه من كل من **اللفظ والمعنى**، قبل أن يستقر في النهاية إلى قضيته كما زعم بعض المعاصرين٢. ولكن الرجل على عادته، كان يهدم جزءا جزءا وقبل أن يهدم يحدد الخصائص اللازمة للفظ على انفراد، وكذلك المعنى، فيحدد صفات اللفظ البليغ، ويتخير منه ويعلي من قدره منفردا على المعنى ثم في موطن آخر يبرز سمات المعنى ويعلي من شأنه منفردا فإذا انتهى إلى النظم، لم يعط الميزة للفظ وحده حتى يفضل المعنى، ولا يمنح الدرجة للمعنى حتى يسمو على اللفظ، فلا هذا ولا ذاك، وإنما الفضل الحق أن يكون للثالث وهو النظم وكفى٣، فالإمام أعطى لكل حقه على انفراد، ولا قيمة لكل منهما وحده في الصورة وإنما يستحقان هذه القيمة. بل أكثر منهما، إذا ارتبطا بالنظم وهو وحده له القيمة الكبرى في الصورة الأدبية، فأما سمات اللفظ عنده، والخصائص التي ينبغي أن تكون فيه هي كما يقول: "أن اللفظة ما يتعارفه الناس في استعمالهم، ويتداولونه في زمانهم، ولا يكون وحشيا غريبا، أو عاميا سخيفا

---

١ دلائل الإعجاز: عبد القاهر ص٤٢٥ تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي.

٢ د. محمد خلف الله أحمد في كتابه "الوجهة النفسية" ص١١٣، وعز الدين إسماعيل في الأسس الجمالية في النقد العربي.

٣ أسرار البلاغة: عبد القاهر الفاتحة ص٣ تحقيق السيد محمد رشيد رضا.." [(٢)]

"والنقاد العرب قطعوا شوطا كبيرا في توضيح مفهوم الصورة الأدبية، بعد أن مرت هي كذلك بمراحل النمو والتدرج الطبعي للأشياء، وإن اتجهت عنايتهم التامة بالصورة الجزئية، مغفلين أمر الصورة الكلية إلا نادرا، وهذا لا يضر بمفهومها في ذاته.

ولا يصح أن نفرض مفهوما حديثا، ونطبقه على المفهوم القديم، لنتهمهم بالتقصير لعدم المطابقة بين المفهومين، ليس هذا بمعقول؛ لأن النقد القديم كان يمثل مرحلة تاريخية في بناء الفهم للصورة الأدبية، ولذلك كان النقاد غالبا ما يستعملون الشعر والكلام مكان الصورة كالآمدى، أو النظم والتأليف -والصياغة كما هو الشأن عند معظمهم، حتى من فطن منهم إلى التعبير بالصورة كان يمر بها خاطفا كالبرق، ولعل فن التصوير والرسم لم يبلغوا فيه درجة ما بلغناه في عصرنا، حتى أصبح هذا اللفظ على كل لسان حديثا، فاستخدموه في التجارب المعملية، وفي معامل العلوم الحديثة، وكذلك يرجع الإقلال من

---

(١) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/٥٦

(٢) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/٥٩

التعامل بالصورة قديما، وإحلال النظم أو الصياغة إلى غير ذلك محلها، إلى حداثة الامتزاج بالأعاجم وشيوع اللحن في اللغة العربية فوجد النقاد، والأدباء أن الأنسب في مواجهة هذا التيار المشوب باللكنة والعجمة والتعبير **باللفظ والمعنى** والنظم والتأليف والصياغة والكلام، مما يدل بالنص والتصريح على اللغة وخصائصها؛ لأن الصورة تعبير غير مباشر، لبيان المراد في اللغة، وإن ترددت على ألسنتهم متأثرين بما ترجموه عن الأعاجم، فما زالت الصورة غير مختمرة بعقولهم ولا ممتزجة بعواطفهم، لذلك تجنبوا التعبير بها إلا قليلا، حتى تختمر وتمتزج بنفوسهم، ليعبروا بها عن أصالة وإحساس صادق وقد نبعت من حياتهم ولغتهم وأدبهم.." (١)

"فيستوحي كل منهم صورة من صورة سابقة، أو يولد صورة من غيرها، أو يبتكر صورة من عنده، فيأخذ الشاعر اللاحق مكانه من الفضل، كما أخذ السابق في ابتداعه مكانا، وساغ الشعراء بعد ذلك الاستيحاء والتوليد، والتأثر والاختراع.

لذلك كان أنصار اللفظ أكثر نشاطا في الأدب، وأعظم عونا لتفوق الشعر واتساع مملكته وأجدى نفعا للصورة الأدبية، وللأدب بصفة عامة. وأكثرهم رعاية لتربية الأذواق، وتنمية الحواس الفنية.

وأصدق من هؤلاء تقديرا للشعر والأدب، هم الذين يربطون **المعنى واللفظ** -ويهتمون بالنظم والتركيب، فهم أقرب فهما للصورة الأدبية بمعناه الكامل، ومغزاها الدقيق النامي، فبالنظم يأخذ الأدب مكانه، وتعود للشعر رونقه، ويكون للصورة سحرها وأثرها القوي في النفوس.

ومهد الطريق في دراسة فن النظم للإمام عبد القاهر الذي تم على يديه، مهده كثرة من الأدباء والنقاد قبله.

منهم من أشار إشارة عابرة، ومنهم من نص وتذوق، ومنهم من طبق النظم على نصوص لانكشف عن عبقرية في باب النظم والتصوير حتى جاء الإمام عبد القاهر فحقق ما لم يحققوه واستحق لذلك الإمامة بينهم وأتى من بعده فألقى عصى التسيار عنده، وأخذ يدور ويلف حول آرائه في النظم، حتى ضل الطريق ووقع مغشيا عليه في ساحة الجدل والمنطق والفلسفة وسنوضح أثر أنصار النظم في الصورة الأدبية، ومدى نضوجها واكتمالها بمصادر حيويتها وقوتها وروعتها.

وأراني في هذه القمة بلغت حد التجاوز قليلا، فإذا أطلقت على من يؤثر اللفظ "أنصار اللفظ" فهذا أولا من باب تغليب اللفظ على المعنى عندهم وثانيا: فهو حكم تقريبي.." (٢)

"وكذلك الأمر في أنصار المعنى، وأنصار النظم "أي **اللفظ والمعنى**"؛ لأن من رجح اللفظ أو المعنى لا يهمل المرجوح منها ألبتة، ولكنه يكون دون ما رجحه، وكذلك أيضا **اللفظ والمعنى** معا فمن شايعهما لا يهتمون بالنظم وحده بل باللفظ على حدة وبالمعنى كذلك، وإن كان جل عنايتهم بالنظم والتأليف أولى وأعظم وهي محل النبوغ الأدبي، وموطن البراعة في التصوير الشعري.

الصورة الأدبية عند نقاد آخرين:

---

(١) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/٨٧

(٢) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/٩٤

وممن عرف للصورة الأدبية مكانها من المزية والبلاغة أبو علي أحمد بن الحسن المرزوقي ١ وغيره من النقاد، وسبق بحث قضية الصورة الأدبية عند ابن الأثير وقد حفل عبد الرحمن بن خلدون بالصياغة وعد المعاني تابعة للألفاظ، فهي التي تكشف عنها، وتدل عليه يقول:

"إن صناعة الكلام نظما ونثرا إنما هي في الألفاظ، لا في المعاني، وإنما المعاني تبع لها وهي أصل ... وذلك أن قدمنا أن للسان ملكة من الملكات في النطق، يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل، والذي في اللسان والنطق إنما هو الألفاظ. أما المعاني فهي في الضمائر، وأيضا فالمعاني موجودة عند كل واحد، وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى، فلا يحتاج إلى صناعة، وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه، وهو بمثابة القوالب للمعاني، فكما أن الأواني التي يغترف بها والماء من البحر، منها آنية الذهب والفضة، والصدف والزجاج والخزف والماء واحد في نفسه، وتختلف الجودة في الأواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء، كذلك جودة

---

١ شرح ديوان الحماسة: المرزوقي، ص٥، ٦.." (١)

"اللغة وبلاغتها في الاستعمال، تختف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد والمعاني واحدة في نفسها"١.

ولشدة اهتمامه باللفظ وعنايته بالصورة جعل المعاني تابعة للألفاظ، فهي قوالب للمعاني، والصورة آنية لها، كالأواني تختلف في صورتها -مع الماء الواحد- من ذهب إلى فضة، ومن زجاج إلى صدف، فتختلف جودتها، كذلك الأمر في جودة اللفظ والصورة، إنما ترجع إلى حسن الاختيار وقوة الرصف وجمال التنسيق.

وتحديد ابن خلدون للشكل والصورة بما تقدم. يؤدي إلى الفصل التام بين **اللفظ والمعنى**، وضعف العلاقة بينهما، فالآنية منفصلة عن الماء، انفصال الثوب عن البدن كما ارتأى ذلك أبو هلال، واللفظ عنده لا حياة فيه ولا ماء، بل هو مجرد من الروح والحيوية.

ورد اختلاف الصورة إلى اختلاف الشكل مع اتحاد المعنى، وشبهها باختلاف المعادن مع اتحاد الماء بداخلها في كل معدن. ويبدو في هذا عدم الدقة في فهمه للصورة الحقة، التي يستطيع الشاعر فيها أن يشكل من المعنى الواحد -كالمعدن الواحد- صورا عدة مع أن عبد القاهر الجرجاني قد سبقه بذلك مما يدل على تسرع منه في فهم الشكل والصورة، وإن اتفق مع الجاحظ في الاهتمام باللفظ والصياغة.

---

١ المقدمة: عبد الرحمن أبو زيد بن خلدون "المتوفى ٨٠٨هـ-١٤٠٦م" ط المشرفية ١٣٢٧هـ.." (٢)

---

(١) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/٩٥

(٢) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/٩٦

"الفصل الثاني: الصورة الأدبية في النقد الأدبي الحديث

سبق أن قلنا: إن النقد العربي القديم، قطع شوطا مضنيا وشاقا لتحديد مفهوم الصورة الأدبية، وساعد على ذلك شغل النقاد الشاغل ببحث قضية **اللفظ والمعنى**، وعن الصورة تعرفوا على معظم خصائصها، وبعضهم كالإمام عبد القاهر الجرجاني مثلا عني بتحليل صور أدبية كثيرة، وبيان مصادر الجمال فيها، فدل بذلك على حسن ذوقه الأدبي، وأصالته ودقته.

وجاء دور النقد الحديث في بحث الصورة والتعرف على خصائصها، وأثرها في النفس، وقد استعانوا في نشاطهم النقدي برافدين أساسيين هما:

أولا: الجهود التي قام بها النقاد العرب في النقد القديم، وكانت تمثل المراحل الأولى، وتكشف عن أصالة اللغة العربية في توضيح مفهوم الصورة الأدبية.

ثانيا: النقد الأدبي الغربي، بما فيه صراع بين مذاهبه الأدبية المختلفة وأثر هذه المذاهب في تحديد مفهومها، حسب روح كل مذهب وأهدافه.

والعامل الثاني: وإن كان له أثره الذي لا ينكر في نقدنا العربي الحديث، إلا أنه بمذاهبه المختلفة غير المستقرة، التي تتجدد من وقت لآخر، تجعلنا لا نطمئن إلى حكم دقيق، في تحديد مفهوم الصورة الأدبية، من وجهة نظر أصحاب المذاهب النقدية في العرب.

وقد استطاع النقاد المعاصرون بنشاطهم النقدي توضيح الصورة وتعميق جوانبها المختلفة، وألبسوها ثوبا جديدا لم يكن في النقد العربي القديم، فشخصوا." (١)

"أثرها وقيمتها، ومكانها من الأدب عامة ومن الشعر خاصة، ولتحديد مفهومها لا بد أن نوضح بإيجاز قضية الشكل والمضمون، لكي نعرف موقع الصورة منها. تعد هذه المشكلة من أهم قضايا النقد الأدبي الحديث، وكانت في النقد القديم تسمى قضية **اللفظ والمعنى**، وهي المشكلة التي أثارها الجاحظ، إذ شايع اللفظ ردا على عناية أبي عمرو الشيباني وأضرابه بالمعنى، فأصبح لكل من **اللفظ والمعنى** بعد ذلك أنصار، وقامت على أنقاضهما قضية النظم وأصبح لها أيضا أنصار.

تلك هي مشكلة **اللفظ والمعنى** في النقد القديم قد وضحناها، وكشفنا عنها النقاب بقدر حاجة البحث إلى ذلك، وجاء النقد الحديث، ليخوض هذه التجرة في تيار عنيف، وهي التجربة الحية في مشكلة **اللفظ والمعنى**، أو الشكل والمضمون، أو الصورة والمحتوى.

ودراسة هذه القضية ضرورية في مجال الأدب والشعر؛ لأنها توضح جوهر الأدب وروحه، وتميز بينه وبين الرياضة والكيمياء، والطبيعة وغيرها من العلوم، التي تختلف في جوهرها وطبيعتها عن الأدب.

وأعظم التيارات التي أدت إلى إثارة المشكلة هي البحث عن القيم في العلوم والآداب ومدى النفع والخير فيها، ودرجة

---

(١) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/٩٨

الفضيلة والإمتاع فيها، وغير ذلك مما يعود بالإصلاح والإمتاع، ويترتب على ما سبق: البحث عما تهدف إليه العلوم والآداب وأغراضها.

ومعلوم أن الغاية في العلوم هي ما تقدمه للبشرية من وسائل التقدم والحضارة، وتساعد بنظرياتها الدقيقة على رقي الإنسان وسموه، وأصبح لا خلاف في أن المضمون هو جوهر العلوم وروحها، ولا يهتم العالم أن يعرض نظرياته في أسلوب." (١)

"هذا ومكان الصورة الأدبية من قضية **اللفظ والمعنى**، أو الشكل والمضمون وعلينا الآن أن نوضح مفهومها في النقد الحديث، وما نراه في ذلك من خلال آراء النقاد فيها، حتى يكون هذا المفهوم الذي سأنتهي إليه هو المقياس، الذي أعرض عليه كل جزئية من أجزاء البحث، والميزان الدقيق الذي يتأثر بكل ما دق أو عظم فيه.

النقاد المحدثون:

معنى الصورة:

والصورة الأدبية تعد من القيم الهامة والأساسية في الأعمال الأدبية، وفي فن الشعر خاصة؛ لأنها هي الوسيلة الجيدة الدقيقة في إظهار التجارب الشعورية بما تحوي من أفكار وخواطر، ومشاعر وأحاسيس، وبدونها لا نعرف شيئا بدقة عن تجارب الغير، فكما لا يستطيع الغير أن يعرف عن تجاربنا شيئا. لذلك أولى النقاد الصورة الأدبية كل عناية، لتحديد مفهومها، وهم متأثرون في ذلك بعاملين، لا يقل أحدهما عن الآخر في التأثير، وإن اختلف نوع التأثير في مفهوم الصورة حسب اختلافهما، وهما أصالة النقد العربي في توضيح الصورة كما قدمنا وأثر التيارات الجديدة للمذاهب الأدبية الحديثة الواردة من الغرب، في تلوين المفهوم للصورة، مع خضوعه للأصالة العربية في بيان معالمه.

وبالطبع إنني لن أدرس كل النقاد الذي تناولوها حديثا لسببين:-

أولهما: أن نكتفي بالرواد ونقتصر عليهم.

ثانيهما: أن هؤلاء النقاد عاشوا في قرن واحد، وتجاوبت أصداء مفاهيم الصورة الأدبية عندهم.." (٢)

"ويتصدى لهذا الزعم ناقد حيث دفع الخطأ الذي وجهه العقاد إلى النقاد القدامى، وبين وجه الصواب في نظرة النقاد للصورتين السابقتين، وهي أن الشاعر ينقل في صوره الأدبية ما يمتزج بحسه ووجدانه وما يتصل بشعوره وخواطره حتى يتحقق الصدق الفني في التصوير، وهو أساس البراعة فيه، فابن المعتز يصور في صدق ما رآه، وما شعر به ولو فعل غير ذلك لما كان صادقا في قوله دقيقا في تصويره، وهذا هو توضيح ما أشار إليه النقاد القدامى، ولذلك تعجب ابن الرومي المصور من صور ابن المعتز، وحاد عنها في التصوير إلى صور أخرى، تمتزج بحسه وشعوره وخواطره، ويكمل الناقد حديثه في ذلك فيقول:

"ونحن مع العقاد في أن لابن المعتز تشبيهات كثيرة أبلغ مما ذكر في الرواية، ولكننا نخالفه في أن يكون النقاد قد أخطأوا مثل هذا الخطأ، أو خالوا ذلك الظن البعيد، إنما أرادوا أن ابن المعتز تفرد بهذا اللوان خاصة من التشبيه، وهو ما استخدم فيه

---

(١) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/٩٩

(٢) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/١٠٩

آلات حياته وترفه في تلوين أصباغ تشبيهاته ووصفه، على أن هذا اللوان لا يخلو كله من تصوير لعاطفة الشاعر ووجدانه وإحساسه بالحياة، أما ما سوى ذلك اللون الذي انفرد به ابن المعتز، فقد يشاركه بعض الشعراء الموهوبين فيه فلا داعي للتحدي به١".

وليس الخيال وحده هو أهم ركيزة في الصورة الأدبية؛ لأن العقاد يقرر أن هناك ملكة ضرورية في الصورة تشمل الخيال وغيره من الوهم، واتساق **المعنى واللفظ**، وتداعي الخواطر، ويسميها، "ملكة تداعي الفكر" بما ينضم الخاطر بتصحيف يسير في اللفظ أو المعنى، وبمناسبة دقيقة من الخيال الصحيح أو الوهم

---

١ ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ٢٣٨ط ثانية ١٩٥٨.." [(1)]

"الكاذب، فيصل بها الشاعر بين طرفين متناقضين عند عامة الناس، وتلتمس لها المشابه والمغازي، حيث لا شبه ولا مغزى لمن لم يوهبوا هذه السرعة في توارد الخواطر وتساوق المعنى والألفاظ١.

ولا يخفى على الناظر مما سبق أن العقاد متأثر تماما بنظرية النظم عند الإمام عبد القاهر، وإن أخفى ذلك تحت المصطلح البراق الذي يدل على عبقريته وهو "ملكة تداعي الفكر" وما هي إلا القدرة على التآخي بين معاني النحو، وارتباط ثان منها بأول وهكذا، ولكن العقاد فر من التعبير "بالنحو" خشية أن يصيب الجمود فيه انطلاق الأدب وحيوية التصوير الشعري كما يدعي الجمود في نظرية النظم عند الإمام بعض المحدثين، وهل هناك جمود في التأخير والتقديم والتنكير والتعريف، وإفادة أن الاسم هنا فاعل أو هناك مفعول، ليتضح المعنى، إلى غير ذلك مما قرره الإمام، إلا إن نظروا إلى ذات الرفع أو النصب أو الخفض أو الجزم، وهذا ما لا يقصده عبد القاهر، ولكن الناقدين يختلفان من جهة أخرى وذلك في درجة الخيال من الصورة ومنزلته فيها، فيرى العقاد أن الخيال أقوى وسيلة من وسائل التصوير، وأعظمها حيوية فهو يفضل النظم والمزاوجة والإيقاع وبعض الحقائق، إذ يرى أن الخيال مناسبة دقيقة في تساوق بين **المعنى واللفظ**، يجمع بين المتناقضات، وتنضم الخاطرة إلى الخاطرة، بينما أقوى الصورة، بل أساسها عند الإمام عبد القاهر هي النظم أولا ثم الخيال وغيره ويأتي تبعا بعد ذلك.

وحين يربط الخيال بين الخواطر المتباعدة عند العقاد يكون ذلك في قول ابن الرومي:

قصرت أخادعه وطال قذاله ... فكأنه متربص أن يصفعا

وكأنما صفعت قفاه مرة ... وأحسن ثانية لها فتجمعا

---

١ مراجعات في الآداب والفنون: العقاد ١٦٩ القاهرة: ١٩٢٥م.." [(2)]

---

(١) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/١٢٣

(٢) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/١٢٤

"وهي ما عبر عنه بالنظم، وما يعبر النقاد عنه بالشكل أو الصورة، فمن مجموع العلاقات بين الألفاظ في النص الأدبي تتكون الصورة، وفيها تظهر البلاغة أو الجمالية، وهذه هي أساس نظرية التحليل اللغوي عند سوسيسر السويسرى، وهي نظرية سبق إليها عبد القاهر ناقدنا الكبير. **فاللفظ والمعنى** لا يمكن فصلهما عن بعض، إنهما وجه الصورة وعمادها وهذه نظرية الكثير من النقاد العالميين، وبخاصة النقاد الجماليون"١.

ويحدد معالم الصورة فيقول: "وأما الصور الشعرية فنعني بذلك أنك حين تقرأ للشاعر قطعة يكون الشيء كأنه مرسوم أمامك. بوضوح شديد ومجسم "بارز" تجاه بصرك٢.

وما أشار إليه ووضحه هو ما عبر عنه الدكتور ناجي حيث يرى أن الشعر يجب أن يكون أسلوبه معبرا بالصور أي يرسم الأسلوب مواقف الشاعر وأفكاره وتجاربه وانفعالاته رسما معبرا قويا واضحا بحيث تصبح فكرة الشاعر مصورة في صورة حقيقية تزخر بالعاطفة والتجربة والانفعال، ولا مجرد تصوير عادي ميت، وتصبح وكأنك أمام مناظر متحركة موحية مؤثرة٣. وهو ما ذكره د. خفاجي "في كتابيه" "مذاهب الأدب" و"نداء الحياة" إثر ما كتبه بعض شباب الشعراء ممن ذهبوا إلى أن الشعر صورة فقط"٤.

---

١ منهج عبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ص٢٠.

٢ الأدب العربي الحديث ومدارسه. الحلقة الأولى: د. خفاجي ص٢٧٠ المحمدية.

٣ مجلة أبولو ديسمبر ١٩٣٢م.

٤ دراسات في النقد الأدبي: د. خفاجي ص٢٩٤.." (١)

"وهو يتفق مع د. غنيمي هلال في اتجاهه؛ لأنهما قد استمداه من منبع واحد، وهو ما انتهت إليه المذاهب الأدبية الحديثة في الغرب، وأرى أن هذا الاتجاه جعل الأفكار والمشاعر رافدين من روافد الصورة كغيرها من الروافد الأساسية لها، ولا يأتيان تبعا للروافد التي تقوم عليها الصورة مجردة من المضمون، حين دراستها مستقلة كقيمة من القيم الشعرية العديدة، لا ينبغي أن يطبق هذا على الصورة في الشعر الغنائي، ويتفق في رأينا مع بعض الأجناس الأدبية الأخرى كالقصة والمسرحية؛ لأن الأحداث والحكاية والفصول فيها تكون الشكل الفني لها، وهي في ذاتها مضمون القصة والمسرحية، بحيث لا يمكن الفصل بينهما أما الصورة في الشعر الغنائي فإن سلمنا بإمكان الفصل فيها بين **اللفظ والمعنى**، وهذا لا يتأتى إلا وهي في الذهن حينما تتشكل من الأفكار والمشاعر والتجربة الشعرية والصورة كلية قبل انفصالها عن الشاعر، إن سلمنا بذلك فلا نسلم بالفصل بينهما بعد تشكيل الصورة وبروزها إلى الخارج عن نفس الشاعر، ليتمكن الناقد من الفصل بين المضمون وبين الصورة، التي تتخذ نسيجها من مواقع الألفاظ في العمل الفني، وانسجام حروفها وألفاظها بعضها مع بعض، ثم التلاؤم الذي يتم بينها في ذاتها وبين ما يهدف إليه الكاتب، ثم ما توحي به من معان جديدة لم تكن لمفردات الألفاظ من قبل، وعلى ذلك فمن الممكن للناقد أن يتعرف على خصائص الشكل، ثم يتبع ذلك التعرف على خصائص الصورة، وما أضافته

---

(١) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/١٣٧

لتكوين العمل الفني من معان جديدة، وهي في ذاتها نبع العبقرية في أخص خصائص الصورة الأدبية، التي لم تأت عن طريق المضمون وحده ولا عن طريق الشكل وحده، بل جاء من تأليف النص الأدبي على مثال اختارته عبقرية الشاعر الملهمة في التصوير، ولذلك نستطيع أن نفرق بين شاعر مصور للدقائق التي لا تفلت منه،." (١)

"المقصود بالصورة الثانية. كان طبيعيا أن يخيل إلينا أن الصورة الأولى في اللغة، لا بد أن تكون في تنسيقها الصوتي فحسب. ذلك أن الدلالة المكانية "أو المفهومة" للألفاظ هي المعاني التي تدل عليها هذه الألفاظ، ولكن الحقيقة وطبيعة اللغة كما رأينا تحتم أن يكون التنسيق الصوتي والدلالة المفهومة معا يمثلان الصورة الأولى في العمل اللغوي، وتظل الصورة الثانية فيه هي ما يفهم أو يحس وراء هذه الصورة بعنصريها. ومثل لها بقوله: "وعندما نقول: باب النجار مكسور، فإن الصورة الأولى لهذه العبارة تتمثل في التنسيق الزمني للعبارة كلها، با-بن-جا-ر-مك-سو-رن، وفي الدلالة المكانية المفهومة للباب والنجار والكسر ومن ثم لا تكون الصورة الأولى في العمل اللغوي هي الصورة الصوتية فقط، بل إنها تشمل كذلك الصورة المكانية، ثم يحدد معنى الصورة الثانية في هذا المثال بقوله: وكانت الصورة الثانية هي المعنى الذي وراء هذه الصورة الأولى بعنصريها الزماني والمكاني، أي بصوتها الموسيقي ودلالتها المكانية، وليكن هذا المعنى هو السخرية مثلا١، وهذا اتجاه حرفي في فهم الصورة وقد فسر به الناقد قضية **اللفظ والمعنى** وحل مشكلتها حيث جعل المعنى لا ينفصل عن اللفظ، وذلك في الصورة الأولى والمعنى يكون قائما مستقلا بنفسه في الصورة الثانية، وعلى ذلك فقد انتهت المشكلة على يديه، فالذين يربطون بين **اللفظ والمعنى** يقفون عند الصورة الأولى، والذي يعتنقون المعنى يقصدون الصورة الثانية٢.

وما انتهى على يديه اليوم هو ما أراده الإمام عبد القاهر من المعنى ومعنى المعنى. وما أراده النقاد جميعا من دلالة الصورة أولا. وما توحي به ثانيا وهم

---

١ المرجع السابق ص١٧١-١٧٣.

٢ المرجع السابق: ١٧٤.." (٢)

"والدلالتان الأخريان لا علاقة لهما أيضا بعلم البيان، فهما خارجتان. والأولى وهي اللفظية الوضعية ثلاثة أقسام كذلك: مطابقية، تضمنية، التزامية.

فالمطابقية: دلالة اللفظ على كامل معناه؛ كدلالة الإنسان على الحيوان والناطق، ودلالة الفرس على الحيوان والصاهل. وسميت مطابقية لتطابق **اللفظ والمعنى**، أي: تساويهما؛ لأن الواضع إنما وضع لفظ "إنسان" ليدل على مجموع الحيوان والناطق، كما وضع لفظ "فرس" ليدل على مجموع الحيوان والصاهل.

والتضمنية: دلالة اللفظ على جزء معناه الموضوع له؛ كدلالة "الإنسان" على الحيوان فقط، أو الناطق فقط، وكدلالة "البيت" على السقف، أو الجدار.

---

(١) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/١٣٩

(٢) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/١٤٣

وسميت تضمنية؛ لأن الحيوان أو الناطق جزء من معنى الإنسان، وداخل في ضمنه؛ لأن الواضع إنما وضع لفظ "إنسان" ليدل على الحيوانية والناطقية معا، كما وضع لفظ "بيت" ليدل على جميع أجزائه، فدلالة "الإنسان" على الحيوانية فقط، أو الناطقية فقط دلالة تضمنية؛ لأن الكل متضمن لأحد أجزائه، وكذلك دلالة "البيت" على السقف، أو الجدار.

والالتزامية: دلالة اللفظ على لازم معناه الموضوع له؛ كدلالة "الإنسان" على الضحك، وكدلالة "حاتم" على الجود، والأسد على الشجاعة، ودلالة كثرة الرماد على الكرم١.

---

١ صورة الدلالة التضمنية أن يسألك سائل، مشيرا إلى شبح: أناطق هذا أم صاهل؟ فتقول مجيبا: هو إنسان، تريد هو ناطق، فقد دللت "بإنسان" على الناطق دلالة تضمنية؛ لأن الناطق جزء معنى الإنسان، وصورة الدلالة الالتزامية أن يسألك سائل، مشيرا إلى شبح: أضاحك هذا أم غير ضاحك؟ فتقول مجيبا: هو إنسان تريد هو ضاحك، فقد دللت "بإنسان" على الضاحك دلالة التزامية؛ لأن الضحك وصف لازم للإنسان.." (١)

"مواضع الفصل والوصل:

الأول: أن يكون بين الجملتين "كمال انقطاع"، بحيث لا يصح الربط بينهما لكن ذلك مشروط بألا يكون في الفصل إيهام خلاف المراد كما سيأتي بيانه بعد، وإنما وجب الفصل في هذه الحالة لأن العطف بالواو يقتضي المناسبة بين الجملتين، ولا مناسبة فيما بينهما كمال انقطاع.

الثاني: أن يكون بين الجملتين "كمال اتصال"، بحيث لا يصح التغاير بينهما، وإنما وجب الفصل في هذه الحالة؛ لأن العطف بالواو يقتضي المغايرة بين الجملتين، ولا مغايرة فيما بينهما كمال اتصال.

الثالث: أن يكون بين الجملتين "شبه كمال انقطاع".

الرابع: أن يكون بين الجملتين "شبه كمال اتصال"، وإنما وجب الفصل في هاتين الحالتين لما ذكر في الحالتين الأوليين لأن شبه الشيء يأخذ حكمه.

الخامس: أن يكون بين الجملتين "توسط بين كمال الانقطاع وكمال الاتصال" مع قيام المانع من الوصل، وإليك تفصيل القول في المواضع الخمسة على الترتيب المذكور:

أما كمال الانقطاع بين الجملتين "بالشرط المتقدم"، فيتحقق في صورتين:

الأولى: أن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء بأن تكون أحداهما خبرا لفظا ومعنى، أو معنى فقط، وتكون الأخرى إنشاء لفظا ومعنى، أو معنى فقط، فالمدار في الاختلاف على المعنى١.

فمثال اختلافهما لفظا ومعنى "والأولى هي الإنشاء" قول الشاعر:

لا تسأل عن المرء عن خلائقه ... وجهه شاهد من الخبر

فصلت الجملة الثانية عن الأولى لاختلافهما خبرا وإنشاء في **اللفظ والمعنى** كما ترى، ومثله قول الشاعر:

---

(١) المنهاج الواضح للبلاغة حامد عونى ١/ ٤٠

١ فإن اختلفا لفظا فقط وجب الوصول نحو قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا﴾ إلى قوله: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ فقوله: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ عطف على قوله: ﴿لا تعبدون إلا الله﴾ لأنه بمعنى النهي أي "لا تعبدوا".." (١)

"وكدلالة الإشارة الخاصة على معنى "نعم" أو "لا"، وهذه الدلالة لا علاقة لها بمباحث علم البيان.

واللفظية أقسام ثلاثة: وضعية، وعقلية، وطبيعية.

فالوضعية: ما كان للوضع فيها مدخل؛ كدلالة "الإنسان" على الحيوان الناطق. فالربط بين الدال والمدلول من وضع الواضع أي: تعيينه هذا اللفظ لهذا المعنى، ومثله دلالة الفرس على الحيوان الصاهل.

والعقلية: ما كان قوامها "العقل" كدلالة الصوت على حياة صاحبه، كما إذا سمعت صوت إنسان من وراء جدار. فالرابط بين الدال والمدلول في هذه الدلالة هو العقل لا غير.

والطبيعية: ما كان قوامها "الطبع" كدلالة التأوه على الوجع. فالرابط بين الدال والمدلول في هذه الدلالة هو الطبع، إذ إن طبع المريض أن يتأوه عند استشعاره بالألم، والدلالتان الأخريان لا علاقة لهما أيضا بعلم البيان.

والأولى –وهي اللفظية الوضعية– أقسام ثلاثة كذلك: مطابقية، وتضمنية، والتزامية.

فالمطابقية: أن يدل اللفظ على كامل معناه الموضوع له، كدلالة الإنسان على الحيوان والناطق، ودلالة الأسد على الحيوان والمفترس. وسميت مطابقية لتطابق **اللفظ والمعنى** أي: تساويهما؛ لأن الواضع إنما وضع لفظ "إنسان" ليدل على مجموع الحيوان والناطق، كما وضع لفظ "أسد" ليدل على مجموع الحيوان والمفترس.

والتضمنية: أن يدل اللفظ على جزء معناه الموضوع له، كدلالة "الإنسان" على الحيوان فقط، أو على الناطق فقط، وكدلالة "البيت" على السقف أو الجدار. وسميت تضمنية؛ لأن الحيوان أو الناطق جزء معنى الإنسان، وداخل في ضمنه لأن الواضع –كما." (٢)

"الأصلي "على الاعتبار الثاني"١، والتاء فيه للدلالة على نقل الكلمة من الوصفية إلى الاسمية٢. وإذا يعلم أن:

الحقيقة في الاصطلاح: هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له في٣ اصطلاح التخاطب أي: في الاصطلاح الذي وقع به التخاطب بالكلمة المذكورة "كالأسد" إذا استعمل في الحيوان المفترس، فهو حقيقة لاستعماله فيما وضع له في كافة الاصطلاحات، و"كالصلاة" إذا استعملها المتكلم بعرف الشرع في الأركان الخاصة، فهي أيضا حقيقة لاستعمالها فيما وضعت له في اصطلاح أهل الشرع، و"كالصلاة" أيضا إذا استعملها المتكلم بعرف اللغة في الدعاء، فهي حقيقة لاستعمالها فيما وضعت له في اصطلاح أرباب اللغة.

واعلم أن في التعريف قيودا ثلاثة:

---

(١) المنهاج الواضح للبلاغة حامد عونى ٢/١١٦

(٢) المنهاج الواضح للبلاغة حامد عونى ٣/٨٣

١ – المستعملة.

٢– فيما وضعت له.

٣– في اصطلاح التخاطب، وقد أتي بها للاحتراز.

---

١ هو أنها في الأصل بمعنى مفعول.

٢ بيان ذلك أن التاء في أصلها تدل على معنى فرعي هو التأنيث، فإذا روعي نقل الوصف إلى الاسمية اعتبرت التاء فيه إشعارا بفرعية الاسمية كما كانت حال الوصفية إشعارا بالتأنيث، فالتاء الموجودة فيه بعد النقل غيرها قبله.

٣ الظرف متعلق بقوله: "وضعت" لا "بالمستعملة" لما يترتب عليه من فساد في **اللفظ والمعنى**؛ أما في اللفظ فلأنه يؤدي إلى تعلق حرفي جر متحدي **اللفظ والمعنى**، وهو غير جائز عند علماء النحو، وأما في المعنى فلأن استعمال الشيء في الشيء معناه: أن يكون الثاني مدلولا للأول، فيؤدي ذلك إلى أن يكون "اصطلاح التخاطب" مدلولا للكلمة المستعملة وهو ظاهر البطلان. وقد يجاب عن الأول بأن الجار الأول تعلق بالعامل مطلقا والثاني تعلق به مقيدا بالأول، فيكون التعلق بعاملين لا بعامل واحد؛ لأن المطلق غير المقيد. ويجاب عن الثاني بأن "في" بمعنى "على" أي: إن الكلمة مستعملة استعمالا جاريا على اصطلاح التخاطب، على أنهم قالوا: إن التعلق "بوضعت" أولى لفعليته، فهو أحق بالعمل من الوصف.." (١)

"القول بدلالة اللفظ لذاته:

اعلم أن ما ذكر من أن دلالة اللفظ على المعنى إنما تكون بالوضع، والتعيين هو ما عليه المحققون، وكون الواضع هو الله "سبحانه" بطريق الوحي، أو الواضع هو البشر بحث ليس هنا محله.

وذهب بعضهم١ إلى أن دلالة اللفظ على معناه لا تحتاج إلى وضع وتعيين، بل هو أمر ذاتي؛ بمعنى أن بين **اللفظ والمعنى** علاقة ذاتية طبيعية ربطت بينهما، واقتضت دلالة اللفظ على معناه، فكل من سمع اللفظ فهم المعنى بهذه العلاقة الذاتية، وحجة صاحب هذا الرأي أمران:

١– وجود العلاقة الذاتية بين كثير من الألفاظ ومعانيها؛ فلفظ "العواء" بالضم إنما دل على صوت الذئب؛ لما بين الدال والمدلول

---

١ هو عباد بن سليمان الصيمري، من المعتزلة.." (٢)

"وقيل١ في معنى "دلالة اللفظ" لذاته: إن للحروف في أنفسها خواص، وصفات، وإن لهيئات تركيبها أيضا خواص، وصفات تقتضي ألا يهمل أمرها عند وضع اللفظ للمعنى، بأن يراعى التناسب بينهما أداء لحكمة اتصاف الحروف، أو هيئاتها بتلك الخواص.

---

(١) المنهاج الواضح للبلاغة حامد عونى ٢٠٩/٣

(٢) المنهاج الواضح للبلاغة حامد عونى ٢١٥/٣

فالأول "كالفصم" بالفاء التي هي حرف رخو، فإنه وضع لكسر الشيء من غير أن يبين، و"كالقصم" بالقاف التي هي حرف شديد، فإنه وضع لكسر الشيء حتى يبين، ولا شك أن كسر الشيء مع البينونة أشد وأقوى من الكسر بلا بينونة. والثاني "كالفعلان" و"الفعلى" بالتحريك فيهما؛ فإنهما وضعا لما فيه حركة واضطراب كالجولان والغليان، وكالحيدى والجمزى وصفين للحمار السريع، هكذا قيل.

غير أن اعتبار التناسب بين **اللفظ والمعنى** بحسب خواص الحروف، أو هيئات تركيبها -كما قيل- إنما يظهر في بعض الكلمات كالمذكورة سابقا، أما اعتباره في جميع الكلمات من لغة واحدة -فضلا عن جميع اللغات- فمتعذر أيما تعذر، فلعل تلك الألفاظ المذكورة، وما شاكلها وضعت لمعانيها اتفاقا، بدون مراعاة التناسب بينهما.

تنبيه:

يتسمى كل من الحقيقة والمجاز بأسماء تختلف باختلاف الواضع "بالنسبة للحقيقة"، وباختلاف الاصطلاح "بالنظر إلى المجاز".

ففي الحقيقة: إن كان الواضع لها من أرباب اللغة الفصحاء سميت "حقيقة لغوية" كلفظ "الأسد" المستعمل في المعنى الذي وضعه له أهل اللغة، وهو الحيوان المفترس.

---

١ أريد بهذا القول تأويل قولهم: "إن دلالة اللفظ بذاته" بحمله على غير ظاهره، ولكنه مع ذلك لا يستقيم؛ لعدم اطراده كما هو ظاهر.." (١)

"مبحث التشبيه

منزلة التشبيه من علم البيان

...

مبحث التشبيه:

منزلته من الاستعارة: اعلم أن اللفظ قد يستعمل في معنى لم يوضع له وهذا الاستعمال إن صحبته قرينة مانعة من إرادة المعنى الموضوع له كان اللفظ "مجازا" إذ قد تجوز به من المعنى الموضوع له إلى المعنى المراد -ولا بد- مع هذا- من وجود علاقة بين المعنى المنقول عنه **اللفظ والمعنى** المنقول إليه، فإذا كانت العلاقة المشابهة سمي اللفظ حينئذ استعارة" كما في نحو: "رأيت أسدا يخطب" فغن لفظ "أسد" مستعمل في الإنسان الجرئ، وهو معنى لم يوضع له لفظ "أسد"، والعلاقة بين المعنيين مشابهة الإنسان للأسد في وصف الجرأة.

فالتشبيه إذن سابق عن الاستعارةن ضرورة أنها مبنية على المبالغة في التشبيه، فهو إذن منها بمثابة الأساس من البناء، أو بمنزلة الأصل من الفرع -ومن هنا يعلم وجه تقديم بحثه على بحث المجاز.

منزلة التشبيه من علم البيان:

---

(١) المنهاج الواضح للبلاغة حامد عونى ٢١٧/٣

اعلم: أن التشبيه من فنون البلاغة، له شأنه وخطره، فهو يدني القصين ويذلل العصي، ويكشف الخفي، ويكسب المعاني رفعة وشرفا، ويكسوها روعة وفخامة، ويبرزها في معارض الحس والعيان -وهو- إلى ذلك- كثير المباحث، متشعب النواحي.

وإليك جملة من الشواهد في مزايا التشبيه، تريك إجمالا منزلته من علم البيان، قال البحتري١:

دان على أيد الغفاة وشاسع ... عن كل ند في الندى وضريب

---

١ هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي الشاعر المطبوع أشهر من استحق لقب شاعر بعد أبي نواس، ومن أحسن قوله:

دنوت تواضعا وعلوت مجدا ... فشأناك انحدار وارتفاع

كذاك الشمس تبعد أن تسامي ... ويدنو الضوء منا والشعاع." (١)

---

(١) المنهاج الواضح للبلاغة حامد عونى ٨/٥